2263
.1879
V.1.

2263. 1879 V.1
32101 015402876
CARREL USE
2006-2007
CARREL USE
2007-2008
APR 15 2011

Princeton University Library
32101 048392458

وشجهزا

Arabian nights.

Alf laila wa-laila

الجزء الاول

من كتاب ألف ليلة وليلة

(الطبعة الاولى)

(بالمطبعة الوهبية)

(سنة ١٢٩٧ هجرية)

1--308

2263
.1879
v. 1

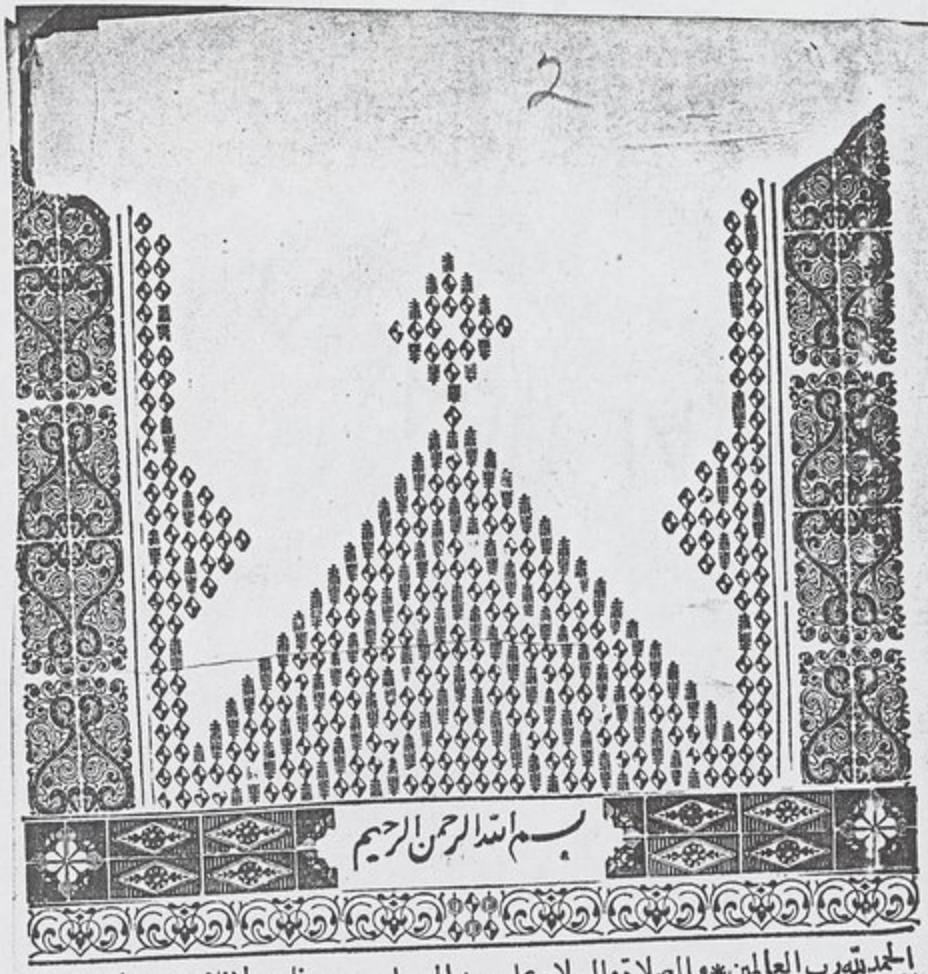

الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على سيد المرسلين * سيدنا ومولانا محمد وعلى آله صلاة وسلاما دائمين متلازمين الى يوم الدين ﴿ و بعد ﴾ فان سير الاولين * صارت عبرة للآخرين * لكي يرى الانسان العبر التي حصلت لغيره فيعتبر * و يطالع حديث الأمم السالفة وما جرى لهم فيتزجر * فسبحان من جعل حديث الاولين عبرة لقوم آخرين * فمن تلك العبر الحكايات التي تسمى ألف ليلة وليلة وما فيها من الغرائب والامثال

* (حكاية الملك شهريار وأخيه الملك شاه زمان) *

حكي والله أعلم وأحكم * وأعز وأكرم * أنه كان فيما مضى وتقدم * من قديم الزمان * وسالف العصر والاوان * ملك من ملوك ساسان * بجزائر الهند والصين صاحب جند وأعوان وخدم وحشم وكان له ولدان أحدهما كبير والآخر صغير وكانا فارسين بطلين وكان الكبير أفرس من الصغير وقد ملك البلاد وحكم بالعدل بين العباد وأحبه أهل بلاده ومملكته وكان اسمه الملك شهريار وكان أخوه الصغير اسمه الملك شاه زمان وكان ملك سمرقند العجم ولم يزل الامر مستقيما في بلادهما وكل واحد منهما في مملكته حاكم عادل في رعيته مدة عشرين سنة وهم في غاية البسط والانشراح ولم يزالا على هذه الحالة الى أن اشتاق الملك الكبير الى أخيه الصغير فأمر وزيره أن يسافر اليه ويحضر به فأجابه بالسمع والطاعة وسافر حتى وصل بالسلامة ودخل على أخيه و بلغه السلام وأعلمه أن أخاه مشتاق اليه وقصده أن يزوره فأجابه بالسمع والطاعة

وتجهز

وتجهز للسفر وأخرج خيامه وجماله وبغاله وخدمه وأعوانه وأقام وزيره حاكما فى بلاده وخرج طالبا بلاد أخيه فلما كان فى نصف الليل تذكر حاجة نسيها فى قصره فرجع ودخل قصره فوجد زوجته راقدة فى فراشه معانقة عبدا أسود من العبيد فلما رأى هذا اسودت الدنيا فى وجهه وقال فى نفسه اذا كان هذا الامر قد وقع وأنا ما فارقت المدينة فكيف حال هذه العاهرة اذا غبت عند أخى مدة ثم انه سل سيفه وضرب الاثنين فقتلهما فى الفراش ورجع من وقته وساعته وأمر بالرحيل وسار الى أن وصل الى مدينة أخيه ففرح أخوه بقدومه ثم خرج اليه ولاقاه وسلم عليه وفرح به غاية الفرح وزين له المدينة وجلس معه يتحدث بانشراح فتذكر الملك شاه زمان ما كان من أمر زوجته فحصل عنده غم زائد واصفر لونه وضعف جسمه فلما رآه أخوه على هذه الحالة ظن فى نفسه أن ذلك بسبب مفارقته بلاده وملكه فترك سبيله ولم يسأل عن ذلك ثم انه قال له فى بعض الايام يا أخى انى أراك ضعف جسمك واصفر لونك فقال له يا أخى أنا فى باطنى جرح ولم يخبره بما رأى من زوجته فقال انى أريد أن تسافر معى الى الصيد والقنص لعلك ينشرح صدرك فأبى ذلك فسافر أخوه وحده الى الصيد وكان فى قصر الملك شبابيك تطل على بستان أخيه فنظر واذا بباب القصر قد فتح وخرج منه عشرون جارية وعشرون عبدا وامرأة أخيه تمشى بينهم وهى فى غاية الحسن والجمال حتى وصلوا الى فسقية وخلعوا ثيابهم وجلسوا مع بعضهم واذا بامرأة الملك قالت يا مسعود فجاءها عبد أسود فعانقها وعانقته وواقعها وكذلك باقى العبيد فعلوا بالجوارى ولم يزالوا فى بوس وعناق ونيك ونحو ذلك حتى ولى النهار فلما رأى ذلك أخو الملك قال فى نفسه والله ان بليتى أخف من هذه البلية وقد هان ما عنده من القهر والغم وقال هذا أعظم مما جرى لى ولم يزل فى أكل وشرب وبعد هذا جاء أخوه من السفر فسلما على بعضهما ونظر الملك شهريار الى أخيه الملك شاه زمان وقد دق لونه واحمر وجهه وصار يأكل بشهية بعد ما كان قليل الاكل فتعجب من ذلك وقال يا أخى كنت أراك مصفر اللون والوجه والآن قد رد اليك لونك فأخبرنى بحالك فقال له أما تغير لونى فأذكره لك واعف عنى من اخبارك برد لونى فقال له أخبرنى أولا بتغير لونك وضعفك حتى أسمعه فقال له يا أخى اعلم أنك لما أرسلت وزيرك الى يطلبنى للحضور بين يديك جهزت حالى وقد برزت من مدينتى ثم انى تذكرت الخرزة التى أعطيتها لك فى قصرى فوجدت زوجتى معها عبد أسود وهو نائم فى فراشى فقتلتهما وجئت اليك وأنا متفكر فى هذا الامر فهذا سبب تغير لونى وضعفى وأما رد لونى فاعف عنى من أن أذكره لك فلما سمع أخوه كلامه قال له أقسمت عليك بالله أن تخبرنى بسبب رد لونك فأعاد عليه جميع ما رآه فقال شهريار لأخيه شاه زمان مرادى أن أنظر بعينى فقال له أخوه شاه زمان اجعل أنك مسافر للصيد والقنص واختف عندى وأنت تشاهد ذلك وتحققه عيانا فنادى الملك من ساعته بالسفر فخرجت العساكر والخيام الى ظاهر المدينة وخرج الملك ثم انه جلس فى الخيام وقال لغلمانه لا يدخل على أحد ثم انه تنكر وخرج مختفيا الى القصر الذى فيه أخوه وجلس فى الشباك المطل على البستان ساعة من الزمان واذا بالجوارى وسيدتهم دخلوا مع العبيد وفعلوا كما قال أخوه واستمروا كذلك الى العصر فلما رأى الملك شهريار ذلك الامر طار عقله من رأسه وقال لأخيه شاه زمان قم بنا نسافر الى حال سبيلنا

414747

وليس لنا حاجة بالملك حتى ننظر هل جرى لأحد مثلنا أولا فيكون موتنا خيرا من حياتنا فأجابه لذلك ثم انهما خرجا من باب سر في القصر ولم يزالا مسافرين أياما وليالي الى أن وصلا الى شجرة في وسط مرج عندها عين ماء بجانب البحر المالح فشربا من تلك العين وجلسا يستريحان فلما كان بعد ساعة مضت من النهار واذا هم بالبحر قد هاج وطلع منه عمود أسود صاعد الى السماء وهو قاصد تلك المرجة قال فلما رأيا ذلك خافا وطلعا الى أعلى الشجرة وكانت عالية وصارا ينظران ماذا يكون الخبر واذا بجني طويل القامة عريض الهامة واسع الصدر وعلى رأسه صندوق فطلع الى البر وأتى الشجرة التي هما فوقها وجلس تحتها وفتح الصندوق وأخرج منه علبة ثم فتحها فخرجت منها صبية غراء بهيه كأنها الشمس المضيه كما قال الشاعر

أشرقت في الدجى فلاح النهار * واستنارت بنورها الاسحار
من سناها الشموس تشرق لما * تتبدى وتنجلي الاقمار
تسجد الكائنات بين يديها * حين تبدو وتهتك الاستار
واذا أومضت بروق حماها * هطلت بالمدامع الامطار

قال فلما نظر اليها الجني قال يا سيدة الحرائر التي قد اختطفتها ليلة عرسها أريد أن أنام قليلا ثم ان الجني وضع رأسه على ركبتها ونام فرفعت الصبية رأسها الى أعلى الشجرة فرأت الملكين وهما فوق تلك الشجرة فرفعت رأس الجني من فوق ركبتها ووضعتها على الارض ووقفت تحت الشجرة وقالت لهما بالاشارة انزلا ولا تخافا من هذا العفريت فقالا لها بالله عليك أن تسامحينا من هذا الامر فقالت لهما بالله عليكما أن تنزلا والا نبهت عليكما العفريت فيقتلكما شر قتلة فخافا ونزلا اليها فقامت لهما وقالت ارصعا عنيفا والا أنبه عليكما العفريت فمن خوفهما قال الملك شهريار لاخيه الملك شاه زمان يا أخي افعل ما أمرتك به فقال لا أفعل حتى تفعل أنت قبلي وأخذ يتغامز ان على نيكها فقالت لهما ما لي أرا كما تتغامزان فان لم تتقدما وتفعلا والا نبهت عليكما العفريت فمن خوفهما من الجني فعلا ما أمرتهما به فلما فرغا قالت لهما أفيقا وأخرجت لهما من جيبها كيسا وأخرجت لهما منه عقدا فيه خمسمائة وسبعون خاتما فقالت لهما أتدرون ما هذه فقالا لها لا ندري فقالت لهما أصحاب هذه الخواتم كلهم كانوا يفعلون بي على غفلة من هذا العفريت فأعطياني خاتميكما أنتما الاثنان الاخوان وأعطياها من يديهما خاتمين فقالت لهما ان هذا العفريت قد اختطفني ليلة عرسي ثم انه وضعني في علبة وجعل العلبة داخل الصندوق ورمى على الصندوق سبعة أقفال وجعلني في قاع البحر الجاج المتلاطم بالامواج ولم يعلم أن المرأة منا اذا أرادت أمرا لم يغلبها شئ كما قال بعضهم

لا تأمنن الى النسا * ء ولا تثق بعهودهن فرضاؤهن وسخطهن معلق بفروجهن
يبدين ودا كاذبا * والغدر حشو ثيابهن بحديث يوسف فاعتبر * متحذرا من كيدهن
أو ما ترى ابليس أخرج آدما من أجلهن

وقال بعضهم كف لومك ماغدا يقوى الملوما * ويزيد الغرام عشقا عظيما
ان أكن عاشقا فلم آت الا * ما أتته الرجال قبلي قديما
انما يكثر التعجب ممن * كان من فتنة النساء سليما

فلما

فلما سمعا منها هذا الكلام تعجبا غاية التعجب وقالا لبعضهما اذا كان هذا عفريتا وجرى له أعظم مما جرى لنا فهذا شئ يسلينا ثم انهما انصرفا من ساعتهما عنها ورجعا الى مدينة الملك شهريار ودخلا قصره ثم انه رمى عنق زوجته وكذلك أعناق الجوارى والعبيد وصار الملك شهريار كلما يأخذ بنتا بكرا يزيل بكارتها ويقتلها من ليلتها ولم يزل على ذلك مدة ثلاث سنوات ففجعت الناس وهربت ببناتها ولم يبق فى تلك المدينة بنت تتحمل الوطء ثم ان الملك أمر الوزير أن يأتيه ببنت على جرى عادته فخرج الوزير وفتش فلم يجد بنتا فتوجه الى منزله وهو غضبان مقهور خائف على نفسه من الملك وكان الوزير له بنتان ذاتا جسن وجمال و بهاء وقد واعتدال الكبيرة اسمها شهرزاد والصغيرة اسمها دنيازاد وكانت الكبيرة قد قرأت الكتب والتواريخ وسير الملوك المتقدمين وأخبار الامم الماضين قيل انها جمعت ألف كتاب من كتب التواريخ المتعلقة بالامم السالفة والملوك الخالية والشعراء فقالت لأبيها مالى أراك متغيرا حامل الهم والاحزان وقد قال بعضهم فى المعنى شعرا

قل لمن يحمل هما * انهما لا يدوم مثل ما يفنى السرور * هكذا تفنى الهموم

فلما سمع الوزير من ابنته هذا الكلام حكى لها ما جرى له من الاول الى الآخر مع الملك فقالت له بالله يا أبت زوجنى هذا الملك فاما أن أعيش واما أن أكون فداء لبنات المسلمين وسببا لخلاصهن من بين يديه فقال لها بالله عليك لا تخاطرى بنفسك أبدا فقالت له لا بد من ذلك فقال أخشى عليك أن يحصل لك ما حصل للحمار والثور مع صاحب الزرع فقالت له وما الذى جرى لهما يا أبت

(حكاية الحمار والثور مع صاحب الزرع)

قال اعلمى يا بنتى أنه كان لبعض التجار أموال ومواش وكان له زوجة وأولاد وكان الله تعالى أعطاه معرفة ألسن الحيوانات والطير وكان مسكن ذلك التاجر الارياف وكان عنده فى داره حمار وثور فأتى يوما الثور الى مكان الحمار فوجده مكنوسا مرشوشا وفى معلفه شعير مغربل وتبن مغربل وهو راقد مستريح وفى بعض الاوقات يركبه صاحبه لحاجة تعرض له ويرجع على حاله فلما كان فى بعض الايام سمع التاجر الثور وهو يقول للحمار هنيأ لك ذلك أنا تعبان وأنت مستريح تأكل الشعير مغربلا ويخدمونك وفى بعض الاوقات يركبك صاحبك ويرجع وأنا دائما للحرث والطحن فقال له الحمار اذا خرجت الى الغيط ووضعوا على رقبتك النافارقد ولا تقم ولو ضربوك فان قمت فارقد ثانيا فاذا رجعوا بك ووضعوا لك الفول فلا تأكله كأنك ضعيف وامتنع من الاكل والشرب يوما أو يومين أو ثلاثة فانك تستريح من التعب والجهد وكان التاجر يسمع كلامهما فلما جاء السوّاق الى الثور بعلفه أكل منه شيأ يسيرا فأصبح السوّاق يأخذ الثور الى الحرث فوجده ضعيفا فقال له التاجر خذ الحمار وحرثه مكانه اليوم كله فرجع الرجل وأخذ الحمار مكان الثور وحرثه مكانه اليوم كله فلما رجع آخر النهار شكره الثور على تفضلاته حيث أراحه من التعب فى ذلك اليوم فلم يرد عليه الحمار جوابا وندم أشد الندامة فلما كان ثانى يوم جاء الزراع وأخذ الحمار وحرثه الى آخر النهار فلم يرجع الحمار الا مسلوخ الرقبة شديد الضعف فتيأمله الثور وشكره ومجده فقال له الحمار

كنت مقيما مستريحا لما ضرتي الافضولي ثم قال اعلم أني لك ناصح وقد سمعت صاحبنا يقول ان
لم يقم الثور من موضعه فأعطوه للجزار ليذبحه ويعمل جلده نطعا وأنا خائف عليك ونصحتك
والسلام فلما سمع الثور كلام الحمار شكره وقال في غد أسرح معهم ثم ان الثور أكل علفه
بتمامه حتى لحس المدود بلسانه كل ذلك وصاحبهما يسمع كلامهما فلما طلع النهار خرج التاجر
وزوجته الى دار البقر وجلسا فجاء السواق وأخذ الثور وخرج فلما رأى الثور صاحبه حرك
ذنبه وضرط وبرطع فضحك التاجر حتى استلقى على قفاه فقالت له زوجته من أي شئ تضحك
فقال لها شئ رأيته وسمعته ولا أقدر أن أبوح به فأموت فقالت له لا بد أن تخبرني بذلك وما سبب
ضحكك ولو كنت تموت فقال لها ما أقدر أن أبوح به خوفا من الموت فقالت له أنت لم تضحك الا علي
ثم انها لم تزل تلح عليه وتلج في الكلام الى أن غلبت عليه وتحير فأحضر أولاده وأرسل أحضر
القاضي والشهود وأراد أن يوصي ثم يبوح لها بالسر ويموت لانه كان يحبها محبة عظيمة لانها
بنت عمه وأم أولاده وكان قد عمر من العمر مائة وعشرين سنة ثم انه أرسل أحضر جميع أهلها
وأهل حارته وقال لهم حكايته وانه متى قال لاحد على سره مات فقال لها جميع الناس ممن
حضرها بالله عليك اتركي هذا الامر لئلا يموت زوجك أبو أولادك فقالت لهم لا أرجع
عنه حتى يقول لي ولو يموت فسكتوا عنها ثم ان التاجر قام من عندهم وتوجه الى دار الدواب
ليتوضأ ثم يرجع يقول لهم ويموت وكان عنده ديك تحته خمسون دجاجة وكان عنده كلب فسمع
التاجر الكلب وهو ينادي الديك ويسبه ويقول له أنت فرحان وصاحبنا رايح يموت فقال
الديك للكلب وكيف ذلك الامر فأعاد الكلب عليه القصة فقال له الديك والله ان صاحبنا
قليل العقل أنا لي خمسون زوجة أرضي هذه وأغضب هذه وهو ماله الا زوجة واحدة ولا يعرف
صلاح أمره معها فما له لا يأخذ لها بعضا من عيدان التوت ثم يدخل الى حجرتها ويضربها
حتى تموت أو تتوب ولا تعود تسأله عن شئ قال فلما سمع التاجر كلام الديك وهو يخاطب الكلب
رجع الى عقله وعزم على ضربها ثم قال الوزير لابنته شهرزاد ربما فعل بك مثل ما فعل التاجر
بزوجته فقالت له وما فعل قال دخل عليها الحجرة بعد ما قطع لها عيدان التوت وخبأها داخل
الحجرة وقال لها تعالي داخل الحجرة حتى أقول لك ولا ينظر في أحد ثم أموت فدخلت معه ثم
انه أقفل باب الحجرة عليهما ونزل عليها بالضرب الى أن أغمي عليها فقالت له تبت ثم انها قبلت
يديه ورجليه وتابت وخرجت هي واياه وفرح الجماعة وأهلها وقعدوا في أسر الاحوال
الى الممات فلما سمعت ابنة الوزير مقالة أبيها قالت له لا بد من ذلك فجهزها وطلع الى الملك
شهريار وكانت قد أوصت أختها الصغيرة وقالت لها اذا توجهت الى الملك أرسلت أطلبك فاذا
جئت عندي ورأيت الملك قضى حاجته مني فقولي يا أختي حدثيني حديثا غريبا تقطع به السهر
وأنا أحدثك حديثا يكون فيه الخلاص ان شاء الله ثم ان أباها الوزير طلع بها الى الملك فلما رآه
فرح وقال أتيت بحاجتي فقال نعم فلما أراد أن يدخل عليها بكت فقال لها ما لك فقالت أيها
الملك ان لي أختا صغيرة أريد أن أودعها فأرسل الملك اليها فجاءت الى أختها وعانقتها وجلست
تحت السرير فقام الملك وأخذ بكارتها ثم جلسوا يتحدثون فقالت لها أختها الصغيرة بالله عليك
يا أختي حدثينا حديثا نقطع به سهر ليلتنا فقالت حبا وكرامة ان أذن لي هذا الملك المهذب فلما

سمع ذلك الكلام وكان به قلق فرح بسماع الحديث

﴿حكاية التاجر مع العفريت﴾

فلما كانت الليلة الاولى قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان تاجر من التجار كثير المال والمعاملات في البلاد قد ركب يوما وخرج يطالب في بعض البلاد فاشتد عليه الحر فجلس تحت شجرة وحط يده في خرجه وأكل كسرة كانت معه وتمرة فلما فرغ من أكل التمرة رمى النواة واذا هو بعفريت طويل القامة وبيده سيف فدنا من ذلك التاجر وقال له قم حتى أقتلك مثل ما قتلت ولدي فقال له التاجر كيف قتلت ولدك قال له لما أكلت التمرة ورميت نواتها جاءت النواة في صدر ولدي فقضى عليه ومات من ساعته فقال التاجر للعفريت اعلم أيها العفريت اني علي دين ولي مال كثير وأولاد وزوجة وعندي رهون فدعني أذهب الى بيتي وأعطي كل ذي حق حقه ثم أعود اليك ولك علي عهد وميثاق أني أعود اليك فافعل بي ما تريد والله على ما أقول وكيل فاستوثق منه الجني وأطلقه فرجع الى بلده وقضى جميع تعلقاته وأوصل الحقوق الى أهلها وأعلم زوجته وأولاده بما جرى له فبكوا وكذلك جميع أهله ونساؤه وأولاده وأوصى وعهد عندهم الى تمام السنة ثم توجه وأخذ كفنه تحت ابطه وودع أهله وجيرانه وجميع أهله وخرج رغما عن أنفه فأقاموا عليه العياط والصراخ فمشى الى أن وصل الى ذلك البستان وكان ذلك اليوم أول السنة الجديدة فبينما هو جالس يبكي على ما يحصل له واذا بشيخ كبير قد أقبل عليه ومعه غزالة مسلسلة فسلم على ذلك التاجر وحياه وقال له ما سبب جلوسك في هذا المكان وأنت منفرد وهو مأوى الجن فأخبره التاجر بما جرى له مع ذلك العفريت وبسبب قعوده في هذا المكان فتعجب الشيخ صاحب الغزالة وقال والله يا أخي ما دينك الا دين عظيم وحكايتك حكاية عجيبة لو كتبت بالابر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر ثم انه انه جلس بجانبه وقال والله يا أخي لا أبرح من عندك حتى أنظر ما يجرى لك مع ذلك العفريت ثم انه جلس عنده يتحدث معه فغشي على ذلك التاجر وحصل له الخوف والفزع والغم الشديد والفكر المزيد وصاحب الغزالة بجانبه واذا بشيخ ثان قد أقبل عليهما ومعه كلبتان سلاقيتان من الكلاب السود فسألهما بعد السلام عليهما عن سبب جلوسهما في هذا المكان وهو مأوى الجان فأخبراه بالقصة من أولها الى آخرها فلم يستقر به الجلوس حتى أقبل عليهم شيخ ثالث ومعه بغلة زرزورية فسلم عليهم وسألهم عن سبب جلوسهم في هذا المكان فأخبروه بالقصة من أولها الى آخرها وليس في الاعادة افادة واذا بغبرة هاجت وزوبعة عظيمة قد أقبلت من وسط تلك البرية فانكشفت الغبرة واذا بذلك الجني وبيده سيف مسلول وعيونه ترمي بالشرر فأتاهم وجذب ذلك التاجر من بينهم وقال له قم حتى أقتلك مثل ما قتلت ولدي وحشاشة كبدي فانتحب ذلك التاجر وبكى وأعلن الثلاثة شيوخ بالبكاء والعويل والنحيب فانتبه منهم الشيخ الاول وهو صاحب الغزالة وقبل يد ذلك العفريت وقال له أيها الجني وتاج ملوك الجان اذا حكيت لك حكايتي مع هذه الغزالة ورأيتها عجيبة أتهب لي ثلث دم هذا التاجر قال نعم أيها الشيخ اذا أنت حكيت لي الحكاية ورأيتها عجيبة وهبت لك ثلث دمه فقال ذلك الشيخ الاول اعلم أيها العفريت أن هذه الغزالة هي بنت عمي ومن لحمي ودمي وكنت تزوجت بها وهي صغيرة

السن وأقمت معها نحو ثلاثين سنة فلم أرزق منها بولد فأخذت لى سرية فرزقت منها بولد ذكر كأنه البدر اذا بدا بعينين مليحتين وحاجبين مزججين وأعضاء كاملة فكبر شيأ فشيأ الى أن صار ابن خمس عشرة سنة فطرأت لى سفرة الى بعض المدائن فسافرت بمتجر عظيم وكانت بنت عمى هذه الغزالة تعلمت السحر والكهانة من صغرها فسحرت ذلك الولد عجلا وسحرت الجارية أمه بقرة وسلمتهما الى الراعى ثم جئت أنا بعد مدة طويلة من السفر فسألت عن ولدى وعن أمه فقالت لى جاريتك ماتت وابنك هرب ولم أعلم أين راح فجلست مدة سنة وأنا حزين القلب باكى العين الى أن جاء عيد الضحية فأرسلت الى الراعى أن يخصنى ببقرة سمينة فجاءنى ببقرة سمينة وهى سريتى التى سحرتها تلك الغزالة فشمرت ثيابى وأخذت السكين بيدى وتهيأت لذبحها فصاحت وبكت بكاء شديدا فقمت عنها وأمرت ذلك الراعى فذبحها وسلخها فلم يجد فيها شحما ولا لحما غير جلد وعظم فندمت على ذبحها حيث لا ينفعنى الندم وأعطيتها للراعى وقلت له ائتنى بعجل سمين فأتانى بولدى المسحور عجلا فلما رآنى فى ذلك العجل قطع حبله وجاءنى وتمرغ على ورويل وبكى فأخذتنى الرأفة عليه وقلت للراعى ائتنى ببقرة ودع هذا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح * فقالت لها أختها ما أطيب حديثك وألطفه وألذه وأعذبه فقالت لها وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة ان عشت وأبقانى الملك فقال الملك فى نفسه والله ما أقتلها حتى أسمع بقية حديثها ثم انهم باتوا تلك الليلة الى الصباح متعانقين فخرج الملك الى محل حكمه وطلع الوزير بالكفن تحت ابطه ثم حكم الملك وولى وعزل الى آخر النهار ولم يخبر الوزير بشئ من ذلك فتعجب الوزير غاية العجب ثم انفض الديوان ودخل الملك شهريار قصره فلما كانت الليلة الثانية قالت دنيازاد لأختها شهرزاد يا أختى أتممى لنا حديثك الذى هو حديث التاجر والجنى قالت حبا وكرامة ان أذن لى الملك فى ذلك فقال لها الملك احكى فقالت بلغنى أيها الملك السعيد ذو الرأى الرشيد أنه لما رأى بكاء العجل حن قلبه اليه وقال للراعى أبق هذا العجل بين البهائم كل ذلك والجنى يتعجب من حكاية ذلك الكلام العجيب ثم قال صاحب الغزالة ياسيد ملوك الجان كل ذلك جرى وابنة عمى هذه الغزالة تنظر وترى وتقول اذبح هذا العجل فانه سمين فلم يهن على أن أذبحه وأمرت الراعى أن يأخذه فأخذه وتوجه به فى ثانى يوم أنا جالس واذا بالراعى أقبل على وقال ياسيدى انى أقول شيأ تسر به ولى البشارة فقلت نعم فقال أيها التاجر ان لى بنتا كانت تعلمت السحر فى صغرها من امرأة عجوز كانت عندنا فلما كان بالامس وأعطيتنى العجل دخلت به عليها فنظرت اليه بنتى وغطت وجهها وبكت ثم انها ضحكت وقالت يا أبى قد حس قدرى عندك حتى تدخل على الرجال الأجانب فقلت لها وأين الرجال الأجانب ولماذا بكيت وضحكت فقالت لى ان هذا العجل الذى معك ابن سيدى التاجر ولكنه مسحور سحرته زوجة أبيه هو وأمه فهذا سبب ضحكى وأما سبب بكائى من أجل أمه حيث ذبحها أبوه فتعجبت من ذلك غاية العجب وما صدقت بطلوع الصباح حتى جئت اليك لأعلمك فلما سمعت أيها الجنى كلام هذا الراعى خرجت معه وأنا سكران من غير مدام من كثرة الفرح والسرور الذى حصل لى الى أن أتيت الى داره فرحبت بى ابنة الراعى وقبلت يدى ثم ان العجل جاء الى وتمرغ على فقلت لابنة الراعى أحق ما تقولينه عن ذلك العجل

فقالت

فقالت نعم ياسيدى انه ابنك وحشاشة كبدك فقلت لها أيتها الصبية ان أنت خلصتيه فلك عندى ماتحت يدأ سلك من المواشى والاموال فتبسمت وقالت ياسيدى ليس لى رغبة فى المال الا بشرطين * الاول أن تزوجنى به * والثانى أن أسحر من سحرته وأحبسها والا فلست آمن مكرها فلما سمعت أيها الجنى كلام بنت الراعى قلت ولك فوق جميع ماتحت يدأ سلك من الاموال زيادة وأما بنت عمى فقد مهالك مباح فلما سمعت كلامى أخذت طاسة وملأتها ماء ثم انها عزمت عليها ورشت بها الجمل وقالت له ان كان الله خلقك عجلا فدم على هذه الصفة ولا تتغير وان كنت مسحورا فعد الى خلقتك الاولى باذن الله تعالى واذا به انتفض ثم صار انسانا فوقعت عليه وقلت له بالله عليك احك لى جميع ماصنعت بك وبأمك بنت عمى فحكى لى جميع ماجرى لهما فقلت ياولدى قد قيض الله لك من خلصك وخلص حقك ثم انى أيها الجنى زوجته ابنة الراعى ثم انها سحرت ابنة عمى هذه الغزالة وجئت الى هنا فرأيت هؤلاء الجماعة فسألتهم عن حالهم فأخبروني بما جرى لهذا التاجر فجلست لأنظر مايكون وهذا حديثى فقال الجنى هذا حديث عجيب وقد وهبت لك ثلث دمه فعند ذلك تقدم الشيخ الثانى صاحب الكلبتين السلاقيتين وقال له اعلم ياسيد ملوك الجان أن هاتين الكلبتين اخوتى وأنا ثالثهم ومات والدى وخلف لنا ثلاثة آلاف دينار ففتحت أنا دكانا أبيع فيه وأشترى وسافر أخى بتجارته وغاب عنا مدة سنة مع القوافل ثم أتى ومامعه شئ فقلت له ياأخى اما أشرت عليك بعدم السفر فبكى وقال ياأخى قدر الله عز وجل على بهذا ولم يبق لهذا الكلام فائدة ولست أملك شيأ فأخذته وطلعت به الى الدكان ثم ذهبت به الى الحمام وألبسته حلة من الملابس الفاخرة وأكلت أنا واياه وقلت له ياأخى انى أحسب ربح دكانى من السنة الى السنة ثم أقسمه دون رأس المال بينى وبينك ثم انى عملت حساب الدكان من ربح مالى فوجدته ألفى دينار فحمدت الله عز وجل وفرحت غاية الفرح وقسمت الربح بينى وبينه شطرين وأقمنا مع بعضنا أياما ثم أن اخوتى طلبوا السفر أيضا وأرادوا أن أسافر معهم فلم أرض وقلت لهم أى شئ كسبتم فى سفركم حتى أكسب أنا فألحوا على ولم أطعهم بل أقمنا فى دكاكيننا نبيع ونشترى سنة كاملة وهم يعرضون على السفر وأنا لم أرض حتى مضت ست سنوات كوامل ثم وافقتهم على السفر وقلت لهم ياأخوتى اننا نحسب ماعندنا من المال فحسبناه فاذا هو ستة آلاف دينار فقلت ندفن نصفها تحت الارض لينفعنا اذا أصابنا أمر ويأخذ كل واحد منا ألف دينار ونتسبب فيها قالوا نعم الرأى فأخذت المال وقسمته نصفين ودفنت ثلاثة آلاف دينار وأما الثلاثة آلاف دينار الاخرى فأعطيت كل واحد منهم ألف دينار وجهزنا بضائع واكترينا مركبا ونقلنا فيها حوائجنا وسافرنا مدة شهر كامل الى أن دخلنا مدينة وبعنا بضائعنا فربحنا فى الدينار عشرة دنانير ثم أردنا السفر فوجدنا على شاطئ البحر جارية عليها أخلق مقطع فقبلت يدى وقالت ياسيدى هل عندك احسان ومعروف أجازيك عليه ما قلت نعم ان عندى الاحسان والمعروف ولو لم تجازينى فقالت ياسيدى تزوجنى وخذنى بلادك فانى قد وهبتك نفسى فافعل معى معروفا الا فى ممن يصنع معه المعروف والاحسان ويجازى عليهما ولا يغرنك حالى فلما سمعت كلامها حن قلبى اليها الأمر بيده الله عز وجل فأخذتها وكسوتها وفرشت

لها فى المركب فرشا حسنا وأقبلت عليها وأكرمتها ثم سافرنا وقد أحبها قلبى محبة عظيمة
وصرت لا أفارقها ليلا ولا نهارا واشتغلت بها عن اخوتى فغاروا منى وحسدونى على مالى وكثرة
بضاعتى وطمحت عيونهم فى المال جميعه وتحدثوا بقتلى وأخذ مالى وقالوا نقتل أخانا ونصير
المال جميعه لنا وزين لهم الشيطان أعمالهم فجاؤنى وأنا نائم بجانب زوجتى وحملونى أنا وزوجتى
ورمونا فى البحر فلما استيقظت زوجتى انتفضت فصارت عفريتة وحملتنى وطلعتنى على جزيرة
وغابت عنى قليلا وعادت الىّ عند الصباح وقالت لى أنا زوجتك التى حملتك ونجيتك من القتل
باذن الله تعالى واعلم أننى جنية رأيتك فحبك قلبى لله وأنا مؤمنة بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم
فحبتك بالحال الذى رأيتنى فيه فتزوجت بى وها أنا قد نجيتك من الغرق وقد غضبت على
اخوتك ولا بد أن أقتلهم فلما سمعت حكايتها تعجبت وشكرتها على فعلها وقلت لها أما هلاك
اخوتى فلا ينبغى ثم حكيت لها ما جرى لى معهم من أول الزمان الى آخره فلما سمعت كلامى
قالت أنا فى هذه الليلة أطير اليهم وأغرق مركبهم وأهلكهم فقلت لها بالله عليك لا تفعلى فان
صاحب المثل يقول يا محسنا لمن أساء كفى المسىء فعله وهم اخوتى على كل حال قالت لا بد من
قتلهم فاستعطفتها ثم انها حملتنى وطارت فوضعتنى على سطح دارى ففتحت الابواب وأخرجت
الذى خبأته تحت الارض وفتحت دكانى بعد ما سلمت على الناس واشتريت بضائع فلما كان
الليل دخلت دارى فوجدت هاتين الكلبتين مربوطتين فيها فلما رأيانى قاما الىّ وبكا
وتعلقا بى فلم أشعر الا وزوجتى قالت هؤلاء اخوتك فقلت ومن فعل بهم هذا الفعل قالت أنا
أرسلت الى أختى ففعلت بهم ذلك وما يتخلصون الا بعد عشر سنوات فلما رأيت هذا الفتى فأخبرونى بما جرى له
تخلصهم بعد اقامتهم عشر سنوات فى هذا الحال فرأيت هذا الفتى (قال الجنى) انها حكاية عجيبة وقد
فأردت أن لا أبرح حتى أنظر ما يجرى بينك وبينه وهذه قصتى (قال الجنى) انها حكاية عجيبة وقد
وهبت لك ثلث دمه فى جنايته فعند ذلك تقدم الشيخ الثالث صاحب البغلة وقال للجنى أنا
أحكى لك حكاية أعجب من حكاية الاثنين وتهب لى باقى دمه وجنايته فقال الجنى نعم فقال الشيخ
أيها السلطان ورئيس الجان ان هذه البغلة كانت زوجتى سافرت وغبت عنها سنة كاملة
ثم قضيت سفرى وجئت اليها فى الليل فرأيت عبدا أسود راقدا معها فى الفراش وهما
فى كلام وغنج وضحك وتقبيل وهراش فلما رأتنى عجلت وقامت الىّ بكوز فيه ماء فتكلمت
عليه ورشتنى وقالت اخرج من هذه الصورة الى صورة كلب فصرت فى الحال كلبا فطردتنى
من البيت فخرجت من الباب ولم أزل سائرا حتى وصلت الى دكان جزار فتقدمت وصرت آكل
من العظام فلما رآنى صاحب الدكان أخذنى ودخل بى بيته فلما رأتنى بنت الجزار غطت
وجهها منى وقالت أتجىء لنا برجل وتدخل علينا به فقال أبوها أين الرجل قالت ان هذا
الكلب رجل سحرته امرأته وأنا أقدر على تخليصه فلما سمع أبوها كلامها قال بالله عليك يا بنتى
خلصيه فأخذت كوزا فيه ماء وتكلمت عليه ورشت على منه قليلا وقالت اخرج من هذه
الصورة الى صورتك الاولى فصرت الى صورتى الاولى فقبلت يدها وقلت لها أريد أن تسحر
زوجتى كما سحرتنى فأعطتنى قليلا من الماء وقالت اذا رأيتها نائمة فرش هذا الماء عليها فانها
تصير كما أنت طالب فوجدتها نائمة فرششت عليها الماء وقلت اخرجى من هذه الصورة

صورة

سورة بغلة فصارت فى الحال بغلة وهى هذه التى تنظرها بعينك أيها السلطان ورئيس ملوك الجان ثم التفت اليها وقال أصحيح هذا فهزت رأسها وقالت بالاشارة نعم هذا صحيح فلما فرغ من حديثه اهتز الجنى من الطرب ووهب له ثلث دمه * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها أختها يا أختى ما أحلى حديثك وأطيبه وألذه وأعذبه فقالت وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة ان عشت وأبقانى الملك فقال الملك والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها لانه عجيب ثم باتوا تلك الليلة متعانقين الى الصباح فخرج الملك الى محل حكمه ودخل عنيسه الوزير والعسكر واحتبك الديوان فحكم الملك وولى وعزل ونهى وأمر الى آخر النهار ثم انفض الديوان ودخل الملك شهريار الى قصره

فلما كانت الليلة الثالثة قالت لها أختها دنيازاد يا أختى أتممى لنا حديثك فقالت حبا وكرامة بلغنى أيها الملك السعيد أن الشيخ الثالث لما قال للجنى حكايتك أعجب من الحكايتين تعجب الجنى غاية العجب واهتز من الطرب وقال قد وهبت لك باقى جنايته وأطلقته لكم فأقبل التاجر على الشيوخ وشكرهم وهنؤه بالسلامة ورجع كل واحد الى بلده وما هذه بأعجب من حكاية الصياد فقال لها الملك وما حكاية الصياد

﴿حكاية الصياد مع العفريت﴾

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أنه كان رجل صياد وكان طاعنا فى السن وله زوجة وثلاثة أولاد وهو فقير الحال وكان من عادته أنه يرمى شبكته كل يوم أربع مرات لا غير ثم انه خرج يوما من الأيام فى وقت الظهر الى شاطئ البحر وحط مقطفه وطرح شبكته وصبر الى أن استقرت فى الماء ثم جمع خيطانها فوجدها ثقيلة فجذبها فلم يقدر على ذلك فذهب بالطرف الى البر ودق وتداور بطها فيه ثم تعرى وغطس فى الماء حول الشبكة ومازال يعالج حتى أطلعها ففرح ولبس ثيابه وأتى الى الشبكة فوجد فيها حمارا ميتا فلما رأى ذلك حزن وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قال ان هذا الرزق عجيب وأنشد يقول

يا خائضا فى ظلام الليل والهلكه * اقصر عنالك فليس الرزق بالحركه

ثم ان الصياد لما رأى الحمار الميت خلصه من الشبكة وعصرها فلما فرغ من عصرها نشرها وبعد ذلك نزل البحر وقال بسم الله وطرحها فيه وصبر عليها حتى استقرت ثم جذبها فثقلت ورسخت أكثر من الاول فظن أنه سمك فربط الشبكة وتعرى ونزل وغطس ثم عالج الى أن خلصها وأطلعها على البر فوجد فيها زيرا كبيرا وهو ملآن برمل وطين فلما رأى ذلك تأسف وأنشد قول الشاعر

يا حرقة الدهر كفى * ان لم تكفى فعفى
فلا بحظى أعطى * ولا بصنعة كفى
خرجت أطلب رزقى * وجدت رزقى توفى
كم جاهل فى ظهور * وعالم متخفى

ثم انه رمى الزير وعصر شبكته ونظفها واستغفر الله وعاد الى البحر ثالث مرة ورمى الشبكة وصبر عليها حتى استقرت وجذبها فوجد فيها شقافة وقوارير فأنشد قول الشاعر

هو الرزق لا حيل لديك ولا ربط * ولا قلم يجدى عليك ولا خط

ثم انه رفع رأسه الى السماء وقال اللهم انك تعلم أنى لم أرم شبكتى غير أربع مرات وقد رميت

ثلاثا ثم انه سمى الله ورمى الشبكة فى البحر وصبر الى أن استقرت وجذبها فلم يطق جذبها واذا بها اشتبكت فى الارض فقال لا حول ولا قوة الا بالله فتعرى وغطس عليها وصار يعالج فيها الى أن طلعت على البر وفتحها فوجد فيها قمقما من نحاس أصفر ملآن وفمه مختوم برصاص عليه طبع خاتم سيدنا سليمان فلما رآه الصياد فرح وقال هذا أبيعه فى سوق النحاس فانه يساوى عشرة دنانير ذهبا ثم انه حركه فوجده ثقيلا فقال لابد أنى أفتحه وأنظر ما فيه وأدخره فى الخرج ثم أبيعه فى سوق النحاس ثم انه أخرج سكينا وعالج فى الرصاص الى أن فكه من القمقم وحطه على الارض وهزه لينكب ما فيه فلم ينزل منه شئ ولكن خرج من ذلك القمقم دخان صعد الى عنان السماء ومشى على وجه الارض فتعجب غاية العجب وبعد ذلك تكامل الدخان واجتمع ثم انتفض فصار عفريتا رأسه فى السحاب ورجلاه فى التراب برأس كالقبة وأيد كالمدارى ورجلين كالصوارى وفم كالمغارة وأسنان كالحجارة ومناخير كالابريق وعينين كالسراجين أشعث أغبر فلما رأى الصياد ذلك العفريت ارتعدت فرائصه وتشبكت أسنانه ونشف ريقه وعمى عن طريقه فلما رآه العفريت قال لا اله الا الله سليمان نبى الله ثم قال العفريت يا نبى الله لا تقتلنى فانى لا عدت أخالف لك قولا ولا أعصى لك أمرا فقال له الصياد أيها المارد أتقول سليمان نبى الله وسليمان مات من مدة ألف وثمانمائة سنة ونحن فى آخر الزمان لما قصتك وما حديثك وما سبب دخولك فى هذا القمقم فلما سمع المارد كلام الصياد قال لا اله الا الله أبشر يا صياد فقال الصياد بما ذا تبشرنى فقال بقتلك فى هذه الساعة أشر القتلات قال الصياد تستحق على هذه البشارة يا قيم العفاريت زوال الستر عنك يا بعيد لأى شئ تقتلنى وأى شئ يوجب قتلى وقد خلصتك من القمقم ونجيتك من قرار البحر وطلعتك الى البر فقال العفريت تمن على أى موتة تموتها وأى قتلة تقتلها فقال الصياد ما ذنبى حتى يكون هذا جزائى منك قال العفريت اسمع حكايتى يا صياد قال الصياد قل وأوجز فى الكلام فان روحى وصلت الى قدمى قال اعلم أنى من الجن المارقين وقد عصيت سليمان بن داود أنا وصخر الجنى فأرسل لى وزيره آصف بن برخيا فأتى بى مكرها وقادنى اليه وأنا ذليل على رغم أنفى وأوقفنى بين يديه فلما رآنى سليمان استعاذ منى وعرض على الايمان والدخول تحت طاعته فأبيت فطلب هذا القمقم وحبسنى فيه وختم على بالرصاص وطبعه بالاسم الاعظم وأمر الجن فاحتملونى وألقونى فى وسط البحر فأقمت مائة عام وقلت فى قلبى كل من خلصنى أغنيته الى الأبد فمرت المائة عام ولم يخلصنى أحد ودخلت على مائة أخرى فقلت كل من خلصنى فتحت له كنوز الارض فلم يخلصنى أحد فمر على أربعمائة عام أخرى فقلت كل من خلصنى أقضى له ثلاث حاجات فلم يخلصنى أحد فغضبت غضبا شديدا وقلت فى نفسى كل من خلصنى فى هذه الساعة قتلته ومنيته كيف يموت وها أنت قد خلصتنى ومنيتك كيف تموت فلما سمع الصياد كلام العفريت قال يا لله العجب أنا ما حثت أخلصك الا فى هذه الايام ثم قال الصياد للعفريت اعف عن قتلى يعف الله عنك ولا تهلكنى يسلط الله عليك من يهلكك فقال المارد لابد من قتلك فتمن على أى موتة تموتها فلما تحقق ذلك منه الصياد راجع العفريت وقال يا عفى اكرامالما اعتقتك فقال العفريت وأنا ما أقتلك الا لأجل ما خلصتنى فقال له الصياد

ياشيخ العفاريت هل أصنع معك ملحا فتقابلني بالقبيح ولكن لم يكذب المثل حيث قال

فعلنا جميلا قابلونا بضده * وهذا لعمري من فعال الفواجر

ومن يفعل المعروف مع غير أهله * يجازى كما جوزى مجير ام عامر

فلما سمع العفريت كلامه قال له لا تطمع فلابد من موتك فقال الصياد هذا جنى وأنا انسى وقد أعطاني الله عقلا كاملا وها أنا أدبر أمرا في هلاكه بحيلتي وعقلي وهو يدبر بمكره وخبثه ثم قال للعفريت هل صممت على قتلي قال نعم فقال له بالاسم الاعظم المنقوش على خاتم سليمان أسألك عن شئ وتصدقني فيه قال نعم ثم ان العفريت لما سمع ذكر الاسم الاعظم اضطرب واهتز وقال له اسأل وأوجز فقال له كيف كنت في هذا القمقم والقمقم لا يسع يدك ولا رجلك فكيف يسعك كلك فقال له العفريت وهل أنت لا تصدق انني كنت فيه فقال الصياد لا أصدقك أبدا حتى أنظرك فيه بعيني وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصياد لما قال للعفريت لا أصدقك أبدا حتى أنظرك بعيني في القمقم انتفض العفريت وصار دخانا صاعدا الى الجو ثم اجتمع ودخل في القمقم قليلا قليلا حتى استكمل الدخان داخل القمقم واذا بالصياد أسرع وأخذ السدادة الرصاص المختومة وسد بها فم القمقم ونادى العفريت وقال له تمن علي أي موتة تموتها الا رميتك في هذا البحر وأبني لي هنا بيتا وكل من أتى هنا أمنعه أن يصطاد وأقول له هنا عفريت وكل من أطلعه يبين له أنواع الموت ويخيره بينها فلما سمع العفريت كلام الصياد أراد الخروج فلم يقدر ورأى نفسه محبوسا ورأى عليه طبع خاتم سليمان وعلم أن الصياد سجنه في سجن أحقر العفاريت وأقذرها وأصغرها ثم ان الصياد ذهب بالقمقم الى جهة البحر فقال له العفريت لا لا فقال الصياد لا بد لا بد فلطف المارد كلامه وخضع وقال ماتريد أن تصنع بي ياصياد قال ألقيك في البحر ان كنت أقمت فيه ألفا وثمانمائة عام فأنا أجعلك تمكث فيه الى أن تقوم الساعة أما قلت لك أبقني يبقك الله ولا تقتلني يقتلك الله فأبيت قولي وما أردت الا غدري فألقاك الله في يدي فغدرت بك فقال العفريت افتح لي حتى أحسن اليك فقال له الصياد تكذب يا ملعون أنا مثلي ومثلك مثل وزير الملك يونان والحكيم رويان فقال العفريت وما شأن وزير الملك يونان والحكيم رويان وما قصتهما

﴿حكاية وزير الملك يونان والحكيم رويان وهي من ضمن ما قبلها﴾

قال الصياد اعلم أيها العفريت أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان في مدينة الفرس وأرض رومان ملك يقال له الملك يونان وكان ذا مال وجنود وبأس وأعوان من سائر الاجناس وكان في جسده برص قد عجزت فيه الاطباء والحكماء ولم ينفعه منهم شرب أدوية ولا سفوف ولا دهان ولم يقدر أحد من الاطباء أن يداويه وكان قد دخل مدينة الملك يونان حكيم كبير طاعن في السن يقال له الحكيم رويان وكان عارفا بالكتب اليونانية والفارسية والرومية والعربية والسريانية وعلم الطب والنجوم وعالما بأصول حكمتها وقواعد أمورها من منفعتها ومضرتها وعالما بخواص النباتات والحشائش والاعشاب المضرة والنافعة قد عرف علم الفلاسفة وحاز جميع العلوم الطبية وغيرها ثم ان الحكيم لما دخل المدينة وأقام بها أياما

قلائل سمع خبر الملك وما جرى له فى بدنه من البرص الذى ابتلاه الله به وقد عجزت عن مداواته الاطباء وأهل العلوم فلما بلغ ذلك الحكيم بات مشغولا فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وسلمت الشمس على زين الملاح لبس أفخر ثيابه ودخل على الملك يونان وقبل الارض ودعا له بدوام العز والنعم وأحسن مابه تكلم وأعلمه بنفسه فقال أيها الملك بلغنى ما اعترى من هذا الذى فى جسدك وأن كثيرا من الاطباء لم يعرفوا الحيلة فى زواله وها أنا أداويك أيها الملك ولا أسقيك دواء ولا أدهنك بدهن فلما سمع الملك يونان كلامه تعجب وقال له كيف تفعل فوالله ان أبرأتنى أغنيتك لولد الولد وأنعم عليك وكل ما تتمناه فهو لك وتكون نديمى وحبيبى ثم انه خلع عليه وأحسن اليه وقال له أتبرئنى من هذا المرض بلا دواء ولا دهان قال نعم أبرئك بلا مشقة فى جسدك فتعجب الملك غاية العجب ثم قال له أيها الحكيم الذى ذكرته لى يكون فى أى الاوقات وفى أى الايام فأسرع به ياولدى قال له سمعا وطاعة ثم نزل من عند الملك واكترى له بيتا وحط فيه كتبه وأدويته وعقاقيره ثم استخرج الادوية والعقاقير وجعل منها صولجانا وجوّفه وعمل له قصبة وصنع له كرة بمعرفته فلما صنع الجميع وفرغ منها طلع الى الملك فى اليوم الثانى ودخل عليه وقبل الارض بين يديه وأمره أن يركب الى الميدان وأن يلعب بالكرة والصولجان وكان معه الامراء والحجاب والوزراء وأرباب الدولة فلما استقر به الجلوس فى الميدان حتى دخل عليه الحكيم رويان وناوله الصولجان وقال له خذ هذا الصولجان واقبض عليه مثل هذه القبضة وامش فى الميدان واضرب به الكرة بقوتك حتى يعرق كفك وجسدك فينفذ الدواء من كفك فيسرى فى سائر جسدك فاذا فرغت وأثر الدواء فيك فارجع الى قصرك وادخل بعد ذلك الحمام واغتسل ونم فقد برئت والسلام فعند ذلك أخذ الملك يونان ذلك الصولجان من الحكيم وأمسكه بيده وركب الجواد ورميت الكرة بين يديه وساق خلفها حتى لحقها وضربها بقوة وهو قابض بكفه على قصبة الصولجان ومازال يضرب به الكرة حتى عرق كفه وسائر بدنه وسرى له الدواء من القبضة وعرف الحكيم رويان أن الدواء سرى فى جسده فأمره بالرجوع الى قصره وأن يدخل الحمام من ساعته فرجع الملك يونان من وقته وأمر أن يخلوا له الحمام فأخلوه له وتسارعت الفراشون وتسابقت المماليك وأعدوا للملك فراشه ودخل الحمام واغتسل غسلا جيدا ولبس ثيابه داخل الحمام ثم خرج منه وركب الى قصره ونام فيه هذا ما كان من أمر الملك يونان وأما ما كان من أمر الحكيم رويان فانه رجع الى داره وبات فلما أصبح الصباح طلع الى الملك واستأذن عليه فأذن له فى الدخول فدخل وقبل الارض بين يديه وأشار الى الملك بهذه الابيات

زهت الفصاحة اذ دعيت لها أبا * واذا دعت يوما سواك لها أبى
ياصاحب الوجه الذى أنواره * تمحو من الخطب الكريه غياهبا
مازال وجهك مشرقا متهللا * كيلا نرى وجه الزمان مقطبا
أوليتنى من فضلك المنن التى * فعلت بنا فعل السحاب مع الربا
وصرفت جل المال فى طلب العلى * حتى بلغت من الزمان مآربا

فلما فرغ من شعره نهض الملك قائما على قدميه وعانقه وأجلسه بجنبه وخلع عليه الخلع السنية

ولما

ولما خرج الملك من الحمام نظر الى جسده فلم يجد فيه شيأ من البرص وصار جسده نقيا مثل
الفضة البيضاء ففرح بذلك غاية الفرح واتسع صدره وانشرح فلما أصبح الصباح دخل الديوان
وجلس على سرير ملكه ودخلت عليه الحجاب وأكابر الدولة ودخل عليه الحكيم رويان فلما
رآه قام اليه مسرعا وأجلسه بجانبه واذا بموائد الطعام قد مدت فأكل صحبته ومازال عنده
يناديه طول نهاره فلما أقبل الليل أعطى الحكيم ألفي دينار غير الخلع والهدايا وأركبه
جواده وانصرف الى داره والملك يونان يتعجب من صنعه ويقول هذا داوانى من ظاهر جسدى
ولم يداوني بدهان فوالله ماهذه الا حكمة بالغة فيجب على لهذا الرجل الانعام والاكرام وأن
أتخذه خليلا وأنيسا مدى الزمان وبات الملك يونان مسرورا فرحا بصحة جسمه وخلاصه من
مرضه فلما أصبح خرج الملك وجلس على كرسيه ووقفت أرباب دولته بين يديه وجلست
الامراء والوزراء على يمينه ويساره ثم طلب الحكيم رويان فدخل عليه وقبل الارض بين
يديه فقام له الملك وأجلسه بجانبه وأكل معه وحياه وخلع عليه وأعطاه ولم يزل يتحدث معه
الى أن أقبل الليل فرسم له بخمس خلع وألف دينار ثم انصرف الحكيم الى داره وهو شاكر
للملك فلما أصبح الصباح خرج الملك الى الديوان وقد أحدقت به الامراء والوزراء والحجاب وكان
له وزير من وزرائه بشع المنظر نحس الطالع لئيم بخيل حسود مجبول على الحسد والمقت فلما
رأى ذلك الوزير أن الملك قرب الحكيم رويان وأعطاه هذا الانعام حسده عليه وأضمر له
الشر كما قيل فى المعنى ماخلا جسد من حسد وقيل فى المعنى الظلم كمين فى النفس القوة تظهره
والعجز يخفيه ثم ان الوزير تقدم الى الملك يونان وقبل الارض بين يديه وقال له يا ملك العصر
والاوان أنت الذى شمل الناس احسانك ولك عندى نصيحة عظيمة فان أخفيتها عنك أكون
ولد زنا فان أمرتنى أن أبديها أبديتها لك فقال الملك وقد أزعجه كلام الوزير وما نصيحتك فقال أيها
الملك الجليل قد قالت القدماء من لم ينظر فى العواقب فما الدهر له بصاحب وقد رأيت الملك
على غير صواب حيث أنعم على عدوه وعلى من يطلب زوال ملكه وقد أحسن اليه وأكرمه
غاية الاكرام وقربه غاية القرب وأنا أخشى على الملك من ذلك فان عجم الملك وتغير لونه وقال له
من الذى تزعم أنه عدوى وأحسن اليه فقال له أيها الملك ان كنت نائما فاستيقظ فأنا أشير الى
الحكيم رويان فقال له الملك ان هذا صديقى وهو أعز الناس عندى لانه داوانى بشئ قبضته
بيدى وأبرأنى من مرضى الذى عجزت فيه الاطباء وهو لا يوجد مثله فى هذا الزمان فى الدنيا
غربا وشرقا فكيف أنت تقول عليه هذا المقال وأنا من هذا اليوم أرتب له الجوامك
والجرايات وأعمل له فى كل شهر ألف دينار ولو قاسمته فى ملكى لكان قليلا عليه وما أظن أنك
تقول ذلك الا حسدا كما بلغنى عن الملك السندباد * ثم قال الملك يونان ذكر والله أعلم وأدرك
شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها أختها يا أختى ما أحلى حديثك
وأطيبه وألذه وأعذبه فقالت لها وأين هذا مما أحدثكم به الليلة المقبلة ان عشت وأبقانى الملك
فقال الملك فى نفسه والله لا أقتلها حتى أسمع بقية حديثها لانه حديث عجيب ثم انهم باتوا تلك
الليلة متعانقين الى الصباح ثم خرج الملك الى محل حكمه واحتبك الديوان فحكم وولى وعزل
وأمر ونهى الى آخر النهار ثم انفض الديوان فدخل الملك قصره وأقبل الليل وقضى حاجته

من بقت الوزير شهرزاد

فلما كانت الليلة الخامسة قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك يونان قال لوزيره أيها الوزير أنت دخلك الحسد من أجل هذا الحكيم فتريد أن أقتله وبعد ذلك أندم كما ندم الملك السندباد على قتل الباز فقال الوزير وكيف كان ذلك فقال الملك ذكر أنه كان ملك من ملوك الفرس يحب الفرجة والتنزه والصيد والقنص وكان له باز رباه ولا يفارقه ليلا ولا نهارا ويبيت طول الليل حامله على يده واذا طلع الى الصيد يأخذه معه وهو عامل له طاسة من الذهب معلقة فى رقبته يسقيه منها فبينما الملك جالس واذا بالوكيل على طير الصيد يقول يا ملك الزمان هذا أوان الخروج الى الصيد فاستعد الملك للخروج وأخذ البازى على يده وساروا الى أن وصلوا الى واد ونصبوا شبكة الصيد واذا بغزالة وقعت فى تلك الشبكة فقال الملك كل من فاتت الغزالة من جهته قتلته فضيقوا عليها حلقة الصيد واذا بالغزالة أقبلت على الملك وشبت على رجليها وحطت يديها على صدرها كأنها تقبل الارض للملك فطأطأ الملك للغزالة ففرت من فوق دماغه وراحت الى البر فالتفت الملك الى العسكر فرآهم يتغامزون عليه فقال يا وزير ماذا يقول العساكر فقال يقولون انك قلت كل من فاتت الغزالة من جهته يقتل فقال الملك وحياة رأسى لأتبعنها حتى أجيء بها ثم طلع الملك فى أثر الغزالة ولم يزل وراءها وصار البازى يلطشها على عينيها الى أن أعماها ودوخها فسحب الملك دبوسا وضربها فقلبها ونزل فذبحها وسلخها وعلقها فى قربوص السرج وكانت ساعة حر وكان المكان قفرا لم يوجد فيه ماء فعطش الملك وعطش الحصان فالتفت الملك فرأى شجرة ينزل منها ماء مثل السمن وكان الملك لابسا فى كفه جلدا فأخذ الطاسة من رقبة البازى وملأها من ذلك الماء ووضع الماء قدامه واذا بالبازى لطش الطاسة فقلبها فأخذ الملك الطاسة ثانيا وملأها وظن أن البازى عطشان فوضعها قدامه فلطشها ثانيا وقلبها فغضب الملك من البازى وأخذ الطاسة ثالثا وقدمها للحصان فقلبها البازى بجناحه فقال الملك الله يخيبك يا أشأم الطيور أحرمتنى من الشرب وأحرمت نفسك وأحرمت الحصان ثم ضرب البازى بالسيف فرمى أجنحته فصار البازى يقيم رأسه ويقول بالاشارة انظر الذى فوق الشجرة فرفع الملك عينه فرأى فوق الشجرة حية والذى يسيل سمها فندم الملك على قص أجنحة البازى ثم قام وركب حصانه وسار ومعه الغزالة حتى وصل الى مكانه الاول فألقى الغزالة الى الطباخ وقال له خذها واطبخها ثم جلس الملك على الكرسى والبازى على يده فشهق البازى ومات فصاح الملك حزنا وأسفا على قتل البازى حيث خلصه من الهلاك * وهذا ما كان من حديث الملك السندباد فلما سمع الوزير كلام الملك يونان قال له أيها الملك العظيم الشان وما الذى فعلته من الضروزة ورأيت منه سوأ انما فعل معك هذا شفقة عليك وستعلم صحة ذلك فان قبلت منى نجوت والا هلكت كما هلك وزير كان احتال على ابن ملك من الملوك * كان لذلك الملك ولد مولع بالصيد والقنص وكان له وزير فأمر الملك ذلك الوزير أن يكون مع ابنه أينما توجه فخرج يوما من الايام الى الصيد والقنص وخرج معه وزير أبيه فساروا جميعا فنظروا الى وحش كبير فقال الوزير لابن الملك دونك هذا الوحش فاطلبه فقصده ابن الملك حتى غاب عن العين وغاب عنه الوحش فى البرية وتحير ابن الملك فلم يعرف أين

يذهب

يذهب واذا بجارية على رأس الطريق وهى تبكى فقال لها ابن الملك من أنت قالت بنت ملك من ملوك الهند وكنت فى البرية فأدركنى النعاس فوقعت من فوق الدابة ولم أعلم بنفسى فصرت منقطعة حائرة فلما سمع ابن الملك كلامها رق لحالها وحملها على ظهر دابته وأردفها وسار حتى مر بجزيرة فقالت له الجارية ياسيدى أريد أن أزيل ضرورة فأنزلها الى الجزيرة ثم تعوقت فاستبطأها فدخل خلفها وهى لا تعلم به فاذا هى غولة وهى تقول لأولادها يا أولادى قد أتيتكم اليوم بغلام سمين فقالوا لها ائتينا به يا أمنا نأكله فى بطوننا فلما سمع ابن الملك كلامهم أيقن بالهلاك وارتعدت فرائصه وخشى على نفسه ورجع فخرجت الغولة فرأته كالخائف الوجل وهو يرتعد فقالت له ما بالك خائفا فقال لها ان لى عدوا وأنا خائف منه فقالت الغولة انك تقول أنا ابن الملك قال لها نعم قالت له مالك لا تعطى عدوك شيأ من المال فترضيه به فقال لها انه لا يرضى بمال ولا يرضى الا بالروح وأنا خائف منه وأنا رجل مظلوم فقالت له ان كنت مظلوما كما تزعم فاستعن بالله عليه فانه يكفيك شره وشر جميع ما تخافه فرفع ابن الملك رأسه الى السماء وقال يا من يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء انصرنى على عدوى واصرفه عنى انك على ما تشاء قدير فلما سمعت الغولة دعاءه انصرفت عنه وانصرف ابن الملك الى أبيه وحدثه بحديث الوزير وأنت أيها الملك متى أمنت لهذا الحكيم قتلك أقبح القتلات وان كنت أحسنت اليه وقربته منك فانه يدبر فى هلاكك أما ترى أنه أبرأك من المرض من ظاهر الجسد بشئ أمسكته بيدك فلا تأمن أن يهلكك بشئ تمسكه أيضا فقال الملك يونان صدقت فقد يكون كما ذكرت أيها الوزير الناصح فلعل هذا الحكيم أتى جاسوسا فى طلب هلاكى واذا كان أبرأنى بشئ أمسكته بيدى فانه يقدر أن يهلكنى بشئ أشمه ثم ان الملك يونان قال لوزيره أيها الوزير كيف العمل فيه فقال له الوزير أرسل اليه فى هذا الوقت واطلبه فان حضر فاضرب عنقه فتكفى شره وتستريح منه واغدر به قبل أن يغدر بك فقال الملك يونان صدقت أيها الوزير ثم ان الملك أرسل الى الحكيم فحضر وهو فرحان ولا يعلم ما قدره الرحمن كما قال بعضهم فى المعنى

يا خائفا من دهره كن آمنا * وكل الامور الى الذى بسط الثرى
ان المقدر كائن لا ينمحى * ولك الامان من الذى ما قدرا

وأنشد الحكيم مخاطبا للملك قول الشاعر

اذا لم أقم يوما لحقك بالشكر * فقل لى لمن أعددت نظمى مع النثر
لقد جدت لى قبل السؤال بأنعم * أتتنى بلا مطل لديك ولا عذر
فما الى لا أعطى ثناء لك حقه * وأثنى على علياك فى السر والجهر
سأشكر ما أوليتنى من صنائع * يخف لها منى وان أثقلت ظهرى

وأيضا فى المعنى

كن عن همومك معرضا * وكل الامور الى القضا
وابشر بخير عاجل * تنسى به ما قد مضى
فلرب أمر مسخط * لك فى عواقبه رضا
الله يفعل ما يشا * فلا تكن متعرضا

وأيضا فى المعنى سلم أمورك للحكيم العالم * وأرح فؤادك من جميع العالم
واعلم بأن الامر ليس كما تشا * بل ما يشاء الله أحكم حاكم

وأيضا فى المعنى

لا تبتئس وانس الهموم جميعها * ان الهموم تزيل لب الحازم
لا ينفع التدبير عبدا عاجزا * فاتركه تسلم فى نعيم دائم

فلما حضر الحكيم رويان قال له الملك أتعلم لماذا أحضرتك فقال الحكيم لا يعلم الغيب الا الله تعالى فقال له الملك أحضرتك لأقتلك وأعدم ملكك وحلك فتعجب الحكيم رويان من تلك المقالة غاية العجب وقال أيها الملك لماذا تقتلنى وأى ذنب بدا منى فقال له الملك قد قيل لى انك جاسوس وقد أتيت لتقتلنى وها أنا أقتلك قبل أن تقتلنى ثم ان الملك صاح على السياف وقال له اضرب رقبة هذا الغدار وأرحنا من شره فقال الحكيم أبقنى يبقك الله ولا تقتلنى يقتلك الله ثم انه كرر عليه القول مثل ما قلت لك أيها العفريت وأنت لا تدعنى بل تريد قتلى فقال الملك يونان للحكيم رويان انى لا آمن الا ان قتلتك فانك أبرأتنى بشئ أمسكته بيدى فلا آمن أن تقتلنى بشئ أشمه أو غير ذلك فقال الحكيم أيها الملك أهذا جزائى منك تقابل الملح بالقبيح فقال الملك لا بد من قتلك من غير مهلة فلما تحقق الحكيم أن الملك قاتله لا محالة بكى وتأسف على ما صنع من الجميل مع غير أهله كما قيل فى المعنى

ميمونة من سمات العقل عارية * لكن أبوها من الألباب قد خلقا
لم يمش فى يابس يوما ولا وحل * الا بنور هداه يتقى الزلقا

وبعد ذلك تقدم السياف وعمى عينيه وشهر سيفه وقال ائذن والحكيم يبكى ويقول للملك أبقنى يبقك الله ولا تقتلنى يقتلك الله وأنشد قول الشاعر

نصحت فلم أقبل وغشوا فأفلحوا * فاوقعنى نصحى بدار هوان
فان عشت لم أنصح وان مت فانع لى * ذوى النصح من بعدى بكل لسان

ثم ان الحكيم قال للملك أيكون هذا جزائى منك فتجازينى مجازاة التمساح قال الملك وما حكاية التمساح فقال الحكيم لا يمكننى أن أقولها وأنا فى هذا الحال فبالله عليك أبقنى يبقك الله ثم ان الحكيم بكى بكاء شديدا فقام بعض خواص الملك وقال أيها الملك هب لى دم هذا الحكيم لاننا ما رأيناه فعل معك ذنبا وما رأيناه الا أبرأك من مرضك الذى أعيا الاطباء والحكماء فقال لهم الملك لم تعرفوا سبب قتلى لهذا الحكيم وذلك لانى ان أبقيته فأنا هالك لا محالة ومن أبرأنى من المرض الذى كان بى بشئ أمسكته بيدى فيمكنه أن يقتلنى بشئ أشمه فأنا أخاف أن يقتلنى و يأخذ على جعالة لانه ربما كان جاسوسا وما جاء الا ليقتلنى فلا بد من قتله وبعد ذلك آمن على نفسى فقال الحكيم أبقنى يبقك الله ولا تقتلنى يقتلك الله فلما تحقق الحكيم أيها العفريت أن الملك قاتله لا محالة قال له أيها الملك ان كان لا بد من قتلى فأمهلنى حتى أنزل الى دارى فأخلص نفسى وأوصى أهلى وجيرانى أن يدفنونى وأهب كتب الطب وعندى كتاب خاص الخاص أهديه لك هدية تدخره فى خزانتك فقال الملك للحكيم وما هذا الكتاب قال فيه شئ لا يحصى وأقل ما فيه من الاسرار أنك اذا قطعت رأسى وفتحته وعددت ثلاث ورقات ثم تقرأ

ثلاثة أسطر من الصحيفة التي على يسارك فان الرأس تكلمك وتجاوبك عن جميع ما سألتها عنه فتعجب الملك غاية العجب واهتز من الطرب وقال له أيها الحكيم وهل اذا قطعت رأسك تكلمت فقال نعم أيها الملك وهذا أمر عجيب ثم ان الملك أرسله مع المحافظة عليه فنزل الحكيم الى داره وقضى أشغاله في ذلك اليوم وفي اليوم الثاني ثم طلع الحكيم الى الديوان وطلعت الامراء والوزراء والحجاب والنواب وأرباب الدولة جميعا وصار الديوان كزهر البستان واذا بالحكيم دخل الديوان ووقف قدام الملك ومعه كتاب عتيق ومكحلة فيها ذرور وجلس وقال ائتوني بطبق فأتوه بطبق وكب فيه الذرور وفرشه وقال أيها الملك خذ هذا الكتاب ولا تعمل به حتى تقطع رأسي فاذا قطعتها فاجعلها في ذلك الطبق وأمر بكبسها على ذلك الذرور فاذا فعلت ذلك فان دمها ينقطع ثم افتح الكتاب ففتحه الملك فوجده ملصوقا فخط أصبعه في فمه وبله بريقه وفتح أول ورقة والثانية والثالثة والورق ما ينفتح الا بجهد ففتح الملك ست ورقات ونظر فيها فلم يجد فيها كتابة فقال الملك أيها الحكيم ما فيه شئ مكتوب فقال الحكيم قلب زيادة على ذلك فقلب فيه زيادة فلم يكن الا قليلا من الزمان حتى سرى فيه السم لوقته وساعته فان الكتاب كان مسموما فعند ذلك ترنح الملك وصاح وقال قد سرى في السم فأنشد الحكيم روبان يقول

تحكموا فاستطالوا في حكومتهم * وعن قليل كأن الحكم لم يكن
لو أنصفوا أنصفوا لكن بغوا فبغى * عليهم الدهر بالآفات والمحن
وأصبحوا ولسان الحال ينشدهم * هذا بذاك ولا عتب على الزمن

فلما فرغ روبان الحكيم من كلامه سقط الملك ميتا من وقته فاعلم أيها العفريت أن الملك يونان لو أبقى الحكيم روبان لابقاه الله ولكن أبى وطلب قتله فقتله الله وأنت أيها العفريت لو أبقيتني لأبقاك الله * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فقالت لها أختها دنيازاد ما أحلى حديثك فقالت وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة ان عشت وأبقاني الملك وباتوا تلك الليلة في نعيم وسرور الى الصباح ثم طلع الملك الى الديوان ولما انفض الديوان دخل قصره واجتمع بأهله

فلما كانت الليلة السادسة * قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصياد لما قال للعفريت لو أبقيتني كنت أبقيتك لكن ما أردت الا قتلي فأنا أقتلك محبوسا في هذا القمقم وألقيك في هذا البحر صرخ المارد وقال بالله عليك أيها الصياد لا تفعل وأبقني كرما ولا تؤاخذني بعملي فاذا كنت أنا مسيئا كن أنت محسنا وفي الامثال السائرة يا محسنا لمن أساء كفى المسيء فعله ولا تعمل كما عمل أمامة مع عاتكة قال الصياد وما شأنهما فقال العفريت ما هذا وقت حديث وأنا في السجن حتى تطلعني منه وأنا أحدثك بشأنهما فقال الصياد لا بد من القائك في البحر ولا سبيل الى اخراجك منه فاني كنت أستعطفك وأتضرع اليك وأنت لا تريد الا قتلي من غير ذنب استوجبته منك ولا فعلت معك سوأة ولم أفعل معك الا خيرا لكوني أخرجتك من السجن فلما فعلت معي ذلك علمت أنك رديء الاصل واعلم أني مارميتك في هذا البحر الا لأجل ان كل من أطلعك أخبره بخبرك وأحذره منك فيرميك فيه ثانيا فتقيم في هذا البحر

الى آخر الزمان حتى ترى أنواع العذاب قال له العفريت أطلقنى فهذا وقت المروآت وأنا
أعاهدك انى لم أسؤك أبدا بل أنفعك بشئ يغنيك دائما فأخذ الصياد عليه العهد أنه اذا
أطلقه لا يؤذيه أبدا بل يعمل معه الجميل فلما استوثق منه بالايمان والعهود وحلفه باسم الله
الاعظم فتح له الصياد فتصاعد الدخان حتى خرج وتكامل فصار عفريتا مشوه الخلقة ورفس
القمقم فرماه فى البحر فلما رأى الصياد رمى القمقم فى البحر أيقن بالهلاك وبال فى ثيابه وقال
هذه ليست علامة خير ثم انه قوى قلبه وقال أيها العفريت قال الله تعالى وأوفوا بالعهد ان
العهد كان مسؤلا وأنت قد عاهدتنى وحلفت أنت لا تغدر بى فان غدرت بى يجزك الله فانه
غيور يمهل ولا يهمل وأنا قلت لك مثل ما قال الحكيم روبان للملك يونان أبقنى يبقك الله فضحك
العفريت ومشى قدامه وقال أيها الصياد اتبعنى فمشى الصياد وراءه وهو لم يصدق بالنجاة الى
أن خرجا من ظاهر المدينة وطلعا على جبل ونزلا الى برية متسعة واذا فى وسطها بركة ماء
فوقف العفريت عليها وأمر الصياد أن يطرح الشبكة ويصطاد فنظر الصياد الى البركة
وفيها السمك ألوانا الابيض والاحمر والازرق والاصفر فتعجب الصياد من ذلك ثم انه طرح
شبكته وجذبها فوجد فيها أربع سمكات كل سمكة بلون فلما رآها الصياد فرح فقال له العفريت
ادخل بها الى السلطان وقدمها اليه فانه يعطيك ما يغنيك و بالله اقبل عذرى فاننى فى هذا
الوقت لم أعرف طريقا وأنا فى هذا البحر مدة ألف وثمانمائة عام ما رأيت ظاهر الدنيا الا فى
هذه الساعة ولا تصطد منها كل يوم الا مرة واحدة واستودعتك الله ثم دق الارض بقدميه
فانشقت وابتلعته ومضى الصياد الى المدينة وهو متعجب مما جرى له مع هذا العفريت ثم أخذ
السمك ودخل به منزله وأتى بماجور ثم ملأه ماء وحط فيه السمك فاختبط السمك من داخل
الماجور فى الماء ثم حمل الماجور فوق رأسه وقصد به قصر الملك كما أمره العفريت فلما طلع
الصياد الى الملك وقدم له السمك تعجب الملك غاية العجب من ذلك السمك الذى قدمه اليه الصياد
لانه لم ير فى عمره مثله صفة ولا شكلا فقال ألقوا هذا السمك للجارية الطباخة وكانت هذه
الجارية قد أهداها له ملك الروم منذ ثلاثة أيام وهو لم يجربها فى طبخ فأمرها الوزير أن تقليه
وقال لها يا جارية ان الملك يقول لك ما ادخرت دمعتى الا لشدتى ففرجينا اليوم على طهيك
وحسن طبخك فان السلطان جاء اليه واحد بهدية ثم رجع الوزير بعد ما أوصاها فأمره الملك
أن يعطى الصياد أربعمائة دينار فأعطاه الوزير اياها فأخذها فى حجره وتوجه الى منزله
لزوجته وهو فرحان مسرور ثم اشترى لعياله ما يحتاجون اليه هذا ما كان من أمر الصياد
وأما ما كان من أمر الجارية فانها أخذت السمك ونظفته ورصته فى الطاجن ثم انها تركت
السمك حتى استوى وجهه وقلبته على الوجه الثانى واذا بحائط المطبخ قد انشق وخرجت منها
صبية رشيقة القد أسيلة الخد كاملة الوصف كحيلة الطرف بوجه مليح وقد رجيح لابسة كوفية
من خز أزرق وفى أذنيها حلق وفى معاصمها أساورو فى أصابعها خواتم بالفصوص الثمنة وفى
يدها قضيب من الخيزران فغرزت القضيب فى الطاجن وقالت باسمك هل أنت على العهد مقيم
فلما رأت الجارية هذا غشى عليها وقد أعادت الصبية القول ثانيا وثالثا فرفع السمك رأسه من
الطاجن وقال نعم نعم ثم قال جميعه هذا البيت

ان عدت عدنا وان وافيت وافينا * وان هجرت فانا قد تكافينا

فعند ذلك قلبت الصبية الطاجن وخرجت من الموضع الذى دخلت منه والتحمت حائط المطبخ ثم أفاقت الجارية فرأت الاربع سمكات محروقة مثل الفحم الاسود فقالت تلك الجارية من أول غروته حصل كسر عصيته فبينما هى تعاتب نفسها واذا بالوزير واقف على رأسها وقال لها هاتى السمك للسلطان فبكت الجارية وأعلمت الوزير بالحال وبالذى جرى فتعجب الوزير من ذلك وقال ما هذا الا أمر عجيب ثم انه أرسل الى الصياد فأتوا به اليه فقال له أيها الصياد لابد أن تجىء لنا بأربع سمكات مثل التى جئت بها أولا فخرج الصياد الى البركة وطرح شبكته ثم جذبها واذا بأربع سمكات فأخذها وجاء بها الى الوزير فدخل بها الوزير الى الجارية وقال لها قومى اقليها قدامى حتى أرى هذه القضية فقامت الجارية وأصلحت السمك ووضعته فى الطاجن على النار فما استقر الا قليلا واذا بالحائط قد انشق والصبية قد ظهرت وهى لابسة ملبسها وفى يدها القضيب فغرزته فى الطاجن وقالت يا سمك يا سمك هل أنت على العهد القديم مقيم فرفعت السمكات رؤسها وأنشدت هذا البيت

ان عدت عدنا وان وافيت وافينا * وان هجرت فانا قد تكافينا

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة * قالت بلغنى أيها الملك السعيد أنه لما تكلم السمك قلبت الصبية الطاجن بالقضيب وخرجت من الموضع الذى جاءت منه والتحم الحائط فعند ذلك قام الوزير وقال هذا أمر لا يمكن اخفاؤه عن الملك ثم انه تقدم الى الملك وأخبره بما جرى قدامه فقال لابد أن أنظر بعينى فأرسل الى الصياد وأمره أن يأتى بأربع سمكات مثل الاولى وأمهله ثلاثة أيام فذهب الصياد الى البركة وأتاه بالسمك فى الحال فأمر الملك أن يعطوه أربعمائة دينار ثم التفت الملك الى الوزير وقال له سوا أنت السمك ههنا قدامى فقال الوزير سمعا وطاعة فأحضر الطاجن ورمى فيه السمك بعد أن نظفه ثم قلبه واذا بالحائط قد انشق وخرج منها عبد أسود كأنه ثور من الثيران أو من قوم عاد وفى يده فرع من شجرة خضراء وقال بكلام فصيح مزعج يا سمك يا سمك هل أنت على العهد القديم مقيم فرفع السمك رأسه من الطاجن وقال نعم نعم وأنشد هذا البيت

ان عدت عدنا وان وافيت وافينا * وان هجرت فانا قد تكافينا

ثم أقبل العبد على الطاجن وقلبه بالفرع الى أن صار فحما أسود ثم ذهب العبد من حيث أتى فلما غاب العبد عن أعينهم قال الملك هذا أمر لا يمكن السكوت عنه ولابد أن هذا السمك له شأن غريب فأمر باحضار الصياد فلما حضر قال له من أين هذا السمك فقال له من بركة بين أربع جبال وراء هذا الجبل الذى بظاهر مدينتك فالتفت الملك الى الصياد وقال له مسيرة كم يوم قال له يا مولانا السلطان مسيرة نصف ساعة فتعجب السلطان وأمر بخروج العسكر من وقته مع الصياد فصار الصياد يلعن العفريت وسار والى أن طلعوا الجبل ونزلوا منه الى برية متسعة لم يروها مدة أعمارهم والسلطان وجميع العسكر يتعجبون من تلك البرية التى نظروها بين أربع جبال والسمك فيها على أربعة ألوان أحمر وأبيض وأصفر وأزرق فوقف الملك متعجبا وقال للعسكر ولمن حضر هل أحد منكم رأى هذه البركة فى هذا المكان فقالوا كلهم لا فقال

الملك والله لا أدخل مدينتي ولا أجلس على تخت ملكي حتى أعرف حقيقة هذه البركة وسمكها ثم أمر الناس بالنزول حول هذه الجبال فنزلوا ثم دعا بالوزير وكان وزيرا خبيرا عاقلا لبيبا عالما بالامور فلما حضر بين يديه قال له اني أردت أن أعمل شيأ فأخبرك به وذلك أنه خطر ببالي أن أنفرد بنفسي في هذه الليلة وأبحث عن خبر هذه البركة وسمكها فاجلس على باب خيمتي وقل للامراء والوزراء والحجاب ان السلطان متشوش وأمرني أن لا آذن لاحد في الدخول عليه ولا تعلم أحدا بقصدي فلم يقدر الوزير على مخالفته ثم ان الملك غير حالته وتقلد سيفه وانسل من بينهم ومشى بقية ليله الى الصباح فلم يزل سائرا حتى اشتد عليه الحر فاستراح ثم مشى بقية يومه وليلته الثانية الى الصباح فلاح له سواد من بعد ففرح وقال لعلي أجد من يخبرني بقضية البركة وسمكها فلما قرب من السواد وجده قصرا مبنيا بالحجارة السود مصفحا بالحديد وأحد شقي بابه مفتوح والآخر مغلق ففرح الملك ووقف على الباب ودق دقا لطيفا فلم يسمع جوابا فدق ثانيا وثالثا فلم يسمع جوابا فدق رابعا دقا عنيفا فلم يجبه أحد فقال لا شك أنه خال فشجع نفسه ودخل من باب القصر الى دهليزه ثم صرخ وقال يا أهل القصر اني رجل غريب وعابر سبيل هل عندكم شئ من الزاد وأعاد القول ثانيا وثالثا فلم يسمع جوابا فقوى قلبه وثبت نفسه ودخل من الدهليز الى وسط القصر فلم يجد فيه أحدا غير أنه مفروش وفي وسطه فسقية عليها أربعة سباع من الذهب الاحمر تلقي الماء من أفواهها كالدرر والجواهر وفي دائره طيور وعلى ذلك القصر شبكة تمنعها من الطلوع فتعجب من ذلك وتأسف حيث لم يرفيه أحدا يستخبر منه عن تلك البركة والسمك والجبال والقصر ثم جلس بين الأبواب يتفكر واذا هو بأنين من كبد حزين فسمعه يترنم بهذا الشعر

لما خفيت ضنى ووجدي قد ظهر * والنوم من عيني تبدل بالسهر
ناديت وجدا قد تزايد بي الفكر * يا وجد لا تبقي علي ولا تذر
ها مهجتي بين المشقة والخطر

فلما سمع السلطان ذلك الأنين نهض قائما وقصد جهته فوجد سترا مسبولا على باب مجلس فرفعه فرأى خلف الستر شابا جالسا على سرير مرتفع عن الارض مقدار ذراع وهو شاب مليح بقدر جيح ولسان فصيح وجبين أزهر وخد أحمر وشامة على كرسي خده كنرس من عنبر كما قال الشاعر

ومهفهف من شعره وجبينه * مشت الورى في ظلمة وضياء
ما أبصرت عيناك أحسن منظرا * فيما يرى من سائر الاشياء
كالشامة الخضراء فوق الوجنة الـ * ـحمراء تحت المقلة السوداء

ففرح به الملك وسلم عليه والصبي جالس وعليه قباء حرير بطراز من ذهب لكن عليه أثر الحزن فرد السلام على الملك وقال له يا سيدي اعذرني في عدم القيام فقال الملك أيها الشاب أخبرني عن هذه البركة وعن سمكها الملون وعن هذا القصر وسبب وحدتك فيه وما سبب بكائك فلما سمع الشاب هذا الكلام نزلت دموعه على خده وبكى بكاء شديدا فتعجب الملك وقال له ما يبكيك أيها الشاب فقال كيف لا أبكي وهذه حالتي ومد يده الى أذياله فرفعها فاذا نصفه

التحتاني

التحتانى الى قدميه حجر ومن سرته الى شعر رأسه بشر ثم قال الشاب اعلم أيها الملك أن لهذا السمك أمرا عجيبا لو كتب بالابر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر وذلك ياسيدى أنه كان والدى ملك هذه المدينة وكان اسمه محمودا صاحب الجزائر السود وصاحب هذه الجبال الاربعة فأقام فى الملك سبعين عاما ثم توفى والدى وتسلطنت بعده وتزوجت بابنة عمى وكانت تحبنى محبة عظيمة بحيث اذا غبت عنها لا تأكل ولا تشرب حتى ترانى فمكثت فى عصمتى خمس سنين الى أن ذهبت يوما من الأيام الى الحمام فأمرت الطباخ أن يجهز لنا طعاما لأجل العشاء ثم دخلت هذا القصر ونمت فى الموضع الذى أنام فيه وأمرت جاريتين أن يروحا على وجهى فجلست واحدة عند رأسى والاخرى عند رجلى وقد قلقت لغيابها ولم يأخذنى نوم غير أن عينى مغمضة ونفسى يقظانة فسمعت التى عند رأسى تقول للتى عند رجلى يا مسعودة ان سيدنا مسكين شبابه وياخسارته مع سيدتنا الخبيثة الخاطئة فقالت الاخرى لعن الله النساء الزانيات ولكن مثل سيدنا وأخلاقه لا يصلح لهذه الزانية التى كل ليلة تبيت فى غير فراشه فقالت التى عند رأسى ان سيدنا مغفل حيث لم يسأل عنها فقالت الاخرى ويلك وهل عند سيدنا علم بحالها أو هى تخليه باختياره بل تعمل له عملا فى قدح الشراب الذى يشربه كل ليلة قبل المنام فتضع فيه البنج فينام ولم يشعر بما يجرى ولم يعلم أن تذهب ولا بما تصنع لانها بعد ما تسقيه الشراب تلبس ثيابها وتخرج من عنده فتغيب الى الفجر وتأتى اليه وتبخره عند أنفه بشئ فيستيقظ من منامه فلما سمعت كلام الجوارى صار الضياء فى وجهى ظلاما وما صدقت أن الليل أقبل وجاءت بنت عمى من الحمام فقدمنا السماط وأكلنا وجلسنا ساعة زمانية نتنادم كالعادة ثم دعوت بالشراب الذى أشربه عند المنام فناولتنى الكاس فتناولت عنه وجعلت أنى أشربه مثل عادتى ودلقته فى عبى ورقدت فى الوقت والساعة واذا بها قالت نم ليتك لم تقم والله كرهتك وكرهت صورتك وملت نفسى من عشرتك ثم قامت ولبست أفخر ثيابها وتبخرت وتقلدت سيفا وفتحت باب القصر وخرجت فقمت وتبعتها حتى خرجت من القصر وشقت فى أسواق المدينة الى أن انتهت الى أبواب المدينة فتكلمت بكلام لا أفهمه فتساقطت الاقفال وانفتحت الابواب وخرجت وأنا خلفها وهى لا تشعر حتى انتهت الى ما بين الكيمان وأتت حصنا فيه قبة مبنية بطين لها باب فدخلته هى وصعدت أنا على سطح القبة وأشرفت عليها واذا بها قد دخلت على عبد أسود احدى شفتيه غطاء وشفته الثانية وطاء وشفاهه تلقط الرمل من الحصى وهو مبتلى وراقد على قليل من قش القصب فقبلت الارض بين يديه فرفع ذلك العبد رأسه اليها وقال لها ويلك ما سبب قعودك الى هذه الساعة كان عندنا السودان وشربوا الشراب وصار كل واحد بعشيقته وأنا ما رضيت أن أشرب من شأنك فقالت ياسيدى وحبيب قلبى أما تعلم أنى متزوجة بابن عمى وأنا أكره النظر فى صورته وأبغض نفسى فى صحبته ولولا أنى أخشى على خاطرك لكنت جعلت المدينة خرابا يصيح فيها البوم والغراب وأنقل حجارتها الى خلف جبل قاف فقال العبد تكذبين يا عاهرة وأنا أحلف وحق قوة السودان والا تكونى مروأتا مروأة البيضان ان بقيتى تقعدى الى هذا الوقت من هذا اليوم لا أصاحبك ولا أضع جسدى على جسدك يا خائنة أتغيبين على من أجل شهوتك يا منتنة يا أخيس البيضان قال الملك فلما

سمعت كلامهما وأنا أنظر بعيني ماجرى بينهما صارت الدنيا في وجهي ظلاما ولم أعرف روحي في أي موضع وصارت بنت عمي واقفة تبكي عليه وتتذلل بين يديه وتقول له يا حبيبي وثمرة فؤادي ما أحد غيرك بقي لي فان طردتني يا ويلي يا حبيبي يا نور عيني ومازالت تبكي وتتضرع له حتى رضي عليها ففرحت وقامت قلعت ثيابها ولباسها وقالت له ياسيدي هل عندك ما تأكله جاريتك فقال لها اكشفي اللقان فان تحتها عظام فيران مطبوخة فكليها ومري مشيها وقومي لهذه القوارة تجدي فيها بوظة فاشربيها ففامت وأكلت وشربت وغسلت يديها وجاءت فرقدت مع العبد على فرش القصب وتعرت ودخلت معه تحت الهدمة والشرامبط فلما نظرت الى هذه الفعال التي قد فعلتها بنت عمي غبت عن الوجود فنزلت من فوق أعلى القبة ودخلت وأخذت السيف من بنت عمي وهممت أن أقتل الاثنين فضربت العبد أولا على رقبته فظننت أنه قد قضى عليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح فلما أصبح الصباح دخل الملك الى محل الحكم واحتبك الديوان الى آخر النهار ثم طلع الملك قصره فقالت لها أختها دنيازاد أتممي لنا حديثك قالت حبا وكرامة

فلما كانت الليلة الثامنة * قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب المسحور قال للملك لما ضربت العبد لأقطع رأسه قطعت الحلقوم والجلد واللحم فظننت أني قتلته فشخر شخيرا عاليا فتحركت بنت عمي وقامت بعد ذهابي فأخذت السيف وردته الى موضعه وأتت المدينة ودخلت القصر ورقدت في فراشي الى الصباح ورأيت بنت عمي في ذلك اليوم قد قطعت شعرها ولبست ثياب الحزن وقالت يا ابن عمي لا تلمني فيما أفعله فانه بلغني أن والدتي توفيت وأن والدي قتل في الجهاد وأن أخوي أحدهما مات ملسوعا والآخر رديما فحق لي أن أبكي وأحزن فلما سمعت كلامها سكت عنها وقلت لها افعلي ما بدا لك فاني لا أخالفك فمكثت في حزن وبكاء وعديد سنة كاملة من الحول الى الحول وبعد السنة قالت لي أريد أن أبني لي في قصرك مدفنا مثل القبة وأنفرد فيه بالاحزان وأسميه بيت الاحزان فقلت لها افعلي ما بدا لك فبنت لها بيتا للحزن وبنت في وسطه قبة ومدفنا مثل الضريح ثم نقلت العبد وأنزلته فيه وهو ضعيف جدا لا ينفعها بنافعة لكنه يشرب الشراب ومن اليوم الذي جرحته فيه ما تكلم الا أنه حي لان أجله لم يفرغ فصارت كل يوم تدخل عليه القبة بكرة وعشيا وتبكي عنده وتعدد عليه وتسقيه الشراب والمساليق ولم تزل على هذه الحالة صباحا ومساء الى ثاني سنة وأنا أطول بالي عليها الى أن دخلت عليها يوما من الايام على غفلة فوجدتها تبكي وتلطم وجهها وتقول هذه الابيات

عدمت وجودي في الورى بعد بعدكم * فان فؤادي لا يحب سواكم
خذوا كرما جسمي الى أين ترحلوا * وأين حللتم فادفنوني حذاكم
وان تذكروا اسمي عند قبري يجيبكم * أنين عظامي عند صوت نداكم

فلما فرغت من شعرها قلت لها وسيفي مسلول في يدي هذا كلام الخائنات اللاتي ينكرن العشرة ولا يحفظن الصحبة وأردت أن أضربها فرفعت يدي في الهواء فقامت وقد علمت أني أنا الذي جرحت العبد ثم وقفت على قدميها وتكلمت بكلام لا أفهمه وقالت جعل الله بسحري نصفك بحجرا ونصفك الآخر بشرا فصرت كما ترى وبقيت لا أقوم ولا أقعد ولا أنام ولا أنا حي

فلما

فلما صرت هكذا سحرت المدينة ومافيها من الاسواق والغيطان وكانت مدينتنا أربعة أصناف مسلمين ونصارى ويهودا ومجوسا فسحرتهم ممكافالابيض مسلمون والاحمر مجوس والازرق نصارى والاصفر يهود وسحرت الجزائر الاربع أربعة جبال وأحاطتها بالبركة ثم انها كل يوم تعذبني وتضربني بسوط من الجلد مائة ضربة حتى يسيل الدم ثم تلبسني من تحت هذه الثياب ثوبا من الشعر على نصفي الفوقاني ثم ان الشاب بكى وأنشد هذا الشعر

صبرا لحكمك يا الهي والقضا * أنا صابر ان كان فيه لك الرضا

قد ضقت بالامر الذي قد نابني * فوسيلتي آل النبي المرتضى

فعند ذلك التفت الملك الى الشاب وقال له أيها الشاب زدتني هما على همي ثم قال له وأين تلك المرأة قال في المدفن الذي فيه العبد راقد في القبة وهي تجيء له كل يوم مرة وعند مجيئها تجيء الي وتجردني من ثيابي وتضربني بالسوط مائة ضربة وأنا أبكي وأصيح ولم يكن في حركة حتى أدفعها عن نفسي ثم بعد أن تعاقبني تذهب الى العبد بالشراب والمسلوقة بكرة النهار قال الملك والله يا فتى لأفعلن معك معروفا أذكر به وجميلا يؤرخونه سيرا من بعدي ثم جلس الملك يتحدث معه الى أن أقبل الليل ثم قام الملك وصبر الى أن جاء وقت السحر فتجرد من ثيابه وتقلد سيفه ونهض الى المحل الذي فيه العبد فنظر الى الشمع والقناديل ورأى البخور والادهان ثم قصد العبد وضربه فقتله ثم حمله على ظهره ورماه في بئر كانت في القصر ثم نزل ولبس ثياب العبد وهو داخل في القبة والسيف معه مسلول في طوله فبعد ساعة أتت العاهرة الساحرة وعند دخولها جردت ابن عمها من ثيابه وأخذت سوطا وضربته فقال آه يكفيني ما أنا فيه فارحميني فقالت هل كنت أنت رحمتني وأبقيت لي معشوقي ثم ألبسته اللباس الشعر والقماش من فوقه ثم نزلت الى العبد ومعها قدح الشراب وطاسة المسلوقة ودخلت عليه القبة وبكت وولولت وقالت يا سيدي كلمني يا سيدي حدثني وأنشدت تقول

فالى متى هذا التجنب والجفا * ان الذي فعل الغرام لقد كفى

كم قد تطيل الهجر لي متعمدا * ان كان قصدك حاسدي فقد اشتفى

ثم انها بكت وقالت يا سيدي كلمني وحدثني فخفض صوته وعوج لسانه وتكلم بكلام السودان وقال آه آه لا حول ولا قوة الا بالله فلما سمعت كلامه صرخت من الفرح وغشي عليها ثم انها استفاقت وقالت لعل سيدي صحيح فخفض الملك صوته بضعف وقال يا عاهرة أنت لا تستحق أن أكلمك قالت ما سبب ذلك قال سببه أنك طول النهار تعاقبين زوجك وهو يصرخ ويستغيث حتى أحرمتيني النوم من العشاء الى الصباح ولم يزل زوجك يتضرع ويدعو عليك حتى أقلقني صوته ولولا هذا لكنت تعافيت فهذا الذي منعني عن جوابك فقالت عن اذنك أخلصه مما هو فيه فقال لها الملك خلصيه وأريحينا فقالت سمعا وطاعة ثم قامت وخرجت من القبة الى القصر وأخذت طاسة ملأتها ماء ثم تكلمت عليها فصار الماء يغلي كما يغلي القدر ثم رشته منها وقالت بحق ما تلوته أن تخرج من هذه الصورة الى صورتك الاولى فانتفض الشاب وقام على قدميه وفرح بخلاصه وقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالت له اخرج ولا ترجع الى هنا والا قتلتك وصرخت في وجهه فخرج من بين يديها وعادت الى القبة

ونزلت وقالت ياسيدى اخرج الى حتى أنظرك فقال لها بكلام ضعيف أى شئ فعلتيه أرحتينى من الفزع ولم تريحينى من الاصل فقالت ياحبيبى وماهو الاصل قال أهل هذه المدينة والاربع جزائر كل ليلة اذا انتصف الليل يرفع السمك رأسه ويدعو على وعليك فهو سبب منع العافية عن جسمى فخلصيوم وتعالى خذى يدى وأقيمينى فقد توجهت الى العافية فلما سمعت كلام الملك وهى تظنه العبد قالت له وهى فرحة ياسيدى على رأسى وعينى بسم الله ثم نهضت وقامت وهى مسرورة تجرى وخرجت الى البركة وأخذت من مائها قليلا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الصبية الساحرة لما أخذت شيأ من ماء البركة وتكلمت عليه بكلام لا يفهم تحرك السمك ورفع رأسه وصار آدميا فى الحال وانفك السحر عن أهل المدينة وصارت المدينة عامرة والاسواق منصوبة وصار كل واحد فى صناعته وانقلبت الجبال جزائر كما كانت ثم ان الصبية الساحرة رجعت الى الملك فى الحال وهى تظن أنه العبد وقالت له ياحبيبى ناولنى يدك الكريمة أقبلها فقال الملك بكلام خفى تقربى منى فدنت منه وقد أخذ صارمه وطعنها به فى صدرها حتى خرج من ظهرها ثم ضربها فشقها نصفين وخرج فوجد الشاب المسحور واقفا فى انتظاره فهنأه بالسلامة وقبل الشاب يده وشكره فقال له الملك أتقعد فى مدينتك أم تجىء معى الى مدينتى فقال الشاب ياملك الزمان أتدرى ما بينك و بين مدينتك فقال الملك يومان ونصف فعند ذلك قال له الشاب أيها الملك ان كنت نائما فاستيقظ ان بينك و بين مدينتك سنة للجد وما أتيت فى يومين ونصف الا لأن المدينة كانت مسحورة وأنا أيها الملك لا أفارقك لحظة عين ففرح الملك بقوله ثم قال الحمد لله الذى من على بك فأنت ولدى لانى طول عمرى لم أرزق ولدا ثم تعانقا وفرحا فرحا شديدا ثم مشيا حتى وصلا الى القصر وأخبر الملك الذى كان مسحورا أرباب دولته أنه مسافر الى الحج الشريف فهيؤا له جميع ما يحتاج اليه ثم توجه هو والسلطان وقلب السلطان ملتهب على مدينته حيث غاب عنها سنة ثم سافر ومعه خمسون مملوكا ومعه الهدايا ولم يزالا مسافرين ليلا ونهارا سنة كاملة حتى أقبلا على مدينة السلطان فخرج الوزير والعساكر لمقابلته بعد ما قطعوا الرجاء منه وأقبلت العساكر وقبلت الارض بين يديه وهنؤه بالسلامة فدخل وجلس على الكرسى ثم أقبل على الوزير وأعلمه بكل ماجرى على الشاب فلما سمع الوزير ماجرى على الشاب هناه بالسلامة ولما استقر الحال أنعم السلطان على ناس كثيرة ثم قال للوزير على بالصياد الذى أتى بالسمك فارسل الى ذلك الصياد الذى كان سببا لخلاص أهل المدينة فاحضره وخلع عليه وسأله عن حاله وهل له أولاد فأخبره أن له ابنا وبنتين فتزوج الملك باحدى بنتيه وتزوج الشاب بالاخرى وأخذ الملك الابن عنده وجعله خازندارا ثم أرسل الوزير الى مدينة الشاب التى هى الجزائر السود وقلده سلطنتها وأرسل معه الخمسين مملوكا الذين جاؤا معه وأرسل معه كثيرا من الخلع لسائر الامراء فقبل الوزير يديه وخرج مسافرا واستقر السلطان والشاب وأما الصياد فانه قد صار أغنى أهل زمانه وبنات وزوجات الملوك الى أن أتاهم الممات وماهذا بأعجب مما جرى للجمال

﴿حكاية الحمال مع البنات﴾

فانه كان انسان من مدينة بغداد وكان أعزب وكان حمالا فبينما هو في السوق يوما من الايام متكئا على قفصه اذ وقفت عليه امرأة ملتفة بازار موصلي من حرير مزركش بالذهب وحاشيتاه من قصب فرفعت قناعها فبان من تحته عيون سود بأهداب وأجفان وهي ناعمة الاطراف كاملة الاوصاف وبعد ذلك قالت بحلاوة لفظها هات قفصك واتبعني فما صدق الحمال بذلك وأخذ القفص وتبعها الى أن وقفت على باب دار فطرقت الباب فنزل لها رجل نصراني فأعطته دينارا وأخذت منه مقدارا من الزيتون ووضعته في القفص وقالت له احمله واتبعني فقال الحمال هذا والله نهار مبارك ثم حمل القفص وتبعها فوقفت على دكان فكها في واشترت منه تفاحا شاميا وسفرجلا عثمانيا وخوخا عمانيا وياسمينا حلبيا وبنوفرا دمشقيا وخيارا نيليا وليمونا مصريا وأترجا سلطانيا ومرسينا ريحانيا وتمرحنا وأقحوانا وشقائق النعمان وبنفسجا وجلنارا ونسرينا ووضعت الجميع في قفص الحمال وقالت احمل فحمل وتبعها حتى وقفت على جزار وقالت له اقطع عشرة أرطال لحما فقطع لها ولفت اللحم في ورق موز ووضعته في القفص وقالت احمل يا حمال فحمل وتبعها ثم وقفت على النقلي وأخذت من سائر النقل وقالت للحمال احمل واتبعني فحمل القفص وتبعها الى أن وقفت على دكان الحلواني واشترت طبقا وملأته من جميع ما عنده من مشبك وقطائف بالمسك محشية وصابونية وأقراص ليمونية ومعمونية وأمشاط وأصابع ولقيمات القاضي ووضعت جميع أنواع الحلاوة في الطبق ووضعته في القفص فقال الحمال لو أعلمتني لجئت معي بيغل نحمل عليه هذه الامور فتبسمت ثم وقفت على العطار واشترت منه عشرة مياه ماء ورد وماء زهر وماء خلاف وغير ذلك وأخذت قدرا من السكر وأخذت مرش ماء ورد ممسك وحصى لبان ذكر وعودا وعنبرا ومسكا وأخذت شمعا اسكندريا ووضعت الجميع في القفص وقالت احمل فقصك واتبعني فحمل القفص وتبعها به الى أن أتت دارا مليحة وقدامها رحبة فسيحة وهي عالية البنيان مشيدة الاركان بابها بشقتين من الآبنوس مصفح بصفائح الذهب الاحمر فوقفت الصبية على الباب ودقت دقا لطيفا واذا بالباب انفتح بشقتيه فنظر الحمال الى من فتح لها الباب فوجدها صبية رشيقة القد قاعدة النهد ذات حسن وجمال وقد واعتدال وجبين كغرة الهلال وعيون كعيون الغزلان وحواجب كهلال رمضان وخدود مثل شقائق النعمان وفم كخاتم سليمان ووجه كالبدر في الاشراق ونهدين كرمانتين باتفاق وبطن مطوي تحت الثياب كطي السجل للكتاب فلما نظر الحمال اليها سلبت عقله وكاد القفص أن يقع من فوق رأسه ثم قال ما رأيت عمري أبرك من هذا النهار فقالت الصبية البوابة للدلالة والحمال مرحبا وهي من داخل الباب ومشوا حتى انتهوا الى قاعة فسيحة مزركشة مليحة ذات تراكيب وشاذروانات ومصاطب وسدلات وخزائن عليها الستور مرخيات وفي وسط القاعة سرير من المرمر مرصع بالدر والجوهر منصوب عليه ناموسية من الاطلس الاحمر ومن داخله صبية بعيون بابلية وقامة ألفية ووجه يخجل الشمس المضية فكأنها بعض الكواكب الدرية أو عقيلة عربية كما قال فيها الشاعر

من قاس قدك بالغصن الرطيب فقد * أضحى القياس به زورا وبهتانا
الغصن أحسن ماتلقاه مكتسيا * وأنت أحسن ماتلقاك عريانا

فنهضت الصبية الثالثة من فوق السرير وخطرت قليلا الى أن صارت فى وسط القاعة عند أختيها وقالت ماوقوفكم حطوا عن رأس هذا الحمال المسكين فجاءت الدلالة من قدامه والبوابة من خلفه وساعدتهما الثالثة وحططن عن الحمال وفرغن مافى القفص وصفوا كل شئ فى محله وأعطين الحمال دينارين وقلن له توجه ياحمال فنظر الى البنات وماهن فيه من الحسن والطبائع الحسنات فلم ير أحسن منهن ولكن ليس عندهن رجال ونظر ماعندهن من الشراب والفواكه والمشمومات وغير ذلك فتعجب غاية التعجب ووقف عن الخروج فقالت له الصبية مالك لاتروح هل أنت استقللت الاجرة والتفتت الى أختها وقالت لها اعطيه دينارا آخر فقال الحمال والله ياسيدتى ان أجرتى نصفان وما استقللت الاجرة وانما اشتغل قلبى وسرى بكن وكيف حالكن وأنتن وحدكن وماعندكن رجال ولا أحد يؤانسكن وأنتن تعرفن أن المنارة لاتثبت الا على أربعة وليس لكن رابع ومايكمل حظ النساء الا بالرجال كما قال الشاعر

انظر الى أربع عندى قد اجتمعت * جنك وعود وقانون ومزمار

وأنتن ثلاثة فتفتقرن الى رابع يكون رجلا عاقلا لبيبا حاذقا وللاسرار كاتما فقلن له نحن بنات ونخاف أن نودع السر عند من لايحفظه وقد قرأنا فى الاخبار شعرا

صن عن سوالك السر لاتودعه * من أودع السر فقد ضيعه

فلما سمع الحمال كلامهن قال وحياتكن انى رجل عاقل أمين قرأت الكتب وطالعت التواريخ أظهر الجميل وأخفى القبيح وأعمل بقول الشاعر

لايكتم السر الا كل ذى ثقة * والسر عند خيار الناس مكتوم
السر عندى فى بيت له غلق * ضاعت مفاتحه والباب مختوم

فلما سمع البنات الشعر والنظام وماأبداه من الكلام قلن له أنت تعلم أننا غرمنا على هذا المقام جملة من المال فهل معك شئ تجازينا به فنحن لاندعك تجلس عندنا حتى تغرم مبلغا من المال لان خاطرك أن تجلس عندنا وتصير ديمنا وتطلع على وجوهنا الصباح الملاح فقالت صاحبة الدار اذا كانت بغير المال محبة فلا تساوى وزن حبة وقالت البوابة ان لم يكن معك شئ روح بلاشئ فقالت الدلالة ياأختى نكف عنه فوالله ماقصر اليوم معنا ولو كان غيره ماطول روحه علينا ومهما جاء عليه أغرمه عنه ففرح الحمال وقال والله ما استفتحت بالدراهم الا منك فقلن له اجلس على الرأس والعين وقامت الدلالة وشدت وسطها وصفت القناني ورتبت المدام وعملت الحضرة على جانب البحر وأحضرت مايحتاجون اليه ثم قدمت المدام وجلست هى وأختاها وجلس الحمال بينهن وهو يظن أنه فى المنام ثم قدمت باطية المدام وملأت أول قدح وشربته والثانى والثالث ثم ملأت وناولت أختها والاخرى ثم ملأت وناولت الحمال فأخذ الحمال منها الكأس وأنشد هذا الشعر

اشرب الراح فائزا بالعوافى * ان هذا الشراب للداء شافى

وقال أيضا هذا البيت

لا

لا يشرب الراح الا من به طرب * يكون بالسكر فى أفراحه وافى

وبعد هذا الشعر قبل أيديهن وشرب معهن ثم نزل عند صاحبة المحل وقال يا سيدتى أنا عبدك ومملوكك وخدامك وأنشد يقول

على الباب عبد من عبيدك واقف * بجودك والاحسان والشكر عارف

فقالت اشرب هنيأ وعافية فى مجارى الصحة فأخذ الكأس وقبل يدها وترنم بقول الشاعر

ناولتها شبه خديها مشعشعة * حمراء يحكى سناها ضوء مقباس

فقبلتها وقالت وهى ضاحكة * فكيف تسقى خدود الناس للناس

قلت اشربى فهى من دمعى وحمرتها * دمى ومازجها فى الكأس أنفاسى

فأخذت الصبية القدح وشربته ونزلت عند أختها ولازلن والحمال بينهن فى رقص وغناء ومشمومات ولم يزل الحمال معهن فى عناق وتقبيل وهذه تكلمه وهذه تجذبه وهذه بالمشموم تضربه وهو معهن حتى لعبت الخمرة بعقولهم فلما تحكم الشراب معهم قامت البوابة وتجردت من ثيابها وصارت عريانة ثم رمت نفسها فى تلك البحيرة ولعبت فى الماء وأخذت الماء فى فمها وبخت الحمال ثم غسلت أعضاءها وما بين فخذيها ثم طلعت من الماء ورمت نفسها فى حجر الحمال وقالت له يا حبيبى ما اسم هذا وأشارت الى فرجها فقال الحمال رحمك الله فقالت يوه يوه أما تستحى ومسكته من رقبته وصارت تصكه فقال فرجك فقالت غيره فقال كسك فقالت غيره فقال زنبورك فلم تزل تصكه حتى ذاب قفاه ورقبته من الصك ثم قال لها وما اسمه فقالت له حبق الجسور فقال الحمال الحمد لله على السلامة يا حبق الجسور ثم انهم أداروا الكأس والطاس فقامت الثانية وخلعت ثيابها ورمت نفسها فى تلك البحيرة وعملت مثل الاولى وطلعت ورمت نفسها فى حجر الحمال وأشارت الى فرجها وقالت يا نور عينى ما اسم هذا قال فرجك قالت أما يقبح عليك هذا الكلام وصكته كفا طن له سائر ما فى القاعة فقال حبق الجسور فقالت لا والضرب والصك على قفاه فقال لها وما اسمه فقالت له السمسم المقشور ثم قامت الثالثة وخلعت ثيابها ونزلت تلك البحيرة وفعلت مثل من قبلها ثم لبست ثيابها وألقت نفسها فى حجر الحمال وقالت له أيضا ما اسم هذا وأشارت الى فرجها فصار يقول لها كذا وكذا الى أن قال لها وهى تضربه وما اسمه فقالت خان أبى منصور فقال الحمد لله على السلامة يا خان أبى منصور ثم بعد ساعة قام الحمال ونزع ثيابه ونزل فى البحيرة وذكره يسبح فى الماء وغسل مثل ما غسلن ثم طلع ورمى نفسه فى حجر سيدتهن ورمى ذراعيه فى حجر البوابة ورمى رجليه فى حجر الدلالة ثم أشار الى ايره وقال يا سيدتى ما اسم هذا فضحك الكل على كلامه حتى انقلبن على ظهورهن وقلن زبك قال لا وأخذ من كل واحدة عضة قلن ايرك قال لا وأخذ من كل واحدة حضنا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة العاشرة قالت لها أختها دنيازاد يا أختى أتممى لنا حديثك قالت حبا وكرامة قد بلغنى أيها الملك السعيد أنهن لم يزلن يقلن زبك ايرك وهو يقبل ويعض ويعانق وهن يتضاحكن الى أن قلن له وما اسمه قال اسمه البغل الجسور الذى يرعى حبق الجسور ويعلق بالسمسم المقشور ويبيت فى خان أبى منصور فضحكن حتى استلقين على ظهورهن ثم عادوا الى

منادمتهم ولم يزالوا كذلك الى أن أقبل الليل عليهم فقلن للحمال توجه وأرنا عرض أكتافك فقال الحمال والله خروج الروح أهون من الخروج من عندكن دعونا نصل الليل بالنهار وكل منا يروح الى حال سبيله فقالت الدلالة بحياتي عندكن تدعنه ينام عندنا نضحك عليه فانه خليع ظريف فقلن له تبيت عندنا بشرط أن تدخل تحت الحكم ومهما رأيته لا تسأل عنه ولا عن سببه فقال نعم فقلن قم واقرأ ما على الباب مكتوبا فقام الى الباب فوجده مكتوبا عليه بماء الذهب لا تتكلم فيما لا يعنيك تسمع ما لا يرضيك فقال الحمال اشهدوا انى لا أتكلم فيما لا يعنيني ثم قامت الدلالة جهزت لهم مأكولا فأكلوا ثم أوقدوا الشمع والعود وقعدوا في أكل وشرب واذا هم سمعوا دق الباب فلم يختل نظامهم فقامت واحدة منهم الى الباب ثم عادت وقالت قد كمل صفانا في هذه الليلة لانى وجدت بالباب ثلاثة أعجام ذقونهم محلوقة وهم عور بالعين الشمال وهذا من أعجب الاتفاق وهم ناس غرباء قد حضروا من أرض الروم ولكل واحد منهم شكل وصورة نضحكه فان دخلوا نضحك عليهم ولم تزل تتلطف بصاحبتيها حتى قالتا لها دعيهم يدخلون واشرطي عليهم أن لا يتكلموا فيما لا يعنيهم فيسمعوا ما لا يرضيهم ففرحت وراحت ثم عادت ومعها الثلاثة العور ذقونهم محلوقة وشواربهم مبرومة ممشوقة وهم صعاليك فسلموا وتأخروا فقام لهم البنات وأقعدوهم فنظر الثلاثة رجال الى الحمال فوجدوه سكران فلما عاينوه ظنوا أنه منهم وقالوا هو صعلوك مثلنا يؤانسنا فلما سمع الحمال هذا الكلام قام وقلب عينيه وقال لهم اقعدوا بلا فضول أما قرأتم ما على الباب نضحك البنات وقلن لبعضهن اننا نضحك على الصعاليك والحمال ثم وضعن الاكل للصعاليك فأكلوا ثم جلسوا يتنادمون والبوابة تسقيهم وما دار الكأس بينهم قال الحمال للصعاليك يا اخواننا هل معكم حكاية أو نادرة تسلوننا بها فدبت فيهم الحرارة وطلبوا آلات اللهو فأحضرت لهم البوابة دفا وصليا وعودا عراقيا وجنكا عجميا فقام الصعاليك واقفين وأخذ واحد منهم الدف وأخذ واحد العود وأخذ واحد الجنك وضربوا بها وغنت البنات وصار لهم صوت عال فبينما هم كذلك واذا بطارق يطرق الباب فقامت البوابة لتنظر من بالباب وكان السبب فى دق الباب أن فى تلك الليلة نزل الخليفة هرون الرشيد لينظر ويسمع ما يتجدد من الاخبار هو وجعفر وزيره ومسرور سياف نقمته وكان من عادته أن يتنكر فى صفة التجار فلما نزل تلك الليلة ومشى فى المدينة جاءت طريقهم على تلك الدار فسمعوا آلات الملاهى فقال الخليفة لجعفر انى أريد أن ندخل هذه الدار ونشاهد صاحب هذه الاصوات فقال جعفر هؤلاء قوم قد دخل السكر فيهم ونخشى أن يصيبنا منهم شر فقال لا بد من دخولنا وأريد أن تحيل حتى ندخل عليهم فقال جعفر سمعا وطاعة ثم تقدم جعفر وطرق الباب فخرجت البوابة وفتحت الباب فقال لها ياسيدتى نحن تجار من طبرية ولنا فى بغداد عشرة أيام ومعنا تجارة ونحن نازلون فى خان التجار وعزم علينا تاجر فى هذه الليلة فدخلنا عنده وقدم لنا طعاما فأكلنا ثم تنادمنا عنده ساعة ثم أذن لنا بالانصراف فخرجنا بالليل ونحن غرباء فتهنا عن الخان الذى نحن فيه فنرجو من مكارمكم أن تدخلونا هذه الليلة نبيت عندكم ولكم الثواب فنظرت البوابة اليهم فوجدتهم بهيئة التجار وعليهم الوقار فدخلت لصاحبتيها وشاورتهما فقالتا لها أدخليهم فرجعت وفتحت لهم

الباب

الباب فقالوا لها أندخل باذنك قالت ادخلوا فدخل الخليفة وجعفر ومسرور فلما رأتهم البنات قمن لهم وخدمنهم وقلن مرحبا وأهلا وسهلا بأضيافنا ولنا عليكم شرط أن لا تتكلموا فيما لا يعنيكم فتسمعوا ما لا يرضيكم قالوا نعم وبعد ذلك جلسوا للشراب والمنادمة فنظر الخليفة الى الثلاثة الصعاليك فوجدهم عورا بالعين الشمال فتعجب منهم ونظر الى البنات وما هم فيه من الحسن والجمال فتحير وتعجب واستمر وا فى المنادمة والحديث وأتين للخليفة بشراب فقال أنا حاج وانعزل عنهم فقامت البوابة وقدمت له سفرة مزركشة ووضعت عليها باطية من الصينى وسكبت فيها ماء الخلاف وأرخت فيه قطعة من الثلج ومزجته بسكر فشكرها الخليفة وقال فى نفسه لا بد أن أجازيها فى غد على فعلها من صنيع الخير ثم اشتغلوا بمنادمتهم فلما تحكم الشراب قامت صاحبة البيت وخدمتهم ثم أخذت سد الدلالة وقالت يا أختى قومى لنقضى ديننا فقالت لها نعم فعند ذلك قامت البوابة وأطلعت الصعاليك خلف الابواب قدامهن وذلك بعد أن أخلت وسط القاعة ونادين الحمال وقلن له ما أقل مودتك ما أنت غريب بل أنت من أهل الدار فقام الحمال وشد وسطه وقال ماتردن فقلن قف مكانك ثم قامت الدلالة وقالت للحمال ساعدنى فرأى كلبتين من الكلاب السود فى رقبتيهما جنازير فأخذهما الحمال ودخل بهما الى وسط القاعة فقامت صاحبة المنزل وشمرت عن معصمها وأخذت سوطا وقالت للحمال قدم كلبة منهما فجرها فى الجنزير وقدمها والكلبة تبكى وتحرك رأسها الى الصبية فنزلت الصبية عليها بالضرب على رأسها والكلبة تصرخ ولا زالت تضربها حتى كلت سواعدها فرمت السوط من يدها ثم ضمت الكلبة الى صدرها ومسحت دموعها وقبلت رأسها ثم قالت للحمال ردها وهات الثانية فجاء بها وفعلت بها مثل ما فعلت بالاولى فعند ذلك اشتغل قلب الخليفة وضاق صدره وغمز جعفر أن يسألها فقال له بالاشارة اسكت ثم التفتت صاحبة البيت للبوابة وقالت لها قومى لقضاء ما عليك قالت نعم ثم ان صاحبة البيت صعدت على سرير من المرمر مصفح بالذهب والفضة وقالت للبوابة والدلالة اتيا بما عندكما فأما البوابة فانها صعدت على سرير بجانبها وأما الدلالة فانها دخلت مخدعا وأخرجت منه كيسا من الاطلس بأهداب خضر ووقفت قدام الصبية صاحبة المنزل ونفضت الكيس وأخرجت منه عودا وأصلحت أوتاره وأنشدت هذه الأبيات

ردوا على جفنى النوم الذى سلبا * وخبروني بعقلى أية ذهبا
علمت لما رضيت الحب منزلة * أن المنام على جفنى قد غضبا
قالوا عهدناك من أهل الرشاد فما * أغواك قلت الطلبوا من لحظه السببا
انى له عن دمى المسفوك معتذر * أقول حملته فى سفكه تعبا
ألقى بمرآة فكرى شمس صورته * فعكسها شب فى أحشائى اللهبا
من صاغه الله من ماء الحياة وقد * أجرى بقيته فى ثغره شنبا
ماذا ترى فى محب ماذكرت له * الا شكا أو بكى أو حن أو طربا
يرى خيالك فى الماء الزلال اذا * رام الشراب فيروى وهو ماشربا

وأنشدت أيضا

سكرت من لحظه لا من مدامته * ومال بالنوم عن عيني تمايله
فما السلاف سلتني بل سوالفه * وما الشمول شلتني بل شمائله
لوى بعزمي أصداغ لوين له * وغال عقلي بما تحوي غلائله

فلما سمعت الصبية ذلك قالت طيبك الله ثم شقت ثيابها ووقعت على الارض مغشيا عليها فلما انكشف جسدها رأى الخليفة عليه أثر ضرب المقارع والسياط فتعجب من ذلك غاية العجب فقامت البوابة ورشت الماء على وجهها وأتت اليها بحلة وألبستها اياها فقال الخليفة لجعفر أما تنظر الى هذه المرأة وما عليها من أثر الضرب فأنا لا أقدر أن أسكت على هذا ولا أستريح الا ان وقفت على حقيقة خبر هذه الصبية وحقيقة خبر هاتين الكلبتين فقال جعفر يا مولانا قد شرطوا علينا شرطا وهو أن لا نتكلم فيما لا يعنينا فنسمع ما لا يرضينا ثم قامت الدلالة فأخذت العود وأسندته الى نهدها وغمزته بأناملها وأنشدت تقول

ان شكونا الهوى فماذا نقول * أو تلفنا شوقا فماذا السبيل
أو بعثنا رسلا تترجم عنا * ما يؤدي شكوى المحب رسول
أو صبرنا فما لنا من بقاء * بعد فقد الاحباب الا قليل
* ليس الا تأسفا ثم حزنا * ودموعا على الخدود تسيل
أيها الغائبون عن لمح عيني * وهم في الفؤاد مني حلول
هل حفظتم لدى الهوى عهد صب * ليس عنه مدى الزمان يحول
أم نسيتم على التباعد صبا * شفه فيكم الضنى والنحول
واذا الحشر ضمنا أتمنى * من لدن ربنا حسابا يطول

فلما سمعت المرأة الثانية شعر الدلالة شقت ثيابها كما فعلت الاولى وصرخت ثم ألقت نفسها على الارض مغشيا عليها فقامت الدلالة وألبستها حلة ثانية بعد أن رشت الماء على وجهها ثم قامت المرأة الثالثة وجلست على سرير وقالت للدلالة غني لي لأوفي ديني فما بقي غير هذا الصوت فأصلحت الدلالة العود وأنشدت هذه الابيات

فالى متى هذا الصدود وذا الجفا * فلقد جرى من أدمعي ما قد كفى
كم قد أطلت الهجر لي متعمدا * ان كان قصدك حاسدي فقد اشتفى
لو أنصف الدهر الخؤون لعاشق * ما كان يوما للعواذل منصفا
فلمن أبوح بصبوتي يا قاتلي * يا خيبة الشاكي اذا فقد الوفا
ويزيد وجدي في هواك تلهفا * فمتى وعدت ولا رأيتك مخلفا
يا مسلمون خذوا بثار متيم * ألف السهاد لديه طرف ما غفا
أيحل في شرع الغرام تذللي * ويكون غيري بالوصال مشرفا
ولقد كلفت بحبكم متلذذا * وغدا عذولي في الهوى متكلفا

فلما سمعت المرأة الثالثة قصيدتها صرخت وشقت ثيابها وألقت نفسها على الارض مغشيا عليها فلما انكشف جسدها ظهر فيه أثر ضرب المقارع مثل من قبلها فقال الصعاليك لبعضهم ما دخلنا هذه الدار وكابدنا على الكيمان فقد تكدر مبيتنا هنا بشيء يقطع الصلب

فالتفت

فالتفت الخليفة اليهم وقال لهم لم ذلك قالوا قد اشتغل سرنا بهذا الامر فقال الخليفة أما أنتم من هذا البيت قالوا لا ولا ظننا هذا الموضع الا للرجل الذى عندكم فقال الحمال والله ما رأيت هذا الموضع الا هذه الليلة وليتنى بت على السليمان ولم أبت فيه فقال الجميع نحن سبعة رجال وهن ثلاث نسوة وليس لهن رابعة فنسألهن عن حالهن فان لم يجبننا طوعا أجبننا كرها واتفق الجميع على ذلك فقال جعفر ما هذا رأى سديد دعوهن فنحن ضيوف عندهن وقد شرطن علينا شرطا فنوفى به ولم يبق من الليل الا القليل وكل منا يمضى الى حال سبيله ثم انه غمز الخليفة وقال ما بقى غير ساعة وفى غد نحضرهن بين يديك فنسألهن عن قصتهن فأبى الخليفة وقال لم يبق لى صبر عن خبرهن وقد كثر بينهن القيل والقال ثم قالوا ومن يسألهن فقال بعضهم الحمال ثم قال لهم النساء يا جماعة فى أى شئ تتكلمون فقام الحمال لصاحبة البيت وقال لها يا سيدتى سألتك بالله وأقسم عليك به أن تخبرينا عن حال الكلبتين وبأى سبب تعاقبينهما ثم تعودين تبكين وتقبلينهما وأن تخبرينا عن سبب ضرب أختك بالمقارع وهذا سؤالنا والسلام فقالت صاحبة المكان للجماعة أصحيح ما يقوله عنكم فقال الجميع نعم الا جعفرا فانه سكت فلما سمعت الصبية كلامهم قالت والله لقد آذيتمونا يا ضيوفنا الأذية البالغة وتقدم لنا أننا شرطنا عليكم أن من تكلم فيما لا يعنيه سمع ما لا يرضيه أما كفى أننا أدخلناكم منزلنا وأطعمناكم زادنا ولكن لا ذنب لكم وانما الذنب لمن أوصلكم الينا ثم شمرت عن معصمها وضربت الارض ثلاث ضربات وقالت عجلوا واذا بباب خزانة قد فتح وخرج منه سبعة عبيد وبأيديهم سيوف مسلولة فقالت كتفوا هؤلاء الذين كثر كلامهم وار بطوا بعضهم ببعض ففعلوا وقالوا أيتها المخدرة ائذنى لنا فى ضرب رقابهم فقالت أمهلوهم ساعة حتى أسألهم عن حالهم قبل ضرب رقابهم فقال الحمال بالله يا سيدتى لا تقتلينى بذنب الغير فان الجميع أخطؤا ودخلوا فى الذنب الا أنا والله لقد كانت ليلتنا طيبة لو سلمنا من هؤلاء الصعاليك الذين لو دخلوا مدينة عامرة لأخربوها ثم أنشد يقول

ما أحسن الغفران من قادر * لاسيما عن غير ذى ناصر
بحرمة الود الذى بيننا * لا تقتلى الاول بالآخر

فلما فرغ الحمال من كلامه ضحكت الصبية وأدركه شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية عشرة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الصبية لما ضحكت بعد غيظها أقبلت على الجماعة وقالت أخبرونى بخبركم لما بقى من عمركم الا ساعة ولولا أنتم أعزاء أو أكابر قومكم أو حكام لعجلت جزاءكم فقال الخليفة ويلك يا جعفر عرفها بنا والا تقتلنا فقال جعفر من بعض ما نستحق فقال له الخليفة لا ينبغى الهزل فى وقت الجد كل منهما له وقت ثم ان الصبية أقبلت على الصعاليك وقالت لهم هل أنتم اخوة فقالوا لها لا والله ما نحن الا فقراء الحجام فقالت لواحد منهم هل أنت ولدت أعور فقال لا والله وانما قد جرى لى أمر عجيب حين تلفت عينى ولهذا الأمر حكاية لو كتبت بالابر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر فسألت الثانى والثالث فقالا لها مثل الاول ثم قالوا ان كل واحد منا من بلد وان حديثنا عجيب وأمرنا غريب فالتفتت الصبية لهم وقالت كل واحد منكم يحكى حكايته وما سبب

محبته الى مكاننا ثم يملس على رأسه ويروح الى حال سبيله فأول من تقدم الحمال فقال ياسيدتي أنا رجل حمال حملتني هذه الدلالة وأتت بي هنا وجرى لي معكن ماجرى وهذا حديثي والسلام فقالت له ملس على رأسك وروح فقال والله ما أروح حتى أسمع حديث رفقائي فتقدم الصعلوك الاول وقال لها ياسيدتي اعلمي أن سبب حلق ذقني وتلف عيني أن والدي كان ملكا وله أخ وكان أخوه ملكا في مدينة أخرى واتفق أن أمي ولدتني في اليوم الذي ولد فيه ابن عمي ثم مضت سنون وأعوام وأيام حتى كبرنا وكنت أزور عمي في بعض السنين وأقعد عنده أشهرا عديدة فزرته مرة فأكرمني ابن عمي غاية الاكرام وذبح لي الاغنام وروق لي المدام وجلسنا للشراب فلما تحكم الشراب فينا قال لي ابن عمي يا ابن عمي ان لي عندك حاجة مهمة وأريد أن لا تخالفني فيما أريد أن أفعله فقلت له حبا وكرامة فاستوثق مني بالايمان العظام ونهض من وقته وساعته وغاب قليلا ثم عاد وخلفه امرأة مزينة مطيبة وعليها من الحلل ما يساوي مبلغا عظيما فالتفت الي والمرأة خلفه وقال خذ هذه المرأة واسبقني على الجبانة الفلانية ووصفها لي فعرفتها وقال ادخل بها التربة وانتظرني هناك فلم يمكني المخالفة ولم أقدر على رد سؤاله لأجل اليمين الذي حلفته فأخذت المرأة وسرت الى أن دخلت التربة أنا واياها فلما استقر بنا الجلوس جاء ابن عمي ومعه طاسة فيها ماء وكيس فيه جبس وقدوم ثم انه أخذ القدوم وجاء الى قبر في وسط التربة ففكه ونقض أحجاره الى ناحية التربة ثم حفر بالقدوم في الارض حتى كشف عن طابق قدر الباب الصغير فبان من تحت الطابق سلم معقود ثم التفت الى المرأة بالاشارة وقال لها دونك وما تختارين فنزلت المرأة على ذلك السلم ثم التفت الي وقال يا ابن عمي تمم المعروف اذا نزلت أنا في ذلك الموضع فرد الطابق ورد عليه التراب كما كان وهذا تمام المعروف وهذا الجبس الذي في الكيس وهذا الماء الذي في الطاسة اعجن منه الجبس وجبس القبر في دائر الاحجار كما كان أولا حتى لا يعرفها أحد ولا يقول هذا فتح جديد وبطنه عتيق لان لي سنة كاملة وأنا أعمل فيه وما يعلم به الا الله وهذه حاجتي عندك ثم قال لي لا أوحش الله منك يا ابن عمي ثم نزل على السلم فلما غاب عن عيني قمت ورددت الطابق وفعلت ما أمرني به حتى صار القبر كما كان ثم رجعت الى قصر عمي وكان عمي في الصيد والقنص فنمت تلك الليلة فلما أصبح الصباح تذكرت الليلة الماضية وما جرى فيها بيني وبين ابن عمي وندمت على ما فعلت معه حيث لا ينفع الندم ثم خرجت الى المقابر وفتشت على التربة فلم أعرفها ولم أزل أفتش حتى أقبل الليل ولم أهتد اليها فرجعت الى القصر ولم آكل ولم أشرب وقد اشتغل خاطري بابن عمي من حيث لا أعلم له حالا فاغتممت غما شديدا وبت ليلتي مغموما الى الصباح فخفت ثانيا الى الجبانة وأنا أتفكر فيما فعله ابن عمي وندمت على سماعي منه وقد فتشت في الترب جميعا فلم أعرف تلك التربة ولا زلت التفتيش سبعة أيام فلم أعرف له طريقا فزادني الوسواس حتى كدت أن أجن فلم أجد فرجا دون أن سافرت ورجعت الى أبي فساعة وصولي الى مدينة أبي نهض الي جماعة على باب المدينة وكتفوني فتعجبت كل العجب لاني ابن سلطان المدينة وهم خدم أبي وغلماني ولحقني منهم خوف زائد ففكرت في نفسي ياترى ماجرى على والدي وصرت أسأل الذين كتفوني عن سبب ذلك فلم يردوا علي جوابا ثم بعد حين قال لي بعضهم وكان خادما عندي ان أبانا قد غدر به

الزمان

الزمان وخانته العساكر وقتله الوزير ونحن نترقب وقوعك فأخذوني وأنا غائب عن الدنيا بسبب هذه الأخبار التي سمعتها عن أبي فلما تمثلت بين يدي الوزير الذي قتل أبي وكان بيني وبينه عداوة قديمة وسبب تلك العداوة أني كنت مولعا بضرب البندق فاتفق أني كنت واقفا يوما من الأيام على سطح قصري واذا بطائر نزل على سطح قصر الوزير وكان واقفا هناك فأردت أن أضرب الطير واذا بالبندقة أخطأت الطير وأصابت عين الوزير فأتلفتها بالقضاء والقدر كما قال الشاعر

دع الاقدار تفعل ما تشاء * وطب نفسا بما فعل القضاء
ولا تفرح ولا تحزن بشئ * فان الشئ ليس له بقاء

وكما قال الآخر

مشينا هاخطا كتبت علينا * ومن كتبت عليه خطا مشاها
ومن كانت منيته بأرض * فليس يموت في أرض سواها

ثم قال ذلك الصعلوك فلما أتلفت عين الوزير لم يقدر أن يتكلم لان والدي كان ملك المدينة فهذا سبب العداوة بيني وبينه فلما وقفت قدامه وأنا مكتف أمر بضربي عنقي فقلت له أتقتلني بغير ذنب فقال أي ذنب أعظم من هذا وأشار الى عينه المتلفة فقلت له فعلت ذلك خطأ فقال ان كنت فعلته خطأ فأنا أفعله بك عمدا ثم قال قدموه بين يدي فقدموني بين يديه فمد أصبعه في عيني الشمال فأتلفها فصرت من ذلك الوقت أعور كما ترون ثم كتفني ووضعني في صندوق وقال للسياف تسلم هذا وأشهر حسامك وخذه واذهب به الى خارج المدينة واقتله ودعه للوحوش تأكله فذهب بي السياف وسار حتى خرج من المدينة وأخرجني من الصندوق وأنا مكتوف اليدين مقيد الرجلين وأراد أن يعمي عيني ويقتلني فبكيت وأنشدت هذه الأبيات

جعلتكم درعا حصينا لتمنعوا * سهام العدا عني فكنتم نصالها
وكنت أرجي عند كل ملمة * تخص يميني أن تكونوا شمالها
دعوا قصة العذال عني بمعزل * وخلوا العدا ترمي الي نبالها
اذا لم تقوا نفسي مكايدة العدا * فكونوا سكوتا لا عليها ولا لها

وأنشدت أيضا هذه الابيات

واخوان تخذتهم دروعا * فكانوها ولكن للاعادي
وخلتهم سهاما صائبات * فكانوها ولكن في فؤادي
وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن عن ودادي
وقالوا قد سعينا كل سعي * لقد صدقوا ولكن في فسادي

فلما سمع السياف شعري وكان سياف أبي ولي عليه الاحسان قال ياسيدي كيف أفعل وأنا عبد مأمور ثم قال لي فز بعمرك ولا تعد الى هذه الارض فتهلك وتهلكني معك كما قال الشاعر

ونفسك فز بها ان خفت ضيما * وخل الدار تنعى من بناها
فانك واجد أرضا بأرض * ونفسك لم تجد نفسا سواها
عجبت لمن يعيش بدار ذل * وأرض الله واسعة فلاها
ومن كانت منيته بأرض * فليس يموت في أرض سواها

وما غلظت رقاب الاسد حتى * بأنفسها تولت ما عناها

فلما قال لى ذلك قبلت يديه وما صدقت بالنجاة حتى فررت وهان على تلف عينى بنجاتى من القتل وسافرت حتى وصلت الى مدينة عمى فدخلت عليه وأعلمته بما جرى لوالدى وبما جرى لى من تلف عينى فبكى بكاء شديدا وقال لقد زدتنى هما على همى وغما على غمى فان ابن عمك قد فقد منذ أيام ولم أعلم بما جرى له ولم يخبرنى أحد بخبره وبكى حتى أغمى عليه فلما استفاق قال يا ولدى قد حزنت على ابن عمك حزنا شديدا وأنت زدتنى بما حصل لك ولأبيك غما على غمى ولكن يا ولدى بعينك ولا بروحك ثم انه لم يمكنى السكوت عن ابن عمى الذى هو ولده فأعلمته بالذى جرى له كله ففرح عمى بما قلته له فرحا شديدا عند سماع خبر ابنه وقال أرنى التربة فقلت والله يا عمى لم أعرف مكانها الانى رحت بعد ذلك مرات لأفتش عليها فلم أعرف مكانها ثم ذهبت أنا وعمى الى الجبانة ونظرت يمينا وشمالا فعرفتها ففرحت أنا وعمى فرحا شديدا ودخلت أنا واياه التربة وأزحنا التراب ورفعنا الطابق ونزلت أنا وعمى مقدار خمسين درجة فلما وصلنا الى آخر السلم واذا بدخان طلع علينا فغشى أبصارنا فقال عمى الكلمة التى لا يخاف قائلها وهى لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم مشينا واذا نحن بقاعة ممتلئة دقيقا وحبوبا وماكولا وغير ذلك ورأينا فى وسط القاعة ستارة مسبولة على سرير فنظر عمى الى السرير فوجد ابنه هو والمرأة التى قد نزلت معه صارا فحما أسود وهما متعانقان كأنهما ألقيا فى جب نار فلما نظر عمى ذلك بصق فى وجهه وقال تستحق يا خبيث فهذا عذاب الدنيا وبقى عذاب الآخرة وهو أشد وأبقى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية عشرة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الصعلوك قال للصبية والجماعة والخليفة وجعفر يستمعون الكلام ثم ان عمى ضرب ولده بالنعال وهو راقد كالفحم الاسود فتعجبت من ضربه وحزنت على ابن عمى حيث صار هو والصبية فحما أسود ثم قلت بالله يا عمى خفف الهم عن قلبك فقد اشتغل سرى وخاطرى بما قد جرى لولدك وكيف صار هو والصبية فحما أسود أما يكفيك ما هو فيه حتى تضربه بالنعال فقال يا ابن أخى ان ولدى هذا كان من صغره مولعا بحب أختى وكنت أنهاه عنها وأقول فى نفسى انهما صغيران فلما كبرا وقع بينهما القبيح وسمعت بذلك ولم أصدق ولكنى زجرته زجرا بليغا وقلت له احذر من هذه الفعال القبيحة التى لم يفعلها أحد قبلك ولا يفعلها أحد بعدك والا نبقى بين الملوك بالعار والنقصان الى الممات وتشيع أخبارنا مع الركبان واياك أن تصدر منك هذه الفعال فانى أسخط عليك وأقتلك ثم حجبته عنها وحجبتها عنه وكانت الخبيثة تحبه محبة عظيمة وقد تمكن الشيطان منهما فلما رآنى حجبته فعل هذا المكان الذى تحت الارض خفية وتقل فيه المأكول كما تراه واستغفلنى لما خرجت الى الصيد وأتى هذا المكان فغار عليه وعليها الحق سبحانه وتعالى وأحرقهما ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ثم بكى وبكيت معه وقال لى أنت ولدى عوضا عنه ثم انى تفكرت ساعة فى الدنيا وحوادثها من قتل الوزير والدى وأخذه مكانه وتلف عينى وما جرى لابن عمى من الحوادث الغريبة فبكيت ثم اننا صعدنا ورددنا الطابق والتراب وعملنا القبر كما كان ثم رجعنا الى منزلنا فلم يستقر بنا الجلوس حتى سمعنا دق طبول وبوقات ورجت الابطال وامتلأت الدنيا

بالعجاج

بالحجاج والغبار من حوافر الخيل فحارت عقولنا ولم نعرف الخبر فسأل الملك عن الخبر فقيل ان
وزير أخيك قتله وجميع العسكر والجنود وجاء بعسكره ليهجموا على المدينة فى غفلة وأهل
المدينة لم يكن لهم طاقة بهم فسلموا اليه فقلت فى نفسى متى وقعت أنا فى يده قتلنى وتراكمت على
الاحزان وتذكرت الحوادث التى حدثت لأبى وأمى ولم أعرف كيف العمل فان ظهرت عرفنى أهل
المدينة وعسكر أبى فيسعون فى قتلى وهلاكى فلم أجد شيأ أنجو به الا حلق ذقنى فحلقتها وغيرت
ثيابى وخرجت من المدينة وقصدت هذه المدينة والسلام لعلّ أحدا يوصلنى الى أمير المؤمنين
وخليفة رب العالمين حتى أحكى له قصتى وما جرى لى فوصلت الى هذه المدينة فى هذه الليلة
فوقفت حائرا ولم أدر أين أمضى واذا بهذا الصعلوك واقف فسلمت عليه وقلت له أنا غريب فقال
وأنا غريب أيضا فبينما نحن كذلك واذا برفيقنا هذا الثالث جاءنا وسلم علينا وقال أنا غريب
فقلنا له ونحن غريبان فحشينا وقد هجم علينا الظلام فساقنا القدر اليكم وهذا سبب حلق ذقنى
وتلف عيشى فقالت الصبية ملس على رأسك ورح فقال لها لا أروح حتى أسمع خبر غيرى
فتعجبوا من حديثه فقال الخليفة لجعفر والله أنا ما رأيت مثل الذى جرى لهذا الصعلوك ثم
تقدم الصعلوك الثانى وقبل الارض وقال ياسيدى أنا ما ولدت أعور وانما لى حكاية عجيبة
لو كتبت بالابر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر فأنا ملك ابن ملك وقرأت القرآن على
سبع روايات وقرأت الكتب على أربابها من مشايخ العلم وقرأت علم النجوم وكلام الشعراء
واجتهدت فى سائر العلوم حتى فقت أهل زمانى فعظم حظى عند سائر الكتبة وشاع ذكرى
فى سائر الاقاليم والبلدان وشاع خبرى عند سائر الملوك فسمع بى ملك الهند فأرسل يطلبنى من
أبى وأرسل اليه هدايا وتحفا تصلح للملوك فجهزنى أبى فى ست مراكب وسرنا فى البحر مدة شهر
كامل حتى وصلنا الى البر وأخرجنا خيلا كانت معنا فى المركب وحملنا عشرة جمال هدايا
ومشينا قليلا واذا بغبار قد علا وثار حتى سدّ الاقطار واستمر ساعة من النهار ثم انكشف
فبان من تحته ستون فارسا وهم ليوث عوابس فتأملناهم واذا هم عرب قطاع طريق فلما رأونا
ونحن نفر قليل ومعنا عشرة أحمال هدايا لملك الهند رمحوا علينا وأشرعوا الرماح بين أيديهم
نحونا فأشرنا اليهم بالاصابع وقلنا لهم نحن رسل الى ملك الهند المعظم فلا تؤذونا فقالوا نحن
لسنا فى أرضه ولا تحت حكمه ثم انهم قتلوا بعض الغلمان وهرب الباقون وهربت أنا بعد أن
جرحت جرحا بليغا واشتغلت عنا العرب بالمال والهدايا التى كانت معنا فسرت لا أدرى أين
أذهب وكنت عزيزا فصرت ذليلا وسرت الى أن أتيت رأس الجبل فدخلت مغارة حتى طلع
النهار ثم سرت منها حتى وصلت الى مدينة عامرة بالخير قد ولى عنها الشتاء ببرده وأقبل عليها
الربيع بورده ففرحت بوصولى اليها وقد تعبت من المشى وعلانى الهمّ والاصفرار فتغيرت
حالتى ولا أدرى أين أسلك فمشيت الى خياط فى دكان وسلمت عليه فردّ علىّ السلام ورحب بى
وباسطنى وسألنى عن سبب غربتى فأخبرته بما جرى لى من أوله الى آخره فاغتمّ لاجلى وقال يا فتى
لا تظهر ما عندك فانى أخاف عليك من ملك هذه المدينة لانه أكبر أعداء أبيك وله عنده ثار ثم
أحضر لى ما كولا ومشروبا فأكلت وأكل معى وتحادثت معه فى الليل وأخلى لى محلا فى جانب
حانوته وأتانى بما أحتاج اليه من فراش وغطاء فأقمت عنده ثلاثة أيام ثم قال لى أما تعرف صنعة

تكتسب بها فقلت له انى فقيه طالب علم كاتب حاسب فقال ان ستعتك فى بلادنا كاسدة وليس
فى مدينتنا من يعرف علما ولا كتابة غير المال فقلت والله لا أدرى شيأ غير الذى ذكرته لك فقال
شد وسطك وخذ فاسا وحبلا واحتطب من البرية حطبا تتقوت به الى أن يفرج الله عنك
ولا تعرف أحدا بنفسك فيقتلوك ثم اشترى لى فاسا وحبلا وأرسلنى مع بعض الحطابين
وأوصاهم على فخرجت معهم واحتطبت فأتيت بحمل على رأسى فبعته بنصف دينار فأكلت
ببعضه وأبقيت بعضه ودمت على هذا الحال مدة سنة ثم بعد السنة ذهبت يوما على عادتى الى
البرية لأحتطب منها ودخلتها فوجدت فيها خميلة أشجار فيها حطب كثير فدخلت الخميلة
وأتيت شجرة وحفرت حولها وأزلت التراب عن جذارها فاصطكت الفاس فى حلقة نحاس
فنظفت التراب واذا هى فى طابق من خشب فكشفته فبان تحته سلم فنزلت الى أسفل السلم
فرأيت بابا فدخلته فرأيت قصرا محكم البنيان فوجدت فيه صبية كالدرة السنية تنفى عن
القلب كل هم وغم وبلية فلما نظرت اليها سجدت لخالقها لما أبدع فيها من الحسن والجمال
فنظرت الى وقالت لى أنت أنسى أم جنى فقلت لها انسى فقالت ومن أوصلك الى هذا المكان
الذى لى فيه خمسة وعشرون سنة ما رأيت فيه انسيا أبدا فلما سمعت كلامها وجدت له عذوبة
وقلت لها ياسيدتى أوصلنى الله الى منزلك ولعله يزيل همى وغمى وحكيت لها ما جرى لى من
الاول الى الآخر فصعب عليها حالى وبكت وقالت أنا الاخرى أعلمك بقصتى فاعلم أنى بنت ملك
أقصى الهند صاحب جزيرة الآبنوس وكان قد زوجنى بابن عمى فاختطفنى ليلة زفافى عفريت
اسمه جرجريس بن رجموس بن ابليس فطار بى ونزل فى هذا المكان ونقل فيه كل ما أحتاج اليه
من الحلى والحلل والقماش والمتاع والطعام والشراب وفى كل عشرة أيام يجيئنى مرة
فيبيت هنا ليلة وعاهدنى اذا عرضت لى حاجة ليلا ونهارا أن ألمس بيدى هذين السطرين
المكتوبين على القبة فلما أرفع يدى حتى أراه عندى ومنذ كان عندى له اليوم أربعة أيام وبقى
له ستة أيام حتى يأتى فهل لك أن تقيم عندى خمسة أيام ثم تنصرف قبل مجيئه يوم فقلت نعم
ففرحت ثم نهضت على أقدامها وأخذت بيدى وأدخلتنى من باب مقنطر وانتهت بى الى حمام
لطيف ظريف فلما رأيته خلعت ثيابى وخلعت ثيابها ودخلت فجلست على مرتبة وأجلستنى
معها وأتت بسكر ممسك وسقتنى ثم قدمت لى ما كولا فأكلنا وتحادثنا ثم قالت لى نم واستريح
فانك تعبان فنمت ياسيدتى وقد نسيت ما جرى لى وشكرتها فلما استيقظت وجدتها تكبس
رجلى فدعوت لها وجلسنا نتحادث ساعة ثم قالت والله انى كنت ضيقة الصدر وأنا تحت
الارض وحدى ولم أجد من يحدثنى خمسة وعشرين سنة فالحمد لله الذى أرسلك الى ثم أنشدت

لو علمنا مجيئكم لفرشنا * مهجة القلب أو سواد العيون
وفرشنا خدودنا والتقينا * ليكون المسير فوق الجفون

فلما سمعت شعرها شكرتها وقد تمكنت محبتها فى قلبى وذهب عنى همى وغمى ثم جلسنا
فى مناداة الى الليل فبت معها ليلة ما رأيت مثلها فى عمرى وأصبحنا مسرورين فقلت لها هل
أطلعك من تحت الارض وأريحك من هذا الجنى ففحكت وقالت اقنع واسكت فنى كل عشرة
الى منزلنا فلم يستقر بنا وتسعة لك فقلت وقد غلب على الغرام فأنا فى هذه الساعة أكسر هذه القبة

التى

التى عليها النقش المكتوب لعل العفريت يجىء حتى أقتله فانى موعود بقتل العفاريت فلما سمعت كلامى أنشدت تقول

يا طالبا للفراق مهلا * بحيلة قد كفى اشتياق
اصبر فطبع الزمان غدر * وآخرا صحبة الفراق

فلما سمعت شعرها لم ألتفت لكلامها بل رفست القبة رفسا قويا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة عشرة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الصعلوك الثانى قال للصبية ياسيدتى لما رفست القبة رفسا قويا قالت لى المرأة ان العفريت قد وصل الينا أما حذرتك من هذا والله لقد آذيتنى ولكن انج بنفسك واطلع من المكان الذى جئت منه فمن شدة خوفى نسيت نعلى وفاسى فلما طلعت درجتين التفت لأنظرهما فرأيت الارض قد انشقت وطلع منها عفريت ذو منظر بشع وقال ماهذه الزعجة التى أزعجتينى بها فما مصيبتك فقالت ما أصابنى شئ غير أن صدرى ضاق فأردت أن أشرب شرابا يشرح صدرى فنهضت لاقضى أشغالى فوقعت على القبة فقال لها العفريت تكذبين يا فاجرة ونظر فى القصر يمينا وشمالا فرأى النعل والفاس فقال لها ماهذا الامتاع الانس من جاء اليك فقالت ما نظرتهما الا فى هذه الساعة ولعلهما تعلقا معك فقال العفريت هذا كلام محال لا ينطلى على ياعاهرة ثم انه أعراها وصلبها بين أربعة أوتاد وجعل يعاقبها ويقررها بما كان فلم يهن على أن أسمع بكاءها فطلعت من السلم مذعورا من الخوف فلما وصلت الى أعلى الموضع رددت الطابق كما كان وسترته بالتراب وندمت على ما فعلت غاية الندم وتذكرت الصبية وحسنها وكيف يعاقبها هذا الملعون وهى ايما معه خمسة وعشرون سنة وما عاقبها الا بسببى وتذكرت أبى ومملكته وكيف صرت حطابا فقلت هذا البيت

اذا ما أتاك الدهر يوما بنكبة * فيوما ترى يسرا ويوما ترى عسرا

ثم مشيت الى أن أتيت رفيقى الخياط فلقيته من أجلى على مقالى النار وهو لى فى الانتظار فقال انى بت البارحة وقلبى عندك وخفت عليك من وحش أو غيره فالحمد لله على سلامتك فشكرته على شفقته على ودخلت خلوتى وجعلت أتفكر فيما جرى لى وألوم نفسى على رفسى هذه القبة واذا بصديقى الخياط دخل على وقال لى فى الدكان شخص أعجمى يطلبك ومعه فاسك ونعلك قد جاء بهما الى الخياطين وقال لهم انى خرجت وقت أذان المؤذن لاجل صلاة الفجر فعثرت بهما ولم أعلم لمن هما فدلونى على صاحبهما فدله الخياطون عليك وها هو قاعد فى دكانى فاخرج اليه واشكره وخذ فاسك ونعلك فلما سمعت هذا الكلام اصفر لونى وتغير حالى فبينما أنا كذلك واذا بأرض محلى قد انشقت وطلع منها الاعجمى واذا هو العفريت وقد كان عاقب الصبية غاية العقاب فلم تقر له بشئ فأخذ الفاس والنعل وقال لها ان كنت جرجريس من ذرية ابليس فأنا أجىء بصاحب هذه الفاس والنعل ثم جاء بهذه الحيلة الى الخياطين ودخل على ولم يمهلنى بل اختطفنى وطار وعلا بى ونزل بى وغاص فى الارض وأنا لا أعلم بنفسى ثم طلع بى القصر الذى كنت فيه فرأيت الصبية عريانة والدم يسيل من جوانبها فقطرت عيناى بالدموع فأخذها

العفريت وقال لها ياعاهرة هذا عشيقك فنظرت الى وقالت له لا أعرفه ولا رأيته الا فى هذه الساعة فقال لها العفريت أهذه العقوبة ولم تقرّى فقالت ما رأيته عمرى وما يحل من الله أن أكذب عليه فقال لها العفريت ان كنت لا تعرفينه فخذى هذا السيف واضربى عنقه فأخذت السيف وجاءتنى ووقفت على رأسى فأشرت اليها بحاجبى ودمعى يجرى على وجنتى فنهضت وغمزتنى وقالت أنت الذى فعلت بنا هذا كله فأشرت لها أن هذا وقت العفو ولسان حالى يقول

يترجم طرفى عن لسانى لتعلموا * ويبدو لكم ما كان صدرى يكتم
ولما التقينا والدموع سواجم * خرست وطرفى بالهوى يتكلم
تشير لنا عما تقول بطرفها * وأومى اليها بالبنان فتفهم
حواجبنا تقضى الحوائج بيننا * فنحن سكوت والهوى يتكلم

فلما فهمت الصبية اشارتى رمت السيف من يدها ياسيدتى فنا ولانى العفريت السيف وقال لى اضرب عنقها وأنا أطلقك ولا أنكد عليك فقلت نعم وأخذت السيف وتقدمت بنشاط ورفعت يدى فقالت لى بحاجبها أنا ما قصرت فى حقك فهملت عيناى بالدموع ورميت السيف من يدى وقلت أيها العفريت الشديد والبطل الصنديد اذا كانت امرأة ناقصة عقل ودين لم تستحل ضرب عنقى فكيف يحل لى أن أضرب عنقها ولم أرها عمرى فلا أفعل ذلك أبدا ولو سقيت من الموت كأس الردى فقال العفريت أنتما بينكما مودّة ثم أخذ السيف وضرب يد الصبية فقطعها ثم ضرب الثانية فقطعها ثم قطع رجلها اليمنى ثم قطع رجلها اليسرى حتى قطع أربعها بأربع ضربات وأنا أنظر بعينى فأيقنت بالموت ثم أشارت الى بعينها فرآها العفريت فقال لها قد زنيت بعينك ثم ضربها فقطع رأسها والتفت الى وقال يا انسى نحن فى شرعنا اذا زنت الزوجة يحل لنا قتلها وهذه الصبية اختطفتها ليلة عرسها وهى بنت اثنتى عشرة سنة ولم تعرف أحدا غيرى وكنت أجيئها فى كل عشرة أيام ليلة واحدة فى زىّ رجل أعجمى فلما تحققت أنها خانتنى قتلتها وأما أنت فلم أتحقق أنك خنتنى فيها ولكن لابدّ أنى ما أخليك فى عافية فتمنّ على أىّ ضرر ففرحت باسيدتى غاية الفرح وطمعت فى العفو وقلت له وما أتمناه عليك قال تمنّ على أىّ صورة أسحرك فيها اما صورة كلب واما صورة حمار واما صورة قرد فقلت له وقد طمعت أنه يعفو عنى والله ان عفوت عنى يعفو الله عنك بعفوك عن رجل مسلم لم يؤذك وتضرعت اليه غاية التضرع وبقيت بين يديه وقلت له أنا مظلوم فقال لا تطل على الكلام أمّا القتل فلا تخف منه وأمّا العفو عنك فلا تطمع فيه وأمّا سحرك فلابدّ منه ثم شق الارض وطار بى الى الجوّ حتى نظرت الى الدنيا تحتى كأنها قصعة ماء ثم حطنى على جبل وأخذ قليلا من التراب وهمهم عليه وتكلم ورشنى وقال اخرج من هذه الصورة الى صورة قرد فى ذلك الوقت صرت قردا ابن مائة سنة فلما رأيت نفسى فى هذه الصورة القبيحة بكيت على روحى وصبرت على جور الزمان وعلمت أن الزمان ليس لأحد وانحدرت من أعلى الجبل الى أسفله وسافرت مدّة شهر ثم ذهبت الى شاطئ البحر المالح فوقفت ساعة واذا أنا بمركب فى وسط البحر قد طاب ريحها وهى قاصدة البرّ فاختفيت خلف صخرة على جانب البحر وسرت الى أن أتيت وسط المركب فقال

واحد

واحد منهم أخرجوا هذا المشؤم من المركب وقال واحد منهم نقتله وقال آخر أقتله بهذا السيف فأمسكت طرف السيف وبكيت وسالت دموعي فحن علي الريس وقال لهم يا تجار ان هذا القرد استجارني وقد أجرته وهو في جواري فلا أحد يتعرض له ولا يشوش عليه ثم ان الريس صار يحسن الي ومهما تكلم به أفهمه وأقضي حوائجه كلها وأخدمه في المركب وقد طاب لها الريح مدة خمسين يوما فرسينا على مدينة عظيمة وفيها عالم كثير لا يحصى عددهم الا الله تعالى فساعة وصولنا أوقفنا مركبنا فجاء تنا مماليك من طرف ملك المدينة فنزلوا المركب وهنوا التجار بالسلامة وقالوا ان ملكنا يهنيكم بالسلامة وقد أرسل اليكم هذا الدرج الورق وقال كل واحد منكم يكتب فيه سطرا فقمت وأنا في صورة القرد وخطفت الدرج من أيديهم فخافوا أني أقطعه وأرميه في الماء فنهروني وأرادوا قتلي فأشرت لهم أني أكتب فقال لهم الريس دعوه يكتب فان خبط الكتابة طردناه عنا وان أحسنها اتخذته ولدا فاني ما رأيت قردا أفهم منه ثم أخذت القلم واستمديت الحبر وكتبت سطرا بقلم الرقاع ورقمت هذا الشعر

لقد كتب الدهر فضل الكرام * وفضلك للان لا يحسب
فلا أيتم الله منك الورى * لأنك للفضل نعم الاب

وكتبت بالقلم الريحاني هذا الشعر

له قلم عم الأقاليم نفعه * لتوقيعه للعالمين منافع
وخمسة أنهار أنامله التي * تسيل على الاقطار خمس أصابع

وكتبت بقلم الثلث هذين البيتين

ومامن كاتب الا سيفنى * ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بخطك غير شئ * يسرك في القيامة أن تراه

وكتبت تحته بقلم المشق هذين البيتين

اذا فتحت دواة العز والنعم * فاجعل مدادك من جود ومن كرم
واكتب بخير اذا ما كنت مقتدرا * بذا تشرفت فضلا نسبة القلم

ثم ناولتهم ذلك الدرج الورق فطلعوا به الى الملك فلما تأمل الملك ما في ذلك الدرج لم يعجبه خط أحد الاخطي فقال لأصحابه توجهوا الى صاحب هذا الخط وألبسوه هذه الحلة وأركبوه بغلة وهاتوه بالنوبة وأحضروه بين يدي فلما سمعوا كلام الملك تبسموا فغضب منهم ثم قال كيف آمركم بأمر فتضحكون علي فقالوا أيها الملك ما نضحك على كلامك بل الذي كتب هذا الخط قرد وليس هو آدميا وهو مع ريس المركب فتعجب الملك من كلامهم واهتز من الطرب وقال أريد أن أشتري هذا القرد ثم بعث رسلا الى المركب ومعهم البغلة والحلة وقال لا بد أن تلبسوه هذه الحلة وتركبوه البغلة وتأتوا به فساروا الى المركب وأخذوني من الريس وألبسوني الحلة فاندهش الخلائق وسارو ا يتفرجون علي فلما طلعوا بي الى الملك ورأيته قبلت الارض بين يديه ثلاث مرات فأمرني بالجلوس فجلست على ركبتي فتعجب الحاضرون من أدبي وكان الملك أكثرهم تعجبا ثم ان الملك أمر الخلق بالانصراف فانصرفوا ولم يبق الا الملك والطواشي ومملوك صغير وأنا ثم أمر الملك بطعام فقدموا سفرة طعام فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الأعين فأشار

الى الملك أن كل فقمت وقبلت الارض بين يديه سبع مرات وجلست آكل معه وقدار تفعت السفرة وذهبت فغسلت يدى وأخذت الدواة والقلم والقرطاس وكتبت هذين البيتين

أنا جرالضأن ترياق من العلل * وأصحن الحلو فيها منتهى أملى
يا لهف قلبى على مدّ السماط اذا * ماجت كافته بالسمن والعسل

وكتبت أيضا هذين البيتين

اليك اشتياقى يا كافة زائد * وليس غنى لى عنك كلا ولا صبر
فلا زلت أكلى كل يوم وليلة * ولا زال منهلا بجرعائك القطر

ثم قمت وجلست بعيدا فنظر الملك الى ما كتبته وقرأه فتعجب وقال هل يكون عند قرد هذه الفصاحة وهذا الخط والله ان هذا من أعجب العجب ثم قدم للملك شطرنج فقال لى الملك أتلعب قلت برأسى نعم فتقدمت وصففت الشطرنج ولعبت معه مرتين فغلبته فحار عقل الملك وقال لو كان هذا آدميا لفاق أهل زمانه ثم قال لخادمه اذهب الى سيدتك وقل لها كلمى الملك حتى تجىء فتتفرج على هذا القرد العجيب فذهب الطواشى وعاد ومعه سيدته بنت الملك فلما نظرت الىّ غطت وجهها وقالت يا أبى كيف طاب على خاطرك أن ترسل الىّ فيرانى الرجال الاجانب فقال يا بنتى ما عندى سوى المملوك الصغير والطواشى الذى ربالك وهذا القرد وأنا أبوك فمن تغطين وجهك فقالت ان هذا القرد ابن ملك واسم أبيه ايمار صاحب جزائر الآبنوس الداخلة وهو مسحور سحره العفريت جرجريس الذى هو من ذرية ابليس وقد قتل زوجته بنت ملك اقناموس وهذا الذى تزعم أنه قرد انما هو رجل عالم عاقل فتعجب الملك من ابنته ونظر الىّ وقال أحق ما تقول عنك فقلت برأسى نعم و بكيت فقال الملك لبنته من أين عرفت أنه مسحور فقالت يا أبت كان عندى وأنا صغيرة عجوز ماكرة ساحرة علمتنى صناعة السحر وقد حفظته وأتقنته وعرفت مائة وسبعين بابا من أبوابه أقل باب منها أنقل به حجارة مدينتك خلف جبل قاف وأجعلها لجة بحر وأجعل أهلها سمكا فى وسطه فقال أبوها بحق اسم الله عليك أن تخلصى لنا هذا الشاب حتى أجعله وزيرى وهل فيك هذه الفضيلة ولم أعلم فخلصيه حتى أجعله وزيرى لانه شاب ظريف لبيب فقالت له حبا وكرامة ثم أخذت يدها سكينا وعملت دائرة * وأدرك شهرزاد الصباح * فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة عشرة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الصعلوك قال للصبية يا سيدتى ثم ان بنت الملك أخذت يدها سكينا مكتوبا عليها أسماء عبرانية وخطت بها دائرة فى وسط القصر وكتبت فيها أسماء وطلاسم وعزمت بكلام وقرأت كلاما لا يفهم فبعد ساعة أظلمت علينا جهات القصر حتى ظننا أن الدنيا قد انطبقت علينا واذا بالعفريت قد تدلى علينا فى أقبح صفة بأيد كالمدارى ورجلين كالصوارى وعينين كمشعلين يوقدان نارا ففزعنا منه فقالت بنت الملك لا أهلا بك ولا سهلا فقال العفريت وهو فى صورة أسد يا خائنة كيف خنت اليمين أما تحالفنا على أنه لا يتعرض أحد للآخر فقالت له يا لعين ومن أين لك يمين فقال العفريت خذى ماجاءك ثم انقلب أسدا وفتح فاه وهجم على الصبية فأسرعت وأخذت شعرة من شعرها بيدها وهمهمت بشفتيها فصارت الشعرة سيفا ماضيا وضربت ذلك الاسد نصفين

فصارت

فصارت رأسه عقربا وانقلبت الصبية حية عظيمة وهمت على هذا اللعين وهو فى صفة عقرب
فتقاتلا قتالا شديدا ثم انقلب العقرب عقابا فانقلبت الحية نسرا وصارت وراء العقاب
واستمرت ساعة زمانية ثم انقلب العقاب قطا أسود فانقلبت الصبية ذئبا فتشاحنا فى القصر
ساعة زمانية وتقاتلا قتالا شديدا فرأى القط نفسه مغلوبا فانقلب وصار رمانة حمراء كبيرة
ووقعت تلك الرمانة فى بركة فقصدها الذئب فارتفعت فى الهواء ووقعت على بلاط القصر
فانكسرت وانتثر الحب كل حبة وحدها وامتلأت أرض القصر حبا فانقلب ذلك الذئب ديكا
لأجل أن يلتقط ذلك الحب حتى لا يترك منه حبة فبالامر المقدر تدارت حبة فى جانب
الفسقية فصار الديك يصيح و يرفرف بأجنحته ويشير الينا بمنقاره ونحن لا نفهم ما يقول ثم
صرخ علينا صرخة تخيل لنا منها أن القصر قد انقلب علينا ودار فى أرض القصر كلها حتى
رأى الحبة الذى تدارت فى جانب الفسقية فانقض عليها ليلتقطها واذا بالحبة سقطت فى وسط
الماء الذى فى البركة فصارت سمكة وقد غاصت فى الماء فانقلب الديك حوتا كبيرا ونزل خلفها
وغاب ساعة واذا بنا قد سمعنا صراخا عاليا فارتجفنا فبعد ذلك طلع العفريت وهو شعلة نار
فألقى من فمه نارا ومن عينيه ومنخريه نارا ودخانا وانقلبت الصبية لجة نار فاردنا أن نغطس
فى ذلك الماء خوفا على أنفسنا من الحريق والهلاك فما نشعر الا والعفريت قد صرخ من
تحت النيران وصار عندنا فى الليوان ونفخ فى وجوهنا بالنار فلحقته الصبية ونفخت فى وجهه
بالنار أيضا فأصابنا الشرر منها ومنه فأما شررها فلم يؤذنا وأما شرره فلحقنى منه شرارة فى عينى
فأتلفتها وأنا فى صورة القرد ولحق الملك شرارة منه فى وجهه فأحرقت نصفه التحتانى بذقنه
وحنكه ووقعت أسنانه التحتانية ووقعت شرارة فى صدر الطواشى فاحترق ومات من وقته
وساعته فأيقنا بالهلاك وقطعنا رجاءنا من الحياة فبينما نحن كذلك واذا بقائل يقول الله
أكبر الله أكبر قد فتح ونصر وخذل من كفر بدين محمد سيد البشر واذا بالقائل بنت الملك قد
أحرقت العفريت فنظرنا اليه فرأيناه قد صار كوم رماد ثم جاءت الصبية الينا وقالت الحقونى
بنطاسة ماء فجاؤا بها اليها فتكلمت عليها بكلام لا نفهمه ثم رشتنى بالماء وقالت اخلص بحق
الحق وبحق اسم الله الاعظم الى صورتك الاولى فصرت بشرا كما كنت أولا ولكن تلفت عينى
فقالت الصبية النار النار يا والدى أنا ما بقيت أعيش لانى موعودة بالقتل ولو كان من الانس
لقتلته من أول الامر وما تعبت الا وقت فرط الرمانة حين لقطت حبها ونسيت الحبة التى فيها
روح الجنى فلو لقطتها لمات من ساعته ولكن ما رأيتها بالقضاء والقدر ولم أشعر الا وهو قد أتى
وجرى لى معه حرب شديد تحت الارض وفى الهواء والماء وكلما فتح على بابا فتحت عليه بابا
أعظم منه الى أن فتح على باب النار وقل من فتح عليه باب النار ونجا منه وانما ساعدنى عليه
القدر حتى أحرقته قبلى وكنت أعهد منه التدين بدين الاسلام وها أنا ميتة والله خليفتى عليكم
ثم انها لم تزل تستغيث من النار واذا بشر رأس قد طلع الى صدرها وطلع الى وجهها فلما
وصل الى وجهها بكت وقالت أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم نظرنا اليها
ورأيناها كوم رماد بجانب كوم العفريت فحزنا عليها وتمنينا لو كنت مكانها ولا أرى ذلك
الوجه الملیح الذى عمل فى هذا المعروف يصير رمادا لكن حكم الله لا يرد فلما رأى الملك ابنته

صارت كوم رماد تنف بقية لحيته واطم على وجهه وشق ثيابه وفعلت كما فعل و بكينا عليها ثم جاء الحجاب وأرباب الدولة فوجدوا السلطان فى حالة العدم وعنده كوم رماد افتعجبوا ودار واحول الملك ساعة فلما أفاق أخبرهم بما جرى لابنته مع العفريت فعظمت مصيبتهم وصرخ النساء والجوارى وعملوا العزاء سبعة أيام ثم ان الملك أمر أن يبنى على رماد ابنته قبة عظيمة وأوقدوا فيها الشموع والقناديل وأمار ماد العفريت فانهم أذروه فى الهواء الى لعنة الله ثم مرض السلطان مرضا أشرف منه على الموت واستمر مرضه شهرا وعادت اليه العافية فطلبنى وقال لى يا فتى قد قضينا زماننا فى أهنا عيش آمنين من نوائب الزمان حتى جئتنا فأقبلت علينا الاكدار فليتنا ما رأيناك ولا رأينا طلعتك القبيحة التى بسببها صرنا فى حالة العدم فأولا عدمت ابنتى التى كانت تساوى مائة رجل وثانيا جرى لى من الحريق ما جرى وسدمت أضراسى ومات خادمى ولكن ما يبدلك حيلة بل جرى قضاء الله علينا وعليك والحمد لله حيث خلصتك ابنتى وأهلكت نفسها فاخرج يا ولدى من بلدى وكفى ما جرى بسببك وكل ذلك مقدر علينا وعليك فاخرج بسلام فخرجت يا سيدتى من عنده وما صدقت بالنجاة ولا أدرى أين أتوجه وخطر على قلبى ما جرى لى وكيف خلونى فى الطريق سالما منهم ومشيت شهرا وتذكرت دخولى فى المدينة غريبا واجتماعى بالخياط واجتماعى بالصبية تحت الارض وخلاصى من العفريت بعد أن كان عازما على قتلى وتذكرت ما حصل لى من المبتدا الى المنتهى فحمدت الله وقلت بعينى ولا بروحى ودخلت الحمام قبل أن أخرج من المدينة وحلقت ذقنى وجئت يا سيدتى وفى كل يوم أبكى وأتفكر المصائب التى عاقبتها تلف عينى وكلما أتذكر ما جرى لى أبكى وأنشد هذه الابيات

تحيرت والرحمن لاشك فى أمرى * وحلت بى الاحزان من حيث لا أدرى
سأصبر حتى يعلم الناس أننى * صبرت على شئ أمر من الصبر
وما أحسن الصبر الجميل من التقى * وما قدر المولى على خلقه يجرى
سرائر سرى ترجمان سريرتى * اذا كان سر السر سرك فى سرى
ولو أن مابى بالجبال لهدمت * وبالنار أطفاها وبالريح لم يسر
ومن قال ان الدهر فيه حلاوة * فلابد من يوم أمر من المر

ثم سافرت الاقطار ووردت الامصار وقصدت دار السلام بغداد لعلى أتوصل الى أمير المؤمنين وأخبره بما جرى لى فوصلت الى بغداد هذه الليلة فوجدت أخى هذا الاول واقفا متحيرا فقلت السلام عليك وتحدثت معه واذا بأخينا الثالث قد أقبل علينا وقال السلام عليكم أنا رجل غريب فقلنا له ونحن غريبان وقد وصلنا هذه الليلة المباركة فمشينا نحن الثلاثة وما فينا أحد يعرف حكاية أحد فساقتنا المقادير الى هذا الباب ودخلنا عليكم وهذا سبب حلق ذقنى وتلف عينى فقالت له ان حكايتك غريبة فامسح على رأسك واخرج الى حال سبيلك فقال لا أخرج حتى أسمع حديث رفيقى فتقدم الصعلوك الثالث وقال أيتها السيدة الجليلة ما قصتى مثل قصتهما بل قصتى أعجب وذلك أن هذين جاءهما القضاء والقدر وأما أنا فسبب حلق ذقنى وتلف عينى أننى جلبت القضاء لنفسى والهم لقلبى وذلك أنى كنت ملكا

ابن

ابن ملك ومات والدى وأخذت الملك من بعده وحكمت وعدلت وأحسنت للرعية وكان لى محبة فى السفر فى البحر وكانت مدينتى على البحر والبحر متسع وحولنا جزائر معدة للقتال فاردت أن أتفرج على الجزائر فنزلت فى عشرة مراكب وأخذت معى مؤنة شهر كامل وسافرت عشرين يوما فى ليلة من الليالى هبت علينا رياح مختلفة الى أن لاح الفجر فهدأ الريح وسكن البحر حتى أشرقت الشمس ثم اننا أشرفنا على جزيرة وطلعنا الى البر وطبخنا شيأ نأكله فأكلنا ثم أقمنا يومين وسافرنا عشرين يوما فاختلفت علينا المياه وعلى الريس واستغرب الريس البحر فقلنا للناظور انظر البحر بتأمل فطلع على الصارى ثم نزل ذلك الناظور وقال للريس يا ريس رأيت عن يمينى سمكا على وجه الماء ونظرت الى وسط البحر فرأيت سوادا من بعيد يلوح تارة أسود وتارة أبيض فلما سمع الريس كلام الناظور ضرب الارض بعمامته ونتف لحيته وقال للناس أبشروا بهلاكا جميعا ولا يسلم منا أحد وشرع يبكى وكذلك نحن الجميع نبكى على أنفسنا فقلت أيها الريس اخبرنا بما رأى الناظور فقال ياسيدى اعلم أننا تهنا يوم جاءت علينا الرياح المختلفة ولم يهدأ الريح الا بكرة النهار ثم أقمنا يومين فتهنا فى البحر ولم نزل تائهين احد عشر يوما من تلك الليلة وليس لنا ريح يرجعنا الى ما نحن قاصدون آخر النهار وفى غد نصل الى جبل من حجر أسود يسمى حجر المغناطيس ونحن نا المياه غصبا الى جهته فتتمزق المركب ويروح كل مسمار فى المركب الى الجبل ويلتصق به لان الله وضع فى حجر المغناطيس سرا وهو أن جميع الحديد يذهب اليه وفى ذلك الجبل حديد كثير لا يعلمه الا الله تعالى حتى انه تكسر من قديم الزمان مراكب كثيرة بسبب ذلك الجبل ويلى ذلك البحر قبة من النحاس الاصفر معقودة على عشرة أعمدة وفوق القبة فارس على فرس من نحاس وفى يد ذلك الفارس رمح من نحاس ومعلق فى صدر الفارس لوح من رصاص منقوش عليه أسماء وطلاسم فيها أيها الملك ما دام هذا الفارس راكبا على هذه الفرس تتكسر المراكب التى تفوت من تحته ويهلك ركابها جميعا ويلتصق جميع الحديد الذى فى المركب بالجبل وما الخلاص الا اذا وقع هذا الفارس من فوق تلك الفرس ثم ان الريس ياسيدى بكى بكاء شديدا فتحققنا أننا هالكون لا محالة وكل منا ودع صاحبه فلما جاء الصباح قربنا من ذلك الجبل وساقتنا المياه اليه غصبا فلما صارت المراكب تحته انفتحت وفرت المسامير منها وكل حديد فيها نحو حجر المغناطيس ونحن دائرون حوله فى آخر النهار وتمزقت المركب فمنا من غرق ومنا من سلم ولكن أكثرنا غرق والذين سلموا لم يعلموا ببعضهم لان تلك الامواج واختلاف الارياح أدهشتهم وأما أنا ياسيدى فنجانى الله تعالى لما أراده من مشقتى وعذابى وبلوتى فطلعت على لوح من الالواح فألقاه الريح والامواج الى جبل فأصبت طريقا متطرقا الى أعلاه على هيئة السلالم منقورة فى الجبل فسميت الله تعالى * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة عشرة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الصعلوك الثالث قال للصبية والجماعة مكتفون والعبيد واقفون بالسيوف على رؤسهم ثم انى سميت الله ودعوته وابتهلت اليه وحاولت الطلوع على الجبل وصرت أتمسك بالنقر التى فيه حتى أسكن الله الريح

فى تلك الساعة وأعاننى على الطلوع فطلعت سالما على الجبل وفرحت بسلامتى غاية الفرح
ولم يكن لى دأب الا القبة فدخلتها وصليت فيها ركعتين شكرا لله على سلامتى ثم انى نمت تحت
القبة فسمعت قائلا يقول يا ابن خصيب اذا انتبهت من منامك فاحفر تحت رجليك تجد قوسا
من نحاس وثلاث نشابات من رصاص منقوشا عليها طلاسم فخذ القوس والنشاب وارم
الفارس الذى على القبة وأرح الناس من هذا البلاء العظيم فاذا رميت الفارس يقع فى البحر
ويقع القوس من يدك فخذ القوس وادفنه فى موضعه فاذا فعلت ذلك يطفو البحر ويعلو حتى
يساوى الجبل ويطلع عليه زورق فيه شخص غير الذى رميته فيجيء اليك وفى يده مجداف
فاركب معه ولا تسم الله تعالى فانه يحملك ويسافر بك مدة عشرة أيام الى أن يوصلك الى بحر
السلامة فاذا وصلت هناك تجد من يوصلك الى بلدك وهذا انما يتم لك اذا لم تسم الله ثم
استيقظت من نومى وقمت بنشاط وقصدت الماء كما قال الهاتف وضربت الفارس فرميته فوقع
فى البحر ووقع القوس من يدى فأخذت القوس ودفنته فهاج البحر وعلا حتى ساوى الجبل
الذى أنا عليه فلم ألبث غير ساعة حتى رأيت زورقا فى وسط البحر يقصدنى فحمدت الله تعالى
فلما وصل الى الزورق وجدت فيه شخصا من النحاس فى صدره لوح من الرصاص منقوش
بأسماء وطلاسم فنزلت فى الزورق وأنا ساكت لا أتكلم فحملنى الشخص أول يوم والثانى
والثالث الى تمام عشرة أيام حتى رأيت جزائر السلامة ففرحت فرحا عظيما ومن شدة فرحى
ذكرت الله وسميت وهللت وكبرت فلما فعلت ذلك قذفنى من الزورق فى البحر ثم رجع فى البحر
وكنت أعرف العوم فعمت ذلك اليوم الى الليل حتى كلت سواعدى وتعبت أكتافى وصرت
فى الهلكات ثم تشهدت وأيقنت بالموت وهاج البحر من كثرة الرياح فجاءت موجة كالقلعة
العظيمة فحملتنى وقذفتنى قذفة صرت بها فوق البر لما يريد الله فطلعت البر وعصرت ثيابى
ونشفتها على الارض وبت فلما أصبحت لبست ثيابى وقمت أنظر أين أمشى فوجدت غوطة
فجئتها ودرت حولها فوجدت الموضع الذى أنا فيه جزيرة صغيرة والبحر محيط بها فقلت فى نفسى
كلما أخلص من بلية أقع فى أعظم منها فبينما أنا متفكر فى أمرى وأتمنى الموت اذ نظرت مركبا
فيها ناس فقمت وطلعت على شجرة واذا بالمركب التصقت بالبر وطلع منها عشرة عبيد معهم
مساحى فمشوا حتى وصلوا الى وسط الجزيرة وحفروا فى الارض وكشفوا عن طابق فرفعوا
الطابق وفتحوا بابه ثم عادوا الى المركب ونقلوا منها خبزا ودقيقا وسمنا وعسلا وأغناما وجميع
ما يحتاج اليه الساكن وصار العبيد متردد بين المركب وباب الطابق وهم يحولون من
المركب وينزلون فى الطابق الى أن نقلوا جميع ما فى المركب ثم بعد ذلك طلع العبيد ومعهم ثياب
أحسن ما يكون وفى وسطهم شيخ كبير هرم قد عمر زمنا طويلا وأضعفه الدهر حتى صار فانيا ويد
ذلك الشيخ فى يد صبى قد أفرغ فى قالب الجمال وألبس من الحسن حلة الكمال حتى انه يضرب
بحسنه الامثال وهو كالقضيب الرطب يسحر كل قلب بجماله ويسلب كل لب بكماله فلم
يزالوا ياسيدتى سائرين حتى أتوا الى الطابق ونزلوا فيه وغابوا عن عينى فلما توجهوا قمت ونزلت
من فوق الشجرة ومشيت الى موضع الردم ونبشت التراب ونقلته وصبرت نفسى حتى أزلت
جميع التراب فانكشف الطابق فاذا هو خشب مقدار حجر الطاحون فرفعته فبان من تحته

سلم معقود من حجر فتعجبت من ذلك ونزلت فى السلم حتى انتهيت الى آخره فوجدت شيأ نظيفا ووجدت بستانا وثانيا وثالثا الى تمام تسعة وثلاثين وكل بستان أرى فيه ما يكل عنه الوصف من أشجار وأنهار وأثمار وذخائر ورأيت بابا فقلت فى نفسى ما الذى فى هذا المكان فلا بد أن أفتحه وأنظر ما فيه ثم فتحته فوجدت فيه فرسا مسرجا ملجما مربوطا ففككته وركبته فطار بى الى أن حطنى على سطح وأنزانى وضربنى بذيله فأتلف عينى وفر منى فنزلت من فوق السطح فوجدت عشرة شباب عور فلما رأونى قالوا لا مرحبا بك فقلت لهم أتقبلونى أجلس عندكم فقالوا والله لا نجلس عندنا فخرجت من عندهم حزين القلب باكى العين وكتب الله لى السلامة حتى وصلت الى بغداد فخلقت ذقنى وصرت صعلوكا فوجدت هذين الاثنين الاعورين فسلمت عليهما وقلت لهما أنا غريب فقالا ونحن غريبان فهذا سبب تلف عينى وحلق ذقنى فقالت له امسح على رأسك ورح فقال والله لا أروح حتى أسمع قصة هؤلاء ثم ان الصبية التفتت الى الخليفة وجعفر ومسرور وقالت لهم أخبرونى بخبركم فتقدم جعفر وحكى لها الحكاية التى قالها للبوابة عند دخولهم فلما سمعت كلامه قالت وهبت بعضكم لبعض فخرجوا الى أن صار وافى الزقاق فقال الخليفة للصعاليك يا جماعة الى أين تذهبون فقالوا ما ندرى أين نذهب فقال لهم الخليفة سيروا وبيتوا عندنا وقال لجعفر خذهم وأحضرهم لى غدا حتى ننظر ما يكون فامتثل جعفر ما أمره به الخليفة ثم ان الخليفة طلع الى قصره ولم يحتشم نوم فى تلك الليلة فلما أصبح جلس على كرسى المملكة ودخلت عليه أرباب الدولة فالتفت الى جعفر بعد أن طلعت أرباب الدولة وقال ائتنى بالثلاث صبايا والكابتين والصعاليك فنهض جعفر وأحضرهم بين يديه فأدخل الصبايا تحت الاستار والتفت لهن جعفر وقال لهن قد عفونا عنكن لما أسلفتن من الاحسان الينا ولم تعرفننا فها أنا أعرفكن وأنتن بين يدى الخامس من بنى العباس هرون الرشيد فلا تخبرنه الا حقا فلما سمع الصبايا كلام جعفر عن لسان أمير المؤمنين تقدمت الكبيرة وقالت يا أمير المؤمنين ان لى حديثا لو كتب بالابر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة عشرة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن كبيرة الصبايا لما تقدمت بين يدى أمير المؤمنين قالت ان لى حديثا عجيبا وهو أن هاتين الصبيتين أختاى من أبى من غير أمى فمات والدنا وخلف خمسة آلاف دينار وكنت أنا أصغرهن سنا فتجهز أختاى وتزوجت كل واحدة برجل ومكثنا مدة ثم ان كل واحد من أزواجهما هيأ متجرا وأخذ من زوجته ألف دينار وسافروا مع بعضهم وتركونى فغابوا أربع سنين وضيع زوجاهما المال وخسرا وتركاهما فى بلاد الناس فجاءتانى فى هيئة الشحاتين فلما رأيتهما ذهلت عنهما ولم أعرفهما ثم انى لما عرفتهما قلت لهما ما هذا الحال فقالتا يا أختنا ان الكلام لم يفد الآن وقد جرى القلم بما حكم الله فأرسلتهما الى الحمام وألبست كل واحدة حلة وقلت لهما يا أختى أنتما الكبيرتان وأنا الصغيرة وأنتما عوض عن أبى وأمى والارث الذى نابنى معكما قد جعل الله فيه البركة فكلا من زكاته وأحوالى جليلة وأنا وأنتما سواء وأحسنت اليهما غاية الاحسان فمكثتا عندى مدة سنة كاملة وصار لهما مال من مالى فقالتا ان الزواج خير لنا

وليس لنا صبر عنه فقلت لهما يا أختى لم تريا فى الزواج خيرا فان الرجل الجيد قليل فى هذا الزمان وقد جربتما الزواج فلم يقبلا كلامى وتزوجا بغير رضاى فزوجتهما من مالى وسترتهما ومضتا مع زوجيهما فأقاموا مدة يسيرة ولعب عليهما زوجاهما وأخذا ما كان معهما وسافرا وتركاهما فجاءتا عندى وهما عريانتان واعتذرتا وقالتا لا تؤاخذنا فأنت أصغر منا سنا وأكمل عقلا وما بقينا نذكر الزواج أبدا فقلت مرحبا بكما يا أختى ما عندى أعز منكما وقبلتهما وزدتهما اكراما ولم نزل على هذه الحالة سنة كاملة فأردت أن أجهز لى مركبا الى البصرة فجهزت مركبا كبيرة وحملت فيها البضائع والمتاجر وما أحتاج اليه فى المركب وقلت يا أختى هل لكما أن تقعدا فى المنزل حتى أسافر وأرجع أو تسافرا معى فقالتا نسافر معك فانا لا نطيق فراقك فأخذتهما وسافرنا وكنت قسمت مالى نصفين فأخذت النصف وخبأت النصف الثانى وقلت ربما يصيب المركب شئ ويكون فى العمر مدة فاذا رجعنا نجد شيأ ينفعنا ولم نزل مسافرين أياما وليالى فتاهت بنا المركب وغفل الريس عن الطريق ودخلت المركب بحرا غير البحر الذى نريده ولم نعلم بذلك مدة وطاب لنا الريح عشرة أيام فلاحت لنا مدينة على بعد فقلنا للريس ما اسم هذه المدينة التى أشرفنا عليها فقال والله لا أعلم ولا رأيتها قط ولا سلكت عمرى هذا البحر ولكن جاء الامر بسلامة فما بقى الا أن تدخلوا هذه المدينة وتخرجوا بضائعكم فان حصل لكم بيع فبيعوا وتصرفوا فيها وان لم يحصل لكم بيع نرتاح يومين ونتزود ونسافر فدخلنا المدينة وطلع الريس اليها وغاب ساعة ثم جاءنا وقال قوموا اطلعوا الى المدينة وتعجبوا من صنع الله فى خلقه واستعيذوا من سخطه فطلعنا المدينة فوجدنا كل من فيها ممسوخا حجارة سودا فاندهشنا من ذلك ومشينا فى الاسواق فوجدنا البضائع باقية والذهب والفضة باقيين على حالهما ففرحنا وقلنا لعل هذا يكون له أمر عجيب وتفرقنا فى شوارع المدينة وكل واحد اشتغل عن رفيقه بما فيها من المال والقماش وأما أنا فطلعت الى القلعة فوجدتها محكمة فدخلت قصر الملك فوجدت جميع الأوانى من الذهب والفضة ثم رأيت الملك جالسا وعنده حجابه ونوابه ووزراؤه وعليه من الملابس شئ يتحير فيه الفكر فلما قربت من الملك وجدته جالسا على كرسى مرصع بالدر والجوهر فيه كل درة تضىء كالنجمة وعليه حلة مزركشة بالذهب وواقفا حوله خمسون مملوكا لابسين أنواع الحرير وفى أيديهم السيوف مجردة فلما نظرت لذلك دهش عقلى ثم مشيت ودخلت قاعة الحريم فوجدت فى حيطانها ستائر من الحرير ووجدت الملكة عليها حلة مزركشة باللؤلؤ الرطب وعلى رأسها تاج مكلل بأنواع الجواهر وفى عنقها قلائد وعقود وجميع ما عليها من الملبوس والمصاغ باق على حاله وهى ممسوخة حجرا أسود ووجدت بابا مفتوحا فدخلته ووجدت فيه سلما بسبع درج فصعدته فرأيت مكانا مرخما مفروشا بالبسط المذهبة ووجدت فيه سريرا من المرمر مرصعا بالدر والجوهر ونظرت نورا لامعا فى جهة فقصدتها فوجدت فيها جوهرة مضيئة قدر بيضة النعامة على كرسى صغير وهو يضىء كالشمعة ونورهما ساطع ومفروش على ذلك السرير من أنواع الحرير ما يحير الناظر فلما نظرت الى ذلك تعجبت ورأيت فى ذلك المكان شموعا موقدة فقلت فى نفسى لا بد أن أحدا أوقد هذه الشموع ثم انى مشيت حتى دخلت موضعا غيره وصرت

افتش

أفتش فى الاماكن ونسيت نفسى مما أدهشنى من التعجب من تلك الاحوال واستغرق فكرى الى أن دخل الليل فأردت الخروج فلم أعرف الباب وتهت عنه فعدت الى الجهة التى فيها الشموع الموقدة وجلست على السرير وتغطيت بلحاف بعد أن قرأت شيأ من القرآن وأردت النوم فلم أستطع ولحقنى القلق فلما انتصف الليل سمعت تلاوة القرآن بصوت حسن رقيق فالتفت الى مخدع فرأيت بابه مفتوحا فدخلت الباب ونظرت المكان فاذا هو معبد وفيه قناديل معلقة موقدة وفيه سجادة مفروشة جالس عليها شاب حسن المنظر فتعجبت كيف هو سالم دون أهل المدينة فدخلت وسلمت عليه فرفع بصره وردّ علىّ السلام فقلت له أسألك بحق ما تتلوه من كتاب الله أن تجيبنى عن سؤالى فتبسم وقال أخبرنى أنت عن سبب دخولك هذا المكان وأنا أخبرك بجواب ما تسألنى عنه فأخبرته بخبرى فتعجب من ذلك ثم اننى سألته عن خبر هذه المدينة فقال أمهلنى ثم طبق المصحف وأدخله فى كيس من الاطلس وأجلسنى بجنبه فنظرت اليه فاذا هو كالبدر حسن الاوصاف لين الاعطاف بهىّ المنظر رشيق القدّ أسيل الخدّ زهىّ الوجنات كأنه المقصود من هذه الابيات

رصد المنجم ليله فبداله * قدّ المليح يميس فى برديه
وأمدّه زحل سواد ذوائب * والمسك هادى الخال فى خدّيه
وغدت من المريخ حمرة خدّه * والقوس يرمى النبل من جفنيه
وعطارد أعطاه فرط ذكائه * وأبى السها نظر الوشاة اليه
فغدا المنجم حائرا مما رأى * والبدر باس الارض بين يديه

فنظرت له نظرة أعقبتنى ألف حسرة وأوقدت بقلبى كل جمرة فقلت له يا مولاى أخبرنى عما سألتك فقال سمعا وطاعة اعلم أن هذه المدينة مدينة والدى وجميع أهله وقومه وهو الملك الذى رأيتيه على الكرسى مسوخا حجرا وأما الملكة التى رأيتيها فهى أمى وقد كانوا مجوسا يعبدون النار دون الملك الجبار وكانوا يقسمون بالنار والنور والظل والحرور والفلك الذى يدور وكان أبى ليس له ولد فرزق بى فى آخر عمره فربانى حتى نشأت وقد سبقت لى السعادة وكان عندنا عجوز طاعنة فى السن مسلمة تؤمن بالله ورسوله فى الباطن وتوافق أهلى فى الظاهر وكان أبى يعتقد فيها بما يرى عليها من الامانة والعفة وكان يكرمها ويزيد فى اكرامها وكان يعتقد أنها على دينه فلما كبرت سلمنى أبى اليها وقال خذيه وربيه وعليه أحوال ديننا وأحسنى تربيته وقومى بخدمته فأخذتنى العجوز وعلمتنى دين الاسلام من الطهارة وفرائض الوضوء والصلاة وحفظتنى القرآن فلما أتممت ذلك قالت لى يا ولدى اكتم هذا الامر عن أبيك ولا تعلمه به لئلا يقتلك فكتمته عنه ولم أزل على هذا الحال مدة أيام قلائل وقد ماتت العجوز وزاد أهل المدينة فى كفرهم وعتوهم وضلالهم فبينما هم على ما هم فيه اذ سمعوا منادیا ينادى بأعلى صوت مثل الرعد القاصف سمعه القريب والبعيد يقول يا أهل هذه المدينة ارجعوا عن عبادة النار واعبدوا الملك الجبار فحصل عند أهل المدينة فزع واجتمعوا عند أبى وهو ملك المدينة وقالوا له ما هذا الصوت المزعج الذى سمعناه فاندهشنا من شدّته وهوله فقال لهم لا يهولنكم الصوت ولا يفزعكم ولا يردّكم عن دينكم فمالت قلوبهم الى قول أبى ولم يزالوا مكبين على عبادة النار

واستمروا على طغيانهم مدة سنة حتى جاء ميعاد ما سمعوا الصوت الاول فظهر لهم ثانيا فسمعوه ثلاث مرات على ثلاث سنين فى كل سنة مرة فلم يزالوا عاكفين على ما هم عليه حتى نزل عليهم المقت والسخط من السماء بعد طلوع الفجر فصخوا حجارة سودا وكذلك دوابهم وأنعامهم ولم يسلم من أهل هذه المدينة غيرى ومن يوم جرت هذه الحادثة وأنا على هذه الحالة فى صلاة وصيام وتلاوة قرآن وقد سئمت من الوحدة وما عندى من يؤانسنى فعند ذلك قلت له يا أيها الشاب هل لك أن تروح معى الى مدينة بغداد وتنظر الى العلماء والى الفقهاء فتزداد علما وفقها وأكون أنا جارية لك مع أنى سيدة قومى وحاكمة على رجال وخدم وغلمان وعندى مركب مشحونة بالمتجر وقد رمتنا المقادير على هذه المدينة حتى كان ذلك سببا فى اطلاعنا على هذه الامور وكان النصيب فى اجتماعنا ولم أزل أرغبه فى التوجه حتى أجابنى اليه وأدركنا شهرزاد الصباح * فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة عشرة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الصبية ما زالت تحسن للشاب التوجه معها حتى غلب عليها النوم فنامت تلك الليلة تحت رجليه وهى لا تصدق بما هى فيه من الفرح ثم قالت فلما أصبح الصباح قمنا ودخلنا الى الخزائن وأخذنا ما خف حمله وغلا ثمنه ونزلنا من القلعة الى المدينة فقابلنا العبيد والريس وهم يفتشون على فلما رأونى فرحوا بى وسألونى عن سبب غيابى فأخبرتهم بما رأيت وحكيت لهم قصة الشاب وسبب مسخ أهل هذه المدينة وما جرى لهم فتعجبوا من ذلك فلما رآنى اختاى ومعى ذلك الشاب حسدتانى عليه وصارتا فى غيظ وأضمرتا المكر لى ثم نزلنا المركب وأنا بغاية الفرح وأكثر فرحى بصحبة هذا الشاب وأقمنا ننتظر الريح حتى طاب لنا الريح فنشرنا القلوع وسافرنا فقعد أختاى عندنا وصارتا يتحدثان فقالتا لى يا أختنا ما تصنعين بهذا الشاب الحسن فقلت لهما قصدى أن أتخذه بعلا ثم التفت اليه وأقبلت عليه وقلت يا سيدى قصدى أن أقول لك شيأ فلا تخالفنى فيه فقال سمعا وطاعة ثم التفت الى أختى وقلت لهما يكفينى هذا الشاب وجميع هذه الاموال لكما فقالتا نعم ما فعلت ولكنهما أضمرتا الشر ولم نزل سائرين مع اعتدال الريح حتى خرجنا من بحر الخوف ودخلنا بحر الامان وسافرنا أياما قلائل الى أن قربنا من مدينة البصرة ولاحت لنا أبنيتها فأدركنا المساء فلما أخذنا النوم قامت أختاى وحملتانى أنا والغلام بفراشنا ورمتانا فى البحر فأما الشاب فانه كان لا يحسن العوم فغرق وكتبه الله من الشهداء وأما أنا فكتبت من السالمين فلما سقطت فى البحر رزقنى الله بقطعة خشب فركبتها وضربتنى الامواج الى أن رمتنى على ساحل جزيرة فلم أزل أمشى فى الجزيرة باقى ليلتى فلما أصبح الصباح رأيت طريقا فيه أثر مشى على قدر قدم ابن آدم وتلك الطريق متصلة من الجزيرة الى البر وقد طلعت الشمس فنشفت ثيابى فيها وسرت فى الطريق ولم أزل سائرة الى أن قربت من البر الذى فيه المدينة واذا أنا بحية تقصدنى وخلفها ثعبان يريد هلاكها وقد تدلى لسانها من شدة التعب فأخذتنى الشفقة عليها فعمدت الى حجر وألقيته على رأس الثعبان فمات من وقته ففتشرت الحية جناحين وطارت فى الجو فتعجبت من ذلك وقد تعبت فنمت فى موضعى ساعة فلما أفقت وجدت تحت رجلى جارية وهى تكبس رجلى فجلست واستحييت

منها

منها وقلت لها من أنت وما شأنك فقالت ما أسرع ما نسيتني أنت التي فعلت معي الجميل وقتلت عدوي فأنا الحية التي خلصتيني من الثعبان فاني جنية وهذا الثعبان جني وهو عدوي وما نجاني منه الا أنت فلما نجيتيني منه طرت في الريح وذهبت الى المركب التي رمالك منها أختالك ونقلت جميع ما فيها الى بيتك وأغرقتها وأما أختالك فاني سحرتهما كلبتين من الكلاب السود فاني عرفت جميع ما جرى لك معهما وأما الشاب فانه غرق ثم حملتني أنا والكلبتين وألقتنا فوق سطح داري فرأيت جميع ما كان في المركب من الاموال في وسط بيتي ولم يضع منه شيء ثم ان الحية قالت لي وحق النقش الذي على خاتم سليمان اذا لم تضربي كل واحدة منهما في كل يوم ثلثمائة سوط لآتين وأجعلنك مثلهما فقلت سمعا وطاعة فلم أزل يا أمير المؤمنين أضربهما ذلك الضرب وأشفق عليهما فتعجب الخليفة من ذلك ثم قال للصبية الثانية وأنت ما سبب الضرب الذي على جسدك فقالت يا أمير المؤمنين اني كان لي والدفات وخلف مالا كثيرا فأقمت بعده مدة يسيرة وتزوجت برجل أسعد أهل زمانه فأقمت معه سنة كاملة ومات فورثت منه ثمانين ألف دينار بمقتضى ما خصني بالفريضة الشرعية فعملت عشر بدلات كل بدلة بألف دينار فبينما أنا جالسة في يوم من الأيام اذ دخلت علي عجوز بوجه مسعوط وحاجب مجعوط وعيونها مفجرة وأسنانها مكسرة ومخاطها سائل وعنقها مائل كما قال فيها الشاعر

عجوز النحس ابليس يراها * تعلمه الخديعة من سكوت
تقود من السياسة ألف بغل * اذا نفروا بخيط العنكبوت

وكما قال الآخر

وعجوز لها الكهانة طبع * حللت في الحرام ما لن يحوزا
بعبصت طفلة وليطت فتاة * وزنت كهلة وقادت عجوزا

فلما دخلت العجوز سلمت علي وقالت ان عندي بنتا يتيمة والليلة عملت عرسها وأنا قصدي لك الاجر والثواب فاحضري عرسها فانها مكسورة الخاطر ليس لها الا الله تعالى ثم بكت وقبلت رجلي فأخذتني الرحمة والرأفة فقلت سمعا وطاعة فقالت جهزي نفسك فاني وقت العشاء أجيء وآخذك ثم قبلت يدي وذهبت فقمت وهيأت نفسي وجهزت حالي واذا بالعجوز قد أقبلت وقالت يا سيدتي ان سيدات البلد قد حضرن وأخبرتهن بحضورك ففرحن وهن في انتظارك فقمت وتهيأت وأخذت جواري معي وسرت حتى أتينا الى زقاق هب فيه النسيم وراق فرأينا بوابة مفنطرة بقبة من الرخام مشيدة البنيان وفي داخلها قصر قد قام من التراب وتعلق بالسحاب فلما وصلنا الى الباب طرقته العجوز ففتح لنا ودخلنا فوجدنا دهليزا مفروشا بالبسط معلقا فيه قناديل موقدة وشموع مضيئة وفيه الجواهر والمعادن معلقة فمشينا في الدهليز الى أن دخلنا قاعة لا يوجد لها نظير مفروشة بالفراش الحرير معلقا فيها القناديل الموقدة والشموع المضيئة وفي صدر القاعة سرير من المرمر مرصع بالدر والجوهر وعليه ناموسية من الاطلس واذا بصبية خرجت من الناموسية مثل القمر فقالت لي مرحبا وأهلا وسهلا يا أختي آنستني وجبرت خاطري وأنشدت تقول

لو تعلم الدار من قد زارها فرحت * واستبشرت ثم باست موضع القدم

وأعلنت بلسان الحال قائلة * أهلا وسهلا بأهل الجود والكرم

ثم جلست وقالت لي يا أختي ان لي أخا وقد رآك في بعض الافراح وهو شاب أحسن مني وقد أحبك قلبه حبا شديدا وأعطى هذه العجوز دراهم حتى أتتك وعملت هذه الحيلة لاجل اجتماعي بك وريد أخي أن يتزوجك بسنة الله ورسوله وما في الحلال من عيب فلما سمعت كلامها ورأيت نفسي قد انخزت في الدار قلت للصبية سمعا وطاعة ففرحت وصفقت بيديها وفتحت بابا فخرج منه شاب مثل القمر كما قال الشاعر

قد زاد حسنا تبارك الله * جل الذي صاغه وسواه
قد حاز كل الجمال منفردا * كل الورى في جماله تاهوا
قد كتب الحسن فوق وجنته * أشهد أن لا ملیح الا هو

فلما نظرت اليه مال قلبي له ثم جاء وجلس واذا بالقاضي قد دخل ومعه أربعة شهود فسلموا وجلسوا ثم انهم كتبوا كتابي على ذلك الشاب وانصرفوا فالتفت الشاب الي وقال ليلتنا مباركة ثم قال ياسيدتي اني شارط عليك شرطا فقلت ياسيدي وما الشرط فقام وأحضر لي مصحفا وقال احلفي أنك لا تختاري أحدا غيري ولا تميلي اليه فحلفت له على ذلك ففرح فرحا شديدا وعانقني فأخذت محبته بمجامع قلبي وقدموا لنا السماط فأكلنا وشربنا حتى اكتفينا ودخل علينا الليل فأخذني ونام معي على الفراش وبتنا في عناق الى الصباح ولم نزل على هذه الحالة مدة شهر ونحن في هنا وسرور وبعد الشهر استأذنته في أني أسير الى السوق وأشتري بعض قماش فأذن لي في الرواح فلبست ثيابي وأخذت العجوز معي ونزلت في السوق فجلست على دكان شاب تاجر تعرفه العجوز وقالت لي هذا ولد صغير مات أبوه وخلف له مالا كثيرا ثم قالت له هات أعز ما عندك من القماش لهذه الصبية فقال سمعا وطاعة فصارت العجوز تثني عليه فقلت ما لنا حاجة بثنائك عليه لان مرادنا أن نأخذ حاجتنا منه ونعود الى منزلنا فأخرج لنا ما طلبناه وأعطيناه الدراهم فأبى أن يأخذ شيأ وقال هذه ضيافتكم اليوم عندي فقلت للعجوز ان لم يأخذ الدراهم أعطيه قماشه فقال والله لا آخذ منك شيأ والجميع هدية من عندي في قبلة واحدة فانها عندي أحسن من جميع ما في دكاني فقالت العجوز ما الذي يفيدك من القبلة ثم قالت يا بنتي قد سمعت ما قال هذا الشاب وما يصيبك شيء اذا أخذ منك قبلة وتأخذين ما تطلبينه فقلت لها أما تعرفين أني حالفة فقالت خليه يقبلك وأنت ساكتة ولا عليك شيء وتأخذين هذه الدراهم ولا زالت تحسن لي الامر حتى أدخلت رأسي في الجراب ورضيت بذلك ثم اني غطيت عيني وداريت بطرف ازاري من الناس وحط فمه تحت ازاري على خدي فلما قبلني عضني عضة قوية حتى قطع اللحم من خدي فغشي علي ثم أخذتني العجوز في حضنها فلما أفقت وجدت الدكان مقفولة والعجوز تظهر لي الحزن وتقول ما دفع الله كان أعظم ثم قالت لي قومي بنا الى البيت واعملي نفسك ضعيفة وأنا أجيء اليك بدواء تداوين به هذه العضة فتبرئين سريعا فبعد ساعة قمت من مكاني وأنا في غاية الفكر واشتد بي الخوف ومشيت حتى وصلت الى البيت وأظهرت حالة المرض واذا بزوجي داخل وقال ما الذي أصابك ياسيدتي في هذا الخروج فقلت له ها أنا طيبة فنظر الي وقال لي ما هذا الجرح الذي بخدك وهو في المكان الناعم فقلت اني لما

استأذنتك

استأذنتك وخرجت فى هذا النهار لأشترى القماش زاحمنى جمل حامل حطبا فشرمط ثيابى وجرح خدى كما ترى فان الطريق ضيق فى هذه المدينة فقال غدا أروح للحاكم وأشكوله فيشتق كل حطاب فى المدينة فقلت بالله عليك لا تحمل خطيئة أحد فانى ركبت حمارا فنفر بى فوقعت على الارض فصادفنى عود فخدش خدى وجرحنى فقال غدا أطلع لجعفر البرمكى وأحكى له الحكاية فيقتل كل حمار فى هذه المدينة فقلت هل أنت تقتل الناس كلهم بسببى وهذا الذى جرى لى بقضاء الله وقدره فقال لابد من ذلك وشدد على ونهض قائما وصاح صيحة عظيمة فانفتح الباب وطلع منه سبعة عبيد سود فسحبونى من فرشى ورمونى فى وسط الدار ثم أمر عبدا منهم أن يمسكنى من أكتافى ويجلس على رأسى وأمر الثانى أن يجلس على ركبتى ويمسك رجلى وجاء الثالث وفى يده سيف فقال ياسيدى أأضربها بالسيف فأقسمها نصفين وكل واحد يأخذ قطعة يرميها فى بحر الدجلة فيأكلها السمك وهذا جزاء من يخون الأيمان والمودة وأنشد هذا الشعر

اذا كان لى فيمن أحب مشارك * منعت الهوى روحى ليتلفنى وجدى

وقلت لها يا نفس موتى كريمة * فلا خير فى حب يكون مع الضد

ثم قال للعبد اضربها ياسعد فجرد السيف وقال اذكرى الشهادة وتذكرى ما كان لك من الحوائج وأوصى فان هذا آخر حياتك فقلت له يا عبد الخير تمهل على قليلا حتى أتشهد وأوصى ثم رفعت رأسى ونظرت الى حالى وكيف صرت فى الذل بعد العز فجرت عبرتى وبكيت وأنشدت هذه الابيات

أتممتم فراقى فى الهوى وقعدتم * وأسهرتم جفنى القريح ونمتم

ومنزلكم بين الفؤاد وناظرى * فلا القلب يسلوكم ولا الدمع يكتم

وعاهدتمونى أن تقيموا على الوفا * فلما تملكتم فؤادى غدرتم

ولم ترحموا وجدى بكم وتلهفى * أأنتم صروف الحادثات أمنتم

سألتكم بالله ان مت فاكتبوا * على لوح قبرى ان هذا متيم

لعل شجيا عارفا لوعة الهوى * يمر على قبر المحب فيرحم

فلما فرغت من شعرى بكيت فلما سمع الشعر ونظر الى بكائى ازداد غيظا على غيظه وأنشد هذين البيتين

تركت حبيب القلب لا عن ملامة * ولكن جنى ذنبا يؤدى الى الترك

أراد شريكا فى المحبة بيننا * وايمان قلبى لا يميل الى الشرك

فلما فرغ من شعره بكيت واستعطفته وقلت فى نفسى أتواضع له وألين له الكلام لعله يعفو عنى من القتل ولو كان يأخذ جميع ما أملك ثم شكوت اليه ما أجده وأنشدته هذه الابيات

وحقك لو أنصفتنى ماقتلتنى * ولكن حكم البين ما فيه منصف

وحملتنى ثقل الغرام وانى * لأعجز عن حمل القميص وأضعف

وما عجب اتلاف روحى وانما * عجبت لجسمى بعدكم كيف يعرف

فلما فرغت من شعرى بكيت فنظر لى ونهرنى وشتمنى وأنشد هذه الابيات

تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا * وأظهرتم الهجران ما هكذا كنا

ستتركنا لما تركتم مرامنا * ونصبر عنكم مثل صبركم عنا

ونهوى سواكم مذ جفتم لغيرنا * ونجعل قطع الوصل منكم ولا منا

فلما فرغ من شعره صرخ على العبد وقال له اشطرها نصفين فليس لنا فيها فائدة فلما تقدم العبد الى" أيقنت بالموت ويئست من الحياة وسلمت أمري لله تعالى واذا بالعجوز قد دخلت ورمت نفسها على أقدام الشاب وقبلتهما وقالت يا ولدي بحق تربيتي لك تعفو عن هذه الصبية فانها ما فعلت ذنبا يوجب ذلك وأنت شاب صغير فأخاف عليك من دعائها ثم بكت العجوز ولم تزل تلح عليه حتى قال قد عفوت عنها ولكن لا بد لي أن أعمل فيها أثرا يظهر عليها بقية عمرها ثم أمر العبيد فجذبوني من ثيابي وأحضر قضيبا من سفرجل ونزل به على جسدي بالضرب ولم يزل يضربني ذلك الشاب على ظهري وجنبي حتى غبت عن الدنيا من شدة الضرب وقد يئست من حياتي ثم أمر العبيد أنه اذا دخل الليل يحملونني ويأخذون العجوز معهم ويرمونني في بيتي الذي كنت فيه سابقا ففعلوا ما أمرهم به سيدهم ورموني في بيتي فتعهدت نفسي وداويت جسمي فلما شفيت بقيت أضلاعي كأنها مضروبة بالمقارع كما ترى فاستمريت في مداواة نفسي أربعة أشهر حتى شفيت ثم جئت الى الدار التي جرى لي فيها ذلك الامر فوجدتها خربة ووجدت الرفاق مهدوما من أوله الى آخره ووجدت في موضع الدار كيسا ناولم أعلم سبب ذلك فجئت الى أختي هذه التي من أبي فوجدت عندها هاتين الكلبتين فسلمت عليها وأخبرتها بخبري وبجميع ما جرى لي فقالت لي من ذا الذي من نكبات الزمان سلم الحمد لله الذي جعل الامر بسلامة ثم أخبرتني بخبرها وبجميع ما جرى لها مع أختيها وقعدت أنا وهي لا نذكر خبر الزواج على ألسنتنا ثم صاحبتنا هذه الصبية الدلالة وفي كل يوم تخرج فتشتري لنا ما نحتاج اليه من المصالح واستمرينا على هذه الحالة الى هذه الليلة التي مضت فخرجت أختنا تشتري لنا ما نحتاج اليه من المصالح على جري عادتها فوقع لنا ما وقع من مجيء الحمال والصعاليك ومن مجيئكم في صفة تجار فلما صرنا في هذا اليوم لم نشعر الا ونحن بين يديك وهذه حكايتنا فتعجب الخليفة من هذه الحكاية وجعلها تاريخا مثبتا في خزانته * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة عشرة قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخليفة أمر أن تكتب هذه القصة في الدواوين ويجعلوها في خزانة الملك ثم انه قال للصبية الاولى هل عندكم خبر بالعفريتة التي سحرت أختيك قالت يا أمير المؤمنين انها أعطتني شيأ من شعرها وقالت متى أردت حضوري فأحرقي من هذا الشعر شيأ فأحضر اليك عاجلا ولو كنت خلف جبل قاف فقال الخليفة أحضري لي الشعر فأحضرته الصبية فأخذه الخليفة وأحرق منه شيأ فلما فاحت رائحته اهتز القصر وسمعوا دويا وصلصلة واذا بالجنية حضرت وكانت مسلمة فقالت السلام عليك يا خليفة الله فقال وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقالت اعلم أن هذه الصبية زرعت معي جميلا ولا أقدر أن أكافئها عليه فهي أنقذتني من الموت وقتلت عدوي ورأيت ما فعله معها أختاها غار أيت الا أني أنتقم منهما فسحرتهما كلبتين بعد أن أردت قتلهما فخشيت أن يصعبا علي وان أردت خلاصهما يا أمير المؤمنين أخلصهما كرامة لك ولها فاني من المسلمين فقال لها خلصيهما وبعد ذلك نشرع في أمر الصبية المضروبة ونفحص عن حالها فاذا ظهر لي صدقها آخذت ثارها ممن ظلمها فقالت العفريتة يا أمير المؤمنين أنا أدلك على من فعل بهذه الصبية هذا

الفعل

الفعل وظلمها وأخذ مالها وهو أقرب الناس اليه ثم ان العفريتة أخذت طاسة من الماء وعزمت عليها ورشت وجه الكلبتين وقالت لهما عودا الى صورتكما الاولى البشرية فعادتا صبيتين سبحان خالقهما ثم قالت يا أمير المؤمنين ان الذى ضرب الصبية ولدك الامين فانه كان يسمع بحسنها وجمالها وحكت له العفريتة جميع ماجرى للصبية فتعجب وقال الحمد لله على خلاص هاتين الكلبتين على يدى ثم ان الخليفة أحضر ولده الامين بين يديه وسأله عن قصة الصبية الاولى فأخبره على وجه الحق فأحضر الخليفة القضاة والشهود والصعاليك الثلاثة وأحضر الصبية الاولى وأختيها اللتين كانتا مسحورتين فى صورة كلبتين وزوج الثلاثة للثلاثة الصعاليك الذين أخبر وهم أنهم كانوا ملوكا وعملهم حجابا عنده وأعطاهم ما يحتاجون اليه وأنزلهم فى قصر بغداد وردّ الصبية المضروبة لولده الامين وأعطاها مالا كثيرا وأمر أن تبنى الدار أحسن ما كانت ثم ان الخليفة تزوج بالدلالة ورقد فى تلك الليلة معها فلما أصبح أفرد لها بيتا وجوارى يخدمنها ورتب لها راتبا وشيد لها قصرا ثم قال لجعفر ليلة من الليالى انى أريد أن أتنزل فى هذه الليلة الى المدينة ونسأل عن أحوال الحكام والمتولين وكل من شكا منه أحد عزلناه فقال جعفر سمعا وطاعة فلما نزل الخليفة وجعفر ومسرور وسار وا فى المدينة ومشوا فى الاسواق مرة وابرقاق فرأوا شيخا كبيرا على رأسه شبكة وقفة وفى يده عصا وهو ماش على مهله وينشد هذه الابيات

يقولون لى أنت بين الورى * بعلمك كالليلة المقمره
فقلت دعونى من قولكم * فلا علم الا مع المقدره
فلو رهنونى وعلمى معى * وكل الدفاتر والمحبره
على قوت يوم لما أدركوا * قبول الرهان الى الآخره
فأما الفقير وحال الفقير * وعيش الفقير فما أكدره
وفى الصيف يعجز عن قوته * وفى البرد يدفأ على المجمره
تليه الكلاب اذا ما مشى * ذليلا مهانا لما أحقره
اذا ما شكا حاله لامرئ * وبين عذرا فلن يعذره
اذا كان هذا حياة الفقير * فأصلح ما كان فى المقبره

فلما سمع الخليفة انشاده قال لجعفر انظر هذا الرجل الفقير وانظر هذا الشعر فانه يدل على احتياجه ثم ان الخليفة تقدم اليه وقال له يا شيخ ما حرفتك قال يا سيدى صياد وعندى عائلة وخرجت من بيتى من نصف النهار الى هذا الوقت ولم يقسم الله لى شيأ أقوت به عيالى وقد كرهت نفسى وتمنيت الموت فقال له الخليفة هل لك أن ترجع معنا الى البحر وتقف على شاطئ الدجلة وترمى شبكتك على بختى وكل ما طلع أشتريه منك بمائة دينار ففرح الرجل لما سمع هذا الكلام وقال على رأسى أرجع معكم ثم ان الصياد رجع الى البحر ورمى شبكته وصبر عليها ثم انه جذب الخيط وجرّ الشبكة اليه فطلع فى الشبكة صندوق مقفول ثقيل الوزن فلما نظره الخليفة جسه فوجده ثقيلا فأعطى الصياد مائة دينار وانصرف وحمل الصندوق مسرور هو وجعفر وطلعا به مع الخليفة الى القصر وأوقدوا الشموع والصندوق بين يدى الخليفة فتقدم جعفر ومسرور

وكسروا الصندوق فوجدوا فيه قفة خوص مخيطة بصوف أحمر فقطعوا الخياطة فرأوا فيها
قطعة بساط فرفعوها فوجدوا تحتها ازارا فرفعوا الازار فوجدوا تحته صبية كأنها سبيكة فضة
مقتولة ومقطعة فلما نظرها الخليفة جرت دموعه على خده والتفت الى جعفر وقال يا كلب
الوزراء أتقتل القتلى فى زمنى ويرمون فى البحر ويصيرون متعلقين بذمتى والله لابد أن أقتص
لهذه الصبية ممن قتلها وأقتله وقال لجعفر وحق اتصال نسبى بالخلفاء من بنى العباس ان لم تأتنى
بالذى قتل هذه لأنصفها منه ولأصلبنك على باب قصرى أنت وأربعين من بنى عمك واغتاظ
الخليفة فقال جعفر أمهلنى ثلاثة أيام قال أمهلتك ثم خرج جعفر من بين يديه ومشى فى المدينة
وهو حزين وقال فى نفسه من أين أعرف من قتل هذه الصبية حتى أحضره للخليفة وان
أحضرت له غيره يصير معلقا بذمتى ولا أدرى ما أصنع ثم ان جعفرا جلس فى بيته ثلاثة أيام وفى
اليوم الرابع أرسل اليه الخليفة يطلبه فلما تمثل بين يديه قال له أين قاتل الصبية قال جعفر يا أمير
المؤمنين هل أنا أعلم الغيب حتى أعرف قاتلها فاغتاظ الخليفة وأمر بصلبه على باب قصره وأمر
منادیا أن ينادى فى شوارع بغداد من أراد الفرجة على صلب جعفر البرمكى وزير الخليفة وصلب
أولاد عمه على باب قصر الخليفة فليخرج ليتفرج فخرجت الناس من جميع الحارات ليتفرجوا
على صلب جعفر وصلب أولاد عمه ولم يعلموا سبب ذلك ثم أمر بنصب الخشب فنصبوه وأوقفوهم
تحته لأجل الصلب وصاروا ينتظرون الاذن من الخليفة وصار الخلق يتباكون على جعفر وعلى
أولاد عمه فبينما هم كذلك واذا بشاب حسن نقى الاثواب يمشى بين الناس مسرعا الى أن وقف
بين يدى الوزير وقال له سلامتك من هذه الوقفة ياسيد الامراء وكهف الفقراء أنا الذى قتلت
القتيلة التى وجدتموها فى الصندوق فاقتلنى فيها واقتص لها منى فلما سمع جعفر كلام الشاب
وما أبداه من الخطاب فرح بخلاص نفسه وحزن على الشاب فبينما هم فى الكلام واذا بشيخ
كبير يفسح الناس ويمشى بينهم بسرعة الى أن وصل الى جعفر والشاب فسلم عليهما ثم قال
أيها الوزير لا تصدق كلام هذا الشاب فانه ما قتل هذه الصبية الا أنا فاقتص لها منى فقال الشاب
أيها الوزير ان هذا شيخ كبير خرفان لا يدرى ما يقول وأنا الذى قتلتها فاقتص لها منى فقال
الشيخ يا ولدى أنت صغير تشتهى الدنيا وأنا كبير شبعت من الدنيا وأنا أفديك وأفدى الوزير
وبنى عمه وما قتل الصبية الا أنا فبالله عليك أن تعجل بالاقتصاص منى فلما نظر الى ذلك الامر
تعجب منه وأخذ الشاب والشيخ وطلع بهما عند الخليفة وقال يا أمير المؤمنين قد حضر قاتل
الصبية فقال الخليفة أين هو فقال ان هذا الشاب يقول أنا القاتل وهذا الشيخ يكذبه ويقول لا
بل أنا القاتل فنظر الخليفة الى الشيخ والشاب وقال من منكما قتل هذه الصبية فقال الشاب
ما قتلها الا أنا وقال الشيخ ما قتلها الا أنا فقال الخليفة لجعفر خذ الاثنين واصلبهما فقال جعفر
اذا كان القاتل واحدا فقتل الثانى ظلم فقال الشاب وحق من رفع السماء وبسط الارض
انى أنا الذى قتلت الصبية وهذه أمارة قتلها ووصف ما وجده الخليفة فتحقق عند الخليفة أن
الشاب هو الذى قتل الصبية فتعجب الخليفة وقال ما سبب قتلك هذه الصبية بغير حق وما سبب
اقرارك بالقتل من غير ضرب وقولك اقتصوا لها منى فقال الشاب اعلم يا أمير المؤمنين أن هذه
الصبية زوجتى وبنت عمى وهذا الشيخ أبوها وهو عمى وتزوجت بها وهى بكر فرزقنى الله منها

ثلاثة

ثلاثة أولاد ذكور وكانت تحبني وتخدمني ولم أر عليها شينا فلما كان أول هذا الشهر مرضت مرضا شديدا فأحضرت لها الاطباء حتى حصلت لها العافية فأردت أن أدخلها الحمام فقالت انى أريد شيأ قبل دخول الحمام لانى اشتهيته فقلت لها وما هو فقالت انى أشتهى تفاحة أشمها وأعض منها عضة فطلعت من ساعتى الى المدينة وفتشت على التفاح ولو كانت الواحدة بدينار فلم أجده فبت تلك الليلة وأنا متفكر فلما أصبح الصباح خرجت من بيتى ودرت على البساتين واحدا واحدا فلم أجده فيها فصادفنى خولى كبير فسألته عن التفاح فقال ياولدى هذا شئ قل أن يوجد لانه معدوم ولا يوجد الا فى بستان أمير المؤمنين الذى فى البصرة وهو عند الخولى يدخره للخليفة فجئت الى زوجتى وقد حملتنى محبتى اياها على أن هيأت نفسى وسافرت خمسة عشر يوما ليلا ونهارا فى الذهاب والاياب وجئت لها بثلاث تفاحات اشتريتها من خولى البصرة بثلاثة دنانير ثم انى دخلت وناولتها اياها فلم تفرح بها بل تركتها فى جانبها وكان مرض الحمى قد اشتد بها ولم تزل فى ضعفها الى أن مضى لها عشرة أيام وبعد ذلك عوفيت فخرجت من البيت وذهبت الى دكانى وجلست فى بيعى وشرائى فبينما أنا جالس فى وسط النهار واذا بعبد أسود مر على وفى يده تفاحة يلعب بها فقلت له من أين أخذت هذه التفاحة حتى آخذ مثلها فضحك وقال أخذتها من حبيبى وأنا كنت غائبا وجئت فوجدتها ضعيفة وعندها ثلاث تفاحات فقالت ان زوجى الدبوث سافر من شأنها الى البصرة فاشتراها بثلاثة دنانير فأخذت منها هذه التفاحة فلما سمعت كلام العبد يا أمير المؤمنين اسودت الدنيا فى وجهى وقفلت دكانى وجئت الى البيت وأنا فاقد العقل من شدة الغيظ فلم أجد التفاحة الثالثة فقلت لها أين الثالثة فقالت لا أدرى ولا أعرف أين ذهبت فتحققت قول العبد وقمت أخذت سكينا وركبت على صدرها ونحرتها بالسكين وقطعت رأسها وأعضاءها وحطيتها فى القفة بسرعة وغطيتها بالازار وحطيت عليها شقة بساط وأنزلتها فى الصندوق وقفلته وحملتها على بغلتى ورميتها فى الدجلة بيدى فبالله عليك يا أمير المؤمنين أن تعجل بقتلى قصاصا لها فانى خائف من مطالبتها يوم القيامة فانى لما رميتها فى بحر الدجلة ولم يعلم بها أحد رجعت الى البيت فوجدت ولدى الكبير يبكى ولم يكن له علم بما فعلت فى أمه فقلت له ما يبكيك فقال انى أخذت تفاحة من التفاح الذى عند أمى ونزلت بها الى الزقاق ألعب مع اخوانى واذا بعبد أسود طويل خطفها منى وقال لى من أين جاءتك هذه فقلت له هذه سافر أبى وجاء بها من البصرة من أجل أمى وهى ضعيفة واشترى ثلاث تفاحات بثلاثة دنانير فأخذها منى وضربنى وراح بها فخفت من أمى أن تضربنى من شأن التفاحة فلما سمعت كلام الولد علمت أن العبد هو الذى افترى الكلام الكذب على بنت عمى وتحققت أنها قتلت ظلما ثم انى بكيت بكاء شديدا واذا بهذا الشيخ وهو عمى والدها قد أقبل فأخبرته بما كان فجلس بجانبى وبكى ولم نزل نبكى الى نصف الليل وأقمنا العزاء خمسة أيام ولم نزل الى هذا اليوم ونحن نتأسف على قتلها فبحرمة أحد اذ أن تعجل بقتلى وتقتص لها منى فلما سمع الخليفة كلام الشاب تعجب وقال والله لا أقتل الا العبد الخبيث وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة عشرة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة أقسم أنه لا يقتل

الا العبد لان الشاب معذور ثم ان الخليفة التفت الى جعفر وقال له أحضر لى هذا العبد الخبيث الذى كان سببا فى هذه القضية وان لم تحضره فأنت تقتل عوضا عنه فنزل يبكى و يقول من أين أحضره ولا كل مرة تسلم الجرة وليس لى فى هذا الامر حيلة والذى سلمنى فى الاول يسلمنى فى الثانى والله ما بقيت أخرج من بيتى ثلاثة أيام والحق سبحانه يفعل ما يشاء ثم أقام فى بيته ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أحضر القاضى وأوصى وودع أولاده و بكى واذا برسول الخليفة أتى اليه وقال له ان أمير المؤمنين فى أشد ما يكون من الغضب وأرسلنى اليك وحلف أنه لا يمر هذا النهار الا وأنت مقتول ان لم تحضر له العبد فلما سمع جعفر هذا الكلام بكى و بكت أولاده فلما فرغ من التوديع تقدم الى بنته الصغيرة ليودعها وكان يحبها أكثر من أولاده جميعا فضمها الى صدره وبكى على فراقها فوجد فى جيبها شيأ مكبيا فقال لها ما الذى فى جيبك فقالت له يا أبت تفاحة جاء بها عبد نار يحان ولها معى أربعة أيام وما أعطاها الى حتى أخذ منى دينارين فلما سمع جعفر بذلك العبد والتفاحة فرح وقال يا قريب الفرج ثم انه أمر باحضار العبد فحضر فقال له من أين هذه التفاحة فقال يا سيدى من مدة خمسة أيام كنت ماشيا فدخلت فى بعض أزقة المدينة فنظرت صغارا يلعبون ومع واحد منهم هذه التفاحة فخطفتها منه وضربته فبكى وقال هذه لأمى وهى مريضة واشتهت على أبى تفاحا فسافر الى البصرة وجاء لها بثلاث تفاحات بثلاثة دنانير فأخذت هذه ألعب بها ثم بكى فلم ألتفت اليه وأخذتها وجئت بها هنا فأخذتها سيدتى الصغيرة بدينارين فلما سمع جعفر هذه القصة تعجب لكون الفتنة وقتل الصبية من عبده وأمر بسجن العبد وفرح بخلاص نفسه ثم أنشد هذين البيتين

ومن كانت رزيته بعبد * فما للنفس تجعله فداها

فانك واجد خدما كثيرا * ونفسك لم تجد نفسا سواها

ثم انه قبض على العبد وطلع به الى الخليفة فأمر أن تؤرخ هذه الحكاية وتجعل سيرا بين الناس فقال له جعفر لا تعجب يا أمير المؤمنين من هذه القصة فما هى بأعجب من حديث الوزير نور الدين مع شمس الدين أخيه فقال الخليفة وأى حكاية أعجب من هذه الحكاية فقال جعفر يا أمير المؤمنين لا أحدثك الا بشرط أن تعتق عبدى من القتل فقال قد وهبت لك دمه

﴿حكاية الوزير نور الدين مع شمس الدين أخيه﴾

فقال جعفر اعلم يا أمير المؤمنين أنه كان فى مصر سلطان صاحب عدل واحسان له وزير عاقل خبير له علم بالامور والتدبير وكان شيخا كبيرا وله ولدان كأنهما قمران وكان اسم الكبير شمس الدين واسم الصغير نور الدين وكان الصغير أميز من الكبير فى الحسن والجمال وليس فى زمانه أحسن منه حتى أنه شاع ذكره فى البلاد فكان بعض أهلها يسافر من بلاده الى بلده لأجل رؤية جماله فاتفق أن والدهما مات فحزن عليه السلطان وأقبل على الولدين وقربهما وخلع عليهما وقال لهما أنتما فى مرتبة أبيكما ففرحا وقبلا الارض بين يديه وعملا العزاء لأبيهما شهرا كاملا ودخلا فى الوزارة وكل منهما يتولاها جمعة واذا أراد السلطان السفر يسافر مع واحد منهما فاتفق فى ليلة من الليالى أن السلطان كان عازما على السفر فى الصباح وكانت النوبة للكبير فبينما الاخوان يتحدثان فى تلك الليلة اذ قال الكبير يا أخى قصدى أن أتزوج

أنا

أنا وأنت فى ليلة واحدة فقال الصغير افعل يا أخى ما تريد فانى موافقك على ما تقول واتفقا على ذلك ثم ان الكبير قال لأخيه ان قدر الله وخطبنا بنتين ودخلنا فى ليلة واحدة ووضعتا فى يوم واحد وأراد الله وجاءت زوجتك بغلام وجاءت زوجتى ببنت نزوجهما لبعضهما لانهما أولاد عم فقال نور الدين يا أخى ما تأخذ من ولدى فى مهر بنتك قال آخذ من ولدك فى مهر بنتى ثلاثة آلاف دينار وثلاثة بساتين وثلاث ضياع فان عقد الشاب عقده بغير هذا لا يصح فلما سمع نور الدين هذا الكلام قال ما هذا المهر الذى شرطته على ولدى أما تعلم اننا اخوان ونحن الاثنان وزيران فى مقام واحد وكان الواجب عليك أن تقدم ابنتك لولدى هدية من غير مهر فانك تعلم ان الذكر أفضل من الانثى وولدى ذكر وتذكر به بخلاف ابنتك فقال ومالها قال لانذكر بها بين الامراء ولكن أنت تريد أن تفعل معى على رأى الذى قال ان أردت أن تطرده فاجعل الثمن غاليا وقيل ان بعض الناس قدم على بعض أصحابه فقصده فى حاجة فغلى عليه الثمن فقال له شمس الدين أرالك قد قصرت لانك تعمل ابنك أفضل من بنتى ولا شك أنك ناقص عقل وليس لك أخلاق حيث تذكر شركة الوزارة وأنا ما أدخلتك معى فى الوزارة الا شفقة عليك ولأجل أن تساعدنى وتكون لى معينا ولكن قل ما شئت وحيث صدر منك هذا القول والله لا أزوج بنتى لولدك ولو وزنت ثقلها ذهبا فلما سمع نور الدين كلام أخيه اغتاظ وقال وأنا لا أزوج ابنى ابنتك فقال شمس الدين أنا لا أرضاه لها بعلا ولولا أننى أريد السفر لكنت عملت معك العبر ولكن لما أرجع من السفر يفعل الله ما يريد فلما سمع نور الدين من أخيه ذلك الكلام امتلأ غيظا وغاب عن الدنيا وكتم ما به وبات كل واحد فى ناحية فلما أصبح الصباح برز السلطان للسفر وعدى الى الجزيرة وقصد الاهرام وصحبته الوزير شمس الدين وأما أخوه نور الدين فبات فى تلك الليلة فى أشد ما يكون من الغيظ فلما أصبح الصباح قام وصلى الصبح وعمد الى خزانته وأخذ منها خرجا صغيرا وملأه ذهبا وتذكر قول أخيه واحتقاره اياه وافتخاره عليه فأنشد هذه الابيات

سافر تجد عوضا عمن تفارقه * وانصب فان لذيذ العيش فى النصب
ما فى المقام لذى لب وذى أدب * معزة فاترك الاوطان واغترب
انى رأيت وقوف الماء يفسده * ان جرى طاب أو لم يجر لم يطب
والبدر لولا أفول منه ما نظرت * اليه فى كل حين عين مرتقب
والاسد لولا فراق الغاب ما اقتنصت * والسهم لولا فراق القوس لم يصب
والتبر كالترب ملقى فى أماكنه * والعود فى أرضه نوع من الحطب
فان تغرب هذا عز مطلبه * وان أقام فلا يعلو الى رتب

فلما فرغ من شعره أمر بعض غلمانه أن يشد له بغلة زرزورية عالية سريعة المشى فشدها ووضع عليها سرجا مذهبا بركابات هندية وعباءة من القطيفة الاصبهانية فصارت كأنها عروس مجلية وأمر أن يجعل عليها بساط حرير وسجادة وأن يوضع الخرج من تحت السجادة ثم قال للغلام والعبيد قصدى أن أتفرج خارج المدينة وأروح نواحى القليوبية وأبيت ثلاث ليال فلا يتبعنى منكم أحد فان عندى ضيق صدر ثم أسرع وركب البغلة وأخذ معه شيأ قليلا

من الزاد وخرج من مصر واستقبل البر فلما جاء عليه الظهر حتى دخل مدينة بلبيس فنزل عن بغلته واستراح وأراح البغلة وأكل شيأ وأخذ من بلبيس ما يحتاج اليه وما يعلق به على بغلته ثم استقبل البر فلما جاء عليه الظهر بعد يومين حتى دخل مدينة القدس فنزل عن بغلته واستراح وأراح بغلته وأخرج شيأ أكله ثم حط الخرج تحت رأسه وفرش البساط ونام فى مكان والغيظ غالب عليه ثم انه بات فى ذلك المكان فلما أصبح الصباح ركب وصار يسوق البغلة الى أن وصل الى مدينة حلب فنزل فى بعض الخانات وأقام ثلاثة أيام حتى استراح وأراح البغلة وشم الهواء ثم عزم على السفر وركب بغلته وخرج مسافرا ولا يدرى أين يذهب فلم يزل سائرا الى أن وصل الى مدينة البصرة ليلا ولم يشعر بذلك حتى نزل فى الخان وأنزل الخرج عن البغلة وفرش السجادة وأودع البغلة بعدتها عند البواب وأمره أن يسيرها فأخذها وسيرها فاتفق أن وزير البصرة جالس فى شباك قصره فنظر البغلة ونظر ما عليها من العدة الثمينة فظنها بغلة وزير من الوزراء أو ملك من الملوك فتأمل فى ذلك وحار عقله وقال لبعض غلمانه ائتنى بهذا البواب فذهب الغلام الى البواب وأتى به الى الوزير فتقدم البواب وقبل الارض بين يديه وكان الوزير شيخا كبيرا فقال للبواب من صاحب هذه البغلة وما صفاته فقال البواب ياسيدى ان صاحب هذه البغلة شاب صغير ظريف الشمائل من أولاد التجار عليه هيبة ووقار فلما سمع الوزير كلام البواب قام على قدميه وركب وسار الى الخان ودخل على الشاب فلما رأى نور الدين الوزير قام ما عليه قام على قدميه ولاقاه واحتضنه ونزل الوزير من فوق جواده وسلم عليه فرحب به وأجلسه عنده وقال له ياولدى من أين أقبلت وماذا تريد فقال نور الدين يامولاى انى قدمت من مدينة مصر وكان أبى وزيرا فيها وقد انتقل الى رحمة الله وأخبره بما جرى من المبتدا الى المنتهى ثم قال وقد عزمت فى نفسى انى لا أعود أبدا حتى أنظر جميع المدن والبلدان فلما سمع الوزير كلامه قال له ياولدى لا تطاوع النفس فترميك فى الهلاك فان البلاد خراب وأنا أخاف عليك من عواقب الزمان ثم انه أمر بوضع الخرج على البغلة والبساط والسجادة وأخذ نور الدين معه الى بيته وأنزله فى مكان ظريف وأكرمه وأحسن اليه وحبه حبا شديدا وقال له ياولدى أنا بقيت رجلا كبيرا ولم يكن لى ولد ذكر وقد رزقنى الله بنتا تقار بك فى الحسن ومنعت عنها خطابا كثيرة وقد وقع حبك فى قلبى فهل لك أن تأخذ ابنتى جارية تخدمتك وتكون لها بعلا فان كنت تقبل ذلك أطلع الى سلطان البصرة وأقول له انه ولد أخى وأوصلك اليه حتى أجعلك وزيرا مكانى وألزم أنا بيتى فانى بقيت رجلا كبيرا فلما سمع نور الدين كلام وزير البصرة أطرق برأسه ثم قال سمعا وطاعة ففرح الوزير بذلك وأمر غلمانه أن يصنعوا له طعاما وأن يزينوا قاعة الجلوس الكبيرة المعدة لحضور أكابر الامراء ثم جمع أصحابه ودعا أكابر الدولة وتجار البصرة فحضروا بين يديه وقال لهم انه كان لى أخ وزير بالديار المصرية ورزقه الله ولدين وأنا كما تعلمون رزقنى الله بنتا وكان أخى أوصانى أن أزوج بنتى لاحد أولاده فأجبته الى ذلك فلما استحقت الزواج أرسل الى أحد أولاده وهو هذا الشاب الحاضر فلما جاء بى أحببت أن أكتب كتابه على بنتى ويدخل بها عندى فقالوا نعم ما فعلت ثم شربوا السكر ورشوا ماء الورد وانصرفوا وأما الوزير فانه أمر غلمانه أن يأخذوا نور الدين

ويدخلوا

ويدخلوا به الحمام وأعطاه الوزير بدلة من خاص ملبوسه وأرسل اليه الفوط والطاسات ومجامر البخور وما يحتاج اليه فلما خرج من الحمام لبس البدلة فصار كالبدر ليلة تمامه ثم ركب بغلته ولم يزل سائرا حتى وصل الى قصر الوزير فنزل عن البغلة ودخل على الوزير فقبل يده ورحب به الوزير * وأدرك شهرزاد الصباح * فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للعشرين قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير قام له ورحب به وقال له قم ادخل هذه الليلة على زوجتك وفي غد أطلع بك الى السلطان وأرجو لك من الله كل خير فقام نور الدين ودخل على زوجته بنت الوزير هذا ما كان من أمر نور الدين وأما ما كان من أمر أخيه فانه غاب مع السلطان مدة في السفر ثم رجع فلم يجد أخاه فسأل عنه الخدام فقالوا له من يوم سافرت مع السلطان ركب بغلته بعدة الموكب وقال أنا متوجه الى جهة القليوبية فأغيب يوما أو يومين فان صدري ضاق ولا يتبعني منكم أحد ومن يوم خروجه الى هذا اليوم لم نسمع له خبرا فتشوش خاطر شمس الدين على فراق أخيه واغتم غما شديدا لفقده وقال في نفسه ما سبب ذلك الا اني أغلظت عليه في الحديث ليلة سفري مع السلطان فلعله تغير خاطره وخرج مسافرا فلا بد أن أرسل خلفه ثم طلع وأعلم السلطان بذلك فكتب بطاقات وأرسل بها الى نوابه في جميع البلاد ونور الدين قطع بلادا بعيدة في مدة غياب أخيه مع السلطان فذهبت الرسل بالمكاتيب ثم عادوا ولم يقفوا له على خبر ويئس شمس الدين من أخيه وقال لقد أغظت أخي بكلامي له من جهة زواج الاولاد فليت ذلك لم يكن وما حصل ذلك الا من قلة عقلي وعدم تدبيري ثم بعد مدة يسيرة خطب بنت رجل من تجار مصر وكتب كتابه عليها ودخل بها وقد اتفق أن ليلة دخول شمس الدين على زوجته كانت ليلة دخول نور الدين على زوجته بنت وزير البصرة وذلك بارادة الله تعالى حتى ينفذ حكمه في خلقه وكان الامر كما قالاه فاتفق أن الزوجتين حملتا منهما وقد وضعت زوجة شمس الدين وزير مصر بنتا لايرى في مصر أحسن منها ووضعت زوجة نور الدين ولدا ذكرا لايرى في زمانه أحسن منه كما قال الشاعر

ومهفهف يغني النديم بريقه * عن كأسه الملأى وعن أبريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها * في مقلتيه ووجنتيه وريقه

وقال آخر

انجاءه الحسن كي يقاس به * ينكس الحسن رأسه خجلا
أو قيل ياحسن هل رأيت كذا * يقول أما نظير ذا فلا

فسموه حسنا وفي سابع ولادته صنعوا الولائم وعملوا أسمطة تصلح لاولاد الملوك ثم ان وزير البصرة أخذ معه نور الدين وطلع به الى السلطان فلما صار قدامه قبل الارض بين يديه وكان نور الدين فصيح اللسان ثابت الجنان صاحب حسن واحسان فأنشد قول الشاعر

هذا الذي عم الانام بعدله * وسطا فهد سائر الآفاق
اشكر صنائعه فلست صنائعا * لكنهن قلائد الاعناق
والثم أنامله فلست أناملا * لكنهن مفاتح الارزاق

فأكرمهما السلطان وشكر نور الدين على ما قال وقال لوزيره من هذا الشاب فحكى له الوزير قصته من أولها الى آخرها وقال له هذا ابن أخي فقال له وكيف يكون ابن أخيك ولم نسمع به

فقال يامولانا السلطان انه كان لى أخ وزير بالديار المصرية وقد مات وخلف ولدين فالكبير جلس فى مرتبة والده وزيرا وهذا ولده الصغير جاء عندى وحلفت أنى لا أزوج بنتى الا له فلما جاء زوجته بها وهو شاب وأنا صرت شيخا كبيرا وقل سمعى وعجز تدبيرى والقصد من مولانا السلطان أن يجعله فى مرتبتى فانه ابن أخى وزوج ابنتى وهو أهل للوزارة لانه صاحب رأى وتدبير فنظر السلطان اليه فاعجبه واستحسن رأى الوزير بما أشار عليه من تقديمه فى رتبة الوزارة فأنعم عليه بها وأمر له بخلعة عظيمة وبغلة من خاص مركوبه وعين له الرواتب والجوامك فقبل نور الدين يد السلطان ونزل هو وصهره الى منزلهما وهما فى غاية الفرح وقالا ان قدم هذا المولود مبارك ثم ان نور الدين توجه ثانى يوم الى الملك وقبل الارض وأنشد هذين البيتين

سعادات تجدد كل يوم * واقبال وقد رغم الحسود
فما زالت لك الايام بيضا * وأيام الذى عاداك سود

فأمره السلطان بالجلوس فى مرتبة الوزارة فجلس وتعاطى أمور خدمته ونظر بين الناس فى أمورهم ومحا كما تهم كما جرت به عادة الوزراء وصار السلطان ينظر اليه ويتعجب من أمره وذكاء عقله وحسن تدبيره وتبصر فى أحواله فحبه وقربه اليه ولما انفض الديوان نزل نور الدين الى بيته وحكى لصهره ماوقع ففرح ولم يزل الوزير يربى المولود المسمى حسنا الى أن مضت عليه أيام ولم يزل نور الدين فى الوزارة حتى أنه لا يفارق السلطان فى ليل ولا فى نهار وزاد له الجوامك والجرايات الى أن اتسع عليه الحال وصار له مراكب تسافر من تحت يده بالمتاجر وغيرها وعمر أملاكا كثيرة ودواليب وبساتين الى أن بلغ عمر ولده حسن أربع سنين فتوفى الوزير الكبير والد زوجة نور الدين فأخرجه خرجة عظيمة وواراه فى التراب ثم اشتغل بعد ذلك بتربية ولده فلما بلغ أشده أحضر له فقيها يقرئه فى بيته وأوصاه بتعليمه وحسن تربيته فأقرأه وعلمه فوائد فى العلم بعد أن حفظ القرآن فى مدة سنوات ومازال حسن يزداد جمالا وحسنا واعتدالا كما قال الشاعر

قمر تكامل فى المحاسن وانتهى * فالشمس تشرق من شقائق خده
ملك الجمال بأسره فكأنما * حسن البرية كلها من عنده

وقد رباه الفقيه فى قصر أبيه ومن حين نشأته لم يخرج من قصر الوزارة الى أن أخذه والده الوزير نور الدين يوما من الايام وألبسه بدلة من أفخر ملبوسه وأركبه بغلة من خيار بغاله وطلع به الى السلطان ودخل به عليه فنظر الملك حسن بدر الدين ابن الوزير نور الدين فانبهر من حسنه وأما أهل المملكة فانه لما مر عليهم أول مرة وهو طالع مع أبيه الى الملك تحيروا من فرط حسنه وجماله ورشاقة قده واعتداله وتحققوا فيه معنى قول الشاعر

رصد المنجم ليله فبداله * قد المليح يميس فى برديه
وتأمل الجوزاء اذ نثرت به * حب الجمان يلوح فى عطفيه
وأمده زحل سوادا ذوائب * والمسك هادى الخال فى خديه
وغدت من المريخ حمرة خده * والقوس يرمى النبل من جفنيه

وعطارد

وعطارد أعطاه فرط ذكائه * وأبى السها نظر الوشاة اليه

فغدا النجم حائرا مما رأى * والبدر باس الارض بين يديه

فلما رآه السلطان أحبه وأنعم عليه وقال لابيه ياوزير لا بد أنك تحضره معك فى كل يوم فقال سمعا وطاعة ثم عاد الوزير بولده الى منزله ومازال يطلع به الى السلطان فى كل يوم الى أن بلغ الولد من العمر خمسة عشر عاما ثم ضعف والده الوزير نور الدين فأحضره وقال ياولدى اعلم ان الدنيا دار فناء والآخرة دار بقاء وأريد أن أوصيك وصايا فافهم ما أقول لك واصغ قلبك اليه وصار يوصيه بحسن عشرة الناس وحسن التدبير ثم ان نور الدين تذكر أخاه وأوطانه وبلاده وبكى على فرقة الاحباب وسحت دموعه وقال ياولدى اسمع قولى فان لى أخا يسمى شمس الدين وهو عملك ولكنه وزير بمصر قد فارقته وخرجت على غير رضاه والقصد أنك تأخذ درجا من الورق وتكتب ما أمليه عليك فأحضر قرطاسا وصار يكتب فيه كل ما قاله أبوه فأملى عليه جميع ما جرى له من أوله الى آخره وكتب له تاريخ زواجه ودخوله على بنت الوزير وتاريخ وصوله الى البصرة واجتماعه بوزيرها وكتب وصية موثقة ثم قال لولده احفظ هذه الوصية فان ورقتها فيها أصلك ونسبك ونسبك فان أصابك شئ من الامور فاقصد مصر واستدل على عملك وسلم عليه وأعلمه أنى مت غريبا مشتاقا اليه فأخذ حسن بدر الدين الرقعة وطواها ولفه عليها خرقة مشمعة وخاطها بين البطانة والظهارة وصار يبكى على أبيه من أجل فراقه وهو صغير ومازال نور الدين يوصى ولده حسن بدر الدين حتى طلعت روحه فأقام الحزن فى بيته وحزن عليه السلطان وجميع الامراء ودفنوه ولم يزالوا فى حزن مدة شهرين وولده لم يركب ولم يطلع الديوان ولم يقابل السلطان وأقام مكانه بعض الحجاب وولى السلطان وزيرا جديدا مكانه وأمره أن يختم على أماكن نور الدين وعلى ماله وعلى عماراته وعلى أملاكه فنزل الوزير الجديد وأخذ الحجاب وتوجهوا الى بيت الوزير نور الدين يختمون عليه ويقبضون على ولده حسن بدر الدين ويطلعون به الى السلطان ليعمل فيه ما يقتضى رأيه وكان بين العسكر مملوك من مماليك الوزير نور الدين المتوفى فلم يهن عليه ولد سيده فذهب ذلك المملوك الى حسن بدر الدين فوجده منكس الرأس حزين القلب على فراق والده فأعلمه بما جرى فقال له هل فى الامر مهلة حتى أدخل بيتى فآخذ معى شيأ من الدنيا لأستعين به على الغربة فقال له المملوك انج بنفسك فلما سمع كلام المملوك غطى رأسه بذيله وخرج ماشيا الى أن صار خارج المدينة فسمع الناس يقولون ان السلطان أرسل الوزير الجديد الى بيت وزيره المتوفى ليختم على ماله وأماكنه ويقبض على ولده حسن بدر الدين ويطلع به اليه فيقتله وصارت الناس تتأسف على حسنه وجماله فلما سمع كلام الناس خرج الى غير مقصد ولم يعلم أين يذهب فلم يزل سائرا الى أن ساقته المقادير الى تربة والده فدخل المقبرة ومشى بين القبور الى أن جلس عند قبر أبيه وأزال ذيله من فوق رأسه فبينما هو جالس عند تربة أبيه اذ قدم عليه يهودى من البصرة وقال له ياسيدى مالى أراك متغيرا فقال له انى كنت نائما فى هذه الساعة فرأيت أبى يعاتبنى على عدم زيارتى قبره فقمت وأنا مرعوب وخفت أن يفوت النهار ولم أزره فيصعب على الامر فقال له اليهودى ياسيدى ان أباك كان أرسل مراكب تجارة وقدم منها البعض ومرادى

أن أشترى منك وسق كل مركب قدمت بألف دينار ثم أخرج اليهودى كيسا ممتلئا من الذهب وعد منه ألف دينار ودفعه الى حسن ابن الوزير ثم قال له اليهودى اكتب لى ورقة واختمها فأخذ حسن ابن الوزير ورقة وكتب فيها كاتب هذه الورقة حسن بدر الدين ابن الوزير نور الدين قد باع لليهودى فلان جميع وسق كل مركب وردت من مراكب أبيه المسافرين بألف دينار وقبض الثمن على سبيل التعجيل فأخذ اليهودى الورقة وصار حسن يبكى و يتذكر ما كان فيه من العز والاقبال ثم دخل عليه الليل وأدركه النوم فنام عند قبر أبيه ولم يزل نائما حتى طلع القمر فتدحرجت رأسه عن القبر ونام على ظهره وصار وجهه يلمع فى القمر وكانت المقابر عامرة بالجن المؤمنين فخرجت جنية فنظرت وجه حسن وهو نائم فلما رأته تعجبت من حسنه وجماله وقالت سبحان الله ما هذا الشاب الا كأنه من الحور العين ثم طارت الى الجو تطوف على عادتها فرأت عفريتا طائرا فسلمت عليه وسلم عليها فقالت له من أين أقبلت قال من مصر فقالت له هل لك أن تروح معى حتى تنظر الى حسن الشاب النائم فى المقبرة فقال لها نعم فسارا حتى نزلا فى المقبرة فقالت له هل رأيت فى عمرك مثل هذا فنظر العفريت اليه وقال سبحان من لا شبيه له ولكن يا أختى ان أردت حدثتك بما رأيت فقالت له حدثنى فقال لها انى رأيت مثل هذا الشاب فى اقليم مصر وهى بنت الوزير وقد علم بها الملك فخطبها من أبيها الوزير شمس الدين فقال له يا مولانا السلطان اقبل عذرى وارحم عبرتى فانك تعرف أن أخى نور الدين خرج من عندنا ولا نعلم أين هو وكان شريكى فى الوزارة وسبب خروجه أنى جلست أتحدث معه فى شأن الزواج فغضب منى وخرج مغضبا وحكى للملك جميع ما جرى بينهما ثم قال للملك فكان ذلك سببا لغيظه وأنا حالف أن لا أزوج بنتى الا لابن أخى من يوم ولدتها أمها وذلك نحو ثمان عشرة سنة ومن مدة قريبة سمعت أن أخى تزوج بنت وزير البصرة وجاء منها بولد ولا أزوج بنتى الا له كرامة لأخى ثم انى أرخت وقتا لزواجى وحمل زوجتى وولادة هذه البنت وهى باسم ابن عمها والبنات كثير فلما سمع السلطان كلام الوزير غضب غضبا شديدا وقال له كيف يخطب مثلى من مثلك بنتا فيمنعها منه ولكن بجمعة باردة وحياة رأسى لا أزوجها الا لأقل منى برغم أنفك وكان عند الملك سائس أحدب بحدبة من قدام وحدبة من وراء فأمر السلطان باحضاره وكتب كتابه على بنت الوزير بالقهر وأمر أن يدخل عليها فى هذه الليلة ويعمل له زفافا وقد تركته وهو بين مماليك السلطان وهم حوله فى أيديهم الشموع موقدة يضحكون عليه ويسخرون منه على باب الحمام وأما بنت الوزير فانها جالسة تبكى بين المنقشات والمواشط وهى أشبه الناس بهذا الشاب وقد حجروا على أبيها ومنعوه أن يحضرها وما رأيت يا أختى أقبح من هذا الاحدب وأما الصبية فهى أحسن من هذا الشاب

* وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والعشرون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجنى لما حكى للجنية حكاية بنت وزير مصر وأن الملك كتب كتابها على السائس الاحدب وهى فى غاية الحزن وأنه لا أحد يشبهها فى الجمال الا هذا الشاب قالت له الجنية تكذب فان هذا الشاب أحسن أهل زمانه فرد عليها العفريت وقال والله يا أختى ان الصبية أحسن من هذا ولكن لا يصلح لها الا

هو

هو فانهما مثل بعضهما ولعلهما أخوان أو ولد اعم فيا خسارتها مع هذا الاحدب فقالت له يا أخي دعنا ندخل تحته ونحمله ونروح به الى الصبية التي تقول عليها وننظر أيهما أحسن فقال العفريت سمعا وطاعة هذا كلام صواب وليس هنالك أحسن من هذا الرأي الذي اخترته فأنا أحمله ثم انه حمله وطار به الى الجو وصارت العفريتة في ركابه تحاذيه الى أن نزل به في مدينة مصر وحطه على مصطبة ونبهه فاستيقظ من النوم فلم يجد نفسه على قبر أبيه في أرض البصرة والتفت يمينا وشمالا فلم يجد نفسه الا في مدينة غير مدينة البصرة فأراد أن يصيح فغمزه العفريت وأوقد له شمعة وقال له اعلم أني جئت بك وأنا أريد أن أعمل معك شيأ لله فخذ هذه الشمعة وامش بها الى ذلك الحمام واختلط بالناس ولا تزل ماشيا معهم حتى تصل الى قاعة العروسة فاسبق وادخل القاعة ولا تخش أحدا واذا دخلت فقف على يمين العريس الاحدب وكل ما جاء له المواشط والمغنيات والمنقشات فخط يدك في جيبك تجده ممتلئا ذهبا فاكبش وارم لهم ولا تتوهم أنك تدخل يدك ولا تجده ممتلئا بالذهب فأعط كل من جاء له بالحفنة ولا تخش من شيء وتوكل على الذي خلقك فها هذا بحولك وقوتك بل بحول الله وقوته فلما سمع حسن بدر الدين من العفريت هذا الكلام قال يا ترى أي شيء هذه القضية وما وجه الاحسان ثم مشى وأوقد الشمعة وتوجه الى الحمام فوجد الاحدب راكب الفرس فدخل حسن بدر الدين بين الناس وهو على تلك الحالة مع الصورة الحسنة وكان عليه الطربوش والعمامة والفرجية المنسوجة بالذهب ومازال ماشيا في الزينة وكلما وقفت المغنيات للناس يتقطوهن يضع يده في جيبه فيلقاه ممتلئا بالذهب فيكبش ويرمي في الطار للمغنيات والمواشط فيملأ الطار دنانير فاندهشت عقول المغنيات وتعجب الناس من حسنه وجماله ولم يزل على هذا الحال حتى وصلوا الى بيت الوزير فردت الحجاب الناس ومنعوهم فقالت المغنيات والمواشط والله لا ندخل الا أن دخل هذا الشاب معنا لانه غمرنا باحسانه ولا تجلى العروسة الا وهو حاضر فعند ذلك دخلوا به الى قاعة الفرح وأجلسوه برغم أنف العريس الاحدب واصطفت جميع نساء الامراء والوزراء والحجاب صفين وكل امرأة معها شمعة كبيرة موقدة مضيئة وكلهن مثمات وصرن صفوفا يمينا وشمالا من تحت المنصة الى صدر الليوان الذي عند المجلس الذي تخرج منه العروسة فلما نظرن النساء حسن بدر الدين وما هو فيه من الحسن والجمال ووجهه يضيء كأنه هلال مالت جميع النساء اليه فقالت المغنيات للنساء الحاضرات اعلموا أن هذا المليح ما نقطنا الا بالذهب الاحمر فلا تقصرن في خدمته وأطعنه فيما يقول فازدحم النساء عليه بالشمع ونظرن الى جماله فابهرت عقولهن من حسنه وصارت كل واحدة منهن تود أن تكون في حضنه سنة أو شهرا أو ساعة ورفعن ما كان على وجوههن من النقاب وتحيرت منهن الالباب وقلن هنيأ لمن كان هذا الشاب له أو عليه ثم دعون على ذلك السائس الاحدب ومن كان سببا في زواجه هذه المليحة وكلما دعون لحسن بدر الدين دعون على ذلك الاحدب ثم ان المغنيات ضربن بالدفوف وأقبلت المواشط ونقت الوزير بينهن وقد طيبنها وعطرنها وألبسنها وحسن شعرها ونحرها بالحلي والحلل من لباس الملوك الأكاسرة ومن جملة ما عليها ثوب منقوش بالذهب الاحمر وفيه صور الوحوش والطيور وهو مسبول عليها من فوق حواجبها وفي عنقها عقد يساوي الالوف

قد حوى كل فص من الجوهر ما حاز مثله تبع ولا قيصر وصارت العروسة كأنها البدر اذا أقمر
فى ليلة أربعة عشر ولما أقبلت كانت كأنها حورية فسبحان من خلقها بهية وأحدق بها
النساء فصرن كالنجوم وهى بينهن كالقمر اذا انجلى عنه الغيم وكان حسن بدر الدين البصرى
جالسا والناس ينظرون اليه فخطرت العروسة وأقبلت وتمايلت فقام اليها السائس
الاحدب ليقبلها فاعرضت عنه وانقلبت حتى صارت قدام حسن ابن عمها فضحك الناس
فلما رأوها مالت الى نحو حسن بدر الدين وحط يده فى جيبه وكبش الذهب ورمى فى طار
المغنيات فرحوا وقالوا كنا نشتهى أن تكون هذه العروسة لك فتبسم هذا كله والسائس
الاحدب وحده كأنه قرد وكلما أوقدوا له الشمعة طفئت فهمت وصارت اعدا فى الظلام يمقت
فى نفسه وهؤلاء الناس محدقون به وتلك الشموع الموقدة بهجتها من أعجب العجاب يتحير من
شعاعها أولوا الالباب وأما العروسة فانها رفعت كفيها الى السماء وقالت اللهم اجعل هذا
يعلى وأرحنى من هذا السايس الاحدب وصارت المواشط تجلى العروسة الى آخر السبع خلع
على حسن بدر الدين البصرى والسائس الاحدب وحده فلما فرغوا من ذلك أذنوا للناس
بالانصراف فخرج جميع من كان فى الفرح من النساء والاولاد ولم يبق الا حسن بدر الدين
والسائس الاحدب ثم ان المواشط أدخلن العروسة ليكشفن ما عليها من الحلى والحلل
ويهيئنها للعريس فعند ذلك تقدم السائس الاحدب الى حسن بدر الدين وقال ياسيدى آنستنا
فى هذه الليلة وعمرتنا باحسانك فلم لا تقوم تروح بيتك بلا مطرود فقال له بسم الله ثم قام وخرج
من الباب فلقيه العفريت فقال له قف يا بدر الدين فاذا خرج الاحدب الى بيت الراحة فادخل
أنت واجلس فى المخدع فاذا أقبلت العروسة فقل لها أنا زوجك والملك ما عمل تلك الحيلة الا
لانه يخاف عليك من العين وهذا الذى رأيته سائس من سياسنا ثم أقبل عليها واكشف
وجهها ولا تخش باسا من أحد فبينما بدر الدين يتحدث مع العفريت واذا بالسائس دخل بيت
الراحة وقعد على الكرسى فطلع له العفريت من الحوض الذى فيه الماء فى صورة فار وقال
زيق فقال الاحدب ما جاء بك هنا فكبر الفار وصار كالقط ثم كبر حتى صار كلبا وقال عوه عوه
فلما نظر السائس ذلك فزع وقال اخسأ يا مشؤم فكبر الكلب وانتفخ حتى صار بحشا ونهق
وصرخ فى وجهه هاق هاق فانزعج السائس وقال الحقونى يا أهل البيت واذا بالجحش قد كبر
وصار قدر الجاموسة وسد عليه المكان وتكلم بكلام ابن آدم وقال ويلك يا أحدب يا أبتن
السياس فلحق السائس البطن وقعد على الملاقى بأثوابه واشتبكت أسنانه ببعضها فقال له
العفريت هل ضاقت عليك الارض فلا تتزوج الا بمعشوقتى فسكت السائس فقال له رد
الجواب والا أسكنك التراب فقال والله مالى ذنب الا أنهم غصبونى وما عرفت أن لها عشاقا
من الجواميس ولكن أنا تائب الى الله ثم اليك فقال له العفريت أقسم بالله ان خرجت فى هذا
الوقت من هذا الموضع أو تكلمت قبل أن تطلع الشمس لاقتلنك فاذا طلعت الشمس فاخرج
الى حال سبيلك ولا تعد الى هذا البيت أبدا ثم ان العفريت قبض على السائس الاحدب وقلب
رأسه فى الملاقى وجعلها الى أسفل وجعل رجليه الى فوق وقال له استمر هنا وأنا أحرسك الى
طلوع الشمس هذا ما كان من قصة الاحدب وأما ما كان من قصة حسن بدر الدين البصرى

فانه

فانه خلى الاحدب والعفريت يتخاصمان ودخل البيت وجلس فى داخل المخدع واذا بالعروسة أقبلت ومعها عجوز فوقفت العجوز فى باب المخدع وقالت يا أبا شهاب قم وخذ عروستك وقد استودعتك الله ثم ولت العجوز ودخلت العروسة فى صدر المخدع وكان اسمها ست الحسن وقلبها مكسور وقالت فى قلبها والله ما أمكنه من نفسى ولو طلعت روحى فلما دخلت الى صدر المخدع نظرت بدر الدين فقالت حبيبى والى هذا الوقت أنت قاعد لقد قلت فى نفسى لعلك أنت والسائس الاحدب مشتركان فى فقال حسن بدر الدين وأى شئ أوصل السائس اليك ومن أين له أن يكون شريكى فيك فقالت ومن زوجى أأنت أم هو فقال بدر الدين ياسيدتى نحن ما عملنا هذا الاسخرية به لنخجلك عليه فلما نظرت المواشط والمغنيات وأهلك حسنك البديع خافوا علينا من العين فاكتراه أبوك بعشرة دنانير حتى يصرف عنا العين وقد راح فلما سمعت ست الحسن من بدر الدين ذلك الكلام فرحت وتبسمت وضحكت ضحكا لطيفا وقالت والله لقد أطفأت نارى فبالله خذنى عندك وضمنى الى حضنك وكانت بلا لباس فكشفت ثوبها الى نحرها فبان قدامها ووراؤها فلما نظر بدر الدين صفاء جسمها تحركت فيه الشهوة فقام وحل لباسه ثم حل الكيس الذهب الذى كان أخذه من اليهودى ووضع فيه ألف دينار ولفه فى سرواله وحطه تحت ذيل الطراحة وقلع عمامته ووضعها على الكرسى وبقى بالقميص الرفيع وكان القميص مطرزا بالذهب فعند ذلك قامت اليه ست الحسن وجذبته اليها وجذبها بدر الدين اليه وعانقها وأخذ رجليها فى وسطه ثم ركب المدفع وحرره على القلعة وأطلقه فهدم البرج فوجدها درة ما ثقبت ومطية لغيره ما ركبت فأزال بكارتها وتملى بشبابها ولم يزل يركب المدفع ويرد الى غاية خمس عشرة مرة فعلقت منه فلما فرغ بدر الدين وضع يده تحت رأسها وكذلك الاخرى وضعت يدها تحت رأسه ثم انهما تعانقا ونام متعانقين وشرحا بعناقهما مضمون هذه الابيات

زر من تحب ودع كلام الحاسد * ليس الحسود على الهوى بمساعد
لم يخلق الرحمن أحسن منظرا * من عاشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما حلل الرضا * متوسدين بمعصم وبساعد
واذا تألفت القلوب على الهوى * فالناس تضرب فى حديد بارد
واذا صفا لك من زمانك واحد * فهو المراد وعش بذاك الواحد

هذا ما كان من أمر حسن بدر الدين وست الحسن بنت عمه وأما ما كان من أمر العفريت فانه قال للعفريتة قومى وادخلى تحت الثياب ودعينا نؤدبه مكانه لئلا يدركنا الصبح فان الوقت قريب فعند ذلك تقدمت العفريتة ودخلت تحت ذيله وهو نائم وأخذته وطارت به وهو على حاله بالقميص وهو بلا لباس ومازالت العفريتة طائرة به والعفريت يحاذيها فأذن الله الملائكة أن ترمى العفريت بشهاب من نار فاحترق وسلمت العفريتة فنزلت بدر الدين فى موضع ما أحرق الشهاب العفريت ولم تتجاوزه به خوفا عليه وكان بالامر المقدر ذلك الموضع فى دمشق الشام فوضعته العفريتة على باب من أبوابها وطارت فلما طلع النهار وفتحت أبواب المدينة خرج الناس فنظروا شابا مليحا بالقميص والطاقية بلا عمامة ولا لباس وهو مما قاسى من السهر

غرقان فى النوم فلما رآه الناس قالوا يا بخت من كان هذا عنده فى هذه الليلة ويا ليته صبر حتى
يلبس حوائجه وقال الآخر مساكين أولاد الناس لعل هذا يكون فى هذه الساعة خرج من
المسكرة لبعض شغله فقوى عليه السكر فتاه عن المكان الذى كان قصده حتى وصل الى باب
المدينة فوجده مغلقا فنام ههنا وقد خاض الناس فيه بالكلام واذا بالهوى هب على بدر
الدين فرفع ذيله من فوق بطنه فبان من تحته بطن وسرة محققة وسيقان وأفخاذ مثل البلور
فصار الناس يتعجبون فانتبه بدر الدين فوجد روحه على باب مدينة وعليها ناس فتعجب وقال أين
أنا يا جماعة الخير وما سبب اجتماعكم على وما حكايتى معكم فقالوا نحن رأينا عند أذان
الصبح ملقى على هذا الباب نائما ولا نعلم من أمرك غير هذا فأين كنت نائما هذه الليلة فقال
حسن بدر الدين والله يا جماعة انى كنت نائما هذه الليلة فى مصر فقال واحد هل أنت تأكل
حشيشا وقال بعضهم أأنت مجنون كيف تكون نائما فى مصر وتصبح نائما فى مدينة دمشق فقال
لهم والله يا جماعة الخبر لم أكذب عليكم أبدا وأنا كنت البارحة بالليل فى ديار مصر وقبل
البارحة كنت بالبصرة فقال واحد هذا شئ عجيب وقال الآخر هذا الشاب مجنون وصفقوا
عليه بالكفوف وتحدث الناس مع بعضهم وقالوا يا خسارة شبابه والله ما فى جنونه خلاف ثم
انهم قالوا له ارجع لعقلك فقال حسن بدر الدين كنت البارحة عريسا فى ديار مصر فقالوا العلك
حلمت ورأيت هذا الذى تقول فى المنام فتحير حسن فى نفسه وقال لهم والله ما هذا منام وأين
السائس الاحدب الذى كان قاعدا عندنا والكيس الذهب الذى كان معى وأين ثيابى ولباسى
ثم قام ودخل المدينة ومشى فى شوارعها وأسواقها فازدحمت عليه الناس وزفوه فدخل دكان
طباخ وكان ذلك الطباخ رجلا مسرفا فتاب الله عليه من الحرام وفتح له دكان طباخ وكان أهل
دمشق كلهم يخافون منه بسبب شدة بأسه فلما نظر الناس الى الشاب وقد دخل دكان الطباخ
افترقوا وخافوا منه فلما نظر الطباخ الى حسن بدر الدين وشاهد حسنه وجماله وقعت فى قلبه
محبته فقال له من أين أنت يا فتى فاحك لى حكايتك فانك صرت عندى أعز من روحى فحكى له
ما جرى من المبتدا الى المنتهى فقال له الطباخ يا سيدى بدر الدين اعلم ان هذا أمر عجيب
وحديث غريب ولكن يا ولدى اكتم ما معك حتى يفرج الله ما بك واقعد عندى فى هذا المكان
وأنا مالى ولد فأتخذك ولدى فقال له بدر الدين الامر كما تريد يا عم فعند ذلك نزل الطباخ الى
السوق واشترى لبدر الدين أقمشة مفتخرة وألبسه اياها وتوجه به الى القاضى وأشهد على نفسه
انه ولده وقد اشتهر حسن بدر الدين فى مدينة دمشق أنه ولد الطباخ وقعد عنده فى الدكان يقبض
الدراهم وقد استقر أمره عند الطباخ على هذه الحالة هذا ما كان من أمر حسن بدر الدين
وأما ما كان من أمر ست الحسن بنت عمه فانه لما طلع الفجر وانتبهت من النوم لم تجد حسن
بدر الدين قاعدا عندها فاعتقدت أنه دخل المرحاض فجلست تنتظره ساعة واذا بأمها قد دخل
عليها وهو مهموم مما جرى له من السلطان وكيف غصبه وزوج ابنته غصبا لأحد غلمانه
الذى هو السايس الاحدب وقال فى نفسه اقتل هذه البنت ان كانت مكنت هذا الخبيث من
نفسها فمشى الى أن وصل الى المخدع ووقف على بابه وقال يا ست الحسن فقالت له نعم يا سيدى ثم
انها خرجت وهى تتمايل من الفرح وقبلت الارض بين يديه وازداد وجهها نورا وجمالا لعناقها

لذلك

لذلك الغزال فلما نظرها أبوها وهى بتلك الحالة قال لها ياخبيثة هل أنت فرحانة بهذا السايس فلما سمعت ست الحسن كلام والدها تبسمت وقالت بالله يكفى ماجرى منك والناس يضحكون على ويعايرونى بهذا السايس الذى ماجيء فى أصبعى قلامة ظفران زوجى والله مابت طول عمرى ليلة أحسن من ليلة البارحة التى بتها معه فلاتهز أبى وتذكر لى ذلك الاحدب فلما سمع والدها كلامها امتزج بالغضب واز رقت عيناه وقال لها ويلك أى شئ هذا الكلام الذى تقولينه ان السايس الاحدب قد بات عندك فقالت بالله عليك لاتذكره لى قبحه الله وقبح أباه فلا تكثر المزاح بذكره لما كان السايس الامكترى بعشرة دنانير وأخذ أجرته وراح وجئت أنا ودخلت المخدع فنظرت زوجى قاعدا بعد ماجلتنى عليه المغنيات ونقط بالذهب الاحمر حتى أغنى الفقراء الحاضرين وقد بت فى حضن زوجى الخفيف الروح صاحب العيون السود والحواجب المقرونة فلما سمع والدها هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلاما وقال لها يافاجرة ماهذا الذى تقولينه أين عقلك فقالت له يا أبت لقد فقت كبدى لاى شئ تتغافل فهذا زوجى الذى أخذ وجهى قد دخل بيت الراحة وانى قد علقت منه فقام والدها وهو متعجب ودخل بيت الخلاء فوجد السائس الاحدب ورأسه مغروزة فى الملاقى ورجلاه مرتفعة الى فوق فبهت فيه الوزير وقال أماهذا هو الاحدب فخاطبه فلم يرد عليه وظن الاحدب أنه العفريت * وأدرك شهرزاد الصباح * فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن السائس الاحدب لما كلمه الوزير ظن أنه العفريت فلم يرد عليه لانه ظن أنه لا يكلمه الا العفريت فصرخ عليه الوزير وقال له تكلم والا أقطع رأسك بهذا السيف فعند ذلك قال الاحدب والله ياشيخ العفاريت من حين جعلتنى فى هذا الموضع مارفعت رأسى فبالله عليك أن ترفق بى فلما سمع الوزير كلام الاحدب قال له ماتقول فانى أبو العروسة مما أنا عفريت فقال ليس عمرى فى يدك ولا تقدر أن تأخذ روحى فرح الى حال سبيلك قبل أن يأتيك الذى فعل بى هذه الفعال فأنتم لاتزوجونى الا بمعشوقة الجواميس ومعشوقة العفاريت فلعن الله من زوجنى بها ولعن من كان السبب فى ذلك ثم ان السائس الاحدب صار يحدث الوزير والد العروسة ويقول لعن الله من كان السبب فى ذلك فقال له الوزير قم واخرج من هذا المكان فقال له هل أنا مجنون حتى أروح معك بغير اذن العفريت فانه قال لى اذا طلعت الشمس فاخرج وروح الى حال سبيلك فهل طلعت الشمس أولا فانى لا أقدر أن أطلع من موضعى الا ان طلعت الشمس فعند ذلك قال له الوزير من أتى بك الى هذا المكان فقال انى جئت البارحة الى هنا لاقضى حاجتى وأزيل ضرورتى واذا بغبار طلع من وسط الماء وصاح وصار يكبر حتى بقى قدر الجاموسة وقال لى كلاما دخل فى أذنى فخلنى ورح لعن الله العروسة ومن زوجنى بها فتقدم اليه الوزير وأخرجه من المرحاض فخرج وهو يجرى وما صدق أن الشمس طلعت وطلع الى السلطان وأخبره بما اتفق له مع العفريت وأما الوزير أبو العروسة فانه دخل البيت وهو حائر العقل فى أمر ابنته فقال يابنتى اكشفى لى عن خبرك فقالت ان الظريف الذى كنت أتخلى عليه بات عندى البارحة وأزال بكارتى وعلقت منه وان كنت لم تصدقنى فهذه عمامته بلفتها على الكرسى ولباسه تحت الفراش وفيه شئ ملفوف

لم أعرف ماهو فلما سمع والدها هذا الكلام دخل المخدع فوجد عمامة حسن بدر الدين ابن أخيه ففى الحال أخذها فى يده وقلبها وقال هذه عمامة وزراء الأمم وصلية ثم نظر الى حرز مخيط فى طربوشه فأخذه وفتقه وأخذ اللباس فوجد الكيس الذى فيه ألف دينار ففتحه فوجد فيه ورقة فقرأها فوجد مبايعة اليهودى واسم حسن بدر الدين بن نور الدين البصرى ووجد الالف دينار فلما قرأ شمس الدين الورقة صرخ صرخة وخر مغشيا عليه فلما أفاق وعلم مضمون القصة تعجب وقال لا اله الا الله القادر على كل شئ وقال يا بنتى هل تعرفين من الذى أخذ وجهك قالت لا قال انه ابن أخى وهو ابن عملك وهذه الالف دينار مهرك فسبحان الله فليت شعرى كيف اتفقت هذه القضية ثم فتح الحرز المخيط فوجد فيه ورقة مكتوبا فيها بخط أخيه نور الدين المصرى أبى حسن بدر الدين فلما نظر خط أخيه أنشد هذين البيتين

أرى آثارهم فأذوب شوقا * وأسكب فى مواطنهم دموعى
وأسأل من بفرقتهم رمانى * يمن علىّ يوما بالرجوع

فلما فرغ من الشعر قرأ الحرز فوجد فيه تاريخ زواجه بنت وزير البصرة وتاريخ دخوله بها وتاريخ عمره الى حين وفاته وتاريخ ولادة ولده حسن بدر الدين فتعجب واهتز من الطرب وقابل ماجرى لاخيه على ماجرى له فوجده سواء بسواء وزواجه وزواج الآخر متوافقين تاريخا ودخولهما بزوجتيهما متوافقا وولادة حسن بدر الدين ابن أخيه وولادة بنته ست الحسن متوافقين فأخذ الورقتين وطلع بهما الى السلطان وأعلمه بما جرى من أول الامر الى آخره فتعجب الملك وأمر أن يؤرخ هذا الامر فى الحال ثم أقام الوزير ينتظر ابن أخيه فما وقع له على خبر فقال والله لأعملن عملا ماسبقنى اليه أحد * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير قال والله لأعملن عملا ماسبقنى اليه أحد ثم أخذ دواة وقلما وكتب فيه أمتعة البيت وأن الخشخانة فى موضع كذا والستارة الفلانية فى موضع كذا وكتب جميع ما فى البيت ثم طوى الكتاب وأمر بخزن جميع الامتعة وأخذ العمامة والطربوش وأخذ معه الفرجية والكيس وحفظها عنده وأما بنت الوزير فانها لما كملت أشهرها ولدت ولدا مثل القمر يشبه والده فى الحسن والكمال والبهاء والجمال فقطعوا سرته وكحلوا مقلته وسلموه الى المرضعات وسموه عجيبا فصار يومه بشهر وشهره بسنة فلما مر عليه سبع سنين أعطاه جده لفقيه ووصاه أن يربيه ويحسن تربيته فأقام فى المكتب أربع سنوات فصار يقاتل أهل المكتب ويسبهم ويقول لهم من فيكم مثلى أنا ابن وزير مصر فقامت الاولاد واجتمعوا يشكون الى العريف مما قاسوه من عجيب فقال لهم العريف أنا أعلمكم شيأ تقولون له لما يجىء فيتوب عن المجىء للمكتب وذلك أنه اذا جاء غدا فاقعدوا حوله وقولوا لبعضكم والله ما يلعب معنا هذه اللعبة الا من يقول لنا على اسم أمه واسم أبيه ومن لم يعرف اسم أمه واسم أبيه فهو ابن حرام فلا يلعب معنا فلما أصبح الصباح أتوا الى المكتب وحضر عجيب فاحتاطت به الاولاد وقالوا نحن نلعب لعبة ولكن ما يلعب معنا الا من يقول لنا على اسم أمه واسم أبيه واتفقوا على ذلك فقال واحد منهم اسمى ماجد وأمى علوى

وابى

وأبى عز الدين وقال الآخر مثل قوله وقال الآخر كذلك الى أن جاء الدور الى عجيب فقال أنا اسمى عجيب وأمى ست الحسن وأبى شمس الدين الوزير بمصر فقالوا له والله ان الوزير ماهو أبوك فقال لهم عجيب الوزير أبى حقيقة فعند ذلك ضحكت عليه الاولاد وصفقوا عليه وقالوا أنت ما تعرف لك أبا فقم من عندنا فلا يلعب معنا الا من يعرف اسم أبيه وفى الحال تفرق الاولاد من حوله وتضاحكوا عليه فضاق صدره وانخنق بالبكاء فقال له العريف هل تعتقد أن أباك جدك الوزير أبو الملك ست الحسن ان أباك ما تعرفه أنت ولا نحن لان السلطان كان زوجها للائس الاحدب وجاءت الجن فنام واعندها فان لم تعرف لك أبا يجعلوك بينهم ولدزنا ألا ترى أن ابن البائع يعرف أباه فوزير مصر انما هو جدك وأما أبوك فلا نعرفه نحن ولا أنت فارجع لعقلك فلما سمع ذلك الكلام قام من ساعته ودخل على والدته ست الحسن وصار يشكو لها وهو يبكى ومنعه البكاء من الكلام فلما سمعت أمه كلامه وبكاءه التهب قلبها عليه وقالت له ياولدى ما الذى أبكاك فاحك لى قصتك فحكى لها ما سمعه من الاولاد ومن العريف وقال لها ياوالدتى من هو أبى قالت له أبوك وزير مصر فقال لها ليس هو أبى فلا تكذبى على فان الوزير أبوك أنت لا أبى أنا فمن هو أبى فان لم تخبرينى بالصحيح قتلت روحى بهذا الخنجر فلما سمعت والدته ذكر أبيه بكت لذكر ولدها وتذكرت محاسن حسن بدر الدين البصرى وما جرى لها معه وأنشدت هذه الابيات

أهاجوا الحب فى قلبى وساروا * وقد شطت بهم تلك الديار
وبان العقل منى حيث بانوا * وفارقنى هجوع واصطبار
وقد ساروا ففارقنى سرورى * وقد عدم القرار فلا قرار
وأجروا بالفراق دموع عينى * فأدمعها تجاريها البحار
اذا ما اشتقت يوما أن أراهم * وزاد لهم حنين وانتظار
يمثل شخصهم فى وسط قلبى * غرام واشتياق وادكار
أيامن ذكرهم أضحى دثارى * ومالى غير حبهم شعار
أحبتنا الى كم ذا التمادى * وكم هذا التباعد والنفار

ثم بكت وصرخت وكذلك ولدها واذا بالوزير دخل فلما نظر الى بكائهما احترق قلبه وقال ما يبكيكما فأخبرته بما اتفق لولدها مع صغار المكتب فبكى الآخر ثم تذكر أخاه وما اتفق له معه وما اتفق لابنته ولم يعلم بما فى باطن الامر ثم قام الوزير فى الحال ومشى حتى طلع الى الديوان ودخل على الملك وأخبره بالقصة وطلب منه الاذن بالسفر الى الشرق ليقصد مدينة البصرة ويسأل عن ابن أخيه وطلب من السلطان أن يكتب له مراسيم لسائر البلاد اذا وجد ابن أخيه فى أى موضع يأخذه ثم بكى بين يدى السلطان فرق له قلبه وكتب له مراسيم لسائر الاقاليم والبلاد ففرح بذلك ودعا للسلطان وودعه ونزل فى الحال وتجهز للسفر وأخذ ما يحتاج اليه وأخذ ابنته وولدها عجيبا وسافر أول يوم وثانى يوم وثالث يوم حتى وصل الى مدينة دمشق فوجدها ذات أشجار وأنهار كما قال فيها الشاعر

من بعد يوم فى دمشق وليلتى * حلف الزمان بمثلها لا يغلط
بتنا وجنح الليل فى غفلاته * ومن الصباح عليه فرع أشمط

والطل فى تلك الغصون كأنه * در يصافحه النسيم فيسقط
والطير يقرأ والغدير صحيفة * والريح تكتب والغمام ينسقط

فنزل الوزير فى ميدان الحصباء ونصب خيامه وقال لغلمانه نأخذ الراحة هنا يومين فدخل الغلمان المدينة لقضاء حوائجهم هذا يبيع وهذا يشترى وهذا يدخل الحمام وهذا يدخل جامع بنى أمية الذى ما فى الدنيا مثله ودخل المدينة عجيب هو وخادمه يتفرجان والخادم يمشى خلف عجيب وفى يده سوط لو ضرب به جملا لسقط ولم يثر فلما نظر أهل دمشق الى عجيب وقده واعتداله وبهائه وكماله بديع الجمال رخيم الدلال ألطف من نسيم الشمال وأحلى للظمآن من الماء الزلال وألذ من العافية لصاحب الاعتلال فلما رآه أهل دمشق تبعوه وصارت الخلق تجرى وراءه وتتبعه وتقعد فى الطريق حتى يجىء عليهم وينظرونه الى أن وقف العبد بالامر المقدر على دكان أبيه حسن بدر الدين الذى أجلسه فيه الطباخ الذى اعترف عند القضاة والشهود أنه ولده فلما وقف عليه العبد فى ذلك اليوم وقف معه الخدام فنظر حسن بدر الدين الى ولده فأعجبه حين وجده فى غاية الحسن فحن اليه فؤاده وتعلق به قلبه وكان قد طبخ حب رمان محلى واشتدت به المحبة الالهية فنادى من الوجد وقال ياسيدى يامن ملك قلبى وفؤادى وحن اليه كبدى هل لك أن تدخل عندى وتجبر قلبى وتأكل من طعامى ثم فاضت عيناه بالدموع من غير اختياره وتذكر ما كان فيه فيما مضى وما هو فيه فى تلك الساعة فلما سمع عجيب كلام أبيه حن اليه قلبه والتفت الى الخادم وقال له ان هذا الطباخ حن قلبى اليه وكأنه قد فارق ولده فادخل بنا عنده لنجبر قلبه ونأكل ضيافته لعل الله يجمع شملنا بأبينا بجبرنا خاطره فلما سمع الخدام كلام سيده عجيب قال والله ياسيدى لا ينبغى كيف تكون ولد الوزير وتأكل فى دكان الطباخ ولكن أنا أحجب الناس عنك بهذه العصا خوفا أن ينظروا اليك والا فما يمكنك أن تدخل الدكان أبدا فلما سمع حسن بدر الدين كلام الخادم تعجب والتفت الى الخادم وقد سالت دموعه على خدوده وقال له ان قلبى حبه فقال له الخادم دعنا من هذا الكلام ولا تدخل فعند ذلك التفت أبو عجيب للخادم وقال له ياكبير لاى شئ لا تجبر خاطرى وتدخل عندى يامن كأنه قصطل أسود وقلبه أبيض يامن قال فيه بعض واصفيه كذا وكذا من المدح حتى ضحك الخادم وقال أى شئ تقول فيالله قل وأوجز فأنشد فى الحال هذين البيتين

لولا تأدبه وحسن ثقافه * ما كان فى دار الملوك محكما
وعلى الحريم فياله من خادم * من حسنه خدمته أملاك السما

فتعجب الخادم من هذا الكلام وأخذ عجيبا ودخل دكان الطباخ فغرف حسن بدر الدين زبدية من حب الرمان وكانت بلوز وسكر فأكلوا سواء فقال لهم حسن بدر الدين آنستمونا كلوا هنيأ مريأ ثم ان عجيبا قال لوالده اقعد كل معنا لعل الله يجمعنا بمن نريد فقال حسن بدر الدين ياولدى هل بليت على صغر سنك بفرقة الاحباب فقال عجيب نعم ياعم أحرق قلبى بفراق الاحباب والحبيب الذى فارقنى هو والدى وقد خرجت أنا وجدى نطوف عليه البلاد فواحسرتاه على جمع شملى به وبكى بكاء شديدا وبكى والده لبكائه وتذكر فرقة الاحباب وبعده عن والده ووالدته فحن له الخادم وأكلوا جميعا الى أن اكتفوا ثم بعد ذلك قاما وخرجا من دكان

حسن

حسن بدر الدين فأحس أن روحه فارقت جسده وراحت معهم فما قدر أن يصبر عنهم لحظة واحدة فقفل الدكان وتبعهم وهو لا يعلم أنه ولده وأسرع فى مشيه حتى لحقهم قبل أن يخرجوا من الباب الكبير فالتفت الطواشى وقال له مالك يا طباخ فقال حسن بدر الدين لما نزلتم من عندى كأن روحى خرجت من جسمى ولى حاجة فى المدينة خارج الباب فأردت أن أرافقكم حتى أقضى حاجتى وأرجع فغضب الطواشى وقال لعجيب ان هذه أكلة مشؤمة وصارت علينا مكرمة وها هو تابعنا من موضع الى موضع فالتفت عجيب فرأى الطباخ فاغتاظ واحمر وجهه وقال للغلام دعه يمشى فى طريق المسلمين فاذا خرجنا الى خيامنا وخرج معنا وعرفنا انه يتبعنا نطرده فأطرق رأسه ومشى والخادم وراءه فتبعهم حسن بدر الدين الى ميدان الحصباء وقد قربوا من الخيام فالتفتوا ورأوه خلفهم فغضب عجيب وخاف من الطواشى أن يخبر جده فامتزج بالغضب مخافة أن يقولوا انه دخل دكان الطباخ وان الطباخ تبعه فالتفت حتى صارت عيناه فى عين أبيه وقد بقى جسدا بلا روح ورأى عجيب عينيه كأنهما عين خائن وربما كان ولد زنا فازداد غضبا فأخذ حجرا وضرب به والده فوقع الحجر فى جبينه فبطحه فوقع حسن بدر الدين مغشيا عليه وسال الدم على وجهه وسار عجيب هو والخادم الى الخيام وأما حسن بدر الدين فانه لما أفاق مسح دمه وقطع قطعة من عمامته وعصب بها رأسه ولام نفسه وقال أنا ظلمت الصبى حيث غلقت دكانى وتبعته حتى ظن انى خائن ثم رجع الى الدكان واشتغل ببيع طعامه وصار مشتاقا الى والدته التى فى البصرة ويبكى عليها وأنشد هذين البيتين

لا تسأل الدهر انصافا فتظلمه * فلست فيه ترى يا صاح انصافا

خذ ما تيسر وازو الهم ناحية * لا بد من كدر فيه وان صافى

ثم ان حسن بدر الدين استمر مشتغلا ببيع طعامه وأما الوزير عمه فانه أقام فى دمشق ثلاثة أيام ثم رحل متوجها الى حمص فدخلها ثم رحل عنها وصار يفتش فى طريقه أينما حل وجهه فى سيره الى أن وصل الى ماردين والموصل وديار بكر ولم يزل سائرا الى مدينة البصرة فدخلها فلما استقر به المنزل دخل الى سلطانها واجتمع به فاحترمه وأكرم منزله وسأله عن سبب مجيئه فأخبره بقصته وان أخاه الوزير على نور الدين قد رحم عليه السلطان وقال له أيها الصاحب انه كان وزيرى وكنت أحبه كثيرا وقد مات من مدة خمسة عشر عاما وخلف ولدا وقد فقدناه ولم نطلع له على خبر غير أن أمه عندنا لانها بنت وزيرى الكبير فلما سمع الوزير شمس الدين من الملك أن أم ابن أخيه طيبة فرح وقال يا ملك انى أريد أن أجتمع بها فأذن له فى الحال أن ينزل عندها فى دار أخيه فنزل نور الدين ودخل عندها فى دار أخيه وجال بطرفه فى نواحيها وقبل أعتابها وتذكر أخاه نور الدين على وكيف مات غريبا وهو مشتاق اليه فبكى وأنشد

أمر على الديار ديار ليلى * أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبى * ولكن حب من سكن الديارا

ثم دخل من الباب الى فسحة عظيمة فوجد بابا مقوصرا معقودا بالحجر الصوان مجزعا بأنواع الرخام من سائر الالوان فمشى فى نواحى الديار ونظرها وجال بطرفه فيها فوجد اسم أخيه نور الدين مكتوبا بالذهب على جدرانها فأتى الى الاسم وقبله وبكى وأحرقه فراقه فأنشد

هذه الابيات

أستخبر الشمس عنكم كلما طلعت * وأسأل البرق عنكم كلما لمعا
أبيت والشوق يطويني وينشرني * في راحتيه ولا أشكوله وجعا
أحبابنا ان يكن طال المدى فلكم * قد قطع القلب مني بعدكم قطعا
فلو منفتم على طرفي برؤيتكم * لكان أحسن شئ بيننا وقعا
لا تحسبوا أنني بالغير مشتغل * ان الفؤاد لحب الغير ما وسعا

ثم انه صار يمشي الى أن وصل الى قاعة زوجة أخيه أم حسن بدر الدين البصري وكانت في مدة غيبة ولدها قد لزمت البكاء والنحيب بالليل والنهار فلما طالت عليها المدة عملت لولدها قبرا من الرخام في وسط القاعة وصارت تبكي عليه ليلا ونهارا ولا تنام الا عند ذلك القبر فلما وصل الى مسكنها سمع حسها فوقف خلف الباب فسمعها تنشد على القبر هذين البيتين

بالله يا قبر هل زالت محاسنه * وهل تغير ذاك المنظر النضر
يا قبر لا أنت بستان ولا فلك * فكيف يجمع فيك الغصن والقمر

فبينما هي كذلك واذا بالوزير شمس الدين قد دخل عليها وسلم عليها وأعلمها أنه أخو زوجها ثم أخبرها بما جرى وكشف لها عن القصة وان ابنها حسن بدر الدين بات عندا بنته ليلة كاملة ثم فقد عند الصباح وقال لها ان ابنتي حملت من ولدك وولدت ولدا وهو معي وانه ولدك وولد ولدك من ابنتي فلما سمعت خبر ولدها وانه حي ورأت أخاز وجها قامت اليه ووقعت على قدميه وقبلتهما وأنشدته هذين البيتين

لله در مبشري بقدومهم * فلقد أتى بأطايب المسموع
لو كان يقنع بالخليع وهبته * قلبا تقطع ساعة التوديع

ثم ان الوزير أرسل الى عجيب ليحضره فلما حضر قامت له جدته واعتنقته وبكت فقال لها شمس الدين ما هذا وقت بكاء بل هذا وقت تجهيزك للسفر معنا الى ديار مصر عسى الله أن يجمع شملنا وشملك بولدك ابن أخي فقالت سمعا وطاعة ثم قامت من وقتها وجمعت جميع أمتعتها وذخائرها وجواريها وتجهزت في الحال ثم طلع الوزير شمس الدين الى سلطان البصرة وودعه فبعث معه هدايا وتحفا الى سلطان مصر وسافر من وقته هو وزوجة أخيه ولم يزل سائرا حتى وصل الى مدينة دمشق فنزل على القانون وضرب الخيام وقال لمن معه اننا نقيم بدمشق جمعة الى أن نشتري للسلطان هدايا وتحفا ثم قال عجيب للطواشي يا غلام اني اشتقت الى الفرجة فقم بنا ننزل الى سوق دمشق ونعتبر أحوالها وننظر ما جرى لذلك الطباخ الذي قد كنا أكلنا طعامه وشججنا رأسه مع أنه قد كان أحسن الينا ونحن أسأناه فقال الطواشي سمعا وطاعة ثم ان عجيبا خرج من الخيام هو والطواشي وحركته القرابة الى التوجه لوالده ودخلا مدينة دمشق ومازالا سائرين الى أن وصلا الى دكان الطباخ فوجداه واقفا في الدكان وكان ذلك قبل العصر وقد وافق الامر أنه طبخ حب رمان فلما قرب منه ونظره عجيب حن اليه قلبه ونظر الى أثر الضربة بالحجر في جبينه فقال السلام عليك يا هذا اعلم ان خاطري عندك فلما نظر اليه حسن بدر الدين تعلقت أحشاؤه به وخفق فؤاده اليه وأطرق برأسه الى

الارض

الارض وأراد أن يدير لسانه فى فمه فما قدر على ذلك ثم رفع رأسه الى ولده خاضعا متذللا اليه وأنشد هذه الابيات

تمنيت من أهوى فلما رأيته * ذهلت فلم أملك لسانا ولا طرفا
وأطرقت اجلالا له ومهابة * وحاولت اخفاء الذى بى فلم يخفى
وكنت معدا للعتاب صحائفا * فلما اجتمعنا ما وجدت ولا حرفا

ثم قال لهما اجبرا قلبى وكلا من طعامى فوالله ما نظرت اليك أيها الغلام الا حن قلبى اليك وما كنت اتبعتك الا وأنا بغير عقل فقال عجيب والله انك محبب لنا ونحن أكلنا عندك لقمة قلازمتنا عقبها وأردت أن تهتكا ونحن لا نأكل لك أكلا الا بشرط أن تحلف أنك لا تخرج الا وراءنا ولا تتبعنا والا لا نعود اليك من وقتنا هذا فنحن مقيمون فى هذه المدينة جمعة حتى يأخذ جدى هدايا للملك فقال بدر الدين لكم على ذلك فدخل عجيب هو والخادم فى الدكان فقدم لهما زبدية ممتلئة حب رمان فقال عجيب كل معنا لعل الله يفرج عنا ففرح حسن بدر الدين وأكل معهم وهو لم يغض طرفه عن النظر فى وجهه وقد تعلق به قلبه وصارت كل جوارحه معه فقال له عجيب ألم تعلم أنى قلت لك انك عاشق ثقيل فحسبك لا تطل النظر الى والى وجهى فلما سمع حسن بدر الدين كلامه أنشد هذه الابيات

لك فى القلوب سريرة لا تظهر * مطوية وحديثها لا ينشر
يا فاضح القمر المنير بحسنه * وبوجهه افتضح الصباح المسفر
لى فى سنائك أمارة لا تنقضى * ومعاهد أبدا تزيد وتكثر
فأذوب من حرقى ووجهك جنتى * وأموت من ظمئى وريقك كوثر

فصار حسن بدر الدين يلقم عجيبا ساعة ويلقم الطواشى ساعة وكب على أيديهما الماء حتى غسلا وحل فوطة حرير من وسطه ومسح أيديهما بها ورش عليهما ماء الورد من تقم كان عنده وخرج من الدكان ثم عاد بقلتين من شربات ممزوجة بماء الورد المسك وقدمهما بين أيديهما وقال لهما تمما احسانكما فأخذ عجيب وشرب وناول الخادم ولم يزالا يشربان حتى امتلأت بطونهما وشبعا شبعا على خلاف عادتهما ثم انصرفا وأسرعا فى مشيهما حتى وصلا الى خيامهما ودخل عجيب على جدته أم والده حسن بدر الدين فقبلته وتذكرت ولدها حسن بدر الدين فتنهدت وبكت ثم أنها أنشدت هذين البيتين

لو لم أرج بأن الشمل يجتمع * ما كان لى فى حياتى بعدكم طمع
أقسمت ما فى فؤادى غير حبكم * والله ربى على الأسرار مطلع

ثم قالت لعجيب يا ولدى أين كنت قال فى مدينة دمشق فعند ذلك قامت وقدمت له زبدية طعام من حب الرمان وكان قليل الحلاوة وقالت للخادم اقعد مع سيدك فقال الخادم فى نفسه والله ما لنا شهية فى الاكل ثم جلس الخادم وأما عجيب فانه لما جلس كان بطنه ممتلئا بما أكل وشرب فأخذ لقمة وغمسها فى حب الرمان وأكلها فوجده قليل الحلاوة لانه كان شبعانا فتضجر وقال أى شئ هذا الطعام الوحش فقالت جدته يا ولدى أتعيب طبيخى وأنا طبختة ولا أحد يحسن الطبيخ مثلى الا والدك حسن بدر الدين فقال عجيب والله يا سيدتى ان طبيخك هذا غير متقن

نحن فى هذه الساعة رأينا فى المدينة طباخا طبخ حب الرمان ولكن رائحته ينفتح لها القلب وأما طعامه فانه يشهى نفس المحموم ان تأكل وأما طعامك بالنسبة اليه فانه لا يساوى كثيرا ولا قليلا فلما سمعت جدته كلامه اغتاظت غيظا شديدا ونظرت الى الخادم * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون * قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن جدة عجيب لما سمعت كلامه اغتاظت ونظرت الى الخادم وقالت له ويلك هل أنت أفسدت ولدى لانك دخلت به الى دكاكين الطباخين فخاف الطواشى وأنكر وقال ما دخلنا الدكان ولكن جزنا جوازا فقال عجيب والله لقد دخلنا وأكلنا وهو أحسن من طعامك فقامت جدته وأخبرت أخاز وجها وأغرته على الخادم فحضر الخادم قدام الوزير فقال له لم دخلت بولدى دكان الطباخ فخاف الخادم وقال ما دخلنا فقال عجيب بل دخلنا وأكلنا من حب الرمان حتى شبعنا وأسقانا الطباخ شرابا بثلج وسكر فازداد غضب الوزير على الخادم وسأله فأنكر فقال له الوزير ان كان كلامك صحيحا فما بعد وكل قدامنا فعند ذلك تقدم الخادم وأراد أن يأكل فلم يقدر ورمى اللقمة وقال ياسيدى انى شبعان من البارحة فعرف الوزير أنه أكل عند الطباخ فأمر الجوارى أن يطرحنه فطرحنه ونزل عليه بالضرب الوجيع فاستغاث وقال ياسيدى انى شبعان من البارحة ثم منع عنه الضرب وقال له انطق بالحق فقال اعلم أننا دخلنا دكان الطباخ وهو يطبخ حب الرمان فغرف لنا منه والله ما أكلت عمرى مثله ولا رأيت أقبح من هذا الذى قدامنا فغضبت أم حسن بدر الدين وقالت لابد أن تذهب الى هذا الطباخ وتجىء لنا بزبدية حب رمان من الذى عنده وتريه لسيدك حتى يقول أيهما أحسن وأطيب فقال الخادم نعم ففى الحال أعطته زبدية ونصف دينار فمضى الخادم حتى وصل الى الدكان وقال للطباخ نحن نراهنا على طعامك فى بيت سيدنا الان هناك حب رمان طبخه أهل البيت فهات لنا بهذا النصف دينار وأدر بالك فى طهيه وأتقنه فقد أكلنا الضرب الموجع على طبيخك فضحك حسن بدر الدين وقال والله ان هذا الطعام لا يحسنه أحد الا أنا ووالدتى وهى الآن فى بلاد بعيدة ثم انه غرف الزبدية وأخذها وختمها بالمسك وماء الورد فأخذها الخادم وأسرع بها حتى وصل اليهم فأخذتها والدة حسن وذاقتها ونظرت حسن طعمها وجودته فعرفت طباخها فصرخت ثم وقعت مغشيا عليها فهبت الوزير من ذلك ثم رشوا عليها ماء الورد وبعد ساعة أفاقت وقالت ان كان ولدى فى الدنيا فما طبخ حب الرمان هذا الا هو وهو ولدى حسن بدر الدين لا شك فيه ولا محالة لان هذا طعامه وما أحد يطبخه غيره الا أنا لانى علمته طبخه فلما سمع الوزير كلامها فرح فرحا شديدا وقال واشوقاه الى رؤية ابن أخى أترى تجمع الايام شملنا به وما نطلب الاجتماع به الا من الله تعالى ثم ان الوزير قام من وقته وساعته وصاح على الرجال الذين معه وقال يمضى منكم عشرون رجلا الى دكان الطباخ ويهدمونها ويكتفونه بعمامته ويجرونه غصبا الى مكانى من غير ايذاء يحصل له فقالوا نعم ثم ان الوزير ركب من وقته وساعته الى دار السعادة واجتمع بنائب دمشق وأطلعه على الكتب التى معه من السلطان فوضعها على رأسه بعد تقبيلها وقال من هو غريمك قال رجل طباخ ففى الحال أمر حجابه أن يذهبوا الى دكانه فذهبوا فرأوها مهدومة وكل شئ فيها مكسور

لانه

لانه لما توجه الى دار السعادة فعلت جماعته ما أمرهم به وصاروا منتظرين مجيء الوزير من
دار السعادة وحسن بدر الدين يقول فى نفسه ياترى أى شئ رأوا فى حب الرمان حتى صار لى
هذا الامر فلما حضر الوزير من عند نائب دمشق وقد أذن له فى أخذ غريمه وسفره به فلما دخل
الخيام طلب الطباخ فأحضروه مكتفا بعمامته فلما نظر حسن بدر الدين الى عمه بكى بكاء شديدا
وقال يا مولاى ماذنبى عندكم فقال له أنت الذى طبخت حب الرمان قال نعم فهل وجدتم فيه شيأ
يوجب ضرب الرقبة فقال له الوزير هذا أقل جزائك فقال له ياسيدى أما توقفنى على ذنبى فقال
له الوزير نعم فى هذه الساعة ثم ان الوزير صرخ على الغلمان وقال هاتوا الجمال وأخذوا حسن
بدر الدين معهم وأدخلوه فى صندوق وقفلوا عليه وساروا ولم يزالوا سائرين الى أن أقبل الليل
فحطوا وأكلوا شيأ من الطعام وأخرجوا حسن بدر الدين فأطعموه وأعادوه الى الصندوق
ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا الى مكان فأخرجوا حسن بدر الدين من الصندوق وقال له هل أنت
الذى طبخت حب الرمان قال نعم ياسيدى فقال الوزير قيدوه فقيدوه وأعادوه الى الصندوق
وساروا الى أن وصلوا الى مصر وقد نزلوا فى الزيدانية فأمر باخراج حسن بدر الدين من
الصندوق وأمر باحضار نجار وقال اصنع لهذا لعبة خشب فقال حسن بدر الدين وما تصنع بها
فقال أصلبك وأسمرك فيها ثم أدور بك المدينة كلها فقال على أى شئ تفعل بى ذلك فقال
الوزير على عدم اتقان طبيخك حب الرمان كيف طبختيه وهو ناقص فلفلا فقال له وهل لكونه
ناقصا فلفلا تصنع معى هذا كله أما كفاك حبسى وكل يوم تطعمونى أكلة واحدة فقال له الوزير
من أجل كونه ناقص فلفل ماجزاؤك الا القتل فتعجب حسن بدر الدين وحزن على روحه
وصار يتفكر فى نفسه فقال له الوزير فى أى شئ تتفكر فقال له فى العقول السخيفة التى مثل
عقلك فانه لو كان عندك عقل ما كنت فعلت معى هذه الفعال لأجل نقص الفلفل فقال له
الوزير يجب علينا أن نؤدبك حتى لا تعود لمثله فقال حسن بدر الدين ان الذى فعلته معى أقل شئ
فيه أدبى فقال لا بد من صلبك وكل هذا والنجار يصلح الخشب وهو ينظر اليه ولم يزالوا كذلك
الى أن أقبل الليل فأخذه عمه ووضعه فى الصندوق وقال فى غد يكون صلبك ثم صبر عليه حتى
عرف أنه نام فقام وركب وأخذ الصندوق قدامه ودخل المدينة وسار الى أن دخل بيته ثم قال
لابنته ست الحسن الحمد لله الذى جمع شملك بابن عمك قومى وافرشى البيت مثل فرشه ليلة
الجلاء فأمرت الجوارى بذلك فقمن وأوقدن الشمع وقد أخرج الوزير الورقة التى كتب فيها
أمتعة البيت ثم قرأها وأمر أن يضعوا كل شئ فى مكانه حتى ان الرائى اذا رأى ذلك لا يشك
فى أنها ليلة الجلاء بعينها ثم ان الوزير أمر أن تحط عمامة بدر الدين فى مكانها الذى حطها فيه
بيده وكذلك السروال والكيس الذى تحت الطراحة ثم ان الوزير أمر ابنته أن تتحف
نفسها كما كانت ليلة الجلاء وتدخل المخدع وقال لها اذا دخل عليك ابن عمك فقولى له قد
أبطأت على فى دخولك بيت الخلاء ودعيه يبيت عندك وتحدثى معه الى النهار وكتب هذا
التاريخ ثم ان الوزير أخرج بدر الدين من الصندوق بعد أن فك القيد من رجليه وقلع ما عليه
من الثياب وصار بقميص النوم وهو رفيع من غير سروال كل هذا وهو نائم لا يعلم بذلك ثم انتبه
بدر الدين من النوم فوجد نفسه فى دهليز غير فقال فى نفسه هل أنا فى أضغاث أحلام أو فى

اليقظة ثم قام بدر الدين فمشى قليلا الى باب ثان ونظر واذا هو فى البيت الذى انجلت فيه العروسة ورأى المخدع والسرير ورأى عمامته وحوائجه فلما نظر ذلك بهت وصار يقدم رجلا ويؤخر أخرى وقال فى نفسه هل هذا فى المنام أو فى اليقظة وصار يمسح جبينه ويقول وهو متعجب والله ان هذا مكان العروسة التى انجلت فيه على فانى أنا كنت فى صندوق فبينما هو يخاطب نفسه واذا بست الحسن رفعت طرف الناموسية وقالت له ياسيدى أما تدخل فانك أبطأت عنى فى بيت الخلاء فلما سمع كلامها ونظر الى وجهها ضحك وقال ان هذا أضغاث أحلام ثم دخل وتمهد وتفكر فيما جرى له وتحير فى أمره وأشكلت عليه قضيته ولما رأى عمامته وسرواله والكيس الذى فيه الألف دينار فقال الله أعلم انى فى أضغاث أحلام وصار من فرط التعجب متحيرا فعند ذلك قالت له ست الحسن مالى أراك متعجبا متحيرا ما كنت هكذا فى أول الليل فضحك وقال كم عام لى غائب عنك فقالت له سلامتك اسم الله حوالليك أنت انما خرجت الى الكنيف لتقضى حاجة وترجع فأى شئ جرى فى عقلك فلما سمع بدر الدين ذلك ضحك وقال لها صدقت ولكننى لما خرجت من عندك غلبنى النوم فى بيت الراحة فحلمت انى كنت طباخا فى دمشق وأقمت بها عشر سنين وكأنه جاءنى صغير من أولاد الاكابر ومعه خادم وحصل من أمره كذا وكذا ثم ان حسن بدر الدين مسح يده على جبينه فرأى أثر الضرب عليه فقال والله ياسيدتى كأنه حق لانه ضربنى على جبينى فشجه فكأنه فى اليقظة ثم قال لعل هذا المنام حصل حين تعانقت أنا وأنت ونحن فرأيت فى المنام كأنى سافرت الى دمشق بلا طربوش ولا عمامة ولا سروال وعملت طباخا ثم بهت ساعة وقال والله كأنى رأيت أنى طبخت حب رمان وفلفله قليل والله ما كأنى الا نمت فى بيت الراحة فرأيت هذا كله فى المنام فقالت له ست الحسن بالله عليك أى شئ رأيته زيادة على ذلك فحكى لها جميع ما رآه ثم قال والله لولا أنى انتبهت لكانوا صلبونى على لعبة خشب فقالت له على أى شئ فقال على قلة الفلفل فى حب الرمان ورأيت كأنهم أخربوا دكانى وكسروا عينى وحطونى فى صندوق وجاؤا بالنجار ليصنع لى لعبة من خشب لانهم أرادوا صلبى عليها فالحمد لله الذى جعل لى ذلك كله فى المنام ولم يجعله فى اليقظة فضحكت ست الحسن وضمته الى صدرها وضمها الى صدره ثم تذكر وقال والله ما كأنه الا فى اليقظة فأنا ما عرفت أى شئ الخبر ولا حقيقة الحال ثم انه نام وهو متحير فى أمره فتارة يقول رأيته فى المنام وتارة يقول رأيته فى اليقظة ولم يزل كذلك الى الصباح ثم دخل عليه عمه الوزير شمس الدين فسلم عليه فنظر له حسن بدر الدين وقال بالله عليك اما أنت الذى أمرت بشكنبى وتسميرى فى دكانى من شان حب الرمان لكونه قليل الفلفل فعند ذلك قال له الوزير اعلم يا ولدى انه ظهر الحق وبان ما كان مختفيا أنت ابن أخى وما فعلت ذلك حتى تحققت أنك الذى دخلت على بنتى تلك الليلة وما تحققت ذلك حتى رأيتك عرفت البيت وعرفت عمامتك وسروالك وذهبك والورقتين التى كتبتها بخطك والتى كتبها والدك أخى فانى ما رأيتك قبل ذلك وما كنت أعرفك وأما أمك فانى جئت بها معى من البصرة ثم رمى نفسه عليه وبكى فلما سمع حسن بدر الدين كلام عمه تعجب غاية العجب وعانق عمه وبكى من شدة الفرح ثم قال له الوزير يا ولدى ان سبب ذلك كله ما جرى بينى وبين والدك وحكى له جميع ما جرى بينه وبين أخيه وأخبره بسبب

سفر والده الى البصرة ثم ان الوزير أرسل الى عجيب فلما رآه والده قال هذا هو الذى ضربنى بالحجر فقال الوزير هذا ولدك فعند ذلك رمى نفسه عليه وأنشد هذه الابيات

ولقد بكيت على تفرق شملنا * زمنا وفاض الدمع من أجفانى
ونذرت ان جمع الهيمن شملنا * ماعدت أذكر فرقة بلسانى
هجم السرور علىّ حتى انه * من فرط ماقد سرّنى أبكانى

فلما فرغ من شعره التفتت اليه والدته وألقت روحها عليه وأنشدت هذين البيتين

الدهر أقسم لايزال مكدّرى * حنثت يمينك يازمان فكفر
السعد وافى والحبيب مساعدى * فانهض الى داعى السرور وشمر

ثم ان والدته حكت له جميع ماوقع لها بعده وحكى لها جميع ماقاساه فشكروا الله على جمع شملهم ببعضهم ثم ان الوزير طلع الى السلطان وأخبره بما جرى له فتعجب وأمر أن يؤرخ ذلك فى السجلات ليكون حكاية على ممرّ الاوقات ثم ان الوزير أقام مع ابن أخيه وبنته وابنها وزوجة أخيه فى ألذ عيش الى أن أتاهم هاذم اللذات ومفرّق الجماعات وهذا يا أمير المؤمنين ماجرى للوزير شمس الدين وأخيه نور الدين فقال الخليفة هرون الرشيد والله ان هذا الشئ عجاب ووهب للشاب سرية من عنده ورتب له مايعيش به وصار ممن ينادمه ثم ان البنت قالت وماهذا بأعجب من حكاية الخياط والأحدب واليهودى والمباشر والنصرانى فيما وقع لهم قال الملك وماحكايتهم

﴿حكاية الخياط والأحدب واليهودى والمباشر والنصرانى فيما وقع بينهم﴾

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أنه كان فى قديم الزمان وسالف الدهر والأوان فى مدينة الصين رجل خياط مبسوط الرزق يحب اللهو والطرب وكان يخرج هو وزوجته فى بعض الأحيان يتفرّجان على غرائب المنتزهات فخرجا يوما من أوّل النهار ورجعا آخره الى منزلهما عند المساء فوجدا فى طريقهما رجلا أحدب رؤيته تضحك الغضبان وتزيل الهم والاحزان فعند ذلك تقدّم الخياط هو وزوجته يتفرّجان عليه ثم انهما عزما عليه أن يروح معهما الى بيتهما لينادمهما تلك الليلة فأجابهما الى ذلك ومشى معهما الى البيت فخرج الخياط الى السوق وكان الليل قد أقبل فاشترى سمكا مقليا وخبزا وليمونا وحلاوة يتحلون بها ثم رجع وحط السمك قدام الأحدب وجلسوا يأكلون فأخذت امرأة الخياط جزلة سمك كبيرة ولقمتها للاحدب وسدّت فمه بكفها وقالت والله ماتأكلها الا دفعة واحدة فى نفس واحد ولا أمهلك حتى تمضغها فابتلعها وكان فيها شوكة قوية فتصلبت فى حلقه لأجل انقضاء أجله المحتوم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن امرأة الخياط لما لقمت الاحدب الجزلة السمك مات لانقضاء أجله فى وقته فقال الخياط لاحول ولا قوة الا بالله العلىّ العظيم هذا المسكين ما كان موته الا هكذا على أيدينا فقالت المرأة وماهذا التوانى أما سمعت قول الشاعر

مالى أعلل نفسى بالمحال على * أمر يكون به همّ وأحزان

ماذا القعود على نار وما خمدت * ان القعود على النيران خسران

فقال لها زوجها وما أفعله قالت له قم واحمله فى حضنك وانشر عليه فوطة حرير وأخرج أنا قد املك وأنت ورائى فى هذه الليلة وقل هذا ولدى وهذه أمه ومرادنا أن نؤدّيه الى الطبيب ليداويه فلما سمع الخياط هذا الكلام قام وحمل الاحدب فى حضنه وزوجته تقول ياولدى سلامتك أين محل وجعك وهذا الجدرى كان لك فى أى مكان فكل من رآهما يقول معهما طفل مصاب بالجدرى ولم يزالا سائرين وهما يسألان عن منزل الطبيب حتى دلوهما على بيت طبيب يهودى فقرعا الباب فنزلت اليهما جارية سوداء وفتحت الباب ونظرت واذا بانسان حامل صغير وأمه معه فقالت الجارية ماخبركم فقالت امرأة الخياط معنا صغير مرادنا أن ينظره الطبيب فخذى الربع دينار وأعطه لسيدك ودعيه ينزل ليرى ولدى فقد لحقه ضعف فطلعت الجارية ودخلت زوجة الخياط داخل العتبة وقالت لزوجها دع الاحدب هنا ونفوز بأنفسنا فأوقفه الخياط وأسنده الى الحائط وخرج هو وزوجته وأما الجارية فانها دخلت على اليهودى وقالت له فى أسفل البيت ضعيف مع امرأة ورجل وقد أعطيانى ربع دينار لك وتصف لهما مايوافقه فلما رأى اليهودى الربع دينار فرح وقام عاجلا ونزل فى الظلام فأوّل ماتزل عثرت رجله فى الاحدب وهو ميت فقال ياللعزير يالمولى والعشر كلمات يا هرون ويوشع بن نون كأنى عثرت فى هذا المريض فوقع الى أسفل فمات فكيف أخرج بقتيل من بيتى فحمله وطلع به من حوش البيت الى زوجته وأعلمها بذلك فقالت له وما قعودك ههنا فان قعدت هنا الى طلوع النهار راحت أرواحنا فأنا وأنت نطلع به الى السطح ونرميه فى بيت جارنا المسلم فانه رجل مباشر على مطبخ السلطان وكثيرا ماتأتى القطط فى بيته وتأكل مما فيه من الاطعمة والفيران وان استمرّ فيه ليلة تنزل عليه الكلاب من السطوح وتأكله جميعه فطلع اليهودى وزوجته وهما حاملان الاحدب وأنزلاه سديه ورجليه الى الارض وجعلاه ملاصقا للحائط ثم نزلا وانصرفا ولم يستقرّ نزول الاحدب الا والمباشر قد جاء الى البيت وفتحه وطلع البيت ومعه شمعة مضيئة فوجد ابن آدم واقفا فى الزاوية فى جانب المطبخ فقال ذلك المباشر ماهذا والله ان الذى يسرق حوائجنا ماهو الا ابن آدم فيأخذ ماوجده من لحم أودهن ولوخبأته من القطط والكلاب وان قتلت قطط الحارة وكلابها جميعها لا يفيد لانه ينزل من السطوح ثم أخذ مطرقة عظيمة ووكزه بها فصار عنده ثم ضربه بها على صدره فوقع فوجده ميتا فحزن وقال لاحول ولاقوّة الا بالله وخاف على نفسه وقال لعن الله الدهن واللحم وهذه الليلة كيف فرغت منية ذلك الرجل على يدى ثم نظر اليه فاذا هو أحدب فقال أما يكفى انك أحدب حتى تكون حراميا وتسرق اللحم والدهن باستار استرنى بسترك الجميل ثم حمله على أكتافه ونزل به من بيته فى آخر الليل ومازال سائرا به الى أوّل السوق فأوقفه بجانب دكان فى رأس عطفة وتركه وانصرف واذا بنصرانى وهو سمسار السلطان وكان سكران فخرج يريد الحمام فقال له سكره ان المسيح قريب فمازال يمشى ويتمايل حتى قرب من الاحدب وجعل يريق الماء قبالته فلاحت منه التفاتة فوجد واحدا واقفا وكان النصرانى قد خطفوا عمامته فى أوّل الليل فلما رأى الاحدب واقفا اعتقد أنه يريد خطف عمامته فطبق كفه ولكم الاحدب على رقبته فوقع فى الارض وصاح النصرانى على حارس السوق ثم نزل على

الاحدب

الاحدب من شدة سكره ضربا وصار يخنقه خنقا فجاء الحارس فوجد النصرانى باركا على المسلم وهو يضربه فقال الحارس قم عنه فقام فتقدم اليه الحارس فوجده ميتا فقال كيف يقتل النصرانى مسلما ثم قبض على النصرانى وكتفه وجاء به الى بيت الوالى والنصرانى يقول فى نفسه يا مسيح يا عذراء كيف قتلت هذا وما أسرع مامات فى لكمة قد راحت السكرة وجاءت الفكرة ثم ان الاحدب والنصرانى باتا فى بيت الوالى وأمر الوالى السياف أن ينادى عليه ونصب للنصرانى خشبة وأوقفه تحتها وجاء السياف ورمى فى رقبة النصرانى الحبل وأراد أن يعلقه واذا بالمباشر قد شق فرأى النصرانى وهو واقف تحت المشنقة ففسح الناس وقال للسياف لا تفعل أنا الذى قتلته فقال له الوالى لأى شئ قتلته قال انى دخلت الليلة بيتى فرأيته نزل من السطح وسرق مصالحى فضربته بمطرقة على صدره فمات فحملته وجئت به الى السوق وأوقفته فى موضع كذا فى عطفة كذا ثم قال المباشر ما كفانى أنى قتلت مسلما حتى يقتل بسببى نصرانى فلا تشنق غيرى فلما سمع الوالى كلام المباشر أطلق النصرانى السمسار وقال للسياف اشنق هذا باعترافه فأخذ الحبل من رقبة النصرانى ووضعه فى رقبة المباشر وأوقفه تحت الخشبة وأراد أن يعلقه واذا باليهودى الطبيب قد شق الناس وصاح على السياف وقال له لا تفعل فما قتله الا أنا وذلك أنه جاءنى فى بيتى ليتداوى فنزلت اليه فعثرت فيه برجلى فمات فلا تقتل المباشر واقتلنى فأمر الوالى بقتل اليهودى الطبيب فأخذ السياف الحبل من رقبة المباشر ووضعه فى رقبة اليهودى الطبيب واذا بالخياط جاء وشق الناس وقال للسياف لا تفعل فما قتله الا أنا وذلك أنى كنت بالنهار أتفرج وجئت وقت العشاء فلقيت هذا الاحدب سكران ومعه دف وهو يغنى بفرحة فوقفت أتفرج عليه وجئت به الى بيتى واشتريت سمكا وقعدنا نأكل فأخذت زوجتى قطعة سمك ولقمة ودستهما فى فمه فزورقمات لوقته فأخذته أنا وزوجتى وجئنا به لبيت اليهودى فنزلت الجارية وفتحت لنا الباب فقلت لها قولى لسيدك ان بالباب امرأة ورجلا ومعهما مريض تعال انظره وصف له دواء وأعطيتها بيع دينار فطلعت لسيدها وأسندت الاحدب الى جهة السلم ومضيت أنا وزوجتى فنزل اليهودى فعثر فيه فظن أنه قتله ثم قال الخياط لليهودى أصحيح هذا قال نعم والتفت الخياط للوالى وقال له أطلق اليهودى واشنقنى فلما سمع الوالى كلامه تعجب من أمر الاحدب وقال ان هذا أمر يؤرخ فى الكتب ثم قال للسياف أطلق اليهودى واشنق الخياط باعترافه فقدمه السياف وقال هل تقدم هذا ونؤخر هذا ولا نشنق واحدا ثم وضع الحبل فى رقبة الخياط فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر الاحدب فقيل انه كان مسخرة للسلطان وكان السلطان لا يقدر أن يفارقه فلما سكر الاحدب غاب عنه تلك الليلة وثانى يوم الى نصف النهار فسأل عنه بعض الحاضرين فقالوا له يا مولانا طلع به الوالى وهو ميت وأمر بشنق قاتله فنزل الوالى ليشنق القاتل فحضر له ثان وثالث وكل واحد يقول ما قتله الا أنا وكل واحد يذكر للوالى سبب قتله فلما سمع الملك هذا الكلام صرخ على الحاجب وقال له انزل الى الوالى واتنى بهم جميعا فنزل الحاجب فوجد السياف كاد أن يقتل الخياط فصرخ عليه الحاجب وقال لا تفعل وأعلم الوالى أن القضية بلغت الملك ثم أخذه وأخذ الاحدب معه محمولا والخياط واليهودى والنصرانى والمباشر

وطلع بالجميع الى الملك فلما تمثل الوالى بين يديه قبل الارض وحكى له جميع ما جرى من الجميع وليس فى الاعادة افادة فلما سمع الملك هذه الحكاية تعجب وأخذه الطرب وأمر أن يكتب ذلك بماء الذهب وقال للحاضرين هل سمعتم مثل قصة هذا الاحدب فعند ذلك تقدم النصرانى وقال يا ملك الزمان ان أذنت لى حدثتك بشئ جرى لى وهو أعجب وأغرب وأطرب من قصة الاحدب فقال الملك حدثنا بما عندك فقال النصرانى اعلم يا ملك الزمان انى لما دخلت تلك الديار أتيت بمتجر وأوقعنى المقدور عندكم وكان مولدى بمصر وأنا من قبطها وتربيت بها وكان والدى سمسارا فلما بلغت مبلغ الرجال توفى والدى فعملت سمسارا مكانه فبينما أنا قاعد يوما من الايام واذا بشاب أحسن ما يكون وعليه أفخر ملبوس وهو راكب حمارا فلما رآنى سلم على فقمت اليه تعظيما له فأخرج منديلا وفيه قدر من السمسم وقال كم يساوى الاردب من هذا فقلت له مائة درهم فقال لى خذ التراسين والكيالين واعمد الى خان الجوالى فى باب النصر تجدنى فيه وتركنى ومضى وأعطانى السمسم بمنديله الذى فيه العينة فدرت على المشترين فبلغ ثمن كل أردب مائة وعشرين درهما فأخذت معى أربعة تراسين ومضيت اليه فوجدته فى انتظارى فلما رآنى قام الى المخزن وفتحه فكيلناه فجاء جميع ما فيه خمسين اردبا فقال الشاب لك فى كل اردب عشرة دراهم سمسرة واقبض الثمن واحفظه عندك وقدر الثمن خمسة آلاف لك منها خمسمائة ويبقى لى أربعة آلاف وخمسمائة فاذا فرغ بيع حواصلى جئت اليك وأخذتها فقلت له الامر كما تريد ثم قبلت يديه ومضيت من عنده فحصل لى فى ذلك اليوم ألف درهم وغاب عنى شهرا ثم جاء وقال لى أين الدراهم فقلت ها هى حاضرة فقال احفظها حتى أجىء اليك فآخذها فقعدت أنتظره فغاب عنى شهرا ثم جاء وقال لى أين الدراهم فقمت وسلمت عليه وقلت له هل لك أن تأكل عندنا شيأ فأبى وقال لى احفظ الدراهم حتى أمضى وأجىء فآخذها منك ثم ولى فقمت وأحضرت له الدراهم وقعدت أنتظره فغاب عنى شهرا ثم جاء وقال لى بعد هذا اليوم آخذها منك ثم ولى فقمت وأحضرت له الدراهم وقعدت أنتظره فغاب عنى شهرا فقلت فى نفسى ان هذا الشاب كامل السماحة ثم بعد الشهر جاء وعليه ثياب فاخرة وهو كالقمر ليلة البدر وكأنه قد خرج من الحمام ووجهه كالقمر وهو بخد أحمر وجبين أزهر وشامة كأنها قرص عنبر وفى مثل ذلك قال الشاعر

البدر والشمس فى برج قد اجتمعا * فى غاية الحسن والاقبال قد طلعا
وزاد حسنهما للناظرين هوى * فيا له عند ما داعى السرور دعا
فى الحسن والظرف قد زادا وقد كملا * اليهما الروح راحت والفؤاد سعى
تبارك الله مخلوقاته عجب * ما شاء رب العلى فى خلقه صنعا

فلما رأيته قبلت يديه ودعوت له وقلت له يا سيدى أما تقبض دراهمك فقال مهلا على حتى أفرغ من قضاء مصالحى وآخذها منك ثم ولى فقلت فى نفسى والله اذا جاء لأضيفنه لكونى انتفعت بدراهمه وحصل لى منها مال كثير فلما كان آخر السنة جاء وعليه بدلة أفخر من الاولى فحلفت عليه أن ينزل عندى ويضيفنى فقال لى بشرط أن ما تنفقه من مالى الذى عندك قلت نعم وأجلسته ونزلت فهيأت ما ينبغى من الاطعمة والاشربة وغير ذلك وأحضرته بين يديه وقلت

له

له باسم الله فتقدم الى المائدة ومد يده الشمال وأكل معي فتعجبت منه فلما فرغنا غسل يده وناولته ما يمسحها به وجلسنا للحديث فقلت ياسيدي فرّج عني كربة لأي شئ أكلت بيدك الشمال لعلّ في يدك اليمين شيأ يؤلمك فلما سمع كلامي أنشد هذين البيتين

خليلي لا تسأل على ما بمهجتي * من اللوعة الحرّى فتظهر أسقام
وما عن رضا فارقت سلمى معوّضا * بديلا ولكن للضرورة أحكام

ثم أخرج يده من كمه واذا هي مقطوعة زند بلا كف فتعجبت من ذلك فقال لي لا تعجب ولا تقل في خاطرك اني أكلت معك بيدي الشمال عجبا ولكن لقطع يدي اليمين سبب من العجب فقلت له وما سبب ذلك فقال اعلم أني من بغداد ووالدي من أكابرها فلما بلغت مبلغ الرجال سمعت السياحين والمسافرين والتجار يتحدثون بالديار المصرية فبقي ذلك في خاطري حتى مات والدي فأخذت أموالا كثيرة وهيأت متجرا من قماش بغدادي وموصلي ونحو ذلك من البضائع النفيسة وحزمت ذلك وسافرت من بغداد وكتب الله السلامة لي حتى دخلت مدينتكم هذه ثم بكى وأنشد هذه الابيات

قد يسلم الاكمه من حفرة * يسقط فيها الباصر الناظر
ويسلم الجاهل من لفظة * يهلك فيها العالم الماهر
ويعسر المؤمن في رزقه * ويرزق الكافر والفاجر
ما حيلة الانسان ما فعله * هو الذي قدّره القادر

فلما فرغ من شعره قال فدخلت مصر وأنزلت القماش في خان سرور فكسكت أحمالي وأدخلتها وأعطيت الخادم دراهم ليشتري لنا بها شيأ نأكله ونمت قليلا فلما قمت ذهبت بين القصرين ثم رجعت وبت ليلتي فلما أصبحت فتحت رزمة من القماش وقلت في نفسي أقوم لأشق في بعض الاسواق وأنظر الحال فأخذت بعض القماش وحملته لبعض غلماني وسرت حتى وصلت قيسرية جرجس فاستقبلني السماسرة وكانوا علموا بمجيئي فأخذوا مني القماش ونادوا عليه فلم يبلغ ثمنه رأس ماله فقال لي شيخ الدلالين ياسيدي أنا أعرف لك شيأ تستفيد به وهو أن تعمل مثل ما يعمل التجار فتبيع متجرك الى مدة معلومة بكاتب وشاهد وصيرفي وتأخذ ما تحصل من ذلك في كل يوم خميس واثنين فتكسب الدراهم كل درهم اثنين وزيادة على ذلك تتفرج على مصر ونيلها فقلت هذا رأي سديد فأخذت معي الدلالين وذهبت الى الخان فأخذوا القماش الى القيسرية فبعته الى التجار وكتبت عليهم وثيقة ودفعت الوثيقة الى الصيرفي وأخذت عليه وثيقة بذلك ورجعت الى الخان وأقمت أياما كل يوم أفطر على قدح من الشراب وأحضر اللحم الضاني والحلويات حتى دخل الشهر الذي استحقيت فيه الجباية فبقيت كل خميس واثنين أقعد على دكاكين التجار ويمضي الصيرفي والكاتب فيجيآن بالدراهم من التجار ويأتيان بها الى أن دخلت الحمام يوما من الايام وخرجت الى الخان ودخلت موضعي وأفطرت على قدح من الشراب ثم نمت وانتبهت فأكلت دجاجة وتعطرت وذهبت الى دكان رجل تاجر يقال له بدر الدين البستاني فلما رآني رحب بي وتحدث معي ساعة في دكانه فبينما نحن كذلك واذا بامرأة جاءت وقعدت بجانبي وعليها عصابة مائلة وتفوح منها رائحة الطيب فسلبت

عقلى بحسنها وجمالها ورفعت الازار فنظرت الى أحداق سود ثم سلمت على بدر الدين فرد عليها
السلام ووقف وتحدث معها فلما سمعت كلامها تمكن حبها من قلبى فقالت لبدر الدين هل
عندك تفصيلة من القماش المنسوج من خالص الذهب فأخرج لها تفصيلة فقالت للتاجر هل
آخذها وأذهب ثم أرسل اليك ثمنها فقال لها التاجر لا يمكن ياسيدتى لان هذا صاحب القماش
وله على قسط فقالت ويلك ان عادتى أن آخذ منك كل قطعة قماش بجملة دراهم وأربح
فيها فوق ما تريد ثم أرسل اليك ثمنها فقال نعم ولكنى مضطر الى الثمن فى هذا اليوم فأخذت
التفصيلة ورمته بها فى صدره وقالت ان طائفتكم لا تعرف لاحد قدرا ثم قامت مولية فظننت
أن روحى راحت معها فقمت ووقفت وقلت لها ياسيدتى تصدقى على بالالتفات وارجعى
بخطواتك الكريمة فرجعت وتبسمت وقالت لأجلك رجعت وقعدت قصادى على الدكان
وقلت لبدر الدين هذه التفصيلة كم ثمنها عليك قال ألف ومائة درهم فقلت له ولك مائة درهم
فائدة فهات ورقة فأكتب لك فيها ثمنها فأخذت التفصيلة منه وكتبت له ورقة بخطى وأعطيتها
التفصيلة وقلت لها خذى أنت وروحى وان شئت هاتى ثمنها الى فى السوق وان شئت هى
ضيافتك منى فقالت جزاك الله خيرا ورزقك مالى وجعلك بعلى فتقبل الله الدعوة وقلت لها
ياسيدتى اجعلى هذه التفصيلة لك ولك أيضا مثلها ودعينى أنظر وجهك فكشفت القناع عن
وجهها فلما نظرت وجهها نظرة أعقبتنى ألف حسرة وتعلق قلبى بمحبتها فصرت لا أملك عقلى
ثم أرخت القناع وأخذت التفصيلة وقالت ياسيدى لا توحشنى وقد ولت وقعدت فى السوق
الى بعد العصر وأنا غائب العقل وقد تحكم الحب عندى فمن شدة ما حصل لى من الحب
سألت التاجر عنها حين أردت القيام فقال لى ان هذه صاحبة مال وهى بنت أمير مات والدها
وخلف لها مالا كثيرا فودعته وانصرفت وجئت الى الخان فقدم الى العشاء فتذكرتها فلم
آكل شيأ ونمت فلم يأتنى نوم فسهرت الى الصباح ثم قمت فلبست بدلة غير التى كانت على
وشربت قدحا من الشراب وأفطرت على شئ قليل وجئت الى دكان التاجر فسلمت عليه
وجلست عنده فجاءت الصبية وعليها بدلة أفخر من الاولى ومعها جارية فجلست وسلمت على
دون بدر الدين وقالت لى بلسان فصيح ما سمعت أعذب ولا أحلى منه أرسل معى من يقبض
الالف والمائتى درهم ثمن التفصيلة فقلت لها ولأى شئ العجلة فقالت لا عدمناك وناولتنى
الثمن وقعدت أتحدث معها فأومأت اليها بالاشارة ففهمت أنى أريد وصالها فقامت على عجل
منها واستوحشت منى وقلبى متعلق بها وخرجت أنا خارج السوق فى أثرها واذا بجارية أتتنى
وقالت ياسيدى كلم سيدتى فتعجبت وقلت ما يعرفنى هنا أحد فقالت الجارية ما أسرع ما نسيتها
سيدتى التى كانت اليوم على دكان التاجر فلان فمشيت معها الى الصيارف فلما رأتنى زوتنى
لجانبها وقالت ياحبيبى وقعت بخاطرى وتمكن حبك من قلبى ومن ساعة رأيتك لم يطب لى نوم
ولا أكل ولا شرب فقلت لها عندى أضعاف ذلك والحال يغنى عن الشكوى فقالت ياحبيبى
أجئ عندك أو تجئ عندى فقلت لها أنا رجل غريب ومالى مكان يأوينى الا الخان فان
تصدقت على بأن أكون عندك يكمل الحظ قالت نعم لكن الليلة ليلة الجمعة ما فيها شئ
الا ان كان فى غد بعد الصلاة فصل واركب حمارك واسأل عن الحبانية فان وصلت فاسأل عن

قاعة

قاعة بركات النقيب المعروف بأبي شامة فانى ساكنة هناك ولا تبطئ فانى فى انتظارك
ففرحت فرحا زائدا ثم افترقنا وجئت للخان الذى أنا فيه وبت طول الليل سهران فلما صدقت
أن الفجر لاح حينئذ قمت وغيرت ملبوسى وتعطرت وتطيبت وأخذت معى خمسين دينارا
فى منديل ومشيت من خان مسرور الى باب زويله فركبت حمارا وقلت لصاحبه امض بى الى
الحبانية فمضى فى أقل من لحظة فما أسرع ما وقف على درب يقال له درب المنقرى فقلت له ادخل
الدرب واسأل عن قاعة النقيب فغاب قليلا وقال انزل فقلت امش قدامى الى القاعة فمشى حتى
أوصلنى الى المنزل فقلت له فى غد تجيئنى هنا وتودينى فقال الحمار باسم الله فناولته ربع دينار
ذهبا فأخذه وانصرف فطرقت الباب فخرج لى بنتان صغيرتان بكران مهدتان كأنهما قمران
فقالتا ادخل ان سيدتنا فى انتظارك لم تنم الليلة لوعها بك فدخلت قاعة مغلقة بسبعة أبواب
وفى دائرها شبابيك مطلة على بستان فيه من الفواكه جميع الالوان وبه أنهار دافقة وطيور
ناطقة وهى مبيضة بياضا سلطانيا يرى الانسان وجهه فيها وسقفها مطلى بذهب وفى دائرها
طرازات مكتوبة باللازورد قد حوت أوصافا حسنة وأضاءت للناظرين وأرضها مفروشة
بالرخام المجزع وفى وسطها فسقية الدر والجوهر مفروشة بالبسط الحرير
الملونة والمراتب فلما دخلت جلست * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح
(فلما كانت الليلة السادسة والعشرون) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب التاجر قال
للنصرانى فلما دخلت وجلست لم أشعر الا والصبية قد أقبلت وعليها تاج مكلل بالدر والجوهر
وهى منقشة مخططة فلما رأتنى تبسمت فى وجهى وحضنتنى ووضعتنى على صدرها وجعلت
فمها على فمى وجعلت تمص لسانى وأنا كذلك وقالت أصحيح أتيت عندى أم هذا منام فقلت لها
أنا عبدك فقالت أهلا ومرحبا والله من يوم رأيتك مالذ لى نوم ولا طاب لى طعام فقلت وأنا
كذلك ثم جلسنا نتحدث وأنا مطرق برأسى الى الارض حياء ولم أمكث الا قليلا حتى قدمت لى
سفرة من أفخر الالوان من محمر ومرقق ودجاج محشى فأكلت معها حتى اكتفينا ثم قدموا الى
الطشت والابريق فغسلت يدى ثم تطيبنا بماء الورد الممسك وجلسنا نتحدث فأنشدت هذين
البيتين

لو علمنا قدومكم لفرشنا * مهجة القلب مع سواد العيون
ووضعنا خدودنا للقاكم * وجعلنا المسير فوق الجفون

وهى تشكو الى مالاقت وأنا أشكو اليها مالاقيت وتمكن حبها عندى وهان على جميع المال
ثم أخذنا نلعب ونتهارش مع العناق والتقبيل الى أن أقبل الليل فقدمت لنا الجوارى الطعام
والمدام فاذا هى حضرة كاملة فشربنا الى نصف الليل ثم اضطجعنا ونمنا فقمت معها الى الصباح
فما رأيت عمرى مثل هذه الليلة فلما أصبح الصباح قمت ورميت لها تحت الفراش المنديل الذى
فيه الدنانير وودعتها وخرجت فبكت وقالت ياسيدى متى أرى هذا الوجه المليح فقلت لها أكون
عندك وقت العشاء فلما خرجت أصبت الحمار الذى جاء بى بالامس على الباب ينتظرنى فركبت
معه حتى وصلت خان مسرور فنزلت وأعطيت الحمار نصف دينار وقلت له تعال فى وقت
الغروب قال على الرأس فدخلت الخان وأفطرت ثم خرجت أطالب بثمن القماش ثم رجعت
وقد عملت لها خروفا مشويا وأخذت حلاوة ثم دعيت الحمال ووصفت له المحل وأعطيته أجرته

ورجعت فى أشغالى الى الغروب فجاء فى الحمار فأخذت خمسين دينارا وجعلتها فى منديل ودخلت فوجدتهم مسحوا الرخام وجلوا النحاس وعمروا القناديل وأوقدوا الشموع وغرفوا الطعام وروقوا الشراب فلما رأتنى رمت بديها على رقبتى وقالت أوحشتنى ثم قدمت الموائد فأكلنا حتى اكتفينا ورفعت الجوارى المائدة وقدمت المدام فلم نزل فى شراب ونقل ولحظ الى نصف الليل فنمنا الى الصباح ثم قمت وناولتها الخمسين دينارا على العادة وخرجت من عندها فوجدت الحمار فركبت الى الخان فنمت ساعة ثم قمت جهزت العشاء فعملت جوزا ولوزا وتحتهم أرز مفلفل وعملت قلقاسا مقليا ونحو ذلك وأخذت فاكهة ونقلا ومشموما وأرسلتها وسرت الى البيت وأخذت خمسين دينارا فى منديل وخرجت فركبت مع الحمار على العادة الى القاعة فدخلت ثم أكلنا وشربنا ونمنا الى الصباح ولما قمت رميت لها المنديل وركبت الى الخان على العادة ولم أزل على تلك الحالة مدة الى أن بت وأصبحت لا أملك درهما ولا دينارا فقلت فى نفسى هذا من فعل الشيطان وأنشدت هذه الأبيات

فقر الفتى يذهب أنواره * مثل اصفرار الشمس عند المغيب
ان غاب لا يذكر بين الورى * وان أتى لم يأله من نصيب
يمر فى الأسواق مستخفيا * وفى الفلا يبكى بدمع صبيب
والله ما الانسان فى أهله * اذا ابتلى بالفقر الا غريب

ثم تمشيت الى أن وصلت بين القصرين ولا زلت أمشى حتى وصلت الى باب زويله فوجدت الخلق فى ازدحام والباب مفتوح من كثرة الخلق فرأيت بالامر المقدر جنديا فزاحمته بغير اختيارى فجاءت يدى على جيبه فجسسته فوجدت فيه صرة من داخل الجيب الذى يدى عليه فعمدت الى تلك الصرة فأخذتها من جيبه فأحس الجندى بأن جيبه خف فحط يده فى جيبه فلم يجد شيأ والتفت نحوى ورفع يده بالدبوس وضربنى على رأسى فسقطت الى الارض فأحاط الناس بنا وأمسكوا الجام فرس الجندى وقالوا أمن أجل الزحمة تضرب هذا الشاب هذه الضربة فصرخ عليهم الجندى وقال هذا حرامى سارق فعند ذلك أفقت ورأيت الناس يقولون هذا شاب ملىح لم يأخذ شيأ فبعضهم يصدق وبعضهم يكذب وكثر القيل والقال وجذبنى الناس وأرادوا خلاصى منه فبالامر المقدر جاء الوالى هو وبعض الحكام فى هذا الوقت ودخلوا من الباب فرجدوا الخلق مجتمعين علىّ وعلى الجندى فقال الوالى ما الخبر فقال الجندى والله يا أمير ان هذا حرامى وكان فى جيبى كيس أزرق فيه عشرون دينارا فأخذه وأنا فى الزحام فقال الوالى للجندى هل كان معك أحد فقال الجندى لا فصرخ الوالى على المقدم وقال امسكه وفتشه فأمسكنى وقد زال الستر عنى فقال له الوالى أعره من جميع ما عليه فلما أعرانى وجدوا الكيس فى ثيابى فلما وجدوا الكيس أخذه الوالى وفتحه وعده فرأى فيه عشرين دينارا كما قال الجندى فغضب الوالى وصاح على أتباعه وقال قدموه فقدموه بين يديه فقال لى يا صبى قل الحق هل أنت سرقت هذا الكيس فأطرقت برأسى الى الارض وقلت فى نفسى ان قلت ما سرقته فقد أخرجه من ثيابى وان قلت سرقته وقعت فى العناء ثم رفعت رأسى وقلت نعم أخذته فلما سمع منى الوالى هذا الكلام تعجب ودعا الشهود فحضروا وشهدوا على منطق هذا كله فى باب زويله فأمر الوالى

السياف

السياف بقطع يدى فقطع يدى اليمنى فرق قلب الجندى وشفع فى عدم قتلى وتركنى الوالى ومضى وصارت الناس حولى وسقونى قدح شراب وأما الجندى فانه أعطانى الكيس وقال أنت شاب مليح ولا ينبغى أن تكون لصا فأخذته منه وأنشدت هذه الابيات

والله ما كنت لصا يا أخا ثقة * ولم أكن سارقا يا أحسن الناس
لكن رستنى صروف الدهر عن عجل * فزادهمى ووسواسى وافلاسى
وما رميت ولكن الاله رمى * سهما فطير تاج الملك عن راسى

فتركنى الجندى وانصرف بعد ان أعطانى الكيس وانصرفت أنا ولففت يدى فى خرقة وأدخلتها عبى وقد تغيرت حالتى واصفر لونى مما جرى لى فمشيت الى القاعة وأنا على غير استواء ورميت روحى على الفراش فنظرتنى الصبية متغير اللون فقالت لى ما وجعك ومالى أرى حالتك تغيرت فقلت لها رأسى توجعنى وما أنا طيب فعند ذلك اغتاظت وتشوشت لاجلى وقالت لا تحرق قلبى يا سيدى اقعد وارفع رأسك وحدثنى بما حصل لك اليوم فقد بان لى فى وجهك كلام فقلت دعينى من الكلام فبكت وقالت كأنك قد فرغ غرضك منا فانى أراك على خلاف العادة فبكت وصارت تحدثنى وأنا لا أجيبها حتى أقبل الليل فقدمت لى الطعام فامتنعت وخشيت أن ترانى آكل بيدى الشمال فقلت لا أشتهى أن آكل فى هذه الساعة فقالت حدثنى بما جرى لك فى هذا اليوم ولأى شئ أراك مهموما مكسور الخاطر والقلب فقلت فى هذه الساعة أحدثك على مهلى فقدمت لى الشراب وقالت دونك فانه يزيل همك فلا بد أن تشرب وتحدثنى بخبرك فقلت لها ان كان ولا بد فاسقينى بيدك فملأت القدح وشربته وملأته وناولتنى اياه فتناولته منها بيدى الشمال وفرت الدمعة من جفنى فأنشدت هذه الابيات

اذا أراد الله أمر الامرئ * وكان ذا عقل وسمع وبصر
أصم أذنيه وأعمى قلبه * وسل منه عقله سل الشعر
حتى اذا أنفذ فيه حكمه * رد اليه عقله ليعتبر

فلما فرغت من شعرى تناولت القدح بيدى الشمال وبكيت فلما رأتنى أبكى صرخت صرخة قوية وقالت ما سبب بكائك قد أحرقت قلبى ومالك تناولت القدح بيدك الشمال فقلت لها ان يدى حبة فقالت أخرجها حتى أقعها لك فقلت ما هو وقت قعها الا تطيبى على فلما أخرجها فى تلك الساعة ثم شربت القدح ولم تزل تسقينى حتى غلب السكر على فنمت مكانى فأبصرت يدى بلا كف ففتشتنى فرأت معى الكيس الذى فيه الذهب فدخل عليها من الحزن ما لا يدخل على أحد ولا زالت تتألم بسببى الى الصباح فلما أفقت من النوم وجدتها هيأت لى مسلوقة وقدمتها فاذا هى أربعة طيور من الدجاج وأسقتنى قدح شراب فأكلت وشربت وحطيت الكيس وأردت الخروج فقالت أين تروح فقلت الى مكان كذا لازحزح بعض الهم عن قلبى فقالت لا ترح بل اجلس فجلست فقالت لى وهل بلغت محبتك اياى الى أن صرفت جميع مالك على وعدمت كفك فأشهدك على والشاهد الله أنى لا أفارقك وسترى صحة قولى ولعل الله استجاب دعوتى بزواجك وأرسلت خلف الشهود فحضروا فقالت لهم اكتبوا كتابى على هذا الشاب واشهدوا أنى قبضت المهر فكتبوا كتابى عليها ثم قالت اشهدوا ان جميع مالى الذى فى هذا

الصندوق وجميع ما عندى من المماليك والجوارى لهذا الشاب فشهدوا عليها وقبلت أنا التمليك وانصرفوا بعد ما أخذوا الاجرة ثم أخذتنى من يدى وأوقفتنى على خزانة وفتحت صندوقا كبيرا وقالت لى انظر هذا الذى فى الصندوق فنظرت فاذا هو ملآن مناديل فقالت هذا مالك الذى أخذته منك فكلما أعطيتنى منديلا فيه خمسون دينارا ألفه وأرميه فى هذا الصندوق فخذ مالك فقد رده الله عليك وأنت اليوم عزيز فقد جرى عليك القضاء بسببى حتى عدمت يمينك وأنا لا أقدر على مكافأتك ولو بذلت روحى لكان ذلك قليلا ولك الفضل ثم قالت لى تسلم مالك فتسلمته ثم نقلت ما فى صندوقها الى صندوقى وضممت مالها الى مالى الذى كنت أعطيتها اياه وفرح قلبى وزال همى فقمت فقبلتها وسكرت معها فقالت لقد بذلت جميع مالك ويدك فى محبتى فكيف أقدر على مكافأتك والله لو بذلت روحى فى محبتك لكان ذلك قليلا وما أقوم بواجب حقك على ثم انها كتبت لى جميع ما تملك من ثياب بدنها وصيغتها وأملاكها بحجة ومانامت تلك الليلة الا مهمومة من أجلى حين حكيت لها ما وقع لى وبت معها ثم أقمنا على ذلك أقل من شهر وقوى بها الضعف وزاد بها المرض ولا مكثت غير خمسين يوما ثم صارت من أهل الآخرة فجهزتها وواريتها فى التراب وعملت لها ختمات وتصدقت عليها بجملة من المال ثم نزلت من التربة فرأيت لها مالا جزيلا وأملاكا وعقارات ومن جملة ذلك تلك المخازن السمسم التى بعت لك منها ذلك المخزن وما كان اشتغالى عنك هذه المدة الا لأنى بعت بقية الحواصل والى الآن لم أفرغ من قبض الثمن فأرجو منك أنك لا تخالفنى فيما أقوله لك لانى أكلت زادك فقد وهبتك ثمن السمسم الذى عندك فهذا سبب أكلى بيدى الشمال فقلت له لقد أحسنت الى وتفضلت على فقال لى لابد أن تسافر معى الى بلادى فانى اشتريت متجرا مصريا واسكندرانيا فهل لك مصاحبتى فقلت نعم وواعدته على رأس الشهر ثم بعت جميع ما أملك واشتريت به متجرا وسافرت أنا وذلك الشاب الى هذه البلاد التى هى بلادكم فباع الشاب متجره واشترى متجرا عوضه من بلادكم ومضى الى الديار المصرية فكان ذصيبى فى قعودى هذه الليلة حتى حصل ما حصل فى غربتى فهذا يا ملك الزمان ما هو أعجب من حديث الاحدب فقال الملك لابد من شنقكم كلكم * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والعشرون قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان ملك الصين لما قال لابد من شنقكم فعند ذلك تقدم المباشر الى ملك الصين وقال ان أذنت لى حكيت لك حكاية اتفقت لى فى تلك المدة قبل أن أجد هذا الاحدب وان كانت أعجب من حديثه تهب لنا أرواحنا فقال الملك هات ما عندك فقال اعلم انى كنت الليلة الماضية عند جماعة عملوا ختمة وجمعوا الفقهاء فلما قرأ المقرؤن وفرغوا مدوا السماط فمن جملة ما قدموا زرباجة فتقدمنا لنأكل من الزرباجة فتأخر واحد منا وامتنع من الاكل منها فحلفنا عليه فاقسم أنه لا يأكل منها فشددنا عليه فقال لا تشددوا على فكفانى ما جرى من أكلها ثم أنشد هذا البيت

اذا صديق أنكرت جانبه * لم تعينى فى فراقه الحيل

فلما فرغنا قلنا له بالله ما سبب امتناعك من الاكل من هذه الزرباجة فقال لانى لا آكل منها الا ان غسلت يدى أربعين مرة بالاشنان وأربعين مرة بالسعد وأربعين مرة بالصابون فحملتها

مائة

مائة وعشرون مرة فعند ذلك أمر صاحب الدعوة غلمانه فأتوا بالماء وبالذى طلبه فغسل يديه كما ذكر ثم تقدم وهو متكره وجلس ومد يده وهو مثل الخائف ووضع يده فى الزرباجة وصار يأكل وهو متغصب ونحن نتعجب منه غاية التعجب ويده ترتعد فنصب ابهام يده فاذا هو مقطوع وهو يأكل بأربعة أصابع فقلنا له بالله عليك مالابهامك هكذا أهو خلقة الله أم أصابه حادث فقال يا اخوانى ماهو هذا الابهام وحده ولكن ابهام الاخرى وكذلك رجلاى الاثنان ولكن انظروا ثم كشف ابهام يده الاخرى فوجدناها مثل اليمين وكذلك رجلاه بلا ابهامين فلما رأيناه كذلك ازددنا عجبا وقلنا له مابقى لنا صبر على حديثك والاخبار بسبب قطع ابهامى يديك وابهامى رجليك وسبب غسل يديك مائة وعشرين مرة فقال اعلموا ان والدى كان تاجرا من التجار الكبار وكان أكبر تجار مدينة بغداد فى أيام الخليفة هرون الرشيد وكان مولعا بشرب الخمر وسماع العود فلما مات لم يترك شيأ فجهزته وقد عملت له ختمات وحزنت عليه أياما وليالى ثم فتحت دكانه فما وجدته خلف الا يسيرا ووجدت عليه ديونا كثيرة فصرت أصحاب الديون وطيبت خواطرهم وصرت أبيع وأشترى وأعطى من الجمعة الى الجمعة أصحاب الديون ولا زلت على هذه الحالة مدة الى أن وفيت الديون وزدت على رأس مالى فبينما أنا جالس يوما من الايام اذ رأيت صبية لم ترعينى أحسن منها عليها حلى وحلل فاخرة وهى راكبة بغلة وقدامها عبد وورائها عبد فأوقفت البغلة على رأس السوق ودخلت ودخل خلفها خادم وقال ياسيدتى اخرجى ولا تعلمى أحدا فتطلق فينا النار ثم جيبها الخادم فلما نظرت الى دكاكين التجار لم تجد أفخر من دكانى فلما وصلت الى جهتى والخادم خلفها جلست على دكانى وسلمت على فما سمعت أحسن من حديثها ولا أعذب من كلامها ثم كشفت عن وجهها فنظرتها نظرة أعقبتنى ألف حسرة وتعلق قلبى بمحبتها وجعلت أكرر النظر الى وجهها وأنشدت هذين البيتين

قل للمليحة فى الخمار الفاخر ✻ الموت حقا من عذابك راحتى
جودى على بزورة أحيابها ✻ ها قد مددت الى نوالك راحتى

فلما سمعت انشادهما أجابتنى بهذه الابيات

عدمت فؤادى فى الهوى ان سلاكم ✻ فان فؤادى لا يحب سواكم
وان نظرت عينى الى غير حسنكم ✻ فلا سرها بعد البعاد لقاكم
حلفت يمينا لست أسلو هواكم ✻ وقلبى حزين مغرم بهواكم
سقانى الهوى كاسا من الحب صافيا ✻ فيا ليته لما سقانى سقاكم
خذوا رمقى حيث استقرت بكم نوى ✻ وأين حللتم فادفنونى حذاكم
وان تذكروا اسمى عند قبرى يجبكم ✻ أنين عظامى عند رفع بذاكم
فلو قيل لى ماذا على الله تشتهى ✻ لقلت رضا الرحمن ثم رضاكم

فلما فرغت من شعرها قالت يا فتى أعندك تفاصيل ملاح فقلت ياسيدتى مملوكك فقير ولكن اصبرى حتى تنفض التجار دكاكينهم وأجىء لك بما تريدينه ثم تحدثت أنا واياها وأنا غارق فى بحر محبتها آتيه فى عشقها حتى فتحت التجار دكاكينهم فقمت وأخذت لها جميع ما طلبته وكان ثمن ذلك خمسة آلاف درهم وناولت الخادم جميع ذلك فأخذه الخادم وذهبا الى خارج السوق

فقدموا لها البغلة فركبت ولم تذكر لى من أين هى واستحيت انى أذكر لها ذلك والتزمت الثمن للتجار وتكلفت غرامة خمسة آلاف درهم وحثث البيت وأنا سكران من محبتها فقدموا لى العشاء فأكلت لقمة وتذكرت حسنها وجمالها فأشغلنى عن الاكل وأردت أن أنام فلم يجئنى نوم ولم أزل على هذه الحالة أسبوعا وطالبتنى التجار بأموالهم فصبرتهم أسبوعا آخر فبعد الاسبوع أقبلت وهى راكبة البغلة ومعها خادم وعبدان فسلمت علىّ وقالت ياسيدى أبطأنا عليك بثمن القماش فهات الصيرفى واقبض الثمن فجاء الصيرفى وأخرج له الطواشى الثمن فقبضته وصرت أتحدث أنا واياها الى أن عمر السوق وفتحت التجار فقالت خذ لى كذا وكذا فأخذت لها من التجار ما أرادت وأخذته ومضت ولم تخاطبنى فى ثمن فلما مضت ندمت على ذلك وكنت أخذت الذى طلبته بألف دينار فلما غابت عن عينى قلت فى نفسى أى شئ هذه المحبة أعطتنى خمسة آلاف درهم وأخذت شيأ بألف دينار فخفت الافلاس وضياع مال الناس وقلت ان التجار لم يعرفوا الا أنا فما كانت هذه المرأة الا محتالة خدعتنى بحسنها وجمالها ورأتنى صغيرا فضحكت علىّ ولم أسألها عن منزلها ولم أزل فى وسواس وطالت غيبتها أكثر من شهر فطالبتنى التجار وشددوا علىّ فعرضت عقارى للبيع وأشرفت على الهلاك ثم قعدت وأنا متفكر فلم أشعر الا وهى نازلة على باب السوق ودخلت علىّ فلما رأيتها زالت الفكرة ونسيت ما كنت فيه وأقبلت تحدثنى بحديثها الحسن ثم قالت هات الميزان وزن مالك فأعطتنى ثمن ما أخذته بزيادة ثم انبسطت معى فى الكلام فكدت أن أموت فرحا وسرورا حتى قالت لى هل أنت لك زوجة فقلت لا انى لا أعرف امرأة ثم بكيت فقالت لى مالك تبكى فقلت من شئ خطر ببالى ثم انى أخذت بعض دنانير وأعطيتها للخادم وسألته أن يتوسط فى الامر فضحك وقال هى عاشقة لك أكثر منك ومالها بالقماش حاجة وانما هو لاجل محبتها لك فخاطبها بما تريد فانها لا تخالفك فيما تقول فرأتنى وأنا أعطى الخادم الدنانير فرجعت وجلست ثم قلت لها تصدقى على مملوكك واسمعى له فيما يقول ثم حدثتها بما فى خاطرى فأعجبها ذلك وأجابتنى وقالت هذا الخادم يأتى برسالتى واعمل أنت بما يقوله لك الخادم ثم قامت ومضت وقت سلمت التجار أموالهم وحصل لهم الربح الا أنا فانها حين ذهبت حصل لى الندم من انقطاع خبرها عنى ولم أنم طول ليلى فما كان الا أيام قلائل وجاءنى خادمها فاكرمته وسألته عنها فقال انها مريضة فقلت للخادم اشرح لى أمرها قال ان هذه الصبية ربتها السيدة زبيدة زوجة هرون الرشيد وهى من جواريها وقد اشتهت على سيدتها الخروج والدخول فأذنت لها فى ذلك فصارت تخرج وتدخل حتى صارت قهرمانة ثم انها حدثت بك سيدتها وسألتها أن تزوجها بك فقالت سيدتها لا أفعل حتى أنظر هذا الشاب فان كان يشبهك زوجتك به ونحن نريد فى هذه الساعة أن ندخل بك الدار فان دخلت الدار ولم يشعر بك أحد وصلت الى تزويجك اياها وان انكشف أمرك ضربت رقبتك فما ذا تقول قلت نعم أروح معك وأصبر على الامر الذى حدثتنى به فقال له الخادم اذا كانت هذه الليلة فامض الى المسجد الذى بنته السيدة زبيدة على الدجلة فصل فيه وبت هنالك فقلت حبا وكرامة فلما جاء وقت العشاء مضيت الى المسجد وصليت فيه وبت هنالك فلما كان وقت السحر رأيت الخادمين قد أقبلا فى زورق ومعهما صناديق فارغة فأدخلوها

فى المسجد وانصرفوا وتأخر واحد منهم فاقتأملته واذا هو الذى كان واسطة بينى وبينها فبعد
ساعة سمعت الينا الجارية صاحبتى فلما أقبلت قمت اليها وعانقتها فقبلتنى وبكت وتحدثنا
ساعة فأخذتنى ووضعتنى فى صندوق وأغلقته على ولم أشعر الا وأنا فى دار الخليفة وجاؤا الى
بشئ كثير من الامتعة بحيث يساوى خمسين ألف درهم ثم رأيت عشرين جارية أخرى وهن
نهد أبكار وبينهن الست زبيدة وهى لم تقدر على المشى مما عليها من الحلى والحال فلما أقبلت
تفرقت الجوارى من حواليها فأتيت اليها وقبلت الارض بين يديها فأشارت لى بالجلوس
فجلست بين يديها ثم شرعت تسألنى عن حالى وعن نسبى فأجبتها عن كل ما سألتنى عنه ففرحت
وقالت والله ما خابت تربيتنا فى هذه الجارية ثم قالت لى اعلم ان هذه الجارية عندنا بمنزلة ولد
الصلب وهى وديعة الله عندك فقبلت الارض قدامها ورضيت بزواجى اياها ثم أمرتنى أن
أقيم عندهم عشرة أيام فأقمت عندهم هذه المدة وأنا لا أدرى من هى الجارية الا ان بعض
الوصائف تأتينى بالغداء والعشاء لاجل الخدمة وبعد هذه المدة استأذنت السيدة زبيدة
زوجها أمير المؤمنين فى زواج جاريتها فأذن لها وأمر لها بعشرة آلاف دينار فأرسلت السيدة
زبيدة الى القاضى والشهود وكتبوا كتابى عليها وبعد ذلك عملوا الحلويات والاطعمة الفاخرة
وفرقوا على سائر البيوت ومكثوا على هذا الحال عشرة أيام أخر وبعد العشرين يوما أدخلوا
الجارية الحمام لاجل الدخول بها ثم انهم قدموا سفرة فيها طعام ومن جملته خافقية زرباجة
محشية بالسكر وعليها ماء ورد مسك وفيها أصناف الدجاج المحمرة وغيره من سائر الالوان
مما يدهش العقول فوالله حين حضرت المائدة ما أمهلت نفسى حتى نزلت على الزرباجة وأكلت
منها بحسب الكفاية ومسحت يدى ونسيت أن أغسلها ومكثت جالسا الى أن دخل الظلام
وأوقدت الشموع وأقبلت المغنيات بالدفوف ولم يزالوا يجلون العروسة ويقطون بالذهب حتى
طافت القصر كله وبعد ذلك أقبلوا بها على ونزعوا ما عليها من الملبوس فلما خلوت بها
فى الفراش وعانقتها وأنا لم أصدق بوصالها شممت فى يدى رائحة الزرباجة فلما شممت الرائحة
صرخت صرخة فنزل لها الجوارى من كل جانب فارتجفت ولم أعلم ما الخبر فقالت الجوارى مالك
يا أختنا فقالت لهم أخرجوا عنى هذا المجنون فأنا أحسب أنه عاقل فقلت لها وما الذى ظهر لك
من جنونى فقالت يا مجنون لأى شئ أكلت من الزرباجة ولم تغسل يدك فوالله لا أقبلك على عدم
عقلك وسوء فعلك ثم تناولت من جانبها سوطا ونزلت به على ظهرى ثم على مقاعدى حتى غبت
عن الوجود من كثرة الضرب ثم انها قالت للجوارى خذوه وامضوا به الى متولى المدينة ليقطع
يده التى أكل بها الزرباجة ولم يغسلها فلما سمعت ذلك قلت لا حول ولا قوة الا بالله أتقطع يدى
من أجل أكل الزرباجة وعدم غسلى اياها فدخلت عليها الجوارى وقلن لها يا أختنا
لا تؤاخذيه بفعله هذه المرة فقالت والله لا بد أن أقطع شيأ من أطرافه ثم راحت وغابت عنى
عشرة أيام ولم أرها وبعد العشرة أيام أقبلت على وقالت لى يا اسود الوجه أنا لا أصلح لك
فكيف تأكل الزرباجة ولم تغسل يدك ثم صاحت على الجوارى فكتفونى وأخذت موسى
ماضيا وقطعت ابهامى يدى وابهامى رجلى كما ترون يا جماعة فغشى على ثم ذرت على بالذرور
فانقطع الدم وقلت فى نفسى لا آكل الزرباجة ما بقيت حتى أغسل يدى أربعين مرة بالاشنان

وأربعين مرة بالسعد وأربعين مرة بالصابون فأخذت على ميثاقا أنى لا آكل الزرباجة حتى
أغسل يدى كما ذكرت لكم فلما جئتم بهذه الزرباجة تغيرلونى وقلت فى نفسى هذه سبب قطع
ابهامى يدى ورجلى فلما غصبتم على قلت لابد أن أوفى بما حلفت فقلت له والجماعة حاضرون
ما حصل لك بعد ذلك قال فلما حلفت لها طاب قلبها ونمت واياها وأقمنا مدة على هذا الحال وبعد
تلك المدة قالت ان أهل دار الخلافة لم يعلموا بما حصل بينى وبينك فيها وما دخلها أجنبى غيرك
وما دخلت فيها الا بعناية السيدة زبيدة ثم أعطتنى خمسين ألف دينار وقالت خذ هذه الدنانير
واخرج واشتر لنا بها دارا فسيحة فخرجت واشتريت دارا مليحة فسيحة ونقلت جميع ما عندها
من النعم وما ادخرته من الاموال والقماش والتحف الى هذه الدار التى اشتريتها فهذا سبب
قطع ابهامى فأكلنا وانصرفنا وبعد ذلك جرى لى مع الاحدب ما جرى وهذا جميع حديثى والسلام
فقال الملك ما هذا بأعذب من حديث الاحدب بل حديث الاحدب أعذب من ذلك ولابد من
صلبكم جميعا ثم ان اليهودى تقدم وقبل الارض وقال يا ملك الزمان أنا أحدثك بحديث أعجب
من حديث الاحدب فقال له ملك الصين هات ما عندك فقال أعجب ما جرى لى فى زمن شبابى انى
كنت فى دمشق الشام وتعلمت صنعة فعملت فيها فبينما أنا أعمل فى صنعتى يوما من الايام اذ
أتانى مملوك من بيت الصاحب بدمشق فخرجت له وتوجهت معه الى منزل الصاحب فدخلت
فرأيت فى صدر الايوان سريرا من المرمر بصفائح الذهب وعليه آدمى مريض راقد وهو شاب
لم ير أحسن منه فى زمانه فقعدت عند رأسه ودعوت له بالشفاء فأشار الى بعينه فقلت له ياسيدى
ناولنى يدك فأخرج لى يده اليسرى فتعجبت من ذلك وقلت فى نفسى يالله العجب ان هذا الشاب
مليح ومن بيت كبير وليس عنده أدب ان هذا هو العجب ثم جسست مفاصله وكتبت له ورقة
ومكثت أتردد عليه مدة عشرة أيام حتى تعافى ودخل الحمام واغتسل وخرج فخلع على الصاحب
خلعة مليحة وجعلنى مباشرا عنده فى المارستان الذى بدمشق فلما دخلت معه الحمام وقد
أخلوه لنا من جميع الناس ودخل الخادم بالثياب وأخذ ثيابه التى كانت عليه من داخل
الحمام فبعد أن تعرى رأيت يده اليمين قطع أصبعها فلما رأيته أخذت أتعجب وحزنت عليه
ونظرت الى جسده فوجدت عليه آثار ضرب مقارع فصرت أتعجب من أجل ذلك فنظر الى
الشاب وقال لى ياحكيم الزمان لا تعجب من أمرى فسوف أحدثك بحديث حتى تخرج من الحمام
فلما خرجنا من الحمام وصلنا الى الدار وأكلنا الطعام واسترحنا قال الشاب هل لك أن
تتفرج فى الغرفة فقلت نعم فأمر العبيد أن يطلعوا الفراش الى فوق وأمرهم أن يشووا
خروفا وأن يأتوا الينا بفاكهة ففعل العبيد ما أمرهم به وأتوا بالفاكهة فأكلنا وأكل هو بيده
الشمال فقلت له حدثنى بحديثك فقال لى ياحكيم الزمان اسمع حكاية ما جرى لى اعلم انى من
من أولاد الموصل وكان لى والد قد توفى أبوه وخلف عشرة أولاد ذكور من جملتهم والدى وكان
أكبرهم فكبروا كلهم وتزوجوا ورزق والدى بى وأما أخوته التسعة فلم يرزقوا بأولاد فكبرت
أنا وصرت بين أعمامى وهم فرحون بى فرحا شديدا فلما كبرت وبلغت مبلغ الرجال كنت ذات
يوم مع والدى فى جامع الموصل وكان اليوم يوم جمعة فصلينا الجمعة وخرج الناس جميعا وأما
والدى وأعمامى فانهم قعدوا يتحدثون فى عجائب البلاد وغرائب المدن الى أن ذكروا مصر فقال

بعض

بعض أعمامى ان المسافرين يقولون ماعلى وجه الارض أحسن من مصر ونيلها ولقد أحسن من قال فيها وفى نيلها هذين البيتين

يالله قل للنيل عنى اننى * لم أشف من ماء الفرات غليلا
اقلب كم خلفت ثم بثينة * وأظن صبرك أن يكون جميلا

ثم انهم أخذوا يصفون مصر ونيلها فلما فرغوا من كلامهم وسمعت أنا هذه الاوصاف التى فى مصر صار خاطرى مشغولا بها ثم انصرفوا وتوجه كل واحد منهم الى منزله فبت تلك الليلة لم يأتنى نوم من شغفى بها ولم يطب لى أكل ولا شرب فلما كان بعد أيام قلائل تجهز أعمامى الى مصر فبكيت على والدى لاجل الذهاب معهم حتى جهز لى متجرا ومضيت معهم وقال لهم لاتدعوه يدخل مصر بل اتركوه فى دمشق ليبيع متجره فيها ثم سافرنا وودعت والدى وخرجنا من الموصل ومازلنا مسافرين حتى وصلنا الى حلب فأقمنا بها أياما ثم سافرنا الى أن وصلنا دمشق فرأينا هامدينة ذات أشجار وأنهار وأثمار وأطيار كأنها جنة فيها من كل فاكهة فنزلنا فى بعض الخانات واستمرينا بها أعمامى حتى باعوا واشتروا وباعوا بضاعتى فربح الدرهم خمسة دراهم ففرحت بالربح ثم تركنى أعمامى وتوجهوا الى مصر فمكثت بعدهم وسكنت فى قاعة ملجحة البنيان يعجز عن وصفها اللسان أجرتها كل شهر دينار ان وصرت أتلذذ بالمآكل والمشارب حتى صرفت المال الذى كان معى فبينما أنا قاعد على باب القاعة يوما من الايام واذا بصبية أقبلت على وهى لابسة أفخر الملابس مارأت عينى أفخر منها فعزمت عليها فما قصرت بل صارت داخل الباب فلما دخلت ظفرت بها وفرحت بدخولها فرددت الباب على وعليها وكشفت عن وجهها وقلعت ازارها فوجدتها بديعة الجمال فتمكن حبها من قلبى فقمت وجئت بسفرة من أطيب المأكول والفاكهة ومايحتاج اليه المقام وأكلنا ولعبنا وبعد اللعب شربنا حتى سكرنا ثم نمت معها فى أطيب ليلة الى الصباح وبعد ذلك أعطيتها عشرة دنانير فحلفت أنها لاتأخذ الدنانير منى ثم قالت ياحبيبى انتظرنى بعد ثلاثة أيام وقت المغرب أكون عندك وهيئ لنا بهذه الدنانير مثل هذا وأعطتنى هى عشرة دنانير وودعتنى وانصرفت فأخذت عقلى معها فلما مضت الايام الثلاثة أتت وعليها من المزركش والحلى والحلل أعظم مما كان عليها أولا وكنت هيأت لها مايليق بالمقام قبل ان تحضر ثم أكلنا وشربنا ونمنا مثل العادة الى الصباح ثم أعطتنى عشرة دنانير وواعدتنى بعد ثلاثة أيام انها تحضر عندى فهيأت لها مايليق بالمقام وبعد ثلاثة أيام حضرت فى قماش أعظم من الاول والثانى ثم قالت لى ياسيدى هل أنا ملجحة فقلت اى والله فقالت هل تأذن لى أن أحضر معى بصبية أحسن منى وأصغر سنا منى حتى تلعب معنا ونضحك واياها فانها سألتنى أن نخرج معى وتبيت معنا لنضحك واياها ثم أعطتنى عشرين دينارا وقالت لى زد لنا المقام لاجل الصبية التى تأتى معى ثم انها ودعتنى وانصرفت فلما كان اليوم الرابع جهزت لها مايليق بالمقام على العادة فلما كان بعد المغرب واذا بها قد أتت ومعها واحدة ملفوفة بازار فدخلتا وجلستا ففرحت وأوقدت الشموع واستقبلتهما بالفرح والسرور وقمت وانزعتا ماعليهما من القماش وكشفت الصبية الجديدة عن وجهها فرأيتها كالبدر فى تمامه فلم أر أحسن منها فقمت وقدمت لهما الاكل والشرب فأكلنا وشربنا وصرت أقبل الصبية الجديدة

وأملأ لها القدح وأشرب معها فغارت الصبية الأولى فى الباطن ثم قالت بالله ان هذه الصبية ملحة أما هى أظرف منى قلت اى والله قالت خاطرى أن تنام معها قلت على رأسى وعينى ثم قامت وفرشت لنا فقمت ونمت مع الصبية الجديدة الى وقت الصبح فلما أصبحت وجدت يدى مملوءة بدم ففتحت عينى فوجدت الشمس قد طلعت فنبهت الصبية فتدحرجت رأسها عن بدنها فظننت انها فعلت ذلك من غيرتها منها ففكرت ساعة ثم قمت قلعت ثيابى وحفرت فى القاعة ووضعت الصبية ورددت عليها التراب وأعدت الرخام كما كان ثم لبست وأخذت بقية مالى وخرجت وجئت الى صاحب القاعة ودفعت له أجرة سنة وقلت له أنا مسافر الى أعمامى بمصر ثم سافرت الى مصر واجتمعت بأعمامى ففرحوا بى ووجدتهم قد فوغوا من بيع متجرهم ثم قالوا لى ماسبب مجيئك فقلت لهم اشتقت اليكم وخفت أن لا يبقى معى شئ من مالى فأقمت عندهم سنة وأنا أتفرج على مصر وتيلها ووضعت يدى فى بقية مالى وصرت أصرف منه وآكل وأشرب حتى قرب سفر أعمامى فهربت منهم فقالوا لعله سبقنا ورجع الى دمشق فسافروا وخرجت أنا فأقمت بمصر ثلاث سنين وصرت أصرف حتى لم يبق معى من المال شئ وأنا فى كل سنة أرسل الى صاحب القاعة أجرتها وبعد الثلاث سنين ضاق صدرى ولم يبق معى الا أجرة السنة فقط فسافرت حتى وصلت الى دمشق ونزلت فى القاعة ففرح بى صاحبها فدخلت القاعة ومسحتها من دم الصبية المذبوحة ورفعت المخدة فوجدت تحتها العقد الذى كان فى عنق تلك الصبية فأخذته وتأملته وبكيت ساعة ثم أقمت يومين وفى اليوم الثالث دخلت الحمام وغيرت أثوابى وأنا معى شئ من الدراهم فخرجت يوما الى السوق فوسوس لى الشيطان لاجل انفاذ القدر فأخذت العقد الجوهر وتوجهت به الى السوق وناولته للدلال فقام لى وأجلسنى بجانبه وصبر حتى عمر السوق وأخذه الدلال ونادى عليه خفية وأنا لا أعلم واذا بالعقد مثمن بلغ ثمنه ألفى دينار فجاء الى الدلال وقال لى ان هذا العقد نحاس مصنوع بصنعة الافرنج وقد وصل ثمنه الى ألف درهم فقلت له نعم هذا كما صنعناه لواحدة نضحك عليها به وورثها زوجتى فأردنا بيعه فرح واقبض الالف درهم وأدرك شهرزاد الصباح * فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب لما قال للدلال اقبض الالف درهم وسمع الدلال ذلك عرف أن قضيته مشكلة فتوجه بالعقد الى كبير السوق وأعطاه اياه فأخذه وتوجه به الى الوالى وقال له ان هذا العقد سرق من عندى ووجدنا الحرامى لابسا لباس أولاد التجار فلم أشعر الا والظلمة قد أحاطوا بى وأخذونى وذهبوا بى الى الوالى فسألنى الوالى عن ذلك العقد فقلت له ما قلته للدلال فضحك الوالى وقال ما هذا كلام الحق فلم أدر الا وحواشيه جردونى من ثيابى وضربونى بالمقارع على جميع بدنى فأحرقنى الضرب فقلت أنا سرقته وقلت فى نفسى ان الاحسن انى أقول أنا سرقته ولا أقول ان صاحبته مقتولة عندى فيقتلونى فيها فلما قلت انى سرقته قطعوا يدى وقلوها فى الزيت فغشى على فسقونى الشراب حتى أفقت فأخذت يدى وجئت الى القاعة فقال صاحب القاعة حيثما جرى لك هذا فأخل القاعة واذهب لك موضعا آخر لانك متهم بالحرام فقلت له ياسيدى اصبر على يومين أو ثلاثة حتى أنظر لى موضعا قال نعم ومضى وتركنى فبقيت قاعدا أبكى وأقول كيف أرجع الى أهلى وأنا

مقطوع

مقطوع اليد والذى قطع يدى لم يعلم أنى برىء فلعل الله يحدث بعد ذلك أمرا وصرت أبكى بكاء شديدا فلما مضى صاحب القاعة عنى لحقنى غم شديد فتشوشت يومين وفى اليوم الثالث ما أدرى الا وصاحب القاعة جاء فى ومعه بعض الظلمة وكبير السوق وادعى على انى سرقت العقد فخرجت لهم وقلت لهم ما الخبر فلم يمهلونى بل كتفونى ووضعوا فى رقبتى جنزيرا وقالوا الى ان العقد الذى كان معك طلع لصاحب دمشق ووزيرها وحاكمها وقالوا ان هذا العقد قد ضاع من بيت الصاحب من مدة ثلاث سنين ومعه ابنته فلما سمعت هذا الكلام منهم ارتعدت مفاصلى وقلت فى نفسى هم يقتلوننى ولا محالة والله لابد انى أحكى للصاحب حكايتى فان شاء قتلنى وان شاء عفا عنى فلما وصلنا الى الصاحب أوقفنى بين يديه فلما رآنى قال أهذا الذى سرق العقد ونزل به ليبيعه انكم قطعتم يده ظلما ثم أمر بسجن كبير السوق وقال له أعط هذا دية يده والا أشنقك وآخذ جميع مالك ثم صاح على أتباعه فأخذوه وجروه وبقيت أنا والصاحب وحدنا بعد أن فكوا الغل من عنقى باذنه وحلوا وثاقى ثم نظر الى الصاحب وقال لى يا ولدى حدثنى واصدقنى كيف وصل اليك هذا العقد فقلت يا مولاى انى أقول لك الحق ثم حدثته بجميع ما جرى لى مع الصبية الأولى وكيف جاءتنى بالثمانية وكيف ذبحتها من الغيرة وذكرت له الحديث بتمامه فلما سمع كلامى هز رأسه وحط منديله على وجهه وبكى ساعة ثم أقبل على وقال لى اعلم يا ولدى ان الصبية الكبيرة بنتى وكنت أحجر عليها فلما بلغت أرسلتها الى ولد عمها بمصر فمات فجاءتنى وقد تعلمت السحر من أولاد مصر وجاءتك أربع مرات ثم جاءتك باختها الصغيرة والاثنتان شقيقتان وكانتا محبتين لبعضهما فلما جرى للكبيرة ما جرى أخرجت سرها على أختها فطلبت منى الذهاب معها ثم رجعت وحدها فسألتها عنها فوجدتها تبكى عليها وقالت لا أعلم لها خبرا ثم قالت لا تهما سرا جميع ما جرى من ذبحها أختها فأخبرتنى أنها سرا ولم تزل تبكى وتقول والله لا أزال أبكى عليها حتى أموت وكلامك يا ولدى صحيح فانى أعلم بذلك قبل أن تخبرنى به فانظر يا ولدى ما جرى وأنا أشتهى منك أن لا تخالفنى فيما أقول لك وهو انى أريد أن أزوجك ابنتى الصغيرة فانها ليست شقيقة لهما وهى بكر ولم آخذ منك مهرا وأجعل لكما رتبا من عندى وتبقى عندى بمنزلة ولدى فقلت له الامر كما تريد يا سيدى ومن أين لى أن أصل الى ذلك فأرسل الصاحب فى الحال من عنده بريدا وأتانى بمالى الذى خلفه والدى وأنا اليوم فى أرغد عيش فتعجبت منه وأقمت عنده ثلاثة أيام وأعطانى مالا كثيرا وسافرت من عنده فوصلت الى بلدكم هذه فطابت لى فيها المعيشة وجرى لى مع الاحدب ما جرى فقال ملك الصين ما هذا بأعجب من حديث الاحدب ولا بد لى من شنقكم جميعا وخصوصا الخياط الذى هو رأس كل خطيئة ثم قال يا خياط ان حدثتنى بشىء أعجب من حديث الاحدب وهبت لكم ذنوبكم

﴿حكاية مزين بغداد﴾

فعند ذلك تقدم الخياط وقال اعلم يا ملك الزمان ان الذى جرى لى أعجب مما جرى للجميع لانى كنت قبل أن أجتمع بالاحدب أول النهار فى وليمة لبعض أصحابى أرباب الصنائع من خياطين وبزازين ونجارين وغير ذلك فلما طلعت الشمس حضر الطعام لنأكل واذا بصاحب الدار قد دخل علينا ومعه شاب غريب مليح من أهل بغداد وعلى ذلك الشاب أحسن ما يكون من الثياب

وهو فى أحسن ما يكون من الجمال غير أنه أعرج فدخل علينا وسلم فقمنا له فلما أراد الجلوس رأى فينا انسانا مزينا فامتنع من الجلوس وأراد أن يخرج من عندنا فمنعناه نحن وصاحب المنزل وشددنا عليه وحلف عليه صاحب المنزل وقال له ما سبب دخولك وخروجك فقال بالله يا مولاى لا تتعرض لى بشئ فان سبب خروجى هذا المزين الذى هو قاعد فلما سمع منه صاحب الدعوة هذا الكلام تعجب غاية العجب وقال كيف يكون هذا الشاب من بغداد وتشوش خاطره من هذا المزين ثم التفتنا اليه وقلنا له احك لنا ما سبب غيظك من هذا المزين فقال الشاب ياجماعة انه جرى لى مع هذا المزين أمر عجيب فى بغداد بلدى وكان هو سبب عرجى وكسر رجلى وحلفت أنى ما بقيت أقاعده فى مكان ولا أسكن فى بلد هو ساكن بها وقد سافرت من بغداد ورحلت منها وسكنت فى هذه المدينة وأنا الليلة لا أبيت الا مسافرا فقلنا له بالله عليك أن تحكى لنا حكايتك معه فاصفرّ لون المزين حين سألنا الشاب ثم قال الشاب اعلموا ياجماعة الخير أن والدى من أكابر تجار بغداد ولم يرزقه الله تعالى بولد غيرى فلما كبرت وبلغت مبلغ الرجال توفى والدى الى رحمة الله تعالى وخلف لى مالا وخدما وحشما فصرت ألبس أحسن الملابس وآكل أحسن المآكل وكان الله سبحانه وتعالى يغضنى فى النساء الى أن كنت ماشيا يوما من الايام فى أزقة بغداد واذا بجماعة تعرّضوا لى فى الطريق فهربت ودخلت زقاقا لا ينفذ وارتكنت فى آخره على مصطبة فلم أقعد غير ساعة واذا بطاقة قبالة المكان الذى أنا فيه ففتحت ولمحت منها صبية كالبدر فى تمامه لم أر فى عمرى مثلها ولها زرع تسقيه وذلك الزرع تحت الطاقة فالتفتت يمينا وشمالا ثم قفلت الطاقة وغابت عنى فانطلقت فى قلبى النار واشتغل خاطرى بها وانقلب بغضى للنساء محبة فلا زلت جالسا فى هذا المكان الى المغرب وأنا غائب عن الدنيا من شدة الغرام واذا بقاضى المدينة راكب وقدامه عبيد ووراءه خدام فنزل ودخل البيت الذى طلعت منه تلك الصبية فعرفت أنه أبوها ثم انى جئت منزلى وأنا مكروب ووقعت على الفراش مهموما فدخلت علىّ جوارىّ وقعدن حولى ولم يعرفن ما بى وأنا لم أبد لهن أمرا ولم أرد لخطابهن جوابا وعظم مرضى فصارت الناس تعودنى فدخلت علىّ عجوز فلما رأتنى لم يخف عليها حالى فقعدت عند رأسى ولاطفتنى وقالت لى يا ولدى قل لى خبرك فحكيت لها حكايتى فقالت يا ولدى ان هذه بنت قاضى بغداد وعليها الحجر والموضع الذى رأيتها فيه هو طبقتها وأبوها له قاعة كبيرة أسفل وهى وحدها وأنا كثيرا ما أدخل عندهم ولا تعرف وصالها الا منى فشد حيلك فتجلدت وقويت نفسى حين سمعت حديثها وفرح أهلى فى ذلك اليوم وأصبحت متماسك الاعضاء مترجيا تمام الصحة ثم مضت العجوز ورجعت ووجهها متغير فقالت يا ولدى لا تسأل عما جرى منها لما قلت لها ذلك فانها قالت لى ان لم تسكتى يا عجوز النحس عن هذا الكلام لأفعلن بك ما تستحقينه ولا بد أن أرجع اليها ثانى مرة فلما سمعت ذلك منها ازددت مرضا على مرضى فلما كان بعد أيام أتت العجوز وقالت يا ولدى أريد منك البشارة فلما سمعت ذلك منها ردّت روحى الى جسمى وقلت لها لك عندى كل خير فقالت انى ذهبت بالامس الى تلك الصبية فلما نظرتنى وأنا منكسرة الخاطر باكية العين قالت يا خالتى مالى أرالك ضيقة الصدر فلما قالت لى ذلك بكيت وقلت لها يا بنتى وسيدتى انى أتيتك بالامس من عند فتى يهوالك وهو

مشرف على الموت من أجلك فقالت لى وقد رق قلبها ومن أين يكون هذا الفتى الذى تذكره قلت هو ولدى وثمرة فؤادى ورآك فى الطاقة من أيام مضت وأنت تسقين زرعك ورأى وجهك فهام بك عشقا وأنا أول مرة أعلمته بما جرى لى معك فزاد مرضه ولزم الوساد وما هو الا ميت ولا محالة فقالت وقد اصفر لونها هل هذا كله من أجلى قلت اى والله فما ذا تأمرين قالت امضى اليه وأقرئيه منى السلام وأخبريه أن عندى أضعاف ما عنده فاذا كان يوم الجمعة قبل الصلاة يجىء الى الدار وأنا أقول افتحوا له الباب وأطلعه عندى وأجتمع واياه ساعة ويرجع قبل مجىء أبى من الصلاة فلما سمعت كلام العجوز زال ما كنت أجده من الألم واستراح قلبى ودفعت اليها ما كان على من الثياب واذ عرفت وقالت لى طيب قلبك فقلت لها لم يبق فى شئ من الألم وتباشر أهل بيتى وأصحابى بعافيتى ولم أزل كذلك الى يوم الجمعة واذا بالعجوز دخلت على وسألتنى عن حالى فأخبرتها أنى بخير وعافية ثم لبست ثيابى وتعطرت ومكثت أنتظر الناس يذهبون الى الصلاة حتى أمضى اليها فقالت العجوز ان معك فى الوقت اتساعا زائدا فلو مضيت الى الحمام وأزلت شعرك لاسيما من أثر المرض لكان فى ذلك صلاحك فقلت لها ان هذا هو الرأى الصواب لكن أحلق رأسى أولا ثم أدخل الحمام فأرسلت الى المزين ليحلق لى رأسى وقلت للغلام امض الى السوق وائتنى بمزين يكون عاقلا قليل الفضول لا يصدع رأسى بكثرة كلامه فمضى الغلام وأتى بهذا الشيخ فلما دخل سلم على فرددت عليه السلام فقال أذهب الله غمك وهمك والبؤس والاحزان عنك فقلت تقبل الله منك فقال أبشر ياسيدى فقد جاءتك العافية أتريد تقصير شعرك أو اخراج دم فانه ورد عن ابن عباس أنه قال من قصر شعره يوم الجمعة صرف الله عنه سبعين داء وروى عنه أيضا أنه قال من احتجم يوم الجمعة لا يأمن ذهاب البصر وكثرة المرض فقلت له دع عنك هذا الهذيان وقم فى هذه الساعة احلق لى رأسى فانى رجل ضعيف فقام ومد يده وأخرج منديلا وفتحه وأذا فيه اصطرلاب وهو سبع صفائح فأخذه ومضى الى وسط الدار ورفع رأسه الى شعاع الشمس ونظر مليا وقال لى اعلم أنه مضى من يومنا هذا وهو يوم الجمعة وهو عاشر صفر سنة ثلاث وستين وسبعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وطالعه بمقتضى ما أوجبه علم الحساب المريخ سبع درج وستة دقائق واتفق أنه قارنه عطارد وذلك يدل على أن حلق الشعر جيد جدا ودل عندى على انك تريد الاقبال على شخص وهو مسعود لكن بعده كلام يقع وشئ لا أذكره لك فقلت له والله لقد أضجرتنى وأزهقت روحى وقولت على وأنا ما طلبتك الا لتحلق رأسى فقم واحلق رأسى ولا تطل على الكلام فقال والله لو علمت حقيقة الامر لطلبت منى زيادة البيان وأنا أشير عليك أنك تعمل اليوم بالذى آمرك به بمقتضى حساب الكواكب وكان سبيلك أن تحمد الله الله ولا تخالفنى فانى ناصح لك وشفيق عليك وأود أن أكون فى خدمتك سنة كاملة وتقوم بحقى ولا أريد منك أجرة على ذلك فلما سمعت ذلك منه قلت له انك قاتلى فى هذا اليوم ولا محالة * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال له انك قاتلى فى هذا اليوم فقال ياسيدى أنا الذى تسمينى الناس الصامت لقلة كلامى دون اخوتى لان أخى

الكبير اسمه البقبوق والثانى الهدار والثالث بقيق والرابع اسمه الكوز الاصوانى والخامس اسمه العشار والسادس اسمه شقالق والسابع اسمه الصامت وهو أنا فلما زاد على هذا المزين بالكلام رأيت أن مرارتى انفطرت وقلت للغلام أعطه ربع دينار وخله ينصرف عنى لوجه الله فلا حاجة لى فى حلاقة رأسى فقال هذا المزين حين سمع كلامى مع الغلام أى شئ هذا المقال يا مولاى والله لا آخذ منك أجرة حتى أخدمك ولا بد من خدمتك فانه واجب على خدمتك وقضاء حاجتك ولا أبالى اذا لم آخذ منك دراهم فان كنت لا تعرف قدرى فأنا أعرف قدرك وكان والدك رحمه الله تعالى له علينا الاحسان لانه كان كريما والله لقد أرسل والدك خلفى يوما مثل هذا اليوم المبارك فدخلت عليه وكان عنده جماعة من أصحابه فقال لى أخرج لى دما فأخذت الاصطرلاب وأخذت له الارتفاع فوجدت طالع الساعة نحسا واخراج الدم فيها صعبا فأعلمته بذلك فامتثل وصبر الى أن أتت الساعة الحميدة وأخرجت له فيها الدم ولم يخالفنى بل شكرنى وكذلك شكرنى الجماعة الحاضرون وأعطانى والدك مائة دينار فى نظير اخراج الدم فقلت له لا رحم الله أبى الذى عرف مثلك فضحك هذا المزين وقال لا اله الا الله محمد رسول الله سبحان من يغير ولا يتغير ما كنت أظنك الا عاقلا لكنك خرفت من المرض وقد قال الله فى كتابه العزيز والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وأنت معذور على كل حال وما أدرى سبب عجلتك وأنت تعلم أن والدك ما كان يفعل شيأ الا بمشورتى وقد قيل ان المستشار مؤتمن وما تجد أحدا أعرف منى بالامور فأنا واقف على أقدامى أخدمك وما ضجرت منك فكيف ضجرت أنت منى وأنا أصبر عليك لأجل مالا يبك على من الفضل فقلت له والله لقد أطلت على الخطاب وزدت على فى المقال وأنا قصدى أن تحلق رأسى وتنصرف عنى وأظهرت الغضب وأردت أن أقوم وان كان قد بل رأسى فقال قد علمت أنه قد غلب عليك الضجر منى لكن لا أؤاخذك لان عقلك ضعيف وأنت صبى ومن زمن قريب كنت أحملك على كتفى وأمضى بك الى المكتب فقلت له يا أخى بحق الله عليك انصرف عنى حتى أقضى شغلى وقم الى حال سبيلك ثم مزقت أثوابى فلما رآنى فعلت ذلك أخذ الموسى وسنه ولا زال يسنه حتى كادت روحى أن تفارق جسمى ثم تقدم الى رأسى وحلق منها بعضا ثم رفع يده وقال يا مولاى العجلة من الشيطان ثم انه أنشد هذين البيتين

تأن ولا تعجل لأمر تريده * وكن راحما للناس تبلى براحم
فما من يد الا يد الله فوقها * ولا ظالم الا سيبلى بظالم

ثم قال يا مولاى ما أظنك تعرف بمنزلتى فان يدى تقع على رأس الملوك والامراء والوزراء والحكماء والفضلاء وفى مثلى قال الشاعر

جميع الصنائع مثل العقود * وهذا المزين در السلوك
فيعلو على كل ذى حكمة * وتحت يديه رؤس الملوك

فقلت دع مالا يعنيك فقد ضيقت صدرى وأشغلت خاطرى فقال أظنك مستعجلا فقلت له نعم نعم نعم فقال تمهل على نفسك فان العجلة من الشيطان وهى تورث الندامة والحرمان وقد قال عليه الصلاة والسلام خير الأمور ما كان فيه تأن وأنا والله رابنى أمرك فأشتهى أن تعرفنى

ما

فما الذى أنت مستعجل من أجله ولعله خير فانى أخشى أن يكون شيأ غير ذلك وقد بقى من الوقت ثلاث ساعات ثم غضب ورمى الموسى من يده وأخذ الاصطرلاب ومضى الى الشمس ووقف حصة مديدة وعاد وقال قد بقى لوقت الصلاة ثلاث ساعات لا تزيد ولا تنقص فقلت له بالله عليك اسكت عنى فقد فتت كبدى فأخذ الموسى وسنه كما فعل أولا وحلق بعض رأسى وقال أنا مهموم من عجلتك فلو أطلعتنى على سببها لكان خيرا لك لانك تعلم أن والدك ما كان يفعل شيأ الا بمشورتى فلما علمت أن مالى منه خلاص قلت فى نفسى قد جاء وقت الصلاة وأريد أن أمضى قبل أن تخرج الناس من الصلاة فان تأخرت ساعة لا أدرى أين السبيل الى الدخول اليها فقلت أوجز ودع عنك هذا الكلام والفضول فانى أريد أن أمضى الى دعوة عند أصحابى فلما سمع ذكر الدعوة قال يومك يوم مبارك على لقد كنت البارحة حلفت على جماعة من أصدقائى ونسيت أن أجهز لهم شيأ يأكلونه وفى هذه الساعة تذكرت ذلك وافضحتاه منهم فقلت له لا تهتم بهذا الامر بعد تعريفك أننى اليوم فى دعوة فكل ما فى دارى من طعام وشراب لك ان أنجزت أمرى وعجلت حلاقة رأسى فقال جزاك الله خيرا صف لى ما عندك لاضيافى حتى أعرفه فقلت عندى خمسة أوان من الطعام وعشر دجاجات محمرات وخروف مشوى فقال أحضرها الى حتى أنظر فأحضرت له جميع ذلك فلما عاينه قال بقى الشراب فقلت له عندى قال أحضره فأحضرته له قال لله درك ما أكرم نفسك لكن بقى البخور والطيب فأحضرت له درجا فيه ند وعود وعنبر ومسك يساوى خمسين دينارا وكان الوقت قد ضاق حتى صار مثل صدرى فقلت له خذ هذا واحلق لى جميع رأسى بحياة محمد صلى الله عليه وسلم فقال المزين والله ما آخذه حتى أرى جميع ما فيه فأمرت الغلام ففتح له الدرج فرمى المزين الاصطرلاب من يده وجلس على الارض يقلب الطيب والبخور والعود الذى فى الدرج حتى كادت روحى أن تفارق جسمى ثم تقدم وأخذ الموسى وحلق من رأسى شيأ يسيرا وقال والله يا ولدى ما أدرى أأشكرك أم أشكر والدك لان دعوتى اليوم كلها من بعض فضلك واحسانك وليس عندى من يستحق ذلك وانما عندى زيتون الحمامى وصليع الفسخانى وعوكل الفوال وعكرشة البقال وحميد الزبال وعكارش اللبان ولكل من هؤلاء رقصة يرقصها وأبيات ينشدها وأحسن ما فيهم أنهم مثل الملوك وعبدك أنا لا أعرف كثرة كلام ولا فضول أما الحمامى فانه يقول ان لم أذهب اليها تحثنى بيتى وأما الزبال فانه ظريف خليع كثيرا ما يرقص ويقول الخبز عندى وجتى ما صار فى صندوق وكل واحد من أصحابى له لطائف لا توجد فى الآخر وليس الخبر كالعيان فان اخترت أن تحضر عندنا كان ذلك أحب اليك والينا واترك رواحك الى أصدقائك الذين قلت لى انك تريد الذهاب اليهم فان عليك أثر المرض وربما تمضى الى أقوام كثيرى الكلام يتكلمون فيما لا يعنيهم وربما يكون فيهم واحد فضولى وأنت قلقت روحك من المرض فقلت ان شاء الله يكون ذلك فى غير هذا اليوم فقال لى الاذنب أن تقدم حضورك عند أصحابى لتغتنم مؤانستهم وتفوز بملحهم وتعمل بقول الشاعر

لا تؤخر لذة ان أمكنت * انما الدهر سريع العطب

ففحكت عن قلب مشحون بالغيظ وقلت له اقض شغلى وأسيرا أنا فى أمان الله تعالى وتمضى

أنت الى أصحابك فانهم منتظرون قدومك فقال ما طلبت الا أن أعاشرك بهؤلاء الاقوام فانهم من أولاد الناس الذين ما فيهم فضولى ولو رأيتهم مرة واحدة لتركت جميع أصحابك فقلت له نعم الله سرورك بهم ولا بد أن أحضرهم عندى يوما فقال اذا أردت ذلك وقدمت دعوة أصحابك فى هذا اليوم فاصبر حتى أمضى بهذا الاكرام الذى أكرمتنى به وأدعه عند أصحابى يأكلون ويشربون ولا ينتظرونى ثم أعود اليك وأمضى معك الى أصدقائك فليس بينى وبين أصدقائى حشمة تمنعنى عن تركهم والعود اليك عاجلا وأمضى معك أينما توجهت فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم امض أنت الى أصدقائك واشرح معهم ودعنى أمضى الى أصدقائى وأكون معهم فى هذا اليوم فانهم ينتظرون قدومى فقال المزين لا أدعك تمضى وحدك فقلت له ان الموضع الذى أمضى اليه لا يقدر أحد أن يدخل فيه غيرى فقال أظنك اليوم فى ميعاد واحد والا كنت تأخذنى معك وأنا أحق من جميع الناس وأساعدك على ما تريد فانى أخاف أن تدخل على امرأة أجنبية فتروح روحك فان هذه مدينة بغداد لا يقدر أحد أن يعمل فيها شيأ من هذه الاشياء لا سيما فى مثل هذا اليوم وهذا والى بغداد صارم عظيم فقلت ويلك يا شيخ الشر أى شئ هذا الكلام الذى تقابلنى به فسكت سكوتا طويلا وأدركنا وقت الصلاة وجاء وقت الخطبة وقد فرغ من حلق رأسى فقلت له امض الى أصحابك بهذا الطعام والشراب وأنا أنتظرك حتى تعود وتمضى معى ولم أزل أخادعه لعله يمضى فقال لى انك تخادعنى وتمضى وحدك وترمى نفسك فى مصيبة لا خلاص لك منها فالله الله لا تبرح حتى أعود اليك وأمضى معك حتى أعلم ما يتم من أمرك فقلت له نعم لا تبطئ على فأخذ ما أعطيته من الطعام والشراب وغيره وخرج من عندى فسلمه الى الحمال ليوصله الى منزله وأخفى نفسه فى بعض الازقة ثم قمت من ساعتى وقد أعلنوا على المنارات بسلام الجمعة فلبست ثيابى وخرجت وحدى وأتيت الى الزقاق ووقفت على البيت الذى رأيت فيه تلك الصبية واذا بالمزين خلفى ولا أعلم به فوجدت الباب مفتوحا فدخلت واذا بصاحب الدار عاد الى منزله من الصلاة ودخل القاعة وغلق الباب فقلت من أين علم هذا الشيطان بى فاتفق فى هذه الساعة لأمر يريده الله من هتك ستر أن صاحب الدار أذنبت جارية عنده فضربها فصاحت فدخل عنده عبد ليخلصها فضرب به فصاح الآخر فاعتقد المزين أنه يضربنى فصاح وخرق أثوابه وحثا التراب على رأسه وصار يصرخ ويستغيث والناس حوله وهو يقول قتل سيدى فى بيت القاضى ثم مضى الى دارى وهو يصيح والناس خلفه وأعلم أهل بيتى وغلمانى فما دريت الا وهم قد أقبلوا يصيحون واسيداه كل هذا والمزين قدامهم وهو يمزق الثياب والناس معهم ولم يزالوا يصرخون وهو فى أوائلهم يصرخ وهم يقولون واقتيلاه وقد أقبلوا نحو الدار التى أنا فيها فلما سمع القاضى ذلك عظم عليه الامر وقام وفتح الباب فرأى جمعا عظيما فهت وقال يا قوم ما القصة فقال له الغلمان انك قتلت سيدنا فقال يا قوم وما الذى فعله سيدكم حتى أقتله * وأدركك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثلاثين قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن القاضى قال للغلمان ما الذى فعله سيدكم حتى أقتله ومالى أرى هذا المزين بين أيديكم فقال له المزين أنت ضربته

فى

فى هذه الساعة بالمقارع وأنا أسمع صياحه فقال القاضى وما الذى فعله حتى أقتله ومن أدخله دارى ومن أين جاء والى أين يقصد فقال له المزين لا تكن شيخا نحسا فأنا أعلم الحكاية وسبب دخول دارك وحقيقة الامر كله فبنتك تعشقه وهو يعشقها فعلمت أنه قد دخل دارك وأمرت غلمانك نضربوه والله ما بيننا وبينك الا الخليفة أو تخرج لنا سيدنا ليأخذه أهله ولا تحوجنى الى أن أدخل وأخرجه من عندكم وعجل أنت باخراجه فالتجم القاضى عن الكلام وصار فى غاية الخجل من الناس وقال للمزين ان كنت صادقا فادخل أنت وأخرجه فنهض المزين ودخل الدار فلما رأيت المزين دخل أردت أن أهرب فلم أجد لى مهربا غير أنى رأيت فى الطبقة التى أنا فيها صندوقا كبيرا فدخلت فيه ورددت الغطاء عليه وقطعت النفس فدخل القاعة بسرعة ولم يلتفت الى غير الجهة التى أنا فيها بل قصد الموضع الذى أنا فيه والتفت يمينا وشمالا فلم يجد الا الصندوق الذى أنا فيه فحمله على رأسه فلما فعل ذلك غاب رشدى ثم مر مسرعا فلما علمت أنه ما يتركنى فتحت الصندوق وخرجت منه بسرعة ورميت نفسى على الارض فانكسرت رجلى فلما توجهت الى الباب وجدت خلقا كثيرا لم أر فى عمرى مثل هذا الازدحام الذى حصل فى ذلك اليوم فجعلت أنثر الذهب على الناس ليشتغلوا به فاشتغل الناس به وصرت أجرى فى أزقة بغداد وهذا المزين خلفى وأى مكان دخلت فيه يدخل خلفى وهو يقول أرادوا أن يفجعونى فى سيدى الحمد لله الذى نصرنى عليهم وخلص سيدى من أيديهم فما زلت ياسيدى مولعا بالعجلة لسوء تدبيرك حتى فعلت بنفسك هذه الافعال فلولا من الله علينا بى ما كنت خلصت من هذه المصيبة التى وقعت فيها وربما كانوا يرمونك فى مصيبة لا تخلص منها أبدا فاطلب من الله أن أعيش لك حتى أخلصك والله لقد أهلكتنى بسوء تدبيرك وكنت تريد أنك تروح وحدك ولكن ما نؤاخذك على جهلك لانك قليل العقل مجهول فقلت له أما كفاك ما جرى منك حتى تجرى ورائى فى الاسواق وصرت أتمنى الموت لأجل خلاصى منه فلا أجد موتا يقذنى منه فمن شدة الغيظ فررت منه ودخلت دكانا فى وسط السوق واستجرت بصاحبها فمنعه عنى وجلست فى مخزن وقلت فى نفسى ما بقيت أقدر أن أفترق من هذا المزين بل يقيم عندى ليلا ونهارا ولم يبق فى قدرة على النظر الى وجهه فأرسلت فى الوقت أحضرت الشهود وكتبت وصية لأهلى وفرقت مالى وجعلت انسانا ناظرا عليهم وأمرته أن يبيع الدار والعقارات وأوصيته بالكبار والصغار وخرجت مسافرا من ذلك الوقت حتى أتخلص من ذلك القواد ثم جئت الى بلادكم فسكنتها ولى فيها مدة فلما عزمتم على وجئت اليكم رأيت هذا القبيح القواد عندكم فى صدر المكان فكيف يستريح قلبى ويطيب مقامى عندكم مع هذا وقد فعل معى هذه الفعال وانكسرت رجلى بسببه ثم ان الشاب امتنع من الجلوس فلما سمعنا حكايته مع المزين قلنا للمزين أحق ما قاله هذا الشاب عنك فقال والله أنا فعلت ذلك بمعرفتى ولولا أنى فعلت ذلك لهلك وما سبب نجاته الا أنا ومن فضل الله عليه بسببى أنه أصيب برجله ولم يصب بروحه ولو كنت كثير الكلام ما فعلت معه ذلك الجميل وها أنا أقول لكم حديثا جرى لى حتى تصدقوا أنى قليل الكلام وما عندى فضول من دون الخوتى وذلك أنى كنت ببغداد فى أيام خلافة أمير المؤمنين المنتصر بالله وكان يحب الفقراء والمساكين ويجالس العلماء

والصالحين فاتفق له يوما أنه غضب على عشرة أشخاص فأمر المتولى ببغداد أن يأتى
فى زورق فنظرتهم أنا فقلت ما اجتمع هؤلاء الا لعزومة وأظنهم يقطعون يومهم فى هذا
فى أكل وشرب ومايكون نديمهم غيرى فقمت ونزلت معهم واختلطت بهم فقعدوا فى
الآخر فجاء لهم أعوان الوالى بالاغلال ووضعوها فى رقابهم ووضعوا فى رقبتى غلاما من
فهذا ياجماعة ماهو من مروأتى وقلة كلامى لانى ما رضيت أن أتكلم فأخذونا جميعا فى ا
وقدمونا بين يدى المنتصر بالله أمير المؤمنين فأمر بضرب رقاب العشرة فضرب السيا
العشرة وقد بقيت أنا فالتفت الخليفة فرآنى فقال للسياف ما بالك لا تضرب رقا
العشرة فقال ضربت رقاب العشرة كلهم فقال له الخليفة ما أظنك ضربت رقاب غي
وهذا الذى بين يدى هو العاشر فقال السياف وحق نعمتك انهم عشرة قال عدوهم فع
فاذا هم عشرة فنظر الى الخليفة وقال ما حملك على سكوتك فى هذا الوقت وكيف
أصحاب الدم فلما سمعت خطاب أمير المؤمنين قلت له اعلم يا أمير المؤمنين انى أنا الشيخ ا
وعندى من الحكمة شئ كثير وأمارزانة عقلى وجودة فهمى وقلة كلامى فانها لا
وصنعتى الزيانة فلما كان أمس بكرة النهار نظرت هؤلاء العشرة قاصدين الزورق فا
بهم ونزلت معهم وظننت أنهم فى عزومة فما كان غير ساعة واذا هم أصحاب جرائم
اليهم الاعوان ووضعوا فى رقابهم الاغلال ووضعوا فى رقبتى غلاما من جملتهم فمن فرط
سكت ولم أتكلم فعدم كلامى فى ذلك الوقت من فرط مروأتى فسار وابنا حتى أوقفونا
فأمرت بضرب رقاب العشرة وبقيت أنا بين يدى السياف ولم أعرفكم بنفسى أما هذه
عظيمة قد أحوجتنى الى أن أشاركهم فى القتل ولكن طول دهرى هكذا أفعل الجم
سمع الخليفة كلامى وعلم أنى كثير المروأة قليل الكلام ما عندى فضول كما يزعم هذا
الذى خلصته من الاهوال قال الخليفة واخوتك الستة مثلك فيهم الحكمة والعق
الكلام قلت لا عاشوا ولا بقوا ان كانوا مثلى ولكن ذممتنى يا أمير المؤمنين ولا ينبغ
تقرن اخوتى بى لانهم من كثرة كلامهم وقلة مروأتهم كل واحد منهم بعاهة فمنهم واحد
وواحد أعور وواحد أفلج وواحد أعمى وواحد مقطوع الاذنين والانف وواحد
الشفتين وواحد أحول العينين ولا تحسب يا أمير المؤمنين أنى كثير الكلام ولا بد أن
انى أعظم مروأة منهم ولكل واحد حكاية اتفقت له حتى صار فيه عاهة وان شئت أن أ
فاعلم يا أمير المؤمنين أن الاول وهو الاعرج كان صنعته الخياطة ببغداد فكان يخيط
استأجرها من رجل كثير المال وكان ذلك الرجل ساكنا على الدكان وكان فى أسفل دا
طاحون فبينما أخى الاعور جالس فى الدكان فى بعض الايام يخيط اذ رفع رأسه فرأى
كالبدر الطالع فى روشن الدار وهى تنظر الى الناس فلما رآها أخى تعلق قلبه بحبها وص
ذلك ينظر اليها وترك اشتغاله بالخياطة الى وقت المساء فلما كان وقت الصباح فتح دكانه
يخيط وهو كلما غرز غرزة ينظر الى الروشن فمكث على ذلك مدة لم يخط شيأ يساوى
فاتفق أن صاحب الدار جاء الى أخى يوما من الايام ومعه قماش وقال له فصل لى هذا و
أقصة فقال أخى سمعا وطاعة ولم يزل يفصل حتى فصل عشرين قميصا الى وقت العشاء

يذهب

يذق طعاما ثم قال له كم تجرة ذلك فلم يتكلم أخى فأشارت اليه الصبية بعينها لا تأخذ منه شيأ وكان محتاجا الى فلس واستمر ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب الا القليل بسبب اجتهاده فى تلك الخياطة فلما فرغ من الخياطة التى لهم أتى اليهم بالاقمصة وكانت الصبية قد عرفت زوجها بحال أخى وأخى لا يعلم ذلك واتفقت هى وزوجها على استعمال أخى فى الخياطة بلا أجرة بل يضحكون عليه فلما فرغ أخى من جميع أشغالهما عملا عليه حيلة وزوجاه بجاريتهما وليلة أراد أن يدخل عليها قالا له بت الليلة فى الطاحون الى غد يكون خير فاعتقد أخى أن لهما قصدا صحيحا فبات فى الطاحون وحده وراح زوج الصبية غمز الطحان عليه ليدوره فى الطاحون فدخل عليه الطحان فى نصف الليل وجعل يقول ان هذا الثور بطال مع أن القمح كثير وأصحاب الطحين يطلبونه فأنا أعلقه فى الطاحون حتى يخلص طحين القمح فعلقه فى الطاحون الى قريب الصبح فجاء صاحب الدار فرأى أخى معلقا فى الطاحون والطحان يضربه بالسوط فتركه ومضى وبعد ذلك جاءت الجارية التى عقد عليها وكان مجيئها فى بكرة النهار فخلته من الطاحون وقالت قد شق على وعلى سيدتى ما جرى لك وقد حملنا هم ك فلم يكن له لسان يرد جوابا من شدة الضرب ثم ان أخى رجع الى منزله واذا بالشيخ الذى كتب الكتاب قد جاء وسلم عليه وقال له حيالك الله ز واجلك مبارك انك بت الليلة فى النعيم والدلال والعناق من العشاء الى الصباح فقال له أخى لا سلم الله الكاذب يا ألف قواد والله ما جئت الا الأطحن فى موضع الثور الى الصباح فقال له حدثنى بحديثك فحدثه أخى بما وقع له فقال له ما وافق نجمك نجمها ولكن اذا شئت أن أغير لك عقد العقد أغيره لك بأحسن منه لأجل أن يوافق نجمك نجمها فقال له انظر ان بقى لك حيلة أخرى ثم ان أخى تركه وأتى الى دكانه ينتظر أحدا يأتى اليه بشغل يتقوت من أجرته واذا هو بالجارية قد أتت اليه وكانت اتفقت مع سيدتها على تلك الحيلة فقالت له ان سيدتى مشتاقة اليك وقد طلعت السطح لترى وجهك من الروشن فلم يشعر أخى الا وهى قد طلعت له من الروشن وصارت تبكى وتقول لاى شئ قطعت المعاملة بيننا وبينك فلم يرد عليها جوابا فحلفت له أن جميع ما وقع له فى الطاحون لم يكن باختيارها فلما نظر أخى الى حسنها وجمالها ذهب عنه ما حصل له وقبل عذرها وفرح برؤيتها ثم سلم عليها وتحدث معها وجلس فى خياطته مدة وبعد ذلك ذهبت اليه الجارية وقالت له تسلم عليك سيدتى وتقول لك ان زوجها قد عزم على أنه يبيت عند بعض أصدقائه فى هذه الليلة فاذا مضى عندهم تكون أنت عندنا وتبيت مع سيدتى فى ألذ عيش الى الصباح وكان زوجها قد قال لها ما يكون العمل فى مجيئه عندك حتى آخذه وأجره الى الوالى فقالت دعنى أحتال عليه بحيلة وأفضحه فضيحة يشتهر بها فى هذه المدينة وأخى لا يعلم شيأ من كيد النساء فلما أقبل المساء جاءت الجارية الى أخى وأخذته ورجعت به الى سيدتها فقالت له والله ياسيدى انى مشتاقة اليك كثيرا فقال بالله عجلى بقبلة قبل كل شئ فلم يتم كلامه الا وقد حضر زوج الصبية من بيت جاره فقبض على أخى وقال له والله لا أفارقك الا عند صاحب الشرطة فتضرع اليه أخى فلم يسمعه بل حمله الى دار الوالى فضربه بالسياط وأركبه جملا ودوره فى شوارع المدينة والناس ينادون عليه هذا جزاء من يهجم على حريم الناس ووقع من فوق الجمل فانكسرت رجله فصار أعرج ثم نفاه الوالى من

المدينة فخرج لا يدرى أين يقصد فاغتظت أنا فلحقته وأتيت به والتزمت بأكله وشربه الى الآن
فضحك الخليفة من كلامي وقال أحسنت فقلت لا أقبل هذا التعظيم منك دون أن تصغى الى
حتى أحكى لك ما وقع لبقية اخوتى ولا تحسب أنى كثير الكلام فقال الخليفة حدثنى بما وقع
لجميع اخوتك وشنف مسامعى بهذه الرقائق واسلك سبيل الاطناب فى ذكر هذه اللطائف
فقلت اعلم يا أمير المؤمنين ان أخى الثانى كان اسمه بقبق وقد وقع له أنه كان ماشيا يوما من
الايام متوجها الى حاجة له واذا بعجوز قد استقبلته وقالت له أيها الرجل قف قليلا حتى أعرض
عليك أمرا فان أعجبك فاقضه لى فوقف أخى فقالت له أدلك على شئ وأرشدك اليه بشرط أن
لا يكون كلامك كثيرا فقال لها أخى هاتى كلامك قالت له ما قولك فى دار حسنة وماؤها يجرى
وفاكهة ومدام ووجه مليح تشاهده وخد أسيل تقبله وقد رشيق تعانقه ولم تزل كذلك من
العشاء الى الصباح فان فعلت ما أشترط عليك رأيت الخير فلما سمع أخى كلامها قال لها ياسيدتى
وكيف قصدتينى بهذا الامر من دون الخلق أجمعين فأى شئ أعجبك منى فقالت لا أخى ما قلت
لك لا تكن كثير الكلام واسكت وامض معى ثم ولت العجوز وسار أخى تابعا لها طمعا فيما
وصفته له حتى دخلا دارا فسيحة وصعدت به من أدنى الى أعلى فرأى قصرا ظريفا فنظر أخى
فرأى فيه أربع بنات مارأى الراؤن أحسن منهن وهن يغنين بأصوات تطرب الحجر الأصم ثم
ان بنتا منهن شربت قدحا فقال لها أخى بالصحة والعافية وقام ليخدمها فمنعته من الخدمة ثم
سقته قدحا فشرب وصفعته على رقبته فلما رأى أخى ذلك منها خرج مغضبا ومكثر الكلام
فتبعته العجوز وجعلت تغمزه بعينها يعنى ارجع فرجع وجلس ولم ينطق فأعادت الصفع على
قفاه الى أن أغمى عليه ثم قام أخى لقضاء حاجته فلحقته العجوز وقالت له اصبر قليلا حتى تبلغ
ما تريد فقال لها أخى الى كم أصبر قليلا فقالت له العجوز اذا سكرت بلغت مرادك فرجع أخى
الى مكانه وجلس فقامت البنات كلهن وأمرتهن العجوز أن يجردنه من ثيابه وأن يرششن على
وجهه ماء ورد ففعلن ذلك وقالت الصبية البارعة الجمال منهن أعزك الله قد دخلت منزلى فان
صبرت على شرطى بلغت مرادك فقال لها أخى ياسيدتى أنا عبدك وفى قبضة يدك فقالت له
اعلم أن الله شغفنى بحب الطرب فمن أطاعنى نال ما يريد ثم أمرت الجوارى أن يغنين فغنين حتى
طرب المجلس ثم قالت للجارية خذى سيدك واقضى حاجته وائتينى به فى الحال فأخذت الجارية
أخى وهو لا يدرى ما تصنع به فلحقته العجوز وقالت له اصبر ما بقى الا القليل فأقبل أخى على
الصبية والعجوز تقول اصبر فقد بلغت ما تريد وانما بقى شئ واحد وهو أن تحلق ذقنك فقال لها
أخى وكيف أعمل فى فضيحتى بين الناس فقالت له العجوز انها ما أرادت أن تفعل بك ذلك الا
لاجل أن تصير أمرد بلا ذقن ولا يبقى فى وجهك شئ يشكها فانها صارفى قلبها لك محبة عظيمة
فاصبر فقد بلغت المنى فصبر أخى وطاوع الجارية وحلق ذقنه وجاءت به الى الصبية واذا هو محلوق
الحاجبين والشاربين والذقن محمر الوجه ففزعت منه ثم ضحكت حتى استلقت على قفاها
وقالت ياسيدى لقد ملكتنى بهذه الاخلاق الحسنة ثم جلفته بحياتها أن يقوم ويرقص فقام
ورقص فلم يدع فى البيت مخدة حتى ضربته بها وكذلك جميع الجوارى صرن يضربنه بمثل نار نجة
وليمونة وأترجة الى أن سقط مغشيا عليه من الضرب ولم يزل الصفع على قفاه والرجم فى وجهه

الى

الى أن قالت له العجوز الآن بلغت مرادك واعلم أنه مابقى عليك من الضرب شئ ومابقى الاشئ
واحد وذلك ان من عادتها أنها اذا سكرت لاتمكن أحدا من نفسها حتى تقلع ثيابها وسراويلها
وتبقى عريانة من جميع ثيابها وأنت الآخر تقلع ثيابك وتجرى وراءها وهى تجرى قدامك
كأنها هاربة منك ولم تزل تابعها من مكان الى مكان حتى يقوم ايرك فتمكنك من نفسها ثم قالت
له قم اقلع ثيابك فقام وهو غائب عن الوجود وقلع ثيابه جميعا * وأدرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثلاثون قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان أخا المزين لما قالت له
العجوز قم اقلع ثيابك فقام وهو غائب عن الوجود وقلع ثيابه وصار عريانا فقالت الجارية لاخى قم
الآن واجر ورائى وأجرى أنا قدامك واذا أردت شيئا فاتبعنى فجرت قدامه وتبعها ثم جعلت
تدخل من محل الى محل وتخرج من محل الى محل آخر وأخى وراءها وقد غلب عليه الشبق
وايره قائم كأنه مجنون ولم تزل تجرى قدامه وهو يجرى وراءها حتى سمع منها صوتا رقيقا وهى
تجرى قدامه وهو يجرى وراءها فبينما هو كذلك اذ رأى نفسه فى وسط زقاق وذلك الزقاق فى وسط
الجلادين وهم ينادون على الجلود فرآه الناس على تلك الحالة وهو عريان قائم الاير محلوق الذقن
والحواجب والشوارب محمر الوجه فصاحوا عليه وصاروا يضحكون ويقهقهون وصار بعضهم
يصفعه بالجلود وهو عريان حتى غشى عليه وحملوه على حمار حتى أوصلوه الى الوالى فقال ماهذا
قالوا هذا واقع لنا من بيت الوزير وهو على هذه الحالة فضربه الوالى مائة سوط وخرجت أنا خلفه
وجئت به وأدخلته المدينة سرا ثم رتبت له مايقتات به فلولا مروأتى ما كنت أحتمل مثله وأما
أخى الثالث فاسمه قفقساقه القضاء والقدر الى دار كبيرة فدق الباب طمعا أن يكلمه صاحبها
فيسأله شيأ فقال صاحب الدار من بالباب فلم يكلمه أحد فسمعه أخى يقول بصوت عال من هذا
فلم يكلمه أخى وسمع مشيه حتى وصل الى الباب وفتحه فقال له ماتريد قال له أخى شيأ لله تعالى فقال
له هل أنت شرير قال له أخى نعم فقال له ناولنى يدك فناوله يده فادخله الدار ولم يزل يصعد به من
سلم الى سلم حتى وصل الى أعلى السطوح وأخى يظن أنه يطعمه شيأ أو يعطيه شيأ فلما انتهى الى
أعلى مكان قال لاخى ماتريد ياضرير قال أريد شيأ لله تعالى فقال له يفتح الله عليك فقال له أخى
ياهذا أما كنت تقول لى ذلك وأنا فى الاسفل فقال له ياأسفل السفلة لم تسألنى شيأ لله حين سمعت
كلامى أول مرة وأنت تدق الباب فقال أخى وفى هذه الساعة ماتريد أن تصنع بى فقال له
ماعندى شئ حتى أعطيك اياه قال له انزل بى الى السلالم فقال له الطريق بين يديك فقام أخى
واستقبل السلالم ومازال نازلا حتى بقى بينه وبين الباب عشرون درجة فزلقت رجله فوقع ولم
يزل واقعا منحدرا فى السلالم حتى انشجت رأسه فخرج وهو لايدرى أين يذهب فلحقه بعض
رفقائه العميان فقالوا له أى شئ حصل لك فى هذا اليوم فحدثهم بما وقع له ثم قال لهم ياأخوانى أريد
أن آخذ شيأ من الدراهم التى بقيت معنا وأنفق منه على نفسى وكان صاحب الدار مشى خلفه
ليعرف حاله فسمع كلامه وأخى لايدرى بأن الرجل يسعى خلفه الى أن دخل أخى مكانه ودخل
الرجل خلفه وهو لايشعر به وقعد أخى ينتظر رفقاءه فلما دخلوا عليه قال لهم أغلقوا الباب
وفتشوا البيت كيلا يكون أحد غريب تبعنا فلما سمع الرجل كلام أخى قام وتعلق بحبل كان

فى السقف فطافوا البيت جميعه فلم يجدوا أحدا ثم رجعوا وجلسوا الى جانب أخى وأخرجوا
الدراهم التى معهم وعدّوها فاذا هى عشرة آلاف درهم فتركوها فى زاوية البيت وأخذ كل
واحد مما زاد عنها ما يحتاج اليه ودفنوا العشرة آلاف درهم فى التراب ثم قدّموا بين أيديهم
شيأ من الأكل وقعدوا يأكلون فأحس أخى بصوت غريب فى جهته فقال لأصحابه هل معنا
غريب ثم مدّ يده فتعلقت يد الرجل صاحب الدار فصاح على رفقائه وقال هذا غريب فوقعوا
فيه ضربا فلما طال عليهم ذلك صاحوا يا مسلمون دخل علينا لص يريد أن يأخذ مالنا فاجتمع عليهم
خلق كثير فتعامى الرجل الغريب صاحب الدار الذى ادّعوا عليه أنه لص وأغمض عينه وأظهر
انه أعمى مثلهم بحيث لا يشك فيه أحد وصاح يا مسلمون انا بالله والسلطان أنا بالله والوالى أنا بالله
والامير فان عندى نصيحة للامير فلم يشعروا الا وقد احتاط بهم جماعة الوالى فأخذوهم وأخى
معهم وأحضروهم بين يديه فقال الوالى ما خبركم فقال ذلك الرجل اسمع كلامى أيها الوالى
لا يظهر لك حقيقة حالنا الا بالعقوبة وان شئت فابدأ بعقوبتى قبل رفقائى فقال الوالى اطرحوا
هذا الرجل واضربوه بالسياط فطرحوه وضربوه فلما أوجعه الضرب فتح احدى عينيه فلما
ازداد عليه الضرب فتح عينه الاخرى فقال له الوالى ما هذه الفعال يا فاجر فقال أعطنى الامان
وأنا أخبرك فأعطاه الامان فقال نحن أربعة نعمل أرواحنا عميانا ونمرّ على الناس وندخل
البيوت وننظر النساء ونحتال فى فسادهن واكتساب الاموال من طرفهن وقد حصلنا من
ذلك مكسبا عظيما وهو عشرة آلاف درهم فقلت لرفقائى أعطونى حتى ألفين وخمسمائة
فقاسوا وضربونى وأخذوا مالى وأنا مستجير بالله وبك وأنت أحق بحصتى من رفقائى وان شئت
أن تعرف صدق قولى فاضرب كل واحد أكثر مما ضربتنى فانه يفتح عينيه فعند ذلك أمر الوالى
بعقوبتهم وأوّل ما بدأ بأخى ولازالوا يضربونه حتى كاد أن يموت ثم قال لهم الوالى يا فسقة
أتجحدون نعمة الله وتدّعون أنكم عميان فقال أخى الله الله ما فينا بصير فطرحوه الى الضرب
ثانيا ولم يزالوا يضربونه حتى غشى عليه فقال الوالى دعوه حتى يفيق وأعيدوا عليه الضرب ثالث
مرة ثم أمر بضرب أصحابه كل واحد أكثر من ثلثمائة عصا والبصير يقول لهم افتحوا عيونكم
والا جدّدوا عليكم الضرب ثم قال للوالى ابعث معى من يأتيك بالمال فان هؤلاء ما يفتحون أعينهم
ويخافون من فضيحتهم بين الناس فبعث الوالى معه من أتاه بالمال فأخذه وأعطى الرجل منه
ألفين وخمسمائة درهم على قدر حصته رغما عنهم ونفى أخى وباقى الثلاثة خارج المدينة
فخرجت أنا يا أمير المؤمنين ولحقت أخى وسألته عن حاله فأخبرنى بما ذكرته لك فأدخلته المدينة
سرّا وربيت له ما يأكل وما يشرب طول عمره فضحك الخليفة من حكايتى وقال صلوه بجائزة
ودعوه ينصرف فقلت له والله ما آخذ شيأ حتى أبين لامير المؤمنين ما جرى لبقية اخوتى وأوضح
له أنى قليل الكلام فقال الخليفة اصدع آذاننا بخرافة خبرك وزدنا من عجرك وبجرك فقلت
وأما أخى الرابع يا أمير المؤمنين وهو الاعور فانه كان جزارا ببغداد يبيع اللحم ويربى الخرفان
وكانت الكبار وأصحاب الاموال يقصدونه ويشترون منه اللحم فاكتسب من ذلك مالا عظيما
واقتنى الدوابّ والدور ثم أقام على ذلك زمنا طويلا فبينما هو فى دكانه يوما من الايام اذ وقف
عليه شيخ كبير اللحية فدفع له دراهم وقال أعطنى بها لحما فأخذ منه الدراهم وأعطاه اللحم

وانصرف

وانصرف فتأمل أخي في نضة الشيخ فرأى دراهمه بيضا بياضها ساطع فعزلها وحدها في ناحية
وأقام الشيخ يتردد عليه خمسة أشهر وأخي يطرح دراهمه في صندوق وحدها ثم أراد أن
يخرجها ويشتري غنما فلما فتح الصندوق رأى جميع ما فيه ورقا أبيض مقصوصا فلطم وجهه
وصاح فاجتمع الناس عليه فحدثهم بحديثه فتعجبوا منه ثم رجع أخي الى الدكان على عادته فذبح
كبشا وعلقه داخل الدكان وقطع لحما وعلقه خارج الدكان وصار يقول في نفسه لعل ذلك الشيخ
يجيء فأقبض عليه فما كان الا ساعة وقد أقبل الشيخ ومعه الفضة فقام أخي وتعلق به وصار
يصيح يا مسلمون الحقوني واسمعوا قصتي مع هذا الفاجر فلما سمع الشيخ كلامه قال له أي شيء أحب
اليك أن تعرض عن فضيحتي أو أفضحك بين الناس فقال له أخي بأي شيء تفضحني قال بأنك تبيع
لحم الناس في صورة لحم الغنم فقال له أخي كذبت يا ملعون فقال الشيخ ما ملعون الا الذي عنده
رجل معلق في الدكان فقال له أخي ان كان الامر كما ذكرت لما لي ودمي حلال لك فقال الشيخ
يا معاشر الناس ان هذا الجزار يذبح الآدميين ويبيع لحمهم في صورة لحم الغنم وان أردتم أن
تعلموا صدق قولي فادخلوا دكانه فهجم الناس على دكان أخي فرأوا ذلك الكبش صار انسانا
معلقا فلما رأوا ذلك تعلقوا بأخي وصاحوا عليه يا كافر يا فاجر وصار أعز الناس اليه يضربه
ولطمه الشيخ على عينه فقلعها وحمل الناس ذلك المذبوح الى صاحب الشرطة فقال له الشيخ
أيها الامير ان هذا الرجل يذبح الناس ويبيع لحمهم على أنه لحم غنم وقد أتينا له به فقم واقض
بحق الله عز وجل فدافع أخي عن نفسه فلم يسمع منه صاحب الشرطة بل أمر بضربه خمسمائة
عصا وأخذوا جميع ماله ولولا كثرة ماله لقتلوه ثم نفوا أخي من المدينة فخرج هائما لا يدري أين
يتوجه حتى دخل مدينة كبيرة واستحسن أن يعمل اسكافا ففتح دكانا وقعد يعمل شيأ يتقوت
منه فخرج ذات يوم في حاجة فسمع صهيل خيل فبحث عن سبب ذلك فقيل له ان الملك خارج الى
الصيد والقنص فخرج أخي ليتفرج على الموكب وهو يتعجب من خسة رأيه حيث انتقل من
صنعة الجزارة الى صنعة الاساكفة فالتفت الملك فوقعت عينه على عين أخي فأطرق الملك
رأسه وقال أعوذ بالله من شر هذا اليوم وثنى عنان فرسه وانصرف راجعا فرجع جميع العسكر
وأمر الملك غلمانه أن يلحقوا أخي ويضربوه فلحقوه وضربوه ضربا وجيعا حتى كاد أن يموت ولم يدر
أخي ما السبب فرجع الى موضعه وهو في حالة العدم ثم مضى الى انسان من حاشية الملك وقص
عليه ما وقع له فضحك حتى استلقى على قفاه وقال له يا أخي اعلم أن الملك لا يطيق أن ينظر الى أعور
لا سيما ان كان العور شماليا فانه لا يرجع عن قتله فلما سمع أخي ذلك الكلام عزم على الهروب
من تلك المدينة ثم ارتحل منها وتحول الى مدينة أخرى لم يكن فيها ملك وأقام بها زمنا طويلا ثم
بعد ذلك تفكر في أمره وخرج يوما ليتفرج فسمع صهيل خيل خلفه فقال جاء أمر الله وفر
يطلب موضعا ليستتر فيه فلم يجد ثم نظر فرأى بابا منصوبا فدفع ذلك الباب فوقع فدخل فرأى
دهليزا طويلا فاستمر داخلا فيه فلم يشعر الا ورجلان قد تعلقا به وقالا له الحمد لله الذي أمكننا
منك يا عدو الله هذه ثلاث ليال ما أرحتنا ولا تركتنا ننام ولا يستقر لنا مضجع بل أذقتنا طعم
الموت فقال أخي يا قوم ما أمركم فقالوا أنت تراقبنا وتريد أن تفضحنا وتفضح صاحب البيت أما
يكفيك أنك أفقرته وأفقرت أصحابك ولكن أخرج لنا السكين التي تهددنا بها كل ليلة وفتشوه

فوجدوا في وسطه السكين التي يقطع بها النعال فقال ياقوم اتقوا الله في أمري واعلموا أن
حديثي عجيب فقالوا وما حديثك فحدثهم بحديثه طمعا أن يطلقوه فلم يسمعوا منه ماقاله ولم
يلتفتوا اليه بل ضربوه ومزقوا أثوابه فلما تمزقت أثوابه وانكشف بدنه وجدوا أثر الضرب
بالمقارع على جنبيه فقالوا له ياملعون هذا أثر الضرب يشهد على جرمك ثم أحضروا أخي بين
يدي الوالي فقال في نفسه قد وقعت بذنوبي ومايخلصني الا الله تعالى فلما حضر بين يدي الوالي قال له
يافاجر ماحملك على أن ضربت بالمقارع الاجرم عظيم ثم ضرب أخي مائة سوط ثم حملوه على جمل
ونادوا عليه هذا جزاء من يهجم على بيوت الناس فلما سمعت به أنا خرجت اليه ومازلت دائرا
معه وهم ينادون عليه حتى تركوه فأتيت اليه وأخذته وأدخلته المدينة سرا ورتبت له ما يأكل
ومايشرب * وأما أخي الخامس فانه كان مقطوع الاذنين يا أمير المؤمنين وكان رجلا فقيرا يسأل
الناس ليلا وينفق مايحصله بالسؤال نهارا وكان والدنا شيخا كبيرا طاعنا في السن فخلف لنا
سبعمائة درهم فأخذ كل واحد منا مائة درهم وأما أخي الخامس هذا فانه لما أخذ حصته تحير
ولم يدر مايصنع بها فبينما هو كذلك اذوقع في خاطره أنه يأخذ بها زجاجا من كل نوع ليتجر فيه
ويربح فاشترى بالمائة درهم زجاجا وجعله في قفص كبير وقعد في موضع ليبيع ذلك الزجاج
وبجانبه حائط فأسند ظهره اليها وقعد متفكرا في نفسه وقال ان رأس مالي في هذا الزجاج مائة
درهم وأنا أبيعه بمائتي درهم ثم أشتري بالمائتي درهم زجاجا وأبيعه بأربعمائة درهم ولا أزال
أبيع وأشتري الى أن يبقى معي مال كثير فأشتري به من جميع المتاجر والعطريات حتى يربح
ربحا عظيما وبعد ذلك أشتري دارا حسنة وأشتري المماليك والخيل والسروج المذهبة وآكل
وأشرب ولا أخلي مغنية في المدينة حتى أجيء بها في بيتي وأسمع مغانيها هذا كله وهو يحسب
في نفسه وقفص الزجاج قدامه ثم قال وأبعث جميع الخاطبات في خطبة بنات الملوك والوزراء
وأخطب بنت الوزير فقد بلغني أنها كاملة الحسن بديعة الجمال وأمهرها بألف
دينار فان رضي أبوها حصل المراد وان لم يرض أخذتها قهرا على رغم أنفه فان حصلت
في داري أشتري عشرة خدام صغار ثم أشتري لي كسوة الملوك والسلاطين وأصوغ لي سرجا
من الذهب مرصعا بالجواهر ثم أركب ومعي المماليك يمشون حولي وقدامي وخلفي حتى اذا
رآني الوزير قام اجلالا لي وأقعدني مكانه ويقعد هو دوني لانه صهري ويكون معي خادمان
بكيسين في كل كيس ألف دينار فأعطيه ألف دينار مهر بنته وأهدي اليه الالف الثاني اذعاما
حتى أظهر له مروأتي وكرمي وصغر الدنيا في عيني ثم أنصرف الى داري فاذا جاء أحد من جهة
امرأتي وهبت له دراهم وخلعت عليه خلعة وان أرسل الي الوزير هدية رددتها عليه ولو كانت
نفيسة ولم أقبلها منه حتى يعلموا أني عزيز النفس ولا أخلي نفسي الا في أعلى مكانة ثم أقدم
اليهم في اصلاح شأني وتعظيمي فاذا فعلوا ذلك أمرتهم بزفافها ثم أصلح داري اصلاحا بينا فاذا
جاء وقت الجلاء لبست أفخر ثيابي وقعدت على مرتبة من الديباج لا ألتفت يمينا ولا شمالا
لكبر عقلي ورزانة فهمي وتجيء امرأتي وهي كالبدر في حليها وحللها وأنا أنظر اليها عجبا
وتيها حتى يقول جميع من حضر ياسيدي امرأتك وجارية تلك قائمة بين يديك فانعم عليها بالنظر
فقد أضر بها القيام ثم يقبلون الارض قدامي مرارا فعند ذلك أرفع رأسي وأنظر اليها نظرة

واحدة

واحدة ثم أطرق برأسي الى الارض فيمضون بها وأقوم أنا وأغير ثيابي وألبس أحسن مما كان علي فاذا جاؤا بالعروسة المرة الثانية لا أنظر اليها حتى يسألوني مرارا فأنظر اليها ثم أطرق الى الارض ولم أزل كذلك حتى يتم جلاؤها * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثلاثون قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أخا المزين الخامس قال ثم أطرق الى الارض ولم أزل كذلك حتى يتم جلاؤها ثم اني آمر بعض الخدام أن يرمي كيسا فيه خمسمائة دينار للمواشط فاذا أخذته المواشط آمرهن أن يدخلنني عليها فاذا أدخلنني عليها لا أنظر اليها ولا أكلمها احتقارا لها لأجل أن يقال اني عزيز النفس حتى تجيء أمها تقبل رأسي ويدي وتقول لي ياسيدي انظر جاريتك فانها تشتهي قربك فاجبر خاطرها بكلمة فلا أرد عليها جوابا ولم تزل كذلك تستعطفني حتى تقوم وتقبل يدي ورجلي مرارا ثم تقول ياسيدي ان بنتي صبية ملمحة مارأت رجلا فاذا رأت منك هذا الانقباض انكسر خاطرها فمل اليها وكلمها ثم انها تقوم وتحضر لي قدحا فيه شراب ثم ان بنتها تأخذ القدح لتعطيني فاذا جاء تتي تركتها قائمة بين يدي وأنا متكئ على مخدة مزركشة بالذهب لا أنظر اليها من كبر نفسي وجلالة قدري حتى تظن في نفسها أني سلطان عظيم الشان فتقول ياسيدي بحق الله عليك لا ترد القدح من يد جاريتك فاني جاريتك فلا أكلمها فتلح علي وتقول لا بد من شربه وتقدمه الي فمي فأنفض يدي في وجهها وأرفسها وأعمل هكذا ثم رفس أخي برجله فجاءت في قفص الزجاج وكان في مكان مرتفع فنزل على الارض فتكسر كل ما فيه ثم قال أخي هذا كله من كبر نفسي ولو كان أمره الي يا أمير المؤمنين اضربته ألف سوط وشهرته في البلد ثم بعد ذلك صار أخي يلطم على وجهه ومزق ثيابه وجعل يبكي ويلطم والناس ينظرون اليه وهم رائحون الى صلاة الجمعة فمنهم من يرمقه ومنهم من لم يفكر فيه وهو على تلك الحالة وراح منه رأس المال والربح ولم يزل جالسا يبكي واذا بامرأة مقبلة الى صلاة الجمعة وهي بديعة الجمال تفوح منها رائحة المسك وتحتها بغلة برذعتها من الديباج مزركشة بالذهب ومعها عدد من الخدم فلما نظرت الى الزجاج وحال أخي وبكائه أخذتها الشفقة عليه ورق قلبها له وسألت عن حاله فقيل لها انه كان معه طبق زجاج يتعيش منه فانكسر منه فأصابه ما تنظرينه فنادت بعض الخدام وقالت له ادفع الذي معك الى هذا المسكين فدفع له صرة فأخذها فلما فتحها وجد فيها خمسمائة دينار فكاد أن يموت من شدة الفرح وأقبل أخي بالدعاء لها ثم عاد الى منزله غنيا وقعد متفكرا واذا بدق الباب فقام وفتح واذا بعجوز لا يعرفها فقالت له ياولدي اعلم أن الصلاة قد قربت زوالها وقتها وأنا بغير وضوء وأطلب منك أن تدخلني منزلك حتى أتوضأ فقال لها سمعا وطاعة ثم دخل أخي وأذن لها بالدخول وهو طائر من الفرح بالدنانير فلما فرغت أقبلت الى الموضع الذي هو جالس فيه وصلت هناك ركعتين ثم دعت لأخي دعاء حسنا فشكرها على ذلك وأعطاها دينارين فلما رأت ذلك قالت سبحان الله اني لأعجب ممن أحبك وأنت بسمة الصعاليك خذ مالك عني وان كنت غير محتاج اليه فارددته الى التي أعطتك اياه لما انكسر الزجاج منك فقال لها أخي يا أمي كيف الحيلة في الوصول اليها قالت ياولدي انها تميل

الملك لكنها زوجة رجل موسر فخذ جميع مالك معك فاذا اجتمعت بها فلا تترك شيأ من الملاطفة والكلام الحسن الا وتفعله معها فانك تنال من جمالها ومن مالها جميع ما تريده فأخذ أخي جميع الذهب وقام ومشى مع العجوز وهو لا يصدق بذلك فلم تزل تمشي وأخي يمشي وراءها حتى وصلا الى باب كبير فدقته فخرجت جارية رومية وفتحت الباب فدخلت العجوز وأمرت أخي بالدخول فدخل دارا كبيرة فلما دخلها رأى فيها مجلسا كبيرا مفروشا وستائر مسبلة فجلس أخي ووضع الذهب بين يديه ووضع عمامته على ركبته فلم يشعر الا وجارية أقبلت ما رأى مثلها الراؤن وهي لابسة أفخر القماش فقام أخي على قدميه فلما رأته ضحكت في وجهه وفرحت به ثم ذهبت الى الباب وأغلقته ثم أقبلت على أخي وأخذت يده ومضيا جميعا الى أن أتيا الى حجرة منفردة فدخلاها واذا هي مفروشة بأنواع الديباج فجلس أخي وجلست بجانبه ولاعبته ساعة زمانية ثم قامت وقالت له لا تبرح حتى أجيء اليك وغابت عن أخي ساعة فبينما هو كذلك اذ دخل عليه عبد أسود عظيم الخلقة ومعه سيف مجرد يأخذ لمعانه بالبصر وقال لأخي ياويلك من جاء بك الى هذا المكان يا أخس الانس يا ابن الزناة وتربة الخنى فلم يقدر أخي أن يرد عليه جوابا بل انعقد لسانه في تلك الساعة فأخذه العبد وأعراه ولم يزل يضربه بالسيف صفحا ضربات متعددة أكثر من ثمانين ضربة الى أن سقط من طوله على الارض فرجع العبد عنه واعتقد أنه مات وصاح صيحة عظيمة بحيث ارتجت الارض من صوته ودوى له المكان وقال أين الملحة فأقبلت اليه جارية في يدها طبق مليح فيه ملح أبيض فصارت الجارية تأخذ من ذلك الملح وتحشو الجراحات التي في جلد أخي حتى تهورت وأخي لا يتحرك خيفة أن يعلموا أنه حي فيقتلوه ثم مضت الجارية وصاح العبد صيحة مثل الاولى فجاءت العجوز الى أخي وجرته من رجله الى سرداب طويل مظلم ورمته فيه على جماعة مقتولين فاستقر في مكانه يومين كاملين وكان الله سبحانه جعل الملح سببا لحياته لانه قطع سيلان عروق الدم فلما رأى أخي في نفسه القوة على الحركة قام من السرداب وفتح طاقة في الحائط وخرج من مكان القتلى وأعطاه الله عز وجل الستر فمشى في الظلام واختفى في ذلك الدهليز الى الصبح فلما كان وقت الصبح خرجت العجوز في طلب صيد آخر فخرج أخي في أثرها وهي لا تعلم به حتى أتى الى منزله ولم يزل يعالج نفسه حتى برئ ولم يزل يتعهد العجوز وينظر اليها كل وقت وهي تأخذ الناس واحدا بعد واحد وتوصلهم الى تلك الدار وأخي لا ينطق بشئ ثم لما رجعت اليه صحته وكملت قوته عمد الى خرقة وعمل منها كيسا وملأه زجاجا وشده في وسطه وتسكر حتى لا يعرفه أحد ولبس ثياب العجم وأخذ سيفا وجعله تحت ثيابه فلما رأى العجوز قال لها بكلام العجم يا عجوز هل عندك ميزان يسع تسعمائة دينار فقالت العجوز لي ولد صغير صير في عنده سائر الموازين فامض معي اليه قبل أن يخرج من مكانه حتى يزن لك ذهبك فقال أخي امشي قدامي فسارت وسار أخي خلفها حتى أتت الباب فدقته فخرجت الجارية وضحكت في وجهه فقالت العجوز أتيتكم بلحمة سمينة فأخذت الجارية بيد أخي وأدخلته الدار التي دخلها سابقا وقعدت عنده ساعة وقامت وقالت لاخي لا تبرح حتى أرجع اليك وراحت فلم يستقر أخي الا والعبد أقبل ومعه السيف المجرد فقال لاخي قم يا مشؤم فقام أخي وتقدم العبد امامه

واخي

وأخى وراءه ومد يده الى سيفه الذى تحت ثيابه وضرب به العبد فرمى رأسه وسحبه من رجله الى السرداب ونادى أين المليحة فجاءت الجارية وسيدها الطبق الذى فيه الملح فلما رأت أخى والسيف بيده ولت هاربة فتبعها أخى وضربها فرمى رأسها ثم نادى أين العجوز فجاءت فقال لها أتعرفينى يا عجوز النحس فقالت لا يا مولاى فقال لها أنا صاحب الدنانير الذى جئت وتونست عندى وصليت ثم تحيلت على حتى أوقعتنى هنا فقالت اتق الله فى أمرى فالتفت اليها وضربها بالسيف فصيرها قطعتين ثم خرج فى طلب الجارية فلما رأته طار عقلها وطلبت منه الامان فأمنها ثم قال لها أما الذى أوقعك عند هذا الاسود فقالت انى كنت جارية لبعض التجار وكنت هذه العجوز تتردد على فقالت لى يوما من الايام ان عندنا فرحا ما رأى أحد مثله فأحب أن تنظرى اليه فقلت لها سمعا وطاعة ثم قمت ولبست أحسن ثيابى وأخذت معى صرة فيها مائة دينار ومضيت معها حتى أدخلتنى هذه الدار فلما دخلت ما شعرت الا وهذا الاسود أخذنى ولم أزل عنده على هذا الحال ثلاث سنين بحيلة العجوز الكاهنة فقال لها أخى هل له فى الدار شئ فقالت عنده شئ كثير فان كنت تقدرين على نقله فانقليه فقام أخى ومشى معها ففتحت له صناديق فيها أكياس فبقى أخى متحيرا فقالت له الجارية امض الآن ودعنى هنا وهات من ينقل المال فخرج واكترى عشرة رجال وجاء فلما وصل الى الباب وجده مفتوحا ولم ير الجارية ولا الاكياس وانما رأى شيأ يسيرا من المال ورأى القماش فعلم أنها خدعته فعند ذلك أخذ المال الذى بقى وفتح الخزائن وأخذ جميع ما فيها من القماش ولم يترك فى الدار شيأ وبات تلك الليلة مسرورا فلما أصبح الصباح وجد بالباب عشرين جنديا فلما خرج اليهم تعلقوا به وقالوا له ان الوالى يطلبك فأخذوه وراحوا الى الوالى فلما رأى أخى قال له من أين لك هذا القماش فقال أخى أعطنى الامان فأعطاه منديل الامان فحدثه بجميع ما وقع له مع العجوز من الاول الى الآخر ومن هروب الجارية ثم قال للوالى والذى أخذته خذ منه ما شئت ودع لى ما أتقوت به فطلب الوالى جميع المال والقماش وخاف أن يعلم به السلطان فأخذ البعض وأعطى أخى البعض وقال له اخرج من هذه المدينة والا أشنقك فقال السمع والطاعة فخرج الى بعض البلدان فخرجت عليه اللصوص فعروه وضربوه وقطعوا أذنه فسمعت بخبره فخرجت اليه وأخذت اليه ثيابا وجئت به الى المدينة مسرورا ورتبت له ما يأكله وما يشربه وأما أخى السادس يا أمير المؤمنين وهو مقطوع الشفتين فانه كان فقيرا جدا لا يملك شيأ من حطام الدنيا الفانية فخرج يوما من الايام يطلب شيأ يستر به رمقه فبينما هو فى بعض الطرق اذ رأى دارا حسنة ولها دهليز واسع مرتفع وعلى الباب خدم وأمر ونهى فسأل بعض الواقفين هناك فقال هى لانسان من أولاد الملوك فتقدم أخى الى البوابين وسألهم شيأ فقالوا ادخل باب الدار تجد ما تحب من صاحبها فدخل الدهليز ومشى فيه ساعة حتى وصل الى دار فى غاية ما يكون من الملاحة والظرف وفى وسطها بستان ما رأى الراؤن أحسن منه وأرضها مفروشة بالرخام وستورها مسبولة فصار أخى لا يعرف أين يقصد لمضى نحو صدر المكان فرأى انسانا حسن الوجه واللحية فلما رأى أخى قام اليه ورحب به وسأله عن حاله فأخبره انه محتاج فلما سمع كلام أخى أظهر غما شديدا ومد يده الى ثياب نفسه ومزقها وقال هل أكون أنا بهذا البلد وأنت بها جائع لا صبر لى على ذلك ووعده بكل خير ثم

قال لا بد أن تماحكني فقال ياسيدي ليس لي صبر وانى شديد الجوع فصاح ياغلام هات الطشت والابريق ثم قال له ياضيفي تقدم واغسل يدك ثم أومأ كأنه يغسل يده ثم صاح على أتباعه أن قدموا المائدة ففعلت أتباعه تغدوا وتروحوا كأنها تهيئ السفرة ثم أخذ أخي وجلس معه على تلك السفرة الموهومة وصار صاحب المنزل يومئ ويحرك شفتيه كأنه يأكل ويقول لأخي كل ولا تستح فانك جائع وأنا أعلم ما أنت فيه من شدة الجوع فجعل أخي يومئ كأنه يأكل وهو يقول لا أخي كل وانظر هذا الخبز وانظر بياضه وأخي لا يدري شيأ ثم ان أخي قال في نفسه ان هذا رجل يحب أن يهزأ بالناس فقال له ياسيدي عمري ما رأيت أحسن من بياض هذا الخبز ولا ألذ من طعمه فقال هذا خبز ته جاريتي لي كنت اشتريتها بخمسمائة دينار ثم صاح صاحب الدار ياغلام قدم لنا السكباج الذي لا يوجد مثله في طعام الملوك ثم قال لأخي كل ياضيفي فانك شديد الجوع ومحتاج الى الأكل فصار أخي يدور حنكه ويمضغ كأنه يأكل وأقبل الرجل يستدعي لونا بعد لون من الطعام ولا يحضر شيئ ويأمر أخي بالاكل ثم صاح ياغلام قدم لنا الفراريج المحشوة بالفستق فكل عالم تأكل مثله قط فقال ياسيدي ان هذا الاكل لا نظير له في اللذة وأقبل يومئ بيده الى فم أخي حتى كأنه يلقمه بيده وكان يعدد هذه الالوان ويصفها لاخي بهذه الاوصاف وهو جائع فاشتد جوعه وصار بشهوة ترغيف من شعير ثم قال له صاحب الدار هل رأيت أطيب من أبازير هذه الاطعمة فقال له أخي لا ياسيدي فقال اكثر الاكل ولا تستح فقال قد اكتفيت من الطعام فصاح الرجل على أتباعه أن قدموا الحلويات فحركوا أيديهم في الهواء كأنهم قدموا الحلويات ثم قال صاحب المنزل لاخي كل من هذا النوع فانه جيد وكل من هذه القطائف بحياتي وخذ هذه القطيفة قبل أن ينزل منها الجلاب فقال له أخي لا عدمتك ياسيدي وأقبل أخي يسأله عن كثرة المسك الذي في القطائف فقال له ان هذه عادتي في بيتي فدائما يضعون لي في كل قطيفة مثقالا من المسك ونصف مثقال من العنبر هذا كله وأخي يحرك رأسه وفمه يلعب بين شدقيه كأنه يتلذذ بأكل الحلويات ثم صاح صاحب الدار على أتباعه أن أحضروا النقل فحركوا أيديهم في الهواء كأنهم أحضروا النقل وقال لاخي كل من هذا اللوز ومن هذا الجوز ومن هذا الزبيب ونحو ذلك وصار يعدد له أنواع النقل ويقول له كل ولا تستح فقال له أخي ياسيدي قد اكتفيت ولم يبق لي قدرة على أكل شئ فقال ياضيفي ان أردت أن تأكل وتتفرج على غرائب المأكولات فالله الله لا تكن جائعا ثم فكر أخي في نفسه وفي استهزاء ذلك الرجل به وقال والله لأعملن فيه عملا يتوب بسببه الى الله عن هذه الفعال ثم قال الرجل لاتباعه قدموا لنا الشراب فحركوا أيديهم في الهواء حتى كأنهم قدموا الشراب ثم أومأ صاحب المنزل كأنه ناول أخي قدحا وقال خذ هذا القدح فانه أعجبك فقال له ياسيدي هذا من احسانك وأومأ أخي بيده كأنه يشربه فقال له هل أعجبك فقال له ياسيدي ما رأيت ألذ من هذا الشراب فقال له اشرب هنيأ وصحة ثم ان صاحب البيت أومأ وشرب ثم ناول أخي قدحا ثانيا فخيل انه شربه وأظهر أنه سكران ثم ان أخي غافله ورفع يده حتى بان بياض ابطه وصفعه على رقبته صفعة رن لها المكان ثم ثنى عليه بصفعة ثانية فقال له الرجل ماهذا يا أسفل العالمين فقال ياسيدي أنا عبدك الذي أنعمت عليه وأدخلته منزلك وأطعمته الزاد وأسقيته الخمر العتيق فسكر وعربد عليك ومقامك

أعلى

أعلى من أن تؤاخذه بجهله فلما سمع صاحب المنزل كلام أخي ضحك ضحكا عاليا ثم قال له ان لي
زمانا طويلا أسخر بالناس وأهزأ بجميع أصحاب المزاح والمجون ما رأيت منهم من له طاقة على
أن أفعل به هذه السخرية ولا من له فطنة يدخل بها الى جميع أموري غيرك والآن عفوت عنك
فكن نديمي على الحقيقة ولا تفارقني ثم أمر باخراج عدة من أنواع الطعام المذكورة أولا فأكل
هو وأخي حتى اكتفيا ثم انتقلا الى مجلس الشراب فاذا فيه جوار كأنهن الاقمار فغنين بجميع
الالحان واشتغلن بجميع الملاهي ثم شربا حتى غلب عليهما السكر وأنس الرجل بأخي حتى
كأنه أخوه وأحبه محبة عظيمة وخلع عليه خلعة سنية فلما أصبح الصباح عادا لما كانا عليه من
الاكل والشرب ولم يزالا كذلك مدة عشرين سنة ثم ان الرجل مات وقبض السلطان على ماله
واحتوى عليه فخرج أخي من البلد هاربا فلما وصل الى نصف الطريق خرج عليه العرب
فأسروه وصار الذي أسره يعذبه ويقول له لله اشتر روحك مني بالاموال والا أقتلك فجعل أخي
يبكي ويقول أنا والله لا أملك شيأ يا شيخ العرب ولا طريق شئ من المال وأنا أسيرك وصرت في يدك
فافعل بي ما شئت فأخرج البدوي الجبار من حزامه سكينا عريضة لونزلت على رقبة جمل
لقطعتها من الوريد الى الوريد وأخذها في يده اليمنى وتقدم الى أخي المسكين وقطع بها شفتيه
وشدد عليه في المطالبة وكان للبدوي زوجة حسنة وكان اذا خرج البدوي تتعرض لاخي
وتراوده عن نفسه وهو يمتنع حياء من الله تعالى فاتفق أن راودت أخي يوما من الايام فقام
ولاعبها وأجلسها في حجره فبينما هما كذلك واذا بزوجها داخل عليهما فلما نظر الى أخي قال
ياويلك يا خبيث أتريد الآن أن تفسد على زوجتي وأخرج سكينا وقطع بها ذكره وحمله على
جمل وطرحه فوق جبل وتركه وسار الى حال سبيله فجاز عليه المسافرون فعرفوه فأطعموه
وسقوه وأعلموني بخبره فذهبت اليه وحملته ودخلت به المدينة ورتبت له ما يكفيه وها أنا جئت
عندك يا أمير المؤمنين وخفت أن أرجع الى بيتي قبل اخبارك فيكون ذلك غلطا وورائي ستة
اخوة وأنا أقوم بهم فلما سمع أمير المؤمنين قصتي وما أخبرته به عن اخوتي ضحك وقال صدقت
ياصامت أنت قليل الكلام ما عندك فضول ولكن الآن اخرج من هذه المدينة واسكن
غيرها ثم نفاني من بغداد فلم أزل سائرا في البلاد حتى طفت الاقاليم الى أن سمعت بموته وخلافة
غيره فرجعت الى المدينة فوجدته مات ووقعت عند هذا الشاب وفعلت معه أحسن الفعال
ولولا أنا للقتل وقد اتهمني بشئ ما هو في وجميع ما نقله عني من الفضول وكثرة الكلام وكثافة
الطبع وعدم الذوق باطل يا جماعة ثم قال الخياط لملك الصين فلما سمعنا قصة المزين وتحققنا
فضوله وكثرة كلامه وأن الشاب مظلوم معه أخذنا المزين وقبضنا عليه وحبسناه وجلسنا
حوله آمنين ثم أكلنا وشربنا وتمت الوليمة على أحسن حالة ولم نزل جالسين الى أن أذن العصر
فخرجت وجئت منزلي وغشيت زوجتي فقالت أنت طول النهار في حظك وأنا قاعدة في البيت
حزينة فان لم تخرج بي وتفرجني بقية النهار كان ذلك سبب فراقي منك فأخذتها وخرجت بها
وتفرجنا الى العشاء ثم رجعنا فلقينا هذا الاحدب والسكر طافح منه وهو ينشد هذين البيتين

رق الزجاج وراقت الخمر * فتشابها وتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

فعزمت عليه فأجابني وخرجت لاشترى سمكا مقليا فاشتريت ورجعت ثم جلسنا نأكل فأخذت زوجتي لقمة وقطعة سمك وأدخلتهما فيه وسدته فمات فحملته وتحايلت حتى رميته في بيت هذا الطبيب وتحايل الطبيب حتى رماه في بيت المباشر وتحايل المباشر حتى رماه في طريق السمسار وهذه قصة ما لقيته البارحة أما هي أعجب من قصة الاحدب فلما سمع ملك الصين هذه القصة أمر بعض حجابه أن يمضوا مع الخياط ويحضروا المزين وقال لهم لا بد من حضوره لأسمع كلامه ويكون ذلك سببا في خلاصكم جميعا وندفن هذا الاحدب ونواريه في التراب فانه ميت من أمس ثم نعمل له ضريحا لانه كان سببا في اطلاعنا على هذه الاخبار العجيبة فما كان الا ساعة حتى جاءت الحجاب هم والخياط بعد أن مضوا الى الحبس وأخرجوا منه المزين وساروا به الى أن أوقفوه بين يدى هذا الملك فلما رآه تأمله فاذا هو شيخ كبير جاوز التسعين أسود الوجه أبيض اللحية والحواجب مقرطم الاذنين طويل الانف في نفسه فضحك الملك من رؤيته وقال ياصامت أريد أن تحكى لى شيأ من حكاياتك فقال المزين يا ملك الزمان ما شأن هذا النصراني وهذا اليهودى وهذا المسلم وهذا الاحدب بينكم ميت وما سبب هذا الجمع فقال له ملك الصين وما سؤالك عن هؤلاء فقال سؤالى عنهم حتى يعلم الملك أني غير فضولى ولا أشتغل بما لا يعنيني واننى برىء مما اتهموني به من كثرة الكلام وان لى نصيبا من اسمى حيث لقبوني بالصامت كما قال الشاعر

وقلما أبصرت عيناك ذا لقب * الا ومعناه ان فتشت في لقبه

فقال الملك اشرحوا للمزين حال هذا الاحدب وما جرى له في وقت العشاء واشرحوا للخياط حكى النصراني وما حكى اليهودى وما حكى المباشر وما حكى الخياط فحكوا له حكايات الجميع وليس في الاعادة افادة فحرك المزين رأسه وقال والله ان هذا الشئ عجاب اكشفوا لى عن هذا الاحدب فكشفوا له عنه فجلس عند رأسه وأخذ رأسه على حجره ونظر في وجهه وضحك ضحكا عاليا حتى انقلب على قفاه من شدة الضحك وقال لكل موتة سبب من الاسباب وموتة هذا الاحدب من عجب العجاب يجب أن تؤرخ في السجلات ليعتبر بما مضى من هو آت فتعجب الملك من كلامه وقال ياصامت احك لنا سبب كلامك هذا فقال يا ملك وحق نعمتك ان الاحدب فيه الروح ثم ان المزين أخرج من وسطه مكحلة فيها دهن ودهن رقبة الاحدب وغطاها حتى عرقت ثم أخرج كلبتين من حديد ونزل بهما في حلقه فالتقطتا القطعة السمك بعظمها فلما أخرجها رآها الناس بعيونهم ثم نهض الاحدب واقفا على قدميه وعطس عطسة واستفاق في نفسه ومسح يديه على وجهه وقال لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعجب الحاضرون من الذى رأوه وعاينوه فضحك ملك الصين حتى غشى عليه وكذلك الحاضرون وقال السلطان والله ان هذه قصة عجيبة ما رأيت أغرب منها ثم ان السلطان قال يا مسلمون يا جماعة العسكر هل رأيتم في عمركم أحدا يموت ثم يحيا بعد ذلك ولولا رزقه الله بهذا المزين لكان اليوم من أهل الآخرة فانه كان سببا لحياته فقالوا والله ان هذا من العجب العجاب ثم ان ملك الصين أمر أن تسطر هذه القصة فسطروها ثم جعلوها في خزانة الملك ثم خلع على اليهودى والنصراني والمباشر وخلع على كل واحد خلعة سنية وجعل الخياط خياطه ورتب له الرواتب وأصلح

بينه

بينه وبين الاحدب وخلع على الاحدب خلعة سنية مليحة ورتب له الرواتب وجعله نديمه وأنعم على المزين وخلع عليه خلعة سنية ورتب له الرواتب وجعل له جامكية وجعله مزين المملكة ونديمه وعيرا لوافى ألذ عيش وأهناه الى أن أتاهم هاذم اللذات ومفرق الجماعات وليس هذا بأعجب من قصة الوزيرين التى فيها ذكر أنيس الجليس قال الملك وما حكاية الوزيرين

﴿حكاية الوزيرين التى فيها ذكر أنيس الجليس﴾

قالت بلغنى أيها الملك السعيد أنه كان بالبصرة ملك من الملوك يحب الفقراء والصعاليك ويرفق بالرعية ويهب من ماله لمن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو كما قال فيه بعض واصفيه

جعل القنا أقلامه وطروسه * مهج العدى وراى المداد دماءها
وأظن أن الاقدمين لذا رأوا * أن يجعلوا خطية أسماءها

وكان يقال لهذا الملك محمد بن سليمان الزينى وكان له وزيران أحدهما يقال له المعين بن ساوى والثانى يقال له الفضل بن خاقان وكان الفضل بن خاقان أكرم أهل زمانه حسن السيرة أجمعت القلوب على محبته واتفقت العقلاء على مشورته وكل الناس يدعون له بطول مدته لانه محضر خير مزيل للشر والضير وكان الوزير المعين بن ساوى يكره الناس ولا يحب الخير وكان محضر سوء كما قال فيه بعض واصفيه

تجمعت من نطف ذاته * فركبت من عنصر فاسد
ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد

فلكل من هذين الوزيرين نصيب من قول الشاعر

لذ بالكرام بنى الكرام فانما * تلد الكرام بنو الكرام كراما
ودع اللئام بنى اللئام فانما * تلد اللئام بنو اللئام لئاما

وكان الناس على قدر محبتهم لفضل الدين بن خاقان يبغضون المعين بن ساوى بقدرة القادر ثم ان الملك محمد بن سليمان الزينى كان قاعدا يوما من الايام على كرسى مملكته وحوله أرباب دولته اذ نادى وزيره الفضل بن خاقان وقال له انى أريد جارية لا يكون فى زمانها أحسن منها بحيث تكون كاملة فى الجمال فائقة فى الاعتدال حميدة الخصال فقال أرباب الدولة هذه لا توجد الا بعشرة آلاف دينار فعند ذلك صاح السلطان على الخازندار وقال احمل عشرة آلاف دينار الى دار الفضل بن خاقان فامتثل الخازندار أمر السلطان ونزل الوزير بعد ما أمره السلطان أن يعمد الى السوق فى كل يوم ويوصى السماسرة على ما ذكره وانه لا تباع جارية ثمنها فوق الالف دينار حتى تعرض على الوزير فلم تبع السماسرة جارية حتى يعرضوها عليه فامتثل الوزير أمره واستمر على هذا الحال مدة من الزمان ولم تعجبه جارية فاتفق يوما من الايام أن بعض السماسرة أقبل على دار الوزير الفضل بن خاقان فوجده راكبا متوجها الى قصر الملك فقبض على ركابه وأنشد هذين البيتين

يا من أعاد رسيم الملك منشورا * أنت الوزير الذى لا زال منصورا
أحييت ما مات بين الناس من كرم * لا زال سعيك عند الله مشكورا

ثم قال يا سيدى ان الجارية التى صدر بطلبها المرسوم الكريم قد حضرت فقال له الوزير على

بها فغاب ساعة ثم حضر ومعه جارية رشيقة القدّ قاعدة النهد بطرف كحيل وخدّ أسيل وخصر نحيل وردف ثقيل وعليها أحسن ما يكون من الثياب ورضابها أحلى من الحلاب وقامتها تفضح غصون البان وكلامها أرقّ من النسيم اذا مرّ على زهر البستان كما قال فيها بعض واصفيها هذه الابيات

لها بشر مثل الحرير ومنطق * رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر
وعينان قال الله كونا فكانتا * فعولين بالالباب ما تفعل الخمر
فيا حبها زدني جوى كل ليلة * ويا سلوة الايام موعدك الحشر
ذوائبها ليل ولكن جبينها * اذا أسفرت يوما يلوح به الفجر

فلما رآها الوزير أعجبته غاية الاعجاب فالتفت الى السمسار وقال له كم ثمن هذه الجارية فقال وقف سعرها على عشرة آلاف دينار وحلف صاحبها أن العشرة آلاف دينار لم تجئ ثمن الفراريج التي أكلتها ولا ثمن الخلع التي خلعتها على معلميها فانها تعلمت الخط والنحو واللغة والتفسير وأصول الفقه والدين والطب والتقويم والضرب بالآلات المطربة فقال الوزير على بسيدها فأحضره السمسار في الوقت والساعة فاذا هو رجل أعجمي عاش زمنا طويلا حتى صيره الدهر عظما في جلد كما قال الشاعر

أرعشني الدهر أي رعش * والدهر ذو قوة وبطش
قد كنت أمشي ولست أعيا * واليوم أعيا ولست أمشي

فقال له الوزير أرضيت أن تأخذ في هذه الجارية عشرة آلاف دينار من السلطان محمد بن سليمان الزيني فقال العجمي حيث كانت للسلطان فالواجب علي أن أقدمها اليه هدية بلا ثمن فعند ذلك أمر الوزير باحضار الاموال فلما حضرت وزن الدنانير للعجمي ثم أقبل النخاس على الوزير وقال عن اذن مولانا الوزير أتكلم فقال الوزير هات ما عندك فقال عندي من الرأي أن لا تطلع بهذه الجارية الى السلطان في هذا اليوم فانها قادمة من السفر واختلف عليها الهواء وأتعبها السفر ولكن خلها عندك في القصر عشرة أيام حتى تستريح فيزداد جمالها ثم أدخلها الحمام وألبسها أحسن الثياب واطلع بها الى السلطان فيكون لك في ذلك الحظ الاوفر فتأمل الوزير كلام النخاس فوجده صوابا فأتى بها الى قصره وأخلى لها مقصورة ورتب لها كل يوم ما تحتاج اليه من طعام وشراب وغيره فمكثت مدة على تلك الرفاهية وكان للوزير الفضل بن خاقان ولد كأنه البدر اذا أشرق بوجه أقمر وخد أحمر عليه خال كنقطة عنبر وفيه عذار أخضر كما قال الشاعر في مثله هذه الابيات

ورد الخدود ودونه شوك القنا * فمن المحدث نفسه أن يجتنى
لا تمدد الايدي اليه فطالما * شنوا الحروب لأن مددنا الاعينا
يا قلبه القاسي ورقة خصره * هلا نقلت الى هنا من ههنا
لو كان رقة خصره في قلبه * ما جار قط على المحب ولا جنى
يا عاذلي في حبه كن عاذري * من لي بجسم قد تملكه الضنى
ما الذنب الا للفؤاد وناظري * لولاهما ما كنت في هذا العنا

وكان

وكان الصبي لم يعرف قضية هذه الجارية وكان والده أوصاها وقال لها يا بنتي اعلمي أني
ما اشتريتك الا سرية للملك محمد بن سليمان الزيني وان لي ولدا ما خلا بصبية في الحارة الا فعل
بها ما حفظي نفسك منه واحذري أن تريه وجهك أو تسمعيه كلامك فقالت الجارية السمع
والطاعة ثم تركها وانصرف واتفق بالامر المقدر أن الجارية دخلت يوما من الايام الحمام
الذي في المنزل وقد حماها بعض الجواري ولبست الثياب الفاخرة فتزايد حسنها وجمالها
ودخلت على زوجة الوزير فقبلت يدها فقالت لها نعيما يا أنيس الجليس كيف حالك في هذا
الحمام فقالت يا سيدتي ما كنت محتاجة الا حضورك فيه فعند ذلك قالت سيدة البيت
للجواري قمن بنا ندخل الحمام فامتثلن أمرها ومضين وسيدتهن بينهن وقد وكلت بباب
المقصورة التي فيها أنيس الجليس جاريتين صغيرتين وقالت لهما لا تمكنا أحدا من الدخول
على الجارية فقالتا السمع والطاعة فبينما أنيس الجليس قاعدة في المقصورة واذا بابن الوزير
الذي اسمه علي نور الدين قد دخل وسأل عن أمه وعن العائلة فقال له الجاريتان دخلوا الحمام
وقد سمعت الجارية أنيس الجليس كلام علي نور الدين ابن الوزير وهي من داخل المقصورة
فقالت في نفسها يا ترى ما شأن هذا الصبي الذي قال لي الوزير عنه انه ما خلا بصبية في الحارة
الا واقعها والله اني أشتهي أن أنظره ثم انها نهضت على قدميها وهي بأثر الحمام وتقدمت
جهة باب المقصورة ونظرت الى علي نور الدين فاذا هو صبي كالبدر في تمامه فأورثتها النظرة ألف
حسرة ولاحت من الصبي التفاتة اليها فنظرها نظرة أورثته ألف حسرة ووقع كل منهما
في شرك هوى الآخر فتقدم الصبي الى الجاريتين وصاح عليهما فهربتا من بين يديه ووقفتا من
بعيد ينظران ما يفعل واذا به تقدم الى باب المقصورة وفتحه ودخل على الجارية وقال
لها أنت التي اشتراك لي أبي فقالت له نعم فعند ذلك تقدم الصبي اليها وكان في حال السكر
وأخذ رجليها وجعلهما في وسطه وهي شبكت يديها في عنقه واستقبلته بتقبيل وشهيق وغنج
ومص لسانها ومصت لسانه فأزال بكارتها فلما رأى الجاريتان سيدهما الصغير دخل على
الجارية أنيس الجليس صرختا وكان قد قضى الصبي حاجته وخرجها هاربا وللنجاة طالبا وفر من
الخوف عقب الفعل الذي فعله فلما سمعت سيدة البيت صراخ الجاريتين مضت وخرجت من
الحمام والعرق يقطر منها وقالت ما سبب هذا الصراخ الذي في الدار فلما قربت من الجاريتين
اللتين أقعدتهما على باب المقصورة قالت لهما ويلكما ما الخبر فلما رأياها قالتا ان سيدي علي نور
الدين جاء الينا وضربنا فهربنا منه فدخل على أنيس الجليس وعانقها وما ندري أي شيء عمل
بعد ذلك فلما صحنا لك هربت فعند ذلك تقدمت سيدة البيت الى أنيس الجليس وقالت لها ما الخبر
فقالت يا سيدتي أنا قاعدة واذا بصبي جميل الصورة دخل علي وقال لي أنت التي اشتراك لي أبي
فقلت نعم والله يا سيدتي اعتقدت أن كلامه صحيح فعند ذلك أتى الي وعانقني فقالت لها هل
فعل بك شيأ غير ذلك قالت نعم وأخذ مني ثلاث قبلات فقالت ما تركك من غير اقتضاض ثم بكت
ولطمت وجهها هي والجواري خوفا على نور الدين أن يذبحه أبوه فبينما هم كذلك واذا بابن الوزير
دخل وسأل عن الخبر فقالت له زوجته احلف أن ما قلته لك تسمعه قال نعم فأخبرته بما فعله ولده
فحزن ومزق ثيابه ولطم على وجهه ونتف لحيته فقالت له زوجته لا تقتل نفسك أنا أعطيك من

مالى عشرة آلاف دينار ثمنها فعند ذلك رفع رأسه اليها وقال لها ويلك أنا مالى حاجة بثمنها ولكن خوفى أن تروح روحى ومالى فقالت له ياسيدى ماسبب ذلك قال لها أما تعلمين أن وراءنا هذا العدو الذى يقال له المعين بن ساوى ومتى سمع بهذا الامر تقدم الى السلطان وقال له وأدرك شهرزاد الصباح * فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثلاثون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير قال لزوجته أما تعلمين أن وراءنا عدوا يقال له المعين بن ساوى ومتى سمع بهذا الامر تقدم الى السلطان وقال له ان وزيرك الذى تزعم أنه يحبك أخذ منك عشرة آلاف دينار واشترى بها جارية مارأى أحد مثلها فلما أعجبته قال لابنه خذها أنت أحق بها من السلطان فأخذها وأزال بكارتها وهاهى الجارية عنده فيقول الملك تكذب فيقول للملك عن اذنك أهجم عليه وآتيك بها فيأذن له فى ذلك فيهجم على الدار ويأخذ الجارية ويحضرها بين يدى السلطان ثم يسألها لعلك تقدر أن تنكر فيقول له ياسيدى أنت تعلم أنى ناصح لك ولكن مالى عندكم حظ فيمثل بى السلطان والناس كلهم يتفرجون على وتروح روحى فقالت له زوجته لا تعلم أحدا وهذا الامر حصل خفية وسلم أمرك الى الله فى هذه القضية فعند ذلك سكن قلب الوزير وطاب خاطره هذا ما كان من أمر الوزير وأما ما كان من أمر على نور الدين فانه خاف عاقبة الامر فكان يقضى نهاره فى البساتين ولا يأتى الا فى آخر الليل لأمه فينام عندها ويقوم قبل الصبح ولا يراه أحد ولم يزل كذلك شهرا وهو لم يروجه أبيه فقالت أمه لأبيه ياسيدى هل تعدم الجارية وتعدم الولد فان طال هذا الامر على الولد هرب قال لها وكيف العمل قالت له اسهر هذه الليلة فاذا جاء فأمسكه واصطلم أنت واياه وأعطه الجارية فانها تحبه وهو يحبها وأعطيك ثمنها فسهر الوزير طول الليل فلما أتى ولده أمسكه وأراد نحره فأدركته أمه وقالت له أى شئ تريد أن تفعل معه فقال لها أريد أن أذبحه فقال الولد لأبيه هل أهون عليك فتغرغرت عيناه بالدموع وقال له ياولدى كيف هان عليك ذهاب مالى وروحى فقال الصبى اسمع ياوالدى ماقال الشاعر

هبنى جنيت فلم تزل أهل النهى * يهبون للجانى سماحا شاملا
ماذا عسى يرجو عدوك وهو فى * درك الحضيض وأنت أعلى منزلا

فعند ذلك قام الوزير من على صدر ولده وشفق عليه وقام الصبى وقبل يد والده فقال ياولدى لو علمت أنك تنصف أنيس الجليس كنت وهبتها لك فقال ياوالدى كيف لا أنصفها قال أوصيك ياولدى أنك لا تتزوج عليها ولا تضاررها ولا تبيعها قال له ياوالدى أنا أحلف لك أن لا أتزوج عليها ولا أبيعها ثم حلف له أيمانا على ماذكر ودخل على الجارية فأقام معها سنة وأنسى الله تعالى الملك قصة الجارية وأما المعين بن ساوى فانه بلغه الخبر ولكنه لم يقدر أن يتكلم لعظم منزلة الوزير عند السلطان فلما مضت السنة دخل الوزير فضل الدين خان الحمام وخرج وهو عرقان فأصابه الهواء فلزم الوساد وطال به السهاد وتسلسل به الضعف فعند ذلك نادى ولده على نور الدين فلما حضر بين يديه قال له ياولدى ان الرزق مقسوم والأجل محتوم ولا بد لكل نسمة من شرب كأس المنون وأنشد هذه الأبيات

من فاته الموت يوما لم يفته غدا * والكل منا على حوض الردى وردا

سوى

سوى العظيم بمن قد كان محتقرا * ولم يدع هيبة بين الورى أحدا
لم يبق من ملك كلا ولا ملك * ولا نبي بعيش دائم أبدا

ثم قال يا ولدي مالي عندك وصية الا تقوى الله والنظر في العواقب وأن تستوصي بالجارية أنيس الجليس فقال له يا أبت ومن مثلك وقد كنت معروفا بفعل الخير ودعا الخطباء لك على المنابر فقال له يا ولدي أرجو من الله تعالى القبول ثم نطق بالشهادتين وشهق شهقة فكتب من أهل السعادة فعند ذلك امتلأ القصر بالصراخ ووصل الخبر الى السلطان وسمعت أهل المدينة بوفاة الفضل بن خاقان فبكت عليه الصبيان في مكاتبها ونهض ولده على نور الدين وجهزه وحضرت الامراء والوزراء وأرباب الدولة وأهل المدينة مشهده وكان ممن حضر الجنازة الوزير المعين بن ساوى وأنشد بعضهم عند خروج جنازته من الدار هذه الابيات

قد قلت للرجل المولى غسله * هلا أطاع وكنت من نصحائه
جنبه ماءك ثم غسله بما * أذرت عيون المجد عند بكائه
وأزل مجامع الحنوط ونحها * عنه وحنطه بطيب ثنائه
ومر الملائكة الكرام بحمله * شرفا ألست تراهم و بازائه
لاتوه أعناق الرجال بحمله * يكفي الذي حملوه من نعمائه

ثم مكث على نور الدين شديد الحزن على والده مدة مديدة فبينما هو جالس يوما من الايام في بيت والده اذ طرق الباب طارق فنهض على نور الدين وفتح الباب واذا برجل من ندماء والده وأصحابه فقبل يد نور الدين وقال يا سيدي من خلف مثلك مامات وهذا مصير سيد الاولين والآخرين يا سيدي طب نفسا ودع الحزن فعند ذلك نهض على نور الدين الى قاعة الجلوس ونقل اليها ما يحتاج اليه واجتمع عليه أصحابه وأخذ جاريته واجتمع عليه عشرة من أولاد التجار ثم انه أكل الطعام وشرب الشراب وجدد مقاما بعد مقام وصار يعطي ويتكرم فعند ذلك دخل عليه وكيله وقال له يا سيدي على نور الدين أما سمعت قول بعضهم من ينفق ولم يحسب افتقر ولقد أحسن من قال هذه الابيات

أصون دراهمي وأذب عنها * لعلمي أنها سيفي وترسي
أأبذلها الى أعدى الاعادي * وأبدل في الورى سعدي بنحسي
فيأكلها و يشربها هنيأ * ولا يسخو الى أحد بفلس
وأحفظ درهمي عن كل شخص * لئيم الطبع لا يصفو لانسي
أحب الي من قولي لنذل * أنلني درهما لغد بخمس
فيعرض وجهه ويصد عني * فتبقى مثل نفس الكلب نفسي
فيا ذل الرجال بغير مال * ولو كانت فضائلهم كشمس

ثم قال يا سيدي النفقة الجزيلة والمواهب العظيمة تفني المال فلما سمع على نور الدين من وكيله هذا الكلام نظر اليه وقال له جميع ما قلته لا أسمع منه كلمة فما أحسن قول الشاعر

اذا ما ملكت المال يوما ولم أجد * فلا بسطت كفي ولا نهضت رجلي
فهاتوا بخيلا لا نال مجدا ببخله * وهاتوا أروني باذلا مات من بذل

ثم قال اعلم أيها الوكيل أنى أريد اذا فضل عندك ما يكفينى لغدائى أن لا تحملنى هم عشائى فانصرف الوكيل من عنده الى حال سبيله وأقبل على نور الدين على ما هو فيه من مكارم الاخلاق وكل من يقول له من ندمائه ان هذا الشئ مليح يقول هو لك هبة أو يقول ياسيدى ان الدار الفلانية مليحة يقول هى لك هبة ولم يزل على نور الدين يعقد لندمائه وأصحابه فى أول النهار مجلسا وفى آخره مجلسا ومكث على هذا الحال سنة كاملة فبينما هو جالس يوما واذا بالجارية تنشد هذين البيتين

أحسنت ظنك بالأيام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر

فلما فرغت من شعرها اذا بطارق يطرق الباب فقام على نور الدين فتبعه بعض جلسائه من غير أن يعلم به فلما فتح الباب رآه وكيله فقال له على نور الدين ما الخبر فقال له ياسيدى الذى كنت أخاف عليك منه قد وقع لك قال وكيف ذلك قال اعلم أنه ما بقى لك تحت يدى شئ يساوى درهما ولا أقل من درهم وهذه دفاتر المصروف الذى صرفته ودفاتر أصل مالك فلما سمع على نور الدين هذا الكلام أطرق برأسه الى الارض وقال لا حول ولا قوة الا بالله فلما سمع الرجل الذى تبعه خفية وخرج ليتسلل عليه ما قاله له الوكيل رجع الى أصحابه وقال لهم انظروا أى شئ تعملون فان على نور الدين قد أفلس فلما رجع اليهم على نور الدين ظهر لهم الغم فى وجهه فعند ذلك نهض واحد من الندماء على قدميه ونظر الى على نور الدين وقال له ياسيدى انى أريد أن تأذن لى بالانصراف فقال على نور الدين لماذا الانصراف فى هذا اليوم فقال ان زوجتى تلد فى هذه الليلة ولا يمكننى أن أتخلف عنها وأريد أن أذهب اليها وأنظرها فأذن له ونهض آخر وقال له ياسيدى نور الدين أريد اليوم أن أحضر عند أخى فانه يطاهر ولده وكل واحد يستأذنه بحيلة ويذهب الى حال سبيله حتى انصرفوا كلهم وبقى على نور الدين وحده فعند ذلك دعا جاريته وقال يا أنيس الجليس ما تنظرين ما حل بى وحكى لها ما قاله الوكيل فقالت ياسيدى من منذ ليال هممت أن أقول لك على هذا الحال فسمعتك تنشد هذين البيتين

اذا جادت الدنيا عليك فجد بها * على الناس طرا قبل أن تتفلت
فلا الجود يفنيها اذا هى أقبلت * ولا الشح يبقيها اذا هى ولت

فلما سمعت منك تنشدهما سكت ولم أبد لك خطابا فقال لها على نور الدين يا أنيس الجليس أنت تعرفين أنى ما صرفت مالى الا على أصحابى وأظنهم لا يتركوننى من غير مواساة فقالت أنيس الجليس والله ما ينفعونك بنافعة فقال على نور الدين فأنا فى هذه الساعة أقوم وأروح اليهم وأطرق أبوابهم لعلى أنال منهم شيأ فأجعله فى يدى رأس مال وأتجر فيه وأترك اللهو واللعب ثم انه نهض من وقته وساعته ومازال سائرا حتى أقبل على الزقاق الذى فيه أصحابه العشرة وكانوا كلهم ساكنين فى ذلك الزقاق فتقدم الى أول باب وطرقه فخرجت له جارية وقالت له من أنت فقال لها قولى لسيدك على نور الدين واقف على الباب ويقول لك مملوكك يقبل أياديك وينتظر فضلك فدخلت الجارية وأعلمت سيدها فصاح عليها وقال لها ارجعى وقولى له ما هو هنا فرجعت الجارية الى على نور الدين وقالت له ياسيدى ان سيدى ما هو هنا فتوجه على نور الدين

وقال

وقال فى نفسه ان كان هذا ولد زنا وأنكر نفسه فغيره ماهو ولد زنا ثم تقدم الى الباب الثانى وقال كما قال أولا فأنكر الآخر نفسه فعند ذلك أنشد هذا البيت

ذهب الذين اذا وقفت ببابهم * منوا عليك بما تريد من الندى

فلما فرغ من شعره قال والله لابد أن أمتحنهم كلهم عسى أن يكون فيهم واحد يقوم مقام الجميع فدار على العشرة فلم يجد أحدا منهم فتح الباب ولا أراه نفسه ولا أمر له برغيف فأنشد هذه الابيات

المرء فى زمن الاقبال كالشجره * فالناس من حولها ما دامت الثمره
حتى اذا أسقطت كل الذى حملت * تفرقوا وأرادوا غيرها شجره
تبا لابناء هذا الدهر كلهم * فلم أجد واحدا يصفو من العشره

ثم انه رجع الى جاريته وقد تزايد همه فقالت له ياسيدى أما قلت لك انهم لا ينفعونك بنافعة فقال والله ما فيهم من أرانى وجهه فقالت له ياسيدى بع من أثاث البيت شيأ فشيأ وأنفق فباع الى أن باع جميع ما فى البيت ولم يبق عنده شئ فعند ذلك نظر الى أنيس الجليس وقال لها ما نفعل الآن فقالت له ياسيدى عندى من الرأى أن تقوم فى هذه الساعة وتنزل بى السوق فتبيعنى وأنت تعلم أن والدك كان اشترانى بعشرة آلاف دينار فلعل الله يفتح عليك ببعض هذا الثمن واذا قدر الله باجتماعنا نجتمع فقال لها يا أنيس الجليس مايهون على فراقك ساعة واحدة فقالت له ولا أنا لكن للضرورة أحكام كما قال الشاعر

تلجى الضرورات فى الامور الى * سلوك مالا يليق بالادب
ما حامل نفسه على سبب * الا لأمر يليق بالسبب

فعند ذلك أخذ أنيس الجليس ودموعه تسيل على خده ثم أنشد هذين البيتين

قفوا زودونى نظرة قبل بينكم * أعلل قلبا كاد بالبين يتلف
فان كان ترويدى بذلك كافتة * دعونى فى وجدى ولا تتكلفوا

ثم مضى وسلمها الى الدلال وقال له اعرف مقدار ما تنادى عليه فقال له الدلال ياسيدى على نور الدين الاصول محفوظة ثم قال له أما هى أنيس الجليس الذى كان اشتراها والدك منى بعشرة آلاف دينار قال نعم فعند ذلك طلع الدلال الى التجار فوجدهم لم يجتمعوا كلهم فصبر حتى اجتمع سائر التجار وامتلأ السوق بسائر أجناس الجوارى من تركية ورومية وشركسية وجرجية وحبشية فلما نظر الدلال الى ازدحام السوق نهض قائما وقال يا تجار يا أرباب الاموال ما كل مدورة جوزة ولا كل مستطيلة موزة ولا كل حمراء لحمة ولا كل بيضاء شحمة ولا كل صهباء خمرة ولا كل سمراء تمرة يا تجار هذه الدرة اليتيمة التى لا تقوى الاموال لها بقيمة بكم تفتحون باب الثمن فقال واحد بأربعة آلاف دينار وخمسمائة واذا بالوزير المعين بن ساوى فى السوق فنظر على نور الدين واقفا فى السوق فقال فى نفسه ما باله واقفا فانه ما بقى عنده شئ يشترى به جوارى ثم نظر بعينه فسمع المنادى وهو واقف ينادى فى السوق والتجار حوله فقال الوزير فى نفسه ما أظنه الا أفلس ونزل بالجارية ليبيعها ثم قال فى نفسه ان صح ذلك فما أبرده على قلبى ثم دعا المنادى فأقبل عليه وقبل الارض بين يديه فقال انى أريد هذه الجارية التى

تنادى عليها فلم يمكنه المخالفة فجاء بالجارية وقدمها بين يديه فلما نظر اليها وتأمل محاسنها من قامتها الرشيقة وألفاظها الرقيقة أعجبته فقال له الى كم وصل ثمنها فقال له أربعة آلاف وخمسمائة دينار فلما سمع ذلك التجار ما قدر واحد منهم أن يزيد درهما ولا دينارا بل تأخروا جميعا لما يعلمون من ظلم ذلك الوزير ثم نظر المعين بن ساوى الى الدلال وقال له ما سبب وقوفك رح والجارية على بأربعة آلاف دينار ولك خمسمائة دينار فراح الدلال الى على نور الدين وقال له ياسيدى راحت الجارية عليك بلا ثمن فقال له وما سبب ذلك قال له نحن فتحنا باب سعرها بأربعة آلاف دينار وخمسمائة فجاء هذا الظالم المعين بن ساوى ودخل السوق فلما نظر الجارية أعجبته وقال لى شاور على أربعة آلاف دينار ولك خمسمائة وما أظنه الا عرف ان الجارية لك فان كان يعطيك ثمنها فى هذه الساعة يكون ذلك من فضل الله لكن أنا أعرف من ظلمه انه يكتب لك ورقة حوالة على بعض عملائه ثم يرسل اليهم ويقول لا تعطوه شيأ فكلما ذهبت اليهم لتطالبهم يقولون فى غد نعطيك ولا يزالون يعدونك ويخلفون يوما بعد يوم وأنت عزيز النفس وبعد أن ينجو امن مطالبتك اياهم يقولون أعطنا ورقة الحوالة فاذا أخذوا الورقة منك قطعوها وراح عليك ثمن الجارية فلما سمع على نور الدين من الدلال هذا الكلام نظر اليه وقال له كيف يكون العمل فقال له أنا أشير عليك بمشورة فان قبلتها منى كان لك الحظ الاوفر قال وما هى قال تجىء فى هذه الساعة عندى وأنا واقف فى وسط السوق وتأخذ الجارية من يدى وتلكمها وتقول لها ويلك قد فديت يمينى التى حلفتها ونزلت بك السوق حيث حلفت عليك أنه لا بد من اخراجك الى السوق ومناداة الدلال عليك فان فعلت ذلك ربما تدخل عليه الحيلة وعلى الناس ويعتقدون أنك ما نزلت بها الا لأجل ابرار اليمين فقال هذا هو الرأى الصواب ثم ان الدلال فارقه وجاء الى وسط السوق وأمسك يد الجارية وأشار الى الوزير المعين بن ساوى وقال يا مولاى هذا ما لكمها قد أقبل ثم جاء على نور الدين الى الدلال ونزع الجارية من يده ولكمها وقال لها ويلك قد نزلت بك الى السوق لاجل ابرار يمينى روحى الى البيت وبعد ذلك لا تخالفينى فلست محتاجا الى ثمنك حتى أبيعك أنا لو بعت أثاث البيت وأمثاله مرات عديدة ما بلغ قدر ثمنك فلما نظر المعين بن ساوى الى نور الدين قال له ويلك وهل بقى عندك شئ يباع أو يشترى ثم ان المعين بن ساوى أراد أن يبطش به فعند ذلك نظر التجار الى نور الدين وكانوا كلهم يحبونه فقال لهم ها أنا بين أيديكم وقد عرفتم ظلمه فقال الوزير والله لولا أنتم لقتلته ثم رمزوا كلهم لبعضهم بعين الاشارة وقالوا ما أحد منا يدخل بينك وبينه فعند ذلك تقدم على نور الدين الى الوزير ابن ساوى وكان نور الدين شجاعا فجذب الوزير من فوق سرجه فرماه على الارض وكان هناك مجحنة طين فوقع الوزير فى وسطها وجعل على نور الدين يلكمه فجاءت لكمة على أسنانه فاختضبت لحيته بدمه وكان مع الوزير عشرة مماليك فلما رأوا نور الدين فعل بسيدهم هذه الافعال وضعوا أيديهم على مقابض سيوفهم وأرادوا أن يهجموا على على نور الدين ويقطعوه واذا بالناس قالوا للمماليك هذا وزير وهذا ابن وزير وربما اصطلحا مع بعضهما وتكونون مبغوضين عند كل منهما وربما جاءت فيه ضربة فتموتون جميعا أقبح الموتات ومن الرأى أن لا تدخلوا بينهما فلما فرغ على نور الدين من ضرب الوزير أخذ جاريته ومضى الى داره وأما الوزير ابن ساوى فانه قام من ساعته

وكان

وكان قماش ثيابه أبيض فصار ملونا بثلاثة ألوان لون الطين ولون الدم ولون الرماد فلما رأى نفسه على هذه الحالة أخذ برشا وجعله فى رقبته وأخذ فى يده خرمتين من حلفة وسار الى أن وقف تحت القصر الذى فيه السلطان وصاح يا ملك الزمان مظلوم فأحضروه بين يديه فتأمله المعين بن ساوى وزيره فقال له من فعل بك هذه الفعال فبكى وانتحب وأنشد هذين البيتين

أيظلمنى الزمان وأنت فيه * وتأكلنى الكلاب وأنت ليث
ويروى من حياضك كل صاد * وأعطش فى حماك وأنت غيث

ثم قال ياسيدى أهكذا كل من كان يحبك ويخدمك تجرى له هذه المشاق قال له ومن فعل بك هذه الفعال فقال الوزير اعلم انى خرجت اليوم الى سوق الجوارى لعلى أشترى جارية طباخة فرأيت فى السوق جارية ما رأيت فى طول عمرى مثلها فقال الدلال انها لعلى بن خاقان وكان مولانا السلطان أعطى أباه سابقا عشرة آلاف دينار ليشترى له بها جارية مليحة فاشترى تلك الجارية فأعجبته فاعطاها ولده فلما مات أبوه سلك طريق الاسراف حتى باع جميع ما عنده من الأملاك والبساتين والاوانى فلما أفلس ولم يبق عنده شئ نزل بالجارية الى السوق على أن يبيعها ثم سلمها الى الدلال فنادى عليها وتزايدت فيها التجار حتى بلغ ثمنها أربعة آلاف دينار فقلت لعقلى أشترى هذه لمولانا السلطان فان أصل ثمنها كان من عنده فقلت ياولدى خذ ثمنها أربعة آلاف دينار فلما سمع كلامى نظر الىّ وقال ياشيخ النحس أبيعها لليهود والنصارى ولا أبيعها لك فقلت أنا ما أشتريها لنفسى وانما أشتريها لمولانا السلطان الذى هو ولىّ نعمتنا فلما سمع منى هذا الكلام اغتاظ وجذبنى ورمانى عن الجواد وأنا شيخ كبير وضربنى ولم يزل يضربنى حتى تركنى كما ترانى وأنا ما أوقعنى فى هذا كله الا أنى جئت لاشترى هذه الجارية لسعادتك ثم ان الوزير رمى نفسه على الارض وجعل يبكى ويرتعد فلما نظر السلطان حالته وسمع مقالته قام عرق الغضب بين عينيه ثم التفت الى من بحضرته من أرباب الدولة واذا باربعين ضارب سيف وقفوا بين يديه فقال لهم السلطان انزلوا فى هذه الساعة الى دار على بن خاقان وانهبوها واهدموها وائتونى به وبالجارية مكتفين واسحبوهما على وجوههما وائتوا بهما بين يدىّ فقالوا له السمع والطاعة ثم انهم نزلوا وقصدوا المسير الى على نور الدين وكان عند السلطان حاجب يقال له علم الدين سنجر وكان أولا من مماليك الفضل بن خاقان والد على نور الدين فلما سمع أمر السلطان ورأى الاعداء تهيؤا الى قتل ابن سيده لم يهن عليه ذلك فركب جواده وسار الى أن أتى بيت على نور الدين فطرق الباب فخرج له نور الدين فلما رآه عرفه وأراد أن يسلم عليه فقال ياسيدى ما هذا وقت سلام ولا كلام واسمع ما قال الشاعر

ونفسك فز بها ان خفت ضيما * وخل الدار تنعى من بناها
فانك واجد أرضا بأرض * ونفسك لم تجد نفسا سواها

فقال نور الدين ما علم الدين ما الخبر فقال له انهض وفز بنفسك أنت والجارية فان المعين بن ساوى نصب لكما شركا ومتى وقعتما فى يده قتلكما وقد أرسل اليكما السلطان أربعين ضاربا بالسيف والرأى عندى أن تهربا قبل أن يحل الضرر بكما ثم ان سنجر مد يده الى نور الدين بدنانير فعدها فوجدها أربعين دينارا وقال له ياسيدى خذ هذه ولو كان معى أكثر من ذلك لاعطيتك اياه

لكن ماهذا وقت معاتبة فعند ذلك دخل نور الدين على الجارية وأعلمها بذلك فتحيلت ثم خرج الاثنان فى الوقت الى ظاهر المدينة وأسبل الله عليهما ستره ومشيا الى ساحل البحر فوجدا مركبا تجهزت للسفر والريس واقف فى وسط المركب يقول من بقى له حاجة من وداع أو زيادة أو نسى حاجة فليأت بها فاننا متوجهون فقالوا كلهم لم يبق لنا حاجة ياريس فعند ذلك قال الريس لجماعته هيا حلوا الطرف واقلعوا الاوتاد فقال على نور الدين الى أين ياريس فقال الى دار السلام بغداد * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثلاثون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الريس لما قال لعلى نور الدين الى دار السلام مدينة بغداد نزل على نور الدين ونزلت معه الجارية وعوموا ونشروا القلوع فاندفعت المركب كانها طير يجناحيه كما قال فيها بعضهم هذين البيتين

انظر الى مركب يسيبك منظره * يسابق الريح فى سير بسراء
كأنه طائر قد مد أجنحة * أتى من الجو منقضا على الماء

فسارت بهم المركب وطاب لهم الريح هذا ما جرى لهؤلاء وأما ما جرى للاربعين الذين أرسلهم السلطان فانهم جاؤا الى بيت على نور الدين فكسروا الابواب ودخلوا وطافوا جميع الاماكن فلم يقفوا لهما على خبر فهدموا الدار ورجعوا وأعلموا السلطان فقال اطلبوهما من أى مكان كانا فيه فقالوا السمع والطاعة ثم نزل الوزير المعين بن ساوى الى بيته بعد ان خلع عليه السلطان خلعة وقال له لا يأخذ بثارك الا أنا فدعا له بطول البقاء واطمأن قلبه ثم ان السلطان أمر ان ينادى فى المدينة يامعاشر الناس كافة قد أمر مولانا السلطان ان من عثر على نور الدين بن خاقان وجاء به الى السلطان يخلع عليه خلعة وأعطاه ألف دينار ومن أخفاه أو عرف مكانه ولم يخبر به فانه يستحق ما يجرى له من النكال فصار جميع الناس فى التفتيش على نور الدين فلم يعرفوا له أثرا هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر على نور الدين وجاريته فانهما وصلا بالسلامة الى بغداد فقال الريس هذه بغداد وهى مدينة أمينة قد ولى عنها الشتاء ببرده وأقبل عليها فصل الربيع بوروده وأزهرت أشجارها وجرت أنهارها فعند ذلك طلع على نور الدين هو وجاريته من المركب وأعطى الريس خمسة دنانير ثم سارا قليلا فرمتهما المقادير بين البساتين فجاءا الى مكان فوجداه مكنوسا مرشوشا بمصاطب مستطيلة وقواديس معلقة ملآنة بالماء وفوقه مكعب من القصب بطول الرقاق وفى صدر الرقاق باب بستان الا انه مغلق فقال نور الدين للجارية والله ان هذا محل مليح فقالت ياسيدى اقعد بنا ساعة على هذه المصاطب فطلعا وجلسا على المصاطب ثم غسلا وجوههما وأيديهما واستلذا بمرور النسيم فنام وجل من لا ينام وكان هذا البستان يسمى بستان النزهة وهناك قصر يقال له قصر الفرجة وهو للخليفة هرون الرشيد وكان الخليفة اذا ضاق صدره يأتى الى هذا البستان ويدخل ذلك القصر فيقعد فيه وكان القصر له ثمانون شباكا ومعلقا فيه ثمانون قنديلا وفى وسطه شمعدان كبير من الذهب فاذا دخله الخليفة أمر الجوارى أن تفتح الشبابيك وأمر اسحق النديم والجوارى أن يغنوا فينشرح صدره ويزول همه وكان للبستان خولى شيخ كبير يقال له الشيخ ابراهيم واتفق أنه خرج لبعض حاجة من أشغاله فوجد المتفرجين مغهم النساء أهل الريبة

فغضب

فغضب غضبا شديدا فصبر الشيخ ابراهيم حتى جاء عند الخليفة فى بعض الايام فأعلمه بذلك فقال الخليفة كل من وجدته على باب البستان فافعل به ما أردت فلما كان ذلك اليوم خرج الشيخ ابراهيم الخولى لقضاء حاجة عرضت له فوجد الاثنين نائمين على باب البستان مغطيين بازارواحد فقال أما عرفا أن الخليفة أعطانى اذنا ان كل من لقيته هنا أقتله ولكن أنا أضربهذين ضربا خفيفا حتى لا يتقرب أحد من باب البستان ثم قطع جريدة خضراء وخرج اليهما ورفع يده نبان بياض ابطه وأراد ضربهما فتفكر فى نفسه وقال يا ابراهيم كيف تضربهما ولم تعرف حالهما وقد يكونان غريبين أو من أبناء السبيل ورمتهما المقادير هنا فأنا أكشف عن وجوههما وأنظر اليهما فرفع الازار عن وجوههما وقال هذان حسنان لا ينبغى أن أضربهما ثم غطى وجوههما وتقدم الى رجل على نور الدين وجعل يكبسها ففتح عينه فوجده شيخا كبيرا فاستحى على نور الدين ولم ترجليه واستوى قاعدا وأخذ يد الشيخ ابراهيم وقبلها فقال له ياولدى من أين أنتم فقال له ياسيدى نحن غرباء وفرت الدمعة من عينه فقال الشيخ ابراهيم ياولدى اعلم ان النبى صلى الله عليه وسلم أوصى باكرام الغريب ثم قال له ياولدى أما تقوم وتدخل البستان وتتفرج فيه فينشرح صدرك فقال له نور الدين ياسيدى هذا البستان لمن قال ياولدى هذا البستان ورثته من أهلى وما كان قصد الشيخ ابراهيم بهذا الكلام الا أن يطمئنا ويدخلا البستان فلما سمع نور الدين كلامه شكره وقام هو وجاريته والشيخ ابراهيم قدامهما فدخلوا البستان فاذا هو بستان بابه مقنطر عليه كروم وأعنابه مختلفة الالوان الاحمر كانه ياقوت والاسود كانه آبنوس فدخلوا تحت عريشة فوجدوا فيها الاثمار صنوانا وغير صنوان والاطيار تغرد بالالحان على الاغصان والهزار يترنم والقمرى ملأ بصوته المكان والشحرور كانه فى تغريده انسان والفاخت كانه شارب نشوان والاشجار قد أينعت أثمارها من كل مأكول ومن كل فاكهة زوجان والمشمش مابين كافورى ولوزى ومشمش خراسان والبرقوق كانه لون الحسان والقراصية تذهل عقل كل انسان والتين مابين أحمر وأبيض وأخضر من أحسن الالوان والزهر كانه اللؤلؤ والمرجان والورد يفضح بحمرته خدود الحسان والبنفسج كانه كبريت دنا من النيران والآس والمنثور والخزامى مع شقائق النعمان وتكللت تلك الاوراق بمدامع الغمام وضحك ثغر الاقحوان وصار النرجس ناظرا الى الورد بعيون السودان والاترج كانه اكواب والليمون كبنادق من ذهب وفرشت الارض بالزهر من سائر الالوان وأقبل الربيع فأشرق ببهجته المكان والنهر فى خرير والطير فى هدير والريح فى صفير والزمان فى اعتدال والنسيم فى اعتلال ثم دخل بهما الشيخ ابراهيم القاعة المغلقة فابتهجوا بحسن تلك القاعة ومافيها من اللطائف الغريبة وجلسوا فى بعض الشبابيك فتذكر نور الدين المقامات التى مضت له فقال والله ان هذا المكان فى غاية الحسن لقد ذكرنى بما مضى وأطفأ من قلبى جمر الغضى ثم ان الشيخ ابراهيم قدم لهما الاكل فأكلا كفايتهما ثم غسلا أيديهما وجلس نور الدين فى شباك من تلك الشبابيك وصاح على جاريته فأتت اليه فصارا ينظران الى الاشجار وقد حملت سائر الاثمار ثم التفت على نور الدين الى الشيخ ابراهيم وقال له ياشيخ ابراهيم أما عندك شئ من الشراب لان الناس يشربون

بعد أن يأكلوا فجاءه الشيخ ابراهيم بماء حلو بارد فقال له نور الدين ما هذا الشراب الذى أريده فقال له أتريد الخمر فقال نور الدين نعم فقال أعوذ بالله منها ان لى ثلاثة عشر عاما ما فعلت ذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم لعن شاربه وعاصره وحامله فقال له نور الدين اسمع منى كلمتين قال قل ما شئت قال اذا لم تكن عاصر الخمر ولا شاربه ولا حامله هل يصيبك من لعنهم شئ قال لا قال خذ هذين الدينارين وهذين الدرهمين واركب هذا الحمار وقف بعيدا وأى انسان وجدته يشترى فصح عليه وقل له خذ هذين الدرهمين واشتر بهذين الدينارين خمرا واحمله على الحمار وحينئذ لا تكون شاربا ولا حاملا ولا عاصرا ولا مشتريا ولا يصيبك شئ مما أصاب الجميع فقال الشيخ ابراهيم وقد ضحك من كلامه والله ما رأيت أظرف منك ولا أحلى من كلامك فقال له نور الدين نحن صرنا محسوبين عليك وما غليك الا الموافقة فائت لنا بجميع ما نحتاج اليه فقال الشيخ ابراهيم يا ولدى هذا كرارى قد امك وهو الحاصل المعد لأمير المؤمنين فادخله وخذ منه ما شئت فان فيه فوق ما تريد فدخل على نور الدين الحاصل فرأى فيه أوانى من الذهب والفضة والبلور مرصعة بأصناف الجواهر فأخرج منها ما أراد وسكب الخمر فى البواطى والقناني وصار هو وجاريته يتعاطيان واندهشا من حسن ما رأيا ثم ان الشيخ ابراهيم جاء لهما بالمشموم وقعد بعيدا عنهما فلم يزالا يشربان وهما فى غاية الفرح حتى تحكم معهما الشراب واحمرت خدودهما وتغازلت عيونهما واسترخت شعورهما فقال الشيخ ابراهيم مالى أقعد بعيدا عنهما كيف لا أقعد عندهما وأى وقت أجتمع فى حضرة مثل هذين الاثنين اللذين كأنهما قمران ثم ان الشيخ ابراهيم تقدم وقعد فى طرف الايوان فقال له على نور الدين ياسيدى بحياتى عليك أن تتقدم عندنا فتقدم الشيخ ابراهيم عندهما فملأ نور الدين قدحا ونظر الى الشيخ ابراهيم وقال له اشرب حتى تعرف ما لذة طعمه فقال الشيخ ابراهيم أعوذ بالله ان لى ثلاث عشرة سنة ما فعلت شيأ من ذلك فتغافل عنه نور الدين وشرب القدح ورمى نفسه فى الارض وأظهر أنه غلب عليه السكر فعند ذلك نظرت اليه أنيس الجليس وقالت له ياشيخ ابراهيم أنظر هذا كيف عمل معى قال لها ياسيدتى ماله قالت دائما يعمل معى هكذا فيشرب ساعة وينام وأبقى أنا وحدى لا أجد لى نديما ينادمنى على قدحى فاذا شربت فمن يعاطينى واذا غنيت فمن يسمعنى فقال لها الشيخ ابراهيم وقد حنت أعضاؤه ومالت نفسه اليها من كلامها وقال لا ينبغى من النديم أن يكون هكذا ثم ان الجارية ملأت قدحا ونظرت الى الشيخ ابراهيم وقالت له بحياتى أن تأخذه وتشربه ولا ترده فاقبله واجبر خاطرى فمد الشيخ ابراهيم يده وأخذ القدح وشربه وملأت له ثانيا ومدت اليه يدها به وقالت له ياسيدى بقى لك هذا فقال لها والله لا أقدر أن أشربه فقد كفانى الذى شربته فقالت له والله لا بد منه فأخذ القدح وشربه ثم أعطته الثالث فأخذه وأراد أن يشربه واذا بنور الدين هم قاعدا * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثلاثون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن على يا نور الدين هم قاعدا فقال له ياشيخ ابراهيم أى شئ هذا أما حلفت عليك من ساعة فأبيت وقلت ان لى ثلاثة عشر عاما ما فعلته فقال الشيخ ابراهيم وقد استحى والله مالى ذنب وانما هى شددت على ففحك نور الدين

وقعدوا

وتعدوا للمنادمة فالتفتت الجارية وقالت لسيدها سرا ياسيدى اشرب ولا تحلف على الشيخ
ابراهيم حتى أفرّ جلك عليه فجعلت الجارية تملأ وتسقى سيدها وسيدها يملأ و يسقيها ولم يزالا
كذلك مرّة بعد مرّة فنظر لهما الشيخ ابراهيم وقال لهما أى شئ هذا وما هذه المنادمة
لم لا تسقياني وقد صرتما نديمكما فضحكا من كلامه الى أن أغمى عليهما ثم شربا وسقياه ولازالوا
فى المنادمة الى ثلث الليل فعند ذلك قالت الجارية ياشيخ ابراهيم عن اذنك هل أقوم وأوقد
شمعة من هذا الشمع المصفوف فقال لها قومى ولا توقدى الا شمعة واحدة فنهضت على قدميها
وابتدأت من أول الشمع الى أن أوقدت ثمانين شمعة ثم قعدت و بعد ذلك قال نور الدين ياشيخ
ابراهيم وأنا أى شئ حظى عندك أما تخلينى أوقد قنديلا من هذه القناديل فقال له الشيخ
ابراهيم قم وأوقد قنديلا واحدا ولا تتثاقل أنت الآخر فقام وابتدأ من أولها الى أن أوقد
ثمانين قنديلا فعند ذلك رقص المكان فقال لهما الشيخ ابراهيم وقد غلب عليه السكر أنتما
أخرج منى ثم انه نهض على قدميه وفتح الشبابيك جميعا وجلس معهما يتنادمون ويتناشدون
الاشعار وابتهج بهم المكان فقد رالله السميع العليم الذى جعل لكل شئ سببا أن الخليفة
كان فى تلك الساعة جالسا فى الشبابيك المطلة على ناحية الدجلة فى ضوء القمر فنظر الى تلك
الجهة فرأى ضوء القناديل والشموع فى البحر ساطعا فلاحت من الخليفة التفاتة الى القصر
الذى فى البستان فرآه يرهج من تلك الشموع والقناديل فقال على جعفر البرمكى لما كان الا
لحظة وقد حضر جعفر بين يدى أمير المؤمنين فقال له يا كلب الوزراء أتخدمنى ولم تعلمنى بما يحصل
فى مدينة بغداد فقال له جعفر وما سبب هذا الكلام فقال لولا أن مدينة بغداد أخذت منى
ما كان قصر الفرجة مبتهجا بضوء القناديل والشموع وانفتحت شبابيكه ويلك من الذى
يكون له قدرة على هذه الفعال الا اذا كانت الخلافة أخذت منى فقال جعفر وقد ارتعدت
فرائصه ومن أخبرك بأن قصر الفرجة أوقدت فيه القناديل والشموع وفتحت شبابيكه فقال
له تقدم عندى وانظر فتقدم جعفر عند الخليفة ونظر ناحية البستان فوجد القصر كأنه شعلة
نار نورها غلب على نور القمر فأراد جعفر أن يعتذر عن الشيخ ابراهيم الخولى ربما يكون هذا
الامر باذنه لما رأى فيه من المصلحة فقال يا أمير المؤمنين كان الشيخ ابراهيم فى الجمعة التى
مضت قال لى ياسيدى جعفر انى أريد أن أفرح أولادى فى حياتك وحياة أمير المؤمنين فقلت له
وما مرادك بهذا الكلام فقال لى مرادى أن تأخذ لى اذنا من الخليفة بأنى أظاهر أولادى
فى القصر فقلت له افعل ماشئت من فرح أولادك وان شاء الله أجتمع بالخليفة وأعلمه بذلك فراح
من عندى على هذا الحال ونسيت أن أعلمك فقال الخليفة ياجعفر كان لك عندى ذنب واحد
فصار لك عندى ذنبان لانك أخطأت من وجهين الوجه الاول انك ما أعلمتنى بذلك الوجه الثانى
انك ما بلغت الشيخ ابراهيم مقصوده فانه ما جاء اليك وقال لك هذا الكلام الا تعريضا بطلب
شئ من المال يستعين به على مقصوده فلم تعطه شيأ ولم تعلمنى حتى أعطيه فقال جعفر يا أمير
المؤمنين نسيت فقال الخليفة وحق آبائى وأجدادى ما أتم بقيتى ليلتى الا عنده فانه رجل صالح
يتردد الى المشايخ ويحتفل بالفقراء ويواسى المساكين وأظن أن الجميع عنده فى هذه الليلة
فلا بد من الذهاب اليه لعل واحدا منهم يدعو لنا دعوة يحصل لنا بها خير فى الدنيا والآخرة وربما

يحصل له نفع فى هذا الامر بحضورى ويفرح بذلك هو وأحبابه فقال جعفر يا أمير المؤمنين ان معظم الليل قد مضى وهم فى هذه الساعة على وجه الانفضاض فقال الخليفة لابد من الرواح عندهم فسكت جعفر وتحير فى نفسه وصار لا يدرى فنهض الخليفة على قدميه وقام جعفر بين يديه ومعهما مسرور الخادم ومشى الثلاثة متفكرين ونزلوا من القصر وجعلوا يشقون فى الازقة وهم فى زى التجار الى أن وصلوا الى البستان المذكور فتقدم الخليفة فرأى البستان مفتوحا فتعجب وقال انظر الشيخ ابراهيم كيف خلى الباب مفتوحا الى هذا الوقت وما هى عادته ثم انهم دخلوا الى أن انتهوا الى آخر البستان ووقفوا تحت القصر فقال الخليفة يا جعفر أريد أن أتسلل عليهم قبل أن أطلع عندهم حتى أنظر ما عليه المشايخ من النفحات وواردات الكرامات فان لهم شؤنا فى الخلوات والجلوات لاننا الآن لم نسمع لهم صوتا ولم نر لهم أثرا ثم ان الخليفة نظر فرأى شجرة جوز عالية فقال يا جعفر أريد أن أطلع على هذه الشجرة فان فروعها قريبة من الشبابيك وأنظر اليهم ثم ان الخليفة طلع فوق الشجرة ولم يزل يتعلق من فرع الى فرع حتى وصل الى الفرع الذى يقابل الشبالك وقعد فوقه ونظر من شبالك القصر فرأى صبية وصبيا كأنهما قران سبحان من خلقهما ورأى الشيخ ابراهيم قاعدا وفى يده قدح وهو يقول يا سيدة الملاح الشرب بلا طرب غير فلاح ألم تسمعى قول الشاعر

أدرها بالكبير وبالصغير * وخذها من يد القمر المنير
ولا تشرب بلا طرب فانى * رأيت الخيل تشرب بالصفير

فلما عاين الخليفة من الشيخ ابراهيم هذه الفعال قام عرق الغضب بين عينيه ونزل وقال يا جعفر أنا ما رأيت شيأ من كرامات الصالحين مثل ما رأيت فى هذه الليلة فاطلع أنت الآخر على هذه الشجرة وانظر لئلا تفوتك بركات الصالحين فلما سمع جعفر كلام أمير المؤمنين صار متحيرا فى أمره وصعد الى أعلى الشجرة واذا به نظر فرأى نور الدين والشيخ ابراهيم والجارية وكان الشيخ ابراهيم فى يده القدح فلما عاين جعفر تلك الحالة أيقن بالهلاك ثم نزل فوقف بين يدى أمير المؤمنين فقال الخليفة يا جعفر الحمد لله الذى جعلنا من المتبعين لظاهر الشريعة المطهرة وكفانا شر تلبيسات الطريقة المزورة فلم يقدر جعفر أن يتكلم من شدة الخجل ثم نظر الخليفة الى جعفر وقال يا ترى من أوصل هؤلاء الى هذا المكان ومن أدخلهم قصرى ولكن مثل هذا الصبى وهذه الصبية ما رأت عينى حسنا وجمالا وقدا واعتدالا فقال جعفر وقد استرجح رشدا الخليفة صدقت يا أمير المؤمنين فقال يا جعفر اطلع بنا على هذا الفرع الذى هو مقابلهم لنتفرج عليهم فطلع الاثنان على الشجرة ونظراهما فسمعا الشيخ ابراهيم يقول يا سادتى قد تركت الوقار بشرب العقار ولا يلذ ذلك الا بنغمات الاوتار فقالت له أنيس الجليس يا شيخ ابراهيم والله لو كان عندنا شئ من آلات الطرب لكان سرورنا كاملا فلما سمع الشيخ ابراهيم كلام الجارية نهض قائما على قدميه فقال الخليفة لجعفر يا ترى ماذا يريد أن يعمل فقال جعفر لا أدرى فغاب الشيخ ابراهيم وعاد ومعه عود فتأمله الخليفة فاذا هو عود اسحق النديم فقال الخليفة والله ان غنت الجارية ولم تحسن الغناء صلبتكم كلكم وان غنت وأحسنت الغناء فانى أعفو عنهم وأصلبك أنت فقال جعفر اللهم اجعلها لا تحسن الغناء فقال الخليفة لأى شئ

فقال

فقال لأجل أن تصلبنا كلنا فيؤانس بعضنا بعضا فضحك الخليفة واذا بالجارية أخذت العود وأصلحت أوتاره وضربت ضربا يذيب الحديد ويفطن البليد وجعلت تنشد هذه الأبيات

أضحى التنائى بديلا من تدانينا * ومنذ ناط بنا ليلى تناجينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا * بأن نغص فقال الدهر آمينا
ما الخوف أن تقتلونا فى منازلكم * وانما خوفنا أن تأثموا فينا

فقال الخليفة والله يا جعفر عمرى ما سمعت صوتا مطربا مثل هذا فقال جعفر لعل الخليفة ذهب ما عنده من الغيظ قال نعم ذهب ثم نزل من الشجرة هو وجعفر ثم التفت الى جعفر وقال أريد أن أطلع وأجلس عندهم وأسمع الصبية تغنى قدامى فقال يا أمير المؤمنين اذا طلعت عليهم ربما تكدروا وأما الشيخ ابراهيم فانه يموت من الخوف فقال الخليفة يا جعفر لا بد أن تعرّفنى حيلة أحتال بها على معرفة حقيقة هذا الامر من غير أن يشعروا باطلاعنا عليهم ثم ان الخليفة هو وجعفر ذهبا الى ناحية الدجلة وهما متفكران فى هذا الامر واذا بصياد واقف يصطاد وكان الصياد تحت شبابيك القصر فرمى شبكته ليصطاد ما يقتات به وكان الخليفة سابقا صاح على الشيخ ابراهيم وقال له ما هذا الصوت الذى سمعته تحت شبابيك القصر فقال له الشيخ ابراهيم صوت الصيادين الذين يصطادون السمك فقال انزل وامنعهم من ذلك الموضع فامتنع الصيادون من ذلك الموضع فلما كانت تلك الليلة جاء صياد يسمى كريما ورأى باب البستان مفتوحا فقال فى نفسه هذا وقت غفلة لعلى أستغنم فى هذا الوقت صيدا ثم أخذ شبكته وطرحها فى البحر وصار ينشد هذه الابيات

يا راكب البحر فى الأهوال والهلكه * اقصر عنا لك فليس الرزق بالحركه
أما ترى البحر والصياد منتصب * فى ليله ونجوم الليل محتبكه
قد مدّ أطنابه والموج يلطمه * وعينه لم تزل فى كل الشبكه
حتى اذا بات مسرورا بها فرحا * والحوت قد حط فى فخ الردى حنكه
وصاحب القصر أمسى فيه ليلته * منعم البال فى خير من البركه
وصار مستيقظا من بعد رقدته * لكنّ فى ملكه ظبيا وقد ملكه
سبحان ربى يعطى ذا ويمنع ذا * بعض يصيد وبعض يأكل السمكه

فلما فرغ من شعره واذا بالخليفة وحده واقف على رأسه فعرفه الخليفة فقال له يا كريم فالتفت اليه لما سمعه سماه باسمه فلما رأى الخليفة ارتعدت فرائصه وقال والله يا أمير المؤمنين ما فعلته استهزاء بالمرسوم ولكن الفقر والعيلة قد حملانى على ما ترى فقال الخليفة اصطد على بختى فتقدم الصياد وقد فرح فرحا شديدا وطرح الشبكة وصبر الى أن أخذت حدّها وثبتت فى القرار ثم جذبها اليه فطلع فيها من أنواع السمك ما لا يحصى ففرح بذلك الخليفة فقال يا كريم اقلع ثيابك فقلع ثيابه وكانت عليه جبة فيها مائة رقعة من الصوف الخشن وفيها من القمل الذى له أذناب ومن البراغيث ما يكاد أن يسير بها على وجه الارض وقلع عمامته من فوق رأسه وكان له ثلاث سنين ما حلها وانما كان اذا رأى خرقة لفها عليها فلما قلع الجبة والعمامة خلع

الخليفة من فوق جسمه ثوبين من الحرير الاسكندراني والبعلبكي وملوطة وفرجية ثم قال للصياد خذ هذه والبسها ثم لبس الخليفة جبة الصياد وعمامته ووضع على وجهه لثاما ثم قال للصياد رح أنت الى شغلك فقبل رجل الخليفة وشكره وأنشد هذين البيتين

أوليتني مالا أقوم بشكره * وكفيتني كل الامور بأسرها
فلأشكرنك ما حييت وان أمت * شكرتك مني أعظمي في قبرها

فما فرغ الصياد من شعره حتى جال القمل على جلد الخليفة فصار يقبض بيده اليمين والشمال من على رقبته ويرمي ثم قال ياصياد ويلك ما هذا القمل الكثير في هذه الجبة فقال ياسيدي انه في هذه الساعة يؤالمك فاذا مضت عليك جمعة فانك لا تحس به ولا تفكر فيه فضحك الخليفة وقال له ويلك كيف أخلي هذه الجبة على جسدي فقال الصياد اني أشتهي أن أقول لك كلاما ولكن أستحي من هيبة الخليفة فقال له قل ما عندك فقال له قد خطر ببالي يا أمير المؤمنين أنك أردت أن تتعلم الصيد لأجل أن تكون في يدك صنعة تنفعك فان أردت ذلك يا أمير المؤمنين فان هذه الجبة تناسبك فضحك الخليفة من كلام الصياد ثم ولى الصياد الى حال سبيله وأخذ الخليفة مقطف السمك ووضع فوقه قليلا من الحشيش وأتى به الى جعفر ووقف بين يديه فاعتقد جعفر أنه كريم الصياد فخاف عليه وقال يا كريم ما جاء بك هنا انج بنفسك فان الخليفة هنا في هذه الليلة فلما سمع الخليفة كلام جعفر ضحك حتى استلقى على قفاه فقال جعفر لعلك مولانا أمير المؤمنين فقال الخليفة نعم يا جعفر وأنت وزيري وحيثت أنا واياك هنا وما عرفتني فكيف يعرفني الشيخ ابراهيم وهو سكران فكن مكانك حتى أرجع اليك فقال جعفر سمعا وطاعة ثم ان الخليفة تقدم الى باب القصر ودقه فقام الشيخ ابراهيم وقال من بالباب فقال له أنا يا شيخ ابراهيم قال له من أنت قال أنا كريم الصياد وسمعت أن عندك أضيافا فجئت اليك بشيء من السمك فانه مليح وكان نور الدين هو والجارية يحبان السمك فلما سمعا ذكر السمك فرحا به فرحا شديدا وقالا ياسيدي افتح له ودعه يدخل لنا بالسمك الذي معه ففتح الشيخ ابراهيم الباب فدخل الخليفة وهو في صورة الصياد وابتدأ بالسلام فقال له الشيخ ابراهيم أهلا باللص السارق المقامر تعال أرنا السمك الذي معك فأراهم اياه فلما نظروه فاذا هو حي يتحرك فقالت الجارية والله ياسيدي ان هذا السمك مليح ياليته مقلي فقال الشيخ ابراهيم والله صدقت ثم قال للخليفة ياصياد ليتك جئت بهذا السمك مقليا قم فاقله لنا وهاته فقال الخليفة على الرأس أقليه وأجيء به فقالوا له عجل بقليه والاتيان به فقام الخليفة يجري حتى وصل الى جعفر وقال ياجعفر طلبوا السمك مقليا فقال يا أمير المؤمنين هاته وأنا أقليه فقال الخليفة وتربة آبائي وأجدادي ما يقليه الا أنا بيدي ثم ان الخليفة ذهب الى خص الخولي وفتش فيه فوجد فيه كل شيء يحتاج اليه من آلة القلي حتى الملح والزعتر وغير ذلك فتقدم للكانون وعلق الطاجن وقلاه قليا مليحا فلما استوى جعله على ورق الموز وأخذ من البستان ليمونا وطلع بالسمك ووضعه بين أيديهم فتقدم الصبي والصبية والشيخ ابراهيم وأكلوا فلما فرغوا غسلوا أيديهم فقال نور الدين والله ياصياد انك صنعت معنا معروفا في هذه الليلة ثم وضع يده في جيبه وأخرج له ثلاثة دنانير من الدنانير التي أعطاه اياها سنجر وقت خروجه للسفر وقال ياصياد اعذرني فوالله لو عرفتك قبل الذي حصل لي

سابقا

سابقا لكنت نزعت مرارة الفقر من قلبك لكن خذ هذا بحسب الحال ثم رمى الدنانير للخليفة فأخذها الخليفة وقبلها ووضعها فى جيبه وما كان مراد الخليفة بذلك الا السماع من الجارية وهى تغنى فقال الخليفة أحسنت وتفضلت لكن مرادى من تصدقاتك العميمة أن هذه الجارية تغنى لنا صوتا حتى أسمعها فقال على نور الدين يا أنيس الجليس قالت نعم قال لها وحياتى أن تغنى لنا شيأ من شأن خاطر هذا الصياد لانه يريد أن يسمعك فلما سمعت كلام سيدها أخذت العود وغمزته بعد أن عركت أذنه وأنشدت هذين البيتين

وغادة لعبت بالعود أنملها * فعادت النفس عند الجس تختلس
قد أسمعت بالأغانى من به صمم * وقال أحسنت مغنى من به خرس

ثم انها ضربت ضربا غريبا الى أن أذهلت العقول وأنشدت تقول هذين البيتين

ولقد شرفنا اذ نزلتم أرضنا * ومحاسنا كم ظلمة الديجور
فيحق لى أنى أخلق منزلى * بالمسك والماورد والكافور

فعند ذلك اضطرب الخليفة وغلب عليه الوجد فلم يملك نفسه من شدة الطرب وصار يقول طيبك الله طيبك الله طيبك الله فقال نور الدين يا صياد هل أعجبتك الجارية وتحريكها الاوتار فقال الخليفة اى والله فقال نور الدين هى هبة منى اليك هبة كريم لا يرجع فى عطائه ثم ان نور الدين نهض قائما على قدميه وأخذ ملوطة ورماها على الخليفة وهو فى صورة الصياد وأمره أن يخرج ويروح بالجارية فنظرت الجارية اليه وقالت يا سيدى هل أنت رائح بلا وداع ان كان ولا بد فقف حتى أودعك وأنشدت هذين البيتين

لئن غبتم واعنى فان محلكم * لفى مهجتى بين الجوانح والحشا
وأرجو من الرحمن جمعا لشملنا * وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

فلما فرغت من شعرها أجابها نور الدين وهو يقول

ودعتنى يوم الفراق وقالت * وهى تبكى من لوعة وفراق
ما الذى أنت صانع بعدى بعدى * قلت قولى هذا لمن هو باقى

ثم ان الخليفة لما سمع ذلك صعب عليه التفريق بينهما والتفت الى الصبى وقال له يا سيدى هل أنت خائف من جناية أولا حد عليك دين فقال نور الدين والله يا سيدا انه جرى لى ولهذه الجارية حديث عجيب وأمر غريب لو كتب بالابر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر فقال الخليفة أما تحدثنا بحديثك وتعرفنا بخبرك عسى أن يكون لك فيه فرج فان فرج الله قريب فقال نور الدين يا سيدا هل تسمع حديثنا نظما أو نثرا فقال الخليفة النثر كلام والشعر نظام فعند ذلك أطرق نور الدين رأسه الى الارض وأنشأ يقول هذه الابيات

يا خليلى انى هجرت رقادى * وهمومى نمت لبعد بلادى
كان لى والد على شفيق * غاب عنى مجاور الاحاد
وجرت لى من بعده الأمور * صرت منها مفتت الاكباد
اشترى لى من الحسان فتاة * مثل غصن بقدها الميادد
فصرفت الذى ورثت عليها * وتخيرتها على الاجواد

سمتها البيع اذ ترايدهمى * وجوى البين لم يكن بمرادى
واذا مادعا اليها مناد * زاد فيها شيخ كثير الفساد
فلهذا اغتظت غيظا شديدا * ولمكى جذبتها بأياد
فتردى ذاك الشميم بقبح * ثم قادت فيه لظى الالحاد
من غرامى لكمته بيمينى * وشمالى حتى شفيت فؤادى
ومن الخوف قد أتيت لدارى * وتيقنت سطوة الاضداد
فهدى مالك البلاد لحبسى * فأتى الحاجب الرشيد السداد
راجز الى أنى أسير بعيدا * عن ذراهم مكمدا حسادى
فطلعنا من دارنا جنح ليل * طالبين المقام فى بغداد
ليس شئ من الذخائر عندى * دونها منحبة الى الصياد
غير أنى أعطيك محبوب قلبى * فتيقن أنى وهبت فؤادى

فلما فرغ من شعره قال الخليفة ياسيدى نور الدين اشرح لى أمرك فأخبره نور الدين بحاله من أوله الى آخره فلما فهم الخليفة هذا الحال قال له أين تقصد فى هذه الساعة قال له بلاد الله فسيحة فقال له الخليفة أنا أكتب لك ورقة توصلها الى السلطان محمد بن سليمان الزينى فاذا قرأها لا يضرك بشئ * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثلاثون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة لما قال لعلى نور الدين أنا أكتب لك ورقة توصلها الى السلطان محمد الزينى فاذا قرأها لا يضرك بشئ فقال له على نور الدين وهل فى الدنيا صياد يكاتب الملوك ان هذا شئ لا يكون أبدا فقال له الخليفة صدقت ولكن أنا أخبرك بالسبب اعلم أنى قرأت أنا واياه فى مكتب واحد عند فقيه وكنت أنا عريفه ثم أدركته السعادة وصار سلطانا وجعلنى الله صيادا ولكنى لم أرسل اليه فى حاجة الا قضاها ولو أرسلت اليه فى كل يوم من شأن ألف حاجة لقضاها فلما سمع نور الدين كلامه قال له اكتب حتى أنظر فأخذ دواة وقلما وكتب بعد البسملة أما بعد فان هذا الكتاب من هرون الرشيد بن المهدى الى حضرة محمد بن سليمان الزينى المشمول بنعمتى الذى جعلته نائبا عنى فى بعض مملكتى أعرفك أن الموصل اليك هذا الكتاب نور الدين بن خاقان الوزير فساعة وصوله عندكم تنزع نفسك من الملك وتجلسه مكانك فانى قد وليتك على ما كنت وليتك عليه سابقا فلا تخالف أمرى والسلام ثم أعطى على نور الدين بن خاقان الكتاب فأخذه نور الدين وقبله وحطه فى عمامته ونزل فى الوقت مسافرا هذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر الخليفة فان الشيخ ابراهيم نظر اليه وهو فى صورة الصياد وقال يا أحقر الصيادين قد جئت لنا بسمكتين تساويان عشرين نصفا فأخذت ثلاثة دنانير وتريد أن تأخذ الجارية أيضا فلما سمع كلامه صاح عليه وأومأ الى مسرور فاشهر نفسه وهجم عليه وكان جعفر قد أرسل رجلا من صبيانه الى بواب القصر يطلب منه بدلة لامير المؤمنين فذهب الرجل وطلع بالبدلة وقبل الارض بين يدى الخليفة فخلع عليه الخليفة ما كان عليه والبس تلك البدلة وكان الشيخ ابراهيم جالسا على كرسى والخليفة واقف ينظر ما يجرى فعند ذلك بهت الشيخ ابراهيم وصار يعض فى أنامله من الخجل ويقول يا ترى هل أنا نائم

ام

أم يقظان فنظر اليه الخليفة وقال ياشيخ ابراهيم ماهذا الحال الذى أنت فيه فعند ذلك أفاق من سكره ورمى نفسه على الارض وأنشد هذين البيتين

هب لى جناية مازلت به القدم * فان للعبد من ساداته كرم
فعلت مايقتضيه الجهل معترفا * فأين مايقتضيه العفو والكرم

فعفا عنه الخليفة وأمر بالجارية أن تحمل الى القصر فلما وصلت الى القصر أفرد لها الخليفة منزلا وحدها ووكل بها من يخدمها وقال لها اعلمى أنى أرسلت سيدك سلطانا على البصرة فان شاء الله نرسل اليه خلعة ونرسلك اليه صحبتها هذا ماجرى لهؤلاء وأما ماجرى لنور الدين على بن خاقان فانه لازال مسافرا حتى دخل البصرة وطلع قصر السلطان ثم صرخ صرخة عظيمة فسمعه السلطان فطلبه فلما حضر بين يديه قبل الارض قدامه ثم أخرج الورقة وأعطاه اياها فلما رأى عنوان الكتاب بخط أمير المؤمنين قام واقفا على قدميه وقبلها ثلاث مرات وقال السمع والطاعة لله تعالى ولأمير المؤمنين ثم أحضر القضاة الاربعة والامراء وأراد أن يخلع نفسه من الملك واذا بالوزير المعين بن ساوى قد حضر فأعطاه السلطان ورقة أمير المؤمنين فلما قرأها قطعها عن آخرها وأخذها فى فمه ومضغها ورماها فقال له السلطان وقد غضب ويلك ما الذى حملك على هذه الفعال قال له هذا ما اجتمع بالخليفة ولا بوزيره وانما هو علق شيطان مكار وقع بورقة فيها خط الخليفة فزورها وكتب فيها ما أراد فلأى شئ تعزل نفسك من السلطنة مع أن الخليفة لم يرسل اليك رسولا بخط شريف ولو كان هذا الامر صحيحا لارسل معه حاجبا أو وزيرا لكنه جاء وحده فقال له وكيف العمل قال له ارسل معى هذا الشاب وأنا آخذه وأتسلمه منك وأرسله صحبة حاجب الى مدينة بغداد فان كان كلامه صحيحا يأتينا بخط شريف وتقليد وان كان غير صحيح يرسلوه الينا مع الحاجب وأنا آخذ حقى من غريمى فلما سمع السلطان كلام الوزير ودخل عقله صاح على الغلمان فطرحوه وضربوه الى أن أغمى عليه ثم أمر أن يضعوا فى رجليه قيدا وصاح على السجان فلما حضر قبل الارض بين يديه وكان هذا السجان يقال له قطيط فقال له ياقطيط أريد أن تأخذ هذا وترميه فى مطمورة من المطامير التى عندك فى السجن وتعاقبه بالليل والنهار فقال السجان سمعا وطاعة ثم ان السجان أدخل نور الدين فى السجن وأقفل عليه الباب ثم أمر بكنس مصطبة وراء الباب وفرشها بسجادة ومخدة وأقعد نور الدين عليها وفك قيده وأحسن اليه وكان كل يوم يرسل الى السجان ويأمره بضربه والسجان يظهر أنه يعاقبه وهو يلاطفه ولم يزل كذلك مدة أربعين يوما فلما كان اليوم الحادى والاربعون جاءت هدية من عند الخليفة فلما رآها السلطان أعجبته فشاور الوزراء فى أمرها فقال بعض لعل هذه الهدية كانت للسلطان الجديد فقال الوزير المعين بن ساوى انما كان المناسب قتله وقت قدومه فقال السلطان والله لقد ذكرتنى به انزل هاته واضرب عنقه فقال الوزير سمعا وطاعة فقام وقال له ان قصدى أن أنادى فى المدينة من أراد أن يتفرج على ضرب رقبة نور الدين على بن خاقان فليأت الى القصر فيأتى جميع الناس ليتفرجوا عليه لأشفى فؤادى وأكمد حسادى فقال له السلطان افعل ماتريد فنزل الوزير وهو فرحان مسرور وأقبل على الوالى وأمره أن ينادى بما ذكرناه فلما سمع الناس المنادى حزنوا وبكوا جميعا حتى الصغار فى المكاتب والسوقة فى دكاكينهم وتسابق

الناس ياخذون لهم أماكن ليتفرجوا فيها وذهب بعض الناس الى السجن حتى يأتى معه ونزل الوزير ومعه عشرة مماليك الى السجن فقال قطيط السجان ماتطلب يامولانا الوزير فقال أحضر لى هذا العلق فقال السجان انه فى أقبح حال من كثرة ماضربته ثم دخل السجان فوجده ينشد هذه الابيات

من لى يساعدنى على بلوائى * فقداعتلى دائى وعزدوائى
والهجر أضنى مهجتى وحشاشتى * والدهر ردّ أحبتى أعدائى
ياقوم هل فيكم رفيق مشفق * يرثى لحالى أو يجيب ندائى
فالموت هان علىّ مع سكراته * وقطعت من طيب الحياة رجائى
يارب بالهادى البشير المصطفى * بحر المكارم سيد الشفعاء
أدعوك تنقذنى وتغفر لى تى * وتزيل عنى شقوتى وعنائى

فعند ذلك نزع منه السجان ثيابه النظاف وألبسه ثوبين وسخين ونزل به الى الوزير فنظره نور الدين فرآه عدوّه الذى لازال يطلب قتله فلما رآه بكى وقال له هل أمنت الدهر أما سمعت قول الشاعر

تحكموا فاستطالوا فى تحكمهم * وعن قريب كأن الحكم لم يكن

ثم قال ياوزير اعلم أن الله سبحانه وتعالى هو الفعال لما يريد فقال له ياعلى أتخوفنى بهذا الكلام فأنا فى هذا اليوم أضرب رقبتك على رغم أنف أهل البصرة ولا ألتفت الى نصحك وانما ألتفت الى قول الشاعر

دع الايام تفعل ماتشاء * وطب نفسا بما فعل القضاء

وما أحسن قول الآخر

من عاش بعد عدوه * يوما فقد بلغ المنى

ثم ان الوزير أمر غلمانه أن يحملوه على ظهر بغل فقال الغلمان لعلى نور الدين وقد صعب عليهم دعنا نرجمه ونقطعه ولو نروح أرواحنا فقال لهم على نور الدين لاتفعلوا ذلك أبدا أما سمعتم قول الشاعر

لابدّ لى من مدّة محتومة * فاذا انقضت أيامها مت
لو أدخلتنى الاسد فى غاباتها * لم تغنها مادام لى وقت

ثم انهم نادوا على نور الدين هذا أقلّ جزاء من يزوّر مكتوبا على الخليفة الى السلطان ولازالوا يطوفون به فى البصرة الى أن أوقفوه تحت شباك القصر وجعلوه فى منقع الدم وتقدّم اليه السياف وقال له أنا عبد مأمور فان كان لك حاجة فأخبرنى بها حتى أقضيها لك فانه مابقى من عمرك الا قدر ماتخرج السلطان وجهه من الشباك فعند ذلك نظر يمينا وشمالا وأنشد هذه الابيات

فهل فيكم خلّ شفيق يعينتى * سألتكم بالله ردّ جوابى
مضى الوقت من عمرى وحانت منيتى * فهل راحم لى كى ينال ثوابى
وينظر فى حالى ويكشف كربتى * بشربة ماء كى يهون عذابى

فتباكت الناس عليه وقام السياف وأخذ شربة ماء وناوله اياها فنهض الوزير من مكانه وضرب قلة الماء بيده فكسرها وصاح على السياف وأمره بضرب عنقه فعند ذلك عصب عينى على نور

الدين

الدين فصاح الناس على الوزير وأقاموا عليه الصراخ وكثر بينهم القيل والقال فبينما هم كذلك واذا بغبار قد علا وعجاج ملأ الجو والخلا فلما نظر اليه السلطان وهو قاعد فى القصر قال لهم انظروا ما الخبر فقال الوزير حتى نضرب عنق هذا قبل فقال له السلطان اصبر أنت حتى ننظر الخبر وكان ذلك الغبار غبار جعفر وزير الخليفة ومن معه وكان السبب فى مجيئهم أن الخليفة مكث ثلاثين يوما لم يتذكر قصة على بن خاقان ولم يذكرها له أحد الى أن جاء ليلة من الليالى الى مقصورة أنيس الجليس فسمع بكاءها وهى تنشد بصوت رقيق قول الشاعر

خيالك فى التباعد والتدانى * وذكرك لا يفارقه لسانى

وتزايد بكاؤها واذا بالخليفة قد فتح الباب ودخل المقصورة فرأى أنيس الجليس وهى تبكى فلما رأت الخليفة وقعت على قدميه وقبلتهما ثلاث مرات ثم أنشدت هذين البيتين

أيا من زكا أصلا وطاب ولادة * وأثمر غصنا يانعا وزكا جنسا

اذكرك الوعد الذى سمحت به * محاسنك الحسنا وحاشاك أن تنسى

فقال الخليفة من أنت قالت أنا هدية على بن خاقان اليك وأريد انجاز الوعد الذى وعدتنى به من انك ترسلنى اليه مع التشريف والآن لى هنا ثلاثون يوما لم أذق طعم النوم فعند ذلك طلب الخليفة جعفرا البرمكى وقال من منذ ثلاثين يوما لم أسمع بخبر على بن خاقان وما أظن الا أن السلطان قتله ولكن وحياة رأسى وتربة آبائى وأجدادى ان كان جرى له أمر مكروه لاهلكن من كان سببا فيه ولو كان أعز الناس عندى وأريد أن تسافر أنت فى هذه الساعة الى البصرة وتأتى باخبار الملك محمد بن سليمان الزينى مع على بن خاقان فامتثل أمره وسافر فلما أقبل جعفر نظر ذلك الهرج والمرج والازدحام فقال الوزير جعفر ما هذا الازدحام فذكروا له ما هم فيه من أمر على نور الدين بن خاقان فلما سمع جعفر كلامهم أسرع بالطلوع الى السلطان وسلم عليه وأعلمه بما جاء فيه وانه اذا كان وقع لعلى نور الدين أمر مكروه فان السلطان يهلك من كان السبب فى ذلك ثم انه قبض على السلطان والوزير المعين بن ساوى وأمر باطلاق على نور الدين بن خاقان وأجلسه سلطانا فى مكان السلطان محمد بن سليمان الزينى وقعد ثلاثة أيام فى البصرة مدة الضيافة فلما كان صبح اليوم الرابع التفت على بن خاقان الى جعفر وقال له انى اشتقت الى رؤية أمير المؤمنين فقال جعفر للملك محمد بن سليمان تجهز للسفر فاننا نصلى الصبح ونتوجه الى بغداد فقال السمع والطاعة ثم انهم صلوا الصبح وركبوا جميعهم ومعهم الوزير المعين بن ساوى وصار يتندم على فعله وأما على نور الدين بن خاقان فانه ركب بجانب جعفر ومازالوا سائرين الى أن وصلوا الى بغداد دار السلام وبعد ذلك دخلوا على الخليفة فلما دخلوا عليه حكوا له قصة نور الدين فعند ذلك أقبل الخليفة على على بن خاقان وقال له خذ هذا السيف واضرب به رقبة عدوك فأخذه وتقدم الى المعين بن ساوى فنظر اليه وقال له أنا عملت بمقتضى طبيعتى فاعمل أنت بمقتضى طبيعتك فرمى السيف من يده ونظر الى الخليفة وقال يا أمير المؤمنين انه خدعنى وأنشد قول الشاعر

نخدعته بخديعة لما أتى * والحر يخدعه الكلام الطيب

فقال له الخليفة اتركه أنت ثم قال لمسرور يا مسرور قم أنت واضرب رقبته فقام مسرور ورمى رقبته فعند ذلك قال الخليفة لعلى بن خاقان تمن على فقال يا سيدى أنا ما لى حاجة بملك البصرة وما

أريد الا مشاهدة وجه حضرتك فقال الخليفة حبا وكرامة ثم ان الخليفة دعا بالجارية فحضرت بين يديه فأنعم عليهما وأعطاهما قصرا من قصور بغداد ورتب لهما مرتبات وجعله من ندمائه ومازال مقيما عنده الى أن أدركه الممات وليس هذا بأعجب من حكاية التاجر وأولاده قال الملك وكيف ذلك

﴿حكاية التاجر أيوب وابنه غانم وبنته فتنة﴾

قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان تاجر من التجار له مال وله ولد كأنه البدر ليلة تمامه فصيح اللسان يسمى غانم بن أيوب المتيم المسلوب وله أخت اسمها فتنة من فرط حسنها وجمالها فتوفي والدهما وخلف لهما مالا جزيلا * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثلاثون قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ذلك التاجر خلف لهما مالا جزيلا ومن جملة ذلك مائة حمل من القز والديباج ونوافج المسك ومكتوب على الاحمال هذا بقصد بغداد وكان مراده أن يسافر الى بغداد فلما توفاه الله تعالى ومضت مدة أخذ ولده هذه الاحمال وسافر بها الى بغداد وكان ذلك في زمن هرون الرشيد وودع أمه وأقاربه وأهل بلدته قبل سيره وخرج متوكلا على الله تعالى وكتب الله له السلامة حتى وصل الى بغداد وكان مسافرا صحبته جماعة من التجار فاستأجر له دارا حسنة وفرشها بالبسط والوسائد وأرخى عليها الستور وأنزل فيها تلك الاحمال والبغال والجمال وجلس حتى استراح وسلم عليه تجار بغداد وأكابرها ثم أخذ بقجة فيها عشرة تفاصيل من القماش النفيس مكتوب عليها أثمانها ونزل بها الى سوق التجار فلاقوه وسلموا عليه وأكرموه وتلقوه بالترحيب وأنزلوه على دكان شيخ السوق وباع التفاصيل فربح في كل دينار دينارين ففرح غانم وصار يبيع القماش والتفاصيل شيأ فشيأ ولم يزل كذلك سنة كاملة وفي أول السنة الثانية جاء الى ذلك السوق فرأى بابه مقفولا فسأل عن سبب ذلك فقيل له انه توفي واحد من التجار وذهب التجار كلهم يمشون في جنازته فهل لك أن تكسب أجرا وتمشي معهم قال نعم ثم سأل عن محل الجنازة فدلوه على المحل فتوضأ ثم مشى مع التجار الى أن وصلوا الى المصلى وصلوا على الميت ثم مشى التجار جميعهم قدام الجنازة الى المقبرة وتبعهم غانم الى أن وصلوا بالجنازة الى المقبرة خارج المدينة ومشوا بين المقابر حتى وصلوا الى المدفن فوجدوا أهل الميت نصبوا على القبر خيمة وأحضروا الشموع والقناديل ثم دفنوا الميت وجلس القراء يقرؤن القرآن على ذلك القبر فجلس التجار ومعهم غانم بن أيوب وهو غالب عليه الحياء فقال في نفسه أنا لم أقدر على أن أفارقهم حتى أنصرف معهم ثم انهم جلسوا يسمعون القرآن الى وقت العشاء فقدموا لهم العشاء والحلوى فأكلوا حتى اكتفوا وغسلوا أيديهم ثم جلسوا امكانهم فاشتغل خاطر غانم ببضاعته وخاف من اللصوص وقال في نفسه أنا رجل غريب ومتهم بالمال فان بت الليلة بعيدا عن منزلي سرق اللصوص ما فيه من المال والاحمال وخاف على متاعه فقام وخرج من بين الجماعة واستأذنهم على أنه يقضي حاجة فصار يمشي ويتبع آثار الطريق حتى جاء الى باب المدينة وكان ذلك الوقت نصف الليل فوجد باب المدينة مغلقا ولم ير أحدا غاديا ولا رائحا ولم يسمع صوتا سوى نبيح الكلاب وعي الذئاب فقال لا حول

ولا

ولا قوة الا بالله كنت خائفا على مالى وجئت من أجله فوجدت الباب مغلقا فصرت الآن خائفا
على روحى ثم رجع ينظر له محلا ينام فيه الى الصباح فوجد تربة محوطة باربع حيطان وفيها
نخلة ولها باب من الصوان مفتوح فدخلها وأراد أن ينام فلم يحمه نوم وأخذته رجفة ووحشة
وهو بين القبور فقام واقفا على قدميه وفتح باب المكان ونظر فرأى نورا يلوح على بعد
فى ناحية باب المدينة فمشى قليلا فرأى النور مقبلا فى الطريق التى توصل الى التربة التى هو فيها
فخاف غانم على نفسه وأسرع برد الباب وتعلق حتى طلع فوق النخلة وتدارى فى قلبها فصار
النور يتقرب من التربة شيأ فشيأ حتى قرب من التربة فتأمل النور فرأى ثلاثة عبيد اثنان
حاملان صندوقا وواحد فى يده فاس وفانوس فلما قربوا من التربة قال أحد العبدين الحاملين
للصندوق مالك ياصواب فقال العبد الآخر منهما مالك يا كافور فقال أما كان هنا وقت العشاء
وخلينا الباب مفتوحا فقال نعم هذا الكلام صحيح فقال ها هو مغلق متربس فقال لهما الثالث
وهو حامل الفاس والنور وكان اسمه بخيتا ما أقل عقلكما أما تعرفان أن أصحاب الغيطان
يخرجون من بغداد ويترددون هنا فيمسى عليهم المساء فيدخلون هنا ويغلقون عليهم الباب
خوفا من السودان الذين هم مثلنا أن يأخذوهم ويشووهم ويأكلوهم فقالوا له صدقت وما فينا
أقل عقلا منك فقال لهم انكم لم تصدقونى حتى ندخل التربة ونجد فيها أحدا وأظن أنه اذا
كان فيها أحد ورأى النور هرب فوق النخلة فلما سمع غانم كلام العبد قال فى نفسه ما أمكر هذا
العبد فقبح الله السودان لما فيهم من الخبث واللؤم ثم قال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم
وما الذى يخلصنى من هذه الورطة ثم ان الاثنين الحاملين للصندوق قالا لمن معه الفاس تعلق على
الحائط وافتح لنا الباب ياصواب لاننا تعبنا من حمل الصندوق على رقابنا فاذا فتحت لنا الباب
لك علينا واحد من الذين نمسكهم ونقليه لك قليا جيدا بحيث لا يضيع من دهنه نقطة فقال
صواب أنا خائف من شئ تذكرته من قلة عقلى وهو أننا نرمى الصندوق وراء الباب لانه ذخيرتنا
فقالا له ان رميناه نكسر فقال أنا خائف أن يكون فى داخل التربة الحرامية الذين يقتلون
الناس ويسرقون الاشياء لانهم اذا أمسى عليهم الوقت يدخلون فى هذه الاماكن ويقسمون
ما يكون معهم فقال له الاثنان الحاملان للصندوق يا قليل العقل هل يقدرون أن يدخلوا هنا
ثم حملا الصندوق وتعلقا على الحائط ونزلا وفتحا الباب والعبد الثالث الذى هو بخيت واقف
لهما بالنور والمقطف الذى فيه بعض من الحبس ثم انهم جلسوا وأقفلوا الباب فقال واحد منهم
يا اخوتى نحن تعبنا من المشى والشيل والحط وفتح الباب وقفله وهذا الوقت نصف الليل ولم يبق
فينا قوة لفتح التربة ودفن الصندوق ولكننا نجلس هنا ثلاث ساعات لنستريح ثم نقوم ونقضى
حاجتنا ولكن كل واحد منا يحكى لنا سبب تطويشه وجميع ما وقع له من المبتدا الى المنتهى
لأجل فوات هذه الليلة * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثلاثون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن العبيد الثلاثة لما قالوا
لبعضهم كل واحد يحكى جميع ما وقع له قال الاول وهو الذى كان حامل النور أنا أحكى لكم
حكايتى فقالوا له تكلم قال لهم اعلموا يا اخوتى أنى لما كنت صغيرا جاء بى الجلاب من بلدى
وعمرى خمس سنين فباعنى لواحد جاويش وكان له بنت عمرها ثلاث سنين فتربيت معها وكانوا

يضحكون علي وأنا ألاعب البنت وأرقص لها وأغني لها الى أن صار عمري اثنتي عشرة سنة وهي بنت عشر سنين ولا يمنعوني عنها الى أن دخلت عليها يوما من الأيام وهي جالسة في محل خلوة وكأنها خرجت من الحمام الذي في البيت لانها كانت معطرة مبخرة ووجهها مثل القمر في ليلة أربعة عشر فلاعبتني ولاعبتها ففرحت حليلي حتى صار مثل المفتاح الكبير فدفعتني على الارض فوقعت على ظهري وركبت فوق صدري وصارت تمرغ علي فانكشف حليلي فلما رأته وهو نافر أخذته بيدها وصارت تحلئ به على أشفار فرجها من فوق لباسها فهاجت الحرارة عندي وحضنتها فشبكت يديها في عنقي وقرطت علي بجهدها فما أشعر الا وحليلي فتق لباسها ودخل فرجها فأزال بكارتها فلما عاينت ذلك هربت عند بعض أصحابي فدخلت عليها أمها فلما رأت حالها غابت عن الدنيا ثم تداركت أمرها وأخفت حالها عن أبيها وكتمته وصبرت عليها مدة شهرين كل هذا وهم ينادونني ويلاطفونني حتى أخذوني من المكان الذي كنت فيه ولم يذكروا شيأ من هذا الأمر لأبيها لانهم كانوا يحبونني كثيرا ثم ان أمها خطبت لها شابا من زينا كان يزين أباها وأمهرتها من عندها وجهزتها له كل هذا وأبوها لا يعلم بحالها وصاروا يجتهدون في تحصيل جهازها ثم انهم أمسكوني على غفلة وخصوني ولما زفوها للعريس جعلوني طواشيا لها أمشي قدامها أينما راحت سواء كان رواحها الى الحمام أو الى بيت أبيها وقد ستروا أمرها وليلة الدخلة ذبحوا على قميصها حمامة ومكثت عندها مدة طويلة وأنا أتملى بحسنها وجمالها على قدر ما أمكنني من تقبيل وعناق الى أن ماتت هي وزوجها وأمها وأبوها ثم أخذني بيت المال وصرت في هذا المكان وقد ارتفقت بكم وهذا سبب قطع حليلي والسلام

فقال العبد الثاني اعلموا يا اخوتي أني كنت في ابتداء أمري ابن ثمان سنين ولكن كنت أكذب على الحلابة في كل سنة كذبة حتى يقعوا في بعضهم فقلق مني الحلاب وأنزلني في يد الدلال وأمر أن ينادي من يشتري هذا العبد على عيبه فقيل له وما عيبه قال يكذب في كل سنة كذبة واحدة فتقدم رجل تاجر الى الدلال وقال له كم أعطوا في هذا العبد من الثمن على عيبه قال أعطوا اسمائة درهم قال ولك عشرون فجمع بينه وبين الحلاب وقبض منه الدراهم وأوصلني الدلال الى منزل ذلك التاجر وأخذ دلالته فكساني التاجر ما يناسبني ومكثت عنده باقي سنتي الى أن هلت السنة الجديدة بالخير وكانت سنة مباركة مخصبة بالنبات فصار التجار يعملون العزومات وكل يوم على واحد منهم الى أن جاءت العزومة على سيدي في بستان خارج البلد فراح هو والتجار وأخذ لهم ما يحتاجون اليه من أكل وغيره فجلسوا يأكلون ويشربون ويتنادمون الى وقت الظهر فاحتاج سيدي الى مصلحة من البيت فقال يا عبد اركب البغلة وروح الى المنزل وهات من سيدتك الحاجة الفلانية وارجع سريعا فامتثلت أمره وروحت الى المنزل فلما قربت من المنزل صرخت وأرخيت الدموع فاجتمع أهل الحارة كبارا وصغارا وسمعت صوتي زوجة سيدي وبناته ففتحوا الباب وسألوني عن الخبر فقلت لهم ان سيدي كان جالسا تحت حائط قديمة هو وأصحابه فوقعت عليهم فلما رأيت ما جرى لهم ركبت البغلة وجئت مسرعا لأخبركم فلما سمع أولاده وزوجته ذلك الكلام صرخوا وشقوا ثيابهم ولطموا على وجوههم فأتت اليهم الجيران وأما زوجة سيدي فانها قلبت متاع البيت بعضه على بعض

وخلعت

وخلعت رفوفه وكسرت طيقانه وشباسكه وسخمت حيطانه بطين وبلة وقالت ويلك يا كافور
تعال ساعدني وأخرب هذه الدواليب وكسر هذه الأواني والصيني فقمت اليها وأخربت معها
رفوف البيت وأتلفت ما عليها ودوالبه وأتلفت ما فيها ودرت على السقوف وعلى كل محل
حتى أخربت الجميع وأنا أصيح واسيداه ثم خرجت سيدتي مكشوفة الوجه بغطاء رأسها الاغير
وخرج معها البنات والاولاد وقالوا يا كافور امش قدامنا وأرنا مكان سيدك الذي هو ميت
فيه تحت الحائط حتى نخرجه من تحت الردم ونحمله في تابوت ونجيء به الى البيت فنخرجه
خرجة مليحة فمشيت قدامهم وأنا أصيح واسيداه وهم خلفي مكشوفي الوجوه والرؤس
يصيحون وامصيبتاه وانكبتاه فلم يبق أحد من الرجال ولا من النساء ولا من الصبيان ولا
صبية ولا عجوز الا جاء معنا وصاروا كلهم يلطمون وهم في شدة البكاء فمشيت بهم في المدينة
فسأل الناس عن الخبر فأخبروهم بما سمعوا مني فقال الناس لا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم انا نمضي للوالي ونخبره فلما وصلوا الى الوالي أخبروه * وأدرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثلاثون قالت بلغني أيها الملك السعيد أنهم لما وصلوا الى الوالي
وأخبروه قام الوالي وركب وأخذ معه الفعلة بالمساحي والقفف ومشوا ونا بعين أثري ومعهم كثير
من الناس وأنا قدامهم أبكي وأصيح وأحثو التراب على رأسي وألطم على وجهي فلما دخلت
عليهم ورآني سيدي وأنا ألطم وأقول واسيداه من يحن علي بعد سيدتي يا بنتي كنت
فداءها فلما رآني سيدي بهت واصفر لونه وقال مالك يا كافور ما هذا الحال وما الخبر فقلت له
انك لما أرسلتني الى البيت لأجيء لك بالذي طلبته رحت الى البيت ودخلته فرأيت الحائط
التي في القاعة وقعت فانهدمت القاعة كلها على سيدتي وأولادها فقال لي وهل سيدتك لم تسلم
فقلت له لا ما سلم منهم أحد وأول من مات منهم سيدتي الكبيرة فقال وهل سلمت بنتي الصغيرة
فقلت له لا فقال لي وما حال البغلة التي أركبها هل هي سالمة فقلت له لا ياسيدي فان حيطان
البيت وحيطان الاصطبل انطبقت على جميع ما في البيت حتى على الغنم والاوز والدجاج
وصاروا كلهم كوم لحم وصاروا تحت الردم ولم يبق منهم أحد فقال لي ولا سيدك الكبير فقلت
له لا فلم يسلم منهم أحد وفي هذه الساعة لم يبق دار ولا سكان ولم يبق من ذلك كله أثر وأما الغنم
والاوز والدجاج فان الجميع أكلها القطط والكلاب فلما سمع سيدي كلامي صار الضياء في
وجهه ظلاما ولم يقدر أن يتمالك نفسه ولا عقله ولم يقدر أن يقف على قدميه بل جاءه الكساح
وانكسر ظهره ومزق أثوابه ونتف لحيته ولطم على وجهه ورمى عمامته من فوق رأسه
ولا زال يلطم على وجهه حتى سال منه الدم وصار يصيح آه وا أولاداه آه وزوجتاه آه وامصيبتاه
من جرى له مثل ما جرى لي فصاحت التجار رفقاؤه لصياحه وبكوا معه ورثوا لحاله وشقوا
أثوابهم وخرج سيدي من ذلك البستان وهو يلطم من شدة ما جرى له وأكثر اللطم على وجهه
وصار كأنه سكران فبينما الجماعة خارجون من باب البستان واذا هم نظروا غبرة عظيمة وصياحا
بأصوات مزعجة فنظروا الى تلك الجهة فرأوا الجماعة المقبلين وهم الوالي وجماعته والخلق

والعالم الذين يتفرجون وأهل التاجر وراءهم يصرخون ويضجون وهم فى بكاء شديد وحزن زائد فأول من لاقى سيدى زوجته وأولاده فلما رآهم بهت وضحك وقال لهم ما حالكم أنتم وما حصل لكم فى الدار وما جرى لكم فلما رأوه قالوا الحمد لله على سلامتك أنت ورموا أنفسهم عليه وتعلقت أولاده به وصاحوا وأبتاه الحمد لله على سلامتك يا أبانا وقالت له زوجته الحمد لله الذى أرانا وجهك بسلامة وقد اندهشت وطار عقلها لما رأته وقالت له كيف كانت سلامتك أنت وأصحابك فقال لها وكيف كان حالكم فى الدار فقالوا نحن طيبون بخير وعافية وما أصاب دارنا شئ من الشر غير أن عبدك كافور اجاء الينا مكشوف الرأس ممزق الاثواب وهو يصيح واسيداه واسيداه فقلنا له ما الخبر يا كافور فقال ان سيدى جلس تحت حائط فى البستان ليقضى حاجة فوقعت عليه لمحات فقال لهم سيدى والله انه أتانى فى هذه الساعة وهو يصيح واسيداه وأولاد سيداه وقال ان سيدتى وأولادها ماتوا جميعا ثم نظر الى جانبه فرآنى وعمامتى ساقطة فى رأسى وأنا أصيح وأبكى بكاء شديدا وأحثو التراب على رأسى فصرخ على فاقبلت عليه فقال لى ويلك ياعبد النحس يا ابن الزانية يا ملعون الجنس ماهذه الوقائع التى عملتها ولكن والله لأسلخن جلدك عن لحمك وأقطعن لحمك عن عظمك فقلت له والله ما تقدر أن تعمل معى شيأ لانك قد اشتريتنى على عيبى بهذا الشرط والشهود يشهدون عليك حين اشتريتنى على عيبى وأنت عالم به وهو أنى أكذب فى كل سنة كذبة واحدة وهذه نصف كذبة فاذا كملت السنة كذبت نصفها الآخر فتبقى كذبة كاملة فصاح على يا ألعن العبيد هل هذا كله نصف كذبة وانما هو داهية كبيرة اذهب عنى فأنت حر فقلت والله ان أعتقتنى أنت ما اعتقك أنا حتى تكمل السنة وأكذب نصف الكذبة الباقى وبعد أن أتمها فانزل بى السوق وبعنى بما اشتريتنى به على عيبى ولا تعتقنى فانى مالى صنعة أقتات منها وهذه المسئلة التى ذكرتها لك شرعية ذكرها الفقهاء فى باب العتق فبينما نحن فى الكلام واذا بالخلائق والناس وأهل الحارة نساء ورجالا قد جاؤا يعملون العزاء وجاء الوالى وجماعته فراح سيدى والنجار الى الوالى وأعلموه بالقضية وان هذه نصف كذبة فلما سمع الحاضرون ذلك منه استعظموا تلك الكذبة وتعجبوا غاية العجب فلعنونى وشتمونى فبقيت واقفا أضحك وأقول كيف يقتلنى سيدى وقد اشترانى على هذا العيب فلما مضى سيدى الى البيت وجده خرابا وأنا الذى أخربت معظمه وكسرت فيه شيأ يساوى جملة من المال فقالت له زوجته ان كافورا هو الذى كسر الاوانى والصينى فازداد غيظه وقال والله عمرى ما رأيت ولدزنا مثل هذا العبد ويقول انما نصف كذبة فكيف لو كانت كذبة كاملة فحينئذ كان أخرب مدينة أو مدينتين ثم ذهب من شدة غيظه الى الوالى فضربنى علقة شديدة حتى غبت عن الدنيا وغشى على فأتانى بالمزين فى حال غشيتى فخصانى وكوانى فلما أفقت وجدت نفسى خصيا وقال لى سيدى مثل ما أحرقت قلبى على أعز الشئ عندى أحرقت قلبك على أعز الشئ عندك ثم أخذنى فباعنى بأغلى ثمن لانى صرت طواشيا ومازلت ألقى الفتن فى الاماكن التى أباع فيها وأنتقل من أمير الى أمير ومن كبير الى كبير بالبيع والشراء حتى دخلت قصر أمير المؤمنين وقد انكسرت نفسى وضعفت قوتى وعدمت خصاى فلما سمع العبدان كلامه ضحكا عليه وقالا له انك خبيث ابن خبيث قد كذبت كذبا شنيعا ثم قالوا للعبد الثالث احك لنا حكايتك قال لهم يا أولاد عمى كل

ما

ما حكى هذا بطال فأنا أحكى لكم سبب قطع خصاى وقد كنت أستحق أكثر من ذلك لانى كنت
نكت سيدتى وابن سيدى والحكاية معى طويلة وما هذا وقت حكايتها الان الصباح يا أولاد عمى
قريب وربما يطلع علينا الصباح ومعنا هذا الصندوق فنفتضح بين الناس وتروح أرواحنا
فدونكم فتح الباب فاذا فتحناه ودخلنا محلنا قلت لكم على سبب قطع خصاى ثم تعلق ونزل من
الحائط وفتح الباب فدخلوا وحطوا الشمع وحفروا حفرة على قدر الصندوق بين أربعة قبور
وصاركا فوريحفر وصواب ينقل التراب بالقفف الى أن حفروا نصف قامة ثم حطوا الصندوق
فى الحفرة وردوا عليه التراب وخرجوا من التربة وردوا الباب وغابوا عن عين غانم بن أيوب فلما
خلا لغانم المكان وعلم أنه وحده استغل سره بما فى الصندوق وقال فى نفسه ياترى أى شئ
فى الصندوق ثم صبر حتى برق الفجر ولاح وبان ضياؤه فنزل من فوق النخلة وأزال التراب بيده
حتى كشف الصندوق وخلصه ثم أخذ حجرا وضرب به القفل فكسره وكشف الغطاء ونظر
فيه فرأى صبية نائمة مبنجة ونفسها طالع نازل الا أنها ذات حسن وجمال وعليها حلى ومصاغ
من الذهب وقلائد من الجواهر تساوى ملك السلطان ما يفى بثمنها مال فلما رآها غانم بن أيوب
عرف أنهم تغامزوا عليها فلما تحقق ذلك الامر عالج فيها حتى أخرجها من الصندوق ورقدها
على قفاها فلما استنشقت الارياح ودخل الهواء فى مناخرها ومنافسها عطست ثم شرقت
وسعلت فوقع من حلقها قرص بنج لو شمه الفيل لرقد من الليل الى الليل ففتحت عينيها وأدارت
طرفها وقالت بكلام فصيح ويلك يا ريح ما فيك رى للعطشان ولا انس للريان أين زهر البستان
فلم يجاوبها أحد فالتفتت وقالت صبيحة شجرة الدر نور الهدى نجمة الصبح أنت فى شهر نزهة
حلوة طريفة تكاموا فلم يجبها أحد فقالت بطرفها وقالت ويلى عندا نزالى فى القبور يا من يعلم
ما فى الصدور ويجازى يوم البعث والنشور من جاءنى من بين الستور والخدور وونعنى
بين أربعة قبور هذا كله وغانم واقف بين قدميه فقال لها ياسيدتى لا خدور ولا قصور ولا
قبور ما هذا الا عبدك غانم بن أيوب ساقه الملك علام الغيوب حتى ينجيك من هذه الكروب
ويحصل لك غاية المطلوب وسكت فلما تحققت الامر قالت أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن
محمدا رسول الله والتفتت الى غانم وقد وضعت يديها على صدرها وقالت له بكلام عذب أيها
الشاب المبارك من جاءنى الى هذا المكان فها أنا قد أفقت فقال ياسيدتى ثلاثة عبيد خصيون
أتوا وهم حاملون هذا الصندوق ثم حكى لها جميع ما جرى وكيف أمسى عليه المساء حتى كان
سبب سلامتها والا كانت ماتت بغصتها ثم سألها عن حكايتها وخبرها فقالت له أيها الشاب الحمد
لله الذى رمانى عند مثلك فقم الآن وحطنى فى الصندوق واخرج الى الطريق فاذا وجدت
مكاريا أو بغالا فاكتره لحمل هذا الصندوق ووصلنى الى بيتك فاذا صرت فى دارك يكون خير
وأحكى لك حكايتى وأخبرك بقصتى ويحصل لك الخير من جهتى ففرح وخرج الى البرية وقد
شعشع النهار وطلعت الشمس بالانوار وخرجت الناس ومشوا فاكترى رجلا يبغل وأتى به الى
التربة فحمل الصندوق بعد ما حط فيه الصبية ووقعت محبتها فى قلبه وساربها وهو فرحان لانها
جارية تساوى عشرة آلاف دينار وعليها حلى وحلل تساوى مالا جزيلا وما صدق أن يصل الى
داره وأنزل الصندوق وفتحه * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للاربعين قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن غانم بن أيوب وصل الى داره بالصندوق وفتحه وأخرج الصبية منه ونظرت فرأت هذا المكان محلا ملبحا مفروشا بالبسط الملونة والالوان المفرحة وغير ذلك ورأت قماشا محزوما وأحمالا وغير ذلك فعلمت أنه تاجر كبير صاحب أموال ثم انها كشفت وجهها ونظرت اليه فاذا هو شاب مليح فلما رأته أحبته وقالت لها هات لنا شيأ نأكله فقال لها غانم على الرأس والعين ثم نزل السوق واشترى خروفا مشويا وصحن حلاوة وأخذ معه نقلا وشمعا وأخذ معه نبيذا وما يحتاج اليه الامر من آلة المشموم وأتى الى البيت ودخل بالحوائج فلما رأته الجارية ضحكت وقبلته واعتنقته وصارت تلاطفه فازدادت عنده المحبة واحتوت على قلبه ثم أكلا وشربا الى أن أقبل الليل وقد أحب بعضهما بعضا لانهما كانا فى سن واحد وحسن واحد فلما أقبل الليل قام المتيم المسلوب غانم بن أيوب وأوقد الشموع والقناديل فأضاء المكان وأحضر آلة المدام ثم نصب الحضرة وجلس هو واياها وكان يملأ ويسقيها وهى تملأ وتسقيه وهما يلعبان ويضحكان وينشدان الاشعار وزاد بهما الفرح وتعلقا بحب بعضهما فسبحان مؤلف القلوب ولم يزالا كذلك الى قريب الصبح فغلب عليهم النوم فنام كل منهما فى موضعه الى أن أصبح الصباح فقام غانم بن أيوب وخرج الى السوق واشترى ما يحتاج اليه من خضرة ولحم وخمر وغيره وأتى به الى الدار وجلس هو واياها يأكلان فأكلا حتى اكتفيا وبعد ذلك أحضر الشراب وشربا ولعبا مع بعضهما حتى احمرت وجناتهما واسودت أعينهما واشتاقت نفس غانم بن أيوب الى تقبيل الجارية والنوم معها فقال لها ياسيدتى ائذنى لى بقبلة من فيك لعلها تبرد نار قلبى فقالت ياغانم اصبر حتى أسكر وأغيب وأسمح لك سرا بحيث لم أشعر أنك قبلتنى ثم انها قامت على قدميها وخلعت بعض ثيابها وقعدت فى قميص رفيع وكوفية فعند ذلك تحركت الشهوة عند غانم وقال ياسيدتى أما تسمحين لى بما طلبته منك فقالت والله لا يصح لك ذلك لانه مكتوب على دكة لباسى قول صعب فانكسر خاطر غانم بن أيوب وزاد عنده الغرام لما عز المطلوب فأنشد هذه الابيات

سألت من أمرضنى * فى قبلة تشفى السقم
فقال لا لا أبدا * قلت له نعم نعم
فقال خذها بالرضا * من الحلال وابتسم
فقلت غصبا قال لا * الا على رأس علم
فلا تسل عما جرى * واستغفر الله ونم
فظن ما شئت بنا * فالحب يحلو بالتهم
ولا أبالى بعد ذا * ان باح يوما أو كتم

ثم زادت محبته وانطلقت النيران فى مهجته هذا وهى تمنع منه وتقول مالك وصول الى ولم يزالا فى عشقهما ومنادمتهما وغانم بن أيوب غريق فى بحر الهيام وأما هى فانها قد ازدادت قوة وامتناعا الى أن دخل الليل بالظلام وأرخى عليها ذيل المنام فنام غانم وأشعل القناديل وأوقد الشموع وزاد بهجة المقام وأخذ رجليها وقبلهما فوجدهما مثل الزبد الطرى فرغ وجهه عليهما وقال ياسيدتى ارحمى أسيرهواك ومن قتلت عيناك كنت سليم القلب لولاك

ثم

ثم بكى قليلا فقالت له والله ياسيدى ونور عينى أنا والله لك عاشقة وبك واثقة ولكن أنا أعرف
انك لا تصل الىّ فقال لها وما المانع فقالت له سأحكى لك فى هذه الليلة قصتى حتى تقبل عذرى
ثم انها ترامت عليه وطوقت على رقبته يدها وصارت تقبله وتلاطفه ثم وعدته بالوصال ولم يزالا
يلعبان ويضحكان حتى تمكن حبّ بعضهما من بعض ولم يزالا على ذلك الحال وهما فى كل ليلة
ينامان على فرش واحد وكلما طلب منها الوصال تتعزز عنه مدّة شهر كامل وتمكن حبّ كلّ
واحد منهما من قلب الآخر ولم يبق لهما صبر عن بعضهما الى أن كانت ليلة من الليالى وهو راقد
معها والاثنان سكران فمدّ يده على جسدها ولمس ثم مرّ بيده على بطنها ونزل الى سرّتها
فانتبهت وقعدت وتعهدت اللباس فوجدته مربوطا فنامت ثانيا فجلس عليها بيده ونزل بها الى
سروالها ودكتها وجذبها فانتبهت وقعدت وقعد غانم الى جانبها فقالت له ما الذى تريد قال أريد أن
أنام معك وأتصافى أنا وأنت فعند ذلك قالت له أنا الآن أوضح لك أمرى حتى تعرف قدرى
وينكشف لك سرّى ويظهر لك عذرى قال نعم فعند ذلك شقت ذيل قميصها ومدّت يدها الى
تكة لباسها وقالت ياسيدى اقرأ الذى على هذا الطرف فأخذ طرف الدكة فى يده ونظره
فوجده مرقوما عليه بالذهب أنا لك وأنت لى يا ابن عمّ النبى فلما قرأه نثر يده وقال لها اكشفى
لى عن خبرك قالت نعم اعلم أننى محظية أمير المؤمنين واسمى قوت القلوب وان أمير المؤمنين لما
رباني فى قصره وكبرت نظر الى صفاتى وما أعطانى ربى من الحسن والجمال فأحبنى محبة زائدة
وأخذنى وأسكننى فى مقصورة وأمر لى بعشر جوار يخدمننى ثم انه أعطانى ذلك المصاغ الذى
تراه معى ثم ان الخليفة سافر يوما من الايام الى بعض البلاد فجاءت السيدة زبيدة الى بعض
الجوارى التى فى خدمتى وقالت اذا نامت سيدتك قوت القلوب فخطى هذه القطعة البنج فى أنفها
أو فى شرابها ولك علىّ من المال ما يكفيك فقالت لها الجارية حبا وكرامة ثم ان الجارية أخذت
البنج منها وهى فرحانة لاجل المال ولكونها كانت فى الاصل جاريتها فجاءت الىّ ووضعت
البنج فى جوفى فوقعت على الارض وصارت رأسى عند رجلى ورأيت نفسى فى دنيا أخرى ولما
تمت حيلتها حطتنى فى ذلك الصندوق وأحضرت العبيد سرّا وأنعمت عليهم وعلى البوابين
وأرسلتنى مع العبيد فى الليلة التى كنت نائما فيها فوق النخلة وفعلوا معى ما رأيت وكانت نجاتى
على يديك وأنت أتيت بى الى هذا المكان وأحسنت الىّ غاية الاحسان وهذه قصتى وما أعرف
الذى جرى للخليفة فى غيبتى فاعرف قدرى ولا تشهر أمرى فلما سمع غانم بن أيوب كلام قوت
القلوب وتحقق أنها محظية الخليفة تأخر الى ورائه خيفة من هيبة الخليفة وجلس وحده
فى ناحية من المكان يعاتب نفسه ويتفكر فى أمره وصار متحيرا فى عشق التى ليس له اليها
وصول فبكى من شدّة الغرام ولوعة الوجد والهيام وصار يشكو الزمان وماله من العدوان
فسبحان من شغل قلوب الكرام بالمحبة ولم يعط الانذال منها وزن حبة وأنشد هذين البيتين

قلب المحبّ على الاحباب متعوب * وعقله مع بديع الحسن منهوب
وقائل قال لى ما الحبّ قلت له * الحب عذب ولكن فيه تعذيب

فعند ذلك قامت اليه قوت القلوب واحتضنته وقبلته وتمكن حبه فى قلبها وباحت له بسرّها
وما عندها من المحبة وطوقت على رقبته يديها وقبلته وهو يمتنع عنها خوفا من الخليفة ثم تحدثا

ساعة من الزمان وهما غريقان فى بحر محبة بعضهما الى أن طلع النهار فقام غانم ولبس أثوابه وخرج الى السوق على عادته وأخذ ما يحتاج اليه الامر وجاء الى البيت فوجد قوت القلوب تبكى فلما رأته سكتت عن البكاء وتبسمت وقالت له أوحشتنى يا محبوب قلبى والله ان هذه الساعة التى غبتها عنى كسنة فانى لا أقدر على فراقك وها أنا قد بينت لك حالى من شدة ولعى بك فقم بنا الآن ودع ما كان واقض أربك منى قال أعوذ بالله ان هذا شئ لا يكون كيف يجلس الكلب فى موضع السبع والذى لمولاى يحرم علىّ أن أقربه ثم جذب نفسه منها وجلس فى ناحية وزادت هى محبة بامتناعه عنها ثم جلست الى جانبه ونادمته ولاعبته فسكرا وهامت بالافتضاح به فغنت منشدة هذه الابيات

قلب المتيم كاد أن يتفتتا * فالى متى هذا الصدود الى متى
يا معرضا عنى بغير جناية * فعوائد الغزلان أن تتلفتا
صد وهجر زائد وصبابة * ما كل هذا الامر يحمله الفتى

فبكى غانم بن أيوب وبكت هى لبكائه ولم يزالا يشربان الى الليل ثم قام غانم وفرش فرشين كل فرش فى مكان وحده فقالت له قوت القلوب لمن هذا الفرش الثانى فقال لها هذا لى والآخر لك ومن الليلة لا تنام الا على هذا النمط وكل شئ للسيد حرام على العبد فقالت يا سيدى دعنا من هذا وكل شئ يجرى بقضاء وقدر فأبى فانطلقت النار فى قلبها وزاد غرامها فيه وقالت والله ما تنام الا سواء فقال معاذ الله وغلب عليها ونام وحده الى الصباح فزادها العشق والغرام واشتد بها الوجد والهيام وأقاما على ذلك ثلاثة أشهر طوال وهى كلما تقرب منه يمتنع عنها ويقول كل ما هو مخصوص بالسيد حرام على العبد فلما طال بها المطال مع غانم بن أيوب المتيم المسلوب وزادت بها الشجون والكروب أنشدت هذه الابيات

بديع الحسن كم هذا التجنى * ومن أغراك بالاعراض عنى
حويت من الرشاقة كل معنى * وحزت من الملاحة كل فن
وأجريت الغرام لكل قلب * ووكلت السهاد بكل جفن
وأعرف قبلك الاغصان تجنى * فياغصن الاراك أراك تجنى
وعودى بالظباء صيد الغوالى * أراك تصيد أرباب المجن
وأعجب ما أحدث عنك أنى * فتنت وأنت لم تعلم بأنى
فلا تسمح بوصلك لى فانى * أغار عليك منك فكيف منى
ولست بقائل ما دمت حيا * بديع الحسن كم هذا التجنى

وأقاموا على هذا الحال مدة والخوف يمنع غانما عنها فهذا ما كان من أمر المتيم المسلوب غانم بن أيوب وأما ما كان من أمر زبيدة فانها فى غيبة الخليفة فعلت بقوت القلوب ذلك الامر ثم صارت متحيرة تقول فى نفسها ماذا أقول للخليفة اذا جاء وسأل عنها وما يكون جوابى له فدعت بعجوز كانت عندها وأطلعتها على سرها وقالت لها كيف أفعل وقوت القلوب قد فرط فيها الفرط فقالت لها العجوز لما فهمت الحال اعلمى يا سيدتى أنه قرب مجىء الخليفة ولكن أرسلى الى نجار وأمريه أن يعمل صورة ميت من خشب ويحفروا له قبرا وتوقد حوله الشموع والقناديل

وأمرى

وأمرى كل من فى القصر أن يلبسوا الاسود وأمرى جواريك والخدام اذا علموا أن الخليفة
أتى من سفره أن يشيعوا الحزن فى الدهاليز فاذا دخل وسأل عن الخبر يقولون له ان قوت القلوب
ماتت ويعظم الله أجرك فيها ومن معزتها عند سيدتنا دفنتها فى قصرها فاذا سمع ذلك يبكى ويعز
عليه ثم يدبر القراء على قبرها القراءة الختمات فان قال فى نفسه ان بنت عمى زبيدة من غيرتها
سعت فى هلاك قوت القلوب أو غلب عليه الهيام فأمر باخراجها من القبر فلا تفزعى من ذلك
ولو حفروا على تلك الصورة التى على هيئة ابن آدم وأخرجوها وهى مكفنة بالاكفان الفاخرة
فان أراد الخليفة ازالة الاكفان عنها لينظرها فامنعيه أنت من ذلك والاخرى تمنعه وتقول
رؤية عورتها حرام فيصدق حينئذ أنها ماتت ويردها الى مكانها ويشكرك على فعلك وتخلصين
ان شاء الله من هذه الورطة فلما سمعت السيدة زبيدة كلامها وأنه صواب خلعت عليها خلعة
وأمرتها أن تفعل ذلك بعد ما أعطتها جملة من المال فشرعت العجوز فى ذلك الامر حالا وأمرت
النجار أن يعمل لها صورة كما ذكرنا وبعد تمام الصورة جاءت بها الى السيدة زبيدة فكفنتها
وأوقدت الشموع والقناديل وفرشت البسط حول القبر ولبست السواد وأمرت الجوارى
أن يلبسن السواد واشتهر الامر فى القصر أن قوت القلوب ماتت ثم بعد مدة أقبل الخليفة من
غيبته وطلع الى قصره ولكن ماله شغل الا قوت القلوب فرأى الغلمان والخدام والجوارى
كلهم لابسين السواد فارتجف فؤاده فلما دخل القصر على السيدة زبيدة رآها لابسة الاسود
فسأل عن ذلك فأخبروه بموت قوت القلوب فوقع مغشيا عليه فلما أفاق سأل عن قبرها فقالت له
السيدة زبيدة اعلم يا أمير المؤمنين أننى من معزتها عندى دفنتها فى قصرى فدخل الخليفة
بثياب السفر الى القصر ليزور قوت القلوب فوجد البسط مفروشة والشموع والقناديل
موقدة فلما رأى ذلك شكرها على فعلها ثم انه صار حائرا فى أمره ولم يزل ما بين مصدق ومكذب
فلما غلب عليه الوسواس أمر بحفر القبر واخراجها منه فلما رأى الكفن وأراد أن يزيله
عنها ليراها خاف من الله تعالى فقالت العجوز ردوها الى مكانها ثم ان الخليفة أمر فى الحال
باحضار الفقهاء والمقرئين وقرؤا الختمات على قبرها وجلس بجانب القبر يبكى الى أن غشى
عليه ولم يزل قاعدا على قبرها شهرا كاملا * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام
المباح

فلما كانت الليلة الحادية والاربعون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الخليفة لم يزل يتردد على
قبرها مدة شهر فاتفق أن الخليفة دخل الحريم بعد انفضاض الامراء والوزراء من بين يديه
الى بيوتهم ونام ساعة فجلست عند رأسه جارية وعند رجليه جارية وبعد أن غلب عليه النوم
تنبه وفتح عينيه فسمع الجارية التى عند رأسه تقول للتى عند رجليه ويلك يا خيزران قالت لها
لأى شئ يا قضيب قالت لها ان سيدنا ليس عنده علم بما جرى حتى انه يسهر على قبر لم يكن فيه الا
خشبة منجرة صنعة النجار فقالت لها الاخرى وقوت القلوب أى شئ أصابها فقالت اعلمى أن
السيدة زبيدة أرسلت مع جارية بنجا ونجتها فلما تحكم البنج منها وضعتها فى صندوق وأرسلتها
مع صواب وكافور وأمرتهما أن يرمياها فى التربة فقالت خيزران ويلك يا قضيب هل السيدة
قوت القلوب لم تمت فقالت سلامة شبابها من الموت ولكن أنا سمعت السيدة زبيدة تقول ان

قوت القلوب عند شاب تاجر اسمه غانم الدمشقي وان لها عنده بهذا اليوم أربعة أشهر وسيدنا هذا يبكي ويسهر الليالي على قبر لم يكن فيه ميت وصارتا تتحدثان بهذا الحديث والخليفة يسمع كلامهما فلما فرغ الجاريتان من الحديث وعرف القضية وأن هذا القبر زور وأن قوت القلوب عند غانم بن أيوب مدة أربعة أشهر غضب غضبا شديدا وقام وأحضر أمراء دولته فعند ذلك أقبل الوزير جعفر البرمكي وقبل الارض بين يديه فقال له الخليفة بغيظ انزل يا جعفر بجماعة واسأل عن بيت غانم بن أيوب واهجموا على داره وائتوني بجاريتي قوت القلوب ولا بد لي أن أعذبه فأجابه جعفر بالسمع والطاعة فعند ذلك نزل جعفر هو وأتباعه والوالي صحبته ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى دار غانم وكان غانم خرج في ذلك الوقت وجاء بقدر لحم وأراد أن يمد يده ليأكل منها هو وقوت القلوب فلاحت منها التفاتة فوجدت البلاء أحاط بالدار والوزير والوالي والظلمة والمماليك بسيوف مجردة ودار وابه كما يدور بالعين السواد فعند ذلك عرفت أن خبرها وصل الى الخليفة سيدها فأيقنت بالهلاك واصفر لونها وتغيرت محاسنها ثم انها نظرت الى غانم وقالت له يا حبيبي فز بنفسك فقال لها كيف أعمل وأين أذهب ومالي ورزقي في هذه الدار فقالت له لا تمكث لئلا تهلك ويذهب مالك فقال لها يا حبيبتي ونور عيني كيف أصنع في الخروج وقد أحاطوا بالدار فقالت له لا تخف ثم انها نزعت ما عليه من الثياب وألبسته خلقانا باليه وأخذت القدر التي كان فيها اللحم ووضعتها فوق رأسه وحطت فيها بعض خبز وزبدية طعام وقالت له اخرج بهذه الحيلة ولا عليك مني فأنا أعرف أي شيء في يدي من الخليفة فلما سمع غانم كلام قوت القلوب وما أشارت عليه به خرج من بينهم وهو حامل القدر وستر عليه الستار ونجا من المكايد والاضرار ببركة نيته فلما وصل الوزير جعفر الى ناحية الدار ترجل عن حصانه ودخل البيت ونظر الى قوت القلوب وقد تزينت وتبهرجت وملأت صندوقا من ذهب ومصاغ وجواهر وتحف مما خف حمله وغلا ثمنه فلما دخل عليها جعفر قامت على قدميها وقبلت الارض بين يديه وقالت له يا سيدي جرى القلم بما حكم الله فلما رأى ذلك جعفر قال لها والله يا سيدتي انه ما أوصاني الا بقبض غانم بن أيوب فقالت اعلم أنه خرج بتجارات وذهب بها الى دمشق ولا علم لي بغير ذلك وأريد أن تحفظ لي هذا الصندوق وتحمله الى قصر أمير المؤمنين فقال جعفر السمع والطاعة ثم أخذ الصندوق وأمر بحمله وقوت القلوب معهم الى دار الخلافة وهي مكرمة معززة وكان هذا بعد أن نهبوا دار غانم ثم توجهوا الى الخليفة فحكى له جعفر جميع ما جرى فأمر الخليفة لقوت القلوب بمكان مظلم وأسكنها فيه وألزم بها عجوزا لقضاء حاجتها لانه ظن أن غانما فحش بها ثم كتب مكتوبا للامير محمد بن سليمان الزيني وكان نائبا في دمشق ومضمونه ساعة وصول المكتوب الى يديك تقبض على غانم بن أيوب وترسله الي فلما وصل المرسوم اليه قبله ووضعه على رأسه ونادى في الاسواق من أراد أن ينهب فعليه بدار غانم بن أيوب فجاؤا الى الدار فوجدوا أم غانم وأخته قد صنعتا لهما قبرا وقعدتا عنده تبكيان فقبضوا عليهما ونهبوا الدار ولم يعلما ما الخبر فلما أحضروهما عند السلطان سألهما عن غانم بن أيوب فقالتا له من مدة سنة ما وقفنا له على خبر فردوهما الى مكانهما هذا ما كان من أمرهما وأما ما كان من أمر غانم بن أيوب اللئيم المسلوب فانه لما سلبت نعمته تحير في أمره وصار يبكي على نفسه حتى انفطر

قلبه

قلبه وسار ولم يزل سائرا الى آخر النهار وقد ازداد به الجوع وأضر به المشى حتى وصل الى بلدة
فدخل المسجد وجلس على برش وأسند ظهره الى حائط المسجد وارتمى وهو فى غاية الجوع
والتعب ولم يزل مقيما هنالك الى الصباح وقد خفق قلبه من الجوع وركب جلده القمل
وصار رائحته منتنة وتغيرت أحواله فأتى أهل تلك البلدة يصلون الصبح فوجدوه مطروحا
ضعيفا من الجوع وعليه آثار النعمة لائحة فلما أقبلوا عليه وجدوه بردانا جائعا فألبسوه ثوبا
عتيقا ذبليت أكمامه وقالوا له من أين أنت يا غريب وما سبب ضعفك ففتح عينه ونظر اليهم
وبكى ولم يرد عليهم جوابا ثم ان بعضهم عرف شدة جوعه فذهب وجاء له بسكرجة عسل ورغيفين
فأكل وتعدوا عنده حتى طلعت الشمس ثم انصرفوا الا شغالهم ولم يزل على هذه الحالة شهرا
وهو عندهم وقد تزايد عليه الضعف والمرض فتعطفوا عليه وتشاوروا مع بعضهم فى أمره ثم
اتفقوا على أن يوصلوه الى المارستان الذى ببغداد فبينما هم كذلك واذا بامرأتين سائلتين قد
دخلتا عنيه وهما أمه وأخته فلما رآهما أعطاهما الخبز الذى عند رأسه ونامتا عنده تلك الليلة
ولم يعرفوه فلما كان ثانى يوم أتاه أهل القرية وأحضروا جملا وقالوا لصاحبه احمل هذا الضعيف
فوق الجمل فاذا وصلت الى بغداد فانزله على باب المارستان لعله يتعافى فيحصل لك الاجر فقال
لهم السمع والطاعة ثم انهم أخرجوا غانم بن أيوب من المسجد وحملوه بالبرش الذى هو نائم عليه
فوق الجمل وجاءت أمه وأخته يتفرجان عليه من جملة الناس ولم يعلما به ثم نظرتا اليه وتأملتاه
وقالتا انه يشبه غانما ابننا فيا ترى هل هو هذا الضعيف أولا وأما غانم فانه لم يفق الا وهو محمول
فوق الجمل فصار يبكى وينوح وأهل القرية ينظرون أمه وأخته يبكان عليه ولم يعرفانه ثم
سافرت أمه وأخته الى أن وصلتا الى بغداد وأما الجمال فانه لم يزل سائرا به حتى أنزله على باب
المارستان وأخذ جمله ورجع فمكث غانم راقدا هنالك الى الصباح فلما درجت الناس
فى الطريق نظروا اليه وقد صار رقة الحلال ولم يزل الناس يتفرجون عليه حتى جاء شيخ
السوق ومنع الناس عنه وقال أنا أكسب الجنة بهذا المسكين لانهم متى أدخلوه المارستان
قتلوه فى يوم واحد ثم أمر صبيانه بحمله فحملوه الى بيته وفرش له فرشا جديدا ووضع له مخدة
جديدة وقال لزوجته اخدميه بنصح فقالت على الرأس ثم تشمرت وسخنت له ماء وغسلت يديه
ورجليه وبدنه وألبسته ثوبا من لبس جواريها وأسقته قدح شراب ورشت عليه ماء ورد فأفاق
وتذكر محبوبته قوت القلوب فزادت به الكروب هذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر
قوت القلوب فانه لما غضب عليها الخليفة * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام
المباح

فلما كانت الليلة الثانية والاربعون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن قوت القلوب لما غضب
عليها الخليفة وأسكنها فى مكان مظلم استمرت فيه على هذا الحال ثمانين يوما فاتفق أن الخليفة
مر يوما من الايام على ذلك المكان فسمع قوت القلوب تنشد الاشعار فلما فرغت من انشادها
قالت يا حبيبى يا غانم ما أحسنك وما أعف نفسك قد أحسنت لمن أساء لك وحفظت حرمة من
انتهك حرمتك وسترت حريمه وهو سبا لك وسبى أهلك ولا بد أن تقف أنت وأمير المؤمنين بين يدى
حاكم عادل وتتصف عليه فى يوم يكون القاضى هو الله والشهود هم الملائكة فلما سمع الخليفة

كلامها وفهم شكواها علم أنها مظلومة فدخل قصره وأرسل الخادم لها فلما حضرت بين يديه أطرقت وهي باكية العين حزينة القلب فقال ياقوت القلوب أراك تتظلمين مني وتنسبيني الى الظلم وتزعمين أني أسأت الى من أحسن الي فمن هو الذي حفظ حرمتي وانتهكت حرمته وستر حريمي وسبيت حريمه فقالت له غانم بن أيوب فانه لم يقربني بفاحشة وحق نعمتك يا أمير المؤمنين فقال الخليفة لا حول ولا قوة الا بالله ياقوت القلوب تمنى علي فأنا أبلغك مرادك فقال تمنيت عليك محبوبي غانم بن أيوب فلما سمع كلامها قال أحضره ان شاء الله مكرما فقالت يا أمير المؤمنين ان أحضرته أتهبني له فقال ان أحضرته وهبتك له هبة كريم لا يرجع في عطائه فقالت يا أمير المؤمنين ائذن لي أن أدور عليه لعل الله يجمعني به فقال لها افعلي ما بدا لك ففرحت وخرجت ومعها ألف دينار فزارت المشايخ وتصدقت عنه وطلعت ثاني يوم الى سوق التجار وأعطت عريف السوق دراهم وقالت له تصدق بها على الغرباء ثم طلعت ثاني جمعة ومعها ألف دينار ودخلت سوق الصاغة وسوق الجوهرية فطلبت عريف السوق فحضر فدفعت له ألف دينار وقالت له تصدق بها على الغرباء فنظر اليها العريف وهو شيخ السوق وقال لها هل لك أن تذهبي الى داري وتنظري الى هذا الشاب الغريب ما أظرفه وما أكمله وكان هو غانم بن أيوب المتيم المسلوب ولكن العريف ليس له به معرفة وكان يظن أنه رجل مسكين مدين سلبت نعمته أو عاشق فارق أحبته فلما سمعت كلامه خفق قلبها وتعلقت به أحشاؤها فقالت له أرسل معي من يوصلني الى دارك فأرسل معها صبيا صغيرا فأوصلها الى الدار التي فيها الغريب فشكرته على ذلك فلما دخلت تلك الدار وسلمت على زوجة العريف قامت زوجة العريف وقبلت الارض بين يديها لانها عرفتها فقالت لها قوت القلوب أين الضعيف الذي عندكم فبكت وقالت ها هو ياسيدتي الا انه ابن ناس وعليه أثر النعمة فالتفتت الى الفرش الذي هو راقد عليه وتأملته فرأته كأنه هو بذاته ولكنه قد تغير حاله وزاد نحوله ورق الى أن صار كالخلال وانهم عليها أمره فلم تتحقق أنه هو ولكن أخذتها الشفقة عليه فصارت تبكي وتقول ان الغرباء مساكين وان كانوا أمراء في بلادهم ورتبت له الشراب والادوية ثم جلست عند رأسه ساعة وركبت وطلعت الى قصرها وصارت تطلع في كل سوق لأجل التفتيش على غانم ثم ان العريف قد أتى بأمه وأخته فتنة ودخل بهما على قوت القلوب وقال ياسيدة المحسنات قد دخل مدينتنا في هذا اليوم امرأة وبنت وهما من وجوه الناس وعليهما أثر النعمة لائح لكنهما لابستان ثيابا من الشعر وكل واحدة منهما معلقة في رقبتها مخلاة وعيونهما باكية وقلوبهما حزينة وها أنا أتيت بهما اليك لتأويهما وتصونهما عن ذل السؤال لانهما ليستا أهلا لسؤال اللئام وان شاء الله ندخل بسببهما الجنة فقالت والله ياسيدي لقد شوقتني اليهما وأين هما فأمرهما بالدخول فعند ذلك دخلت فتنة وأمها على قوت القلوب فلما نظرتهما قوت القلوب وهما ذا تا جمال بكت عليهما وقالت والله انهما أولاد نعمة ويلوح عليهما أثر الغنى فقال العريف ياسيدتي اننا نحب الفقراء والمساكين لأجل الثواب وهؤلاء ربما جار عليهم الظلمة وسلبوا نعمتهم وأخربوا ديارهم ثم ان المرأتان بكتا بكاء شديدا وتفكرتا غانم بن أيوب المتيم المسلوب فزاد نحيبهما فلما بكتا بكت قوت القلوب لبكائهما ثم ان أمه قالت نسأل الله أن

يجمعنا

يحمعنا بمن نريده وهو ولدى غانم بن أيوب فلما سمعت قوت القلوب هذا الكلام علمت أن هذه المرأة أم معشوقها وان الاخرى أخته فبكت حتى غشى عليها فلما أفاقت أقبلت عليهما وقالت لهما لا بأس عليكما فهذا اليوم أول سعادتكما وآخر شقاوتكما فلا تحزنا * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قوت القلوب قالت لهما لا تحزنا ثم أمرت العريف أن يأخذهما الى بيته ويخلي زوجته تدخلهما الحمام وتلبسهما ثيابا حسنة وتوصي بهما وتكرمهما غاية الاكرام وأعطته جملة من المال وفي ثاني يوم ركبت قوت القلوب وذهبت الى بيت العريف ودخلت عند زوجته فقامت اليها وقبلت يديها وشكرت احسانها ورأت أم غانم وأخته وقد أدخلتهما زوجة العريف الحمام ونزعت ما عليهما من الثياب فظهرت عليهما آثار النعمة فجلست تحادثهما ساعة ثم سألت زوجة العريف عن المريض الذي عندها فقالت هو بحاله فقالت قوموا بنا نطل عليه ونعوده فقامت هي وزوجة العريف وأم غانم وأخته ودخلن عليه وجلسن عنده فلما سمعهن غانم بن أيوب المتيم المسلوب يذكرن قوت القلوب وكان قد انتحل جسمه ورق عظمه وردت له روحه ورفع رأسه من فوق المخدة ونادى يا قوت القلوب فنظرت اليه وتحققته فعرفته وصاحت بقولها نعم يا حبيبي فقال لها اقربي مني فقالت له لعلك غانم بن أيوب المتيم المسلوب فقال لها نعم أنا هو فعند ذلك وقعت مغشيا عليها فلما سمعت أخته وأمه كلامهما صاحتا بقولهما وافرحتاه ووقعتا مغشيا عليهما وبعد ذلك استفاقتا فقالت له قوت القلوب الحمد لله الذي جمع شملنا بك وبأملك وأختك وتقدمت اليه وحكت له جميع ما جرى لها مع الخليفة وقالت اني قلت له قد أظهرت لك الحق يا أمير المؤمنين فصدق كلامي ورضي عنك وهو اليوم يتمنى أن يراك ثم قالت لغانم ان الخليفة وهبني لك ففرح بذلك غاية الفرح فقالت لهم قوت القلوب لا تبرحوا حتى أحضر ثم انها قامت من وقتها وساعتها وانطلقت الى قصرها وحملت الصندوق الذي أخذته من داره وأخرجت منه دنانير وأعطت العريف اياها وقالت له خذ هذه الدنانير واشتر لكل شخص منهم أربع بدلات كوامل من أحسن القماش وعشرين منديلا وغير ذلك مما يحتاجون اليه ثم انها دخلت بهما وبغانم الحمام وأمرت بغسلهم وعملت لهم المسالیق وماء الخولنجان وماء التفاح بعد أن خرجوا من الحمام ولبسوا الثياب وأقامت عندهم ثلاثة أيام وهي تطعمهم لحم الدجاج والمسالیق وتسقيهم السكر المكرر وبعد الثلاثة أيام ردت لهم أرواحهم وأدخلتهم الحمام ثانيا وخرجوا وغيرت عليهم الثياب وخلتهم في بيت العريف وذهبت الى الخليفة وقبلت الارض بين يديه وأعلمته بالقصة وانه قد حضر سيدها غانم بن أيوب المتيم المسلوب وأن أمه وأخته قد حضرتا فلما سمع الخليفة كلام قوت القلوب قال للخدام على بغانم فنزل جعفر اليه وكانت قوت القلوب قد سبقته ودخلت على غانم وقالت له ان الخليفة قد أرسل اليك ليحضرك بين يديه فعليك بفصاحة اللسان وثبات الجنان وعذوبة الكلام وألبسته حلة فاخرة وأعطته دنانير بكثرة وقالت له أكثر البذل الى حاشية الخليفة وأنت داخل عليه واذا بجعفر أقبل عليه وهو على بغلته فقام غانم وقابله وحياه وقبل الارض بين يديه وقد ظهر كوكب سعده وارتفع

طالع مجده فأخذه جعفر ولم يزالا سائرين حتى دخلا على أمير المؤمنين فلما حضر بين يديه نظر الى الوزراء والامراء والحجاب والنواب وأرباب الدولة وأصحاب الصولة وكان غانم فصيح اللسان ثابت الجنان رقيق العبارة أنيق الاشارة فأطرق برأسه الى الارض ثم نظر الى الخليفة وأنشد هذه الابيات

أفديك من ملك عظيم الشان * متتابع الحسنات والاحسان
متوقد العزمات فياض الندى * حدث عن الطوفان والنيران
لا يلهجون بغيره من قيصر * فى ذا المقام وصاحب الايوان
تضع الملوك على ثرى أعتابه * عند السلام جواهر التيجان
حتى اذا شخصت له أبصارهم * خروا لهيبته على الأذقان
و يفيدهم ذاك المقام مع الرضى * رتب العلا وجلالة السلطان
ضاقت بعسكرك الفيافى والفلا * فاضرب خيامك فى ذرى كيوان
وأقرى الكواكب بالمواكب محسنا * لشريف ذاك العالم الروحانى
وملكت شامخة الصياصى عنوة * من حسن تدبير وثبت جنان
ونشرت عدلك فى البسيطة كلها * حتى استوى القاصى بها والدانى

فلما فرغ من شعره طرب الخليفة من محاسن رونقه وأعجبته فصاحة لسانه وعذوبة منطقه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان غانم بن أيوب لما أعجب الخليفة فصاحته ونظمه وعذوبة منطقه قال له ادن منى فدنا منه ثم قال له اشرح لى قصتك وأطلعنى على حقيقة خبرك فقعد وحدث الخليفة بما جرى له من المبتدا الى المنتهى وليس فى الاعادة افادة فلما علم الخليفة أنه صادق خلع عليه وقربه اليه وقال له أبرئ ذمتى فأبرأ ذمته وقال له يا أمير المؤمنين ان العبد وما ملكت يداه لسيده ففرح الخليفة بذلك ثم أمر أن يفرد له قصر ورتب له من الجوامك والجرايات شيأ كثيرا فنقل أمه وأخته اليه وسمع الخليفة بأن أخته فتنة فى الحسن فتنة فخطبها منه فقال له غانم انها جاريتك وأنا مملوكك فشكره وأعطاه مائة ألف دينار وأتى بالقاضى والشهود وكتبوا الكتاب ودخل هو وغانم فى نهار واحد فدخل الخليفة على فتنة وغانم بن أيوب على قوت القلوب فلما أصبح الصباح أمر الخليفة أن يؤرخ جميع ماجرى لغانم من أوله الى آخره وأن يدون فى السجلات لأجل أن يطلع عليه من يأتى بعده فيتعجب من تصرفات الاقدار ويفوض الامر الى خالق الليل والنهار وليس هذا بأعجب من حكاية الملك عمر النعمان وولده شركان وولده ضوء المكان وماجرى لهم من العجائب والغرائب قال الملك وما حكايتهم

﴿حكاية الملك عمر النعمان وولديه شركان وضوء المكان﴾

قالت بلغنى أيها الملك السعيد انه كان بمدينة دمشق قبل خلافة عبد الملك بن مروان ملك يقال له عمر النعمان وكان من الجبابرة الكبار قد قهر الملوك الاكاسرة والقياصرة وكان لا يصطلى له بنار ولا يجاريه أحد فى مضمار واذا غضب يخرج من منخريه لهيب النار وكان قد ملك

جميع الاقطار ونفذ حكمه فى سائر القرى والامصار وأطاع الله له جميع العباد ووصلت عساكره الى أقصى البلاد ودخل فى حكمه المشرق والمغرب وما بينهما من الهند والسند والصين واليمن والحجاز والحبشة والسودان والشام والروم وديار بكر وجزائر البحار وما فى الارض من مشاهير الانهار كسيحون وجيحون والنيل والفرات وأرسل رسله الى أقصى العمار ليأتوه بحقيقة الاخبار فرجعوا وأخبروه بأن سائر الناس أذعنت لطاعته وجميع الجبابرة خضعت لهيبته وقد عمهم بالفضل والامتنان وأشاع بينهم العدل والأمان لانه كان عظيم الشان وحملت اليه الهدايا من كل مكان وجبى اليه خراج الارض فى طولها والعرض وكان له ولد وقد سماه شركان لانه نشأ آفة من آفات الزمان وقهر الشجعان وأباد الاقران فأحبه والده حبا شديدا ما عليه من مزيد وأوصى له بالملك من بعده ثم ان شركان هذا حين بلغ مبلغ الرجال وصار له من العمر عشرين سنة أطاع الله له جميع العباد لما به من شدة البأس والعناد وكان والده عمر النعمان له أربع نساء بالكتاب والسنة لكنه لم يرزق منهن بغير شركان وهو من احداهن والباقى عواقر لم يرزق من واحدة منهن بولد ومع ذلك كان له ثلثمائة وستون سرية على عدد أيام السنة القبطية وتلك السرارى من سائر الاجناس وكان قد بنى لكل واحدة منهن مقصورة وكان المقاصير من داخل القصر فانه بنى اثنى عشر قصرا على عدد شهور السنة وجعل فى كل قصر ثلاثين مقصورة فكانت جملة المقاصير ثلثمائة وستين مقصورة وأسكن تلك الجوارى فى هذه المقاصير وفرض لكل سرية منهن ليلة تبيتها عندها وما يأتيها الى بعد سنة كاملة فأقام على ذلك مدة من الزمان ثم ان ولده شركان اشتهر فى سائر الآفاق ففرح به والده وازداد قوة فطغى وتجبر وفتح الحصون والبلاد واتفق بالامر المقدر أن جارية من جوارى عمر النعمان قد حملت واشتهر حملها وعلم الملك بذلك ففرح فرحا شديدا وقال لعل ذريتى ونسلى يكون كلها ذكورا فأرخ يوم حملها وصار يحسن اليها فعلم شركان بذلك فاغتم وعظم عليه الامر * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن شركان لما علم أن جارية أبيه قد حملت اغتم وعظم عليه ذلك وقال قد جاءنى من ينازعنى فى المملكة فأضمر فى نفسه أن هذه الجارية ان ولدت ولدا ذكرا قتلته وكتم ذلك فى نفسه هذا ما كان من أمر شركان وأما ما كان من أمر الجارية فانها كانت رومية وكان قد بعثها اليه هدية ملك الروم صاحب قيسارية وأرسل معها تحفا كثيرة وكان اسمها صفية وكانت أحسن الجوارى أجملهن وجها وأصونهن عرضا وكانت ذات عقل وافر وجمال باهر وكانت تخدم الملك ليلة مبيته عندها وتقول له أيها الملك كنت أشتهى من الله السماء أن يرزقك منى ولدا ذكرا حتى أحسن تربيته لك وأبالغ فى أدبه وصيانته فيفرح الملك ويعجبه ذلك الكلام فلا زالت كذلك حتى كملت أشهرها فجلست على كرسى الطلق وكانت على صلاح تحسن العبادة فتصلى وتدعو الله أن يرزقها بولد صالح ويسهل عليها ولادته فتقبل الله منها دعاءها وكان الملك قد وكل بها خادما يخبره بما تضعه هل هو ذكر أو أنثى وكذلك ولده شركان أرسل من يعرفه بذلك فلما وضعت صفية ذلك المولود تأملته القوابل فوجدته بنتا بوجه أبهى من القمر فأعلمن الحاضرين بذلك فرجع رسول الملك

وأخبره بذلك وكذلك رسول شركان أخبره بذلك ففرح فرحا شديدا فلما انصرف الخدام قالت صفية للقوابل أمهلوا على ساعة فانى أحس بأن أحشائى فيها شئ آخر ثم تأوهت وجاءها المخاض ثانيا وسهل الله عليها فوضعت مولودا ثانيا فنظرت اليه القوابل فوجدته ولدا ذكرا يشبه البدر بجبين أزهر وخد أحمر مورد ففرحت به الجارية والخدام والحشم وكل من حضر ورمت صفية الخلاص وقد أطلقوا الزغاريت فى القصر فسمع بقية الجوارى بذلك فحسدنها وبلغ عمر النعمان الخبر ففرح واستبشر وقام ودخل عليها وقبل رأسها ونظر الى المولود ثم انحنى اليه وقبله وشربت الجوارى بالدفوف ولعبت بالآلات وأمر الملك أن يسموا المولود ضوء المكان وأخته نزهة الزمان فامتثلوا أمره وأجابوا بالسمع والطاعة وأفرد لهم الملك من يخدمهم من المراضع والخدام والحشم والدايات ورتب لهم الرواتب من السكر والاشربة والادهان وغير ذلك مما يكل عن وصفه اللسان وسمعت أهل دمشق بما رزق الله الملك من الاولاد فزينت المدينة وأظهرت الفرح والسرور وأقبلت الامراء والوزراء وأرباب الدولة وهنوا الملك عمر النعمان بولده ضوء المكان وبنته نزهة الزمان فشكرهم الملك على ذلك وخلع عليهم وزاد فى اكرامهم من الانعام وأحسن الى الحاضرين من الخاص والعام ومازال على تلك الحالة الى أن مضى أربعة أعوام وهو بعد كل قليل من الايام يسأل عن صفية وأولادها وبعد الاربعة أعوام أمر أن ينقل اليها من المصاغ والحلى والحلل والاموال شئ كثير وأوصاهم بتربيتهما وحسن أدبهما كل هذا وابن الملك شركان لا يعلم أن والده عمر النعمان رزق ولدا ذكرا ولم يعلم أنه رزق سوى نزهة الزمان وأخفوا عليه خبر ضوء المكان الى أن مضت أيام وأعوام وهو مشغول بمقارعة الشجعان ومبارزة الفرسان فبينما عمر النعمان جالس يوما من الايام اذ دخلت عليه الحجاب وقبلوا الارض بين يديه وقالوا أيها الملك قد وصلت الينا رسل من ملك الروم صاحب القسطنطينية العظمى وانهم يريدون الدخول عليك والتمثل بين يديك فان أذنت لهم الملك بذلك ندخلهم والا فلا مرد لأمره فعند ذلك أمر لهم بالدخول فلما دخلوا عليه مال اليهم وأقبل عليهم وسألهم عن حالهم وما سبب اقبالهم فقبلوا الارض بين يديه وقالوا أيها الملك الجليل صاحب الباع الطويل اعلم أن الذى أرسلنا اليك الملك أفريدون صاحب البلاد اليونانية والعساكر النصرانية المقيم بمملكة القسطنطينية يعلمك أنه اليوم فى حرب شديد مع جبار عنيد وهو صاحب قيسارية والسبب فى ذلك أن بعض ملوك العرب اتفق أنه وجد فى بعض الفتوحات كنزا من قديم الزمان من عهد اسكندر فنقل منه أموالا لا تحصى ومن جملة ما وجد فيه ثلاث خرزات مدورات على قدر بيض النعام وتلك الخرزات من أعلى الجوهر الابيض الخالص الذى لا يوجد له نظير وكل خرزة منقوش عليها بالقلم اليونانى أمور من الاسرار ولهن منافع وخواص كثيرة ومن خواصهن أن كل مولود علقت عليه خرزة منهن لم يصبه ألم مادامت الخرزة معلقة عليه ولا يحم ولا يسخن فلما وضع يده عليها ووقع بها وعرف ما فيها من الاسرار أرسل الى الملك أفريدون هدايا من التحف والمال ومن جملتها الثلاث خرزات وجهز مركبين واحدة فيها مال والاخرى فيها رجال تحفظ تلك الهدايا ممن يتعرض لها فى البحر وكان يعرف من نفسه أنه لا أحد يقدر أن يتعدى على مراكبه لكونه ملك

العرب

العرب لاسيما وطريق المراكب التى فيها الهدايا فى البحر الذى فى مملكة القسطنطينية وهى
متوجهة اليه وليس فى سواحل ذلك البحر الا رعاياه فلما جهز المركبين سافرا الى أن قربا من
بلادنا فخرج عليهما بعض قطاع الطريق من تلك الأرض وفيهم عساكر من عند صاحب
قيسارية فأخذوا جميع ما فى المركبين من التحف والمال والذخائر والثلاث خرزات وقتلوا الرجال
فبلغ ذلك ملكنا فأرسل اليهم عسكرا فهزموه فأرسل اليهم عسكرا أقوى من الاول فهزموه
أيضا فعند ذلك اغتاظ الملك وأقسم أنه لا يخرج اليهم الا بنفسه فى جميع عسكره وأنه لا يرجع
عنهم حتى يخرب قيسارية ويترك أرضها وجميع البلاد التى يحكم عليها ملكها خرابا والمراد
من صاحب القوة والسلطان الملك عمر النعمان أن يمدنا بعسكر من عنده حتى يصير له الفخر
وقد أرسل اليك ملكنا معنا شيأ من أنواع الهدايا ويرجو من انعامك قبولها والتفضل عليه
بالاسعاف ثم ان الرسل قبلوا الارض بين يدى الملك عمر النعمان * وأدرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والاربعون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن رسل ملك القسطنطينية
قبلوا الارض بين يدى الملك عمر النعمان بعد أن حكوا له ثم أعلموه بالهدية وكانت الهدية خمسين
جارية من خواص بلاد الروم وخمسين مملوكا عليهم أقبية من الديباج بمناطق من الذهب
والفضة وكل مملوك فى أذنه حلقة من الذهب فيها لؤلؤة تساوى ألف مثقال من الذهب
والجوارى كذلك وعليهم من القماش ما يساوى مالا جزيلا فلما رآهم الملك قبلهم وفرح بهم
وأمر باكرام الرسل وأقبل على وزرائه يشاورهم فيما يفعل فنهض من بينهم وزير وكان شيخا
كبيرا يقال له دندان فقبل الارض بين يدى الملك عمر النعمان وقال أيها الملك ما فى الامر أحسن
من أن تجهز عسكرا جرارا وتجعل قائدهم ولدك شركان ونحن بين يديه غلمان وهذا الرأى
أحسن لوجهين الاول أن ملك الروم قد استجار بك وأرسل اليك هدية فقبلتها والوجه
الثانى أن العدو لا يجسر على بلادنا فاذا منع عسكرك عن ملك الروم وهزم عدوه ينسب هذا
الامر اليك ويشيع ذلك فى سائر الاقطار والبلاد ولاسيما اذا وصل الخبر الى جزائر البحر
وسمع بذلك أهل الغرب فانهم يحملون اليك الهدايا والتحف والاموال فلما سمع الملك هذا
الكلام من وزيره دندان أعجبه واستصوبه وخلع عليه وقال له مثلك من تستشيره الملوك وينبغى
أن تكون أنت فى مقدم العسكر وولدى شركان فى ساقة العسكر ثم ان الملك أمر باحضار ولده
فلما حضر قص عليه القصة وأخبره بما قاله الرسل وبما قاله الوزير دندان وأوصاه بأخذ الاهبة
والتجهز للسفر وأنه لا يخالف الوزير دندان فيما يشور به عليه وأمره أن ينتخب من عسكره
عشرة آلاف فارس كاملين العدة صابرين على الشدة فامتثل شركان ما قاله والده عمر النعمان
وقام فى الوقت واختار من عسكره عشرة آلاف فارس ثم دخل قصره وأخرج مالا عظيما
وأنفق عليهم المال وقال لهم قد أمهلتكم ثلاثة أيام فقبلوا الارض بين يديه مطيعين لأمره
ثم خرجوا من عنده وأخذوا فى الاهبة واصلاح الشأن ثم ان شركان دخل خزائن السلاح وأخذ
ما يحتاج اليه من العدد والسلاح ثم دخل الاصطبل واختار منه الخيل المسومة وأخذ غير ذلك
وبعد ذلك أقاموا ثلاثة أيام ثم خرجت العساكر الى ظاهر المدينة وخرج عمر النعمان لوداع

ولده شركان فقبل الارض بين يديه وأهدى له سبع خزائن من المال وأقبل على الوزير دندان وأوصاه بعسكر ولده شركان فقبل الارض بين يديه وأجابه بالسمع والطاعة وأقبل الملك على ولده شركان وأوصاه بمشاورة الوزير دندان فى سائر الامور فقبل ذلك ورجع والده الى أن دخل المدينة ثم ان شركان أمر كبار العسكر بعرضهم عليه وكانت عدتهم عشرة آلاف فارس غير ما يتبعهم ثم ان القوم حملوا ودقت الطبول وصاح النفير وانتشرت الاعلام والرايات وركب ابن الملك شركان والى جانبه وزيره دندان والاعلام تخفق على رؤسهم ولم يزالوا سائرين والرسل تقدمهم الى أن ولى النهار وأقبل الليل فنزلوا واستراحوا وباتوا تلك الليلة فلما أصبح الصباح ركبوا وساروا ولم يزالوا سائرين والرسل يدلونهم على الطريق مدة عشرين يوما ثم أشرفوا فى اليوم الحادى والعشرين على وادى واسع الجهات كثير الاشجار والنبات وكان وصولهم الى ذلك الوادى ليلا فأمرهم شركان بالنزول والاقامة فيه ثلاثة أيام فنزل العساكر وضربوا الخيام واتسق العسكر يمينا وشمالا ونزل الوزير دندان وصحبته رسل أفريدون صاحب القسطنطينية فى وسط ذلك الوادى وأما الملك شركان فانه كان فى وقت وصول العسكر وقف بعدهم ساعة حتى نزلوا جميعهم وتفرقوا فى جوانب الوادى ثم انه أرخى عنان جواده وأراد أن يكشف ذلك الوادى ويتولى الحرس بنفسه لاجل وصية والده اياه فانهم فى اول بلاد الروم وأرض العدو فسار وحده بعد أن أمر مماليكه وخواصه بالنزول عند الوزير دندان ثم انه لم يزل سائرا على ظهر جواده فى جوانب الوادى الى أن مضى من الليل ربعه فتعب وغلب عليه النوم فصار لا يقدر أن يركض الجواد وكان له عادة أنه ينام على ظهر جواده فلما هجم عليه النوم نام ولم يزل الجواد سائرا به الى نصف الليل فدخل به فى بعض الغابات وكانت تلك الغابة كثيرة الاشجار فلم ينتبه شركان حتى دق الجواد بحافره فى الارض فاستيقظ فوجد نفسه بين الاشجار وقد طلع عليه القمر وأضاء فى الخافقين فاندهش شركان لما رأى نفسه فى ذلك المكان وقال كلمة لا يخجل قائلها وهى لا حول ولا قوة الا بالله فبينما هو كذلك خائف من الوحش متحير لا يدرى أين يتوجه فلما رأى القمر أشرف على مرج كأنه من مروج الجنة فسمع كلاما مليحا وصوتا عاليا وضحكا يسبى عقول الرجال فنزل الملك شركان عن جواده فى الاشجار ومشى حتى أشرف على نهر فرأى فيه الماء يجرى وسمع كلام امرأة تتكلم بالعربى وهى تقول وحق المسيح ان هذا لمكان غير مليح ولكن كل من تكلمت بكلمة صرعتها وكتفتها بزنارها كل هذا وشركان يمشى الى جهة الصوت حتى انتهى الى طرف المكان ثم نظر فاذا بنهر يسيح وطيور تمرح وغزلان تسنح ووحوش ترتع والطيور بلغاتها المعانى الحظ تشرح وذلك المكان مزركش بأنواع النبات كما قيل فى أوصاف مثله هذان البيتان

ما تحسن الارض الا عند زهرتها * والماء من فوقها يجرى بارسال
صنع الاله العظيم الشان مقتدرا * معطى العطايا ومعطى كل مفضال

فنظر شركان الى ذلك المكان فرأى فيه ديرا ومن داخل الدير قلعة شاهقة فى الهواء فى ضوء القمر وفى وسطها نهر يجرى الماء منه الى تلك الرياض وهنالك امرأة بين يديها عشر جوار كأنهن الاقمار وعليهن من أنواع الحلى والحلل ما يدهش الابصار وكلهن أبكار بديعات

كما

كما قيل فيهن هذه الابيات

يشرق المرج بما فيه من البيض العوالى
زادحسنا وجمالا * من بديعات الخلال
كل هيفاء قواما * ذات غنج ودلال
راخيات لشعور * كعناقيد الدوالى
فاتنات يعيون * راميات بالنبال
مائسات قاتلات * لصناديد الرجال

فنظر شركان الى هؤلاء العشر جوار فوجد بينهن جارية كأنها البدر عند تمامه يحاجب مزيج وجبين أبلج وطرف أهدب وصدغ معقرب كاملة فى الذات والصفات كما قال الشاعر فى مثلها هذه الابيات

تزهو على بألحاظ بديعات * وقدها مخجل للسمهريات
[illegible] الينا وخداها موردة * فيهما من الظرف أنواع الملاحات
وكأن طرتها فى نور طلعتها * ليل يلوح على صبح المسرات

فسمعها شركان وهى تقول للجوارى تقدمواحتى أصارعكم قبل أن يغيب القمر ويأتى الصباح فصارت كل واحدة منهن تتقدم اليها فتصرعها فى الحال وتكتفها بزنارها فلم تزل تصارعهن وتصرعهن حتى صرعت الجميع ثم التفتت الى الجارية العجوز كانت بين يديها وقالت لها وهى كالمغضبة عليها يا فاجرة أتفرحين بصرعك للجوارى فها أنا العجوز وقد صرعتهن أربعين مرة فكيف تجبين بنفسك ولكن ان كان لك قوة على مصارعتى فصارعينى فان أردت ذلك وقمت لمصارعتى أقوم لك وأجعل رأسك بين رجليك فتبسمت الجارية ظاهرا وقد امتلأت غيظا منها باطنا وقامت اليها وقالت لها ياسيدتى ذات الدواهى بحق المسيح أتصارعينى حقيقة أو تمزحين معى قالت لها بل أصارعك حقيقة * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة السابعة والاربعون * قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية لما قالت لها أصارعك حقيقة قالت لها قومى للصراع ان كان لك قوة فلما سمعت العجوز منها ذلك اغتاظت غيظا شديدا وقام شعر بدنها كأنه شعر قنفذ وقامت لها الجارية فقالت لها العجوز وحق المسيح لم أصارعك الا وأنا عريانة يا فاجرة ثم ان العجوز أخذت منديل حرير بعد أن فكت لباسها وأدخلت يديها تحت ثيابها ونزعتها من فوق جسدها ولمت المنديل وشدته فى وسطها فصارت كأنها عفريتة معطاء أو حية رقطاء ثم انحنت على الجارية وقالت لها افعلى كفعلى كل هذا وشركان ينظر اليهما ثم ان شركان صار يتأمل فى تشويه صورة العجوز ويضحك ثم ان العجوز لما فعلت ذلك قامت الجارية على مهل وأخذت فوطة يمانية وثنتها مرتين وشمرت سراويلها فبان لها ساقان من المرمر وفوقهما كثيب من البلور ناعم مربرب وبطن يفوح المسك من أعكنه كأنه مصفح بشقائق النعمان وصدر فيه نهدان كفجلى رمان ثم انحنت عليها العجوز وتماسكا بعضهما فرفع شركان رأسه الى السماء ودعا الله أن الجارية تغلب العجوز فدخلت الجارية تحت العجوز ووضعت يدها الشمال فى شقتها ويدها اليمين فى رقبتها مع حلقها ورفعتها

على يديها فانفلتت العجوز من يديها وأرادت الخلاص فوقعت على ظهرها فارتفعت رجلاها الى فوق فبانت شعرتها فى القمر ثم ضرطت ضرطتين عفرت احداهما فى الارض ودخنت الاخرى فى السماء فضحك شركان منهما حتى وقع على الارض ثم قام وسل حسامه والتفت يمينا وشمالا فلم ير أحدا غير العجوز مرمية على ظهرها فقال فى نفسه ما كذب من سماك ذات الدواهى ثم تقرب منهما ليسمع ما يجرى بينهما فأقبلت الجارية ورمت على العجوز ملاءة من حرير رفيعة وألبستها ثيابها واعتذرت اليها وقالت لها ياسيدتى ذات الدواهى ما أردت الا صرعك لاجميع ما حصل لك ولكن أنت انفلت من بين يدى فالحمد لله على السلامة فلم ترد عليها جوابا وقامت تمشى من خجلها ولم تزل ماشية الى أن غابت عن البصر وصارت الجوارى مكتفات مرميات والجارية واقفة وحدها فقال شركان فى نفسه لكل رزق سبب ما غلب على النوم وسار بى الجواد الى هذا المكان الا لبختى فلعل هذه الجارية ومامعها تكون غنيمة لى ثم ركب جواده ولكزه ففر به كالسهم من القوس ويده حسامه مجرد من غلافه ثم صاح الله أكبر فلما رأته الجارية نهضت قائمة وحطت قدميها على جانب النهر وكان عرضه ستة أذرع ووثبت فصارت على جانبه الآخر ثم قامت على رجليها ونادت برفيع صوتها من أنت ياهذا لانك قطعت سرورنا وحين جردت حسامك صرت كأنك قد حملت فى عساكر من أين أنت والى أين تذهب فاصدق فى مقالك فان الصدق أنفع لك ولا تكذب فان الكذب من أخلاق اللئام ولاشك أنك تهت فى هذه الليلة عن الطريق حتى جئت الى هذا المكان الذى خلاصك فيه أكبر الغنيمات واعلم أنك فى مرج لو صرخنا فيه صرخة واحدة لجاء الينا أربعة آلاف بطريق فقل لنا ما الذى تريد فان أردت أن نرشدك الى الطريق أرشدناك وان أردت الرفد أرفدناك فلما سمع شركان كلامها قال لها أنا رجل غريب من المسلمين وقد سرت فى هذه الليلة منفردا بنفسى أطلب غنيمة أغنمها فلم أجد غنيمة أحسن من هؤلاء الجوارى العشرة فى هذه الليلة المقمرة فآخذهم وأرجع بهم الى أصحابى فقالت له الجارية اعلم أن الغنيمة ماوصلت اليها والجوارى والله ماهن غنيمتك أما قلت لك ان الكذب شين فقال لها ان السعيد الذى يكتفى بالله عن غيره فقالت له وحق المسيح لولا انى أخاف أن يكون هلاكك على يدى لكنت صحت صيحة ملأت عليك الارض خيلا ورجالا ولكن أنا أشفق على الغرباء وان أردت الغنيمة فأنا أطلب منك أن تنزل عن جوادك وتحلف لى بدينك أنك لا تتقرب الى بشئ من السلاح وأتصارع أنا وأنت فان صرعتنى فضعنى على جوادك وخذنا كلنا غنيمة وان صرعتك أتحكم فيك فاحلف لى فانى أخاف من غدرك وقد ورد فى الاخبار اذا كان الغدر طباعا فان الثقة بكل أحد عجز فان حلفت لى عدت اليك وأتيتك وجئت عندك فطمع شركان فى أخذها وقال فى نفسه انها لم تعرف أنى بطل من الابطال ثم ناداها وقال لها حلفينى بما تثقين به انى لا أقربك بشئ حتى تأخذى أهبتك وتقولى ادن منى لأصارعك فحينئذ أتقرب منك فان صرعتنى فان لى من المال ما أشترى به نفسى وان صرعتك أنا فهى الغنيمة الكبرى فقالت الجارية أنا رضيت بذلك فتحير شركان فى ذلك وقال وحق النبى صلى الله عليه وسلم رضيت

انا

أنا الآخر فقالت له احلف الآن بمن ركب الارواح فى الاجساد وشرع لنا الشرائع فحلف لها بما وثقت به من الايمان فرضيت بذلك ثم انها وثبت فصارت فى الجانب الآخر من جانبى النهر وقالت لشركان وهى تضحك يعز على فراقك يا مولاى اذهب الى أصحابك قبل الصباح لئلا تأتيك البطارقة فيأخذوك على أسنة الرماح وأنت مافيك قوة لدفع الفرسان فكيف تدفع الرجال الفرسان فتحير شركان فى نفسه وقال لها وقد ولت عنه معرضة تقصد الدير ياسيدتى أتذهبين وتتركين المتيم الغريب المسكين الكسير القلب فالتفتت اليه وهى تضحك ثم قالت له ما حاجتك فانى أجيب دعوتك فقال كيف أطأ أرضك وأتحلى بحلاوة لطفك وأرجع بلا أكل من طعامك وقد صرت من بعض خدمك فقالت لا يأبى الكرامة الا لئيم تفضل بسم الله على الرأس والعين واركب جوادك وسر على جانب النهر مقابلى فأنت فى ضيافتى ففرح شركان وبادر الى جواده وركب ومازال ماشيا مقابلها وهى سائرة قبالته الى أن وصل الى جسر معمول باخشاب من الحور وفيه بكر بسلاسل من البولاذ وعليها أقفال فى كلاليب فنظر شركان الى ذلك الجسر واذا بالجوارى اللاتى كن معها فى المضارعة قائمات ينظرن اليها فلما أقبلت عليهن كلمت جارية منهن بلسان الرومية وقالت لها قومى اليه وأمسكى عنان جواده ثم سيرى به الى الدير فسار شركان وهى قدامه الى أن عدى الجسر وقد اندهش عقله مما رأى وقال فى نفسه يا ليت الوزير دندان كان معى فى هذا المكان وتنظر عيناه الى تلك الجوارى الحسان ثم التفت الى تلك الجارية وقال لها يا بديعة الجمال قد صار لى عليك الآن حرمتان حرمة الصحبة وحرمة سيرى الى منزلك وقبول ضيافتك وقد صرت تحت حكمك وفى عهدك فلو أنك تنعمين على بالمسير معى الى بلاد الاسلام وتتفرجين على كل أسد ضرغام وتعرفين من أنا فلما سمعت كلامه اغتاظت منه وقالت له وحق المسيح لقد كنت عندى ذا عقل ورأى ولكنى اطلعت الآن على ما فى قلبك من الفساد وكيف يجوز لك أن تتكلم بكلمة تنسب فيها الى الخداع كيف أصنع هذا وأنا أعلم متى حصلت عند ملككم عمر النعمان لا أخلص منه لانه ما فى قصوره مثلى ولو كان صاحب بغداد وخراسان وبنى له اثنى عشر قصرا فى كل قصر ثلثمائة وستون جارية على عدد أيام السنة والقصور عدد أشهر السنة وحصلت عنده ما تركنى لان اعتقادكم انه يحل لكم التمتع بمثلى كما فى كتبكم حيث قيل فيها أو ما ملكت أيمانكم فكيف تكلمنى بهذا الكلام وأما قولك وتتفرجين على شجعان المسلمين فوحق المسيح انك قلت قولا غير صحيح فانى رأيت عسكركم لما استقبلتم أرضنا وبلادنا فى هذين اليومين فلما أقبلتم لم أر تربيتكم تربية ملوك وانما رأيتكم طوائف مجتمعة وأما قولك تعرفين من أنا فأنا لا أصنع معك جميلا لاجل اجلالك وانما أفعل ذلك لاجل الفخر ومثلك ما يقول لمثلى ذلك ولو كنت شركان بن الملك عمر النعمان الذى ظهر فى هذا الزمان فقال شركان فى نفسه لعلها عرفت قدوم العساكر وعرفت عدتهم وانهم عشرة آلاف فارس وعرفت أن والدى أرسلهم معى لنصرة ملك القسطنطينية ثم قال شركان ياسيدتى أقسمت عليك بما تعتقدين من دينك أن تحدثينى بسبب ذلك حتى يظهر لى الصدق من الكذب ومن يكون عليه وبال ذلك فقالت له وحق دينى لولا انى خفت أن يشيع خبرى من انى من بنات الروم لكنت خاطرت بنفسى وبارزت العشرة آلاف فارس وقتلت مقدمهم الوزير دندان

وظفرت بفارسهم شركان وما كان على من ذلك عار ولكننى قرأت الكتب وتعلمت الادب من كلام العرب ولست أصف لك نفسى بالشجاعة مع انك رأيت منى العلامة والصناعة والقوة فى الصراع والبراعة ولو حضر شركان مكانك فى هذه الليلة وقيل له نط هذا النهر لأذعن واعترف بالعجز وانى أسأل المسيح أن يرميه بين يدى فى هذا الدير حتى أخرج له فى صفة الرجال وآسره وأجعله فى الاغلال * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون * قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الصبية النصرانية لما قالت هذا الكلام لشركان وهو يسمعه أخذته النخوة والحمية وغيرة الابطال وأراد أن يظهر لها نفسه ويبطش بها ولكن ردّه عنها فرط جمالها وبديع حسنها فأنشد هذا البيت

واذا المليح أتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بألف شفيع

ثم صعدت وهو فى أثرها فنظر شركان الى ظهر الجارية فرأى أردافها تتلاطم كالامواج فى البحر الرجراج فأنشد هذه الابيات

فى وجهها شافع يمحو اساءتها * من القلوب وجيه حيثما شفعا
اذا تأملتها ناديت من عجب * البدر فى ليلة الاكمال قد طلعا
لو أن عفريت بلقيس يصارعها * مع فرط قوته فى ساعة صرعا

ولم يزالا سائرين حتى وصلا الى باب مقنطر وكانت قنطرته من رخام ففتحت الجارية الباب ودخلت ومعها شركان وسارا الى دهليز طويل مقبى على عشر قناطر معقودة وعلى كل قنطرة قنديل من البلور يشتعل كاشتعال الشمس فلقيتها الجوارى فى آخر الدهليز بالشموع المطيبة وعلى رؤسهن العصائب المزركشة بالفصوص من أصناف الجواهر وسارت وهن أمامها وشركان وراءها الى أن وصلوا الى الدير فوجد بدائر ذلك الدير أسرة مقابلة لبعضها وعليها ستور مكللة بالذهب وأرض الدير مفروشة بانواع الرخام المجزع وفى وسطه بركة ماء عليها أربع وعشرون قارورة من الذهب والماء يخرج منها كاللجين ورأى فى الصدر سريرا مفروشا بالحرير الملوكى فقالت له الجارية اصعد يا مولاى على هذا السرير فصعد شركان فوق السرير وذهبت الجارية وغابت عنه فسأل عنها بعض الخدام فقالوا له انها ذهبت الى مرقدها ونحن نخدمك كما أمرت ثم انها قدمت اليه من غرائب الألوان فأكل حتى اكتفى ثم بعد ذلك قدمت اليه طشتا وابريقا من الذهب فغسل يديه وخاطره مشغول بعسكره لكونه لا يعلم ما جرى لهم بعده ويتذكر أيضا كيف نسى وصية أبيه فصار متحيرا فى أمره نادما على ما فعل الى أن طلع الفجر وبان النهار وهو يتحسر على ما فعل وصار مستغرقا فى الفكر وأنشد هذه الابيات

لم أعدم الحزم ولكننى * دهيت فى الامر لما حيلتى
لو كان من يكشف عنى الهوى * برئت من حولى ومن قوتى
وان قلبى فى ضلال الهوى * صبّ وأرجو الله فى شدتى

فلما فرغ من شعره رأى بهجة عظيمة قد أقبلت فنظر فاذا هو بأكثر من عشرين جارية كالاقمار حول تلك الجارية وهى بينهن كالبدر بين الكواكب وعليها ديباج ملوكى وفى وسطها زنار مرصع بانواع الجواهر وقد ضم خصرها وأبرز ردفها فصارا كأنهما كثيب بلور تحت قضيب

من

من فضة ونهداها كفحلى رمان فلما نظر شركان ذلك كاد عقله أن يطير من الفرح وتسى عسكره ووزيره وتأمل رأسها فرأى عليها شبكة من اللؤلؤ مفصلة بأنواع الجواهر والجوارى عن يمينها ويسارها يرفعن أذيالها وهى تتمايل عجبا فعند ذلك وثب شركان قائما على قدميه من هيبة حسنها وجمالها فصاح واحيرتاه من هذا الزنار وأنشد هذه الابيات

ثقيلة الارداف مائلة * خرعوبة ناعمة النهد
تكتمت ما عندها من جوى * ولست أكتم الذى عندى
خدامها يمشين من خلفها * كالفيل فى حل وفى عقد

ثم ان الجارية جعلت تنظر اليه زمانا طويلا وتكرر فيه النظر الى أن تحققته وعرفته فقالت له بعد أن أقبلت عليه قد أشرف بك المكان ياشركان كيف كانت ليلتك ياهمام بعد ما مضينا وتركناك ثم قالت له ان الكذب عند الملوك منقصة وعار لا سيما عند أكابر الملوك وأنت شركان ابن عمر النعمان فلا تنكر نفسك وحسبك ولا تكتم أمرك عنى ولا تسمعنى بعد ذلك غير الصدق فان الكذب يورث البغض والعداوة فقد نفذ فيك سهم القضا فعليك بالتسليم والرضا فلما سمع كلامها لم يمكنه الانكار فأخبرها بالصدق وقال لها أنا شركان بن عمر النعمان الذى عذبنى الزمان وأوقعنى فى هذا المكان فهما شئت فافعليه الآن فأطرقت برأسها الى الارض زمانا طويلا ثم التفتت اليه وقالت له طب نفسا وقر عينا فانك ضيفى وصار بيننا وبينك خبز وملح وحديث ومؤانسة فأنت فى ذمتى وفى عهدى فكن آمنا وحق المسيح لو أراد أهل الارض أن يؤذوك لما وصلوا اليك الا أن خرجت روحى من أجلك فأنت فى أمان المسيح وأمانى وجلست الى جانبه فصارت تلاعبه الى أن زال ما عنده من الخوف وعلم انها لو كان لها أرب فى قتله لقتلته فى الليلة الماضية ثم انها كلمت جارية بلسان الرومية فغابت ساعة ثم رجعت اليها ومعها آلة مدام ومائدة طعام فتوقف شركان عن الاكل وقال فى نفسه ربما وضعت شيأ فى ذلك الطعام فعرفت ما فى ضميره فالتفتت اليه وقالت وحق المسيح ليس الامر كذلك وهذا الطعام ليس فيه شئ من الذى تتوهمه ولو كان خاطرى فى قتلك لقتلتك فى هذا الوقت ثم تقدمت الى المائدة وأكلت من كل لون لقمة فعند ذلك أكل شركان ففرحت الجارية وأكلت معه الى أن اكتفيا وبعد أن غسلا أيديهما قامت وأمرت جارية أن تأتى بالرياحين وآلات الشراب من أوانى الذهب والفضة والبلور وأن يكون الشراب من سائر الالوان المختلفة والانواع النفيسة فأتتها بجميع ما طلبته ثم ان الجارية ملأت أول قدح وشربته قبله كما فعلت فى الطعام ثم ملأت ثانيا وأعطته اياه فشرب فقالت له يامسلم انظر كيف أنت فى ألذ عيش ومسرة ولم تزل تشرب معه الى أن غاب عن رشده * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية مازالت تشرب وتسقى شركان الى أن غاب عن رشده من الشراب ومن سكر محبتها ثم انها قالت لجارية يامرجانة هاتى لنا شيأ من آلات الطرب فقالت سمعا وطاعة ثم غابت لحظة وأتت بعود جلى وجنك عجمى ونأى تترى وقانون مصرى فأخذت الجارية العود وأصلحته وشدت أوتاره وغنت عليه بصوت رخيم أرق من النسيم وأعذب من ماء التسنيم وأنشدت مطربة بهذه الابيات

عفا الله عن عينيك كم سفكت دما * وكم فوقت منك اللواحظ أسهما
أجل حبيبا جائرا فى حبيبه * حرام عليه أن يرق ويرحما
هنيأ لطرف بات فيك مسهدا * وطوبى لقلب ظل فيك متيما
تحكمت فى قتلى فانك مالكى * بروحى أفدى الحاكم المتحكما

ثم قامت واحدة من الجوارى ومعها آلتها وأنشدت عليها أبياتا بلسان الرومية فطرب شركان ثم غنت الجارية سيدتهن أيضا وقالت يا مسلم أما فهمت ما أقول قال لا ولكن ما طربت الا على حسن أدائك فضحكت وقالت له ان غنيت لك بالعربية ماذا تصنع فقال ما كنت أتمالك عقلى فأخذت آلة الطرب وغيرت الضرب وأنشدت هذه الابيات

طعم التفرق مرّ * فهل لذلك صبر
تعرّضت لى ثلاث * صدّ وبين وهجر
أهوى ظريفا سبانى * بالحسن والهجر مر

فلما فرغت من شعرها نظرت الى شركان فوجدته قد غاب عن وجوده ولم يزل مطروحا بينهن ممدودا ساعة ثم أفاق وتذكر الغناء فمال طربا ثم ان الجارية أقبلت هى وشركان على الشراب ولم يزالا فى لعب ولهو الى أن ولى النهار بالرواح ونشر الليل الجناح فقامت الى مرقدها فسأل شركان عنها فقالوا له انها مضت الى مرقدها فقال فى رعاية الله وحفظه فلما أصبح الصباح أقبلت عليه الجارية وقالت له ان سيدتى تدعوك اليها فقام معها وسار خلفها فلما قرب من مكانها ازفته الجوارى بالدفوف والمغانى الى أن وصل الى باب كبير من العاج مرصع بالدر والجوهر فلما دخلوا منه وجدوا دارا كبيرة أيضا وفى صدرها ايوان كبير مفروش بانواع الحرير ويدا ثر ذلك الايوان شبابيك مفتحة مطلة على أشجار وأنهار وفى البيت صور مجسمة يدخل فيها الهواء فتتحرك فى جوفها آلات فيتخيل للناظر أنها تتكلم والجارية جالسة تنظر اليهم فلما نظرته الجارية نهضت قائمة اليه وأخذت يده وأجلسته بجانبها وسألته عن مبيته فدعا لها ثم جلسا يتحدثان فقالت له أتعرف شيأ مما يتعلق بالعاشقين والمتيمين فقال نعم أعرف شيأ من الاشعار فقالت أسمعنى فأنشد هذه الابيات

لا لا أبوح بحب عزة انها * أخذت على مواثقا وعهودا
رهبان مدين والذين عهدتهم * يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها * خرّوا لعزة ركعا وسجودا

فلما سمعته قالت لقد كان كثير باهر الفصاحة بارع البلاغة لانه بالغ فى وصفه لعزة حيث قال وأنشدت هذين البيتين

لو أن عزة حاكمت شمس الضحى * فى الحسن عند موفق لقضى لها
وسعى الى بعيب عزة نسوة * جعل الاله خدودهن نعالها

ثم قالت وقيل ان عزة كانت فى نهاية الحسن والجمال ثم قالت له يا ابن الملك ان كنت تعرف شيأ من كلام جميل فأنشدنا منه قال انى أعرف به من كل أحد ثم أنشد من شعر جميل هذا البيت

يريدين قتلى لا يريدين غيره * ولست أرى قصد اسوالى أريد

فلما

فلما سمعت ذلك قالت له أحسنت يا ابن الملك ما الذى أرادته غزة بجميل حتى قال هذا الشطر أى تريدين قتلى لا تريدين غيره * فقال لها شركان ياسيدتى لقد أرادت به ما تريدين منى ولا يرضيك فضحكت لما قال لها شركان هذا الكلام ولم يزالا يشربان الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فقامت الجارية وذهبت الى مرقدها ونامت ونام شركان فى مرقده الى أن أصبح الصبح فلما أذن أقبلت عليه الجوارى بالدفوف وآلات الطرب على العادة وقبلن الارض بين يديه وقلن له تفضل فان سيدتنا تدعوك الى الحضور عندها فقام شركان ومشى والجوارى حوله يضربن بالدفوف والآلات الى أن خرج من تلك الدار ودخل دارا غيرها أعظم من الدار الاولى وفيها من التماثيل وصور الطيور والوحوش ما لا يوصف فتعجب شركان مما رأى من صنع ذلك المكان فأنشد هذه الابيات

أجنى رقيبى من ثمار قلائد * درّ النحور منضدا بالعسجد
وعيون ماء من سبائك فضة * وخدود ورد فى وجوه زبرجد
فكأنما لون البنفسج قد حكى * زرق العيون وكحلت بالاثمد

فلما رأت الجارية شركان قامت له وأخذت يده وأجلسته الى جانبها وقالت له أنت ابن الملك عمر النعمان فهل تحسن لعب الشطرنج فقال نعم ولكن لا تكونى كما قال الشاعر

أقول والوجد يطوينى وينشرنى * ونهلة من رضاب الحبّ تروينى
حضرت شطرنج من أهوى فلاعبنى * بالبيض والسود لكن ليس يرضينى
كأنما الشاه عند الرخ موضعه * وقد تقلد دستا بالفرازين
فان نظرت الى معنى لواحظها * فان لحاظها يا قوم تردينى

ثم قدمت له الشطرنج ولعبت معه فصار شركان كلما أراد أن ينظر الى نقلها نظر الى وجهها فيضع الفرس موضع الفيل ويضع الفيل موضع الفرس فضحكت وقالت ان كان لعبك هكذا فأنت لا تعرف شيأ فقال هذا أول دست لا تحسبيه فلما غلبته رجع ووصف القطع ولعب معها فغلبته ثانيا وثالثا ورابعا وخامسا ثم التفتت اليه وقالت له أنت فى كل شئ مغلوب فقال ياسيدتى مع مثلك يحسن أن أكون مغلوبا ثم أمرت باحضار الطعام فأكلا وغسلا أيديهما وأمرت باحضار الشراب فشربا وبعد ذلك أخذت القانون وكان لها بضرب القانون معرفة جيدة فأنشدت هذه الابيات

الدهر ما بين مطوىّ ومبسوط * ومثله مثل مجرور ومخروط
فاشرب على حسنه ان كنت مقتدرا * أن لا تفارقنى فى وجه تفريط

ثم انهما لم يزالا على ذلك الى أن دخل الليل فكان ذلك اليوم أحسن من اليوم الذى قبله فلما أقبل الليل مضت الجارية الى مرقدها وانصرف شركان الى موضعه فنام الى الصباح ثم أقبلت عليه الجوارى بالدفوف وآلات الطرب وأخذته على العادة الى أن وصلوا الى الجارية فلما رأته نهضت قائمة وأمسكته من يده وأجلسته بجانبها وسألته عن مبيته فدعا لها بطول البقاء ثم أخذت العود وأنشدت هذين البيتين

لا تركبنّ الى الفرا * ق فانه مرّ المذاق

الشمس عند غروبها * تصفر من ألم الفراق

فبينما هما على هذه الحالة واذا هما بضجة فالتفتا فرأيا رجالا وشبانا مقبلين وغالبهم بطارقة وبأيديهم السيوف مسلولة تلمع وهم يقولون بلسان الرومية وقعت عندنا يا شركان فأيقن بالهلاك فلما سمع شركان هذا الكلام قال في نفسه لعل هذه الجارية الجميلة خدعتني وأمهلتني الى أن جاءت رجالها وهم البطارقة الذين خوفتني بهم ولكن أنا الذي جنيت على نفسي وألقيتها في الهلاك ثم التفت الى الجارية ليعاتبها فوجد وجهها قد تغير بالاصفرار ثم وثبت على قدميها وهي تقول لهم من أنتم فقال لها البطريق المقدم عليهم أيتها الملكة الكريمة والدرة اليتيمة أما تعرفين الذي عندك من هو قالت له لا أعرفه فمن هو فقال لها هذا مخرب البلدان وسيد الفرسان هذا شركان ابن الملك عمر النعمان هذا الذي فتح القلاع وملك كل حصن مناع وقد وصل خبره الى الملك حردوب والدك من العجوز ذات الدواهي وتحقق ذلك والدك ملكا قلا عن العجوز وها أنت قد نصرت عسكر الروم بأخذ هذا الاسد المشؤوم فلما سمعت كلام البطريق نظرت اليه وقالت له ما اسمك قال لها اسمي ماسورة بن عبدك موسورة بن كاشردة بطريق البطارقة قالت له وكيف دخلت علي بغير اذني فقال لها يا مولاتي اني لما وصلت الى الباب ما منعني حاجب ولا بواب بل قام جميع البوابين ومشوا بين أيدينا كما جرت به العادة انه اذا جاء أحد غيرنا يتركونه واقفا على الباب حتى يستأذنوا عليه بالدخول وليس هذا وقت اطالة الكلام والملك منتظر رجوعنا اليه بهذا الملك الذي هو شرارة جمرة عسكر الاسلام لاجل أن يقتله ويرحل عسكره الى الموضع الذي جاؤا منه من غير أن يحصل لنا تعب في قتالهم فلما سمعت الجارية منه هذا الكلام قالت له ان هذا الكلام غير حسن ولكن قد كذبت العجوز ذات الدواهي فانها قد تكلمت بكلام باطل لا تعلم حقيقته وحق المسيح ان الذي عندي ما هو شركان ولا أسرته ولكنه رجل أتى الينا وقدم علينا وطلب الضيافة فأضفناه فان تحققنا انه شركان بعينه وثبت عندنا أنه هو من غير شك فلا يليق بمروأتي أني أمكنكم منه لانه دخل تحت عهدي وذمتي فلا تخونوني في ضيفي ولا تفضحوني بين الانام بل ارجع أنت الى الملك أبي وقبل الارض بين يديه وأخبره بأن الامر بخلاف ما قالته العجوز ذات الدواهي فقال البطريق ماسورة يا بريزة أنا ما أقدر أن أعود الى الملك الا بغريمه فقالت له وقد اغتاظت ويلك ما يخصك بهذا الكلام ارجع أنت اليه بالجواب ولا عليك ملام فقال لها ماسورة لا أعود الا به فتغير لونها وقالت له لا تكن كثير الكلام والهذيان فان هذا الرجل ما دخل الينا الا وهو واثق من نفسه أنه يحمل على مائة فارس وحده ولو قلت له أنت شركان بن عمر النعمان يقول نعم ولكن لا يمكنكم أن تتعرضوا له فان تعرضتم له لا يرجع عنكم الا ان قتل جميع من كان في هذا المكان وها هو عندي وها أنا أحضره بين أيديكم وسيفه وترسه معه فقال لها البطريق ماسورة أنا اذا أمنت من غضبك لم آمن من غضب أبيك واني اذا رأيته أشير الى البطارقة فانهم يأخذونه أسيرا ويمضون به الى الملك حقيرا فلما سمعت هذا الكلام قالت لا كان هذا الامر فانه عنوان السفه لان هذا رجل واحد وأنتم مائة بطريق فاذا أردتم مصادمته فابرزوا له واحدا بعد واحد ليظهر عند الملك من هو البطل منكم * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت

عن

عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للخمسين قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة ابريزة قالت للبطريق هذا رجل واحد وأنتم مائة بطريق فاذا أردتم مصادمته فابرزوا له واحدا بعد واحد ليظهر عند الملك من هو البطل منكم فقال البطريق ماسورة وحق المسيح لقد قلت الحق ولكن ما يخرج له أولا غيري فقالت له الجارية اصبر حتى أذهب اليه وأعرفه بحقيقة الامر وانظر ما عنده من الجواب فان أجاب فالامر كذلك وان أبى فلا سبيل لكم اليه وأكون أنا ومن في الدير وجواري فداءه ثم أقبلت على شركان وأخبرته بما كان فتبسم وعلم أنها لم تخبر أحدا بأمره وانما شاع خبره حتى وصل الى الملك بغير ارادتها فرجع باللوم على نفسه وقال كيف رميت روحي في بلاد الروم ثم انه لما سمع كلام الجارية قال لها ان بروزهم الي واحدا بعد واحد اجحاف بهم فهلا يبرزون الي عشرة بعد عشرة وبعد ذلك وثب على قدميه وسار الى أن أقبل عليهم وكان معه سيفه وآلة حربه فلما رآه البطريق وثب اليه وحمل عليه فقابله شركان كأنه الاسد وضربه بالسيف على عاتقه فخرج السيف يلمع من أمعائه فلما نظرت الجارية ذلك عظم قدر شركان عندها وعرفت انها لم تصرعه حين صرعته بقوتها بل بحسنها وجمالها ثم ان الجارية أقبلت على البطارقة وقالت لهم خذوا ثار صاحبكم فخرج له أخو المقتول وكان جبارا عنيدا فحمل على شركان فلم يمهله شركان دون أن ضربه بالسيف على عاتقه فخرج السيف يلمع من أمعائه فعند ذلك نادت الجارية وقالت يا عباد المسيح خذوا ثار صاحبكم فلم يزالوا يبرزون اليه واحدا بعد واحد وشركان يلعب فيهم بسيفه حتى قتل منهم خمسين بطريقا والجارية تنظر اليهم وقد قذف الله الرعب في قلوب من بقي منهم وقد تأخروا عن البراز ولم يجسروا على البراز اليه بل حملوا عليه حملة واحدة بأجمعهم وحمل هو عليهم بقلب أقوى من الحجر الى أن طحنهم طحن الدروس وسلب منهم العقول والنفوس فصاحت الجارية على جواريها وقالت لهن من بقي في الدير فقلن لها لم يبق أحد الا البوابين ثم ان الملكة لاقته وأخذته بالاحضان وطلع شركان معها الى القصر بعد فراغه من الحرب وكان بقي منهم قليل كامن له في زوايا الدير فلما نظرت الجارية الى ذلك القليل قامت من عند شركان ثم رجعت اليه وعليها ازرديه ضيقة العيون وبيدها صارم مهند وقالت وحق المسيح لم أبخل بنفسي عن ضيفي ولا أتخلى عنه ولو أبقى بسبب ذلك معبرة في بلاد الروم ثم انها تأملت البطارقة فوجدته قد قتل منهم ثمانين وانهزم منهم عشرون فلما نظرت الى ما صنع بالقوم قالت له بمثلك تفتخر الفرسان فلله درك يا شركان ثم انه قام بعد ذلك يمسح سيفه من دم القتلى وينشد هذه الابيات

وكم من فرقة في الحرب جاءت * تركت كماتهم طعم السباع
سلوا عني اذا شئتم نزالي * جميع الخلق في يوم القراع
تركت ليوثهم في الحرب صرعى * على الرمضاء في تلك البقاع

فلما فرغ من شعره أقبلت عليه الجارية متبسمة وقبلت يده وقلعت الدرع الذي كان عليها فقال لها ياسيدتي لاي شئ لبست الدرع الزرد وشهرت حسامك قالت حرصا عليك من هؤلاء اللئام ثم ان الجارية دعت البوابين وقالت لهم كيف تركتم أصحاب الملك يدخلون منزلي بغير

اذنى فقالوا لها أيتها الملكة ماجرت العادة أننا نحتاج الى استئذان منك على رسل الملك خصوصا البطريق الكبير فقالت لهم أظنكم ماأردتم الا هتكى وقتل ضيفى ثم أمرت شركان أن يضرب رقابهم فضرب رقابهم وقالت لباقى خدامها انهم يستحقون أكثر من ذلك ثم التفتت لشركان وقالت له الآن ظهر لك ما كان خافيا فها أنا أعلمك بقصتى اعلم أنى بنت ملك الروم حردوب واسمى ابريزة والعجوز التى تسمى ذات الدواهى جدتى أم أبى وهى التى أعلمت أبى بك ولا بد أنها تدبر حيلة فى هلاكى خصوصا وقد قتلت بطارقة أبى وشاع أنى قد تخربت مع المسلمين فالرأى السديد أننى أترك الاقامة هنا مادامت ذات الدواهى خلفى ولكن أريد منك أن تفعل معى مثل مافعلت معك من الجميل فان العداوة قد وقعت بينى وبين أبى فلا تترك من كلامى شيأ فان هذا كله ماوقع الا من أجلك فلما سمع شركان هذا الكلام طار عقله من الفرح واتسع صدره وانشرح وقال والله لا يصل اليك أحد مادامت روحى فى جسدى ولكن هل لك صبر على فراق والدك وأهلك قالت نعم فحلفها شركان وتعاهدا على ذلك فقالت الآن طاب قلبى ولكن بقى عليك شرط آخر فقال وماهو فقالت له انك ترجع بعسكرك الى بلادك فقال لها ياسيدتى ان أبى عمر النعمان أرسلنى الى قتال والدك بسبب المال الذى أخذه ومن جملته الثلاث خرزات الكثيرة البركات فقالت له طب نفسا وقر عينا فها أنا أحدثك بحديثها وأخبرك بسبب معاداتنا لملك القسطنطينية وذلك أن لنا عيدا يقال له عيد الدير كل سنة تجتمع فيه الملوك من جميع الاقطار وبنات الاكابر والتجار ويقعدون فيه سبعة أيام وأنا من جملتهم فلما وقعت بيننا العداوة منعنى أبى من حضور ذلك العيد مدة سبع سنين فاتفق فى سنة من السنين أن بنات الاكابر من سائر الجهات قد جاءت من أماكنها الى الدير فى ذلك العيد على العادة ومن جملة من جاء اليه بنت ملك القسطنطينية وكان يقال لها صفية فأقاموا فى الدير ستة أيام وفى اليوم السابع انصرفت الناس فقالت صفية أنا ما أرجع الى القسطنطينية الا فى البحر فجهزوا لها مركبا فنزلت فيها هى وخواصها فلما حلوا القلوع وساروا فبينما هم سائرون واذا بريح قد خرج عليهم فأخرج المركب عن طريقها وكان هنالك بالقضاء والقدر مركب نصارى من جزيرة الكافور وفيها خمسمائة أفرنجى ومعهم العدة والسلاح وكان لهم مدة فى البحر فلما لاح لهم قلع المركب التى فيها صفية ومن معها من البنات انقضوا عليها مسرعين فما كان غير ساعة حتى وصلوا الى تلك المركب ووضعوا فيها الكلاليب وجروها وحلوا قلوعهم وقصدوا جزيرتهم فما بعدوا غير قليل حتى انعكس عليهم الريح فجذبهم الى شعب بعد أن مزق قلوع مركبهم وقربهم منا فخرجنا فرأيناهم غنيمة قد انساقت الينا فأخذناهم وقتلناهم واغتنمنا ما معهم من الاموال والتحف وكان فى مركبهم أربعون جارية ومن جملتها صفية بنت الملك فأخذنا الجوارى وقدمناها الى أبى ونحن لا نعرف أن من جملتهن ابنة الملك افريدون ملك القسطنطينية فاختار أبى منهن عشر جوار وفيهن ابنة الملك وفرق الباقى على حاشيته ثم عزل خمسة فيهن ابنة الملك من العشر جوارى وأرسل تلك الخمسة هدية الى والدك عمر النعمان مع شئ من الجوخ ومن قماش الصوف ومن القماش الحرير الرومى فقبل الهدية أبوك واختار من الخمس جوارى صفية بنت الملك افريدون فلما كان أول هذا

العام

العام أرسل أبوها الى والدى مكتوبا فيه كلام لا ينبغى ذكره وصار يهدده فى ذلك المكتوب
ويوبخه ويقول له انكم أخذتم مركبنا من منذ سنتين وكانت فى يد جماعة لصوص من
الافرنج ومن جملة ما فيها بنتى صفية ومعها من الجوارى نحو ستين جارية ولم ترسلوا الىّ أحدا
يخبرنى بذلك وأنا لا أقدر أن أظهر خبرها خوفا أن يكون فى حقى عارا عند الملوك من أجل هتك
ابنتى فكتمت أمرى الى هذا العام والذى بينى لى ذلك أننى كاتبت هؤلاء اللصوص وسألتهم
عن خبر ابنتى وأكدت عليهم أن يفتشوا عليها ويخبرونى عند أى ملك هى من ملوك الجزائر
فقالوا والله ما خرجنا بها من بلادك ثم قال فى المكتوب الذى كتبه لوالدى ان لم يكن مرادكم
معاداتى ولا فضيحتى وهتك ابنتى فساعة وصول كتابى اليكم ترسلوا الىّ بنتى من عندكم وان
أهملتم كتابى وعصيتم أمرى فلا بد أن أكافئكم على قبيح أفعالكم وسوء أعمالكم فلما
وصلت هذه المكاتبة الى أبى وقرأها وفهم ما فيها شق عليه ذلك وندم حيث لم يعرف أن صفية
بنت الملك فى تلك الجوارى ليردها الى والدها فصار متحيرا فى أمره ولم يمكنه بعد هذه المدة
المستطيلة أن يرسل الى الملك عمر بن النعمان ويطلبها منه ولا سيما وقد سمعنا من مدة يسيرة أنه
رزق من جاريته التى يقال لها صفية بنت الملك أفريدون أولادا فلما تحققنا ذلك علمنا أن هذه
الورطة هى المصيبة العظمى ولم يكن لابى حيلة غير انه كتب جوابا للملك أفريدون يعتذر اليه
فيه ويحلف له بالاقسام انه لم يعلم أن ابنته من جملة الجوارى التى كانت فى تلك المركب ثم أظهره
على انه أرسلها الى الملك عمر النعمان وانه رزق منها أولادا فلما وصلت رسالة أبى الى أفريدون
ملك القسطنطينية قام وقعد وأرغى وأزبد وقال كيف تكون ابنتى مسبية بصفة الجوارى
وتتداولها أيدى الملوك ويطؤنها بلا عقد ثم قال وحق المسيح والدين الصحيح انه لا يمكننى أن
أتقاعد عن هذا الامر دون أن آخذ الثار وأكشف العار فلا بد أن أفعل فعلا يتحدث به
الناس من بعدى ومازال صابرا الى أن عمل الحيلة ونصب مكايد عظيمة وأرسل رسلا الى
والدك عمر النعمان وذكر له ما سمعت من الاقوال حتى جهزك والدك بالعساكر التى معك
من أجلها وصيرك اليه حتى يقبض عليك أنت ومن معك من عسكرك وأما الثلاث خرزات
التى أخبر والدك بها فى مكتوبه فليس لذلك صحة وانما كانت مع صفية ابنته وأخذها أبى منها
حين استولى عليها هى والجوارى التى معها ثم وهبها الى وهى الآن عندى فاذهب أنت الى
عسكرك وردهم قبل أن يتوغلوا فى بلاد الافرنج والروم فانكم اذا توغلتم فى بلادهم يضيقون
عليكم الطرق ولم يكن لكم خلاص من أيديهم الى يوم الجزاء والقصاص وأنا أعرف أن
الجيوش مقيمون فى مكانهم لانك أمرتهم بالاقامة ثلاثة أيام مع أنهم فقدوك فى هذه المدة ولم
يعلموا ماذا يفعلون فلما سمع شركان هذا الكلام صار مشغول الفكر بالاوهام ثم انه قبل يد
الملكة ابريزة وقال الحمد لله الذى من علىّ بك وجعلك سببا لسلامتى وسلامة من معى ولكن
يعز علىّ فراقك ولا أعلم ما يجرى علينا بعدى فقالت له اذهب أنت الآن الى عسكرك وردهم
وان كانت الرسل عندهم فاقبض عليهم حتى يظهر لكم الخبر وأنتم بالقرب من بلادكم وبعد
ثلاثة أيام أنا ألحقكم وما تدخلون بغداد الا وأنا معكم فندخل كلنا سواء فلما أراد الانصراف
قالت له لا تنس العهد الذى بينى وبينك ثم انها ضمت قائمة معه لاجل التوديع والعناق

والطفا نار الاشواق وبكت بكاء يذيب الاحجار وأرسلت الدموع كالامطار فلما رأى منها ذلك البكاء والدموع اشتد به الوجد والولوع ونزح فى الوداع دمع العين وأنشد هذين البيتين

ودعتها ويدى اليمين لادمعى * ويدى اليسار لضمة وعناق
قالت أما تخشى الفضيحة قلت لا * يوم الوداع فضيحة العشاق

ثم فارقها شركان ونزل من الدير وقدموا له جواده فركب وخرج متوجها الى الجسر فلما وصل اليه مر من فوقه ودخل بين تلك الاشجار فلما تخلص من الاشجار ومشى فى ذلك المرج واذا هو بثلاثة فوارس فأخذ لنفسه الحذر منهم وشهر سيفه وانحدر فلما قربوا منه ونظر بعضهم بعضا عرفوه وعرفهم ووجد أحدهم الوزير دندان ومعه أميران وعندما عرفوه ترجلوا له وسلموا عليه وسأله الوزير دندان عن سبب غيابه فأخبره بجميع ما جرى له مع الملكة ابريزة من أوله الى آخره فحمد الله تعالى على ذلك ثم قال شركان ارحلوا بنا من هذه البلاد لان الرسل الذين جاؤا معنا رحلوا من عندنا ليعلموا ملككم بقدومنا فربما أسرعوا الينا وقبضوا علينا ثم نادى شركان فى عسكره بالرحيل فرحلوا كلهم ولم يزالوا سائرين مجدين فى السير حتى وصلوا الى سطح الوادى وكانت الرسل قد توجهوا الى ملكهم وأخبروه بقدوم شركان فجهز اليه عسكرا ليقبضوا عليه وعلى من معه هذا ما كان من أمر الرسل وملكهم وأما ما كان من أمر شركان فانه سافر بعسكره مدة خمسة أيام ثم نزلوا فى واد كثير الاشجار واستراحوا فيه مدة وبعد ذلك ساروا منه ولم يزالوا سائرين مدة خمسة وعشرين يوما حتى أشرفوا على أوائل بلادهم فلما وصلوا هناك أمنوا على أنفسهم ونزلوا لأخذ الراحة فخرج اليهم أهل تلك البلاد بالضيافات وعليق البهائم ثم أقاموا يومين ورحلوا طالبين ديارهم وتأخر شركان بعدهم فى مائة فارس وجعل الوزير دندان أميرا على من معه من الجيش فسار الوزير دندان بمن معه مسيرة يوم ثم بعد ذلك ركب شركان هو والمائة فارس الذين معه وساروا مقدار فرسخين حتى وصلوا الى محل مضيق بين جبلين واذا أمامهم غبرة وعجاج فمنعوا خيولهم من السير مقدار ساعة حتى انكشف الغبار وبان من تحته مائة فارس ليوث عوابس وفى الحديد والزرد غواطس فلما أن قربوا من شركان ومن معه صاحوا عليهم وقالوا والحق يوحنا ومريم اننا قد بلغنا ما أملناه ونحن خلفكم مجدون السير ليلا ونهارا حتى سبقناكم الى هذا المكان فانزلوا عن خيولكم وأعطونا أسلحتكم وسلموا لنا أنفسكم حتى نجود عليكم بأرواحكم فلما سمع شركان ذلك الكلام لاجت عيناه واحمرت وجنتاه وقال لهم يا كلاب النصارى كيف تحاسرتم علينا وجئتم بلادنا ومشيتم فى أرضنا وما كفاكم ذلك حتى تخاطبونا بهذا الخطاب أظننتم انكم تخلصون من أيدينا وتعودون الى بلادكم ثم صاح على المائة فارس الذين معه وقال لهم دونكم هؤلاء الكلاب فانهم فى عددكم ثم سل سيفه وحمل عليهم وحملت معه المائة فارس فاستقبلتهم الافرنج بقلوب أقوى من الصخر واصطدمت الرجال بالرجال ووقعت الابطال فى الابطال والتحم القتال واشتد النزال وعظمت الأهوال وقد بطل القيل والقال ولم يزالوا فى الحرب والكفاح والضرب بالصفاح الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فانفصلوا

عن

عن بعضهم واجتمع شركان بأصحابه فلم يجد أحدا منهم مجروحا غير أربعة أنفس حصل لهم
جراحات سليمة فقال لهم شركان أنا عمري أخوض بحر الحرب العجاج المتلاطم من السيوف
بالأمواج وأقاتل الرجال فوالله ما لقيت أصبر على الجلاد وملاقاة الرجال مثل هؤلاء الابطال
فقالوا له اعلم أيها الملك أن فيهم فارسا افرنجيا وهو المقدم عليهم له شجاعة وطعنات نافذات
غير أن كل من وقع منا بين يديه يتغافل عنه ولا يقتله فوالله لو أراد قتلنا لقتلنا بأجمعنا فتحير
شركان لما سمع ذلك المقال وقال في غد نصطف ونبارزهم فها نحن مائة وهم مائة ونطلب النصر
عليهم من رب السماء وباتوا تلك الليلة على ذلك الاتفاق وأما الافرنج فانهم اجتمعوا عند
مقدمهم وقالوا له انا ما بلغنا اليوم في هؤلاء أربا فقال لهم في غد نصطف ونبارزهم واحدا
بعد واحد فباتوا على ذلك الاتفاق أيضا فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وطلعت
الشمس على رؤس الروابي والبطاح وسلمت على محمد زين الملاح ركب الملك شركان وركبت
معه المائة فارس وأتوا الى الميدان كلهم فوجدوا الافرنج قد اصطفوا للقتال فقال شركان
لأصحابه ان أعداءنا قد اصطفوا فدونكم والمبادرة اليهم فنادى منادٍ من الافرنج لا يكون
قتالنا في هذا اليوم الا مناوبة بأن يبرز بطل منكم الى بطل منا فعند ذلك برز فارس من
أصحاب شركان وساق بين الصفين وقال هل من مبارز هل من مناجز لا يبرز لي اليوم
كسلان ولا عاجز فلم يتم كلامه حتى برز اليه فارس من الافرنج غريق في سلاحه وقماشه من
ذهب وهو راكب على جواد أشهب وذلك الافرنجي لانبات بعارضيه فساق جواده حتى
وقف في وسط الميدان وصادمه في الضرب والطعان فلم يكن غير ساعة حتى طعنه الافرنجي
بالرمح فنكسه عن جواده وأخذه أسيرا وقاده حقيرا ففرح به قومه ومنعوه أن يخرج الى
الميدان وأخرجوا غيره وقد خرج اليه من المسلمين آخر وهو أخو الأسير ووقف معه في الميدان
وحمل الاثنان على بعضهما ساعة يسيرة ثم كر الافرنجي على المسلم وغالطه وطعنه بعقب
الرمح فنكسه عن جواده وأخذه أسيرا ومازال يخرج اليهم من المسلمين واحد بعد واحد
والافرنج يأسرونهم الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وقد أسروا من المسلمين عشرين
فارسا فلما عاين شركان ذلك عظم عليه الأمر فجمع أصحابه وقال لهم ما هذا الأمر الذي حل
بنا أنا أخرج في غد الى الميدان وأطلب برز الافرنجي المقدم عليهم وانظر ما الذي حمله على أن
يدخل بلادنا وأحذره من قتالنا فان أبى قاتلناه وان صالحناصالحناه وباتوا على هذا الحال
الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ثم ركب الطائفتان واصطف الفريقان
فلما خرج شركان الى الميدان رأى الافرنج قد ترجل منهم أكثر من نصفهم قدام فارس منهم
ومشوا قدامه الى أن صاروا في وسط الميدان فتأمل شركان ذلك الفارس فرآه الفارس المقدم
عليهم وهو لابس قباء من أطلس أزرق ووجهه فيه كالبدر اذا أشرق ومن فوقه زردية
ضيقة العيون وبيده سيف مهند وهو راكب على جواد أدهم في وجهه غرة كالدرهم وذلك
الافرنجي لانبات بعارضيه ثم انه لكز جواده حتى صار في وسط الميدان وأشار الى المسلمين
وهو يقول بلسان عربي فصيح يا شركان يا ابن عمر النعمان الذي ملك الحصون والبلدان
دونك والحرب والطعان وابرز الى من قد ناصفك في الميدان فأنت سيد قومك وأنا سيد

قومه فمن غلب منا صاحبه أخذه هو وقومه تحت طاعته فلما استتم كلامه حتى برز له شركان وقلبه من الغيظ ملآن وساق جواده حتى دنا من الافرنجي في الميدان فكر عليه الافرنجي كالأسد الغضبان وصدمه صدمة الفرسان وأخذا في الطعن والضرب وصارا في حومة الميدان كأنهما جبلان يصطدمان أو بحران يلتطمان ولم يزالا في قتال وحرب ونزال من أول النهار الى أن أقبل الليل بالاعتكار ثم انفصل كل منهما من صاحبه وعاد الى قومه فلما اجتمع شركان بأصحابه قال لهم ما رأيت مثل هذا الفارس قط الا أني رأيت منه خصلة لم أرها من أحد غيره وهو أنه اذا لاح له في خصمه مضرب قاتل يقلب الرمح ويضربه بعقبه ولكن ما أدري ماذا يكون مني ومنه ومرادي أن يكون في عسكرنا مثله ومثل أصحابه وبات شركان فلما أصبح الصباح خرج له الافرنجي ونزل في وسط الميدان وأقبل عليه شركان ثم أخذا في القتال وأوسعا في الحرب والمجال وامتدت اليهما الاعناق ولم يزالا في حرب وكفاح وطعن بالرماح الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ثم افترقا ورجعا الى قومهما وصار كل منهما يحكي لاصحابه ما لاقاه من صاحبه ثم ان الافرنجي قال لاصحابه في غد يكون الانفصال وباتوا تلك الليلة الى الصباح ثم ركب الاثنان وحملا على بعضهما ولم يزالا في الحرب الى نصف النهار وبعد ذلك عمل الافرنجي حيلة ولكز الجواد ثم جذبه باللجام فعثر به ورماه فانكب عليه شركان وأراد أن يضربه بالسيف خوفا أن يطول به المطال فصاح به الافرنجي وقال يا شركان ما هكذا تكون الفرسان انما هذا فعل المغلوب بالنسوان فلما سمع شركان من ذلك الفارس هذا الكلام رفع طرفه اليه وأمعن النظر فيه فوجده الملكة ابريزة التي وقع له معها ما وقع في الدير فلما عرفها رمى السيف من يده وقبل الارض بين يديها وقال لها ما حملك على هذه الفعال فقالت له أردت أن أختبرك في الميدان وأنظر ثباتك في الحرب والطعان وهؤلاء الذين معي كلهم جواري وكلهن بنات أبكار وقد قهرن فرسانك في حومة الميدان ولولا ان جوادي قد عثر بي لكنت ترى قوتي وجلادي فتبسم شركان من قولها وقال لها الحمد لله على السلامة وعلى اجتماعي بك يا ملكة الزمان ثم ان الملكة ابريزة صاحت على جواريها وأمرتهن بالرحيل بعد أن يطلقن العشرين أسيرا الذين كن أسرنهم من قوم شركان فامتثلت الجواري أمرها ثم قبلن الارض بين يديها فقال لهن متملكن من يكون عند الملوك مدخرا للشدائد ثم انه أشار الى أصحابه أن سلموا عليها فترجلوا جميعا وقبلوا الارض بين يدي الملكة ابريزة ثم ركب المائتا فارس وساروا في الليل والنهار مدة ستة أيام وبعد ذلك أقبلوا على الديار فأمر شركان الملكة ابريزة وجواريها أن ينزعن ما عليهن من لباس الافرنج * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والخمسون قالت بلغني أيها الملك السعيد ان شركان أمر الملكة ابريزة وجواريها أن ينزعن ما عليهن من الثياب وأن يلبسن لباس بنات الروم ففعلن ذلك ثم انه أرسل جماعة من أصحابه الى بغداد ليعلم والده عمر النعمان بقدومه ويخبره ان الملكة ابريزة ابنة ملك الروم جاءت صحبته لاجل أن يرسل موكبا لملاقاتها ثم انهم نزلوا من وقتهم وساعتهم في المكان الذي وصلوا اليه وباتوا فيه الى الصباح فلما أصبح الصباح ركب الملك شركان هو ومن

معه وركبت أيضا الملكة ابريزة هي ومن معها واستقبلوا المدينة واذا بالوزير دندان قد أقبل في ألف فارس من أجل ملاقاة الملكة ابريزة هي وشركان وكان خروجه باشارة الملك عمر النعمان كما أرسل اليه ولده شركان فلما قربوا منهما توجهوا اليهما وقبلوا الارض بين أيديهما ثم ركبوا وركبوا معهما وساروا في خدمتهما حتى وصلا الى المدينة وطلعا قصر الملك ودخل شركان على والده فقام اليه واعتنقه وسأله عن الخبر فأخبره بما قالته الملكة ابريزة وما اتفق له معها وكيف فارقت مملكتها وفارقت أباها وقال له انها اختارت الرحيل معنا والقعود عندنا وان ملك القسطنطينية أراد أن يعمل لنا حيلة من أجل صفية بنته لان ملك الروم قد أخبره بحكايتها وبسبب اهدائها اليك وان ملك الروم ما كان يعرف أنها ابنة الملك افريدون ملك القسطنطينية ولو كان يعرف ذلك ما كان أهداها اليك بل كان يردها الى والدها ثم قال شركان لوالده ولم يخلصنا من هذه الحيل والمكايد الا ابريزة بنت ملك القسطنطينية وما رأينا أشجع منها ثم انه شرع يحكي لابيه ما وقع له معها من أوله الى آخره من أمر المصارعة والمبارزة فلما سمع الملك عمر النعمان من ولده شركان ذلك الكلام عظمت ابريزة عنده وصار يتمنى أنه يراها ثم انه طلبها الاحل أن يسألها فعند ذلك ذهب شركان اليها وقال لها ان الملك يدعوك فأجابت بالسمع والطاعة فأخذها شركان وأتى بها الى والده وكان والده قاعدا على كرسيه وأخرج من كان عنده ولم يبق عنده غير الخدم فلما دخلت الجارية ابريزة على الملك عمر النعمان قبلت الارض بين يديه وتكلمت بأحسن الكلام فتعجب الملك من فصاحتها وشكرها على ما فعلت مع ولده شركان وأمرها بالجلوس فجلست وكشفت عن وجهها فلما رآه الملك حيل بينه وبين عقله ثم انه قربها اليه وأدناها منه وأفرد لها قصرا مختصا بها وبجواريها ورتب لها ولجواريها الرواتب ثم أخذ يسألها عن تلك الخرزات الثلاث التي تقدم ذكرها سابقا فقالت له ان تلك الخرزات معي يا ملك الزمان ثم انها قامت ومضت الى محلها وفتحت صندوقا وأخرجت منه علبة وأخرجت من العلبة حقا من الذهب وفتحته وأخرجت منه تلك الخرزات الثلاث ثم قبلتها وناولتها للملك وانصرفت فأخذت قلبه معها وبعد انصرافها أرسل الى ولده شركان فحضر فأعطاه خرزة من الثلاث خرزات فسأله عن الاثنين الاخريين فقال يا ولدي قد أعطيت منهما واحدة لاخيك ضوء المكان والثانية لاختك نزهة الزمان فلما سمع شركان أن له أخا يسمى ضوء المكان وما كان يعرف الا أخته نزهة الزمان التفت الى والده الملك عمر النعمان وقال له يا والدي ألك ولد غيري قال نعم وعمره الآن ست سنين ثم أعلمه أن اسمه ضوء المكان وأخته نزهة الزمان وانهما ولدا في بطن واحد فصعب عليه ذلك ولكنه كتم سره وقال لوالده على بركة الله تعالى ثم رمى الخرزة من يده ونفض أثوابه فقال له الملك مالي أراك قد تغيرت أحوالك لما سمعت هذا الخبر مع أنك صاحب المملكة من بعدي وقد عاهدت امراء الدولة على ذلك وهذه خرزة لك من الثلاث خرزات فأطرق شركان برأسه الى الارض واستحى أن يكاشف والده ثم قام وهو لا يعلم كيف يصنع من شدة الغيظ ومازال ماشيا حتى دخل قصر الملكة ابريزة فلما أقبل عليها نهضت اليه قائمة وشكرته على فعاله ودعت له ولوالده وجلست وأجلسته في جانبها فلما استقر به الجلوس رأت في وجهه الغيظ فسألته عن حاله وما سبب

غيظه فأخبرها أن والده الملك عمر النعمان رزق من صفية ولدين ذكرا وأنثى وسمى الولد ضوء المكان والأنثى نزهة الزمان وقال لها انه أعطاهما خرزتين وأعطانى واحدة فتركتها وأنا الى الآن لم أعلم بذلك الا فى هذا الوقت فخفنى الغيظ وقد أخبرتك بسبب غيظى ولم أخف عنك شيأ وأخشى عليك أن يتزوجك فانى رأيت منه علامة الطمع فى أنه يتزوج بك فما تقولين أنت فى ذلك فقالت اعلم ياشركان ان أبالك ماله حكم على ولا يقدر أن يأخذنى بغير رضاى وان كان يأخذنى غصبا قتلت روحى وأما الثلاث خرزات فما كان على بالى أنه يعم على أحد من أولاده بشئ منها وما ظننت الا أنه يجعلها فى خزائنه مع ذخائره ولكن أشتهى من احسانك أن تهب لى الخرزة التى كان أعطاها لك والدك ان قبلتها منه فقال لها سمعا وطاعة ثم قالت له لا تخف وتحدثت معه ساعة وقالت له انى أخاف أن يسمع أبى أنى عندكم فيسعى فى طلبى ويتفق هو والملك أفريدون من أجل ابنته صفية فيأتيان اليكم بعساكر وتكون ضجة عظيمة فلما سمع شركان ذلك قال لها يا مولاتى اذا كنت راضية بالاقامة عندنا لا تفكرى فيهم فلو اجتمع علينا كل من فى البر والبحر لغلبناهم فقالت ما يكون الا الخير وها أنتم ان أحسنتم الى قعدت عندكم وان أسأتموا رحلت من عندكم ثم انها أمرت الجوارى باحضار شئ من الاكل فقدم المائدة فأكل شركان شيأ يسيرا ومضى الى داره مهموما مغموما هذا ما كان من أمر شركان وأما ما كان من أمر أبيه عمر النعمان فانه بعد انصراف ولده شركان من عنده قام ودخل على جاريته صفية ومعه تلك الخرزات فلما رأته نهضت قائمة على قدميها الى أن جلس فأقبل عليه ولداه ضوء المكان ونزهة الزمان فلما رآهما قبلهما وعلق على كل واحد منهما خرزة ففرحا بالخرزتين وقبلا يديه وأقبلا على أمهما ففرحت بهما ودعت للملك بطول الدوام فقال لها الملك يا صفية حيث انك ابنة الملك أفريدون ملك القسطنطينية لاى شئ لم تعلمينى لاجل أن أزيد فى اكرامك ورفع منزلتك فلما سمعت صفية ذلك قالت أيها الملك وماذا أريد اكثر من هذا زيادة على هذه المنزلة التى أنا فيها فها أنا مغمورة بانعامك وخيرك وقد رزقنى الله منك بولدين ذكر وأنثى فأعجب الملك عمر النعمان كلامها واستظرف عذوبة ألفاظها ودقة فهمها وظرف أدبها ومعرفتها ثم انه مضى من عندها وأفرد لها ولأولادها قصرا عجيبا ورتب لهم الخدم والحشم والفقهاء والحكماء والفلكية والاطباء والجراحية وأوصاهم بهم وزاد فى رواتبهم وأحسن اليهم غاية الاحسان ثم رجع الى قصر المملكة والمحاكمة بين الناس هذا ما كان من أمره مع صفية وأولادها وأما ما كان من أمره مع الملكة ابريزة فانه اشتغل بحبها وصار ليلا ونهارا مشغوفا بها وفى كل ليلة يدخل اليها ويتحدث عندها ويلوح لها بالكلام فلم ترد له جوابا بل تقول يا ملك الزمان أنا فى هذا الوقت ما لى غرض فى الرجال فلما رأى تمنعها منه اشتد به الغرام وزاد عليه الوجد والهيام فلما أعياه ذلك أحضر وزيره دندان وأطلعه على ما فى قلبه من محبة الملكة ابريزة ابنة الملك حردوب وأخبره أنها لا تدخل فى طاعته وقد قتلته حبها ولم ينل منها شيأ فلما سمع الوزير دندان ذلك قال للملك اذا جن الليل فخذ معك قطعة بنج مقدار مثقال وادخل عليها واشرب معها شيأ من الخمر فاذا كان وقت الفراغ من الشرب والمنادمة فاعطها القدح الاخير واجعل فيه ذلك البنج واسقها اياه فانها ما تصل الى مرقدها الا وقد تحكم عليها البنج

فتبلغ

فتبلغ غرضك منها وهذا ما عندى من الرأى فقال له الملك نعم ما أشرت به على ثم انه عمد الى خزائنه وأخرج منها قطعة بنج مكرر لو شمه الفيل لرقد من السنة الى السنة ثم انه وضعها فى جيبه وصبر الى أن مضى قليل من الليل ودخل على الملكة أبريزة فى قصرها فلما رأته نهضت اليه قائمة فأذن لها بالجلوس فجلست وجلس عندها وصار يتحدث معها فى أمر الشراب فقدمت سفرة الشراب ووضعت له الأوانى وأوقدت الشموع وأمرت باحضار النقل والفاكهة وكل ما يحتاجان اليه وصار يشرب معها ويناديها الى أن دب السكر فى رأس الملكة ابريزة فلما علم الملك النعمان ذلك أخرج القطعة البنج من جيبه وجعلها بين أصابعه وملأ كأسا بيده وشربه وملأه ثانيا وأسقط القطعة البنج فيه وهى لا تشعر بذلك ثم قال لها خذى اشربى هذا فأخذته الملكة ابريزة وشربته فما كان الا دون ساعة حتى تحكم البنج عليها وسلب ادراكها فقام اليها فوجدها ملقاة على ظهرها وقد كانت قلعت السراويل من رجليها ورفع الهواء ذيل قميصها عنها فلما دخل عليها الملك ورآها على تلك الحالة ووجد عند رأسها شمعة وعند رجليها شمعة تضىء على ما بين فخذيها حيل بينه وبين عقله ووسوس له الشيطان فما تمالك نفسه حتى قلع سراويله ووقع عليها وأزال بكارتها وقام من فوقها ودخل الى جارية من جواريها يقال لها مرجانة وقال لها ادخلى على سيدتك كليها فدخلت الجارية على سيدتها فوجدت دمها يجرى على سيقانها وهى ملقاة على ظهرها فمدت يدها الى منديل من مناديلها وأصلحت به شأن سيدتها ومسحت عنها ذلك الدم فلما أصبح الصباح تقدمت الجارية مرجانة وغسلت وجه سيدتها ويديها ورجليها ثم جاءت بماء الورد وغسلت به وجهها وفمها فعند ذلك عطست الملكة ابريزة وتقايت ذلك البنج فنزلت القطعة البنج من باطنها كالقرص ثم انها غسلت فمها ويديها وقالت لمرجانة أعلمينى بما كان من أمرى فأخبرتها أنها رأتها ملقاة على ظهرها ودماها سائل على فخذيها فعرفت أن الملك عمر النعمان قد وقع بها وواصلها وتمت حيلته عليها فاغتمت لذلك غما شديدا وحجبت نفسها وقالت لجواريها امنعوا كل من أراد أن يدخل على وقولوا له انها ضعيفة حتى أنظر ماذا يفعل الله بى فعند ذلك وصل الخبر الى الملك عمر النعمان بأن الملكة ابريزة ضعيفة فصار يرسل اليها الاشربة والسكر والمعاجين وأقامت على ذلك شهورا وهى محجوبة ثم ان الملك قد بردت ناره وانطفأ شوقه اليها وصبر عنها وكانت قد علقت منه فلما مرت عليها أشهر وظهر الحمل وكبرت بطنها ضاقت بها الدنيا فقالت لجاريتها مرجانة اعلمى أن القوم ما ظلمونى وانما أنا الجانية على نفسى حيث فارقت أبى وأمى ومملكتى وأنا قد كرهت الحياة وضعفت همتى ولم يبق عندى من الهمة ولا من القوة شئ وكنت اذا ركبت جوادى أقدر عليه وأنا الآن لا أقدر على الركوب ومتى ولدت عندهم صرت معيرة عند جوارى وكل من فى القصر يعلم أنه أزال بكارتى سفاحا واذا رجعت لابى بأى وجه ألقاه وبأى وجه أرجع اليه وما أحسن قول الشاعر

بم التعلل لا أهل ولا وطن * ولا نديم ولا كأس ولا سكن

فقالت لها مرجانة الامر أمرك وأنا فى طوعك فقالت أريد اليوم أن أخرج سرا بحيث لا يعلم بى أحد غيرك وأسافر الى أبى وأمى فان اللحم اذا أنتن ماله الا أهله والله يفعل بى ما يريد فقالت

لها نعم ما تفعلين أيتها الملكة ثم انها جهزت أحوالها وكتمت سرها وصبرت أياما حتى خرج الملك للصيد والقنص وخرج ولده شركان الى القلاع ليقيم بها مدة من الزمان فأقبلت ابريزة على جاريتها مرجانة وقالت لها أريد أن أسافر فى هذه الليلة ولكن كيف أصنع فى المقادير وقد قرب أوان الطلق والولادة وان قعدت خمسة أيام أو أربعة وضعت هنا ولم أقدر أن أروح بلادى وهذا ما كان مكتوبا على جبينى ومقدرا على فى الغيب ثم تفكرت ساعة وبعد ذلك قالت لمرجانة انظرى لنا رجلا يسافر معنا ويخدمنا فى الطريق فانه ليس لى قوة على حمل السلاح فقالت مرجانة والله ياسيدتى ما أعرف غير عبد أسود اسمه الغضبان وهو من عبيد الملك عمر النعمان وهو شجاع ملازم لباب قصرنا فان الملك أمره أن يخدمنا وقد عمرناه باحساننا فها أنا أخرج اليه وأكلمه فى شأن هذا الامر وأعده بشئ من المال وأقول له اذا أردت المقام عندنا أزوجك بمن شئت وكان قد ذكر لى قبل اليوم أنه كان يقطع الطريق فان هو وافقنا بلغنا مرادنا ووصلنا الى بلادنا فقالت لها ها تيه عندى حتى أحدثه فخرجت له مرجانة وقالت له ياغضبان قد أسعدك الله ان قبلت من سيدتك ما تقوله لك من الكلام ثم أخذت يده وأقبلت به على سيدتها فلما رآها قبل يديها فحين رأته نفر قلبها منه لكنها قالت فى نفسها ان الضرورة لها أحكام وأقبلت عليه تحدثه وقلبها نافر منه وقالت له ياغضبان هل فيك مساعدة لنا على غدرات الزمان واذا أظهرتك على أمرى تكون كاتما له فلما نظر العبد اليها ورأى حسنها ملكت قلبه وعشقها الوقته وقال لها ياسيدتى ان أمرتنى بشئ لا أخرج عنه فقالت له أريد منك فى هذه الساعة أن تأخذنى وتأخذ جاريتى هذه وتشد لنا راحلتين وفرسين من خيل الملك وتضع على كل فرس خرجا من المال وشيأ من الزاد وترحل معنا الى بلادنا وان أقمت عندنا زوجناك من تختارها من جوارى وان طلبت الرجوع الى بلادك أعطيناك ما تحب ثم ترجع الى بلادك بعد أن تأخذ ما يكفيك من المال فلما سمع الغضبان ذلك الكلام فرح فرحا شديدا وقال ياسيدتى انى أخدمكما بعيونى وأمضى معكما وأشد لكما الخيل ثم مضى وهو فرحان وقال فى نفسه قد بلغت ما أريد منهما وان لم تطاوعانى قتلتهما وأخذت ما معهما من المال وأضمر ذلك فى سره ثم مضى وعاد ومعه راحلتان وثلاث من الخيل وهو راكب احداهن وأقبل على الملكة ابريزة وقدم اليها فرسا فركبتها وهى متوجعة من الطلق ولا تملك نفسها من كثرة الوجع وركبت مرجانة فرسا ثم سافروا بهما ليلا ونهارا حتى وصلوا بين الجبال وبقى بينها وبين بلادها يوم واحد فجاءها الطلق فلما قدرت أن تمسك نفسها على الفرس فقالت للغضبان أنزلنى فقد لحقنى الطلق وقالت لمرجانة انزلى واقعدى تحتى وولدينى فعند ذلك نزلت مرجانة من فوق فرسها ونزل الغضبان من فوق فرسه وشد لجام الفرسين ونزلت الملكة ابريزة من فوق فرسها وهى غائبة عن الدنيا من شدة الطلق وحين رآها الغضبان نزلت على الارض وقف الشيطان فى وجهه فشهر حسامه فى وجهها وقال ياسيدتى ارحمينى يوصلك فلما سمعت مقالته التفتت اليه وقالت له مابقى على الا العبيد السود بعد ما كنت لا أرضى بالملوك الصناديد * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والخمسون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملكة ابريزة لما قالت

للعبد

للعبد الذى هو الغضبان مابقى على الا العبيد السود ثم صارت تبكته وأظهرت له الغيظ وقالت له ويلك ماهذا الكلام الذى تقوله لى فلا تتكلم بشئ من هذا فى حضرتى واعلم أننى لا أرضى بشئ مما قلته ولو سقيت كأس الردى ولكن اصبر حتى أصلح الجنين وأصلح شأنى وأرمى الخلاص ثم بعد ذلك ان قدرت على فافعل بى ماتريد وان لم تترك فاحش الكلام فى هذا الوقت فانى أقتل نفسى بيدى وأفارق الدنيا وأرتاح من هذا كله ثم أنشدت هذه الابيات

أيا غضبان دعنى قد كفانى * مكايدة الحوادث والزمان
عن الفحشاء ربى قد نهانى * وقال النار مثوى من عصانى
وانى لا أميل لفعل سوء * بعين النقص دعنى لا ترانى
ولو لم تترك الفحشاء عنى * وترعى حرمتى فيمن رعانى
لأصرخ طاقتى لرجال قومى * وأجلب كل قاصيها ودانى
ولو قطعت بالسيف اليمانى * لما خليت فحاشا يرانى
من الاحرار والكبراء طرا * فكيف العبد من نسل الزوانى

فلما سمع الغضبان ذلك الشعر غضب غضبا شديدا واحمرت مقلته واغبرت سحنته وانتفخت مناخره واستدلت مشافره وزادت به النفرات وأنشد هذه الأبيات

أيا ابريزة لا تتركينى * قتيل هوالث باللحظ اليمانى
فقلبى قد تقطع من جفاكى * وجسمى ناحل والصبر فانى
ولفظك قد سبى الألباب سحرا * فعقلى نازح والشوق دانى
ولو أجلبت ملء الأرض جيشا * لا بلغ مأربى فى ذا الزمان

فلما سمعت ابريزة كلامه بكت بكاء شديدا وقالت له ويلك ياغضبان وهل بلغ من قدرك أن تخاطبنى بهذا الخطاب ياولد الزنا وتربية الخنا أتحسب أن الناس كلهم سواء فلما سمع ذلك العبد النحس هذا الكلام غضب منها غضبا شديدا وتقدم اليها وضربها بالسيف فقتلها وساق جوادها قدامه بعد أن أخذ المال وفر بنفسه آبقا فى الجبال هذا ما كان من أمر الغضبان وأما ما كان من أمر الملكة ابريزة فانها صارت طريحة على الارض وكان الولد الذى ولدته ذكرا فحملته مرجانة فى حجرها وصرخت صرخة عظيمة وشقت أثوابها وصارت تحثو التراب على رأسها وتلطم على خدها حتى طلع الدم من وجهها وقالت واخيبتاه كيف قتل سيدتى عبد أسود لا قيمة له بعد فروسيتها فبينما هى تبكى واذا هى بغبار قد ثار حتى سد الاقطار ولما انكشف ذلك الغبار بان من تحته عسكر جرار وكانت تلك العساكر عساكر ملك الروم والد الملكة ابريزة وسبب ذلك أنه لما سمع أن ابنته هربت هى وجواريها الى بغداد وانها عند الملك عمر النعمان خرج بمن معه يتشمم الاخبار من بعض المسافرين ان كانوا رأوها عند الملك عمر النعمان فخرج بمن معه ليسأل المسافرين من أين أتوا لعله يعلم بخبر بنته وكان رأى على بعد هؤلاء الثلاثة ابنته والعبد الغضبان وجاريتها مرجانة فقصدهم ليسألهم فلما قصدهم خاف العبد على نفسه فقتلها ونجا بنفسه فلما أقبلوا عليها رآها أبوها مرمية على الارض وجاريتها تبكى عليها فرمى نفسه من فوق جواده ووقع فى الارض مغشيا عليه فترجل كل من كان معه

من الفرسان والامراء والوزراء وضربوا الخيام فى الجبال ونصبوا قبة للملك خردوب ووقف
أرباب الدولة خارج تلك القبة فلما رأت مرجانة سيدها عرفته وزادت فى البكاء والنحيب فلما
أفاق الملك من غشيته سألها عن الخبر فاخبرته بالقصة وقالت له ان الذى قتل ابنتك عبد أسود
من عبيد الملك عمر النعمان وأخبرته بما فعله الملك عمر النعمان بابنته فلما سمع الملك خردوب
ذلك الكلام اسودت الدنيا فى وجهه وبكى بكاء شديدا ثم أمر باحضار محفة وحمل ابنته فيها
ومضى الى قيسارية وأدخلوها القصر ثم ان الملك خردوب دخل على أمه ذات الدواهى وقال لها
أهكذا تفعل المسلمون ببنتى فان الملك عمر النعمان أزال بكارتها قهرا وبعد ذلك قتلها عبد
أسود من عبيده فوحق المسيح لا بد من أخذ ثار بنتى منه وكشف العار عن عرضى والا قتلت
نفسى بيدى ثم بكى بكاء شديدا فقالت له أمه ذات الدواهى ما قتل ابنتك الا مرجانة لانها
كانت تسكرها فى الباطن ثم قالت لولدها لا تحزن من جهة أخذ ثارها فوحق المسيح لا ارجع
عن الملك عمر النعمان حتى أقتله وأقتل أولاده ولا أعملن معه عملا تعجز عنه الدهاة والابطال
و يتحدث به المتحدثون فى جميع الاقطار ولكن ينبغى لك أن تمتثل أمرى فى كل ما أقوله وأنت
تبلغ ما تريد فقال لها وحق المسيح لا أخالف لك أبدا فيما تقولينه قالت له ائتنى بجوارى نهد أبكار
وائتنى بحكماء الزمان وأجزل لهم العطايا وأمرهم أن يعلموا الجوارى الحكمة والادب وخطاب
الملوك ومنادمتهم والاشعار وأن يتكلموا بالحكمة والمواعظ ويكون الحكماء مسلمين لاجل
أن يعلموهن أخبار العرب وتواريخ الخلفاء وأخبار من سلف من ملوك الاسلام ولو أقمنا على
ذلك عشرة أعوام وطول روحك واصبر فان بعض الاعراب يقول ان أخذ الثار بعد أربعين
عاما مدته قليلة ونحن اذا علمنا تلك الجوارى بلغنا من عدونا ما نختار لانه ممتحن بحب الجوارى
وعنده ثلثمائة جارية وست وستون جارية وازددن مائة جارية من خواص جواريك التى
كن مع المرحومة فاذا تعلم الجوارى ما أخبرتك به من العلوم فانى آخذهم بعد ذلك وأسافر بهم
فلما سمع الملك خردوب كلام امه ذات الدواهى فرح فرحا شديدا وقبل رأسها ثم أرسل من وقته
وساعته المسافرين والقصاد الى أطراف البلاد ليأتوا اليه بالحكماء من المسلمين فامتثلوا أمره
وسافروا الى بلاد بعيدة وأتوه بما طلبه من الحكماء والعلماء فلما حضروا بين يديه أكرمهم غاية
الاكرام وخلع عليهم الخلع ورتب لهم الرواتب والجرايات ووعدهم بالمال الجزيل اذا فعلوا
ما أمرهم به ثم أحضر لهم الجوارى * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح
(فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن العلماء والحكماء
لما حضروا عند الملك خردوب أكرمهم اكراما زائدا وأحضر الجوارى بين أيديهم وأوصاهم أن
يعلموهن الحكمة والادب فامتثلوا أمره هذا ما كان من أمر الملك خردوب وأما ما كان من أمر
الملك عمر النعمان فانه لما عاد من الصيد والقنص وطلع القصر طلب الملكة ابريزة فلم يجدها ولم
يخبره أحد عنها فعظم عليه ذلك وقال كيف تخرج هذه الجارية من القصر ولم يعلم بها أحد فان
كانت مملكتى على هذا الامر فانها ضائعة المصلحة ولا ضابط لها فما بقيت أخرج الى الصيد
والقنص حتى أرسل الى الابواب من يتوكل بها واشتد حزنه وضاق صدره لفراق الملكة ابريزة
فبينما هو كذلك واذا بولده شركان قد أتى من سفره فأعلمه والده بذلك وأخبره أنها هربت

وهو

وهو فى الصيد والقنص فاغتم شركان لذلك غما شديدا ثم ان الملك صار يتفقد أولاده كل يوم
و يكرمهم وكان قد أحضر العلماء والحكماء ليعلموهم العلم ورتب لهم الرواتب فلما رأى
شركان ذلك الامر غضب غضبا شديدا وحسد اخوته على ذلك الى أن ظهر أثر الغيظ
فى وجهه ولم يزل متمرضا بسبب هذا الامر فقال له والده يوما من الايام مالى أراك تزداد ضعفا
فى جسمك واصفرارا فى لونك فقال له شركان ياوالدى كلما رأيتك تقرب اخوتى وتحسن اليهم
يحصل عندى حسد وأخاف أن يزيد بى الحسد فاقتلهم وتقتلنى أنت بسببهم اذا أنا قتلتهم فمرض
جسمى وتغير لونى بسبب ذلك ولكن أنا أشتهى من احسانك أن تعطينى قلعة من القلاع حتى
أقيم بها بقية عمرى فان صاحب المثل يقول بعدى عن حبيبى أجمل لى وأحسن عين لا تنظر
وقلب لا يحزن ثم أطرق برأسه الى الارض فلما سمع الملك النعمان كلامه عرف سبب ماهو فيه
من التقصير فأخذ بخاطره وقال له ياولدى انى أجيبك الى ماتريد وليس فى ملكى أكبر من قلعة
دمشق فقد ملكتها من هذا الوقت ثم أحضر الموقعين فى الوقت والساعة وأمرهم بكتابة تقليد
ولده شركان ولاية دمشق الشام فكتبوا له ذلك وجهزوه وأخذ الوزير دندان معه وأوصاه
بالمملكة والسياسة وقلده أموره ثم ودعه والده وودعته الامراء وأكابر الدولة وسار
بالعسكر حتى وصل الى دمشق فلما وصل اليها دق له أهلها الكاسات وصاحوا بالبوقات وزينوا
المدينة وقابلوه بموكب عظيم سار فيه أهل الميمنة ميمنة وأهل الميسرة ميسرة هذا ما كان من أمر
شركان وأما ما كان من أمر والده عمر النعمان فانه بعد سفر ولده شركان أقبل عليه الحكماء
وقالوا له يامولانا ان أولادك تعلموا العلم والحكمة والادب فعند ذلك فرح الملك عمر النعمان
فرحا شديدا وأنعم على جميع الحكماء حيث رأى ضوء المكان كبر وترعرع وركب الخيل وصار
له من العمر أربع عشرة سنة وطلع مشتغلا بالدين والعبادة محبا للفقراء وأهل العلم والقرآن
وصار أهل بغداد يحبونه نساء ورجالا الى أن طاف ببغداد محمل العراق من أجل الحج وزيارة
قبر النبى صلى الله عليه وسلم فلما رأى ضوء المكان موكب المحمل اشتاق الى الحج فدخل على
والده وقال له انى أتيت اليك لاستأذنك فى أن أحج فمنعه من ذلك وقال له اصبر الى العام القابل
وأنا أتوجه الى الحج وآخذك معى فلما رأى الامر يطول عليه دخل على أخته نزهة الزمان
فوجدها قائمة تصلى فلما قضت الصلاة قال لها انى قد قتلنى الشوق الى حج بيت الله الحرام
وزيارة قبر النبى عليه الصلاة والسلام واستأذنت والدى فمنعنى من ذلك فالمقصود أن آخذ
شيأ من المال وأخرج الى الحج سرا ولا أعلم أبى بذلك فقالت له أختته بالله عليك أن تأخذنى
معك ولا تحرمنى من زيارة النبى صلى الله عليه وسلم فقال لها اذا جن الظلام فاخرجى من هذا
المكان ولا تعلمى أحدا بذلك فلما كان نصف الليل قامت نزهة الزمان وأخذت شيأ من المال
ولبست لباس الرجال وكانت قد بلغت من العمر مثل عمر ضوء المكان ومشت متوجهة الى
باب القصر فوجدت أخاها ضوء المكان قد جهز الجمال فركب وأركبها وسارا ليلا واختلطا
بالحجيج ومشيا الى أن صارا فى وسط الحج العراقى ومازالا سائرين وكتب الله لهما السلامة
حتى دخلا مكة المشرفة ووقفا بعرفات وقضيا مناسك الحج ثم توجها الى زيارة النبى صلى الله
عليه وسلم فزاراه وبعد ذلك أرادا الرجوع مع الحجاج الى بلادهما فقال ضوء المكان لاخته

يا أختي أريد أن أزور بيت المقدس والخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام فقالت له وأنا كذلك واتفقا على ذلك ثم خرج واكترى له ولها مع المقادسة وجهزا حالهما وتوجها مع الركب فحصل لاخته في تلك الليلة حمى باردة فتشوشت ثم شفيت وتشوش الآخر فصارت تلاطفه في ضعفه ولم يزالا سائرين الى أن دخلا بيت المقدس واشتد المرض على ضوء المكان ثم انهما نزلا في خان هناك واكتريا لهما فيه حجرة واستقرا فيها ولم يزل المرض يتزايد على ضوء المكان حتى أنحله وغاب عن الدنيا فاغتمت لذلك أخته نزهة الزمان وقالت لا حول ولا قوة الا بالله هذا حكم الله ثم انها قعدت هي وأخوها في ذلك المكان وقد زاد به الضعف وهي تخدمه وتشفق عليه وعلى نفسها حتى فرغ ما معهما من المال وافتقرت ولم يبق معها ولا درهم فأرسلت صبي الخان الى السوق بشيء من قماشها فباعه وأنفقته على أخيها ثم باعت شيأ آخر ولم تزل تبيع من أمتعتها شيأ فشيأ حتى لم يبق لها غير حصير مقطعة فبكت وقالت لله الامر من قبل ومن بعد ثم قال لها أخوها يا أختي اني قد أحسست بالعافية وفي خاطري شيء من اللحم المشوي فقالت له أختاه والله يا أخي اني مالي وجه للسؤال ولكن غدا أدخل بيت أحد من الاكابر وأخدم وأعمل بشيء تنفقان به أنا وأنت ثم تفكرت ساعة وقالت اني لا يهون علي فراقك وأنت في هذه الحالة ولكن لا بد من طلب المعاش قهراً عني فقال لها أخوها أبعد العز تصبحين ذليلة فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم بكى وبكت وقالت له يا أخي نحن غرباء وقد أقمنا هنا سنة كاملة مادق علينا الباب أحد فهل نموت من الجوع فليس عندي من الرأي الا أني أخرج وأخدم وآتيك بشيء تنفقان به الى أن تبرأ من مرضك ثم نسافر الى بلادنا ومكثت تبكي ساعة ثم بعد ذلك قامت نزهة الزمان وغطت رأسها بقطعة عباءة من ثياب الجماليين كان صاحبها نسيها عندهما وقبلت رأس أخيها واعتنقته وخرجت من عنده وهي تبكي ولم تعلم أين تمضي ومازال أخوها ينتظرها الى أن قرب وقت العشاء ولم تأت فمكث بعد ذلك وهو ينتظرها الى أن طلع النهار فلم تعد اليه ولم يزل على هذه الحالة يومين فعظم ذلك عنده وارتجف قلبه عليها واشتد الجوع فخرج من الحجرة وصاح على صبي الخان وقال له أريد أن تحملني الى السوق فحمله وألقاه في السوق فاجتمع عليه أهل القدس وبكوا عليه لما رأوه على تلك الحالة فأشار اليهم يطلب شيء يأكله فجاؤا له من بعض التجار الذين في السوق ببعض دراهم واشتروا له شيأ وأطعموه اياه ثم حملوه ووضعوه على دكان وفرشوا له قطعة برش ووضعوا عند رأسه ابريقا فلما أقبل الليل انصرف عنه كل الناس وهم حاملون همه فلما كان نصف الليل تذكر أخته فازداد به الضعف وامتنع من الاكل والشرب وغاب عن الوجود فقام أهل السوق وأخذوا له من التجار ثلاثين درهما واكتروا له جملا وقالوا للجمال احمل هذا وأوصله الى دمشق وأدخله المارستان لعله أن يبرأ فقال لهم على الرأس ثم قال في نفسه كيف أمضي بهذا المريض وهو مشرف على الموت ثم خرج به الى مكان واختفى به الى الليل ثم ألقاه على مزبلة مستورة وقد حمام ثم مضى الى حال سبيله فلما أصبح الصباح طلع وقاد الحمام الى شغله فوجده ملقى على ظهره فقال في نفسه لاي شيء مايرمون هذا الميت الا هنا ورفصه برجله فتحرك فقال له الوقاد الواحد منكم يأكل قطعة حشيش ويرمي نفسه في أي موضع كان ثم نظر وجهه فرآه لانبات بعارضيه وهو

ذو

ذو بهاء وجمال فأخذته الرأفة عليه وعرف أنه مريض وغريب فقال لا حول ولا قوة الا بالله
انى دخلت فى خطيئة هذا الصبى وقد أوصى النبى صلى الله عليه وسلم باكرام الغريب لاسيما
اذا كان الغريب مريضا ثم حمله وأتى به الى منزله ودخل به على زوجته وأمرها أن تخدمه
وتفرش له بساطا ففرشت له وجعلت تحت رأسه وسادة وسخنت له ماء وغسلت له به يديه
ورجليه ووجهه وخرج الوقاد الى السوق وأتى له بشئ من ماء الورد والسكر ورش ماء الورد
على وجهه وسقاه السكر وأخرج له قميصا نظيفا وألبسه اياه فشم نسيم الصحة وتوجهت اليه
العافية واتكأ على المخدة ففرح الوقاد بذلك وقال الحمد لله على عافية هذا الصبى اللهم انى
أسألك بسرك المكنون أن تجعل سلامة هذا الشاب على يدى * وأدرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوقاد قال اللهم انى
أسألك بسرك المكنون أن تجعل سلامة هذا الصبى على يدى ومازال الوقاد يتعهده ثلاثة
أيام وهو يسقيه السكر وماء الخلاف وماء الورد ويتعطف عليه ويتلطف به حتى سرت الصحة
فى جسمه وفتح عينه فاتفق أن الوقاد دخل عليه فرآه جالسا وعليه آثار العافية فقال له ما حالك
ياولدى فى هذا الوقت فقال ضوء المكان بخير وعافية فحمد الوقاد ربه وشكره ثم نهض الى
السوق واشترى له عشر دجاجات وأتى زوجته وقال لها اذبحى له فى كل يوم اثنتين واحدة فى
أول النهار وواحدة فى آخر النهار فقامت وذبحت له دجاجة وسلقتها وأتت بها اليه وأطعمته
اياها وأسقته مرقتها فلما فرغ من الاكل قدمت له ماء مسخنا ففسل يديه واتكأ على الوسادة
وغطته بملاءة فنام الى العصر ثم قامت وسلقت دجاجة أخرى وأتته بها وفسختها وقالت له كل
ياولدى فبينما هو يأكل واذا بزوجها قد دخل فوجدها تطعمه فجلس عند رأسه وقال ما حالك
ياولدى فى هذا الوقت فقال له الحمد لله على العافية جزاك الله عنى خيرا ففرح الوقاد بذلك ثم انه
خرج وأتى بشراب البنفسج وماء الورد وسقاه وكان ذلك الوقاد يعمل فى الحمام كل يوم بخمسة
دراهم فيشترى له كل يوم بدرهم سكرا وماء ورد وشراب بنفسج ويشترى له بدرهم فراريج وما
زال يلاطفه الى أن مضى عليه شهر من الزمان حتى زالت عنه آثار المرض وتوجهت اليه
العافية ففرح الوقاد هو وزوجته بعافية ضوء المكان وقال ياولدى هل لك أن تدخل معى الحمام
قال نعم فمضى الى السوق وأتى له بحمارى وأركبه حمارا وجعل يسنده الى أن وصل الى الحمام
ثم دخل معه الحمام وأجلسه فى داخله ومضى الى السوق واشترى له سدرا ودقاقا وقال لضوء
المكان ياسيدى بسم الله أغسل لك جسدك وأخذ الوقاد يحك لضوء المكان رجليه وشرع
يغسل له جسده بالسدر والدقاق واذا ببلان قد أرسله معلم الحمام الى ضوء المكان فوجد الوقاد
يحك رجليه فتقدم اليه البلان وقال له هذا نقص فى حق المعلم فقال الوقاد والله ان المعلم عمرنا
باحسانه فشرع البلان يحلق رأس ضوء المكان ثم اغتسل هو والوقاد وبعد ذلك رجع به الوقاد
الى منزله وألبسه قميصا رفيعا وثوبا من ثيابه وعمامة لطيفة وأعطاه حزاما وكانت زوجة الوقاد
قد ذبحت دجاجتين وطبختهما فلما طلع ضوء المكان وجلس على الفراش قام الوقاد وأذاب له
السكر فى ماء الورد وسقاه ثم قدم له السفرة وصار الوقاد يفسخ له من ذلك الدجاج ويطعمه

ويسقيه من المسلوقة الى أن اكتفى وغسل يديه وحمد الله تعالى على العافية ثم قال للوقاد أنت الذى من الله على بك وجعل سلامتى على يديك فقال له الوقاد دع عنك هذا الكلام وقل لنا ماسبب مجيئك الى هذه المدينة ومن أين أنت فانى أرى على وجهك آثار النعمة فقال له ضوء المكان قل لى أنت كيف وقعت بى حتى أخبرك بحديثى فقال الوقاد أما أنا فانى وجدتك مرميا على القمامة فى المستوقد حين لاح الفجر لما توجهت الى أشغالى ولم أعرف من رماك فأخذتك عندى وهذه حكايتى فقال ضوء المكان سبحان من يحيى العظام وهى رميم انك ياأخى مافعلت الجميل الامع أهله وسوف تجنى ثمرة ذلك ثم قال للوقاد وأنا الآن فى أى البلاد فقال له الوقاد أنت فى مدينة القدس فعند ذلك تذكر ضوء المكان غربته وفراق أخته وبكى حيث باح بسره الى الوقاد وحكى له حكايته ثم أنشد هذه الابيات

لقد حملونى فى الهوى غير طاقتى * ومن أجلهم قامت على قيامتى
ألا فارقوا ياهاجرون بهجرتى * فقد رق لى من بعدكم كل شامت
ولا تمنعوا أن تسمحوا الى بنظرة * تخفف أحوالى وفرط صبابتى
سألت فؤادى الصبر عنكم فقال لى * اليك فان الصبر من غير عادتى

ثم زاد فى بكائه فقال له الوقاد لا تبك واحمد الله على السلامة والعافية فقال ضوء المكان كم بيننا وبين دمشق فقال ستة أيام فقال ضوء المكان هل لك أن ترسلنى اليها فقال له الوقاد ياسيدى كيف أدعك تروح وحدك وأنت شاب صغير فان شئت السفر الى دمشق فأنا الذى أروح معك وان أطاعتنى زوجتى وسافرت معى أقمت هنالك فانه لا يهون على فراقك ثم قال الوقاد لزوجته هل لك أن تسافرى معى الى دمشق الشام أو تكونى مقيمة هنا حتى أوصل سيدى هذا الى دمشق الشام وأعود اليك فانه يطلب السفر اليها فانى والله لا يهون على فراقه وأخاف عليه من قطاع الطريق فقالت له زوجته أسافر معكما فقال الوقاد الحمد لله على الموافقة ثم ان الوقاد قام وباع أمتعته وأمتعة زوجته * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوقاد اتفق هو وزوجته على السفر مع ضوء المكان وعلى أنهما يمضيان معه الى دمشق ثم ان الوقاد باع أمتعته وأمتعة زوجته ثم اكترى حمارا وأركب ضوء المكان اياه وسافروا ولم يزالوا مسافرين ستة أيام الى أن دخلوا دمشق فنزلوا هنالك فى آخر النهار وذهب الوقاد واشترى شيأ من الاكل والشرب على العادة ومازالوا على ذلك الحال خمسة أيام وبعد ذلك مرضت زوجة الوقاد أياما قلائل وانتقلت الى رحمة الله تعالى فعظم ذلك على ضوء المكان لانه كان قد اعتاد عليها وكانت تخدمه وحزن عليها الوقاد حزنا شديدا فالتفت ضوء المكان الى الوقاد فوجده حزينا فقال له لا تحزن فاننا كنا داخلون فى هذا الباب فالتفت الوقاد الى ضوء المكان وقال له جزاك الله خيرا ياولدى فالله تعالى يعوض علينا بفضله ويزيل عنا الحزن فهل لك ياولدى أن تخرج بنا وتتفرج فى دمشق لينشرح خاطرك فقال له ضوء المكان الرأى رأيك فقام الوقاد ووضع يده فى يد ضوء المكان وسارا الى أن أتيا تحت اصطبل والى دمشق فوجدا جملا محملة صناديق وفرشا وقماشا

من

من الدماج وغيره وجنائب مسرجة وبخاتى وعبيدا ومماليك والناس فى هرج ومرج فقال ضوء المكان ياترى لمن تكون هؤلاء المماليك والجمال والاقمشة وسأل بعض الخدم عن ذلك فقال له المسؤل هذه هدية من أمير دمشق يريد ارسالها الى الملك عمر النعمان مع خراج الشام فلما سمع ضوء المكان هذا الكلام تغرغرت عيناه بالدموع وأنشد يقول

ان شكونا البعاد ماذا نقول * أو تلفنا شوقا فكيف السبيل
أو رأينا رسلا تترجم عنا * ما يؤدى شكوى المحب رسول
أو صبرنا لنا من الصبر عندى * بعد فقد الاحباب الا قليل

وقال أيضا رحلوا غائبين عن جفن عينى * وهم فى الفؤاد منى حلول
غاب عنى جمالهم فحياتى * ليس تحلو ولا اشتياقى يحول
ان قضى الله باجتماعى عليكم * أذكر الوجد فى حديث يطول

فلما فرغ من شعره بكى فقال له الوقاد يا ولدى نحن ما صدقنا أنك جاء تك العافية فطب نفسا ولا تبك فانى أخاف عليك من النكسة ومازال يلاطفه ويمازجه وضوء المكان يتنهد ويتحسر على غربته وعلى فراقه لاخته ومملكته ويرسل العبرات ثم أنشد هذه الابيات

تزود من الدنيا فانك راحل * وأيقن بأن الموت لاشك نازل
نعيمك فى الدنيا غرور وحسرة * وعيشك فى الدنيا محال وباطل
ألا انما الدنيا كمنزل راكب * أناخ عشيا وهو فى الصبح راحل

ثم ان ضوء المكان جعل يبكى وينتحب على غربته وكذلك الوقاد صار يبكى على فراق زوجته ولكنه مازال يتلطف بضوء المكان الى أن أصبح الصباح فلما طلعت الشمس قال له الوقاد كأنك تذكرت بلادك فقال له ضوء المكان نعم ولا أستطيع أن أقيم هنا وأستودعك الله فانى مسافر مع هؤلاء القوم وأمشى معهم قليلا قليلا حتى أصل الى بلادى فقال له الوقاد وأنا معك فانى لا أقدر أن أفارقك فانى عملت معك حسنة وأريد أن أتممها بخدمتى لك فقال له ضوء المكان جزاك الله عنى خيرا وفرح ضوء المكان بسفر الوقاد معه ثم ان الوقاد خرج من ساعته واشترى حمارا وهيأ زادا وقال لضوء المكان اركب هذا الحمار فى السفر فاذا تعبت من الركوب فانزل وامش فقال له ضوء المكان بارك الله فيك وأعانني على مكافأتك فانك فعلت معى من الخير مالا يفعله أحد مع أخيه ثم صبرا الى أن جن الظلام فحملا زادهما وأمتعتهما على ذلك الحمار وسافرا هذا ما كان من أمر ضوء المكان والوقاد وأما ما كان من أمر أخته نزهة الزمان فانها لما فارقت أخاها ضوء المكان خرجت من الخان الذى كانا فيه فى القدس بعد أن التفت بالعباءة لاجل أن تخدم أحدا وتشترى لاخيها ما اشتهاه من اللحم المشوى وصارت تبكى فى الطريق وهى لا تعرف أين تتوجه وصار خاطرها مشغولا بأخيها وقلبها متفكرا فى الاهل والاوطان فصارت تتضرع الى الله تعالى فى دفع هذه البليات وأنشدت هذه الابيات

جن الظلام وهاج الوجد بالسقم * والشوق حرك لى ما عندى من الالم
ولوعة البين فى الاحشاء قد سكنت * والوجد صيرنى فى حالة العدم
والحزن أقلقنى والشوق أحرقنى * والدمع باح بحب أى مكتتم

وليس لى حيلة فى الوصل أعرفها * حتى تزحزح ماعندى من الغمم
فنار قلبى بالاشواق موقدة * ومن لظاها يظل الصب فى نقم
يامن يلوم على ماحل بى وجرى * انى صبرت على ماخط بالقلم
أقسمت بالحب مالى سلوة أبدا * يمين أهل الهوى مبرورة القسم
ياليل بلغ رواة الحب عن خبرى * واشهد بعلمك أنى فيك لم أنم

ثم ان نزهة الزمان أخت ضوء المكان صارت تمشى وتلتفت يمينا ويسارا واذا بشيخ مسافر من البدو ومعه خمسة نفر من العرب قد التفت الى نزهة الزمان فرآها جميلة وعلى رأسها عباءة مقطعة فتعجب من حسنها وقال فى نفسه ان هذه جميلة ولكنها ذات قشف فان كانت من أهل هذه المدينة أو كانت غريبة فلا بد لى منها ثم انه تبعها قليلا قليلا حتى تعرض لها فى الطريق فى مكان ضيق وناداها ليسألها عن حالها وقال لها يا بنية هل أنت حرة أو مملوكة فلما سمعت كلامه نظرت اليه وقالت له بحياتك لا تجدد على الاحزان فقال لها انى رزقت ست بنات مات لى منهن خمسة وبقيت واحدة وهى أصغرهن وأتيت اليك لأسألك هل أنت من أهل هذه المدينة أو غريبة لاجل أن آخذك وأجعلك عندها لتؤانسها فتشتغل بك عن الحزن على أخواتها فان لم يكن لك أحد جعلتك مثل واحدة منهن وتصيرين مثل أولادى فلما سمعت نزهة الزمان كلامه قالت فى سرها عسى أن آمن على نفسى عند هذا الشيخ ثم أطرقت برأسها من الحياء وقالت يا عم أنا بنت غريبة ولى أخ ضعيف فأنا أمضى معك الى بيتك بشرط أن أكون عندها بالنهار وبالليل أمضى الى أخى فان قبلت هذا الشرط مضيت معك لانى غريبة وكنت عزيزة فأصبحت ذليلة حقيرة وجئت أنا وأخى من بلاد الحجاز وأخاف أن أخى لا يعرف لى مكانا فلما سمع البدوى كلامها قال فى نفسه والله انى فزت بمطلوبى ثم قال لها ما أريدك الا لتؤانسى بنتى نهارا وتمضى الى أخيك ليلا وان شئت فانقليه الى مكاننا ولم يزل البدوى يطيب قلبها ويلين لها الكلام الى أن وافقته على الخدمة ومشى قدامها وتبعته ولم يزل سائرا الى جماعته وكانوا قد هيؤا الجمال ووضعوا عليها الاحمال ووضعوا فوقها الماء والزاد وكان البدوى قاطع الطريق وخائن الرفيق وصاحب مكر وحيل ولم يكن عنده بنت ولا ولد وانما قال ذلك الكلام حيلة على هذه البنت المسكينة لامر قدره الله ثم ان البدوى صار يحدثها فى الطريق الى أن أن خرج من مدينة القدس واجتمع برفقته فوجدهم قد رحلوا الجمال فركب البدوى جملا وأردفها خلفه وساروا معظم الليل فعرفت نزهة الزمان أن كلام البدوى كان حيلة عليها وأنه مكر بها فصارت تبكى وتصرخ وهم فى الطريق قاصدين الجبال خوفا أن يراهم أحد فلما صاروا قريب الفجر نزلوا عن الجمال وتقدم البدوى الى نزهة الزمان وقال لها يا مدنية ما هذا البكاء والله ان لم تتركى البكاء ضربتك الى أن تهلكى يا قطعة حضرية فلما سمعت نزهة الزمان كلامه كرهت الحياة وتمنت الموت فالتفتت اليه وقالت له يا شيخ السوء يا شبيه جهنم كيف استأمنتك وأنت تخوننى وتمكر بى فلما سمع البدوى كلامها قال لها يا قطعة حضرية ألك لسان تجاوبينى به وقام اليها ومعه سوط فضربها وقال ان لم تسكتى قتلتك فسكتت ساعة ثم تفكرت أخاها وما هو فيه من الامراض فبكت سرا وفى ثانى يوم التفتت الى البدوى وقالت له كيف تعمل على

هذه

هذه الحيلة حتى أتيت بى الى هذه الجبال القفرة وما قصدك منى فلما سمع كلامها قسا قلبه وقال لها يا قطعة حضرية ألك لسان تجاوبينى به وأخذ السوط ونزل به على ظهرها الى أن أغشى عليها فانكبت على رجليه وقبلتهما فكف عنها الضرب وصار يشتمها ويقول لها وحق طرطورى ان سمعتك تبكين قطعت لسانك ودسسته فى كسلك يا قطعة حضرية فعند ذلك سكتت ولم ترد جوابا وآلمها الضرب فقعدت على قرافيصها وجعلت رأسها فى طوقها وصارت تتفكر فى حالها وفى حال أخيها وفى ذلها بعد العز وفى مرض أخيها ووحدته واغترابهما وأرسلت دموعها على الوجنات وأنشدت هذه الابيات

من عادة الدهر ادبار واقبال * فما يدوم له بين الورى حال
وكل شئ من الدنيا له أجل * وتنقضى لجميع الناس آجال
كم أحمل الضيم والاهوال يا أسفى * من عيشة كلها ضيم وأهوال
لا أسعد الله أياما عززت بها * دهرا وفى طى ذاك العز اذلال
قد خاب قصدى وآمالى بها انصرمت * وقد تقطع بالتغريب أوصال
يا من يمر على داربها سكنى * بلغه عنى أن الدمع هطال

فلما سمع البدوى شعرها عطف عليها ورثى لها ورحمها وقام اليها ومسح دموعها وأعطاها قرصا من شعير وقال لها أنا لا أحب من يجاوبنى فى وقت الغيظ وأنت بعد ذلك لا تجاوبينى بشئ من هذا الكلام الفاحش وأنا أسعك لرجل جيد مثلى يفعل معك الخير مثل ما فعلت معك قالت نعم ما تفعل ثم انها لما طال عليها الليل وأحرقها الجوع أكلت من ذلك القرص الشعير شيأ يسيرا فلما انتصف الليل أمر البدوى جماعته أن يسافروا * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن البدوى لما أعطى نزهة الزمان القرص الشعير ووعدها أن يبيعها لرجل جيد مثله قالت له نعم ما تفعل فلما انتصف الليل وأحرقها الجوع أكلت من القرص الشعير شيأ يسيرا ثم ان البدوى أمر جماعته أن يسافروا فحملوا الحمال وركب البدوى جملا وأردف نزهة الزمان خلفه وساروا ومازالوا سائرين مدة ثلاثة أيام ثم دخلوا مدينة دمشق ونزلوا فى خان السلطان بجانب باب الملك وقد تغير لون نزهة الزمان من الحزن وتعب السفر فصارت تبكى من أجل ذلك فأقبل عليها البدوى وقال لها يا حضرية وحق طرطورى ان لم تتركى هذا البكاء لا أسعك الا ليهودى ثم انه قام وأخذ سيدها وأدخلها فى مكان وتمشى الى السوق ومر على التجار الذين يتجرون فى الجوارى وصار يكلمهم ثم قال لهم عندى جارية أتيت بها معى وأخوها ضعيف فارسلته الى أهلى فى مدينة القدس لاجل أن يداووه حتى يبرأ وقصدى أن أبيعها ومن يوم ضعف أخوها وهى تبكى وصعب عليها فراقه وأريد أن الذى يشتريها منى يلين لها الكلام ويقول لها ان أخاك عندى فى القدس ضعيف وأنا أوخص له ثمنها فنهض له رجل من التجار وقال له كم عمرها فقال هى بكر بالغة ذات عقل وأدب وفطنة وحسن وجمال ومن حين أرسلت أخاها الى القدس اشتغل قلبها به وتغيرت محاسنها وانهزل سمنها فلما سمع التاجر ذلك تمشى مع البدوى وقال له اعلم يا شيخ العرب

أنى أروح معك وأشترى منك الجارية التى تمدحها وتشكر عقلها وأدبها وحسنها وجمالها
وأعطيك ثمنها وأشرط عليك شروطا ان قبلتها نقدت لك ثمنها وان لم تقبلها رددتها عليك
فقال له البدوى ان شئت فاطلعها الى السلطان واشرط على ما شئت من الشروط فانك اذا
أوصلتها الى الملك شركان ابن الملك عمر النعمان صاحب بغداد وخراسان ربما تليق بعقله
فيعطيك ثمنها ويكثر لك الربح فيها فقال له التاجر وأنا لى عند السلطان حاجة وهو أن
يكتب الى والده عمر النعمان بالوصية على فان قبل الجارية منى وزنت لك ثمنها فى الحال
فقال له البدوى قبلت منك هذا الشرط ثم مشى الاثنان الى أن أقبلا على المكان الذى
فيه نزهة الزمان ووقف البدوى على باب الحجرة وناداها ياناجية وكان سماها بهذا الاسم
فلما سمعته بكت ولم تجبه فالتفت البدوى الى التاجر وقال له هاهى قاعدة دونك فاقبل عليها
وانظرها ولاطفها مثل ما أوصيتك فتقدم التاجر اليها فرآها بديعة فى الحسن والجمال لاسيما
وكانت تعرف بلسان العرب فقال التاجر ان كانت كما وصفت لى فانى أبلغ بها عند السلطان
ما أريد ثم ان التاجر قال لها السلام عليك يابغية كيف حالك فالتفتت اليه وقالت كان ذلك
فى الكتاب مسطورا ونظرت اليه فاذا هو رجل ذو وقار ووجه حسن فقالت فى نفسها أظن أن
هذا جاء يشترينى ثم قالت ان امتنعت منه صرت عند هذا الظالم فيهلكنى من الضرب فعلى كل
حال هذا رجل وجهه حسن وهو أرجى للخير من هذا البدوى الجلف ولعله ماجاء الا ليسمع
منطقى فأنا أجاوبه جوابا حسنا كل ذلك وعينها فى الارض ثم رفعت بصرها اليه وقالت له بكلام
عذب وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ياسيدى بهذا أمرنى النبى صلى الله عليه وسلم وأما سؤالك
عن حالى فان شئت أن تعرفه فلا تثمنه الا لأعدائك ثم سكتت فلما سمع التاجر كلامها طار عقله
فرحا بها والتفت الى البدوى وقال له كم ثمنها فانها جليلة فاغتاظ البدوى وقال له أفسدت على
الجارية بهذا الكلام لاى شئ تقول انها جليلة مع أنها من رعاع الناس فأنا لا أبيعها لك فلما سمع
التاجر كلامه عرف أنه قليل العقل فقال له طب نفسا وقر عينا فأنا أشتريها على هذا العيب
الذى ذكرته فقال البدوى وكم تدفع لى فيها فقال له التاجر مايسمى الولد الا أبوه فاطلب فيها
مقصودك فقال له البدوى مايتكلم الا أنت فقال التاجر فى نفسه ان هذا البدوى جلف يابس
الرأس وأنا لا أعرف لها قيمة الا انها ملكت قلبى بفصاحتها وحسن منظرها وان كانت تكتب
وتقرأ فهذا من تمام النعمة عليها وعلى من يشتريها لكن هذا البدوى لا يعرف لها قيمة ثم
التفت الى البدوى وقال له ياشيخ العرب أدفع لك فيها مائتى دينار سالمة ليدك غير الضمان وقانون
السلطان فلما سمع ذلك البدوى اغتاظ غيظا شديدا وصرخ على التاجر وقال له قم الى حال
سبيلك لو أعطيتنى مائتى دينار فى هذه القطعة العباءة التى عليها ما بعتها لك فأنا لا أبيعها بل
أخليها عندى ترعى الجمال وتطحن الطحين ثم صاح عليها وقال تعالى يامنتنة أنا لا أبيعك ثم
التفت الى التاجر وقال له كنت أحسبك أهل معرفة وحق طرطورى ان لم تذهب عنى لأسمعنك
مالا يرضيك فقال التاجر فى نفسه ان هذا البدوى مجنون ولا يعرف قيمتها ولا أقول له شيأ
فى ثمنها فى هذا الوقت فانه لو كان صاحب عقل ماقال وحق طرطورى والله انها تساوى خزنة من
الجواهر وأنا ما معى ثمنها ولكن ان طلب منى مايريد أعطيته اياه ولو أخذ جميع مالى ثم التفت الى

البدوى

البدوى وقال له ياشيخ العرب طوّل بالك وقل لى مالها من القماش عندك فقال البدوى وما تعمل قطاعة الجوارى هذه بالقماش والله ان هذه العباءة التى هى ملفوفة فيها كثيرة عليها فقال له التاجر عن اذنك أكشف عن وجهها وأقلبها كما يقلب الناس الجوارى لاجل الاشتراء فقال له البدوى دونك وما تريد الله يحفظ شبابك فقلبها ظاهرا وباطنا وان شئت فعرّها الثياب ثم انظرها وهى عريانة فقال التاجر معاذ الله أنا ما أنظر الا وجهها ثم ان التاجر تقدّم اليها وهو خجلان من حسنها وجمالها * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن التاجر تقدّم الى نزهة الزمان وهو خجلان من حسنها وجلس الى جانبها وقال لها ياسيدتى ما اسمك فقالت له تسألنى عن اسمى فى هذا الزمان أو عن اسمى القديم فقال لها هل لك اسم جديد واسم قديم قالت نعم اسمى القديم نزهة الزمان واسمى الجديد غصة الزمان فلما سمع التاجر منها هذا الكلام تغرغرت عيناه بالدموع وقال لها هل لك أخ ضعيف فقالت اى والله ياسيدى ولكن فرّق الزمان بينى وبينه وهو مريض فى بيت المقدس فتحير عقل التاجر من عذوبة منطقها وقال فى نفسه لقد صدق البدوى فى مقالته ثم ان نزهة الزمان تذكرت أخاها ومرضه وغربته وفراقها عنه وهو ضعيف ولا تعلم ما وقع له وتذكرت ما جرى لها من هذا الامر مع البدوى ومن بعدها عن أمها وأبيها ومملكتها فجرت دموعها على خدّها وأرسلت العبرات وأنشدت هذه الابيات

حيثما كنت قد وقاك الهوى * أيها الراحل المقيم بقلبى
ولك الله حيث أمسيت جار * حافظ من صروف دهر وخطب
غبت فاستوحشت لقربك عينى * واستهلت مدامعى أىّ سكب
ليت شعرى بأىّ ربع وأرض * أنت مستوطن بدار وشعب
ان يكن شاربا الماء حياة * خضر الورد فالمدامع شربى
أو شهدت الرقاد يوما بجفنى * من سهادى بين الفراش وجنبى
كل شئ الا فراقك سهل * عند قلبى وغيره غير صعب

فلما سمع التاجر ما قالته من الشعر بكى ومدّ يده ليمسح دموعها عن خدّها فغطت وجهها وقالت له حاشاك ياسيدى ثم ان البدوى قعد ينظر اليها وهى تغطى وجهها من التاجر حيث أراد أن يمسح دمعها عن خدّها فاعتقد أنها تمنعه من التقليب فقام اليها يجرى وكان معه مقود جمل فرفعه فى يده وضربها به على أكتافها فجاءت الضربة بقوّة فانكبت بوجهها على الارض فجاءت حصاة من الارض فى حاجبها فشقته فسال دمها على وجهها فصرخت صرخة عظيمة وغشى عليها وبكت وبكى التاجر معها فقال التاجر لا بدّ أن أشترى هذه الجارية ولو بثقلها ذهبا وأريحها من هذا الظالم وصار التاجر يشتم البدوى وهى فى غشيتها فلما أفاقت مسحت الدموع والدم عن وجهها وعصبت رأسها ورفعت طرفها الى السماء وطلبت من مولاها بقلب حزين وأنشدت هذين البيتين

وارحمتا لعزيزة * بالضيم قد صارت ذليله

تبكى بدمع هاطل * وتقول ما فى الوعد حيله

فلما فرغت من شعرها التفتت الى التاجر وقالت له بصوت خفى بالله لا تدعنى عند هذا الظالم الذى لا يعرف الله تعالى فان بت هذه الليلة عنده قتلت نفسى بيدى فخلصنى منه بخلصك الله مما تخاف فى الدنيا والآخرة فقام التاجر وقال للبدوى ياشيخ العرب هذه ليست غرضك بعنى اياها بما تريد فقال البدوى خذها وادفع ثمنها والا أروح بها الى النجع وأتركها هناك تلم البعر وترعى الحمال فقال التاجر أعطيك خمسين ألف دينار فقال البدوى يفتح الله فقال التاجر سبعون ألف دينار فقال البدوى يفتح الله هذا ما هو رأس مالها لانها أكلت عندى أقراصا من الشعير بتسعين ألف دينار فقال له التاجر أنت وأهلك وقبيلتك فى طول عمركم ما أكلتم بألف دينار شعيرا ولكن أقول لك كلمة واحدة فان لم ترض بها غمزت عليك والى دمشق فيأخذها منك قهرا فقال البدوى تكلم فقال بمائة الف دينار فقال البدوى بعتك اياها بهذا الثمن واقدر أننى اشتريت بها ملحا فلما سمعه التاجر ضحك ومضى الى منزله وأتى له بالمال وأقبضه اياه فأخذه البدوى وقال فى نفسه لا بد أن أذهب الى القدس لعلى أجد أخاها فأجى به وأسعه ثم ركب وسافر حتى وصل الى بيت المقدس فذهب الى الخان وسأل عن أخيها فلم يجده هذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر التاجر ونزهة الزمان فانه لما أخذها ألقى عليها شيأ من ثيابه ومضى بها الى منزله * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن التاجر لما تسلم الجارية من البدوى وضع عليها شيأ من ثيابه ومضى بها الى منزله وألبسها أفخر الملبوس ثم أخذها ونزل بها الى السوق وأخذ لها مصاغا ووضعه فى بقجة من الأطلس ووضعها بين يديها وقال لها هذا كله من أجلك ولا أريد منك الا اذا طلعت بك الى السلطان والى دمشق أن تعلميه بالثمن الذى اشتريتك به وان كان قليلا فى ظنك واذا اشتراك منى فاذكرى له ما فعلت معك واطلبى لى منه مرتبا وسلطانيا بالوصية على لأذهب به الى والده صاحب بغداد الملك عمر النعمان لاجل أن يمنع من يأخذ منى مكسا على القماش أو غيره من جميع ما أتجر فيه فلما سمعت كلامه بكت وانتحبت فقال لها التاجر ياسيدتى انى أراك كلما ذكرت لك بغداد تدمع عيناك ألك فيها أحد تحبينه فان كان تاجرا أو غيره فاخبرينى فانى أعرف جميع من فيها من التجار وغيرهم وان أردت رسالة أنا أوصلها اليه فقالت والله مالى معرفة بتاجر ولا غيره وانما لى معرفة بالملك عمر النعمان صاحب بغداد فلما سمع التاجر كلامها ضحك وفرح فرحا شديدا وقال فى نفسه والله انى وصلت الى ما أريد ثم قال لها هل عرضت عليه سابقا فقالت لا بل تربيت أنا وبنته فكنت عزيزة عنده ولى عنده حرمة كبيرة فان كان غرضك ان الملك عمر النعمان يكتب لك ما تريد فأتنى بدواة وقرطاس فانى أكتب لك كتابا فاذا دخلت مدينة بغداد فسلم الكتاب من يدك الى يد الملك عمر النعمان وقل له ان جارية تلك نزهة الزمان قد طرقتها صروف الليالى والايام حتى بيعت من مكان الى مكان وهى تقرئك السلام واذا سألك عنى فاخبره أنى عند نائب دمشق فتعجب التاجر من فصاحتها وازدادت عنده محبتها وقال ما أظن الا أن الرجال لعبوا بعقلك وباعوك بالمال فهل تحفظين القرآن قالت نعم وأعرف الحكمة والطب ومقدمة المعرفة

وشرح

وشرح فصول ابقرط لجالينوس الحكيم وشرحته أيضا وقرأت التذكرة وشرحت البرهان وطالعت مفردات ابن البيطار وتكلمت على القانون لابن سينا وحللت الرموز ووضعت الاشكال وتحدثت فى الهندسة وأتقنت حكمة الابدان وقرأت كتب الشافعية وقرأت الحديث والنحو وناظرت العلماء وتكلمت فى سائر العلوم وألفت فى علم المنطق والبيان والحساب والجدل وأعرف الروحانى والميقات وفهمت هذه العلوم كلها ثم قالت ائتنى بدواة وقرطاس حتى اكتب لك كتابا يسليك فى الاسفار و يغنيك عن مجلدات الاسفار فلما سمع التاجر منها هذا الكلام صاح بخ بخ فيا سعد من تكونين فى قصره ثم أتاها بدواة وقرطاس وقلم من نحاس فلما أحضر التاجر ذلك بين يديها قبل الارض تعظيما لها فأخذت نزهة الزمان الدرج وتناولت القلم وكتبت فى الدرج هذه الابيات

مابال نومى من عينى قد نفرا * أأنت علمت طرفى بعدك السهرا
ومالذكرك يذكى النار فى كبدى * أهكذا كل صب للهوى ذكرا
سقيا لأيامنا ماكان أطيبها * مضت ولم أنض من لذاتها وطرا
أستعطف الريح ان الريح حاملة * الى المتيم من أكنافكم خبرا
يشكو اليك محب قل ناصره * وللفراق خطوب تصدع الحجرا

ثم انها لما فرغت من كتابة هذا الشعر كتبت بعد هذا الكلام وهى تقول من استولت عليها الفكر وأنحلها السهر فظلمتها لاتجد لها من أنوار ولا تعلم الليل من النهار وتتقلب على مراقد البين وتكتحل بمراود الأرق ولم تزل للنجوم رقيبة وللظلام نقيبة قد أذابها الفكر والنحول وشرح حالها يطول لامساعد لها غير العبرات وأنشدت هذه الابيات

ماغردت سحرا ورقاء فى فنن * الاتحرك عندى قاتل الشجن
ولا تأوه مشتاق به طرب * الى الأحبة الا ازددت فى حزنى
أشكو الغرام الى من ليس يرحمنى * كم فرق الوجد بين الروح والبدن

ثم أفاضت دموع العين وكتبت أيضا هذين البيتين

أبلى الهوى أسقامى يوم النوى بدنى * وفرق الهجر بين الجفن والوسن
كفى بجسمى نحولا أننى دنف * لولا مخاطبتى اياك لم ترنى *

و بعد ذلك كتبت فى أسفل الدرج هذا من عند البعيدة عن الاهل والأوطان الحزينة القلب والجنان نزهة الزمان ثم طوت الدرج وناولته للتاجر فأخذه وقبله وعرف مافيه ففرح وقال سبحان من صوّرك * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان كتبت الكتاب وناولته للتاجر فأخذه وقرأه وعلم مافيه فقال سبحان من صوّرك وزاد فى اكرامها وصار يلاطفها نهاره كله فلما أقبل الليل خرج الى السوق وأتى بشئ فأطعمها اياه ثم أدخلها الحمام وأتى لها ببلانة وقال لها اذا فرغت من غسل رأسها فألبسيها ثيابها ثم ارسلى اعلمينى بذلك فقالت سمعا وطاعة ثم أحضر لها طعاما وفاكهة وشمعا وجعل ذلك على مصطبة الحمام فلما فرغت البلانة من تنظيفها ألبستها ثيابها ولما خرجت من الحمام وجلست على مصطبته

وحدث المائدة حاضرة فأكلت هى والبلانة من الطعام والفاكهة وتركتا الباقى لحارسة
الحمام ثم باتت الى الصباح وبات التاجر منعزلا عنها فى مكان آخر فلما استيقظ من نومه أيقظ
نزهة الزمان وأحضر لها قميصا رفيعا وكوفية بألف دينار وبدلة تركية مزركشة بالذهب وخفا
مزركشا بالذهب الأحمر مرصعا بالدر والجوهر وجعل فى اذنيها حلقا من اللؤلؤ بألف دينار
ووضع فى رقبتها طوقا من الذهب وقلادة من العنبر تضرب تحت نهديها فوق سرتها وتلك
القلادة فيها عشر أكر وتسعة أهلة كل هلال فى وسطه فص من الياقوت وكل أكرة فيها فص
من البلخش وثمن تلك القلادة ثلاثة آلاف دينار فصارت الكسوة التى كساها اياها محملة
بمليغة من المال ثم أمرها التاجر أن تتزين فتزينت بأحسن الزينة ومشت ومشى التاجر قدامها
فلما عاينها الناس بهتوا فى حسنها وقالوا تبارك الله أحسن الخالقين هنيأ لمن كانت هذه عنده وما
زال التاجر يمشى وهى تمشى خلفه حتى دخل على الملك شركان فلما دخل على الملك قبل الارض
بين يديه وقال أيها الملك السعيد أتيت لك بهدية غريبة الاوصاف عديمة النظير فى هذا الزمان قد
جمعت بين الحسن والاحسان فقال له الملك قصدى أن أراها عيانا فخرج التاجر وأتى بها حتى
أوقفها قدامه فلما رآها الملك شركان حن الدم الى الدم وكانت قد فارقته وهى صغيرة ولم ينظرها
لانه بعد مضى مدة من ولادتها سمع أن له أختا تسمى نزهة الزمان وأخا يسمى ضوء المكان فاغتاظ
من أبيه غيظا شديدا غيرة على المملكة كما تقدم ولما قدمها اليه التاجر قال له يا ملك الزمان انها
مع كونها بديعة الحسن والجمال بحيث لا نظير لها فى عصرها تعرف جميع العلوم الدينية
والدنيوية والسياسية والرياضية فقال له الملك خذ ثمنها مثل ما اشتريتها ودعها وتوجه الى حال
سبيلك فقال له التاجر سمعا وطاعة ولكن اكتب لى مرقوما أنى لا أدفع عشرا أبدا على تجارتى
فقال الملك انى أفعل لك ذلك ولكن أخبرنى كم وزنت ثمنها فقال وزنت ثمنها مائة ألف دينار
وكسوتها بمائة ألف دينار فلما سمع ذلك الملك قال أنا أعطيك فى ثمنها أكثر من ذلك ثم دعا
بخازنداره وقال له اعط هذا التاجر ثلثمائة ألف دينار وعشرين ألف دينار ثم ان شركان
أحضر القضاة الاربعة وقال لهم أشهدكم أنى أعتقت جاريتى هذه وأريد أن أتزوجها فكتب
القضاة حجة باعتاقها ثم كتبوا كتابه عليها ونثر الملك على رؤس الحاضرين ذهبا كثيرا وصار
الغلمان والخدم يلتقطون ما نثره عليهم الملك من الذهب ثم ان الملك أمر بكتابة منشور الى
التاجر على طبق مراده من أنه لا يدفع على تجارته عشرا ولا يتعرض له أحد بسوء فى سائر
مملكته وبعد ذلك أمر له بخلعة سنية * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(فلما كانت الليلة الموفية للستين) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك أمر بكتابة منشور للتاجر
على طبق مراده من أنه لا يدفع على تجارته عشرا أبدا ولا يتعرض له أحد بسوء فى تجارته وبعد
ذلك أمر له بخلعة سنية ثم صرف جميع من عنده ولم يبق عنده غير القضاة والتاجر وقال للقضاة
أريد أن تسمعوا من ألفاظ هذه الجارية ما يدل على علمها وأدبها من كل ما ادعاه التاجر لتحقق
صدق كلامه فقالوا لا بأس بذلك فأمر بارخاء ستارة بينه هو ومن معه وبين الجارية ومن معها
وصار جميع النساء التى مع الجارية خلف الستارة يقبلن يديها ورجليها لما علموا أنها صارت
زوجة الملك ثم درن حولها وقمن بخدمتها وخففن ما عليها من الثياب وصرن ينظرن حسنها

وجمالها

وجمالها وجمعت نساء الامراء والوزراء أن الملك شركان اشترى جارية لامثل لها فى الجمال والعلم والأدب وأنها حوت جميع العلوم وقد وزن ثمنها ثلثمائة ألف دينار وعشرين ألف دينار وأعتقها وكتب كتابه عليها وأحضر القضاة الاربعة لاجل امتحانها حتى ينظر كيف تجاوبهم عن أسئلتهم فطلب النساء الاذن من أزواجهن ومضين الى القصر الذى فيه نزهة الزمان فلما دخلن عليها وجدن الخدم وقوفا بين يديها وحين رأت نساء الامراء والوزراء داخلة عليها قامت اليهن وقابلتهن وقامت الجوارى خلفها وتلقت النساء بالترحيب وصارت تتبسم فى وجوههن فأخذت قلوبهن وأنزلتهن فى مراتبهن كأنها تربت معهن فتعجبن من حسنها وجمالها وعقلها وأدبها وقلن لبعضهن ماهذه جارية بل هى ملكة بنت ملك وصرن يعظمن قدرها وقلن لها ياسيدتنا أضاءت بك بلدتنا وشرفت بلادنا ومملكتنا فالمملكة مملكتك والقصر قصرك وكلنا جوارك فبالله لاتخلينا من احسانك والنظر الى حسنك فشكرتهن على ذلك هذا كله والستارة مرخاة بين نزهة الزمان ومن عندها من النساء وبين الملك شركان هو والقضاة الاربعة والتاجر ثم بعد ذلك ناداها الملك شركان وقال لها أيتها الجارية العزيزة فى زمانها ان هذا التاجر قد وصفك بالعلم والأدب وادعى أنك تعرفين فى جميع العلوم حتى علم النحو فأسمعينا من كل باب طرفا يسيرا فلما سمعت كلامه قالت سمعا وطاعة أيها الملك الباب الاول فى السياسات والآداب الملكية وماينبغى لولاة الامور الشرعية ومايلزمهم من قبل الاخلاق المرضية اعلم أيها الملك ان مقاصد الخلق منتهية الى الدين والدنيا لانه لايتوصل أحد الى الدين الا بالدنيا فان الدنيا نعم الطريق الى الآخرة وليس ينتظم أمر الدنيا الا بأعمال أهلها وأعمال الناس تنقسم على أربعة أقسام الامارة والتجارة والزراعة والصناعة فالامارة ينبغى لها السياسة التامة والفراسة الصادقة لان الامارة مدار عمار الدنيا التى هى طريق الى الآخرة لان الله تعالى جعل الدنيا للعباد كزاد المسافر الى تحصيل المراد فينبغى لكل انسان أن يتناول منها بقدر مايوصله الى الله ولا يتبع فى ذلك نفسه وهواه ولو تناولها الناس بالعدل لانقطعت الخصومات ولكنهم يتناولونها بالجور ومتابعة الهوى فتسببت عن انهماكهم عليها الخصومات فاحتاجوا الى سلطان لاجل أن ينصف بينهم ويضبط أمورهم ولولا ردع الملك الناس عن بعضهم لغلب قويهم على ضعيفهم وقد قال اردشير ان الدين والملك توأمان فالدين كنز والملك حارس وقد دلت الشرائع والعقول على أنه يجب على الناس أن يتخذوا سلطانا يدفع الظالم عن المظلوم وينصف الضعيف من القوى ويكف بأس العاتى والباغى واعلم أيها الملك أنه على قدر حسن أخلاق السلطان يكون الزمان فانه قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيآن فى الناس ان صلحا صلح الناس وان فسدا فسد الناس العلماء والامراء وقد قال بعض الحكماء الملوك ثلاثة ملك دين وملك محافظة على الحرمات وملك هوى فاما ملك الدين فانه يلزم رعيته باتباع دينهم وينبغى أن يكون أدينهم لانه هو الذى يقتدى به فى أمور الدين ويلزم الناس طاعته فيما أمر به موافقا للاحكام الشرعية ولكنه ينزل الساخط منزلة الراضى بسبب التسليم الى الاقدار وأما ملك المحافظة على الحرمات فانه يقوم بامور الدين والدنيا ويلزم الناس باتباع الشرع والمحافظة على المروأة ويكون جامعا بين القلم

والسيف لمن زاغ عما سطر القلم زلت به القدم فيقوم اعوجاجه بحدّ الحسام وينشر العدل
فى جميع الأنام وأما ملك الهوى فلا دين له الا اتباع هواه ولم يخش سطوة مولاه الذى ولاه فآل
ملكه الى الدمار ونهاية عتوه الى دار البوار وقالت الحكماء الملك يحتاج الى كثير من الناس
وهم محتاجون الى واحد ولاجل ذلك وجب أن يكون عارفا باخلاقهم ليردّ اختلافهم الى
وفاقهم ويعمهم بعدله وبغمرهم بفضله واعلم أيها الملك أن اردشير وهو الثالث من ملوك الفرس
قد ملك الاقاليم جميعها وقسمها على أربعة أقسام وجعل له من أجل ذلك أربع خواتم لكل
قسم خاتم الاول خاتم البحر والشرطة والحاماة وكتب عليه النيابات الثانى خاتم الخراج
وجباية الاموال وكتب عليه العمارة الثالث خاتم القوت وكتب عليه الرخاء الرابع خاتم
المظالم وكتب عليه العدل واستمرّت هذه الرسوم فى الفرس الى أن ظهر الاسلام وكتب كسرى
لابنه وهو فى جيشه لا توسعنّ على جيشك فيستغنوا عنك * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت
عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والستون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن كسرى كتب لابنه وهو
فى جيشه لا توسعنّ على جيشك فيستغنوا عنك ولا تضيق عليهم فيضجروا منك وأعطهم عطاء
مقتصدا وامنحهم منحا جميلا ووسع عليهم فى الرخاء ولا تضيق عليهم فى الشدّة وروى أن أعرابيا
جاء الى المنصور وقال له أجع كلبك يتبعك فغضب المنصور من الاعرابى لما سمع منه هذا
الكلام فقال له أبو العباس الطوسى أخشى أن يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويترك فسكن
غيظ المنصور وعلم أنها كلمة لا تخطأ وأمر للاعرابى بعطية واعلم أيها الملك انه كتب عبد الملك
ابن مروان لأخيه عبد العزيز بن مروان حين وجهه الى مصر تفقد كتابك وحجابك فان الثابت
يخبرك عنه كتابك والتوسيم تعرفك به حجابك والخارج من عندك يعرفك بجيشك وكان عمر
ابن الخطاب اذا استخدم خادما شرط عليه أربعة شروط أن لا يركب البراذين وأن لا يلبس
الثياب النفيسة وأن لا يأكل من الفىء وأن لا يؤخر الصلاة عن وقتها وقيل لا مال أجود من
العقل ولا عقل كالتدبير والحزم ولا حزم كالتقوى ولا قربة كحسن الخلق ولا ميزان كالادب
ولا فائدة كالتوفيق ولا تجارة كالعمل الصالح ولا ربح كثواب الله ولا ورع كالوقوف عند
حدود السنة ولا علم كالتفكر ولا عبادة كالفرائض ولا ايمان كالحياء ولا حسب كالتواضع
ولا شرف كالعلم فاحفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى واذكر الموت والبلى وقال على اتقوا
اشرار النساء وكونوا منهنّ على حذر ولا تشاوروهنّ فى أمر ولا تضيقوا عليهنّ فى معروف حتى
لا يطمعن فى المكر وقال من ترك الاقتصاد حار عقله وقال عمر رضى الله عنه النساء ثلاثة امرأة
مسلمة تقية ودود ولود تعين بعلها على الدهر ولا تعين الدهر على بعلها وأخرى تراد للولد لا تزيد على
ذلك وأخرى يجعلها الله غلا فى عنق من يشاء والرجال أيضا ثلاثة رجل عاقل اذا أقبل على رأيه
وآخر أعقل منه وهو من اذا نزل به أمر لا يعرف عاقبته فيأتى ذوى الرأى فينزل عند آرائهم
وآخر حائر لا يعلم رشدا ولا يطيع مرشدا والعدل لا بدّ منه فى كل الاشياء حتى ان الجوارى
يحتجن الى العدل وضربوا لذلك مثلا فى قطاع الطريق المقيمين على ظلم الناس فانهم لو لم
يتناصفوا فيما بينهم ويستعملوا الواجب فيما يقسمونه لاختلّ نظامهم وبالجملة فسد مكارم

الاخلاق

الاخلاق الكرم وحسن الخلق وما أحسن قول الشاعر

قد خرج

بيذل وحلم سادفى قومه الفتى * وكونك اياه عليك يسير

وقال الآخر

ففى الحلم اتقان وفى العفو هيبة * وفى الصدق منجاة لمن كان صادقا

ومن يلتمس حسن الثناء بماله * يكن بالندى فى حلبة المجد سابقا

ثم ان نزهة الزمان تكلمت فى سياسة الملوك حتى قال الحاضرون ما رأينا أحدا تكلم فى باب السياسة مثل هذه الجارية فلعلها تسمعنا شيأ من غير هذا الباب فسمعت نزهة الزمان ما قالوه وفهمته فقالت وأما باب الأدب فانه واسع المجال لانه مجمع الكمال فقد اتفق أن بنى تميم وفدوا على معاوية ومعهم الاحنف بن قيس فدخل حاجب معاوية عليه ليستأذنه لهم فى الدخول فقال يا أمير المؤمنين ان أهل العراق يريدون الدخول عليك ليتحدثوا معك فاسمع حديثهم فقال معاوية انظروا من بالباب فقالوا ابن تميم قال ليدخلوا فدخلوا ومعهم الاحنف بن قيس فقال له معاوية اقرب منى يا أبا بحر بحيث أسمع كلامك ثم قال يا أبا بحر كيف رأيك لى قال يا أمير المؤمنين افرق الشعر وقص الشارب وقلم الاظافر وانتف الابط واحلق العانة وأدم السوالك فان فيها ثنتين وسبعين فضيلة وغسل الجمعة كفارة لما بين الجمعتين * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والستون قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الاحنف بن قيس قال لمعاوية لما سأله وأدم السوالك فان فيه اثنتين وسبعين فضيلة وغسل الجمعة كفارة لما بين الجمعتين قال له معاوية كيف رأيك لنفسك قال أوطئ قدمى على الارض وأنقلها على تمهل وأراعيها بعينى قال كيف رأيك اذا دخلت على نفر من قومك دون الامراء قال أطرق حياء وأبدأ بالسلام وأدع مالا يعنينى وأقل الكلام قال كيف رأيك اذا دخلت على نظرائك قال أستمع لهم اذا قالوا ولا أجول عليهم اذا جالوا قال كيف رأيك اذا دخلت على أمرائك قال أسلم من غير اشارة وانتظر الاجابة فان قربونى تربت وان أبعدونى بعدت قال كيف رأيك مع زوجتك قال اعفنى من هذا يا أمير المؤمنين قال أقسمت عليك أن تخبرنى قال أحسن الخلق وأطهر العشرة وأوسع النفقة فان المرأة خلقت من ضلع أعوج قال فما رأيك اذا أردت أن تجامعها قال أكملها حتى تطيب نفسها وأتمها حتى تطرب فان كان الذى تعلم طرحتها على ظهرها وان استقرت النطفة فى قرارها قلت اللهم اجعلها مباركة ولا تجعلها شقية وصورها أحسن تصوير ثم أقوم عنها الى الوضوء فافيض الماء على يدى ثم أصبه على جسدى ثم أحمد الله على ما أعطانى من النعم فقال معاوية أحسنت فى الجواب فقل حاجتك فقال حاجتى أن تتقى الله فى الرعية وتعدل بينهم بالسوية ثم نهض قائما من مجلس معاوية فلما ولى قال معاوية لو لم يكن بالعراق الا هذا الكفى ثم ان نزهة الزمان قالت وهذه النبذة من جملة باب الادب واعلم أيها الملك انه كان معيقب عاملا على بيت المال فى خلافة عمر بن الخطاب * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والستون قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت واعلم

أيها الملك انه كان معيقب غاملا على بيت المال فى خلافة عمر بن الخطاب فاتفق انه رأى ابن عمر يوما فأعطاه درهما من بيت المال قال معيقب و بعد ان أعطيته الدرهم انصرفت الى بيتى فبينما أنا جالس واذا برسول عمر جاءنى فرهبت منه وتوجهت اليه فاذا الدرهم فى يده وقال لى ويحك يا معيقب انى قد وجدت فى نفسك شيأ قلت وما ذلك يا أمير المؤمنين قال انك تخاصم أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى هذا الدرهم يوم القيامة وكتب عمر الى أبى موسى الاشعرى كتابا مضمونه اذا جاءك كتابى هذا فاعط الناس الذى لهم واحمل الىّ ما بقى ففعل فلما ولى عثمان الخلافة كتب الى أبى موسى مثل ذلك ففعل وجاء زياد معه فلما وضع الخراج بين يدى عثمان جاء ولده فأخذ منه درهما فبكى زياد فقال عثمان ما يبكيك قال أتيت عمر بن الخطاب بمثل ذلك فأخذ ابنه درهما فأمر بنزعه من يده وابنك أخذ فلم أر أحدا ينزعه منه أو يقول له شيأ فقال عثمان وأين تلقى مثل عمر وروى زيد بن أسلم عن أبيه أنه قال خرجت مع عمر ذات ليلة حتى أشرفنا على نار تضرم فقال يا أسلم انى أحسب هؤلاء ركبا أضر بهم البرد فانطلق بنا اليهم فخرجنا حتى أتينا اليهم فاذا امرأة توقد نارا تحت قدر ومعها صبيان يتضاغون فقال عمر السلام عليكم أصحاب الضوء وكره أن يقول أصحاب النار ما بالكم قالت أضر بنا البرد والليل قال فما بال هؤلاء يتضاغون قالت من الجوع قال فما هذه القدر قالت ماء أسكتهم به وان عمر بن الخطاب ليسأله الله عنهم يوم القيامة قال وما يدرى عمر بحالهم قالت كيف يتولى أمور الناس و يغفل عنهم قال أسلم فأقبل عمر علىّ وقال انطلق بنا فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الصرف فأخرج عدلا فيه دقيق واناء فيه شحم ثم قال حملنى هذا فقلت أنا أحمله عنك يا أمير المؤمنين فقال أتحمل عنى وزرى يوم القيامة فحملته اياه وخرجنا نهرول حتى ألقينا ذلك العدل عندها ثم أخرج من الدقيق شيأ وجعل يقول للمرأة تردى الىّ وكان ينفخ تحت القدر وكان ذو لحية عظيمة فرأيت الدخان يخرج من خلال لحيته حتى طبخ وأخذ مقدارا من الشحم فرماه فيه ثم قال أطعميهم وأنا أبرد لهم ولم يزالوا كذلك حتى أكلوا وشبعوا وترك الباقى عندها ثم أقبل علىّ وقال يا أسلم انى رأيت الجوع أبكاهم فأحببت أن لا أنصرف حتى يتبين لى سبب الضوء الذى رأيته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والستون قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت قيل ان عمر مر براع مملوك فابتاع منه شاة فقال له انها ليست لى فقال أنت القصد فاشتراه ثم أعتقه وقال اللهم كما رزقتنى العتق الاصغر فارزقنى العتق الاكبر وقيل ان عمر بن الخطاب كان يطعم الحليب للخدم ويأكل الغليظ و يكسوهم اللين و يلبس الخشن و يعطى الناس حقوقهم ويزيد فى عطائهم وأعطى رجلا أربعة آلاف درهم وزاده ألفا فقيل له أما تزيد ابنك كما زدت هذا قال هذا ثبت والده يوم أحد وقال الحسن أتى عمر بمال كثير فأتته حفصة وقالت له يا أمير المؤمنين حق قرابتك فقال يا حفصة انما أوصى الله بحق قرابتى من مالى وأما مال المسلمين فلا يا حفصة قد أرضيت قومك وأغضبت أباك فقامت تجر ذيلها وقال ابن عمر تضرعت الى ربى سنة من السنين أن يريني أبى حتى رأيته يمسح العرق عن جبينه فقلت له ما حالك يا والدى فقال لولا رحمة ربى لهلك أبوك ثم قالت نزهة الزمان اسمع أيها الملك السعيد الفصل الثانى من الباب

الثانى

الثانى وهو باب الادب والفضائل وما ذكر فيه من أخبار التابعين والصالحين قال الحسن البصرى لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا الا وهو يتأسف على ثلاثة أشياء عدم تمتعه بما جمع وعدم ادراكه لما أمل وعدم استعداده بكثرة الزاد لما هو قادم عليه وقيل لسفيان هل يكون الرجل زاهدا وله مال قال نعم اذا كان متى ابتلى صبر ومتى أعطى شكر وقيل لما حضرت عبد الله ابن شداد الوفاة أحضر ولده محمدا فأوصاه وقال له يا بنى انى لارى داعى الموتى قد دعانى فاتق ربك فى السر والعلانية واشكر الله على ما أنعم واصدق فى الحديث فالشكر يوذن بازدياد النعم والتقوى خير زاد فى المعاد كما قال بعضهم

ولست أرى السعادة جمع مال * ولكن التقى هو السعيد
وتقوى الله خير الزاد حقا * وعند الله تلقى ما تريد

ثم قالت نزهة الزمان ليسمع الملك هذه النكت من الفصل الثانى من الباب الاول قيل لها وما هى قالت لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة جاء لاهل بيته فأخذ ما بأيديهم ووضعه فى بيت المال ففزعت بنو أمية الى عمته فاطمة بنت مروان فارسلت اليه قائلة انه لا بد من لقائك ثم أتته ليلا فأنزلها عن دابتها فلما أخذت مجلسها قال لها يا عمة أنت أولى بالكلام لان الحاجة لك فاخبرينى عن مرادك فقالت يا أمير المؤمنين أنت أولى بالكلام ورأيك يستشف ما يخفى عن الافهام فقال عمر بن عبد العزيز ان الله تعالى بعث محمدا رحمة للعالمين وعذابا لقوم آخرين ثم اختار له ما عنده فقبضه اليه * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والستون قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت فقال عمر بن عبد العزيز ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين وعذابا لقوم آخرين ثم اختار له ما عنده فقبضه اليه وترك للناس نهرا يروى عطاشهم ثم أقام أبو بكر خليفة بعده فاجرى النهر مجراه وعمل ما يرضى الله ثم قام عمر بعد أبى بكر فعمل خير أعمال الابرار واجتهد اجتهادا ما يقدر أحد على مثله فلما قام عثمان اشتق من النهر نهرا ثم ولى معاوية فاشتق منه الانهار ثم لم يزل كذلك يشتق منه يزيد وبنو مروان كعبد الملك والوليد وسليمان حتى آل الامر الى فأحببت ان أرد النهر الى ما كان عليه فقالت قد أردت كلامك ومذاكرتك فقط فان كانت هذه مقالتك فلست بذاكرة لك شيأ ورجعت الى بنى أمية فقالت لهم ذوقوا عاقبة أمركم بتر ويحكم الى عمر بن الخطاب وقيل لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة جمع أولاده حوله فقال له مسلمة بن عبد الملك يا أمير المؤمنين كيف تترك أولادك فقراء وأنت راعيهم فما يمنعك أحد فى حياتك من أن تعطيهم من بيت المال ما يغنيهم وهذا أولى من أن ترجعه الى الوالى بعدك فنظر الى مسلمة نظر مغضب متعجب ثم قال يا مسلمة منعتهم أيام حياتى فكيف أشقى بهم بعد مماتى ان أولادى ما بين رجلين اما مطيع لله تعالى فالله يصلح شأنه واما عاص فما كنت لاعينه على معصية يا مسلمة انى حضرت وايالك حين دفن بعض بنى مروان فحملتنى عينى فرأيته فى المنام أفضى الى أمر من أمور الله عز وجل فهالنى وراعنى فعاهدت الله أن لا أعمل عمله ان وليت وقد اجتهدت فى ذلك مدة حياتى وأرجو أن أفضى الى عفوربى قال مسلمة بقى رجل حضرت دفنه فلما فرغت من دفنه حملتنى عينى فرأيته فيما يرى النائم فى روضة فيها انهار

والسمن

ثم المبوعليه ثياب بيض فأقبل علي وقال يا مسلمة لمثل هذا فليعمل العاملون ونحو هذا كثير

وقال بعض الثقاة كنت أحلب الغنم في خلافة عمر بن عبد العزيز فمرت براع فرأيت مع غنمه ذئبا أو ذئابا فظننت أنها كلابها ولم أكن رأيت الذئاب قبل ذلك فقلت ما تصنع بهذه الكلاب فقال انها ليست كلابا بل هي ذئاب فقلت هل ذئاب في غنم لم تضرها فقال اذا صلح الرأس صلح الجسد وخطب عمر بن عبد العزيز على منبر من طين فحمد الله وأثنى عليه ثم تكلم بثلاث كلمات فقال أيها الناس أصلحوا أسراركم تصلح علانيتكم لاخوانكم وتكفوا أمر دنياكم واعلموا أن الرجل ليس بينه و بين آدم رجل حي في الموتى مات عبد الملك ومن قبله ويموت عمر ومن بعده فقال له مسلمة يا أمير المؤمنين لو عملنا لك متكأ لتعتمد عليه قليلا فقال أخاف أن يكون في عنقي منه اثم يوم القيامة ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه فقالت فاطمة يا مريم بامرأة احم يا فلان انظروا هذا الرجل فجاءت فاطمة تصب عليه الماء وتبكي حتى أفاق من غشيته فرآها تبكي فقال ما يبكيك يا فاطمة قالت يا أمير المؤمنين رأيت مصرعك بين أيدينا فتذكرت مصرعك بين يدي الله عز وجل للموت وتخليك عن الدنيا وفراقك لنا فذلك الذي أبكاني فقال حسبك يا فاطمة فلقد أبلغت ثم أراد القيام فنهض فسقط فضمته فاطمة اليها وقالت بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين ما نستطيع أن نكلمك كلنا ثم ان نزهة الزمان قالت لأختها شركان وللقضاة الاربعة تتمة الفصل الثاني من الباب الاول * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والستون قالت بلغني أيها الملك السعيد ان نزهة الزمان قالت لاختها شركان وهي لم تعرفه بحضور القضاة الاربعة والتاجر تتمة الفصل الثاني من الباب الاول اتفق أنه كتب عمر بن عبد العزيز الى أهل الموسم أما بعد فاني أشهد الله في الشهر الحرام والبلد الحرام ويوم الحج الاكبر أني أبرأ في ظلمكم وعدوان من اعتدى عليكم أن أكون أمرت بذلك أو تعمدته أو يكون أمر من أموره بلغني أو أحاط به علمي وأرجو أن يكون لذلك موضع من الغفران الا أنه لا اذن مني بظلم أحد فاني مسؤل عن كل مظلوم ألا وأي عامل من عمالي زاغ عن الحق وعمل بلا كتاب ولا سنة فلا طاعة له عليكم حتى يرجع الى الحق وقال رضي الله عنه ما أحب أن يخفف عني الموت لانه آخر ما يؤجر عليه المؤمن وقال بعض الثقات قدمت على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز وهو خليفة فرأيت بين يديه اثني عشر درهما فأمر بوضعها في بيت المال قلت يا أمير المؤمنين انك أفقرت أولادك وجعلتهم عيالا لا شيء لهم فلو أوصيت اليهم بشيء والى من هو فقير من أهل بيتك فقال ادن مني فدنوت منه فقال أما قولك أفقرت أولادك فأوصي اليهم أو الى من هو فقير من أهل بيتك فغير سديد لان الله خليفتي على أولادي وعلى من هو فقير من أهل بيتي وهو وكيل عليهم وهم ما بين رجلين اما رجل يتقي الله فسيجعل الله له مخرجا واما رجل معتكف عن المعاصي فاني لم أكن لأقويه على معصية الله ثم بعث اليهم وأحضرهم بين يديه وكانوا اثني عشر ذكرا فلما نظر اليهم ذرفت عيناه بالدموع ثم قال ان أباكم ما بين أمرين اما أن تستغنوا فيدخل أبوكم النار واما أن تفتقروا فيدخل أبوكم الجنة ودخول أبيكم الجنة أحب اليه من أن تستغنوا وقد وكلت أمركم الى الله

وقال

وقال خالد بن صفوان صحبني يوسف بن عمر الى هشام بن عبد الملك فلما قدمت عليه وقد خرج بقرابته وخدمه فنزل فى أرض وضرب له خياما فلما أخذت الناس مجالسهم خرجت من ناحية البساط فنظرت اليه فلما صارت عيني فى عينه قلت له تمم الله نعمته عليك يا أمير المؤمنين وجعل ما قلدك من هذه الامور رشدا ولا خالط سرورك أذى يا أمير المؤمنين انى لم أجد لك نصيحة أبلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك فاستوى جالسا وكان متكئا وقال هات ما عندك يا ابن صفوان فقلت يا أمير المؤمنين ان ملكا من الملوك خرج قبلك فى عام قبل عامك هذا الى هذا الارض فقال لجلسائه هل رأيتم مثل ما أنا فيه وهل أعطى أحد مثل ما أعطيته وكان عنده رجل من بقايا حملة الحجة والمعينين على الحق السالكين فى منهاجه فقال أيها الملك انك سألت عن أمر عظيم أتأذن لى فى الجواب عنه قال نعم قال أرأيت الذى أنت فيه شيأ لم يزل أم شيأ زائلا فقال هو شئ زائل قال فما الى أرالك قد أعجبت بشئ تكون فيه قليلا وتسئل عنه طويلا وتكون عند حسابه مرتهنا قال فأين المهرب وأين المطلب قال أن تقيم فى ملكك فتعمل بطاعة الله تعالى أو تلبس أطمارك وتعبد ربك حتى يأتيك أجلك فاذا كان السحر فانى قادم عليك قال خالد بن صفوان ثم ان الرجل قرع عليه بابه عند السحر فرآه قد وضع تاجه وتهيأ للسياحة من عظم موعظته فبكى هشام بن عبد الملك بكاء كثيرا حتى بل لحيته وأمر بنزع ما عليه ولزم قصره فأتت الموالى والخدم الى خالد بن صفوان وقالوا أهكذا فعلت بأمير المؤمنين أفسدت لذته ونغصت حياته ثم ان نزهة الزمان قالت لشركان وكم فى هذا الباب من النصائح وانى لا أعجز عن الاتيان بجميع ما فى هذا الباب فى مجلس واحد * وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والستون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان قالت لشركان وكم فى هذا الباب من النصائح وانى لا أعجز عن الاتيان لك بجميع ما فى هذا الباب فى مجلس واحد ولكن على طول الايام يا ملك الزمان يكون خبر فقالت القضاة أيها الملك ان هذه الجارية أعجوبة الزمان ويتيمة العصر والاوان فاننا ما رأينا ولا سمعنا بمثلها فى زمن من الازمان ثم انهم دعوا للملك وانصرفوا فعند ذلك التفت شركان الى خدامه وقال لهم اشرعوا فى عمل العرس وهيؤا الطعام من جميع الالوان فامتثلوا أمره فى الحال وهيؤا جميع الاطعمة وأمر نساء الامراء والوزراء وأرباب الدولة أن لا ينصرفوا حتى يحضروا الى جلاء العروس فلما جاء وقت العصر حتى مدوا السفرة مما تشتهى الانفس وتلذ الاعين وأكل جميع الناس حتى اكتفوا وأمر الملك أن تحضر كل مغنية فى دمشق فحضرن وكذلك جوارى الملك اللاتى يعرفن الغناء وطلع جميعهن الى القصر فلما أتى المساء وأظلم الظلام أوقدوا الشموع من باب القلعة الى باب القصر يمينا وشمالا ومشى الامراء والوزراء والكبراء بين يدى الملك شركان وأخذت المواشط الصبية ليزينها ويلبسنها فرأينها لا تحتاج الى زينة وكان الملك شركان قد دخل الحمام فلما خرج جلس على المنصة وجليت عليه العروس ثم خففوا عنها ثيابها وأوصوها بما توصى به البنات ليلة الزفاف ودخل عليها شركان وأخذ وجهها وعلقت منه فى تلك الليلة وأعلمته بذلك ففرح فرحا شديدا وأمر الحكماء أن يكتبوا تاريخ الحمل فلما أصبح جلس على الكرسى

وطلع له أرباب دولته وهنوه وأحضر كاتب سرّه وأمره أن يكتب كتابا لوالده عمر النعمان بأنه اشترى جارية ذات علم وأدب قد حوت فنون الحكمة وانه لا بدّ من ارسالها الى بغداد لتزور أخاه ضوء المكان وأخته نزهة الزمان وأنه أعتقها وكتب كتابه عليها ودخل بها وحملت منه ثم ختم الكتاب وأرسله الى أبيه صحبة بريد فغاب ذلك البريد شهرا كاملا ثم رجع اليه بالجواب وناوله فأخذه وقرأه فاذا فيه بعد البسملة هذا من عند الحائر الولهان الذى فقد الولدان وهجر الاوطان الملك عمر النعمان الى ولده شركان اعلم أنه بعد مسيرك من عندى ضاق علىّ المكان حتى لا أستطيع صبرا ولا أقدر أن أكتم سرّا وسبب ذلك انى ذهبت الى الصيد والقنص وكان ضوء المكان قد طلب منى الذهاب الى الحجاز فخفت عليه نوائب الزمان ومنعته من السفر الى العام الثانى أو الثالث فلما ذهبت الى الصيد والقنص غبت شهرا * وأدرك شهرزاد الصباح * فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والستون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك عمر النعمان قال فى مكتوبه فلما ذهبت الى الصيد والقنص غبت شهرا فلما أتيت وجدت أخاك وأختك أخذا شيأ من المال وسافرا مع الحجاج خفية فلما علمت بذلك ضاق بى الفضاء وقد انتظرت مجىء الحجاج لعلهما يجيآن معهم فلما جاء الحجاج سألت عنهما فلم يخبرنى أحد بخبرهما فلبست لاجلهما ثياب الحزن وأنا مرهون الفؤاد عديم الرقاد غريق دمع العين ثم أنشد هذين البيتين

خيالهما عندى وليس بغائب * جعلت له فى القلب أشرف موضع
ولولا رجاء العود ما عشت ساعة * ولولا خيال الطيف لم أتهجع

ثم كتب من جملة المكتوب وبعد السلام عليك وعلى من عندك أعرّفك أنك لا تتهاون فى كشف الاخبار فان هذا علينا عار فلما قرأ الكتاب حزن على أبيه وفرح لفقد أخته وأخيه وأخذ الكتاب ودخل به على زوجته نزهة الزمان ولم يعلم أنها أخته وهى لا تعلم أنه أخوها مع أنه يتردّد عليها ليلا ونهارا الى أن كملت أشهرها وجلست على كرسى الطلق فسهل الله عليها الولادة فولدت بنتا فأرسلت تطلب شركان فلما رأته قالت له هذه بنتك فسمها ما تريد فقال عادة الناس أن يسموا أولادهم فى سابع يوم ولادتهم ثم انحنى شركان على ابنته وقبلها فوجد فى عنقها خرزة معلقة من الثلاث خرزات التى جاءت بها الملكة ابريزة من بلاد الروم فلما عاين الخرزة معلقة فى عنق ابنته غاب عقله واشتد به الغيظ وحملق عينيه فى الخرزة حتى عرفها حق المعرفة ثم نظر الى نزهة الزمان وقال لها من أين جاءتك هذه الخرزة يا جارية فلما سمعت من شركان ذلك الكلام قالت له أنا سيدتك وسيدة كل من فى قصرك أما تستحى وأنت تقول يا جارية وأنا ملكة بنت ملك والآن زال الكتمان واشتهر الامر وبان أنا نزهة الزمان بنت الملك عمر النعمان فلما سمع منها هذا الكلام لحقه الارتعاش وأطرق برأسه الى الارض وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والستون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن شركان لما سمع هذا الكلام ارتجف قلبه واصفرّ لونه ولحقه الارتعاش وأطرق برأسه الى الارض وعرف أنها أخته من أبيه فغاب عن الدنيا فلما أفاق صار يتعجب ولكنه لم يعرّفها بنفسه وقال لها

ياسيدتى

يا سيدتي هل أنت بنت الملك عمر النعمان قالت نعم فقال لها وما سبب فراقك لابيك وبعدك
فحكت له جميع ما وقع من الاول الى الآخر وأخبرته أنها تركت أخاها مريضا في بيت المقدس
وأخبرته باختطاف البدوي لها وبيعه اياها للتاجر فلما سمع شركان ذلك الكلام تحقق أنها
أخته من أبيه وقال في نفسه كيف أتزوج بأختي لكن أنا أزوجها لواحد من حجابي واذا ظهر
أمر أدعي بنتي طلقتها قبل الدخول وزوجتها بالحاجب الكبير ثم رفع رأسه وتأسف وقال يا نزهة
الزمان أنت أختي حقيقة وأستغفر الله من هذا الذنب الذي وقعنا فيه فانني أنا شركان بن
الملك عمر النعمان فنظرت اليه وتأملته فعرفته فلما عرفته غابت عن صوابها وبكت ولطمت
وجهها وقالت قد وقعنا في ذنب عظيم ماذا يكون العمل وما أقول لابي وأمي اذا قالا لي من أين
جاءتك هذا البنت فقال شركان الرأي عندي أن أزوجك بالحاجب وأدعك تربي بنتي في بيته
بحيث لا يعلم أحد بأنك أختي وهذا الذي قدره الله علينا لامر أراده فما يستر نا الا زواجك
بهذا الحاجب قبل أن يدري أحد ثم صار يأخذ بخاطرها ويقبل رأسها فقالت له وما تسمي
البنت قال أسميها قضى فكان ثم زوجها للحاجب الكبير ونقلها الى بيته هي وبنتها فربوها
على أكتاف الجواري وواظبوا عليها بالاشربة وأنواع السفوف هذا كله وأخوها ضوء المكان
مع الوقاد بدمشق فاتفق أنه أقبل بريد يوما من الايام من عند الملك عمر النعمان الى الملك شركان
ومعه كتاب فأخذه وقرأه فرأى فيه بعد البسملة اعلم أيها الملك العزيز أني حزين حزنا شديدا
على فراق الاولاد وعدمت الرقاد ولازمني السهاد وقد أرسلت هذا الكتاب اليك فحال
حصوله بين يديك ترسل الينا الخراج وترسل صحبته الجارية التي اشتريتها وتزوجت بها فاني
أحببت أن أراها وأسمع كلامها لانه جاءنا من بلاد الروم عجوز من الصالحات وصحبتها خمس
جوار نهد أبكار وقد حازوا من العلم والادب وفنون الحكمة ما يجب على الانسان معرفته
ويعجز عن وصف هذه العجوز ومن معها اللسان فانهن حزن أنواع العلم والفضيلة والحكمة
فلما رأيتهن أحببتهن وقد اشتهيت أن يكن في قصري وفي ملك يدي لانه لا يوجد لهن نظير عند
سائر الملوك فسألت المرأة العجوز عن ثمنهن فقالت لا أبيعهن الا بخراج دمشق وأنا والله
أرى خراج دمشق قليلا في ثمنهن فان الواحدة منهن تساوي أكثر من هذا المبلغ فأجبتها الى
ذلك ودخلت بهن قصري وبقين في حوزي فعجل لنا بالخراج لاجل أن تسافر المرأة بلادها
وأرسل الينا الجارية لاجل أن تناظرهن * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام
المباح

فلما كانت الليلة الموفية للسبعين قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك عمر النعمان قال في
مكتوبه وأرسل الينا الجارية لاجل أن تناظرهن بين العلماء فاذا غلبتهن أرسلتها اليك
وصحبتها خراج بغداد فلما علم ذلك شركان أقبل على صهره وقال له هات الجارية التي زوجتك
اياها فلما حضرت أوقفها على الكتاب وقال لها يا أختي ما عندك من الرأي في رد الجواب
قالت له الرأي رأيك ثم قالت له وقد اشتاقت الى أهلها ووطنها أرسلني صحبة زوجي الحاجب
لاجل أن أحكي لابي حكايتي وأخبره بما وقع لي مع البدوي الذي باعني للتاجر وأخبره بأن التاجر
باعني لك وزوجتني للحاجب بعد عتقي فقال لها شركان وهو كذلك ثم أخذ ابنته قضى فكان

وسلمها للمراضع والخدم وشرع فى تجهيز الخراج وأمر الحاجب أن يأخذ الخراج والجارية بحجته ويتوجه الى بغداد فأجابه الحاجب بالسمع والطاعة فأمر له بمحفة يجلس فيها وللجارية بمحفة أيضا ثم كتب كتابا وسلمه للحاجب وودع نزهة الزمان وكان قد أخذ منها الخرزة وجعلها فى عنق ابنته فى سلسلة من خالص الذهب ثم سافر الحاجب فى تلك الليلة فاتفق أنه خرج ضوء المكان هو والوقاد فى تلك الليلة يتفرجان فرأيا جمالا وبغالا محملة ومشاعل وفوانيس مضيئة فسأل ضوء المكان عن هذه الاحمال وعن صاحبها فقال هذا خراج دمشق مسافرا الى الملك عمر النعمان صاحب مدينة بغداد فقال ومن رئيس هذه المحامل قيل هو الحاجب الكبير الذى تزوج الجارية التى تعلمت العلم والحكمة فعند ذلك بكى بكاء شديدا وتذكر أمه وأباه وأخته ووطنه وقال للوقاد مابقى لى قعود هنا بل أسافر مع هذه القافلة وأمشى قليلا قليلا حتى أصل الى بلادى فقال له الوقاد أنا ما أمنت عليك من القدس الى دمشق فكيف آمن عليك الى بغداد فأنا أكون معك حتى تصل الى مقصدك فقال ضوء المكان حبا وكرامة فشرع الوقاد فى تجهيز حاله ثم شد الحمار وجعل خرجه عليه ووضع فيه شيأ من الزاد وشد وسطه ومازال على أهبة حتى جازت عليه الاحمال والحاجب راكب على هجين والمشاة حوله وركب ضوء المكان حمار الوقاد وقال للوقاد اركب معى فقال لا أركب ولكن أكون فى خدمتك فقال ضوء المكان لابد أن تركب ساعة فقال له اذا تعبت أركب ساعة ثم ان ضوء المكان قال للوقاد يا أخى سوف تنظر ما أفعل بك اذا وصلت الى أهلى ومازالوا مسافرين الى أن طلعت الشمس فلما اشتد عليهم الحر أمرهم الحاجب بالنزول فنزلوا واستراحوا وسقوا جمالهم ثم أمرهم بالمسير وبعد خمسة أيام وصلوا الى مدينة حماه ونزلوا وأقاموا بها ثلاثة أيام * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والسبعون قالت بلغنى أيها الملك السعيد انهم أقاموا فى مدينة حماه ثلاثة أيام ثم سافروا ومازالوا مسافرين حتى وصلوا مدينة أخرى فأقاموا بها ثلاثة أيام ثم سافروا حتى وصلوا الى ديار بكر وهب عليهم نسيم بغداد فتذكر ضوء المكان أخته نزهة الزمان وأباه وأمه ووطنه وكيف يرجع الى أبيه بغير أخته فبكى وأن واشتكى واشتدت به الحسرات فأنشد هذه الابيات

خليلى كم هذا التأنى وأصبر * ولم يأتنى منكم رسول يخبر
الا ان أيام الوصال قصيرة * فيا ليت أيام التفرق تقصر
خذوا بيدى ثم ارحموا الصبابة * تلاشى بها جسمى وان كنت أصبر
فان تطلبوا منى سلوا أقل لكم * فوالله ما أسلو الى حين أحشر

فقال له الوقاد اترك هذا البكاء والانين فاننا قريب من خيمة الحاجب فقال ضوء المكان لابد من انشادى شيأ من الشعر لعل نار قلبى تنطفى فقال له الوقاد بالله عليك أن تترك الحزن حتى تصل الى بلادك وافعل بعد ذلك ماشئت وأنا معك حيثما كنت فقال ضوء المكان والله لا أقتر عن ذلك ثم التفت بوجهه الى ناحية بغداد وكان القمر مضيأ وكانت نزهة الزمان لم تنم تلك الليلة لأنها تذكرت أخاها ضوء المكان فقلقت وصارت تبكى فبينما هى تبكى اذ سمعت

اخاها

أخاها ضوء المكان يبكى وينشد هذه الابيات

لمع البرق اليمانى * فشجانى ما شجانى
من حبيب كان عندى * ساقيا كأس التهانى
ياوميض البرق هل تر * جع أيام التدانى
ياعذولى لاتلمنى * ان ربى قد بلانى
بحبيب غاب عنى * وزمان قد دهانى
قد نأت نزهة قلبى * عندما ولى زمانى
وحوى لى الهم صرفا * وبكأس قد سقانى
وأرانى ياخليلى * متمن قبل التدانى
* ياز مانا للتصابى * عد قريبا بالأمانى
فى سرور مع أمان * من زمان قد رمانى
من لمسكين غريب * بات مرعوب الجنان
صار فى الحزن فريدا * بعد نزهات الزمان
حكمت فينا برغم * كف أولادك الزوانى

فلما فرغ من شعره صاح وخر مغشيا عليه هذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر نزهة الزمان فانها كانت ساهرة فى تلك الليلة لانها تذكرت أخاها فى ذلك المكان فلما سمعت ذلك الصوت بالليل ارتاح فؤادها وقامت وتنحنحت ودعت الخادم فقال لها ما حاجتك فقالت له قم وائتنى بالذى ينشد الاشعار * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والسبعون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان لما سمعت من أخيها الشعر دعت الخادم الكبير وقالت له اذهب وائتنى بمن ينشد هذه الاشعار فقال لها انى لم أسمعه ولم أعرفه والناس كلهم نائمون فقالت له كل من رأيته مستيقظا فهو الذى ينشد الاشعار ففتش فلم ير مستيقظا سوى الرجل الوقاد وأما ضوء المكان فانه كان فى غشيته فلما رأى الوقاد الخادم واقفا على رأسه خاف منه فقال له الخادم هل أنت الذى كنت تنشد الشعر وقد سمعتك سيدتنا فاعتقد الوقاد أن السيدة اغتاظت من الانشاد فخاف وقال له والله ماهو أنا فقال له الخادم ومن الذى كان ينشد الشعر فدلنى عليه فانك تعرفه لانك يقظان فخاف الوقاد على ضوء المكان وقال فى نفسه ربما يضره الخادم بشئ فقال له لم أعرفه فقال له الخادم والله انك تكذب فانه ماهنا قاعدا لا أنت فأنت تعرفه فقال الوقاد أنا أقول لك الحق ان الذى كان ينشد الاشعار رجل عابر طريق وهو الذى أزعجنى وأقلقنى فالله يجازيه فقال له الخادم اذا كنت تعرفه فدلنى عليه وأنا أمسكه وآخذه الى باب المحفة التى فيها سيدتنا وأمسكه أنت بيدك فقال له اذهب أنت حتى آتيك به فتركه الخادم وانصرف ودخل وأعلم سيدته بذلك وقال ما أحد يعرفه لانه عابر سبيل فسكتت ثم ان ضوء المكان لما أفاق من غشيته رأى القمر وصل الى وسط السماء وهب عليه نسيم الاسحار فهيج فى قلبه البلابل والاشجان فحسن صوته وأراد أن ينشد فقال له الوقاد ماذا تريد أن تصنع فقال له أريد أن أنشد شيأ من الشعر لاطفئ به

قلبي قال له أنت ما عملك بما جرى لي وما سلمت من القتل الا بأخذ خاطر الخادم فقال له ضوء المكان وما اجرى فأخبرني بما وقع فقال ياسيدي قد أتاني الخادم وأنت مغشي عليك ومعه عصا طويلة من اللوز وجعل يتطلع في وجوه الناس وهم نائمون ويسأل على من كان ينشد الاشعار فلم يجد من هو مستيقظ غيري فسألني فقلت له انه عابر سبيل فانصرف وسلمني الله منه والا كان قتلني فقال لي اذا سمعته ثانيا فأت به عندنا فلما سمع ضوء المكان ذلك بكى وقال من يمنعني من الانشاد فأنا أنشد ويجري علي ما يجري فاني قربت من بلادي وما أبالي بأحد فقال له الوقاد أنت ما مرادك الا هلاك نفسك فقال له ضوء المكان لابد من انشادي فقال له الوقاد قد وقع الفراق بيني وبينك من هنا وكان مرادي أن لا أفارقك حتى تدخل مدينتك وتجتمع بأهلك وأهلك وقد مضى لك عندي سنة ونصف ما حصل لك مني ما يضرك لما سبب انشادك الشعر ونحن في غاية التعب من المشي والسهر والناس قد هجعوا يستريحوا من التعب ومحتاجون الى النوم فقال ضوء المكان لا أرجع عما أنا فيه ثم هزته الاشجان فباح بالكتمان وجعل ينشد هذه الابيات

قف بالديار وحي الاربع الدرسا * وناد ها فعساها أن تجيب عسى
فان أجنك ليل من توحشها * أوقد من الشوق في ظلمائها قبسا
ان صل صل عذاريه فلا عجب * ان يحن لسعاوانى أحن لعسا
يا جنة فارقتها النفس مكرهة * لولا التأسي بدار الخلد متأسي

وأنشد أيضا هذين البيتين

كنا وكانت لنا الايام خادمة * والشمل مجتمع في أبهج الوطن
من لي بدار أحبائي وكان بها * ضوء المكان وفيها نزهة الزمن

فلما فرغ من شعره صاح ثلاث صيحات ثم وقع مغشيا عليه فقام الوقاد وغطاه فلما سمعت نزهة الزمان ما أنشده من الاشعار المتضمنة لذكر اسمها واسم أخيها ومعاهدهما بكت وصاحت على الخادم وقالت له ويلك ان الذي أنشد أولا أنشد ثانيا وسمعته قريبا مني والله ان لم تأتني به لأنبهن عليك الحاجب فيضربك ويطردك ولكن خذ هذه المائة دينار وأعطه اياها وائتني به برفق فان أبى فادفع له هذا الكيس الذي فيه ألف دينار فان أبى فاتركه واعرف مكانه وصنعته ومن أي البلاد هو وارجع الي بسرعة ولا تغب * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون قالت بلغني أيها الملك السعيد ان نزهة الزمان أرسلت الخادم يفتش عليه وقالت له اذا وجدته فلاطفه وائتني به برفق ولا تغب فخرج الخادم يتأمل في الناس ويدوس بينهم وهم نائمون فلم يجد أحدا مستيقظا فجاء الى الوقاد فوجده قاعدا مكشوف الرأس فدنا منه وقبض على يده وقال له أنت الذي كنت تنشد الشعر فخاف على نفسه وقال لا والله يا مقدم القوم ما هو أنا فقال له الخادم لا أتركك حتى تدلني على من كان ينشد الشعر لاني لا أقدر على الرجوع الى سيدتي من غير فلما سمع الوقاد كلام الخادم خاف على ضوء المكان

وبكى بكاء شديدا وقال للخادم والله ما هو أنا وانما سمعت انسانا عابر سبيل ينشد فلا تدخل
فى خطيئتى فانى غريب وجئت من بلاد القدس والخليل معكم فقال الخادم للوقاد قم أنت معى
الى سيدتى وأخبرها بفعلك فانى ما رأيت أحدا مستيقظا غيرك فقال له الوقاد أما حدثت ورأيتنى
فى الموضع الذى أنا قاعد فيه وعرفت مكانى وما أحد يقدر أن يقلقنى عن موضعه الا أمسكه
الحرس امض أنت الى مكانك فان بقيت تسمع أحدا فى هذه الساعة ينشد شيأ من الشعر سواء
كان بعيدا أو قريبا لا تعرفه الا منى ثم بات رأس الخادم وأخذ بخاطره فتركه الخادم ودار
دورة وخاف أن يرجع الى سيدته بلا فائدة فاستتر فى مكان قريب من الوقاد فقام الوقاد الى ضوء
المكان ونبهه وقال له قم اقعد حتى أحكى لك ما جرى وحكى له ما وقع فقال له دعنى فانى لا أبالى بأحد
فان بلادى قريبة فقال الوقاد لضوء المكان لاى شئ أنت مطاوع نفسك وهواك ولا تخاف
من أحد وأنا خائف على روحى وروحك فبالله عليك انك لا تتكلم بشئ من الشعر حتى تدخل
بلدك وأنا ما كنت أظنك على هذه الحالة أما علمت ان زوجة الحاجب تريد زجرك لانك أقلقتها
وكأنها ضعيفة أو تعبانة من السفر وكم مرة وهى ترسل الخادم يفتش عليك فلم يلتفت ضوء
المكان الى كلام الوقاد بل صاح ثالثا وأنشد هذه الابيات

تركت كل لائم * سلامه أقلقنى
يعذلنى وما درى * بأنه حرضنى
قال الوشاة قد سلا * قلت لحب الوطن
قالوا لما أحسنه * قلت لما أعشقنى
قالوا لما أعزه * قلت لما أذلنى
هيهات أن أتركه * لو ذقت كأس الشجن
وما أطعت لائما * لى فى الهوى يعذلنى

وكان الخادم يسمعه وهو مستخف لما فرغ من شعره الا والخادم على رأسه فلما رآه الوقاد فر
ووقف بعيدا ينظر ما يقع بينهما فقال الخادم السلام عليكم ياسيدى فقال ضوء المكان وعليكم
السلام ورحمة الله وبركاته فقال الخادم ياسيدى * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن
الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الخادم قال لضوء المكان
ياسيدى انى أتيت اليك فى هذه الليلة ثلاث مرات لان سيدتى تطلبك عندها قال ومن أين هذه
الكلبة حتى تطلبنى مقتها الله ومقت زوجها معها ونزل فى الخادم شتما لما قدر الخادم أن يرد
عليه جوابا لان سيدته أوصته أنه لا يأتى به الا بمراده هو فان لم يأت معه يعطه المائة دينار فجعل
الخادم يلين له الكلام ويقول له يا ولدى نحن ما أخطأنا معك ولا جرنا عليك فالقصد أن تصل
بخطواتك الكريمة الى سيدتنا وترجع فى خير وسلامة ولك عندنا بشارة فلما سمع ذلك الكلام
قام ومشى بين الناس والوقاد ماش خلفه وناظر اليه ويقول فى نفسه يا خسارة شبابه فى غد
يشنقونه ومازال الوقاد ماشيا حتى قرب من مكانهم وقال ما أخسه ان كان يقول على هو الذى
قال لى أنشد الاشعار هذا ما كان من أمر الوقاد وأما ما كان من أمر ضوء المكان فانه مازال

ماشيا مع الخادم حتى وصل الى المكان ودخل الخادم على نزهة الزمان وقال لها قد جئت بما تطلبينه وهو شاب حسن الصورة وعليه أثر النعمة فلما سمعت ذلك خفق قلبها وقالت له مره أن ينشد شيأ من الشعر حتى أسمعه من قرب وبعد ذلك فاسأله عن اسمه ومن أى البلاد هو فخرج الخادم اليه وقال له أنشد شيأ من الشعر حتى تسمعه سيدتى فانها حاضرة بالقرب منك وأخبرنى عن اسمك و بلدك وحالك فقال حبا وكرامة ولكن حيث سألتنى عن اسمى فانه محى ورسمى فنى وجسمى بلى ولى حكاية تكتب بالابر على آماق البصر وها أنا فى منزلة السكران الذى أكثر من الشراب وحلت به الأوصاب فتاه عن نفسه واحتار فى أمره وغرق فى بحر الافكار فلما سمعت نزهة الزمان هذا الكلام بكت وزادت فى البكاء والأنين وقالت للخادم قل له هل فارقت أحدا ممن تحب مثل أمك وأبيك فسأله الخادم كما أمرته نزهة الزمان فقال ضوء المكان نعم فارقت الجميع وأعزهم عندى أختى التى فرق الدهر بينى وبينها فلما سمعت نزهة الزمان منه هذا الكلام قالت الله يجمع شملها بمن يحب * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان لما سمعت كلامه قالت الله يجمع شملها عن يحب ثم قالت للخادم قل له أسمعنا شيأ من الاشعار المتضمنة لشكوى الفراق فقال له الخادم كما أمرته سيدته فصعد الزفرات وأنشد هذه الابيات

ليت شعرى لو درروا * أى قلب ملكوا
وفؤادى لو درى * أى شعب سلكوا
أتراهم سلموا * أم تراهم هلكوا
حار أرباب الهوى * فى الهوى وارتبكوا

وأنشد أيضا هذه الابيات

أضحى التنائى بديلا من تدانينا * وعند ما عن لقيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا
غيظ العدى من تساقينا الهوى فدعوا * بأن نغص فقال الدهر آمينا
ان الزمان الذى مازال يضحكنا * أنسا بقربكم قد عاد يبكينا
ياجنة الخلد بدلنا بسلسلها * والكوثر العذب زقوما وغسلينا

ثم سكب العبرات وأنشد هذه الابيات

لله در ان آزر مكانى * وفيه اختى نزهة الزمان
لاقضين بالصفا زمانى * مابين غيد خرد حسان
وصوت عود مطرب الألحان * مع ارتضاع كاس بنت الحان
ورشف ألمى فاتر الاجفان * بشط نهر سال فى بستان

فلما فرغ من شعره وسمعته نزهة الزمان كشفت ذيل الستارة عن المحفة ونظرت اليه فلما وقع بصرها على وجهه عرفته غاية المعرفة فصاحت قائلة ياأخى ياضوء المكان فرفع بصره اليها فعرفها وصاح قائلا ياأختى يانزهة الزمان فألقت نفسها عليه فتلقاها فى حضنه ووقع الاثنان مغشيا

مغشيا عليهما فلما رآهما الخادم على تلك الحالة تعجب فى أمرهما وألقى عليهما شيأ سترهما به وصبر عليهما حتى أفاقا فلما أفاقا من غشيتهما فرحت نزهة الزمان غاية الفرح وزال عنها الهم والترح وتوالت عليها المسرات وأنشدت هذه الابيات

الدهر أقسم لايزال مكدرى * حنثت يمينك يازمان فكفر
السعد وافى والحبيب مساعدى * فانهض الى داعى السرور وشمر
ماكنت أعتقد السوالف جنة * حتى ظفرت من اللمى بالكوثر

فلما سمع ذلك ضوء المكان ضم أخته الى صدره وفاضت لفرط سروره من أجفانه العبرات وأنشد هذه الابيات

واقد ندمت على تفرق شملنا * ندما أفاض الدمع من أجفانى
ونذرت ان عاد الزمان يلمنا * لاعدت أذكر فرقة بلسانى
هجم السرور على حتى أنه * من فرط ماقد سرنى أبكانى
ياعين صار الدمع عندك عادة * تبكين من فرح ومن أحزان

وجلسا على باب المحفة ساعة ثم قالت قم داخل المحفة واحك لى ماوقع لك وأنا أحكى لك ماوقع لى فقال ضوء المكان احكى لى أنت أولا فحكت له جميع ماوقع لها منذ فارقته من الخان وماوقع لها من البدوى والتاجر وكيف اشتراها منه وكيف أخذها التاجر الى أخيها شركان وباعها له وان شركان أعتقها من حين اشتراها وكتب كتابه عليها ودخل بها وأن الملك أباها سمع بخبرها فأرسل الى شركان يطلبها منه ثم قالت له الحمد لله الذى من على بك ومثل ماخرجنا من عند والدنا سواء نرجع اليه سواء ثم قالت له ان أخى شركان زوجنى بهذا الحاجب لاجل أن يوصلنى الى والدى وهذا ماوقع لى من الاول الى الآخر فاحك لى أنت ماوقع لك بعد ذهابى من عندك فحكى لها جميع ماوقع له من الاول الى الآخر وكيف من الله عليه بالوقاد وكيف سافر معه وأنفق عليه ماله وانه كان يخدمه فى الليل والنهار فشكرته على ذلك ثم قال لها ياأختى ان هذا الوقاد فعل معى من الاحسان فعلا لا يفعله أحد فى أحد من أحبابه ولا الوالد مع ولده حتى كان يجوع ويطعمنى ويمشى ويركبنى وكانت حياتى على يديه فقالت له نزهة الزمان ان شاء الله تعالى نكافئه بما نقدر عليه ثم ان نزهة الزمان صاحت على الخادم فحضر وقبل يد ضوء المكان وقالت له نزهة الزمان خذ بشارتك ياوجه الخير لانه كان جمع شملى بأخى على يديك فالكيس الذى معك ومافيه لك فاذهب وائتنى بسيدك عاجلا ففرح الخادم وتوجه الى الحاجب ودخل عليه ودعاه الى سيدته فأتى به ودخل على زوجته نزهة الزمان فوجد عندها أخاها فسأل عنه فحكت له ماوقع لها من أوله الى آخره ثم قالت اعلم أيها الحاجب أنك ماأخذت جارية وانما أخذت بنت الملك عمر النعمان فأنا نزهة الزمان وهذا أخى ضوء المكان فلما سمع الحاجب القصة منها تحقق ماقالته وبان له الحق الصريح وتيقن أنه صار صهر الملك عمر النعمان فقال فى نفسه مصيرى أن آخذ نيابة على قطر من الاقطار ثم أقبل على ضوء المكان وهناه بسلامته وجمع شمله بأخته ثم أمر خدمه فى الحال أن يهيؤا لضوء المكان خيمة ومركوبا من أحسن الخيول فقالت له أخته انا قد قربنا من بلادنا فانا أختلى بأخى ونستريح مع بعضنا ونشبع من بعضنا قبل أن نصل الى بلادنا فان لنا

زمنا طويلا ونحن مفترقون فقال الحاجب الامر كما تريدان ثم أرسل اليهما السموع وأنواع الحلاوة وخرج من عندهما وأرسل الى ضوء المكان ثلاث بدلات من أفخر الثياب وتمشى الى أن جاء الى المحفة وعرف مقدار نفسه فقالت له نزهة الزمان أرسل الى الخادم وأمره أن يأتى بالوقاد ويهيئ له حصانا يركبه ويرتب له سفرة طعام فى الغداة والعشى ويأمره أنه لا يفارقنا فعند ذلك أرسل الحاجب الى الخادم وأمره أن يفعل ذلك فقال سمعا وطاعة ثم ان الخادم أخذ غلمانه وذهب يفتش على الوقاد الى أن وجده فى آخر الركب وهو يشد حماره ويريد أن يهرب ودموعه تجرى على خده من الخوف على نفسه ومن حزنه على فراق ضوء المكان وصار يقول نصحته فى سبيل الله فلم يسمع منى ياترى كيف حاله فلم يتم كلامه الا والخادم واقف على رأسه ودارت حوله الغلمان فالتفت الوقاد فرأى الخادم واقفا فوق رأسه ورأى الغلمان حوله فاصفر لونه وخاف * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والسبعون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوقاد لما أراد أن يشد حماره ويهرب وصار يكلم نفسه ويقول ياترى كيف حاله فلم يتم كلامه الا والخادم واقف على رأسه والغلمان حوله فالتفت الوقاد فرأى الخادم واقفا على رأسه فارتعدت فرائصه وخاف وقال وقد رفع صوته بالكلام انه ما عرف مقدار ما عملته معه من المعروف فأظن أنه غمز الخادم وهؤلاء الغلمان على وأنه أشركنى معه فى الذنب واذا بالخادم صاح عليه وقال له من الذى كان ينشد الاشعار ياكذاب كيف تقول لى أنا ما أنشد الاشعار ولا أعرف من أنشدها وهو رفيقك فأنا لا أفارقك من هنا الى بغداد والذى يجرى على رفيقك يجرى عليك فلما سمع الوقاد كلامه قال فى نفسه ما خفت منه وقعت فيه ثم أنشد هذا البيت

كان الذى خفت أن يكونا * انا الى الله راجعونا

ثم ان الخادم صاح على الغلمان وقال لهم أنزلوه عن الحمار فأنزلوا الوقاد عن حماره وأتوا له بحصان فركبه ومشى صحبة الركب والغلمان حوله محدقون به وقال لهم الخادم ان عدم منه شعرة كانت بواحد منكم ولكن أكرموه ولا تهينوه فلما رأى الوقاد الغلمان حوله يئس من الحياة والتفت الى الخادم وقال له يا مقدم أنا مالى اخوة ولا قرائب وهذا الشاب لا يقرب لى ولا أنا أقرب له وانما أنا رجل وقاد فى حمام ووجدته ملقى على المزبلة مريضا وصار الوقاد يبكى ويحسب فى نفسه ألف حساب والخادم ماش بجانبه ولم يعرفه بشئ بل يقول له قد أقلقت سيدتنا بانشادك الشعر أنت وهذا الصبى ولا تخف على نفسك وصار الخادم يضحك عليه سرا واذا نزلوا أتاهم الطعام فيأكل هو والوقاد فى آنية واحدة فاذا أكلوا أمر الخادم الغلمان أن يأتوا بقلة سكر فيشرب منها ويعطيها للوقاد فيشرب لكنه لم تنشف له دمعة من الخوف على نفسه والحزن على فراق ضوء المكان وعلى ما وقع له ما فى غربتهما وهما سائران والحاجب تارة يكون على باب المحفة لاجل خدمة ضوء المكان ابن الملك عمر النعمان ونزهة الزمان وتارة يلاحظ الوقاد وصارت نزهة الزمان وأخوها ضوء المكان فى حديث وشكوى ولم يزالا على تلك الحالة وهم سائرون حتى قربوا من البلاد ولم يبق بينهم وبين البلاد الا ثلاثة أيام فنزلوا وقت المساء واستراحوا ولم يزالوا نازلين الى أن لاح الفجر فاستيقظوا وأرادوا أن يحملوا واذا بغبار عظيم قد لاح لهم وأظلم الجو منه حتى صار كالليل

الداجي فصاح الحاجب قائلا امهلوا ولا تحملوا وركب هو ومماليكه وساروا نحو ذلك الغبار
فلما قربوا منه بان من تحته عسكر جرار كالبحر الزخار وفيه رايات وأعلام وطبول وفرسان
وأبطال فتعجب الحاجب من أمرهم فلما رآهم العسكر افترقت منه فرقة قدر خمسمائة
فارس وأتوا الى الحاجب هو ومن معه وأحاطوا بهم وأحاطت كل خمسة من العسكر بمملوك من
مماليك الحاجب فقال لهم الحاجب أى شئ الخبر ومن أين هذه العساكر حتى تفعل معنا هذه
الافعال فقالوا له من أنت ومن أين أتيت والى أين تتوجه فقال لهم أنا حاجب أمير دمشق الملك
شركان ابن الملك عمر النعمان صاحب بغداد وأرض حران أتيت من عنده بالخراج والهدية
متوجها الى والده ببغداد فلما سمعوا كلامه أرخوا مناديلهم على وجوههم وبكوا وقالوا له ان
عمر النعمان قدمات ومامات الا مسموما فتوجه وما عليك بأس حتى تجتمع بوزيره الاكبر الوزير
دندان فلما سمع الحاجب ذلك الكلام بكى بكاء شديدا وقال يا خيبتنا فى هذه السفرة وساريكى
هو ومن معه الى أن اختلطوا بالعسكر فاستأذنوا له الوزير دندان فأذن له وأمر الوزير بضرب
خيامه وجلس على سرير فى وسط الخيمة وأمر الحاجب بالجلوس فلما جلس سأله عن خبره
فأعلمه أنه حاجب أمير دمشق وقد جاء بالهدايا وخراج دمشق فلما سمع الوزير دندان ذلك بكى عند
ذكر الملك عمر النعمان ثم قال له الوزير دندان ان الملك عمر النعمان قدمات مسموما وبسبب موته
اختلف الناس فيمن يولونه بعده حتى أوقعوا القتل فى بعضهم ولكن منعهم عن بعضهم
الاكابر والاشراف والقضاة الاربعة واتفق جميع الناس على أن ما أشار به القضاة الاربعة
لا يخالفهم فيه أحد فوقع الاتفاق على أننا نسير الى دمشق ونقصد ولده الملك شركان ونأتى به
ونسلطنه على مملكة أبيه وفيهم جماعة يريدون ولده الثانى وقالوا انه يسمى ضوء المكان وله
أخت تسمى نزهة الزمان وكانا قد توجها الى أرض الحجاز ومضى لهما خمس سنين ولم يقع لهما
أحد على خبر فلما سمع الحاجب ذلك علم أن القضية التى وقعت لزوجته صحيحة فاغتم لموت
السلطان غما عظيما ولكنه فرح فرحا شديدا وخصوصا بمجئ ضوء المكان لانه يصير سلطانا
ببغداد فى مكان أبيه * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والسبعون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن حاجب شركان لما سمع
من الوزير دندان ماذكره من خبر الملك عمر النعمان تأسف ولكنه فرح لزوجته وأخيها ضوء
المكان لانه يصير سلطانا ببغداد مكان أبيه ثم التفت الحاجب الى الوزير دندان وقال ان قصتكم
من أعجب العجائب اعلم أيها الوزير الكبير انكم حيث صادفتمونى الآن أراحكم الله من
التعب وقد جاء كم الامر كما تشتهون على أهون سبب لان الله رد اليكم ضوء المكان هو وأخته
نزهة الزمان وانصلح الامر وهان فلما سمع الوزير هذا الكلام فرح فرحا شديدا ثم قال له أيها
الحاجب أخبرنى بقصتهما وبما جرى لهما وبسبب غيابهما فحدثه بحديث نزهة الزمان وانها
صارت زوجته وأخبره بحديث ضوء المكان من أوله الى آخره فلما فرغ الحاجب من حديثه
أرسل الوزير دندان الى الامراء والوزراء وأكابر الدولة وأطلعهم على القصة ففرحوا بذلك
فرحا شديدا وتعجبوا من هذا الاتفاق ثم اجتمعوا كلهم وجاؤا عند الحاجب ووقفوا فى خدمته
وقبلوا الارض بين يديه وأقبل الوزير من ذلك الوقت على الحاجب ووقف بين يديه ثم ان

الحاجب عمل فى ذلك اليوم ديوانا عظيما وجلس هو والوزير دندان على التخت وبين أيديهما جميع
الامراء والكبراء وأرباب المناصب على حسب مراتبهم ثم بلوا السكر فى ماء الورد وشربوا ثم
قعد الامراء للمشورة وأعطوا بقية الجيش اذنا فى أن يركبوا مع بعضهم و يتقدموا قليلا قليلا
حتى يتموا المشورة و يلحقوهم فقبلوا الارض بين يدى الحاجب وركبوا وقدامهم رايات الحرب
فلما فرغ الكبراء من مشورتهم ركبوا ولحقوا العساكر ثم أقبل الحاجب على الوزير دندان وقال
له الرأى عندى أن أتقدم وأسبقكم لاجل أن أهيىء للسلطان مكانا يناسبه وأعلمه بقدومكم
وانكم اخترتموه على أخيه شركان سلطانا عليكم فقال الوزير نعم الرأى الذى رأيته ثم نهض
ونهض الوزير دندان تعظيما له وقدم له التقاديم وأقسم عليه أن يقبلها وكذلك الامراء الكبار
وأرباب المناصب قدموا له التقاديم ودعوا له وقالوا له لعلك تحدث السلطان ضوء المكان فى أمرنا
ليبقينا مستمرين فى مناصبنا فأجابهم لما سألوه ثم أمر غلمانه بالسير فأرسل الوزير دندان الخيام
مع الحاجب وأمر الفراشين أن ينصبوها خارج المدينة بمسافة يوم فامتثلوا أمره وركب
الحاجب وهو فى غاية الفرح وقال فى نفسه ما أبرك هذه السفرة وعظمت زوجته فى عينه
وكذلك ضوء المكان ثم جد فى السفر الى أن وصل الى مكان بينه و بين المدينة مسافة يوم ثم أمر
بالنزول فيه لاجل الراحة وتهيئة مكان لجلوس السلطان ضوء المكان بن الملك عمر النعمان
ثم نزل من بعيد هو ومماليكه وأمر الخدام أن يستأذنوا السيدة نزهة الزمان فى أن يدخل عليها
فاستأذنوها فى شأن ذلك فأذنت له فدخل عليها واجتمع بها و بأخيها وأخبرهما بموت أبيهما
وان ضوء المكان جعله الرؤساء ملكا عليهم عوضا عن أبيه عمر النعمان وهنأهما بالملك فبكيا
على فقد أبيهما وسألا عن سبب قتله فقال لهما الخبر مع الوزير دندان وفى غد يكون هو والجيش
كله فى هذا المكان وما بقى فى الامر أيها الملك الا أن تفعل ما أشار وابه لانهم كلهم اختاروك
سلطانا وان لم تفعل سلطنوا غيرك وأنت لا تأمن على نفسك من الذى يتسلطن غيرك فربما
يقتلك أو يقع الفشل بينكما ويخرج الملك من أيديكما فأطرق برأسه ساعة من الزمان ثم قال قبلت
هذا الامر لانه لا يمكن التخلى عنه وتحقق أن الحاجب تكلم بما فيه الرشاد ثم قال للحاجب ياعم
وكيف أعمل مع أخى شركان فقال ياولدى أخوك يكون سلطان دمشق وأنت سلطان بغداد
فشد عزمك وجهز أمرك فقبل منه ضوء المكان ذلك ثم ان الحاجب قدم اليه البدلة التى
كانت مع الوزير دندان من ملابس الملوك وناوله النمشة وخرج من عنده وأمر الفراشين أن
يختاروا موضعا عاليا و ينصبوا فيه خيمة واسعة عظيمة للسلطان ليجلس فيها اذا قدم عليه
الامراء ثم أمر الطباخين أن يطبخوا طعاما فاخرا ويحضروه وأمر السقايين أن ينصبوا
حياض الماء وبعد ساعة طار الغبار حتى سد الاقطار ثم انكشف ذلك الغبار وبان من
تحته عسكر جرار مثل البحر الزخار * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون * قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الحاجب لما أمر
الفراشين أن ينصبوا خيمة واسعة لاجتماع الناس عند الملك نصبوا خيمة عظيمة على عادة
الملوك فلما فرغوا من أشغالهم واذا بغبار قد طار ثم محق الهواء ذلك الغبار وبان من تحته
عسكر جرار وتبين أن ذلك العسكر عسكر بغداد وخراسان ومقدمه الوزير دندان وكلهم فرحوا

بسلطنة

بسلطنة ضوء المكان وكان ضوء المكان لابسا خلعة الملك متقلدا بسيف الموكب فقدم له
الحاجب الفرس فركب وسار هو ومماليكه وجميع من فى الخيام مشى فى خدمته حتى دخل
القبة الكبيرة وجلس ووضع النمشة على فخذيه ووقف الحاجب فى خدمته بين يديه ووقفت
مماليكه فى دهليز الخيمة وشهروا فى أيديهم السيوف ثم أقبلت العساكر والجيوش وطلبوا الاذن
فدخل الحاجب واستأذن لهم السلطان ضوء المكان فأمر أن يدخلوا عليه عشرة عشرة
فأعلمهم الحاجب بذلك فأجابوا بالسمع والطاعة ووقف الجميع على باب الدهليز فدخلت عشرة
منهم فشق بهم الحاجب فى الدهليز ودخل بهم على السلطان ضوء المكان فلما رأوه هابوه
فتلقاهم أحسن ملتقى ووعدهم بكل خير فهنوه بالسلامة ودعوا له وحلفوا له الايمان الصادقة
أنهم لا يخالفون له أمرا ثم قبلوا الارض بين يديه وانصرفوا ودخلت عشرة أخرى ففعل بهم مثل
ما فعل بغيرهم ولم يزالوا يدخلون عشرة بعد عشرة حتى لم يبق غير الوزير دندان فدخل عليه وقبل
الارض بين يديه فقام اليه ضوء المكان وأقبل عليه وقال له مرحبا بالوزير والوالد الكبير ان
فعلك فعل المشير العزيز والتدبير السديد اللطيف الخبير ثم ان الحاجب خرج فى تلك الساعة وأمر
بمد السماط وأمر باحضار العسكر جميعا فحضروا وأكلوا وشربوا ثم ان الملك ضوء المكان
قال للوزير دندان مر العسكر بالاقامة عشرة أيام حتى أختلى بك وتخبرنى بسبب قتل أبى
فامتثل الوزير قول السلطان وقال لا بد من ذلك ثم خرج الى وسط الخيام وأمر العسكر بالاقامة
عشرة أيام فامتثلوا أمره ثم ان الوزير أعطاهم اذنا أنهم يتفرجون ولا يدخل أحد من أرباب
الخدمة عند الملك مدة ثلاثة أيام فتضرع جميع الناس ودعوا الضوء المكان بدوام العز ثم أقبل
عليه الوزير وأعلمه بالذى كان فصبر الى الليل ودخل على أخته نزهة الزمان وقال لها أعلمت
بسبب قتل أبى ولم تعلمى بسببه كيف كان فقالت له لم أعلم سبب قتله ثم انها ضربت لها ستارة
من حرير وجلس ضوء المكان خارج الستارة وأمر باحضار الوزير دندان فحضر بين يديه فقال له
أريد أن تخبرنى تفصيلا بسبب قتل أبى الملك عمر النعمان فقال الوزير دندان اعلم أيها الملك ان
الملك عمر النعمان لما أتى من سفره الى الصيد والقنص وجاء الى المدينة سأل عنكما فلم يجد كما
فعلم أنكما قد قصدتما الحج فاغتم لذلك فازداد به الغيظ وضاق صدره وأقام نصف سنة وهو
يستخبر عنكما كل شارد ووارد فلم يخبره أحد عنكما فبينما نحن بين يديه يوما من الايام بعد
ما مضى لكما سنة كاملة من تاريخ فقدكما واذا بعجوز عليها آثار العبادة قد وردت علينا ومعها
خمس جوار نهد أبكار كأنهن الاقمار وحوين من الحسن والجمال ما يعجز عن وصفه اللسان
ومع كمال حسنهن يقرأن القرآن ويعرفن الحكمة وأخبار المتقدمين فاستأذنت تلك العجوز
فى الدخول على الملك فأذن لها فدخلت عليه وقبلت الارض بين يديه وكنت أنا جالسا بجانب
الملك فلما دخلت عليه قربها اليه لما رأى عليها من آثار الزهد والعبادة فلما استقرت العجوز
عنده أقبلت عليه وقالت له اعلم أيها الملك أن معى خمس جوار ما ملك أحد من الملوك مثلهن
لانهن ذوات عقل وجمال وحسن وكمال يقرأن القرآن بالروايات ويعرفن العلوم وأخبار الأمم
السالفة وهن بين يديك واقفات فى خدمتك يا ملك الزمان وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان
فنظر المرحوم والدك الى الجوارى فسرته رؤيتهن وقال لهن كل واحدة منكن تسمعنى شيأ

مما تعرفه من أخبار الناس الماضين والأمم السابقين * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال للملك ضوء المكان فنظر المرحوم والدك الى الجواري فسرته رؤيتهن وقال لهن كل واحدة منكن تسمعني شيأ مما تعرفه من أخبار الناس الماضين والامم السابقين فتقدمت واحدة منهن وقبلت الارض بين يديه وقالت اعلم أيها الملك أنه ينبغي لذي الادب أن يجتنب الفضول ويتحلى بالفضائل وأن يؤدي الفرائض ويجتنب الكبائر ويلازم ذلك ملازمة من لو أفرد عنه لهلك وأساس الادب مكارم الاخلاق واعلم أن معظم أسباب المعيشة طلب الحياة والقصد من الحياة عبادة الله فينبغي أن تحسن خلقك مع الناس وأن لا تعدل عن تلك السنة فان أعظم الناس خطرا أحوجهم الى التدبير والملوك أحوج اليه من السوقة لان السوقة قد تفيض في الامور من غير نظر في العاقبة وان تبذل في سبيل الله نفسك ومالك واعلم أن العدو خصم تخصمه بالحجة وتحترز منه وأما الصديق فليس بينك وبينه قاض يحكم غير حسن الخلق فاختر صديقك لنفسك بعد اختباره فان كان من اخوان الآخرة فليكن محافظا على اتباع ظاهر الشرع عارفا بباطنه على حسب الامكان وان كان من اخوان الدنيا فليكن حرا صادقا ليس بجاهل ولا شرير فان الجاهل أهل لان يهرب منه أبواه والكاذب لا يكون صديقا لان الصديق مأخوذ من الصدق الذي يكون ناشئا عن صميم القلب فكيف به اذا أظهر الكذب على اللسان واعلم أن اتباع الشرع ينفع صاحبه فأحبب أحالك اذا كان بهذه الصفة ولا تقطعه وان ظهر لك منه ما تكره فانه ليس كالمرأة يمكن طلاقها ومراجعتها بل قلبه كالزجاج اذا انصدع لا ينجبر ولله در القائل

احرص على صون القلوب من الاذى * فرجوعها بعد التنافر يعسر
ان القلوب اذا تنافر ودها * مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

قالت الجارية في آخر كلامها وهي تشير الينا ان أصحاب العقول قالوا خير الاخوان أشدهم في النصيحة وخير الاعمال أجلها عاقبة وخير الثناء ما كان على أفواه الرجال وقد قيل لا ينبغي للعبد أن يغفل عن شكر الله خصوصا على نعمتين العافية والعقل وقيل من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته ومن عظم صغائر المصائب ابتلاه الله بكبارها ومن أطاع الهوى ضيع الحقوق ومن أطاع الواشي ضيع الصديق ومن ظن بك خيرا فصدق ظنه بك ومن بالغ في الخصومة أثم ومن لم يحذر الحيف لم يأمن السيف وها أنا أذكر لك شيأ من آداب القضاة اعلم أيها الملك أنه لا ينفع حكم بحق الا بعد التثبت وينبغي للقاضي أن يجعل الناس في منزلة واحدة حتى لا يطمع شريف في الجور ولا ييأس ضعيف من العدل وينبغي أيضا أن يجعل البينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا وما شككت فيه اليوم فراجع فيه عقلك وتبين به رشدك اترجع فيه الى الحق فالحق فرض والرجوع الى الحق خير من التمادي على الباطل ثم اعرف الامثال وافقه المقال وسو بين الاخصام في الوقوف وليكن نظرك على الحق موقوفا وفوض أمرك الى الله عز وجل واجعل

البينة

البينة على من ادّعى فان حضرت بينته أخذت له بحقه والا فحلف المدّعى عليه وهذا حكم الله واقبل شهادة عدول المسلمين بعضهم على بعض فان الله تعالى أمر الحكام أن تحكم بالظاهر وهو يتولى السرائر ويجب على القاضى أن يجتنب القضاء عند شدّة الألم والجوع وان يقصد بقضائه بين الناس وجه الله تعالى فان من خلصت نيته وأصلح مابينه وبين نفسه كفاه الله مابينه وبين الناس وقال الزهرى ثلاث اذا كن فى قاض كان منعزلا اذا أكرم اللئام وأحبّ المحامد وكره العزل وقد عزل عمر بن عبد العزيز قاضيا فقال له لم عزلتنى فقال عمر قد بلغنى عنك أن مقالك أكبر من مقامك (وحكى) أن الاسكندر قال لقاضيه انى وليتك منزلة واستودعتك فيها روحى وعرضى ومروءتى فاحفظ هذه المنزلة لنفسك وعقلك وقال لطباخه انك مسلط على جسمى فارفق بنفسك فيه وقال لكاتبه انك متصرّف فى عقلى فاحفظنى فيما تكتبه عنى ثم تأخرت الجارية الأولى وتقدمت الثانية * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثمانين قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان ثم تأخرت الجارية الأولى وتقدمت الثانية وقبلت الارض بين يدى الملك والدك سبع مرّات ثم قالت قال لقمان لابنه ثلاثة لا تعرف الا فى ثلاثة مواطن لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا أخوك الا عند حاجتك اليه وقيل ان الظالم نادم وان مدحه الناس والمظلوم سليم وان ذمّه الناس وقال الله تعالى لا تحسبنّ الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم وقال عليه الصلاة والسلام انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى واعلم أيها الملك أن أعجب ما فى الانسان قلبه لان به زمام أمره فان هاج به الطمع أهلكه الحرص وان ملكه الأسى قتله الأسف وان عظم عنده الغضب اشتدّ به العطب وان سعد بالرضا أمن من السخط وان نالته الخوف شغله الحزن وان أصابته مصيبة ضمنه الجزع وان استفاد مالا ربما اشتغل به عن ذكر ربه وان أغصته فاقة أشغله الهم وان أجهده الجزع أقعده الضعف فعلى كل حالة لا صلاح له الا بذكر الله واشتغاله بما فيه تحصيل معاشه وصلاح معاده وقيل لبعض العلماء من أشرّ الناس حالا قال من غلبت شهوته مروءته وبعدت فى المعالى همته فاتسعت معرفته وضاقت معذرته وما أحسن ماقاله قيس

وانى لأغنى الناس عن متكلف * يرى الناس ضلالا وماهو مهتدى
وما المال والاخلاق الا معارة * فكل بما يخفيه فى الصدر مرتدى
اذا ما أتيت الامر من غير بابه * ضللت وان تدخل من الباب تهتدى

ثم ان الجارية قالت وأما أخبار الزهد فقد قال هشام بن بشر قلت لعمر بن عبيد ما حقيقة الزهد فقال لى قد بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله الزاهد من لم ينس القبر والبلى وآثر ما يبقى على مايفنى ولم يعدّ غدا من أيامه وعدّ نفسه فى الموتى وقيل ان أباذر كان يقول الفقر أحبّ الىّ من الغنى والسقم أحبّ الىّ من الصحة فقال بعض السامعين رحم الله أباذر أما أنا فأقول من اتكل على حسن الاختيار من الله تعالى رضى بالحالة التى اختارها الله له وقال

بعض الثقات صلى بنا ابن أبى أوفى صلاة الصبح فقرأ يا أيها المدثر حتى بلغ قوله تعالى فاذا نقر فى الناقور فخر ميتا ويروى أن ثابتا البنانى بكى حتى كادت أن تذهب عيناه فجاؤا برجل يعالجه قال أعالجه بشرط أن يطاوعنى قال ثابت فى أى شئ قال الطبيب فى أن لا تبكى قال ثابت فما فضل عينى ان لم تبكيا وقال رجل لمحمد بن عبد الله أوصنى * وأدرك شهرزادا الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثمانون قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان وقالت الجارية الثانية لوالدك المرحوم عمر النعمان وقال رجل لمحمد بن عبد الله أوصنى فقال أوصيك أن تكون فى الدنيا ما لكا زاهدا وفى الآخرة مملوكا طامعا قال وكيف ذلك قال الزاهد فى الدنيا يملك الدنيا والآخرة وقال غوث بن عبد الله كان أخوان فى بنى اسرائيل قال أحدهما للآخر ما أخوف عمل عملته قال له انى مررت ببيت فراخ فأخذت منه واحدة ورميتها فى ذلك البيت ولكن بيت الفراخ التى لم آخذها منها فهذا أخوف عمل عملته فما أخوف ما عملته أنت فقال أما أنا فأخوف عمل أعمله انى اذا قمت الى الصلاة أخاف أن أكون لا أعمل ذلك الا للجزاء وكان أبوهما يسمع كلامهما فقال اللهم ان كانا صادقين فاقبضهما اليك فقال بعض العقلاء ان هذين من أفضل الاولاد وقال سعيد بن جبير صحبت فضالة بن عبيد فقلت له أوصنى فقال احفظ عنى هاتين الخصلتين أن لا تشرك بالله شيأ وأن لا تؤذى من خلق الله أحدا وأنشد هذين البيتين

كن كيف شئت فان الله ذو كرم * وانف الهموم فما فى الامر من باس
الا اثنتين فلا تقربهما أبدا * الشرك بالله والاضرار بالناس

وما أحسن قول الشاعر

اذا أنت لم يصحبك زاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله * وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

ثم تقدمت الجارية الثالثة بعد أن تأخرت الثانية وقالت ان باب الزهد واسع جدا ولكن أذكر بعض ما يحضرنى فيه عن السلف الصالح قال بعض العارفين أنا استبشر بالموت ولا أتيقن فيه راحة غير أنى علمت أن الموت يحول بين المرء وبين الاعمال فارجو مضاعفة العمل الصالح وانقطاع العمل السيئ وكان عطاء السلمى اذا فرغ من وصيته انتفض وارتعد وبكى بكاء شديدا فقيل له لم ذلك فقال انى أريد أن أقبل على أمر عظيم وهو الانتصاب بين يدى الله تعالى للعمل بمقتضى الوصية ولذلك كان على زين العابدين بن الحسين يرتعد اذا قام للصلاة فسئل عن ذلك فقال أتدرون لمن أقوم ولمن أخاطب وقيل كان بجانب سفيان الثورى رجل ضرير فاذا كان شهر رمضان يخرج ويصلى بالناس فيسكت ويبطئ وقال سفيان اذا كان يوم القيامة أتى بأهل القرآن فميزون بعلامة مزيدا لكرامة عمن سواهم وقال سفيان لو أن النفس استقرت فى القلب كما ينبغى لطار فرحا وشوقا الى الجنة وحزنا وخوفا من النار وعن سفيان الثورى أنه قال النظر الى وجه الظالم خطيئة ثم تأخرت الجارية الثالثة وتقدمت الجارية الرابعة وقالت وها أنا أتكلم ببعض ما يحضرنى من أخبار الصالحين روى أن بشرا

الحافى

الحافى قال سمعت خالدا يقول اياكم وسرائر الشرك فقلت له وما سرائر الشرك قال أن يصلى أحدكم فيطيل ركوعه وسجوده حتى يلحقه الحدث وقال بعض العارفين فعل الحسنات يكفر السيآت وقال بعض العارفين التمست من بشر الحافى شيأ من أسرار الحقائق فقال يابنى هذا العلم لا ينبغى أن نعلمه كل أحد لكن من كل مائة خمسة مثل زكاة الدرهم قال ابراهيم بن أدهم فاستحليت كلامه واستحسنته فبينما أنا أصلى واذا ببشر يصلى فقمت وراءه أركع الى أن يؤذن المؤذن فقام رجل رث الحالة وقال ياقوم احذروا الصدق الضار ولا بأس بالكذب النافع وليس مع الاضطرار اختيار ولا ينفع الكلام عند العدم كما لا يضر السكوت عند وجود الجود وقال ابراهيم رأيت بشر اسقط منه دانق فقمت اليه وأعطيته درهما فقال لا آخذه فقلت انه من خالص الحلال فقال لى أنا لست أستبدل نعم الدنيا بنعم الآخرة ويروى أن أخت بشر الحافى قصدت أحمد بن حنبل * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان ان الجارية قالت لوالدك ان أخت بشر الحافى قصدت أحمد بن حنبل فقالت له يا امام الدين انا قوم نغزل بالليل ونشتغل بمعاشنا فى النهار ور بما تمر بنا مشاعل ولاة بغداد ونحن على السطح نغزل فى ضوئها فهل يحرم علينا ذلك قال لها من أنت قالت أخت بشر الحافى فقال ياأهل بشر لا أزال أستفتش الورع من قلوبكم وقال بعض العارفين اذا أراد الله بعبد خيرا فتح عليه باب العمل وكان مالك بن دينار اذا مر فى السوق ورأى ما يشتهيه يقول يانفس اصبرى فلا أوافقك على ما تريدين وقال رضى الله عنه سلامة النفس فى مخالفتها وبلاؤها فى متابعتها وقال منصور بن عمار حججت حجة فقصدت مكة من طريق الكوفة وكانت ليلة مظلمة واذا بصارخ يصرخ فى جوف الليل ويقول الهى وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتك مخالفتك وما أنا جاهل بك ولكن خطيئة قضيتها على فى قديم أزلك فاغفر لى ما فرط منى فانى قد عصيتك بجهلى فلما فرغ من دعائه تلا هذه الآية يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعت سقطة لم أعرف لها حقيقة فمضيت فلما كان الغد مشينا الى مدرجنا واذا بجنازة خرجت ووراءها عجوز ذهبت قوتهم فسألتها عن الميت فقالت هذه جنازة رجل كان مربنا البارحة وولدى قائم يصلى فتلا آية من كتاب الله تعالى فانفطرت مرارة ذلك الرجل فوقع ميتا * ثم تأخرت الجارية الرابعة وتقدمت الجارية الخامسة وقالت وها أنا أذكر بعض ما يحضرنى من أخبار السلف الصالح كان مسلمة بن دينار يقول عند تصحيح الضمائر تغفر الصغائر والكبائر واذا عزم العبد على ترك الآثام أتاه الفتوح وقال كل نعمة لا تقرب الى الله فهى بلية وقليل الدنيا يشغل عن كثير الآخرة وكثيرها ينسيك قليلها وسئل أبو حازم من أيسر الناس فقال رجل أذهب عمره فى طاعة الله قال فمن أحمق الناس قال رجل باع آخرته بدنيا غيره وروى أن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين قال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير فسأل موسى ربه ولم يسأل الناس وجاءت الجاريتان فسقى لهما ولم تصدر الرعاء فلما رجعتا أخبرتا أباهما شعيبا فقال لها لعله جائع ثم قال لاحداهما ارجعى اليه وادعيه فلما أتته غطت وجهها وقالت ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فكره موسى ذلك وأراد أن لا يتبعها

وكانت امرأة ذات عجز فكانت الريح تضرب ثوبها فيظهر لموسى عجزها فيغض بصره ثم قال لها كوني خلفي فمشت خلفه حتى دخل على شعيب والعشاء مهيأ * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان وقالت الجارية الخامسة لوالدك فدخل موسى عليه السلام على شعيب والعشاء مهيأ فقال شعيب لموسى يا موسى اني أريد أن أعطيك أجرة ما سقيت لهما فقال موسى انا من أهل بيت لا نبيع شيأ من عمل الآخرة بما على الارض من ذهب وفضة فقال شعيب ياشاب ولكن أنت ضيفي واكرام الضيف عادتي وعادة آبائي باطعام الطعام فجلس موسى فأكل ثم ان شعيبا استأجر موسى بثماني حجج أي سنين وجعل أجرته على ذلك تزويجه احدى بنتيه وكان عمل موسى لشعيب صداقا لها كما قال تعالى حكاية عنه اني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فان أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك وقال رجل لبعض أصحابه وكان له مدة لم يره انك أوحشتني لانني ما رأيتك من منذ زمان قال اشتغلت عنك بابن شهاب أتعرفه قال نعم هو جاري من منذ ثلاثين سنة الا أنني لم أكلمه قال له انك نسيت الله فنسيت جارك ولو أحببت الله لاحببت جارك أما علمت أن للجار على الجار حقا كحق القرابة وقال حذيفة دخلنا مكة مع ابراهيم بن أدهم وكان شقيق البلخي قد حج في تلك السنة فاجتمعنا في الطواف فقال ابراهيم لشقيق ما شأنكم في بلادكم فقال شقيق اننا اذا رزقنا أكلنا واذا جعنا صبرنا فقال كذا تفعل كلاب بلخ ولكننا اذا رزقنا آثرنا واذا جعنا شكرنا فجلس شقيق بين يدي ابراهيم وقال له أنت أستاذي وقال محمد بن عمران سأل رجل حاتما الاصم فقال ما أمرك في التوكل على الله تعالى قال على خصلتين علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت نفسي به وعلمت أني لم أخلق من غير علم الله فاستحييت منه ثم تأخرت الجارية الخامسة وتقدمت العجوز وقبلت الارض بين يدي والدك تسع مرات وقالت قد سمعت أيها الملك ما تكلم به الجميع في باب الزهد وأنا تابعة لهن فاذكر بعض ما بلغني عن أكابر المتقدمين قيل كان الامام الشافعي يقسم الليل ثلاثة أقسام الثلث الاول للعلم والثاني للنوم والثالث للتهجد وكان الامام أبو حنيفة يحيي نصف الليل فاشار اليه انسان وهو يمشي وقال الآخر ان هذا يحيي الليل كله فلما سمع ذلك قال اني أستحي من الله أن أوصف بما ليس في فصار بعد ذلك يحيي الليل كله وقال الربيع كان الشافعي يختم القرآن في شهر رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلاة وقال الشافعي رضي الله عنه ما شبعت من خبز الشعير عشر سنين لان الشبع يقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن القيام وروى عن عبد الله بن محمد السكري أنه قال كنت أنا وعمر نتحدث فقال لي ما رأيت أورع ولا أفصح من محمد بن ادريس الشافعي واتفق أنني خرجت أنا والحرث بن لبيب الصغار وكان الحرث تلميذ المزني وكان صوته حسنا فقرأ قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فرأيت الامام الشافعي تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه فلما أفاق قال أعوذ بالله من مقام الكذابين واعراض الغافلين اللهم لك خشعت قلوب العارفين اللهم هب

لي

لى غفرانا ذنوبى من جودك وجملنى بسترك واعف عن تقصيرى بكرم وجهك ثم قمت وانصرفت
وقال بعض الثقات لما دخلت بغداد كان الشافعى بها فجلست على الشاطئ لأتوضأ للصلاة اذ
مر بى انسان فقال لى ياغلام أحسن وضوءك يحسن الله اليك فى الدنيا والآخرة فالتفت واذا
برجل يتبعه جماعة فأسرعت فى وضوئى وجعلت أقفو أثره فالتفت الى وقال هل لك من
حاجة فقلت نعم تعلمنى مما علمك الله تعالى فقال اعلم أن من صدق الله نجا ومن أشفق على دينه
سلم من الردى ومن زهد فى الدنيا قرت عيناه غدا أفلا أزيدك قلت بلى قال كن فى الدنيا
زاهدا وفى الآخرة راغبا واصدق فى جميع أمورك تنج مع الناجين ثم مضى فسألت عنه فقيل لى
هذا الامام الشافعى وكان الامام الشافعى يقول وددت أن الناس يتفعون بهذا العلم على أن
لا ينسب الى منه شئ * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء
المكان قالت العجوز لولدك كان الامام الشافعى يقول وددت أن الناس ينتفعون بهذا العلم
على أن لا ينسب الى منه شئ وقال ما ناظرت أحدا الا أحببت أن يوفقه الله تعالى للحق ويعينه
على اظهاره وما ناظرت أحدا قط الا لاجل اظهار الحق وما أبالى أن يبين الله الحق على لسانى
أو على لسانه وقال رضى الله عنه اذا خفت على عملك العجب فاذكر رضا من تطلب وفى أى
نعيم ترغب ومن أى عقاب ترهب وقيل لابى حنيفة ان أمير المؤمنين أبا جعفر المنصور قد
جعلك قاضيا ورسم لك بعشرة آلاف درهم فما رضى فلما كان اليوم الذى توقع أن يؤتى اليه
فيه بالمال صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم ثم جاءه رسول أمير المؤمنين بالمال فلما دخل
عليه وخاطبه فلم يكلمه فقال له رسول الخليفة ان هذا المال حلال فقال اعلم أنه حلال لى
ولكنى أكره أن يقع فى قلبى مودة الجبابرة فقال له لو دخلت اليهم وتحفظت من ودهم قال هل
آمن أن ألج البحر ولا تبتل ثيابى ومن كلام الشافعى رضى الله تعالى عنه

ألا يانفس ان ترضى بقولى * فأنت عزيزة أبدا غنيه
دعى عنك المطامع والأمانى * فكم أمنية جلبت منيه

ومن كلام سفيان الثورى فيما أوصى به على بن الحسن السلمى عليك بالصدق واياك
والكذب والخيانة والرياء والعجب فان العمل الصالح يحبطه الله بخصلة من هذه الخصال ولا
تأخذ دينك الا عمن هو مشفق على دينه وليكن جليسك من يزهدك فى الدنيا وأكثر ذكر
الموت وأكثر الاستغفار واسأل الله السلامة فيما بقى من عمرك وانصح كل مؤمن اذا سألك
عن أمر دينه واياك أن تخون مؤمنا فان من خان مؤمنا فقد خان الله ورسوله واياك والجدال
والخصام ودع ما يريبك الى ما لا يريبك تكن سليما وأمر بالمعروف وانه عن المنكر تكن
حبيب الله وأحسن سريرتك يحسن الله علانيتك واقبل المعذرة ممن اعتذر اليك ولا تبغض
أحدا من المسلمين وصل من قطعك واعف عمن ظلمك تكن رفيق الانبياء وليكن أمرك
مفوضا الى الله فى السر والعلانية واخش الله خشية من قد علم أنه ميت ومبعوث وصائر الى
الحشر والوقوف بين يدى الجبار واذكر مصيرك الى احدى الدارين اما جنة عالية واما نار
حامية ثم ان العجوز جلست الى جانب الجوارى فلما سمع والدك المرحوم كلامهن علم انهن

أفضل أهل زمانهن ورأى حسنهن وجمالهن وزيادة أدبهن فآواهن اليه وأقبل على العجوز فأكرمها وأخلى لها هى وجواريها القصر الذى كانت فيه الملكة ابريزة بنت ملك الروم ونقل اليهن ما يحتجن اليه من الخيرات فأقامت عنده عشرة أيام وكلما دخل عليها يجدها معتكفة على صلاتها وقيامها فى ليلها وصيامها فى نهارها فوقع فى قلبه محبتها وقال يا وزيران هذه العجوز من الصالحات وقد عظمت فى قلبى مهابتها فلما كان اليوم الحادى عشر اجتمع بها من جهة دفع ثمن الجوارى اليها فقالت له أيها الملك اعلم أن ثمن هذه الجوارى فوق ما تتعامل به الناس فانى لا أطلب فيهن ذهبا ولا فضة ولا جواهر قليلا كان ذلك أو كثيرا فلما سمع والدك كلامها تعجب وقال أيتها السيدة وما ثمنهن قالت ما أبيعهن لك الا بصيام شهر كامل تصوم نهاره وتقوم ليله لوجه الله تعالى فان فعلت ذلك فهن ملك لك فى قصرك تصنع بهن ما شئت فتعجب الملك من كمال صلاحها وزهدها وورعها وعظمت فى عينه وقال نفعنا الله بهذه المرأة الصالحة ثم اتفق معها على أن لا يصوم الشهر كما اشترطته عليه فقالت له وأنا أعينك بدعوات أدعو بهن لك فائتنى بكوز ماء فأتاها بكوز ماء فأخذته وقرأت عليه وهمهمت وقعدت ساعة تتكلم بكلام لا نفهمه ولا نعرف منه شيأ ثم غطته بخرقة وختمته وناولته لوالدك وقالت له اذا صمت العشرة الاولى فافطر فى الليلة الحادية عشرة على ما فى هذا الكوز فانه ينزع حب الدنيا من قلبك ويملؤه نورا وايمانا وفى غد أخرج الى اخوانى وهم رجال الغيب فانى اشتقت اليهم ثم أجىء اليك اذا مضت العشرة الاولى فأخذ والدك الكوز ثم نهض وأفرد له خلوة فى القصر ووضع الكوز فيها وأخذ مفتاح الخلوة فى جيبه فلما كان النهار صام السلطان وخرجت العجوز الى حال سبيلها * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان فلما كان النهار صام السلطان وخرجت العجوز الى حال سبيلها وأتم الملك صوم العشرة أيام وفى اليوم الحادى عشر فتح الكوز وشربه فوجد له فى فؤاده فعلا جميلا وفى العشرة أيام الثانية من الشهر جاءت العجوز ومعها حلاوة فى ورق أخضر لا يشبه ورق الشجر فدخلت على والدك وسلمت عليه فلما رآها قام لها وقال لها مرحبا بالسيدة الصالحة فقالت له أيها الملك ان رجال الغيب يسلمون عليك لانى أخبرتهم عنك ففرحوا بك وأرسلوا معى هذه الحلاوة وهى من حلاوة الآخرة فافطر عليها فى آخر النهار ففرح والدك فرحا زائدا وقال الحمد لله الذى جعل لى اخوانا من رجال الغيب ثم شكر العجوز وقبل يديها وأكرمها وأكرم الجوارى غاية الاكرام ثم مضت مدة عشرين يوما وأبوك صائم وعند رأس العشرين يوما أقبلت عليه العجوز وقالت له أيها الملك اعلم انى أخبرت رجال الغيب بما بينى وبينك من المحبة وأعلمتهم بأنى تركت الجوارى عندك ففرحوا حيث كانت الجوارى عند ملك مثلك لانهم كانوا اذا رأوهن يبالغون لهن فى الدعاء المستجاب فاريد أن أذهب بهن الى رجال الغيب لتحصل نفحاتهم لهن وربما أنهن لا يرجعن اليك الا ومعهن كنز من كنوز الارض حتى انك بعد تمام صومك تشتغل بكسوتهن وتستعين بالمال الذى يأتينك به على أغراضك فلما سمع والدك كلامها شكرها على ذلك وقال لها لولا انى أخشى مخالفتى لك مارضيت بالكنز ولا غيره ولكن متى

تخرجين

تخرجين بهن فقالت له فى الليلة السابعة والعشرين فارجع بهن اليك فى رأس الشهر وتكون أنت قد أوفيت الصوم وحصل استبراؤهن وصرن لك وتحت أمرك والله ان كل جارية منهن ثمنها أعظم من ملكك مرات فقال لها وأنا أعرف ذلك أيتها السيدة الصالحة فقالت له بعد ذلك ولا بد أن ترسل معهن من يعز عليك من قصرك حتى يجد الانس ويلتمس البركة من رجال الغيب فقال لها عندى جارية رومية اسمها صفية ورزقت منها بولدين أنثى وذكر ولكنهما فقدا من منذ سنين نخذيها معهن لاجل أن تحصل لها البركة * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثمانون قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الوزير دندان قال لضوء المكان ان أباك قال للعجوز لما طلبت منه الجوارى ان عندى جارية رومية اسمها صفية ورزقت منها بولدين أنثى وذكر ولكنهما فقدا من منذ سنين نخذيها معك لاجل أن تحصل لها البركة ولعل رجال الغيب أن يدعوا الله لها بأن يرد عليها ولديها ويجمع شملها بهما فقالت العجوز نعم ما قلت وكان ذلك أعظم غرضها ثم ان والدك أخذ فى تمام صيامه فقالت له يا ولدى انى متوجهة الى رجال الغيب فاحضر لى صفية فدعا بها فحضرت فى ساعتها فسلمها الى العجوز فخاطتها بالجوارى ثم دخلت العجوز مخدعها وخرجت للسلطان بكاس مختوم وناولته له وقالت اذا كان يوم الثلاثين فادخل الحمام ثم اخرج منه وادخل خلوة من الخلاوى التى فى قصرك واشرب هذا الكاس ونم فقد نلت ما تطلب والسلام منى عليك فعند ذلك فرح الملك وشكرها وقبل يدها فقالت له استودعتك الله فقال لها ومتى أراك أيتها السيدة الصالحة فانى أود أن لا أفارقك فدعت له وتوجهت ومعها الجوارى والملكة صفية وقعد الملك بعدها ثلاثة أيام ثم هل الشهر فقام الملك ودخل الحمام وخرج من الحمام ودخل الخلوة التى فى القصر وأمر أن لا يدخل عليه أحد وردّ الباب عليه ثم شرب الكاس ونام ونحن قاعدون فى انتظاره الى آخر النهار فلم يخرج من الخلوة فقلنا لعله تعبان من الحمام ومن سهر الليل وصيام النهار فبسبب ذلك نام فانتظرناه ثانى يوم فلم يخرج فوقفنا بباب الخلوة وأعلنا برفع الصوت لعله ينتبه ويسأل عن الخبر فلم يحصل منه ذلك فخلعنا الباب ودخلنا عليه فوجدناه قد تمزق لحمه وتفتت عظمه فلما رأيناه على هذه الحالة عظم علينا ذلك وأخذنا الكاس فوجدنا فى غطائه قطعة ورق مكتوبا فيها من أساء لا يستوحش منه وهذا جزاء من يتحيل على بنات الملوك ويفسدهن والذى نعلم به كل من وقف على هذه الورقة ان شركان لما جاء بلادنا قد أفسد علينا الملكة ابريزة وما كفاه ذلك حتى أخذها من عندنا وجاء بها اليكم ثم أرسلها مع عبد أسود فقتلها ووجدناها مقتولة فى الخلاء مطروحة على الارض فهذا ما هو فعل الملوك وما جزاء من يفعل هذا الفعل الا ما حل به وأنتم لا تتهموا أحدا بقتله فما قتله الا العاهرة الشاطرة التى اسمها ذات الدواهى وها أنا أخذت زوجة الملك صفية ومضيت بها الى والدها أفريدون ملك القسطنطينية ولا بد أن نغزوكم ونقتلكم ونأخذ منكم الديار فتهلكون عن آخركم ولا يبقى منكم ديار ولا من ينفخ النار الا من يعبد الصليب والزنار فلما قرأ هذه الورقة علمنا أن العجوز خدعتنا وتمت حيلتها علينا فعند ذلك صرخنا ولطمنا على وجوهنا وبكينا فلم يفدنا البكاء شيأ واختلفت

العساكر فيمن يجعلونه سلطانا عليهم فمنهم من يريد ذلك ومنهم من يريد أخاك شركان ولم نزل فى هذا الاختلاف مدة شهر ثم جمعنا بعضنا وأردنا أن نمضى الى أخيك شركان فسافرنا الى أن وجدناك وهذا سبب موت السلطان عمر النعمان فلما فرغ الوزير من كلامه بكى ضوء المكان هو وأخته نزهة الزمان وبكى الحاجب أيضا ثم قال الحاجب لضوء المكان أيها الملك ان البكاء لا يفيدك شيأ ولا يفيدك الا أنك تشد قلبك وتقوى عزمك وتؤيد مملكتك ومن خلف مثلك مامات فعند ذلك سكت عن بكائه وأمر بنصب السرير خارج الدهليز ثم أمر أن يعرضوا عليه العساكر ووقف الحاجب بجانبه والسلحدارية من ورائه ووقف الوزير دندان قدامه ووقف كل واحد من الامراء وأرباب الدولة فى مرتبته ثم ان الملك ضوء المكان قال للوزير دندان أخبرنى بخزائن أبى فقال سمعا وطاعة وأخبره بخزائن الاموال وبما فيها من الذخائر والجواهر وعرض عليه ما فى خزنته من الاموال فانفق على العساكر وخلع على الوزير دندان خلعة سنية وقال له أنت فى مكانك فقبل الارض بين يديه ودعا له بالبقاء ثم خلع على الامراء ثم انه قال للحاجب اعرض على الذى معك من خراج دمشق فعرض عليه صناديق المال والتحف والجواهر فأخذها وفرقها على العساكر * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثمانون قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان ضوء المكان أمر الحاجب أن يعرض عليه ما أتى به من خراج دمشق فعرض عليه صناديق المال والتحف والجواهر فأخذها وفرقها على العساكر ولم يبق منها شيأ أبدا فقبل الامراء الارض بين يديه ودعوا له بطول البقاء وقالوا ما رأينا ملكا يعطى مثل هذه العطايا ثم انهم مضوا الى خيامهم فلما أصبحوا أمرهم بالسفر فسافروا ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أشرفوا على بغداد فدخلوا المدينة فوجدوها قد تزينت وطلع السلطان ضوء المكان قصر أبيه وجلس على السرير ووقف أمراء العسكر والوزير دندان وحاجب دمشق بين يديه فعند ذلك أمر كاتب السر أن يكتب كتابا الى أخيه شركان ويذكر فيه ماجرى من الاول الى الآخر ويذكر فى آخره وساعة وقوفك على هذا المكتوب تجهز أمرك وتحضر بعسكرك حتى تتوجه الى غزو الكفار ونأخذ منهم الثار ونكشف العار ثم طوى الكتاب وختمه وقال للوزير دندان ما يتوجه بهذا الكتاب الا أنت ولكن ينبغى أن تتلطف به فى الكلام وتقول له ان أردت ملك أبيك فهو لك وأخوك يكون نائبا عنك فى دمشق كما أخبرنا بذلك فنزل الوزير دندان من عنده وتجهز للسفر ثم ان ضوء المكان أمر أن يجعلوا اللوقاد مكانا فاخرا ويفرشوه باحسن الفرش وذلك اللوقاد له حديث طويل ثم ان ضوء المكان خرج يوما الى الصيد والقنص وعاد الى بغداد فقدم له بعض الامراء من الخيول الجياد ومن الجوارى الحسان ما يعجز عن وصفه اللسان فأعجبته جارية منهن فاستحلى بها ودخل عليها فى تلك الليلة فعلقت منه من ساعتها وبعد مدة رجع الوزير دندان من سفره وأخبره بخبر أخيه شركان وانه قادم عليه وقال له ينبغى أن تخرج وتلاقيه فقال له ضوء المكان سمعا وطاعة فخرج اليه مع خواص دولته من بغداد مسيرة يوم ثم نصب خيامه هناك لانتظار أخيه وعند الصباح أقبل الملك شركان فى عساكر الشام ما بين فارس مقدام وأسد

شرغام

شرغام وبطل مصدام فلما أشرقت الكتائب وقدمت السحائب وأقبلت العصائب
وخفقت أعلام المواكب توجه ضوء المكان هو ومن معه لملاقاتهم فلما عاين ضوء المكان
أراد أن يترجل اليه فأقسم عليه شركان أن لا يفعل ذلك وترجل شركان ومشى خطوات فلما
صار بين يدى ضوء المكان رمى ضوء المكان نفسه عليه فاحتضنه شركان الى صدره وبكيا بكاء
شديدا وعزى بعضهما بعضا ثم ركب الاثنان وسارا وسار العسكر معهما الى أن أشرفوا على
بغداد ونزلوا ثم طلع ضوء المكان هو وأخوه شركان الى قصر الملك وباتا تلك الليلة وعند صباح
خرج ضوء المكان وأمر أن يجمعوا العساكر من كل جانب وينادوا بالغزو والجهاد ثم أقاموا
ينتظرون مجىء الجيوش من سائر البلدان وكل من حضر يكرمونه ويعدونه بالجميل الى أن
مضى على ذلك الحال مدة شهر كامل والقوم يأتون أفواجا متتابعة ثم قال شركان لأخيه يا أخى
أعلمنى بقضيتك فأعلمه بجميع ما وقع له من الاول الى الآخر وبما صنعه معه الوقاد من المعروف
فقال له شركان أما كافأته على معروفه فقال له يا أخى ما كافأته الى الآن ولكن أكافئه ان شاء
الله تعالى لما أرجع من الغزوة * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثمانون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن شركان قال لاخيه ضوء
المكان أما كافأت الوقاد على معروفه فقال له يا أخى ما كافأته الى الآن ولكن أكافئه ان شاء
الله تعالى لما أرجع من الغزوة وأتفرغ له فعند ذلك عرف شركان ان أخته الملكة تزهة
الزمان صادقة فى جميع ما أخبرته به ثم كتم أمره وأمرها وأرسل اليها السلام مع الحاجب
زوجها فبعثت له أيضا معه السلام ودعت له وسألت عن ابنتها قضى فكان فأخبرها انها
فى عافية وانها فى غاية ما يكون من الصحة والسلامة فحمدت الله تعالى وشكرته ورجع شركان
الى أخيه يشاوره فى أمر الرحيل فقال له يا أخى لما تتكامل العساكر وتأتى العربان من كل
مكان ثم أمر بتجهيز الميرة واحضار الذخيرة ودخل ضوء المكان الى زوجته وكان مضى لها خمسة
أشهر وجعل أرباب الاقلام وأهل الحساب تحت طاعتها ورتب لها الجرايات والجوامك وسافر
فى ثالث شهر من حين نزول عسكر الشام بعد أن قدمت العربان وجميع العساكر من كل
مكان وسارت الجيوش والعساكر وتتابعت الجحافل وكان اسم رئيس عسكر الديلم رستم واسم
رئيس عسكر الترك بهرمان وسار ضوء المكان فى وسط الجيوش وعن يمينه أخوه شركان وعن
يساره الحاجب صهره ولم يزالوا سائرين مدة شهر وكل جمعة ينزلون فى مكان يستريحون فيه ثلاثة
أيام لان الخلق كثير ولم يزالوا سائرين على هذه الحالة حتى وصلوا الى بلاد الروم فنفرت أهل
القرى والضياع والصعاليك وفروا الى القسطنطينية فلما سمع أفريدون ملكهم بخبرهم قام
وتوجه الى ذات الدواهى فانها هى التى دبرت الحيل وسافرت الى بغداد حتى قتلت الملك عمر
النعمان ثم أخذت جواريها والملكة صفية ورجعت بالجميع الى بلادها فلما رجعت الى
ولدها ملك الروم وأمنت على نفسها قالت لابنها قر عينا فقد أخذت لك بثارك بقتلك ابريزة
وقتلت الملك عمر النعمان وجئت بصفية فقم الآن وارحل الى ملك القسطنطينية وردّ عليه
صفية وأعلمه بما جرى حتى يكون جميعنا على حذر ونتجهز بأهبة وأسافر أنا معك الى الملك
أفريدون ملك القسطنطينية وأظن أن المسلمين لا يثبتون على قتالنا فقال لها أمهلى الى أن

يقتربوا من بلادنا حتى نجهز أحوالنا ثم أخذوا فى جمع رجالهم وتجهيز أحوالهم فلما جاءهم الخبر كانوا قد جهزوا حالهم وجمعوا الجيوش وسارت فى أوائلهم ذات الدواهى فلما وصلوا الى القسطنطينية سمع الملك الاكبر ملكها أفريدون بقدوم جردوب ملك الروم فخرج لملاقاته فلما اجتمع أفريدون بملك الروم سأله عن حاله وعن سبب قدومه فأخبره بما عملته أمه ذات الدواهى من الحيل وانها قتلت ملك المسلمين وأخذت من عنده الملكة صفية وقالت ان المسلمين جمعوا عساكرهم وجاؤا ونريد أن نكون جميعنا يدا واحدة ونلقاهم ففرح الملك أفريدون بقدوم ابنته وقتل عمر النعمان وأرسل الى سائر الأقاليم يطلب منهم النجدة ويذكر لهم سبب قتل الملك عمر النعمان فهرعت اليه جيوش النصارى فأقام ثلاثة شهور حتى تكاملت جيوش الروم ثم أقبلت الافرنج من سائر أطرافها كالفرنسيس والنمسا ودوبره وجورنه وبندق وجنوز وسائر عساكر بنى الاصفر فلما تكاملت العساكر وضاقت بهم الارض من كثرتهم أمرهم الملك الاكبر أفريدون أن يرحلوا عن القسطنطينية فرحلوا واستمروا تتابع عساكرهم فى الرحيل عشرة أيام وساروا حتى نزلوا بوادى واسع الاطراف وكان ذلك الوادى قريبا من البحر المالح فأقاموا ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أرادوا أن يرحلوا فاتتهم الاخبار بقدوم عساكر الاسلام وحماة ملة خير الأنام فأقاموا فيه ثلاثة أيام أخرى وفى اليوم الرابع رأوا غبارا طار حتى سد الاقطار فلم تمض ساعة من النهار حتى انجلا ذلك الغبار وتمزق الى الجو وطار ومحت ظلمته كواكب الاسنة والرماح وبريق بيض الصفاح وبان من تحته رايات اسلامية وأعلام محمدية وأقبلت الفرسان كاندفاع البحار فى دروع تحسبها سحبا مزررة على أقمار فعند ذلك تقابل الجيشان والتطم البحران ووقعت العين فى العين فأول من برز للقتال الوزير دندان هو وعساكر الشام وكانوا ثلاثين ألف عنان وكان مع الوزير مقدم الترك ومقدم الديلم رستم وبهرام فى عشرين ألف فارس وطلع من ورائهم رجال من صوب البحر المالح وهم لابسون زرد الحديد وقد صاروا فيه كالبدور السافرة فى الليالى العاكرة وصارت عساكر النصارى ينادون عيسى ومريم والصليب المسخم ثم انطبقوا على الوزير دندان ومن معه من عساكر الشام وكان هذا كله تدبير العجوز ذات الدواهى لان الملك أقبل عليها قبل خروجه وقال لها كيف العمل والتدبير وأنت السبب فى هذا الامر العسير فقالت اعلم أيها الملك الكبير والكاهن الخطير أنى أشير عليك بأمر يعجز عن تدبيره ابليس ولو استعان عليه بحزبه المتاعيس * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثمانون قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان هذا كله كان تدبير العجوز لان الملك كان أقبل عليها قبل خروجها وقال لها كيف العمل والتدبير وأنت السبب فى هذا الامر العسير فقالت اعلم أيها الملك الكبير والكاهن الخطير أنى أشير عليك بأمر يعجز عن تدبيره ابليس ولو استعان عليه بحزبه المتاعيس وهو أنك ترسل خمسين ألفا من الرجال ينزلون فى المراكب ويتوجهون فى البحر الى أن يصلوا الى جبل الدخان فيقيمون هناك ولا يرحلون من ذلك المكان حتى تأتيكم أعلام الاسلام فدونكم واياهم ثم تخرج اليهم العساكر من البحر ويكونون خلفهم ونحن نقابلهم من البر فلا ينجو منهم أحد وقد زال عنا

العناء

العناء ودام لنا الهناء فاستصوب الملك أفريدون كلام العجوز وقال نعم الرأى رأيك ياسيدة العجائز الماكرة ومرجع الكهان فى الفتن الثائرة وحين هجم عليهم عسكر الاسلام فى ذلك الوادى لم يشعروا الا والنار تلتهب فى الخيام والسيوف تعمل فى الاجسام ثم أقبلت جيوش بغداد وخراسان وهم فى مائة وعشرين ألف فارس وفى أوائلهم ضوء المكان فلما رآهم عسكر الكفار الذين كانوا فى البحر طمعوا اليهم من البحر وتبعوا أثرهم فلما رآهم ضوء المكان قال ارجعوا الى الكفار ياحزب النبى المختار وقاتلوا أهل الكفر والعدوان فى طاعة الرحيم الرحمن وأقبل شركان بطائفة أخرى من عساكر المسلمين نحو مائة ألف وعشرين ألفا وكانت عساكر الكفار نحو ألف ألف وستمائة ألف فلما اختلط المسلمون بعضهم ببعض قويت قلوبهم ونادوا قائلين ان الله وعدنا بالنصر وأوعد الكفار بالخذلان ثم تصادموا بالسيف والسنان واخترق شركان الصفوف وهاج فى الالوف وقاتل قتالا تشيب منه الاطفال ولم يزل يجول فى الكفار ويعمل فيهم الصارم البتار وينادى الله أكبر حتى ردّ القوم الى ساحل البحر وكلت منهم الاجسام ونصر الله دين الاسلام والناس يقاتلون وهم سكارى بغير مدام وقد قتل من القوم فى ذلك الوقت خمسة وأربعون ألفا وقتل من المسلمين ثلاثة آلاف وخمسمائة ثم ان أسد الدين الملك شركان لم ينم فى تلك الليلة لاهو ولا أخوه ضوء المكان بل كانا يبشران الناس ويتفقدان الجرحى ويهنيانهم بالنصر والسلامة والثواب فى القيامة هذا ما كان من أمر المسلمين وأما ما كان من أمر الملك أفريدون ملك القسطنطينية وملك الروم وأمه العجوز ذات الدواهى فانهم جمعوا أمراء العسكر وقالوا لبعضهم انا كنا بلغنا المراد وشفينا الفؤاد ولكن اعجابنا بكثرتنا هو الذى خذلنا فقالت لهم العجوز ذات الدواهى انه لا ينفعكم الا أنكم تتقربون للمسيح وتتمسكون بالاعتقاد الصحيح فوحق المسيح ماقوى عسكر المسلمين الا هذا الشيطان الملك شركان فقال الملك أفريدون انى قد عوّلت فى غد على أن أصف لهم الصفوف وأخرج لهم الفارس المعروف لوقا بن شملوط فانه اذا برز الى الملك شركان قتله وقتل غيره من الابطال حتى لم يبق منهم أحد وقد عوّلت فى هذه الليلة على تقديسكم بالبخور الاكبر فلما سمعوا كلامه قبلوا الارض وكان البخور الذى أراده خرء البطريق الكبير ذى الانكار والنكير فانهم كانوا يتنافسون فيه ويستحسنون مساويه حتى كانت أكابر بطارقة الروم يبعثونه الى سائر أقاليم بلادهم فى خرق من الحرير ويميزونه بالمسك والعبير فاذا وصل خبره الى الملوك يأخذون منه كل درهم بألف دينار حتى كان الملوك يرسلون فى طلبه من أجل بخور العرائس وكانت البطارقة يخلطونه بخرئهم فان خرء البطريق الكبير لا يكفى عشرة أقاليم وكان خواص ملوكهم يجعلون قليلا منه فى كحل العيون ويداوون به المريض والمبطون فلما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح وتبادرت الفرسان الى حمل الرماح وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للتسعين قالت بلغنى أيها الملك السعيد انه لما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح وتبادرت الفرسان الى الرماح عاد الملك أفريدون بخواص بطارقته وأرباب دولته وخلع عليهم ونقش الصليب فى وجوههم وبخرهم بالبخور المتقدم ذكره الذى هو خرء

البطريق الاكبر والكاهن الامكر فلما بخرهم دعا بحضور لوقا بن شملوط الذى يسمونه سيف المسيح وبخره بالرجيع وحنكه به بعد التبخير ونشقه ولطخ به عوارضه ومسح بالفضلة شواربه وكان ذلك الملعون لوقا ما فى بلاد الروم أعظم منه ولا أرمى بالنبال ولا أضرب بالسيف ولا أطعن بالرمح يوم النزال وكان بشع المنظر كأن وجهه وجه حمار وصورته صورة قرد وطلعته طلعة الرقيب وقربه أصعب من فراق الحبيب له من الليل ظلمته ومن الابخر نكهته ومن القوس قامته ومن الكفر سمته وبعد ذلك أقبل على الملك أفريدون وقبل قدميه ثم وقف بين يديه فقال له الملك أفريدون انى أريد أن تبرز الى شركان ملك دمشق ابن عمر النعمان وقد انجلى عنا هذا الشر وهان فقال سمعا وطاعة ثم ان الملك نقش فى وجهه الصليب وزعم أن النصر يحصل له عن قريب ثم انصرف لوقا من عند الملك أفريدون وركب الملعون لوقا جوادا أشقر وعليه ثوب أحمر وزردية من الذهب المرصع بالجوهر وحمل رمحاله ثلاث حراب كأنه ابليس اللعين يوم الاحزاب وتوجه هو وحزبه الكفار كأنهم يساقون الى النار وبينهم منادى ينادى بالعربى ويقول يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم لا يخرج منكم الا فارسكم سيف الاسلام شركان صاحب دمشق الشام فلما استتم كلامه الاوضجة فى الفلا سمع صوتها جميع الملا وركضات فرقت الصفين وأذكرت يوم حنين ففزع الشام منها ولفتوا الاعناق نحوها واذا هو الملك شركان بن الملك النعمان وكان أخوه ضوء المكان لما رأى ذلك الملعون فى الميدان وسمع المنادى التفت لأخيه شركان وقال له انهم يريدونك فقال ان كان الامر كذلك فهو أحب الى فلما تحققوا الامر وسمعوا هذا المنادى وهو يقول فى الميدان لا يبرز لى الا شركان علموا أن هذا الملعون فارس بلاد الروم وكان قد حلف أن يخلى الارض من المسلمين والا فهو من أخسر الخاسرين لانه هو الذى حرق الاكاد وفزعت من شره الاجناد من الترك والديلم والاكراد فعند ذلك برز اليه شركان كأنه أسد غضبان وكان راكبا على ظهر جواد يشبه شاردا الغزلان فساقه نحو لوقا حتى صار عنده وهز الرمح فى يده كأنه أفعى من الحيات وأنشد هذه الابيات

لى أشقر سمح العنان مغاير * يعطيك ما يرضيك من مجهوده
ومثقف لدن السنان كأنما * أم المنايا ركبت فى عوده
ومهند عضب اذا جردته * خلت البروق تموج فى تجريده

فلم يفهم لوقا معنى هذا الكلام ولا حماسة هذا النظام بل لطم وجهه بيده تعظيما للصليب المنقوش عليه ثم قبلها وأشرع الرمح نحو شركان وكر عليه ثم طوح الحربة باحدى يديه حتى اختفيت عن أعين الناظرين وتلقاها باليد الاخرى كفعل الساحرين ثم رمى بها شركان فخرجت من يده كأنها شهاب ثاقب ففجعت الناس وخافوا على شركان فلما قربت الحربة من شركان اختطفها من الهواء فتحيرت عقول الورى ثم ان شركان هز ها بيده التى أخذها بها من النصرانى حتى كاد أن يقصفها ورماها فى الجو حتى خفيت عن النظر وتلقاها بيده الثانية فى أقرب من لمح البصر وصاح صيحة من صميم قلبه وقال وحق من خلق السبع الطباق لأجعلن هذا اللعين شهرة فى الآفاق ثم رماه بالحربة فأراد لوقا أن يفعل بالحربة كما فعل شركان

ومتنيده الى الحربة ليختطفها من الهواء فعاجله شركان بحربة ثانية وضربه بها فوقعت فى وسط الصليب الذى فى وجهه وعجل الله بروحه الى النار و بئس القرار فلما رأى الكفار لوقابن شملوط وقع مقتولا لطموا على وجوههم وناداوا بالويل والثبور واستغاثوا بيطارقة الديور

*وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والتسعون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الكفار لما رأوا لوقابن شملوط وقع مقتولا لطموا على وجوههم وناداوا بالويل والثبور واستغاثوا بيطارقة الديور وقالوا أين الصلبان وتزهد الرهبان ثم اجتمعوا جميعا عليه وأعملوا الصوارم والرماح وهجموا للحرب والكفاح والتقت العساكر بالعساكر وصارت الصدور تحت وقع الخوافر وتحكمت الرماح والصوارم وضعفت السواعد والمعاصم وكأن الخيل خلقت بلا قوائم ولا زال منادى الحرب ينادى الى أن كلت الايادى وذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار وافترق الجيشان وصار كل شجاع كالسكران من شدة الضرب والطعان وقد امتلأت الارض بالقتلى وعظمت الجراحات وصار لا يعرف الجريح ممن مات ثم ان شركان اجتمع بأخيه ضوء المكان والحاجب والوزير دندان فقال شركان لأخيه ضوء المكان والحاجب ان الله قد فتح بابا لهلاك الكافرين والحمد لله رب العالمين فقال ضوء المكان لأخيه لم نزل نحمد الله نكشف الحرب عن العرب والعجم وسوف تتحدث الناس جيلا بعد جيل بما صنعت يا اللعين لوقا محرف الانجيل وأخذك الحربة من الهواء وضربك لعدو الله بين الورى ويبقى حديثك الى آخر الزمان ثم قال شركان أيها الحاجب الكبير والمقدام الخطير فأجابه بالتلبية فقال له خذ معك الوزير دندان وعشرين ألف فارس وسر بهم الى ناحية البحر مقدار سبعة فراسخ وأسرعوا فى السير حتى تكونوا قريبا من الساحل بحيث يبقى بينكم وبين القوم قدر فرسخين واختفوا فى وهدات الارض حتى تسمعوا صيحة الكفار اذا طلعوا من المراكب وتسمعوا الصياح من كل جانب وقد عملت بيننا وبينهم القواضب فاذا رأيتم عسكرنا تقهقروا الى وراء كأنهم منهزمون وجاءت الكفار زاحفة خلفهم من جميع الجهات حتى من جانب الساحل والخيام فكونوا لهم بالمرصاد واذا رأيت أنت علما عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فارفع العلم الأخضر وصح قائلا الله أكبر واحمل عليهم من ورائهم واجتهد فى أن لا يحول الكفار بين المنهزمين و بين البحر فقال السمع والطاعة واتفقوا على ذلك الامر فى تلك الساعة ثم تجهزوا وساروا وقد أخذ الحاجب معه الوزير دندان وعشرين ألفا كما أمر الملك شركان فلما أصبح الصباح ركب القوم وهم مجردون الصفاح ومعتقلون الرماح وحاملون السلاح وانتشرت الخلائق فى الربا والبطاح وصاحت القسوس وكشفت الرؤس ورفعت الصلبان على قلوع المراكب وقصدوا الساحل من كل جانب وأنزلوا الخيل فى البر وعزموا على الكر والفر ولمعت السيوف وتوجهت الجموع وبرقت شهب الرماح على الدروع ودارت طاحون المنايا على الرجال والفرسان وطارت الرؤس عن الابدان وخرست الالسن وتغشت الاعين وانفطرت المرائر وعملت البواتر وطارت الجماجم وقطعت المعاصم وخاضت الخيل فى الدماء وتقابضوا باللحى وصاحت عساكر الاسلام بالصلاة والسلام

على سيد الأنام وبالثناء على الرحمن بما أولى من الاحسان وصاحت عساكر الكفر بالثناء
على الصليب والزنار والعصير والعصار والقسوس والرهبان والشعانين والمطران
وتأخر ضوء المكان هو وشركان الى ورائهما وفقرت الجيوش وأظهروا الانهزام للأعداء
وزحفت عليهم عساكر الكفر لوهم الهزيمة وتهيؤا للطعن والضرب فاستهل أهل الاسلام
بقراءة أول سورة البقرة وصارت القتلى تحت أرجل الخيل منثرة وصار منادى الروم يقول
ياعبدة المسيح وذوى الدين الصحيح ياخدام الجاثليق قد لاح لكم التوفيق ان عساكر
الاسلام قد جنحوا الى الفرار فلا تولوا عنهم الأدبار فمكنوا السيوف من أقفائهم ولا ترجعوا
من ورائهم والا برئتم من المسيح ابن مريم الذى فى المهد تكلم وظن أفريدون ملك
القسطنطينية أن عساكر الكفار منصورة ولم يعلم أن ذلك من حسن تدبير المسلمين صورة
فأرسل الى ملك الروم يبشره بالظفر ويقول له ما نفعنا الا غائط البطريق الاكبر لما فاحت
رائحته من اللحى والشوارب بين عباد الصليب حاضر وغائب وأقسم بالمعجزات النصرانية
المريمية والمياه المعمودية انى لا أترك على الارض مجاهدا بالكلية وانى مصر على سوء
هذه النية وتوجه الرسول بهذا الخطاب ثم صاح الكفار على بعضهم قائلين خذوا بثار لوقا
*وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والتسعون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الكفار صاحوا على
بعضهم قائلين خذوا بثار لوقا وصار ملك الروم ينادى بالاخذ ثار البريزة فعند ذلك صاح الملك ضوء
المكان وقال ياعباد الملك الديان اضربوا أهل الكفر والطغيان ببيض الصفاح وسمر
الرماح فرجع المسلمون على الكفار وأعملوا فيهم الصارم البتار وصار ينادى منادى
المسلمين ويقول عليكم بأعداء الدين بامحب النبى المختار هذا وقت ارضاء الكريم الغفار
يا راجى النجاة فى اليوم المخوف ان الجنة تحت ظلال السيوف واذا بشركان قد حمل هو
ومن معه على الكفار وقطعوا عليهم طريق الفرار وجال بين الصفوف وطاف واذا
بفارس مليح الانعطاف قد فتح فى عسكر الكفرة ميدانا وجال فى الكفرة حربا وطعانا
وملأ الارض رؤسا وأبدانا وقد خافت الكفار من حربه ومالت أعناقهم لطعنه وضربه
قد تقلد بسيفين لحظ وحسام واعتقل رمحين قناة وقوام بوفرة تغنى عن وافر عدد العساكر
كما قال فيه الشاعر

لا تحسن الوفرة الاوهى * مشورة الفرعين يوم النزال
على فتى معتقل صعدة * يعلها من كل وافى السبال

وقول الآخر

أقول له لما تقلد سيفه * كفتك سيوف اللحظ عن ذلك العضب
فقال لحاظى سيفها الذوى الهوى * وسيفى لمن لم يدر مالذة الحب

فلما رآه شركان قال أعتذلك بالقرآن وآيات الرحمن من أنت أيها الفارس من الفرسان
فلقد أرضيت بفعلك الملك الديان الذى لا يشغله شان عن شان حيث هزمت أهل الكفر
والطغيان فناداه الفارس قائلا أنت الذى بالامس عاهدتنى فما أسرع ما نسيتنى ثم

كشف اللثام عن وجهه حتى ظهر ماخفى من حسنه فاذا هو شوء المكان ففرح به شركان الا
أنه خاف عليه من ازدحام الاقران وانطباق السجعان وذلك لامرين أحدهما لحرسنه
وصباته عن العين والثانى أن بقاءه للملكة أعظم الجناحين فقال له يا ملك انك لقد
خاطرت بنفسك فألصق جوادك بجوادى فانى لا آمن عليك من الاعادى والمصلحة فى أن لا تخرج
من تلك العصائب لاجل أن نرمى الاعداء بسهمك الصائب فقال ضوء المكان انى أردت
أن أساويك فى النزال ولا أبخل بنفسى بين يديك فى القتال ثم انطبقت عساكر الاسلام
على الكفار وأحاطوا بهم من جميع الاقطار وجاهدوهم حق الجهاد وكسروا شوكة
الكفر والعناد والفساد فتأسف الملك أفريدون لما رأى ما حل بالروم من الامر المذموم
وقد ولوا الادبار وركنوا الى الفرار يقصدون المراكب واذا بالعساكر قد خرجت عليهم
من ساحل البحر وفى أوائلهم الوزير دندان مجندل الشجعان وضرب فيهم بالسيف والسنان
وكذا الامير بهرام صاحب دوائر الشام وهو فى عشرين ألف ضرغام وأحاطت بهم عساكر
الاسلام من خلف ومن أمام ومالت فرقة من المسلمين على من كان فى المراكب وأوقعوا
فيهم المعاطب فرموا أنفسهم فى البحر وقتلوا منهم جمعا عظيما يزيد على مائة ألف خنزير
ولم ينج من أبطالهم صغير ولا كبير وأخذوا مراكبهم بما فيها من الاموال والذخائر
والاثقال الاعشرين مركبا وغنم المسلمون فى ذلك اليوم غنيمة ما غنم أحد مثلها فى سالف الزمان
ولا سمعت أذن بمثل هذا الحرب والطعان ومن جملة ما غنموه خمسون ألفا من الخيل غير الذخائر
والاسلاب مما لا يحيط به حصر ولا حساب وفرحوا فرحا ما عليه مزيد بما من الله عليهم
من النصر والتأييد هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من أمر المنهزمين فانهم وصلوا الى
القسطنطينية وكان الخبر قد وصل الى أهلها أولا بأن الملك أفريدون هو الظافر بالمسلمين فقالت
العجوز ذات الدواهى أنا أعلم أن ولدى ملك الروم لا يكون من المنهزمين ولا يخاف من الجيوش
الاسلامية ويرد أهل الارض الى ملة النصرانية ثم ان العجوز كانت أمرت الملك الاكبر
أفريدون أن يزين البلد فأظهروا السرور وشربوا الخمور وما علموا بالمقدور فبينما هم
فى وسط الافراح اذ نعق عليهم غراب الحزن والاتراح وأقبلت عليهم العشرون مركبا
الهاربة وفيها ملك الروم فقابلهم أفريدون ملك القسطنطينية على الساحل وأخبروه بما جرى
لهم من المسلمين فزاد بكاؤهم وعلا نحيبهم وانقلبت بشارات الخير بالغم والضير وأخبروه
أن لوقابن شملوط حلت به النوائب وتمكن منه سهم المنية الصائب فقامت على الملك
أفريدون القيامة وعلم أن اعوجاجهم ليس له استقامة وقامت بينهم المآتم وانحلت منهم
العزائم وندبت النوادب وعلا النحيب والبكاء من كل جانب ولما دخل ملك الروم على الملك
أفريدون وأخبره بحقيقة الحال وأن هزيمة المسلمين كانت على وجه الخداع والمحال قال له
لا تنتظر أن يصل من العسكر الا من وصل اليك فلما سمع الملك أفريدون ذلك الكلام وقع مغشيا
عليه وصار أنفه تحت قدميه * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والتسعون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك افريدون لما سمع
ذلك الكلام وقع مغشيا عليه وصار أنفه تحت قدميه فلما أفاق من غشيته نفض الخوف

جراب معدته فشكا الى العجوز ذات الدواهى وكانت تلك اللعينة كاهنة من الكهان ومتقنة للسحر والبهتان عاهرة مكارة فاجرة غدارة ولها فم أبخر وجفن أحمر وخد أصفر بوجه أغبش وطرف أعمش وجسم أجرب وشعر أشهب وظهر أحدب ودين حائل ومخاط سائل لكنها قرأت كتب الاسلام وسافرت الى بيت الله الحرام كل ذلك لتطلع على الاديان وتعرف آيات القرآن ومكثت فى بيت المقدس سنتين لتحوز مكر الثقلين فهى آفة من الآفات وبلية من البليات فاسدة الاعتقاد ليست لدين تنقاد وكان أكثر اقامتها عند ولدها حردوب ملك الروم لاجل الجوارى الابكار لانها كانت تحب السحاق وان تأخر عنها تكون فى اخماق وكل جارية أعجبتها تعلمها الحكمة وتسحق عليها الزعفران فيغشى عليها من فرط اللذة مدة من الزمان لمن طاوعتها أحسنت اليها ورغبت ولدها فيها ومن لم تطاوعها تحيل على هلاكها وبسبب ذلك علمت مرجانة وريحانة وأترجة جوارى ابريزة وكانت الملكة ابريزة تكره العجوز وتكره أن ترقد معها لان صنانها يخرج من تحت ابطيها ورائحة فسائها أنتن من الجيفة وجسدها أخشن من الليفة وكانت ترغب من يساحقها بالجواهر والتعليم وكانت ابريزة تبرأ منها الى الحكيم العليم ولله در القائل

يا من تسفل للغنى مذلة * وعلى الفقير لقد علا تياها
ويزين شنعته بجمع دراهم * عطر القبيحة لا يفى بشذاها

ولنرجع الى حديث مكرها ودواهى أمرها ثم انها سارت وسار معها عظماء النصارى وعساكرهم وتوجهوا الى عسكر الاسلام وبعدها دخل الملك أفريدون على ملك الروم وقال له أيها الملك مالنا حاجة بامر البطريق الكبير ولا بدعائه بل نعمل برأى أمى ذات الدواهى ونتظر ما تعمل بخداعها غير المتناهى مع عسكر المسلمين فانهم بقوتهم واصلون الينا وعن قريب يكونون لدينا ويحيطون بنا فلما سمع الملك افريدون ذلك الكلام عظم فى قلبه الرعب فكتب من وقته وساعته الى سائر أقاليم النصارى يقول لهم ينبغى أن لا يتخلف أحد من أهل الملة النصرانية والعصابة الصليبية خصوصا أهل الحصون والقلاع بل يأتون الينا جميعا رجالا وركبانا ونساء وصبيانا فان عسكر المسلمين قد وطئوا أرضنا فالعجل العجل قبل حلول الوجل هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر العجوز ذات الدواهى فانها طلعت خارج البلد مع أصحابها وألبستهم زى تجار المسلمين وكانت قد أخذت معها مائة بغل محملة من القماش الانطاكى ما بين أطلس معدنى وديباج ملكى وغير ذلك وأخذت الملك أفريدون كتابا مضمونه أن هؤلاء التجار من أرض الشام وكانوا فى ديارنا فلا ينبغى أن يتعرض لهم أحد بسوء عشر احتى يصلوا الى بلادهم ومحل أمنهم لان التجار بهم عمار البلاد وليسوا من أهل الحرب والفساد ثم ان الملعونة ذات الدواهى قالت لمن معها انى أريد أن أدبر حيلة على هلاك المسلمين فقالوا لها أيتها الملكة مرينا بما شئت فنحن تحت طاعتك فلا أحبط المسيح عملك فلبست ثيابا من الصوف الابيض الناعم وحكت جبينها حتى صار له وسم ودهنته بدهان دبرته حتى صار له ضوء عظيم وكانت الملعونة نحيلة الجسم غائرة العينين فقيدت رجليها من فوق قدميها وسارت حتى وصلت الى عسكر المسلمين ثم حلت القيد من رجليها وقد أثر القيد فى ساقيها ثم دهنتهما

بدم

بقدم الاخوين وأمرت من معها أن يضربوها ضربا عنيفا وأن يضعوها فى صندوق فقالوا لها كيف نضرب بك وأنت سيدتنا ذات الدواهى أم الملك المباهى فقالت لا لوم ولا تعنيف على من يأتى الكنيف ولاجل الضرورات تباح المحظورات وبعد أن تضعونى فى الصندوق خذوه فى جملة الاموال واحملوه على البغال ومروا بذلك بين عسكر الاسلام ولا تخشوا شيأ من الملام وان تعرض لكم أحد من المسلمين فسلموا له البغال وما عليها من الاموال وانصرفوا الى ملككم ضوء المكان واستغيثوا به وقولوا نحن كنا فى بلاد الكفرة ولم يأخذوا منا شيأ بل كتبوا لنا توقيعا أنه لا يتعرض لنا أحد فكيف تأخذون أنتم أموالنا وهذا كتاب ملك الروم الذى مضمونه أن لا يتعرض لنا أحد بمكروه فاذا قال وما الذى ربحتموه من بلاد الروم فى تجارتكم فقولوا له ربحنا خلاص رجل زاهد وقد كان فى سرداب تحت الارض له فيه نحو خمسة عشر عاما وهو يستغيث فلا يغاث بل يعذبه الكفار ليلا ونهارا ولم يكن عندنا علم بذلك مع أننا أقمنا فى القسطنطينية مدة من الزمان وبعنا بضائعنا واشترينا خلافها وجهزنا حالنا وعزمنا على الرحيل الى بلادنا وبتنا تلك الليلة نتحدث فى أمر السفر فلما أصبحنا رأينا صورة مصورة فى الحائط فلما قربنا منها تأملناها فاذا هى تحركت وقالت يا مسلمون هل فيكم من يعامل رب العالمين فقلنا وكيف ذلك فقالت تلك الصورة ان الله أنطقنى لكم ليقوى يقينكم و يلهمكم دينكم وتخرجوا من بلاد الكافرين وتقصدوا عسكر المسلمين فان فيهم سيف الرحمن * وبطل الزمان * الملك شركان * وهو الذى يفتح القسطنطينية * ويهلك أهل الملة النصرانية * فاذا قطعتم سفر ثلاثة أيام * تجدوا ديرا يعرف بدير مطروحنا وفيه صومعة فاقصدوها بصدق نيتكم * وتحيلوا على الوصول اليها بقوة عزيمتكم * لان فيها رجلا عابدا من بيت المقدس اسمه عبد الله وهو من أدين الناس * وله كرامات تربح الشك والالباس * قد خدعه بعض الرهبان وسجنه فى سرداب له فيه مدة مديدة من الزمان وفى انقاذه رضا رب العباد * لان فكاكه من أفضل الجهاد * ثم ان العجوز لما اتفقت مع من معها على هذا الكلام قالت فاذا ألقى اليكم سمعه الملك شركان فقولوا له فلما سمعنا هذا الكلام من تلك الصورة علمنا أن ذلك العابد * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والتسعون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن العجوز ذات الدواهى لما اتفقت مع من معها على هذا الكلام قالت فاذا ألقى اليكم سمعه الملك شركان فقولوا له فلما سمعنا هذا الكلام من تلك الصورة علمنا أن ذلك العابد من أكابر الصالحين وعباد الله المخلصين فسافرنا مدة ثلاثة أيام ثم رأينا ذلك الدير فعرجنا عليه * ونزلنا اليه * وأقمنا هناك يوما فى البيع والشراء على عادة التجار فلما ولى النهار * وأقبل الليل بالاعتكار * قصدنا تلك الصومعة التى فيها السرداب فسمعناه بعد تلاوة الآيات * ينشد هذه الابيات

كمد أكابده وصدرى ضيق * وجرى بقلبى بحرهم متغرق
ان لم يكن فرج لهوت عاجل * ان الحمام من الرزايا أرفق
يا برق ان جئت الديار وأهلها * وعلا عليك من البشائر رونق
كيف السبيل الى اللقاء وبيننا * تلك الحروب وباب رهن مغلق

بلغ أحبتنا السلام وقل لهم * انى بدير الروم قاص موثق

ثم قالت اذا وصلتم بى الى عسكر المسلمين وصرت عندهم أعرف كيف أدبر حيلة فى خديعتهم وقتلهم عن آخرهم فلما سمع النصارى كلام العجوز قبلوا يديها ووضعوها فى الصندوق بعد أن ضربوها أشد الضربات الموجعات * تعظيما لها لانهم يرون طاعتها من الواجبات * ثم قصدوا بها عسكر المسلمين كما ذكرنا * هذا ما كان من أمر هذه اللعينة ذات الدواهى ومن معها وأما ما كان من أمر عسكر المسلمين فانهم لما نصرهم الله على أعدائهم وغنموا ما كان فى المراكب من الاموال والذخائر قعدوا يتحدثون مع بعضهم فقال ضوء المكان لاخيه ان الله نصرنا بسبب عدلنا وانقيادنا لبعضنا * فكن يا شركان ممتثلا أمرى فى طاعة الله عز وجل فقال شركان حبا وكرامة ومديده الى أخيه وقال ان جاءك ولد أعطيته ابنتى قضى فكان ففرح بذلك وصار يهنى بعضهم بعضا بالنصر على الاعداء وهنأ الوزير دندان شركان وأخاه وقال لهما اعلما أيها الملكان أن الله نصرنا حيث وهبنا أنفسنا لله عز وجل وهجرنا الاهل والاوطان والرأى عندى أن نرحل وراءهم ونحاصرهم ونقاتلهم لعل الله أن يبلغنا مرادنا ونستأصل أعداءنا وان شئتم فانزلوا فى هذه المراكب وسيروا فى البحر ونحن نسير فى البر ونصبر على القتال والطعن والنزال * ثم ان الوزير دندان ما زال يحرضهم على القتال * وأنشد قول من قال

أطيب الطيبات قتل الاعادى * واحتمالى على ظهور الجياد
ورسول يأتى بوعد حبيب * وحبيب يأتى بلا ميعاد

وقول الآخر

وان عمرت جعلت الحرب والدة * والمشرفى أخا والسمهرى أبا
بكل أشعث يلقى الموت مبتسما * حتى كأن له فى قتله أربا

فلما فرغ الوزير دندان من شعره قال سبحان من أيدنا بنصره العزيز * وظفرنا بغنيمة الفضة والابريز * ثم أمر ضوء المكان العسكر بالرحيل فساروا طالبين القسطنطينية وجدوا فى سيرهم حتى أشرفوا على مرج فسيح * وفيه كل شئ مليح * ما بين وحوش تمرح * وغزلان تسنح * وكانوا قد قطعوا مفاوز كثيرة وانقطع عنهم الماء ستة أيام فلما أشرفوا على ذلك المرج نظروا تلك العيون النابعة * والاثمار اليانعة * وتلك الارض كأنها جنة أخذت زخرفها وازينت وسكرت أغصانها من رحيق الظل فتمايلت وجمعت بين عذوبة النسيم * واعتلال النسيم * فتدهش العقل والناظر * كما قال الشاعر

انظر الى الروض النضير كأنما * نشرت عليه ملاءة خضراء
ان ماسحت بلحظ عينك لا ترى * الا غديرا جال فيه الماء
وترى بنفسك عزة فى دوحه * اذ فوق رأسك حيث سرت لواء

وكما قال الآخر

النهر خد بالشعاع مورد * قد دب فيه عذار ظل البان
والماء فى سوق الغصون خلاخل * من فضة والزهر كالتيجان

فلما نظر ضوء المكان الى ذلك المرج الذى التفت أشجاره * وزهت أزهاره * وترنمت أطياره

نادى

نادى أخاه شركان * وقال له يا أخى ان دمشق مافيها مثل هذا المكان * فلا نرحل منه الا بعد ثلاثة أيام * حتى نأخذ لنا راحة لاجل أن تنشط عساكر الاسلام * وتقوى نفوسهم على لقاء الكفرة اللئام * فأقاموا فيه فبينما هم كذلك اذ سمعوا أصواتا من بعيد فسأل عنهم ضوء المكان فقيل له انها قافلة تجار من بلاد الشام كانوا نازلين فى هذا المكان للراحة ولعل العساكر صادفوهم وربما أخذوا شيأ من بضائعهم التى معهم حيث كانوا فى بلاد الكفار وبعد ساعة جاء التجار وهم صارخون يستغيثون بالملك فلما رأى ضوء المكان ذلك أمر باحضارهم فحضروا بين يديه وقالوا أيها الملك انا كنا فى بلاد الكفار ولم ينهبوا منا شيأ فكيف تنهب أموالنا اخواننا المسلمون ونحن فى بلادهم فاننا لما رأينا عساكركم أقبلنا عليهم فأخذوا ما كان معنا وقد أخبرنا بما حصل لنا ثم أخرجوا له كتاب ملك القسطنطينية فأخذه شركان وقرأه ثم قال لهم سوف نرد عليكم ما أخذ منكم ولكن كان الواجب أن لا تحملوا تجارة الى بلاد الكفار فقالوا يا مولانا ان الله سيرنا الى بلادهم لنظفر بما لم يظفر به أحد من الغزاة ولا أنتم فى غزوتكم فقال لهم شركان وما الذى ظفرتم به فقالوا ما نذكر لك ذلك الا فى خلوة لان هذا الامر اذا شاع بين الناس ربما اطلع عليه أحد فيكون ذلك سببا لهلاكنا وهلاك كل من يتوجه الى بلاد الروم من المسلمين وكانوا قد خبؤا الصندوق الذى فيه اللعينة ذات الدواهى فأخذهم ضوء المكان وأخوه واختليا بهم فشرحوا لهما حديث الزاهد وصاروا يبكون حتى أبكوهما * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والتسعون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن النصارى الذين فى هيئة التجار لما اختلى بهم ضوء المكان وأخوه شركان شرحوا لهما حديث الزاهد وبكوا حتى أبكوهما وأخبروهما كما علمتهم الكاهنة ذات الدواهى فرق قلب شركان للزاهد وأخذته الرأفة عليه وقامت به الحمية لله تعالى وقال لهم هل خلصتم هذا الزاهد أم هو فى الدير الى الآن فقالوا بل خلصناه وقتلنا صاحب الدير من خوفنا على أنفسنا ثم أسرعنا فى الهرب خوفا من العطب وقد أخبرنا بعض الثقات أن فى هذا الدير قناطير من الذهب والفضة والجواهر ثم بعد ذلك أتوا بالصندوق وأخرجوا منه تلك الملعونة كأنها قرن خيار شنبر من شدة السواد والتحول وهى مكبلة بتلك السلاسل والقيود فلما نظرها ضوء المكان هو والحاضرون ظنوا أنه رجل من خيار العباد * ومن أفضل الزهاد * خصوصا وجبينها يضىء من الدهان الذى دهنت به وجهها فبكى ضوء المكان وأخوه بكاء شديدا ثم قاما اليها وقبلا يديها ورجليها وصارا ينتحبان فأشارت اليهما وقالت كفا عن هذا البكاء واسمعا كلامى فتركا البكاء امتثالا لامرها فقالت اعلما أنى قد رضيت بما صنعه بى مولاى لانى أرى أن البلاء الذى نزل بى امتحان منه عز وجل ومن لم يصبر على البلاء والمحن فليس له وصول الى جنات النعيم وكنت اتمنى أنى أعود الى بلادى لاجزع من البلاء الذى حل بى بل لاجل أن أموت تحت حوافر خيل المجاهدين الذين هم بعد القتل أحياء غير أموات * ثم أنشدت هذه الابيات

الحسن طور ونار الحرب موقدة * وأنت موسى وهذا الوقت ميقات
ألق العصا تتلقف كل ما صنعوا * ولا تخف ما حبال القوم حيات

فاقرأ سطور العدا يوم الوغى سورا * فان سيفك فى الاعناق آيات

فلما فرغت العجوز من شعرها تناثرت من عينيها المدامع وجبينها بالدهان كالضوء اللامع فقام اليها شركان وقبل يدها وأحضر لها الطعام فامتنعت وقالت انى لم أفطر من مدة خمسة عشر عاما فكيف أفطر فى هذه الساعة وقد جاد على المولى بالخلاص من أسر الكفار ودفع عنى ما هو أشق من عذاب النار فانا أصبر الى الغروب فلما جاء وقت العشاء أقبل شركان هو وضوء المكان وقدما اليها الاكل وقالا لها كل أيها الزاهد فقالت ما هذا وقت الاكل وانما هذا وقت عبادة الملك الديان ثم انتصبت فى المحراب تصلى الى أن ذهب الليل ولم تزل على هذه الحالة ثلاثة أيام بلياليها وهى لم تقعد الا وقت التحية فلما رآها ضوء المكان على تلك الحالة ملك قلبه حسن الاعتقاد فيها وقال لشركان اضرب خيمة من الاديم لذلك العابد ووكل فراشا بخدمته وفى اليوم الرابع دعت بالطعام فقدموا لها من الالوان ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين فلم تأكل من ذلك كله الا رغيفا واحدا بملح ثم نوت الصوم ولما جاء الليل قامت الى الصلاة فقال شركان لضوء المكان أما هذا الرجل فقد زهد الدنيا غاية الزهد ولولا هذا الجهاد لكنت لازمته وأعبد الله بخدمته حتى ألقاه وقد اشتهيت أن أدخل معه الخيمة وأتحدث معه ساعة فقال له ضوء المكان وأنا كذلك ولكن نحن فى غد ذاهبون الى غزو القسطنطينية ولم نجد لنا ساعة مثل هذه الساعة فقال الوزير دندان وأنا الآخر أشتهى أن أرى هذا الزاهد لعله يدعو لى بقضاء نحبى فى الجهاد ولقاء ربى فانى زهدت الدنيا فلما جن عليهم الليل دخلوا على تلك الكاهنة ذات الدواهى فى خيمتها فرأوها قائمة تصلى فقدنوا منها وصاروا يكون رحمة لها وهى لا تلتفت اليهم الى أن انتصف الليل فسلمت من صلاتها ثم أقبلت عليهم وحيتهم وقالت لهم لماذا جئتم فقالوا لها أيها العابد أما سمعت بكاءنا حولك فقالت ان الذى يقف بين يدى الله لا يكون له وجود فى الكون حتى يسمع صوت أحد أو يراه ثم انهم قالوا اننا نشتهى أن تحدثنا بسبب أسرك وتدعو لنا فى هذه الليلة فانها خير لنا من ملك القسطنطينية فلما سمعت كلامهم قالت والله لولا اسكم أمراء المسلمين ما أحدثكم بشئ من ذلك أبدا فانى لا أشكو الا الى الله وها أنا أخبركم بسبب أسرى اعلموا أننى كنت فى القدس مع بعض الابدال وأرباب الاحوال وكنت لا أتكبر عليهم لان الله سبحانه وتعالى أنعم على بالتواضع والزهد فاتفق أننى توجهت الى البحر ليلة ومشيت على الماء فدا خلنى العجب من حيث لا أدرى وقلت فى نفسى من مثلى يمشى على الماء فقسا قلبى من ذلك الوقت وابتلانى الله تعالى بحب السفر فسافرت الى بلاد الروم وجلت فى أقطارها سنة كاملة حتى لم أترك موضعا الا عبدت الله فيه فلما وصلت الى هذا المكان صعدت الى هذا الجبل وفيه دير راهب يقال له مطروحنا فلما رآنى خرج الى وقبل يدى ورجلى وقال انى رأيتك منذ دخلت بلاد الروم وقد شوقتنى الى بلاد الاسلام ثم انه أخذ بيدى وأدخلنى فى ذلك الدير ثم دخل بى الى بيت مظلم فلما دخلت فيه غافلنى وأغلق على الباب وتركنى فيه أربعين يوما من غير طعام ولا شراب وكان قصده بذلك قتلى صبرا فاتفق فى بعض الايام أنه دخل ذلك الدير بطريق يقال له دقيانوس ومعه عشرة من الغلمان ومعه ابنة يقال لها تماثيل ولكنها فى الحسن ليس لها مثيل فلما دخلوا الدير أخبرهم الراهب مطروحنا بخبرى فقال البطريق

اخرجوه

اخرجوه لانه لم يبق من لحمه ما يأكله الطير فتحوا باب ذلك البيت المظلم فوجدوني منتصبا
في المحراب أصلي وأقرأ وأسبح وأتضرع الى الله تعالى فلما رأوني على تلك الحالة قال مطروحنا
ان هذا ساحر من السحرة فلما سمعوا كلامه قاموا جميعا ودخلوا علي وأقبل علي دقيانوس هو
وجماعته ونمر بوني ضربا عنيفا فعند ذلك تمنيت الموت ولمت نفسي وقلت هذا جزاء من يتكبر
ويعجب بما أنعم عليه ربه مما ليس في طاقته وأنت يا نفسي قد داخلك العجب والكبر أما علمت
أن الكبر يغضب الرب ويقسي القلب ويدخل الانسان النار ثم بعد ذلك قيدوني وردوني الى
مكاني وكان سردابا في ذلك البيت تحت الارض وكل ثلاثة أيام يرمون الي قرصة من الشعير
وشربة ماء وكل شهر أو شهرين يأتي البطريق ويدخل ذلك الدير وقد كبرت ابنته تماثيل لانها
كانت بنت تسع سنين حين رأيتها ومضى لي في الاسر خمس عشرة سنة فجملة عمرها أربعة
وعشرون عاما وليس في بلادنا ولا في بلاد الروم أحسن منها وكان أبوها يخاف عليها من الملك أن
يأخذها منه لانها وهبت نفسها للمسيح غير أنها تركب مع أبيها في زي الرجال الفرسان وليس
لها مثيل في الحسن ولم يعلم من رآها أنها جارية وقد خزن أبوها أمواله في هذا الدير لان كل من
كان عنده شيء من نفائس الذخائر يضعه في ذلك الدير وقد رأيت فيه من أنواع الذهب
والفضة والجواهر وسائر الاواني والتحف ما لا يحصى عدده الا الله فأنتم أولى به من هؤلاء
الكفرة فخذوا ما في هذا الدير وأنفقوه على المسلمين وخصوصا المجاهدين ولما وصل هؤلاء
التجار الى القسطنطينية وباعوا بضاعتهم كلهم تلك الصورة التي في الحائط كرامة أكرمني الله
بها فجاؤا الى ذلك الدير وقتلوا البطريق مطروحنا بعد أن عاقبوه أشد العقاب وجروه من
لحيته فدلهم على موضعي فأخذوني ولم يكن لهم سبيل الا الهرب خوفا من العطب وفي ليلة غد
تاتي تماثيل الى ذلك الدير على عادتها ويلحقها أبوها مع غلمانه لانه لا يخاف عليها فان شئتم أن
تشاهدوا هذا الامر فخذوني بين أيديكم وأنا أسلم اليكم الاموال وخزانة البطريق دقيانوس
التي في ذلك الجبل وقد رأيتهم يخرجون أواني الذهب والفضة ويشربون فيها ورأيت عندهم
جارية تغني لهم بالعربي فواحسرتاه لو كان ذلك الصوت الحسن في قراءة القرآن وان شئتم
فادخلوا ذلك الدير واكمنوا فيه الى أن يصل دقيانوس ومعه ابنته فخذوها فانها لا تصلح الا للملك
الزمان شركان أو للملك ضوء المكان ففرحوا بذلك حين سمعوا كلامها الا الوزير دندان فانه
ما دخل كلامها في عقله وانما كان يتحدث معها لاجل خاطر الملك وصار باهتا من كلامها ويلوح على
وجهه علامة الانكار عليها فقالت العجوز ذات الدواهي اني أخاف أن يقبل البطريق وينظر
هذه العساكر في المرج فلم يجسر أن يدخل الدير فأمر السلطان العسكر أن يرحلوا صوب
القسطنطينية وقال ضوء المكان ان قصدي أن نأخذ معنا مائة فارس وبغالا كثيرة ونتوجه
الى ذلك الجبل لاجل أن نحملهم المال الذي في الدير ثم أرسل من وقته وساعته الى الحاجب
الكبير فأحضر بين يديه وأحضر المقدمين والاتراك والديلم وقال اذا كان وقت الصباح
فارحلوا الى القسطنطينية وأنت أيها الحاجب تكون عوضا عني في الرأي والتدبير وأنت
يا رستم تكون نائبا عن أخي في القتال ولا تعلموا أحدا أننا لسنا معكم وبعد ثلاثة أيام نلحقكم
ثم انتخب مائة فارس من الابطال وانحاز هو وأخوه شركان والوزير دندان والمائة فارس

وأخذوا معهم البغال والصناديق لاجل حمل المال وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والتسعون قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شركان وأخاه ضوء المكان والوزيردندان سافروا هم ومائة خيال الى الدير الذي وصفته لهم اللعينة ذات الدواهي وأخذوا معهم البغال والصناديق لاجل حمل المال فلما أصبح الصباح نادى الحاجب بين العسكر بالرحيل فرحلوا وهم يظنون أن شركان وضوء المكان والوزيردندان معهم ولم يعلموا أنهم ذهبوا الى الدير هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من أمر شركان وأخيه ضوء المكان والوزيردندان فانهم أقاموا الى آخر النهار وكانت الكفار أصحاب ذات الدواهي رحلوا خفية بعد أن دخلوا عليها وقبلوا يديها ورجليها واستأذنوها في الرحيل فأذنت لهم وأمرتهم بما شاءت من المكر فلما جن الظلام قالت العجوز لضوء المكان هو وأصحابه قوموا معي الى الجبل وخذوا معكم قليلا من العسكر فأطاعوها وتركوا في سفح الجبل خمسة فوارس بين يدي ذات الدواهي وصار عندها قوة من شدة فرحها وصار ضوء المكان يقول سبحان من قوى هذا الزاهد الذي ما رأينا مثله وكانت الكاهنة قد أرسلت كتابا على أجنحة الطير الى ملك القسطنطينية تخبره فيه بما جرى وقالت في آخر الكتاب أريد أن تنفذ لي عشرة آلاف فارس من شجعان الروم ويكون سيرهم في سفح الجبل خفية لئلا يراهم عسكر الاسلام ويأتون الي الدير ويكمنون فيه حتى أحضر اليهم ومعي ملك المسلمين وأخوه فاني خدعتهما وجئت بهما ومعهما الوزير ومائة فارس لا غير وسوف أسلم اليهم الصلبان التي في الدير وقد عزمت على قتل الراهب مطروحنا لان الحيلة لا تتم الا بقتله فاذا تمت الحيلة فلا يصل من المسلمين الى بلادهم لا ديار ولا من ينفخ النار ويكون مطروحنا فداء لاهل الملة النصرانية والعصابة الصليبية والشكر للمسيح أولا وآخرا فلما وصل الكتاب الى القسطنطينية جاء براج الحمام الى الملك افريدون بالورقة فلما قرأها أنفذ الجيش من وقته وجهز كل واحد بفرس وهجين وبغل وزاد وأمرهم أن يصلوا الى ذلك الدير هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر الملك ضوء المكان وأخيه شركان والوزيردندان والعسكر فانهم لما وصلوا الى الدير دخلوه فرأوا الراهب مطروحنا قد أقبل لينظر حالهم فقال الزاهد اقتلوا هذا اللعين فضربوه بالسيوف وأسقوه كأس الحتوف ثم مضت بهم الملعونة الى موضع النذور فأخرجوا منه التحف والذخائر أكثر مما وصفته لهم وبعد أن جمعوا ذلك رضعوه في الصناديق وحملوه على البغال وأما تماثيل فانهم لم تحضر لاهي ولا أبوها خوفا من المسلمين فأقام ضوء المكان في انتظارها ذلك النهار وثاني يوم وثالث يوم فقال شركان والله ان قلبي مشغول بعسكر الاسلام ولا أدري ما حالهم فقال أخوه انا قد أخذنا هذا المال العظيم وما أظن أن تماثيل ولا غيرها يأتي الى هذا الدير بعد أن جرى لعسكر الروم ما جرى فينبغي أننا نقنع بما يسره الله لنا ونتوجه لعل الله يعيننا على فتح القسطنطينية ثم نزلوا من الجبل فما أمكن ذات الدواهي أن تتعرض لهم خوفا من التفطن لخداعها ثم انهم ساروا الى أن وصلوا الى باب الشعب واذا بالعجوز قد أكمنت لهم عشرة آلاف فارس فلما رأوهم احتاطوا بهم من كل جانب وأسرعوا نحو الرماح وجردوا عليهم بيض الصفاح ونادى

الكفار

الكفار بكلمة كفرهم وقووا سهام شرهم فنظر ضوء المكان وأخوه شركان والوزير دندان الى هذا الجيش فرأوه جيشا عظيما وقالوا من أعلم هذه العساكر بنا فقال شركان يا أخي ماهذا وقت كلام بل هذا وقت الضرب بالسيف والرمي بالسهام فشدوا عزمكم وقووا نفوسكم لان هذا الشعب مثل الدرب له بابان وحق سيد العرب والعجم لالو أن هذا المكان ضيق لكنت أفنيتهم ولو كانوا مائة ألف فارس فقال ضوء المكان لو علمنا ذلك لاخذنا معنا خمسة آلاف فارس فقال الوزير دندان لو كان معنا عشرة آلاف فارس في هذا المكان الضيق لا تفيدنا شيأ ولكن الله يعيننا عليهم وأنا أعرف هذا الشعب وضيقه وأعرف أن فيه مفاوز كثيرة لاني قد غزوت فيه مع الملك عمر النعمان حيث حاصرنا القسطنطينية وكنا نقيم فيه وفيه ماء أبرد من الثلج فانهضوا بنا لنخرج من هذا الشعب قبل أن يكثر علينا عساكر الكفار ويسبقونا الى رأس الجبل فيرموا علينا الحجارة ولم نملك فيهم أرباً فأخذوا في الاسراع بالخروج من ذلك الشعب فنظر اليهم الزاهد وقال لهم ماهذا الخوف وأنتم قد بعتم أنفسكم لله تعالى في سبيله والله اني مكثت مسجونا تحت الارض خمسة عشر عاما ولم أعترض على الله فيما فعل بي فقاتلوا في سبيل الله فمن قتل منكم فالجنة مأواه ومن قتل فالى الشرف مسعاه فلما سمعوا من الزاهد هذا الكلام زال عنهم الهم والغم وثبتوا حتى هجمت عليهم الكفار من كل مكان ولعبت في أعناقهم السيوف ودارت بينهم كأس الحتوف وقاتل المسلمون في طاعة الله أشد القتال وأعملوا في أعدائه الاسنة والنصال وصار ضوء المكان يضرب الرجال ويجندل الابطال ويرمي رؤسهم خمسة خمسة وعشرة عشرة حتى أفنى منهم عددا لا يحصى وجملا لا تستقصى فبينما هو كذلك اذ نظر الملعونة وهي تشير بالسيف اليهم وتقويهم وكل من خاف يهرب اليها وصارت توحي اليهم بقتل شركان فيميلون الى قتله فرقة بعد فرقة وكل فرقة حملت عليه تحمل عليها ويهزمها وتاتي بعدها فرقة أخرى حاملة عليه فيردها بالسيف على أعقابها فظن أن نصره عليهم ببركة العابد وقال في نفسه ان هذا العابد قد نظر الله اليه بعين عنايته وقوى عزمي على الكفار بخالص نيته فأراهم يخافونني ولا يستطيعون الاقدام علي بل كلما حملوا علي يولون الادبار ويركنون الى الفرار ثم قاتلوا بقية يومهم الى آخر النهار ولما أقبل الليل نزلوا في مغارة من ذلك الشعب من كثرة ما حصل لهم من الوبال ورمي الحجارة وقتل منهم في ذلك اليوم خمسة وأربعون رجلا ولما اجتمعوا مع بعضهم فتشوا على ذلك الزاهد فلم يروا له أثرا فعلم عليهم ذلك وقالوا لعله استشهد فقال شركان أنا رأيته يقوي الفرسان بالاشارات الربانية ويعيذهم بالآيات الرحمانية فبينما هم في الكلام واذا بالملعونة ذات الدواهي قد أقبلت وفي يدها رأس البطريق الكبير الرئيس على العشرين ألفا وكان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا وقد قتله رجل من الاتراك بسهم فعجل الله بروحه الى النار فلما رأى الكفار ما فعل ذلك المسلم بصاحبهم ملوا بكليتهم عليه وأوصلوا الاذية اليه وقطعوه بالسيوف فعجل الله به الى الجنة ثم ان الملعونة قطعت رأس ذلك البطريق وأتت بها وألقتها بين يدي شركان والملك ضوء المكان والوزير دندان فلما رآها شركان وثب قائما على قدميه وقال الحمد لله على رؤيتك أيها العابد المجاهد الزاهد فقال يا ولدي اني قد طلبت الشهادة في هذا اليوم فصرت أرمي روحي بين عسكر الكفار وهم يهابونني فلما انفصلتم أخذتني الغيرة عليكم وهجمت

على البطريق الكبير رئيسهم وكان يعد بألف فارس فضربته حتى ألطمت رأسه عن بدنه ولم يقدر أحد من الكفار أن يدنو مني وأتيت برأسه اليكم * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والتسعون قال بلغني أيها الملك السعيد أن اللعينة ذات الدواهي لما أخذت رأس البطريق رئيس العشرين ألف كافر أتت بها وألقتها بين يدي الملك ضوء المكان وأخيه شركان ووزيريدندان وقالت لهم لما رأيت حالكم أخذتني الغيرة عليكم وهجمت على البطريق الكبير وضربته بالسيف فالطمت رأسه ولم يقدر أحد من الكفار أن يدنو مني وأتيت برأسه اليكم لتقوى نفوسكم على الجهاد وترضوا بسيوفكم رب العباد وأريد أن أشغلكم في الجهاد وأذهب الى عسكركم ولو كانوا على باب القسطنطينية وآتيكم من عندهم بعشرين ألف فارس يهلكون هؤلاء الكفرة فقال شركان وكيف يمضي اليهم أيها الزاهد والوادي مسدود بالكفار من كل جانب فقالت الملعونة الله يسترني عن أعينهم فلا يروني ومن رآني لا يجسر أن يقبل علي فاني في ذلك الوقت أكون فانيا في الله وهو يقاتل عني عداه فقال شركان صدقت أيها الزاهد لاني شاهدت ذلك واذا كنت تقدر أن تمضي أول الليل يكون ذلك أجود لنا فقال أنا أمضي في هذه الساعة وان كنت تريد أن تجيء معي ولا يراك أحد فقم وان كان أخوك يذهب معنا أخذناه دون غيره فان ظل الولي لا يستر غير اثنين فقال شركان أما أنا فلا أترك أصحابي ولكن اذا كان أخي يرضى بذلك فلا بأس حيث ذهب معك وخلص من هذا الضيق فانه هو حصن المسلمين وسيف رب العالمين وان شاء فليأخذ معه الوزير دندان أو من يختار ثم يرسل الينا عشرة آلاف فارس اعانة على هؤلاء اللئام واتفقوا على هذا الحال ثم ان العجوز قالت أمهلوني حتى أذهب قبلكم وأنظر حال الكفرة هل هم نيام أو يقظانون فقالوا ما نخرج الا معك ونسلم أمرنا لله فقال اذا طاوعتكم لا تلوموني ولوموا أنفسكم فالرأي عندي أن تمهلوني حتى أكشف خبرهم فقال شركان امض اليهم ولا تبطئ علينا لاننا ننتظرك فعند ذلك خرجت ذات الدواهي وكان شركان حدث أخاه بعد خروجها وقال لولا أن هذا الزاهد صاحب كرامات ما كان قتل هذا البطريق الجبار وفي هذا القدر كفاية في كرامة هذا الزاهد وقد انكسرت شوكة الكفار بقتل هذا البطريق لانه كان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا فبينما هم يتحدثون في كرامات الزاهد واذا باللعينة ذات الدواهي قد دخلت عليهم ووعدتهم بالنصر على الكفرة فشكروا الزاهد على ذلك ولم يعلموا ان هذا حيلة وخداع ثم قالت اللعينة أين ملك الزمان ضوء المكان فاجابها بالتلبية فقالت له خذ معك وزيرك وسر خلفي حتى نذهب الى القسطنطينية وكانت ذات الدواهي قد أعملت الكفار بالحيلة التي عملتها ففرحوا بذلك غاية الفرح وقالوا ما يجبر خاطرنا الا قتل ملكهم في نظير قتل البطريق لانه لم يكن عندنا أفرس منه وقالوا العجوز النحس ذات الدواهي حين أخبرتهم بانها تذهب اليهم بملك المسلمين اذا أتيت به نأخذه الى الملك افريدون ثم ان العجوز ذات الدواهي توجهت وتوجه معها ضوء المكان والوزير دندان وهي سابقة عليهما وتقول لهما سيرا على بركة الله تعالى فاجابا الى قولها ونفذ فيهما سهم القضاء والقدر ولم تزل سائرة بهما حتى توسطت

بهما

بهما بين عسكر الروم ووصلوا الى الشعب المذكور الضيق وعساكر الكفار ينظرون اليهم ولا يتعرضون لهم بسوء لان الملعونة أوصتهم بذلك فلما نظر ضوء المكان والوزير دندان الى عساكر الكفار وعرفوا أن الكفار عاينوهم ولم يتعرضوا لهم قال الوزير دندان والله ان هذه كرامة من الزاهد ولا شك أنه من الخواص فقال ضوء المكان والله ما أظن الكفار الا عميانا لانتزاهم وهم لا يرونا فبينما هما فى الثناء على الزاهد وتعداد كراماته وزهده وعباداته واذا بالكفار قد هجموا عليهما واحتاطوا بهما وقبضوا عليهما وقالوا هل معكما أحد غيركما فنقبض عليه فقال الوزير دندان أماترون هذا الرجل الآخر الذى بين أيدينا فقال لهم الكفار وحق المسيح والرهبان والجاثليق والمطران اننا لم نر أحدا غيركما فقال ضوء المكان والله ان الذى حل بنا عقوبة لنا من الله تعالى * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والتسعون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الكفار لما قبضوا على الملك ضوء المكان والوزير دندان قالوا لهما هل معكما غيركما فنقبض عليه فقال الوزير دندان أماترون هذا الرجل الآخر الذى معنا قالوا وحق المسيح والرهبان والجاثليق والمطران اننا ماترى أحدا غيركما ثم ان الكفار قد وضعوا القيود فى أرجلهما ووكلوا بهما من يحرسهما فى المبيت فصارا يتأسفان و يقولان لبعضهما ان الاعتراض على الصالحين يؤدى الى أكثر من ذلك وجزاؤنا ما حل بنا من الضيق الذى نحن فيه هذا ما كان من أمر ضوء المكان والوزير دندان وأما ما كان من أمر الملك شركان فانه بات تلك الليلة فلما أصبح الصباح قام وصلى صلاة الصبح ثم نهض هو ومن معه من العساكر وتأهبوا الى قتال الكفار وقوى قلبهم شركان ووعدهم بكل خير ثم ساروا الى أن وصلوا الى الكفار فلما رآهم الكفار من بعيد قالوا لهم يا مسلمون انا أسرنا سلطانكم ووزيره الذى به انتظام أمركم وان لم ترجعوا عن قتالنا قتلناكم عن آخركم واذا سلمتم لنا أنفسكم فاننا نروح بكم الى ملكنا فيصالحكم على أن لا تخرجوا من بلادنا ولا تذهبوا الى بلادكم ولا تضرونا بشئ ولا نضركم بشئ فان طاب خاطركم كان الحظ لكم وان أبيتم فما يكون الا قتلكم وقد عرفناكم وهذا آخر كلامنا فلما سمع شركان كلامهم وتحقق أسر أخيه والوزير دندان عظم عليه ذلك وبكى وضعفت قوته وأيقن بالهلاك فقال فى نفسه ياترى ما سبب أسرهما هل حصل منهما اساءة أدب فى حق الزاهد أو اعتراض عليه وما شأنهما ثم نهضوا الى قتال الكفار فقتلوا منهم خلقا كثيرا وتبين فى ذلك اليوم الشجاع من الجبان واختضب السيف والسنان وتهافت عليهم الكفار تهافت الذباب على الشراب من كل مكان ومازال شركان ومن معه يقاتلون قتال من لا يخاف الموت ولا يعتريه فى طلب الفرصة فوت حتى سال الوادى بالدماء وامتلأت الارض بالقتلى فلما أقبل الليل تفرقت الجيوش وكل من الفريقين ذهب الى مكانه وعاد المسلمون الى تلك المغارة ولم يبق منهم الا القليل ولم يكن منهم الا على الله والسيف تعويل وقد قتل منهم فى هذا النهار خمسة وثلاثون فارسا من الامراء الاعيان وان قتل بسيفهم من الكفار آلاف من الرجال والركبان فلما عاين شركان ذلك ضاق عليه الامر وقال لاصحابه كيف العمل فقال له أصحابه لا يكون الا ما

يريده الله تعالى فلما كان ثانى يوم قال شركان لبقية العسكر ان خرجتم للقتال مابقى منكم أحد لانه لم يبق عندنا الا قليل من الماء والزاد والرأى الذى عندى فيه الرشاد أن تجردوا سيوفكم وتخرجوا وتقفوا على باب تلك المغارة لاجل أن تدفعوا عن أنفسكم كل من يدخل عليكم فلعل الزاهد أن يكون وصل الى عسكر المسلمين ويأتينا بعشرة آلاف فارس فيعيننا على قتال الكفرة ولعل الكفار لم ينظروه هو ومن معه فقال له أصحابه ان هذا الرأى هو الصواب * وما فى سداده ارتياب * ثم ان العسكر خرجوا وملكوا باب المغارة ووقفوا فى طرفيه وكل من أراد أن يدخل عليهم من الكفار يقتلونه وصاروا يدفعون الكفار على الباب وصبروا على قتال الكفار * الى أن ذهب النهار * وأقبل الليل بالاعتكار * وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والتسعون قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن عسكر المسلمين ملكوا باب المغارة ووقفوا فى طرفيه وصاروا يدفعون الكفار عن الباب وكل من أراد أن يهجم عليهم قتلوه وصبروا على قتال الكفار * الى أن ولى النهار * وأقبل الليل بالاعتكار * ولم يبق عند الملك شركان الا خمسة وعشرون رجلا لا غير فقال الكفار لبعضهم متى تنقضى هذه الايام فاننا قد تعبنا من قتال المسلمين فقال بعضهم قوموا نهجم عليهم فانه لم يبق منهم الا خمسة وعشرون رجلا فان لم نقدر عليهم نضرم عليهم النار فان انقادوا وسلموا أنفسهم الينا أخذناهم أسارى وان أبوا تركناهم حطبا للنار * حتى يصيروا عبرة لأولى الابصار * فلا رحم المسيح أباهم ولا جعل مستقر النصارى مثواهم * ثم انهم حملوا الحطب الى باب المغارة وأضرموا فيه النار فأيقن شركان ومن معه بالبوار * فبينما هم كذلك واذا بالطريق الرئيس عليهم التفت الى المشير بقتلهم وقال له لا يكون قتلهم الا عند الملك أفريدون لاجل أن يشفى غليله فينبغى أننا نبقيهم عندنا أسارى وفى غد نسافر بهم الى القسطنطينية ونسلمهم الى الملك أفريدون فيفعل بهم ما يريد فقالوا هذا هو الرأى الصواب ثم أمروا بتكتيفهم وجعلوا عليهم حرسا فلما جن الظلام * اشتغل الكفار باللهو والطعام * ودعوا بالشراب فشربوا حتى انقلب كل منهم على قفاه وكان شركان وأخوه ضوء المكان مقيدين وكذلك من معهم من الابطال فعند ذلك نظر شركان الى أخيه وقال له يا أخى كيف الخلاص فقال ضوء المكان والله لا أدرى وقد صرنا كالطير فى الاقفاص فاغتاظ شركان وتنهد من شدة غيظه فانقطع الكتاف فلما خلص من الوثاق قام الى الرئيس الحراس وأخذ مفاتيح القيود من جيبه وفك ضوء المكان وفك الوزيرين دندان وفك بقية العسكر ثم التفت الى أخيه ضوء المكان والوزيرين دندان وقال انى أريد أن أقتل من الحراس ثلاثة ونأخذ ثيابهم ونلبسها نحن الثلاثة حتى نصير فى زى الروم ونسير بينهم حتى لا يعرفوا أحدا منا ثم نتوجه الى عسكرنا فقال ضوء المكان ان هذا الرأى غير صواب لاننا اذا قتلناهم نخاف أن يسمع أحد شخيرهم فتنتبه الينا الكفار فيقتلوننا والرأى السديد أن نسير الى خارج الشعب فأجابوه الى ذلك فلما صاروا بعيدا عن الشعب بقليل رأوا خيلا مربوطة وأصحابها نائمون فقال شركان لأخيه ينبغى أن يأخذ كل واحد منا جوادا من هذه الخيول وكانوا خمسة وعشرين رجلا فأخذوا خمسة وعشرين جوادا وقد ألقى

الله

الله النوم على الكفار لحكمة يعلمها ثم ان شركان جعل يختلس من الكفار السلاح من السيوف والرماح حتى اكتفى ثم ركبوا الخيل التى أخذوها وساروا وكان فى ظن الكفار انه لا يقدر أحد على فكاك ضوء المكان وأخيه ومن معهما من العساكر وأنهم لا يقدرون على الهروب فلما خلصوا جميعا من الاسر وصاروا فى أمن من الكفار التفت اليهم شركان وقال لهم لا تخافوا حيث سترنا الله ولكن عندى رأى ولعله صواب فقالوا وما هو قال أريد أن تطلعوا فوق الجبل وتكبروا كلكم تكبيرة واحدة وتقولوا قد جاء تكم العساكر الاسلامية ونصيح كلنا صيحة واحدة بقول الله أكبر فيفترق الجمع من ذلك ولا يجدون لهم فى هذا الوقت حيلة فانهم سكارى ويظنون أن عسكر المسلمين أحاطوا من كل جانب واختلطوا بهم فيقعون ضربا بالسيوف فى بعضهم من دهشة السكر والنوم فنقطعهم بسيوفهم ويدور السيف فيهم الى الصباح فقال ضوء المكان ان هذا الرأى غير صواب والصواب أن نسير الى عسكرنا ولا ننطق بكلمة لاننا ان كبرنا تنبهوا لنا ولحقونا فلم يسلم منا أحد فقال شركان والله لو انتبهوا لنا ما علينا بأس وأشتهى أن توافقونى على هذا الرأى وهو لا يكون الا خيرا فأجابوه الى ذلك وطلعوا فوق الجبل وصاحوا بالتكبير فكبرت معهم الجبال والاشجار والاحجار من خشية الله فسمع الكفار ذلك التكبير فصاح الكفار * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن شركان قال أشتهى أن توافقونى على هذا الرأى وهو لا يكون الا خيرا فأجابوه الى ذلك وطلعوا فوق الجبل وصاحوا بالتكبير فكبرت معهم الجبال والاشجار والاحجار من خشية الله فسمعه الكفار فصاح الكفار على بعضهم ولبسوا السلاح وقالوا قد هجمت علينا الاعداء وحق المسيح ثم قتلوا من بعضهم ما لا يعلم عدده الا الله تعالى فلما كان الصباح فتشوا على الاسارى فلم يجدوا لهم أثرا فقال رؤساؤهم ان الذى فعل بكم هذه الفعال هم الاسارى الذين كانوا عندنا فدونكم والسعى خلفهم حتى تلحقوهم فتسقوهم كأس الوبال ولا يحصل لكم خوف ولا انذهال ثم انهم ركبوا خيولهم وسعوا خلفهم فما كان الا لحظة حتى لحقوهم وأحاطوا بهم فلما رأى ضوء المكان ذلك ازداد به الفزع وقال لأخيه ان الذى خفت من حصوله قد حصل وما بقى لنا حيلة الا الجهاد فلزم شركان السكوت عن المقال ثم انحدر ضوء المكان من أعلى الجبل وكبر وكبرت معه الرجال وعولوا على الجهاد وبيع أنفسهم فى طاعة رب العباد فبينما هم كذلك واذا بأصوات يصيحون بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير * فالتفتوا الى جهة الصوت فرأوا جيوش المسلمين وعساكر الموحدين مقبلين * فلما رأوهم قويت قلوبهم وحمل شركان على الكافرين وهلل وكبر هو ومن معه من الموحدين فارتجت الارض كالزلازل وتفرقت عساكر الكفار فى عرض الجبال فتبعتهم المسلمون بالضرب والطعان * وأزاحوا منهم الرؤس عن الابدان ولم يزل ضوء المكان هو ومن معه من المسلمين يضربون فى أعناق الكافرين الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار * ثم انحاز المسلمون الى بعضهم وباتوا مستبشرين طول ليلهم فلما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح * رأوا بهرام مقدم الديلم ورستم مقدم الاتراك ومعهما عشرون

ألف فارس * مقبلين عليهم كاللبوث العوابس * فلما رأوا ضوء المكان ترجل الفرسان وسلوا
عليه وقبلوا الارض بين يديه فقال لهم ضوء المكان أبشروا بنصر المسلمين * وهلاك القوم
الكافرين * ثم هنوا بعضهم بالسلامة وعظيم الاجر فى القيامة * وكان السبب فى مجيئهم الى
هذا المكان ان الامير بهرام والامير رستم والحاجب الكبير لما ساروا بجيوش المسلمين
والرايات على رؤسهم منشورة حتى وصلوا الى القسطنطينية رأوا الكفار قد طلعوا على
الاسوار وملكوا الابراج والقلاع * واستعدوا فى كل حصن مناع * حين علموا بقدوم العساكر
الاسلامية * والاعلام المحمدية * وقد سمعوا قعقعة السلاح * وضجة الصياح * ونظروا فرأوا
المسلمين وسمعوا حوافر خيولهم من تحت الغبار فاذا هم كالجراد المنتشر * والسحاب المنهمر
وسمعوا أصوات المسلمين بتلاوة القرآن * وتسبيح الرحمن * وكان السبب فى اعلام الكفار
بذلك مادبرته العجوز ذات الدواهى من زورها وعهرها وبهتانها ومكرها حتى قربت العساكر
كالبحر الزاخر من كثرة الرجال والفرسان والنساء والصبيان فقال أمير الترك لامير الديلم
يا أمير اننا بقينا على خطر من الاعداء الذين فوق الاسوار فانظر الى تلك الابراج والى هذا
العالم الذى كالبحر الجاج * المتلاطم بالامواج * ان هؤلاء الكفار قد رنا مائة مرة ولا نأمن
من جاسوس شر فيخبرهم أننا على خطر من الاعداء الذين لا يحصى عددهم * ولا ينقطع مددهم
خصوصا مع غيبة الملك ضوء المكان وأخيه والوزير الاجل دندان فعند ذلك يطمعون فينا
لغيبتهم عنا فيحقونا بالسيف عن آخرنا ولا ينجو منا ناج ومن الرأى أن تأخذ أنت عشرة
آلاف فارس من المواصلة والاتراك وتذهب بهم الى دير مطروحنا ومرج ملوخنا فى طلب
اخواننا وأصحابنا فان أطعتمونى كنتم سببا فى الفرج عنهم ان كان الكفار قد ضيقوا عليهم
وان لم تطيعونى فلا لوم على * واذا توجهتم ينبغى أن ترجعوا الينا مسرعين فان من الحزم سوء
الظن فعند ها قبل الامير المذكور كلامه وانتخب عشرين ألف فارس وساروا يقطعون
الطرقات طالبين المرج المذكور * والدير المشهور * هذا ما كان من أمر سبب مجيئهم وأما
ما كان من أمر العجوز ذات الدواهى فانها لما أوقعت السلطان ضوء المكان وأخاه شركان
والوزير دندان فى أيدى الكفار أخذت تلك العاهرة جوادا وركبته وقالت للكفار انى أريد أن
ألحق عسكر المسلمين وأتحيل على هلاكهم لانهم فى القسطنطينية فاعلمهم أن أصحابهم هلكوا
فاذا سمعوا ذلك منى تشتت شملهم * وانصرم حبلهم * وتفرق جمعهم * ثم أدخل أنا الى الملك
أفريدون ملك القسطنطينية وولدى الملك خردوب ملك الروم وأخبرهما بهذا الخبر فيخرجان
بعساكرهما الى المسلمين ويهلكونهم ولا يتركون أحدا منهم ثم انها سارت تقطع الارض على
ذلك الجواد طول الليل فلما أصبح الصباح لاح لها عسكر بهرام ورستم فدخلت بعض الغابات
وأخفت جوادها هناك ثم خرجت وتمشت قليلا وهى تقول فى نفسها لعل عساكر المسلمين قد
رجعوا منهزمين من حرب القسطنطينية فلما قربت منهم نظرت اليهم وتحققت أعلامهم
فرأتها غير منكسة فعلمت أنهم أتوا غير منهزمين ولا خائفين على ملكهم وأصحابهم فلما عاينت
ذلك أسرعت نحوهم بالجرى الشديد * مثل الشيطان المريد * الى أن وصلت اليهم وقالت لهم
العجل العجل يا جند الرحمن * الى جهاد حزب الشيطان * فلما رآها بهرام أقبل عليها وترجل

وقبل

وتقبل الارض بين يديها وقال لها ياولية الله ماوراءك فقال لا تسأل عن سوء الحال * وشديد الاهوال فان أصحابنا لما أخذوا المال من دير مطروحنا أرادوا أن يتوجهوا الى القسطنطينية فعند ذلك خرج عليهم عسكر جرار * ذو بأس من الكفار * ثم ان الملعونة أعادت عليهم الحديث ارجافا ووجلا وقالت ان أكثرهم هلك ولم يبق منهم الا خمسة وعشرون رجلا فقال بهرام أيها الزاهد متى فارقتهم فقال فى ليلتى هذه فقال بهرام سبحان الذى طوى لك الارض البعيدة وأنت ماش على قدميك متكئا على جريدة لكنك من الاولياء الطيارة * الملهمين وحى الاشارة * ثم ركب على ظهر جواده وهو مدهوش وحيران * بما سمعه من ذات الافك والبهتان وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم لقد شاع تعبنا * وضاقت صدورنا * وأسر سلطاننا ومن معه ثم جعلوا يقطعون الارض طولا وعرضا ليلا ونهارا فلما كان وقت السحر أقبلوا على رأس الشعب فرأوا ضوء المكان وأخاه شركان ينادبان بالتهليل والتكبير * والصلاة والسلام على البشير النذير * فحمل هو وأصحابه وأحاطوا بالكفار * احاطة السيل بالقفار وصاحوا عليهم صياحا ضجت منه الابطال * وتصدعت به الجبال * فلما أصبح الصباح وأشرق بنوره ولاح * فاح لهم من ضوء المكان طيبه ونشره * وتعارفوا بعضهم كما تقدم ذكره فقبلوا الارض بين يدى ضوء المكان وأخيه شركان وأخبرهم شركان بما جرى لهم فى المغارة فتعجبوا من ذلك ثم قالوا لبعضهم أسرعوا بنا الى القسطنطينية لانبشر كا أصحابنا هنالك وقلوبنا عندهم فعند ذلك أسرعوا فى المسير * وتوكلوا على اللطيف الخبير * وكان ضوء المكان يقوى المسلمين على الثبات * وينشد هذه الابيات

لك الحمد يا مستوجب الحمد والشكر * لما زلت لى بالعون يارب فى أمرى
ربيت غريبا فى البلاد وكنت لى * كفيلا وقد قدرت ياربنا نصرى
وأعطيتنى مالا وملكا ونعمة * وقلدتنى سيف الشجاعة والنصر
وخولتنى ظل المليك معمرا * وقد جدت لى من فيض جودك بالغمر
وسلمتنى من كل خطب حذرته * بمشورة الصدر الوزير فتى الدهر
بفضلك قد صلنا على الروم صولة * وقد رجعوا بالضرب فى حلل حمر
وأظهرت أنى قد هزمت هزيمة * وعدت عليهم عودة الضيغم الغمر
تركتهم فى القاع صرعى كأنهم * نشاوى بكأس الموت لا قهوة الخمر
وصارت بأيدينا المراكب كلها * وصار لنا السلطان فى البر والبحر
وجاء الينا الزاهد العابد الذى * كرامته شاعت لدى البدو والحضر
أتينا لأخذ الثار من كل كافر * وقد شاع عند الناس ما كان من أمرى
وقد قتلوا منا رجالا فاصبحوا * لهم غرف فى الخلد تعلو على نهر

فلما فرغ سوء المكان من شعره هنأه أخوه شركان بالسلامة وشكره على أفعاله ثم انهم توجهوا مجدين المسير * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن شركان هنأه أخوه ضوء المكان بالسلامة وشكره على أفعاله ثم انهم توجهوا مجدين المسير طالبين عساكرهم

هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من أمر العجوز ذات الدواهى فانها لما لاقت عسكر بهرام ورستم عادت الى الغابة وأخذت جوادها وركبته وأسرعت فى سيرها حتى أشرفت على عسكر المسلمين المحاصرين للقسطنطينية ثم انها نزلت وأخذت جوادها وأتت به الى السرادق الذى فيه الحاجب فلما رآها نهض اها قائما وأشار اليها بالايماء وقال مرحبا بالعابد الزاهد ثم سألها عما جرى فأخبرته بخبرها المرجف * وبهتانها المتلف * وقالت انى أخاف على الامير رستم والامير بهرام لانى قد لاقيتهما مع عسكرهما فى الطريق وأرسلتهما الى الملك ومن معه وكانا فى عشرين ألف فارس والكفار أكثر منهم وانى أردت فى هذه الساعة أن ترسل جملة من عسكرك حتى يلحقوهم بسرعة لئلا يهلكوا عن آخرهم وقالت لهم العجل العجل فلما سمع الحاجب والمسلمون منهم ذلك الكلام انحلت عزائمهم وبكوا فقالت لهم ذات الدواهى استعينوا بالله واصبروا على هذه الرزية فلكم أسوة بمن سلف من الامة المحمدية فالجنة ذات القصور أعدها الله لمن يموت شهيدا ولا بد من الموت لكل أحد * ولكنه فى الجهاد أحمد * فلما سمع الحاجب كلام اللعينة ذات الدواهى دعا بأخى الامير بهرام وكان فارسا يقال له تركاش وانتخب له عشرة آلاف فارس * أبطال عوابس * وأمره بالسير فسار فى ذلك اليوم وطول الليل حتى قرب من المسلمين فلما أصبح الصباح رأى شركان ذلك الغبار فخاف على المسلمين وقال ان هذه عساكر مقبلة علينا فاما أن يكونوا من عسكر المسلمين * فهذا هو النصر المبين * واما أن يكونوا من عسكر الكفار * فلا اعتراض على الاقدار * ثم انه أتى الى أخيه ضوء المكان وقال له لا تخف أبدا * فانى أفديك بروحى من الردى * فان كان هؤلاء من عسكر الاسلام * فهذا مزيد الانعام * وان كان هؤلاء أعداءنا فلا بد من قتالهم لكن أشتهى أن أقابل العابد قبل موتى لأسأله أن يدعو لى أن لا أموت الا شهيدا فبينما هم كذلك واذا بالرايات قد لاحت مكتوبا عليها لا اله الا الله محمد رسول الله فصاح شركان كيف حال المسلمين قالوا بعافية وسلامة وما أتينا الا خوفا عليكم ثم ترجل رئيس العسكر عن جواده وقبل الارض بين يديه وقال يا مولانا كيف السلطان والوزير دندان ورستم وأخى بهرام أما هم الجميع سالمون فقال بخير ثم قال له ومن الذى أخبركم بخبرنا قال الزاهد وقد ذكر أنه لقى أخى بهرام ورستم وأرسلهما اليكم وقال لنا ان الكفار قد أحاطوا بهم وهم كثيرون وما أرى الامر الا بخلاف ذلك وأنتم منصورون فقال لهم وكيف وصول الزاهد اليكم فقالوا له كان سائرا على قدميه وقطع فى يوم وليلة مسيرة عشرة أيام للفارس المجد فقال شركان لا شك أنه ولى الله وأين هو قالوا له تركناه عند عسكرنا أهل الايمان يحرضهم على قتال أهل الكفر والطغيان * ففرح شركان بذلك وحمدوا الله على سلامتهم وسلامة الزاهد وترحموا على من قتل منهم وقالوا كان ذلك فى الكتاب مسطورا ثم ساروا مجدين فى سيرهم فبينما هم كذلك واذا بغبار قد طار * حتى سد الاقطار * وأظلم منه النهار * فنظر اليه شركان وقال انى أخاف أن يكون الكفار قد كسروا عسكر الاسلام لان هذا الغبار سد المشرقين * وملأ الخافقين * ثم لاح من تحت ذلك الغبار عمود من الظلام * أشد سوادا من حالك الايام * وما زالت تقرب منهم تلك الدعامة * وهى أشد من هول يوم القيامة * فتسارعت اليها الخيل والرجال لينظروا ما سبب سوء هذا الحال * فرأوه الزاهد المشار اليه * فازدحموا

على

على تقبيل يديه * وهو ينادى يا أمة خير الانام * ومصباح الظلام * ان الكفار غدروا بالمسلمين فأدركوا عساكر الموحدين * وأنقذوهم من أيدى الكفرة اللئام فانهم هجموا عليهم فى الخيام ونزل بهم العذاب المهين * وكانوا فى مكانهم آمنين * فلما سمع شركان ذلك الكلام طار قلبه من شدة الخفقان * وترجل عن جواده وهو حيران * ثم قبل يد الزاهد ورجليه وكذلك أخوه ضوء المكان * وبقية العسكر من الرجال والركبان * الا الوزيرين دندان * فانه لم يترجل عن جواده وقال والله ان قلبى نافر من هذا الزاهد لانى ما عرفت للمتنطعين فى الدين غير المفاسد فاتركوه وأدركوا أصحابكم المسلمين فان هذا من المطرودين * عن باب رحمة رب العالمين * فكم غزوت مع الملك عمر النعمان * ودست أراضى هذا المكان فقال له شركان دع هذا الظن الفاسد أما نظرت الى هذا العابد * وهو يحرض المؤمنين على القتال * ولا يبالى بالسيوف والنبال فلا تغتبه لان الغيبة مذمومة * ولحوم الصالحين مسمومة * وانظر الى تحريضه لنا على قتال أعدائنا * ولولا أن الله تعالى يحبه ما طوى له البعيد * بعد أن أوقعه سابقا فى العذاب الشديد * ثم ان شركان أمر أن يقدموا بغلة نوبية الى الزاهد ليركبها وقال له اركب أيها الزاهد الناسك العابد * فلم يقبل ذلك وامتنع من الركوب * وأظهر الزهد لينال المطلوب * وما دروا ان هذا الزاهد الماهر * هو الذى قال فى مثله الشاعر

صلى وصام لامر كان يطلبه * لما قضى الامر لا صلى ولا صاما

ثم ان ذلك الزاهد ما زال ماشيا بين الخيل والرجال * كأنه الثعلب المحتال للاغتيال * وسار رافعا صوته بتلاوة القرآن * وتسبيح الرحمن * وما زالوا سائرين حتى أشرفوا على عسكر الاسلام فوجدهم شركان فى حالة الانكسار * والحاجب قد أشرف على الهزيمة والفرار * والسيف يعمل بين الابرار والفجار * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن شركان لما أدرك المسلمين وهم فى حالة الانكسار * والحاجب قد أشرف على الهزيمة والفرار * والسيف يعمل بين الابرار والفجار * وكان السبب فى خذل المسلمين أن اللعينة ذات الدواهى عدوة الدين لما رأت بهرام ورستم قد سارا بعسكرهما نحو شركان وأخيه ضوء المكان سارت هى نحو عسكر المسلمين وأنفذت الامير تركاش كما تقدم ذكره وقصدها بذلك أن تفرق بين عسكر المسلمين لاجل أن يضعفوا ثم تركتهم وقصدت القسطنطينية ونادت بطارقة الروم بأعلى صوتها وقالت أدلوا حبلا لاربط فيه هذا الكتاب وأوصلوه الى ملككم أفريدون ليقرأه هو وولدى ملك الروم ويعملا بما فيه من أوامره ونواهيه فأدلوا لها حبلا فربطت فيه الكتاب وكان مضمونه من عند الداهية العظمى والطامة الكبرى ذات الدواهى الى الملك أفريدون أما بعد فانى دبرت لكم حيلة على هلاك المسلمين فكونوا مطمئنين وقد أسرتهم وأسرت سلطانهم ووزيرهم ثم توجهت الى عسكرهم وأخبرتهم بذلك فانكسرت شوكتهم * وضعفت قوتهم * وقد خدعت العسكر المحاصرين للقسطنطينية حتى أرسلت منهم اثنى عشر ألف فارس مع الامير تركاش خلاف المأسورين وما بقى منهم الا القليل فالمراد منكم أنكم تخرجون اليهم بجميع عسكركم فى بقية هذا النهار وتهجمون عليهم فى خيامهم ولكنكم لا تخرجون الا سواء واقتلوهم عن آخرهم

فان المسيح قد نظر اليكم والعذراء تعطفت عليكم وأرجو من المسيح أن لا ينسى فعلى الذى قد
فعلته فلما وصل كتابها الى الملك أفريدون فرح فرحا شديدا وأرسل فى الحال الى ملك الروم ابن
ذات الدواهى وأحضره وقرأ الكتاب عليه ففرح وقال انظر مكر أمى فانه يغنى عن السيوف
وطلعتها تنوب عن هول اليوم المخوف فقال الملك أفريدون لا أعدم المسيح طلعة أمك *
ولا أخلاك من مكرك ولؤمك * ثم انه أمر البطارقة أن ينادوا بالرحيل الى خارج المدينة
وشاع الخبر فى القسطنطينية * وخرجت عساكر النصرانية * والعصابة الصليبية * وجردوا
السيوف الحداد * وأعلنوا بكلمة الكفر والالحاد * وكفروا برب العباد * فلما نظر الحاجب
الى ذلك قال ان الروم قد وصلوا الينا وقد علموا أن سلطاننا غائب فربما هجموا علينا وأكثر
عسكرنا قد توجه الى الملك ضوء المكان واغتاظ الحاجب ونادى ياعسكر المسلمين * وحماة
الدين المتين * ان هربتم هلكتم * وان صبرتم نصرتم * فاعلموا أن الشجاعة صبر ساعة وماضاق
أمر الا أوجد الله اتساعه بارك الله فيكم ونظر اليكم بعين الرحمة فعند ذلك كبرت المسلمون
وصاحت الموحدون ودارت رحى الحرب * بالطعن والضرب * وأعملت الصوارم والرماح
وملأ الدم الاودية والبطاح * وقسست القسوس والرهبان * وشدوا الزنانير ورفعوا الصلبان
وأعلن المسلمون بتكبير الملك الديان * وصاحوا بتلاوة القرآن * واصطدم حزب الرحمن
بحزب الشيطان * وطارت الرؤس عن الابدان * وطافت الملائكة الاخيار * على أمة النبى
المختار * ولم يزل السيف يعمل الى أن ولى النهار * وأقبل الليل بالاعتكار * وقد أحاطت
الكفار بالمسلمين * وحسبوا أن ينجوا من العذاب المهين * وطمع المشركون فى أهل الايمان
الى أن طلع الفجر وبان * فركب الحاجب هو وعسكره * ورجا أن الله ينصره * واختلطت
الأمم بالامم * وقامت الحرب على قدم * وطارت القمم * وثبت الشجاع وتقدم * وولى الجبان
وانهزم * وقضى قاضى الموت وحكم * حتى تطاوحت الابطال عن السروج * وامتلأت
بالاموات المروج * وتأخرت المسلمون عن أماكنها * وملكت الروم بعض خيامها ومساكنها
وعزم المسلمون على الانكسار * والهزيمة والفرار * فبينما هم كذلك واذا بقدوم شركان
بعساكر المسلمين ورايات الموحدين فلما أقبل عليهم شركان حمل على الكفار وتبعه ضوء
المكان * وحمل بعدهما الوزير دندان * وكذلك أمير الديلم بهرام ورستم وأخوه تركاش فانهم
لما رأوا ذلك لمارت عقولهم * وغاب معقولهم * وثار الغبار * حتى ملأ الاقطار * واجتمعت
المسلمون الاخيار * باصحابهم الابرار * واجتمع شركان بالحاجب فشكره على صبره * وهنأه
بتأييده ونصره * وفرحت المسلمون وقويت قلوبهم وحملوا على أعدائهم * وأخلصوا لله
فى جهادهم * فلما نظر الكفار الى الرايات المحمدية * وعليها كلمة الاخلاص الاسلامية
صاحوا بالويل والثبور * واستغاثوا ببطارقة الدير * ونادوا حنا ومريم * والصليب المسخم
وانقبضت أيديهم عن القتال وقد أقبل الملك أفريدون على ملك الروم وصار أحدهما فى الميمنة
والآخر فى الميسرة وعندهم فارس مشهور يسمى لاويا فوقف وسطا وأصطفوا للنزال * وان
كانوا فى فزع وزلزال * ثم صفت المسلمون عساكرهم فعند ذلك أقبل شركان على أخيه ضوء
المكان * وقال له يا ملك الزمان * لا شك أنهم يريدون البراز وهذا غاية مرادنا ولكن أحب أن

أقدم

أقدم من العسكر من له عزم ثابت فان التدبير نصف المعيشة فقال السلطان ماذا تريد ياصاحب
الرأى السديد فقال شركان أريد أن أكون فى قلب عسكر الكفار وأن يكون الوزير دندان
فى الميسرة وأنت فى الميمنة والامير بهرام فى الجناح الايمن والامير رستم فى الجناح الايسر وأنت
أيها الملك العظيم تكون تحت الاعلام والرايات لانك عمادنا * وعليك بعد الله اعتمادنا ونحن كلنا
نفديك من كل أمر يؤذيك * فشكره ضوء المكان على ذلك وارتفع الصياح * وجردت الصفاح
فبينما هم كذلك واذا بفارس قد ظهر من عسكر الروم فلما قرب رأوه راكبا على بغلة قطوف * تفر
بصاحبها من وقع السيوف * وبرذعتها من أبيض الحرير * وعليها سجادة من شغل كشمير
وعلى ظهرها شيخ مليح الشيبة * ظاهر الهيبة * عليه مدرعة من الصوف الابيض * ولم يزل
يسرع بها وينهض * حتى قرب من عسكر المسلمين * وقال انى رسول اليكم أجمعين * وما على
الرسول الا البلاغ فأعطونى الامان والاقالة * حتى أبلغكم الرسالة * فقال له شركان لك
الامان * فلا تخش حرب سيف ولا طعن سنان * فعند ذلك ترجل الشيخ وقلع الصليب من عنقه
بين يدى السلطان * وخضع له خضوع راجى الاحسان * فقال له المسلمون ما معك من الاخبار
فقال انى رسول من عند الملك افريدون فانى نصحته ليمتنع عن تلف هذه الصور الانسانية
والهياكل الرحمانية * وبينت له أن الصواب حقن الدماء والاقتصار على فارسين فى الهيجاء
فأجابنى الى ذلك وهو يقول لكم انى فديت عسكرى بروحى فليفعل ملك المسلمين مثلى
ويفدى عسكره بروحه فان قتلنى فلا يبقى لعسكر الكفار ثبات وان قتلته فلا يبقى لعسكر
الاسلام ثبات فلما سمع شركان هذا الكلام قال يا راهب انا أجبناه * الى ذلك فان هذا هو
الانصاف * فلا يكون منه خلاف * وها أنا أبرز اليه * وأحمل عليه * فانى فارس المسلمين وهو
فارس الكافرين * فان قتلنى فاز بالظفر ولا يبقى لعسكر المسلمين غير المفر * فارجع اليه أيها
الراهب وقل له ان البراز يكون فى غد لاننا أتينا من سفرنا على تعب فى هذا اليوم * وبعد
الراحة لا عتب ولا لوم فرجع الراهب وهو مسرور حتى وصل الى الملك أفريدون وملك الروم
وأخبرهما بذلك فغرح الملك أفريدون غاية الفرح * وزال عنه الهم والترح * وقال فى نفسه
لاشك أن شركان هذا هو أضربهم بالسيف وأطعنهم بالسنان * فاذا قتلته انكسرت همتهم
وضعفت قوتهم * وقد كانت ذات الدواهى كاتبت الملك افريدون بذلك وقالت له ان شركان
هو فارس الشجعان * وشجاع الفرسان وحذرت افريدون من شركان وكان افريدون فارسا
عظيما لانه كان يقاتل أنواع القتال * ويرمى بالحجارة والنبال * ويضرب بالعمود الحديد
ولا يخشى من البأس الشديد * فلما سمع قول الراهب من أن شركان أجاب الى البراز كاد أن
يطير من شدة الفرح لانه واثق بنفسه * ويعلم أنه لا طاقة لأحد به ثم بات الكفار تلك الليلة
فى فرح وسرور * وشرب خمور * فلما كان الصباح * أقبلت الفوارس بسمر الرماح * وبيض
الصفاح * واذا هم بفارس قد برز فى الميدان وهو راكب على جواد من الخيل الجياد * معد
للحرب والجلاد * وله قوائم شداد * وعلى ذلك الفارس درع من الحديد * معد للباس الشديد
وفى صدره مرآة من الجوهر * وفى يده صارم أبتر * وقنطارية خلنج * من غريب عمل الافرنج

ثم ان الفارس كشف عن وجهه * وقال من عرفني فقد اكتفاني * ومن لم يعرفني فسوف يراني
أنا افريدون المغمور ببركة شواهي ذات الدواهي فما تم كلامه حتى خرج في وجهه فارس المسلمين
شركان وهو راكب على جواد أشقر * يساوي ألفا من الذهب الاحمر * وعليه عدة مزركشة
بالدر والجوهر * وهو متقلد بسيف هندي مجوهر * يقد الرقاب * ويهون الامور الصعاب * ثم
ساق جواده بين الصفين * والفرسان تنظره بالعين * ثم نادى افريدون وقال له ويلك يا ملعون
أتظنني كمن لاقيت من الفرسان * لا يثبت معك في حومة الميدان * ثم حمل كل منهما على
صاحبه فصار الاثنان * كأنهما جبلان يصطدمان * أو بحران يلتطمان * ثم تقاربا وتباعدا
والتصقا وافترقا ولم يزالا في كر وفر * وهزل وجد * وضرب وطعن * والجيشان ينظران اليهما
وبعضهم يقول ان شركان غالب والبعض يقول ان افريدون غالب ولم يزل الفارسان على هذا
الحال * حتى بطل القيل والقال * وعلا الغبار * وولى النهار * ومالت الشمس الى الاصفرار
وصاح الملك افريدون على شركان وقال وحق دين المسيح * والاعتقاد الصحيح ما أنت الا فارس
كرار * وبطل مغوار * غير أنك غدار * وطبعك ما هو طبع الاخيار * لاني أرى فعلك غير
حميد * وقتالك قتال الصنديد * وقومك ينسبونك الى العبيد * وها هم أخرجوا لك غير
جوادك * وتعود الى القتال وانى وحق ديني قد أعياني قتالك * وأتعبني ضربك وطعانك
فان كنت تريد قتالي في هذه الليلة فلا تغير شيأ من عدتك ولا جوادك * حتى يظهر للفرسان
كرملك وقتالك * فلما سمع شركان هذا الكلام اغتاظ من قول أصحابه في حقه حيث ينسبونه
الى العبيد فالتفت اليهم شركان وأراد أن يشير اليهم و يأمرهم أن لا يغيروا له جوادا ولا عدة
واذا بافريدون هز حربته وأرسلها الى شركان فالتفت وراءه فلم يجد أحدا فعلم أنها حيلة من
الملعون فرد وجهه بسرعة واذا بالحربة قد أدركته فمال عنها حتى ساوى برأسه قربوس سرجه
فجرت الحربة على صدره وكان شركان عالي الصدر فكشطت الحربة جلدة صدره فصاح صيحة
واحدة وغاب عن الدنيا ففرح الملعون افريدون بذلك وعرف أنه قد قتله فصاح على الكفار
ونادى بالفرح فهاجت أهل الطغيان * وبكت أهل الايمان * فلما رأى ضوء المكان أخاه
مائلا عن الجواد حتى كاد أن يقع أرسل نحوه الفرسان فتسابقت اليه الابطال وأتوا به اليه
وحملت الكفار على المسلمين والتقى الجيشان * واختلط الصفان * وعمل اليماني وكان أسبق
الناس الى شركان الوزير دندان * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

* فلما كانت الليلة الثالثة بعد المائة * قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك ضوء المكان لما
رأى اللعين قد ضرب أخاه شركان بالحربة ظن أنه مات فارسل اليه الفرسان وكان أسبق الناس
اليه الوزير دندان وأمير الترك بهرام وأمير الديلم فلحقوه وقد مال عن جواده فأسندوه ورجعوا
به الى أخيه ضوء المكان ثم أوصوا به الغلمان وعادوا الى الحرب والطعان * واشتد النزال
وتصفت النصال * وبطل القيل والقال * فلا يرى الا دم سائل * وعنق مائل * ولم يزل
السيف يعمل في الاعناق * واشتد الشقاق * الى أن ذهب أكثر الليل وكلت الطائفتان عن
القتال * فنادوا بالانفصال * ورجعت كل طائفة الى خيامها وتوجه جميع الكفار الى
ملكهم أفريدون وقبلوا الارض بين يديه * وهنأته القسوس والرهبان * بظفره بشركان * ثم

ان

ان الملك افريدون دخل القسطنطينية وجلس على كرسى مملكته وأقبل عليه ملك الروم وقال
له قوى المسيح ساعدك * ولازال مساعدك * واستجاب من الام الصالحة ذات الدواهى
ماتدعو به لك * واعلم أن المسلمين مابقى لهم اقامة بعد شركان فقال افريدون فى غد يكون
الانفصال اذا خرجت الى النزال وطلبت ضوء المكان وقتلته فان عسكرهم يولون الادبار
ويركنون الى الفرار * هذا ما كان من أمر الكفار * وأما ما كان من أمر عساكر الاسلام
فان ضوء المكان لما رجع الى الخيام لم يكن له شغل الا بأخيه فلما دخل عليه وجده فى أسوأ
الاحوال * وأشد الاهوال * فدعا بالوزير دندان ورستم وبهرام للمشورة فلما دخلوا عليه
اقتضى رأيهم احضار الحكماء لعلاج شركان ثم بكوا وقالوا لم يسمح بمثله الزمان وسهروا عنده
تلك الليلة وفى آخر الليل أقبل عليهم الزاهد وهو يبكى فلما رآه ضوء المكان قام اليه فجلس بيده
على أخيه وتلا شيأ من القرآن وعوذ بآيات الرحمن ومازال سهران عنده الى الصباح فعند
ذلك استفاق شركان وفتح عينيه وأدار لسانه فى فمه وتكلم ففرح السلطان ضوء المكان وقال
قد حصلت له بركة الزاهد فقال شركان الحمد لله على العافية فانى بخير فى هذه الساعة وقد عجل
على هذا الملعون حيلة ولولا أنى زغت أسرع من البرق لكانت الحربة نفذت من صدرى
فالحمد لله الذى نجانى وكيف حال المسلمين فقال له ضوء المكان هم فى بكاء من أجلك فقال انى
بخير وعافية وأين الزاهد وهو عند رأسه قاعد فقال له عند رأسك فالتفت اليه وقبل يديه فقال
الزاهد ياولدى عليك بجميل الصبر * يعظم الله لك الاجر * فان الاجر على قدر المشقة فقال
شركان ادع لى فدعا له فلما أصبح الصباح * وبان الفجر ولاح * برزت المسلمون الى ميدان الحرب
وتهيأ الكفار للطعن والضرب * وتقدمت عساكر المسلمين فطلبوا الحرب والكفاح
وجردوا السلاح * وأراد الملك ضوء المكان وافريدون أن يحملا على بعضهما واذا بضوء
المكان خرج الى الميدان * وخرج معه الوزير دندان * والحاجب وبهرام وقالوا لضوء المكان
نحن فداك فقال لهم وحق البيت الحرام * وزمزم والمقام * لا أقعد عن الخروج * الى
هؤلاء العلوج * فلما صار فى الميدان * لعب بالسيف والسنان * حتى أذهل الفرسان * وتعجب
الفريقان * وحمل فى الميمنة فقتل منها بطريقين وفى الميسرة فقتل منها بطريقين ونادى فى
وسط الميدان أين افريدون * حتى أذيقه عذاب الهون * فأراد الملعون أن يولى وهو مغبون
فأقسم عليه ضوء المكان * أن لا يبرح من الميدان * وقال له ياملك بالامس كان قتال أخى
واليوم قتالى وأنا بشجاعتك لا أبالى * ثم خرج وفى يده صارم وتحته حصان كأنه عنتر فى حومة
الميدان * وذلك الحصان أدهم مغاير * كما قال فيه الشاعر

قد سابق الطرف بطرف سابق * كأنه يريد ادراك القدر
دهمته تبدى سوادا حالكا * كأنها ليل اذا الليل عكر
مهيبه يزعج من يسمعه * كأنه الرعد اذا الرعد زجر
لو سابق الريح جرى من قبلها * والبرق لا يسبقه اذا ظهر

ثم حمل كل منهما على صاحبه واحترز من مضاربه وأظهر ما فى بطنه من عجائبه وأخذ فى الكر
والفر حتى ضاقت الصدور * وقل الصبر للمقدور * وصاح ضوء المكان وهجم على ملك

القسطنطينية افريدون وضربه ضربة أطاح بها راسه وقطع أنفاسه فلما نظرت الكفار الى ذلك حملوا جميعاً عليه * وتوجهوا بكليتهم اليه * فقابلهم فى حومة الميدان * واستمر الضرب والطعان * حتى سال الدم بالجريان * وضج المسلمون بالتكبير * والتهليل والصلاة على البشير النذير * وقاتلوا قتالا شديدا وأنزل الله النصر على المؤمنين * والخزى على الكافرين * وصاح الوزير دندان * خذوا بثار الملك عمر النعمان * وثار ولده شركان * وكشف رأسه وصاح للاتراك وكان بجانبه أكثر من عشرين ألف فارس فحملوا معه حملة واحدة فلم يجد الكفار لانفسهم غير الفرار * وتولى الادبار * وعمل فيهم الصارم البتار * فقتل منهم نحو خمسين ألف فارس وأسروا مايزيد على ذلك وقتل عند دخول الباب خلق كثير من شدة الزحام ثم غلقوا الباب وطلعوا فوق الاسوار خوف العذاب وعادت طوائف المسلمين مؤيدين منصورين وأتوا خيامهم ودخل ضوء المكان على أخيه فوجده فى أسر الاحوال فسجد شكرا للكريم المتعال ثم أقبل عليه وهنأه بالسلامة فقال له شركان اننا كنا فى بركة هذا الزاهد الاواب وما انتصرتم الا بدعائه المستجاب * فانه لم يزل اليوم قاعدا يدعو للمسلمين بالنصر * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك ضوء المكان لما دخل على أخيه شركان وجده جالسا والعابد عنده ففرح وأقبل عليه وهناه بالسلامة فقال شركان اننا كنا فى بركة هذا الزاهد وما انتصرتم الا بدعائه لكم فانه مابرح اليوم يدعو للمسلمين وكنت وجدت فى نفسى قوة حين سمعت تكبيركم فعلمت أنكم منصورون على أعدائكم فاحك لى يا أخى ماوقع لك فحكى له جميع ماوقع له مع الملعون افريدون وأخبره أنه قتله وراح الى لعنة الله فأثنى عليه وشكر مسعاه فلما سمعت ذات الدواهى وهى فى صفة الزاهد بقتل ولدها افريدون انقلب لونها بالاصفرار وتغرغرت عيناها بالدموع الغزار ولكنها أخفت ذلك وأظهرت للمسلمين أنها فرحت وأنها تبكى من شدة الفرح ثم انها قالت فى نفسها وحق المسيح مابقى فى حياتى فائدة ان لم أحرق قلبه على أخيه شركان كما أحرق قلبى على عماد الملة النصرانية والعصابة الصليبية الملك افريدون ولكنها كتمت مابها ثم ان الوزير دندان والملك شركان والحاجب استمروا جالسين عند شركان حتى عملوا له اللزق والادهان وأعطوه الدواء فتوجهت اليه العافية وفرحوا بذلك فرحا شديدا وأعلموا به العساكر فتباشر المسلمون وقالوا فى غد يركب معنا ويباشر الحصار ثم ان شركان قال لهم انكم قاتلتم اليوم وتعبتم من القتال فيقبغى أن تتوجهوا الى أماكنكم وتناموا ولا تسهروا فأجابوه الى ذلك وتوجه كل منهم الى سرادقه ومابقى عند شركان سوى قليل من الغلمان والعجوز ذات الدواهى فتحدث معها قليلا من الليل ثم اضطجع لينام وكذلك الغلمان ثم غلب عليهم النوم فصاروا مثل الاموات هذا ماكان من أمر شركان وغلمانه وأما ماكان من أمر العجوز ذات الدواهى فانها بعد نومهم صارت يقظانة وحدها فى الخيمة ونظرت الى شركان فوجدته مستغرقا فى النوم فوثبت على قدميها كأنها سادبة معطاء أو آفة نقطاء وأخرجت من وسطها خنجرا مسموما ووضع على صخرة لاذابها ثم جردته من غمده وأتت عند رأس شركان وجزته على رقبته فذبحته وأزالت رأسه

عن

عن جسده ثم وثبت على قدميها وأتت الى الغلمان النيام وقطعت رؤسهم لئلا ينتبهوا ثم
خرجت من الخيمة وأتت الى خيام السلطان فوجدت الحراس غير نائمين فمالت الى خيمة
الوزير دندان فوجدته تقرأ القرآن فوقعت عينه عليها فقال مرحبا بالزاهد العابد فلما سمعت
ذلك من الوزير ارتجف قلبها وقالت له ان سبب مجيئي الى هنا في هذا الوقت أني سمعت صوت ولي
من أولياء الله تعالى فاذاهب اليه ثم ولت فقال الوزير دندان في نفسه والله لأتبع هذا الزاهد في
هذه الليلة فقام ومشى خلفها فلما أحست الملعونة بمشيه عرفت أنه وراءها فخشيت أن
تفتضح وقالت في نفسها ان لم أخدعه بحيلة فاني أفتضح معه فأقبلت اليه من بعيد وقالت أيها
الوزير انى سائرة خلف هذا الولي لأعرفه وبعد أن أعرفه أستأذنه في مجيئك اليه وأقبل عليك
وأخبرك لانى أخاف أن تذهب معي بغير استئذان الولي فيحصل له نفرة مني اذا رآك معي فلما
سمع الوزير كلامها استحى أن يرد عليها جوابا فتركها ورجع الى خيمته وأراد أن ينام فما طاب
له منام وكادت الدنيا أن تنطبق عليه فقام وخرج من خيمته وقال في نفسه أنا أمضي الى شركان
وأتحدث معه الى الصباح فسار الى أن دخل خيمة شركان فوجد الدم سائلا كالقناة ونظر
الغلمان مذبوحين فصاح صيحة أزعجت من كان نائما فتسارعت الخلق اليه فرأوا الدم سائلا
ففجعوا بالبكاء والنحيب فعند ذلك استيقظ السلطان ضوء المكان وسأل عن الخبر فقيل له ان
شركان أخاك والغلمان مقتولون فقام مسرعا الى أن دخل الخيمة فوجد الوزير دندان يصيح
ووجد جثة أخيه بلا رأس فغاب عن الدنيا وصاحت كل العساكر وبكوا ودار واحول ضوء
المكان ساعة حتى استفاق ثم نظر الى شركان وبكى بكاء شديدا وفعل مثله الوزير رورستم
وبهرام وأما الحاجب فانه صاح * وأكثر النواح * ثم طلب الارتحال * لما به من الاوجال
فقال الملك أما علمتم الذي فعل بأخي هذه الفعال ومالي لا أرى الزاهد * الذي عن متاع الدنيا
متباعد * فقال الوزير ومن جلب هذه الاحزان * الا هذا الزاهد الشيطان * فوالله ان قلبي نفر
منه في الاول والآخر لانني أعرف أن كل متنطع في الدين خبيث ماكر ثم ان الناس ضجوا بالبكاء
والنحيب * وتضرعوا الى القريب المجيب * أن يوقع بين أيديهم ذلك الزاهد الذي هو لآيات
الله جاحد * ثم جهزوا شركان ودفنوه في الجبل المذكور * وحزنوا على فضله المشهور * وأدرك
شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة بعد المائة قالت بلغني أيها الملك السعيد أنهم جهزوا شركان ودفنوه
في الجبل المذكور * وحزنوا على فضله المشهور * ثم ان الملعونة لما فرغت من الداهية التي
عملتها * والمخازي التي لنفسها أبدتها * أخذت دواة وقرطاسا وكتبت فيه من عند شواهي
ذات الدواهي الى حضرة المسلمين اعلموا أني دخلت بلادكم وغشمت بلؤمي كرامكم وقتلت
سابقا ملككم عمر النعمان في وسط قصره وقتلت أيضا في وقعة الشعب والمغارة رجالا
كثيرة وآخر من قتلته بمكري ودهائي وغدري شركان وغلمانه ولو ساعدني الزمان * وطاوعني
الشيطان * كنت قتلت السلطان * والوزير دندان * وأنا الذي أتيت اليكم في زي الزاهد
وانطلت عليكم مني الحيل والمكايد * فان شئتم سلامتكم بعد ذلك فارحلوا * وان شئتم هلاك
أنفسكم فعن الاقامة لا تعدلوا * فلو أقمتم سنين وأعواما * فما تبلغون منا مراما * وبعد أن

كتبت الكتاب أقامت في حزنها على الملك افريدون ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع دعت بطريقا وأمرته أن يأخذ الورقة ويضعها في سهم ويرميها الى المسلمين ثم دخلت الكنيسة وصارت تندب وتبكي على فقد افريدون وقالت لمن تسلطن بعده لابد أن أقتل ضوء المكان وجميع أمراء الاسلام هذا ما كان من أمرها وأما ما كان من أمر المسلمين فانهم أقاموا ثلاثة أيام * في هم واغتمام * وفي اليوم الرابع نظروا الى ناحية السور واذا بطريق معه سهم نشاب وفي طرفه كتاب فصبروا عليه حتى رماه اليهم فأمر السلطان الوزير دندان أن يقرأه فلما قرأه وسمع ما فيه وعرف معناه * هملت بالدموع عيناه * وصاح وتضجر من مكرها وقال الوزير والله لقد كان قلبي نافر امنها فقال السلطان وهذه العاهرة كيف عملت علينا الحيلة مرتين ولكن والله لا أحول من هنا حتى أملأ فرجها بمسيح الرصاص * وأسجنها سجن الطير في الاقفاص وبعد ذلك أصلبها من شعرها على باب القسطنطينية ثم تذكر أخاه فبكى بكاء شديدا ثم ان الكفار لما توجهت لهم ذات الدواهي وأخبرتهم بما حصل فرجوا بقتل شركان وسلامة ذات الدواهي ثم ان المسلمين رجعوا على باب القسطنطينية ووعدهم السلطان أنه ان فتح المدينة فرق أموالها عليهم بالسوية هذا والسلطان لم تجف دموعه حزنا على أخيه وعراجسمه الهزال * حتى صار كالخلال * فدخل عليه الوزير دندان وقال له طب نفسا وقر عينا فان أخالك ما مات الا باجله وليس في هذا الحزن فائدة وما أحسن قول الشاعر

ما لا يكون فلا يكون بحيلة * أبدا وما هو كائن سيكون
سيكون ما هو كائن في وقته * وأخو الجهالة دائما مغبون

فدع البكاء والنواح * وقو قلبك لحمل السلاح * فقال يا وزير ان قلبي مهموم من أجل موت أبي وأخي ومن أجل غيابنا عن بلادنا فان خاطري مشغول برعيتي فبكى الوزير هو والحاضرون ومازالوا مقيمين على حصار القسطنطينية مدة من الزمان فبينما هم كذلك واذا بالاخبار وردت عليهم من بغداد صحبة أمير من أمرائه مضمونها أن زوجة الملك ضوء المكان رزقت ولدا وسمته نزهة الزمان أخت الملك كان ما كان ولكن هذا الغلام سيكون له شأن بسبب ما رأوه من العجائب والغرائب وقد أمرت العلماء والخطباء أن يدعوا لكم على المنابر ودبر كل صلاة وانا طيبون بخير والامطار كثيرة وان صاحبك الوقاد في غاية النعمة الجزيلة وعنده الخدم والغلمان ولكنه الى الآن لم يعلم بما جرى لك والسلام فقال له ضوء المكان الآن اشتد ظهري حيث رزقت ولدا اسمه كان ما كان * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة بعد المائة قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك ضوء المكان لما أتاه الخبر بأن زوجته ولدت ولدا ذكرا فرح فرحا شديدا وقال الآن اشتد ظهري حيث رزقت ولدا اسمه كان ما كان ثم قال للوزير دندان اني أريد أن أترك هذا الحزن وأعمل لأخي ختمات وأمورا من الخيرات فقال الوزير نعم ما أردت ثم أمر بنصب الخيام على قبر أخيه فنصبوها وجمعوا من العسكر من يقرأ القرآن فصار بعضهم يقرأ وبعضهم يذكر الله الى الصباح ثم تقدم السلطان ضوء المكان الى قبر أخيه شركان وسكب العبرات * وأنشد هذه الابيات

خرجوا

خر جوابه ولكل بالك خلفه * صعقات موسى يوم دك الطور
حتى أتوا جدثا كأن ضريحه * فى قلب كل موحد محفور
ما كنت آمل قبل نعشك أن أرى * رضوى على أيدى الرجال تسير
كلا ولا من قبل دفنك فى الثرى * أن الكواكب فى التراب تغور
أبجار والديما مر هن قراره * فيها الضياء بوجهه والنور
كفل الثناء له برد حياته * لما اذطوى فكأنه منشور

فلما فرغ ضوء المكان من شعره بكى وبكى معه جميع الناس ثم أتى الوزير دندان الى القبر ورمى بنفسه عليه وهو حائر وأنشد قول الشاعر

تركت الذى يفنى ونلت الذى يبقى * ومثلك أقوام فقد سبقوا سبقا
وفارقت هذى الدار من غير رية * فعن هذه الدنيا تسر بما تلقى
وكنت من الاعداء تبدى وقاية * اذا ما سهام الحرب حاولت الرشقا
أرى هذه الدنيا غرورا وباطلا * وجل مراد الخلق أن يطلبوا الحقا
حباك اله العرش فوزا بجنة * وأسكنك الهادى بها مقعدا صدقا
وانى قد أمسيت فيك بحسرة * أرى الغرب محزونا بفقدك والشرقا

فلما فرغ الوزير دندان من شعره بكى بكاء شديدا ونثرت عيونه بالدموع درا نضيدا ثم تقدم رجل كان من ندماء شركان وبكى حتى حكت دموعه الخلجان وذكر ما الشركان من المكرمات وأنشد هذه الابيات

أين العطاء وكف جودك فى الثرى * والجسم بعدك بالسقام قد انبرى
ياحادى الاظعان سر لك ماترى * كتبت دموعى فوق خدى أسطرا
تعنى بها وتلذ منها منظرا
والله ماحدثت عنك ضمائرى * كلا ولا خطرت علاك بخاطرى
الا وقد جرح الدموع محاجرى * واذا صرفت الى سواك نواظرى
جذب الغرام عنان طرفى فى الكرى

فلما فرغ الرجل من شعره بكى ضوء المكان هو والوزير دندان وضج جميع العسكر بالبكاء ثم انهم انصرفوا الى الخيام وأقبل السلطان على الوزير دندان وأخذا يتشاوران فى أمر القتال واستمرا على ذلك أياما ولياليا والى وضوء المكان يتضجر من الهم والاحزان ثم قال انى أشتهى سماع أخبار الناس وأحاديث الملوك وحكايات المتيمين لعل الله يفرج ما بقلبى من الهم الشديد ويذهب عنى البكاء والعديد * فقال الوزير ان كان ما يفرج همك الا سماع قصص الملوك من نوادر الاخبار وحكايات المتقدمين من المتيمين وغيرهم فان هذا أمر سهل لانى لم يكن لى شغل فى حياة المرحوم والدك الا بالحكايات والاشعار وفى هذه الليلة أحدثك بخبر العاشق والمعشوق لأجل أن ينشرح صدرك فلما سمع ضوء المكان كلام الوزير دندان تعلق قلبه بما وعده به ولم يبق له اشتغال الا بانتظار مجىء الليل لاجل أن يسمع ما يحكيه الوزير دندان من أخبار المتقدمين من الملوك والمتيمين فلما صدق أن الليل أقبل حتى أمر بايقاد الشموع والقناديل

واحضار مايحتاجون اليه من الاكل والشرب وآلات البخور فأحضروا له جميع ذلك ثم أرسل الى الوزير دندان فحضر وأرسل الى بهرام ورستم وتركاش والحاجب الكبير فحضروا فلما حضر جميعهم بين يديه التفت الى الوزير دندان وقال له اعلم أيها الوزير أن الليل قد أقبل وسدل جلابيبه علينا وأسبل * ونريد أن تحكي لنا ماوعدتنا من الحكايات فقال الوزير رحبا وكرامة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة بعد المائة قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك ضوء المكان لما حضر الوزير والحاجب ورستم وبهرام التفت الى الوزير دندان وقال اعلم أيها الوزير أن الليل قد أقبل * وسدل جلابيبه علينا وأسبل * ونريد أن تحكي لنا ماوعدتنا به من الحكايات فقال الوزير رحبا وكرامة اعلم أيها الملك السعيد أنه بلغني من حكاية العاشق والمعشوق والمتكلم بينهما وماجرى لهم من العجائب والغرائب مايزيل الهم عن القلوب ويسلي مثل حزن يعقوب وهو أنه كان في سالف الزمان مدينة وراء جبال أصبهان يقال لها المدينة الخضراء وكان بها ملك يقال له الملك سليمان وكان صاحب جود واحسان وعدل وأمان وفضل وامتنان وسارت اليه الركبان من كل مكان وشاع ذكره في سائر الاقطار والبلدان وأقام في المملكة مدة مديدة من الزمان وهو في عز وأمان الا أنه كان خاليا من الاولاد والزوجات وكان له وزير يقاربه في الصفات من الجود والهبات فاتفق أنه أرسل الى وزيره يوما من الايام وأحضره بين يديه وقال له ياوزير انه قد ضاق صدري وعيل صبري وضعف مني الجلد لكوني بلا زوجة ولا ولد وماهذا سبيل الملوك الحكام على كل أمير ومملوك فانهم يفرحون بخلفة الاولاد وتتضاعف لهم بهم العدد والاعداد وقال النبي صلى الله عليه وسلم تناكحوا تناسلوا فاني مباه بكم الامم يوم القيامة فما عندك من الرأي ياوزير فأشر علي بما فيه النصح من التدبير فلما سمع الوزير ذلك الكلام فاضت الدموع من عينيه بالانسجام وقال هيهات ياملك الزمان أن أتكلم فيما هو من خصائص الرحمن أتريد أن أدخل النار بسخط الملك الجبار فقال له الملك اعلم أيها الوزير أن الملك اذا اشترى جارية لا يعلم حسبها ولا يعرف نسبها فهو لا يدري خساسة أصلها حتى يحتنها ولا شرف عنصرها حتى يتسرى بها فاذا أفضى اليها ربما حملت منه فيجيء الولد منافقا ظما سفا كالدماء ويكون مثلها مثل الارض السبخة اذا زرع فيها زرع فانه يخبث نباته ولا يحسن ثباته وقد يكون ذلك الولد متعرضا لسخط مولاه ولا يفعل ما أمره به ولا يجتنب ماعنه نهاه فانا لا أتسبب في هذا بشراء جارية أبدا وانما مرادي أن تخطب لي بنتا من بنات الملوك يكون نسبها معروفا وجمالها موصوفا فان دللتني على ذات النسب والدين من بنات ملوك المسلمين فاني أخطبها وأتزوج بها على رؤس الاشهاد ليحصل لي بذلك رضا رب العباد * فقال له الوزير ان الله قضى حاجتك وبلغك أمنيتك فقال له وكيف ذلك فقال له اعلم أيها الملك أنه بلغني أن الملك زهرشاه صاحب الارض البيضاء له فتة بارعة الجمال يعجز عن وصفها القيل والقال * ولم يوجد لها في هذا الزمان مثيل لانها في غاية الكمال * قويمة الاعتدال * ذات طرف كحيل * وشعر طويل * وخصر نحيل * وردف ثقيل * ان أقبلت فتنت * وان أدبرت قتلت * تأخذ بالقلب والناظر

كما

كما قال فيها الشاعر

هيفاء تخجل غصن البان قامتها * لم يحك طلعتها شمس ولا قمر
كأنما يقسها شهد وقد مزجت * به المدامة لكن ثغرها درر
معشوقة القد من حور الجنان لها * وجه جميل وفي ألحاظها حور
وكم لها من قتيل مات من كمد * وفي طريق هواها الخوف والخطر
ان عشت فهي المنى ما شئت أذكرها * أو مت من دونها لم يجدني العمر

فلما فرغ الوزير من وصف تلك الجارية قال للملك سليمان شاه الرأي عندي أيها الملك أن ترسل الى أبيها رسولا فطنا خبيرا بالامور * مجربا لتصاريف الدهور * ليتلطف في خطبتها لك من أبيها * فانها لا تظير لها في قاصي الارض ودانيها * وتحظى منها بالوجه الجميل * ويرضى عليك الرب الجليل * فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا رهبانية في الاسلام فعند ذلك توجه الى الملك كمال الفرح * واتسع صدره وانشرح * وزال عنه الهم والغم ثم أقبل على الوزير وقال له اعلم أيها الوزير أنه لا يتوجه الى هذا الامر الا أنت لكمال عقلك وأدبك فقم الى منزلك واقض أشغالك وتجهز في غد واخطب لي هذه البنت التي شغلت بها خاطري ولا تعد الي الا بها فقال سمعا وطاعة ثم ان الوزير توجه الى منزله واستدعى بالهدايا التي تصلح للملوك من ثمين الجواهر * ونفيس الذخائر * وغير ذلك مما هو خفيف في الحمل ثقيل في الثمن ومن الخيل العربية والدروع الداودية وصناديق المال * التي يعجز عن وصفها المقال * ثم حملوها على على البغال والجمال * وتوجه الوزير ومعه مائة مملوك ومائة عبد ومائة جارية وانتشرت على على رأسه الرايات والاعلام * وأوصاه الملك أن يأتي اليه في مدة قليلة من الايام * وبعد توجهه صار الملك سليمان شاه على مقالي النار * مشغولا بحبها في الليل والنهار * وسار الوزير ليلا ونهارا * يطوي براري وقفارا * حتى بقي بينه وبين المدينة التي هو متوجه اليها يوم واحد ثم نزل على شاطئ نهر وأحضر بعض خواصه وأمره أن يتوجه الى الملك زهرشاه بسرعة ويخبره بقدومه عليه فقال سمعا وطاعة ثم توجه بسرعة الى تلك المدينة فلما قدم عليها وافق قدومه أن الملك زهرشاه كان جالسا في بعض المتنزهات قدام باب المدينة فرآه وهو داخل وعرف أنه غريب فأمر باحضاره بين يديه فلما حضر الرسول أخبره بقدوم وزير الملك الاعظم سليمان شاه صاحب الارض الخضراء وجبال أصفهان ففرح الملك زهرشاه ورحب بالرسول وأخذه وتوجه الى قصره وقال أين فارقت الوزير فقال فارقته في أول النهار على شاطئ النهر الفلاني وفي غد يكون واصلا اليك * وقادما عليك * أدام الله نعمته عليك * ورحم والديك * فأمر زهرشاه بعض وزرائه أن يأخذ معظم خواصه وحجابه ونوابه وأرباب دولته * ويخرج بهم الى مقابلته تعظيما للملك سليمان شاه لان حكمه نافذ في الارض هذا ما كان من أمر الملك زهرشاه وأما ما كان من أمر الوزير فانه استقر في مكانه الى نصف الليل ثم رحل متوجها الى المدينة فلما لاح الصباح * وأشرقت الشمس على رؤس الروابي والبطاح * لم يشعر الا ووزير الملك زهرشاه وحجابه وأرباب دولته وخواص مملكته قدموا عليه واجتمعوا به على فراسخ من المدينة فأيقن الوزير بقضاء حاجته وسلم على الذين قابلوه ولم يزالوا سائرين قدامه حتى وصلوا الى قصر الملك

ودخلوا بين يديه فى باب القصر الى سابع دهليز وهو المكان الذى لا يدخله الراكب لانه قريب من الملك فترجل الوزير وسعى على قدميه حتى وصل الى ايوان عال وفى صدر ذلك الايوان سرير من المرمر * مرصع بالدر والجوهر * وله أربعة قوائم من أنياب الفيل وعلى ذلك السرير مرتبة من الاطلس الأخضر مطرزة بالذهب الاحمر * ومن فوقها سرادق مرصع بالدر والجوهر * والملك زهرشاه جالس على ذلك السرير وأرباب دولته * واقفون فى خدمته * فلما دخل الوزير عليه * وصار بين يديه ثبت جنانه * وأطلق لسانه * وأبدى فصاحة الوزراء * وتكلم بكلام البلغاء * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن وزير الملك سليمان شاه لما دخل على الملك زهرشاه ثبت جنانه * وأطلق لسانه * وأبدى فصاحة الوزراء * وتكلم بكلام البلغاء * وأشار الى الملك بلطف التفات * وأنشد هذه الابيات

وافى وأقبل فى الغلائل ينثنى * يولى الندى للمجتبى والتجتنى
ورقى فما تغنى التمائم والرقى * والسحر من لحظات تلك الاعين
قل للعواذل لا تلوموا اننى * طول المدى عن حبه لا أنثنى
حتى فؤادى خاننى ووفى له * وكذا الرقاد صبا اليه وملنى
يا قلب ما أمسيت وحدك رأفة * فامكث لديه وان تكن أوحشتنى
لا شئ يطرب مسمعى بسماعه * الا الثناء لزهرشاه أجتنى
ملك اذا أنفقت عمرك كله * فى نظرة من وجهه أنت الغنى
واذا انتخبت له دعاء صالحا * لم تلق غير مشارك ومؤمن
يا أهل ذا الملك الذى من فاته * ورجا سواه فلم يكن بمؤمن

فلما فرغ الوزير من هذا النظام قربه الملك زهرشاه وأكرمه غاية الاكرام وأجلسه بجانبه وتبسم فى وجهه وشرفه بلطيف الكلام ولم يزالوا على ذلك الى وقت الصباح ثم قدموا السماط فى ذلك الايوان فأكلوا جميعا حتى اكتفوا ثم رفعوا السماط وخرج كل من فى المجلس ولم يبق الا الخواص فلما رأى الوزير خلو المكان نهض قائما على قدميه * وأثنى على الملك وقبل الارض بين يديه * ثم قال أيها الملك الكبير * والسيد الخطير * انى سعيت اليك * وقدمت عليك * فى أمر لك فيه الصلاح * والخير والفلاح * وهو أنى قد أتيتك رسولا خاطبا وفى بنتك الحسيبة النسيبة راغبا من عند الملك سليمان شاه صاحب العدل والامان * والفضل والاحسان * ملك الارض الخضراء وجبال أصفهان * وقد أرسل اليك الهدايا الكثيرة * والتحف الغزيرة وهو فى مصاهرتك راغب * فهل أنت له كذلك طالب * ثم انه سكت ينتظر الجواب فلما سمع الملك زهرشاه ذلك الكلام * نهض قائما على الاقدام * ولثم الارض باحتشام * فتعجب الحاضرون من خضوع الملك للرسول * واندهشت منهم العقول * ثم ان الملك أثنى على ذى الجلال والاكرام وقال وهو فى حالة القيام * أيها الوزير المعظم والسيد المكرم اسمع ما أقول اننا للملك سليمان شاه من جملة رعاياه ونتشرف بنسبه وننافس فيه وابنتى جارية من جملة جواريه وهذا أجل مرادى ليكون ذخرى واعتمادى ثم انه أحضر القضاة والشهود

والشهود وشهدوا أن الملك سليمان شاه وكل وزيره فى الزواج وتولى الملك زهرشاه عقد بنته
بابنهاج ثم ان القضاة أحكموا عقد النكاح ودعوا لهما بالفوز والنجاح فعند ذلك قام
الوزير وأحضر ما جاء به من الهدايا ونفائس التحف والعطايا وقدم الجميع للملك زهرشاه
ثم ان الملك أخذ فى تجهيز ابنته واكرام الوزير * وعم بولائمه العظيم والحقير * واستمر فى اقامة
الفرح مدة شهرين * ولم يترك فيه شيأ مما يسر القلب والعين * ولما تم ما تحتاج اليه العروس
أمر الملك باخراج الخيام فضربت بظاهر المدينة وعبوا القماش فى الصناديق وهيؤا
الجوارى الروميات * والوصائف التركيات * وأصحب العروسة بنفيس الذخائر * وثمين
الجواهر * ثم صنع لها محفة من الذهب الاحمر * مرصعة بالدر والجوهر * وأفرد لها عشر بغال
للسير * وصارت تلك المحفة كانها مقصورة من المقاصير * وصاحبتها كانها حوراء من الحور
الحسان * وخدرها كقصر من قصور الجنان * ثم رزموا الذخائر والاموال * وحملوها على
البغال والجمال * وتوجه الملك زهرشاه معهم قدر ثلاثة فراسخ ثم ودع ابنته وودع الوزير ومن
معه ورجع الى الاوطان * فى فرح وأمان * وتوجه الوزير بابنة الملك وسار ولم يزل يطوى
المراحل والقفار * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير توجه بابنة الملك
وسار ولم يزل يطوى المراحل والقفار ويحث السير فى الليل والنهار حتى بقى بينه وبين
بلاده ثلاثة أيام ثم أرسل الى الملك سليمان شاه من يخبره بقدوم العروسة فأسرع الرسول
بالسير حتى وصل الى الملك وأخبره بقدوم العروسة ففرح الملك سليمان شاه وخلع على الرسول
وأمر عساكره أن يخرجوا فى موكب عظيم الى ملاقاة العروسة ومن معها بالتكريم وأن
يكونوا فى أحسن البهجات وأن ينشروا على رؤسهم الرايات فامتثلوا أمره ونادى المنادى
أنه لا تبقى بنت مخدرة ولا حرة موقرة ولا عجوز مكسرة الا وتخرج الى لقاء العروسة
فخرجوا جميعا الى لقائها وسعت كبراؤهم فى خدمتها واتفقوا على أن يتوجهوا بها فى الليل الى
قصر الملك واتفق أرباب الدولة على أن يزينوا الطريق وأن يقفوا حتى تمر بهم العروسة
والخدام قدامها والجوارى بين يديها وعليها الخلعة التى أعطاها لها أبوها فلما أقبلت أحاط
بها العسكر ذات اليمين وذات الشمال ولم تزل المحفة سائرة بها الى أن قربت من القصر ولم يبق
أحد الا وقد خرج ليتفرج عليها وصارت الطبول ضاربة والرماح لاعبة والبوقات صائحة
وروائح الطيب فائحة والرايات خافقة والخيل متسابقة حتى وصلوا الى باب القصر
وتقدمت الغلمان بالمحفة الى باب السر فأضاء المكان بهجتها وأشرقت جهاته بحلى زينتها
فلما أقبل الليل فتح الخدام أبواب السرادق ووقفوا وهم محيطون بالباب ثم جاءت العروسة
وهى بين الجوارى كالقمر بين النجوم أو الدرة الفريدة بين اللؤلؤ المنظوم ثم دخلت
المقصورة وقد نصبوا لها سريرا من المرمر مرصعا بالدر والجوهر فجلست عليه ودخل
عليها الملك وأوقع الله محبتها فى قلبه فازال بكارتها وزال ما كان عنده من القلق والقهر وأقام
عندها نحو شهر فعلقت منه فى أول ليلة وبعد تمام الشهر خرج وجلس على سرير مملكته وعدل
فى رعيته الى أن وفت أشهرها وفى آخر ليلة من الشهر التاسع جاءها المخاض عند السحر

فجلست على كرسي الطلق وهوّن الله عليها الولادة فوضعت غلاما ذكرا تلوح عليه علامات السعادة فلما سمع الملك بالولد فرح فرحا جليلا وأعطى المبشر مالا جزيلا ومن فرحته توجه الى الغلام وقبله بين عينيه وتعجب من جماله الباهر وتحقق فيه قول الشاعر

الله خوّل منه آجام العلا * أسدا وآفاق الرياسة كوكبا
هشت لطلعه الأسنة والاسرّة والمحافل والجحافل والظبا
لا تركبوه على النهود فانه * ليرى ظهور الخيل أو طأمركبا
ولتفطموه عن الرضاع فانه * ليرى دم الاعداء أحلى مشربا

ثم ان الدايات أخذن ذلك المولود وقطعن سرّته * وكحلن مقلته * ثم سموه تاج الملوك خاران وارتضع ثدى الدلال * وتربى فى حجر الاقبال * ولازالت الايام تجرى * والاعوام تمضى * حتى صار له من العمر سبع سنين فعند ذلك أحضر الملك سليمان شاه العلماء والحكماء وأمرهم أن يعلموا ولده الخط والحكمة والادب فمكثوا على ذلك مدّة سنين حتى تعلم ما يحتاج اليه الامر فلما عرف جميع ما طلبه منه الملك أحضره من عند الفقهاء والمعلمين وأحضر له أستاذا يعلمه الفروسية فلم يزل يعلمه حتى صار له من العمر أربع عشرة سنة وكان اذا خرج لبعض أشغاله يفتتن به كل من رآه * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة العاشرة بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن تاج الملوك خاران ابن الملك سليمان شاه لما مهر فى الفروسية وفاق أهل زمانه صار من فرط جماله اذا خرج الى بعض أشغاله يفتتن به كل من رآه حتى نظموا فيه الاشعار * وتهتكت فى محبته الاحرار * لما حوى من الجمال الباهر * كما قال فيه الشاعر

عانقته فسكرت من طيب الشذا * غصنا رطيبا بالنسيم قد اغتذى
سكران ما شرب المدام وانما * أمسى بخمر رضابه متنبذا
أضحى الجمال بأسره فى أسره * فلاجل ذاك على القلوب استحوذا
والله ما خطر السلو بخاطرى * مادمت فى قيد الحياة ولا اذا
ان عشت عشت على هواه وان أمت * وجد ابه وصبابة ياحبذا

فلما بلغ من العمر ثمانية عشر عاما دب عذاره الاخضر * على شامة خدّه الاحمر * وزانهما خال كنقطة عنبر * وصار يسبى العقول والنواظر * كما قال فيه الشاعر

أضحى ليوسف فى الجمال خليفة * تخشاه كل العاشقين اذا بدا
عرّج معى وانظر اليه لكى ترى * فى خدّه علم الخلافة أسودا

وكما قال الآخر

ما أبصرت عيناك أحسن منظرا * فيما يرى من سائر الاشياء
كالشامة الخضراء فوق الوجنة الحمراء تحت المقلة السوداء

وكما قال الآخر

عجبت لخال يعبد النار دائما * بخدّك لم يحرق بها وهو كافر
وأعجب من ذا أن لحظك مرسل * يصدّق فى آياته وهو ساحر

وما

وما اخضر ذاك الخد نبتا وانما * لكثرة ما شقت عليه المرائر

وكما قال الآخر

انى لأعجب من سؤال الناس عن * ماء الحياة بأى أرض منهمر

ولقد أراه بثغر ظبى أغيد * حلو اللمى وعليه شاربه الخضر

ومن العجائب أن موسى يلتقى * معه هنالك سائلا لم يصطبر

فلما صار تلك الحالة وبلغ مبلغ الرجال * زاده الجمال * ثم صار لتاج الملوك خاران أصحاب وأحباب وكل من تقرب اليه يرجو أنه يصير سلطانا بعد موت أبيه وأنه يكون عنده أميرا ثم انه تعلق بالصيد والقنص وصار لم يفتر عنه ساعة واحدة وكان والده الملك سليمان شاه ينهاه عن ذلك مخافة عليه من آفات البر والوحوش فلم يقبل منه ذلك فاتفق أنه قال لخدامه خذوا معكم عليق عشرة أيام فامتثلوا ما أمرهم به فلما خرج بأتباعه للصيد والقنص ساروا فى البر ولم يزالوا سائرين أربعة أيام حتى أشرفوا على أرض خضراء فرأوا فيها وحوشا راتعة وأشجارا يانعة وعيونا نابعة فقال تاج الملوك لاتباعه انصبوا الحبائل هنا وأوسعوا دائرة حلقتها ويكون اجتماعنا عند رأس الحلقة فى المكان الفلانى فامتثلوا أمره ونصبوا الحبائل وأوسعوا دائرة حلقتها فاجتمع فيها شئ كثير من أصناف الوحوش والغزلان الى أن ضجت منهم الوحوش وتنافرت فى وجوه الخيل فأغرى عليها الكلاب والفهود والصقور ثم ضربوا الوحوش بالنشاب فأصابوا مقاتل الوحوش وماوصلوا الى آخر الحلقة الا وقد أخذوا من الوحوش شيأ كثيرا وهرب الباقى وبعد ذلك نزل تاج الملوك على الماء وأحضر الصيد وقسمه وأفرد لابيه سليمان شاه خاص الوحوش وأرسله اليه وفرق البعض على أرباب دولته وبات تلك الليلة فى ذلك المكان فلما أصبح الصباح أقبلت عليهم قافلة كبيرة مشتملة على عبيد وغلمان وتجار فنزلت تلك القافلة على الماء والخضرة فلما رآهم تاج الملوك قال لبعض أصحابه ائتنى بخبر هؤلاء واسألهم لاى شئ نزلوا فى هذا المكان فلما توجه اليهم الرسول قال لهم أخبرونا من أنتم وأسرعوا فى رد الجواب فقالوا له نحن تجار ونزلنا هنا لاجل الراحة لان المنزل بعيد علينا وقد نزلنا فى هذا المكان لاننا مطمئنون بالملك سليمان شاه وولده ونعلم أن كل من نزل عنده صار فى أمان واطمئنان ومعنا قماش نفيس جئنا به من أجل ولده تاج الملوك فرجع الرسول الى ابن الملك وأعلمه بحقيقة الحال وأخبره بما سمعه من التجار فقال ابن الملك اذا كان معهم شئ جاؤا به من أجلى فما أدخل المدينة ولا أرحل من هذا المكان حتى أستعرضه ثم ركب جواده وسار وسارت مماليكه خلفه الى أن أشرف على القافلة فقام له التجار ودعوا له بالنصر والاقبال ودوام العز والافضال وقد ضربت له خيمة من الاطلس الاحمر مزركشة بالدر والجوهر وفرشوا له مقعدا سلطانيا فوق بساط من الحرير وصدره مزركش بالزمرذ فجلس تاج الملوك ووقفت المماليك فى خدمته وأرسل الى التجار وأمرهم أن يحضروا بجميع ما معهم فأقبلت عليه التجار ببضائعهم فاستعرض جميع بضاعتهم وأخذ منها ما يصلح له ووفى لهم الثمن ثم ركب وأراد أن يسير فلاحت منه التفاتة الى القافلة فرأى شابا جميل الشباب نظيف الثياب ظريف المعانى بجبين أزهر ووجه أقمر الا أن ذلك الشاب قد تغيرت

محاسنه وعلاه الاصفرار من فرقة الاحباب * وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية عشرة بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن تاج الملوك لاحت منه التفاتة الى القافلة فرأى شابا جميل الشباب نظيف الثياب ظريف المعانى الا أن ذلك الشاب قد تغيرت محاسنه وعلاه الاصفرار من فرقة الاحباب وزاد به الانتحاب وسالت من جفنيه العبرات وهو ينشد هذه الابيات

طال الفراق ودام الهم والوجل * والدمع من مقلتى ياصاح منهمل
والقلب ودعته يوم الفراق وقد * بقيت فردا فلا قلب ولا أمل
ياصاحبى قف معى حتى أودع من * من نطقها تشتفى الامراض والعلل

ثم ان الشاب بعد ما فرغ من الشعر بكى ساعة وغشى عليه وتاج الملوك ناظر اليه وهو يتعجب من أمره فلما أفاق رنا بفاتك اللحظات وأنشد هذه الابيات

خذوا حذركم من طرفها فهو ساحر * وليس بناج من رمته المحاجر
فان العيون السود وهى نواعس * تقد السيوف البيض وهى بواتر
ولا تخضعوا من رقة فى كلامها * فان الحميا للعقول تخامر
منعمة الاطراف لو مس جسمها * حرير لأدماه وها أنت ناظر
بعيدة ما بين المخلخل والطلا * وأين الشذا من طيبها وهو عاطر

ثم شهق شهقة فغشى عليه فلما رآه تاج الملوك على هذه الحالة تحير فى أمره وتمشى اليه فلما أفاق من غشيته نظر ابن الملك واقفا على رأسه فنهض قائما على قدميه وقبل الارض بين يديه فقال له تاج الملوك لاى شئ لم تعرض بضاعتك علينا فقال يامولاى ان بضاعتى ليس فيها شئ يصلح لسعادتك فقال لابد أن تعرض على ما معك وتخبرنى بحالك فانى أراك باكى العين حزين القلب فان كنت مظلوما أزلنا ظلامتك وان كنت مديونا قضينا دينك فان قلبى قد احترق من أجلك حين رأيتك ثم ان تاج الملوك أمر بنصب كرسى فنصبوا له كرسيا من العاج والآبنوس مشبكا بالذهب والحرير وبسطوا له بساطا من الحرير فجلس تاج الملوك على الكرسى وأمر الشاب أن يجلس على البساط وقال له اعرض على بضاعتك فقال له الشاب يامولاى لا تذكر لى ذلك فان بضاعتى ليست بمناسبة لك فقال له تاج الملوك لابد من ذلك ثم أمر بعض غلمانه باحضارها فأحضروها فهر اعنه فلما رآها الشاب جرت دموعه وبكى وأن واشتكى وصعد الزفرات وأنشد هذه الابيات

بما يجفنيك من غنج ومن كحل * وما بقدك من لين ومن ميل
وما بثغرك من خمر ومن شهد * وما بعطفك من لطف ومن ملل
عندى زيارة طيف منك يا أملى * أحلى من الامن عند الخائف الوجل

ثم ان الشاب فتح بضاعته وعرضها على تاج الملوك قطعة قطعة وتفصيلة تفصيلة وأخرج من جملتها ثوبا من الاطلس منسوجا بالذهب يساوى ألفى دينار فلما فتح الثوب وقع من وسطه خرقة فأخذها الشاب بسرعة ووضعها تحت وركه وقد ذهل عن المعقول وأنشد يقول

متى

متى يشتفى منك الفؤاد المعذب * ونجم الثريا من وصالك أقرب
بعاد وهجر واشتياق ولوعة * ومطل وتسويف به العمر يذهب
فلا الوصل يحيينى ولا الهجر قاتلى * ولا البعد يدنينى ولا أنت تقرب
وما منك انصاف ولا لك رحمة * ولا منك اسعاف ولا عنك مهرب
وفى حبكم ضاقت جميع مذاهبى * على فلا أدرى الى أين أذهب

فتعجب تاج الملوك من انشاده غاية العجب ولم يعلم لذلك من سبب ولما أخذ الخرقة ووضعها تحت وركه قال له تاج الملوك ماهذه الخرقة فقال يامولاى ليس لك بهذه الخرقة حاجة فقال له ابن الملك أرنى اياها قال له يامولاى أنا ما امتنعت من عرض بضاعتى عليك الا لأجلها فانى لا أقدر على أنك تنظر اليها * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية عشرة بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك أنا ما امتنعت من عرض بضاعتى عليك الا لاجلها فانى لا أقدر على أنك تنظر اليها فقال له تاج الملوك لابد من كونى أنظر اليها وألح عليه واغتاظ فأخرجها من تحت ركبته وبكى وأن واشتكى وأكثر من الأنات وأنشد هذه الابيات

لا تعذليه فان العذل يوجعه * قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه
أستودع الله فى البطحاء لى قمرا * بالحى من فلك الازرار مطلعه
ودعته وبودى لو يودعنى * صفو الحياة وانى لا أودعه
وكم تشفع لى يوم الفراق ضحى * وأدمعى مستهلات وأدمعه
لا أكذب الله ثوب العذر منخرق * عنى بفرقته لكن أرقعه
لا يستقر بجنبى مضجع وكذا * لا يستقر له مذ بنت مضجعه
وقد سعى الدهر فيما بيننا بيد * عسراء تمنعنى حظى وتمنعه
وصبت الهم صرفا عند ما ملأت * كأسا تجرع منها ما أجرعه

فلما فرغ من شعره قال له تاج الملوك أرى أحوالك غير مستقيمة فأخبرنى ما سبب بكائك عند نظرك الى هذه الخرقة فلما سمع الشاب ذكر الخرقة تنهد وقال يامولاى ان حديثى عجيب وأمرى غريب مع هذه الخرقة وصاحبتها وصاحبة هذه الصور والتماثيل ثم نشر الخرقة واذا فيها صورة غزال مرقومة بالحرير مزركشة بالذهب الاحمر وقبالها صورة غزال آخر وهى مرقومة بالفضة وفى رقبته طوق من الذهب الاحمر وثلاث قصبات من الزبرجد فلما نظر تاج الملوك اليه والى حسن صنعته قال سبحان الله الذى علم الانسان مالم يعلم وتعلق قلب تاج الملوك بحديث هذا الشاب فقال له احك لى قصتك مع صاحبة هذا الغزل فقال الشاب اعلم يامولاى أن أبى كان من التجار الكبار ولم يرزق ولدا غيرى وكان لى بنت عم تربيت أنا واياها فى بيت أبى لان أباها مات وكان قبل موته قد عاهد هو وأبى على أن يزوجانى بها فلما بلغت مبلغ الرجال وبلغت هى مبلغ النساء لم يحجبوها عنى ولم يحجبونى عنها ثم تحدث والدى مع أمى وقال لها فى هذه السنة نكتب كتاب عزيزة على عزيزة واتفق مع أمى على هذا الامر ثم شرع أبى فى تجهيز مؤن الولائم هذا كله وأنا وبنت عمى ننام مع بعضنا فى فراش واحد ولم ندر كيف الحال وكانت هى أشعر منى وأعرف وأدرى

فلما جهز أبى أدوات الفرح ولم يبق غير كتب الكتاب والدخول على بنت عمى أراد أبى أن يكتبوا الكتاب بعد صلاة الجمعة ثم توجه الى أصحابه من التجار وغيرهم وأعلمهم بذلك ومضت أمى عزمت صواحبها من النساء ودعت أقاربها فلما جاء يوم الجمعة غسلوا القاعة المعدة للجلوس وغسلوا رخامها وفرشوا فى دارنا البسط ووضعوا فيها ما يحتاج اليه الامر بعد أن زوقوا حيطانها بالاقمشة المقصب واتفق الناس على أن يجيؤا بيتنا بعد صلاة الجمعة ثم مضى أبى وعمل الحلويات وأطباق السكر وما بقى غير كتب الكتاب وقد أرسلتنى أمى الى الحمام وأرسلت خلفى بدلة جديدة من أفخر الثياب فلما خرجت من الحمام لبست تلك البدلة الفاخرة وكانت مطيبة فلما لبستها فاحت منها رائحة زكية عبقت فى الطريق ثم أردت أن أذهب الى الجامع فتذكرت صاحبى فرجعت أفتش عليه ليحضر كتب الكتاب وقلت فى نفسى اشتغل بهذا الامر الى أن يقرب وقت الصلاة ثم انى دخلت زقاقا ما دخلته قط وكنت عرقان من أثر الحمام والقماش الجديد الذى على جسدى فساح عرقى وفاحت روائحى فقعدت فى رأس الزقاق لارتاح على مسطبة وفرشت تحتى منديلا مطرزا كان معى فاشتد على عرق جبينى وصار العرق ينحدر على وجهى ولم يمكنى مسح العرق عن وجهى بالمنديل لانه مفروش تحتى فأردت أن آخذ ذيل فرجيتى وأمسح وجنتى فما أدرى الا ومنديل أبيض وقع على من فوق وكان ذلك المنديل أرق من النسيم ورؤيته ألطف من شفاء السقيم فسكته يدى ورفعت رأسى الى فوق لانظر من أين سقط هذا المنديل فوقعت عينى فى عين صاحبة هذا الغزال * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة عشرة بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فرفعت رأسى الى فوق لانظر من أين سقط هذا المنديل فوقعت عينى فى عين صاحبة هذا الغزال واذا بها مطلة من طاقة فى شباك من نحاس لم ترعينى أجمل منها وبالجملة يعجز عن وصفها لسانى فلما رأتنى نظرت اليها وضعت اصبعها فى فمها ثم أخذت أصبعها الوسطانى والصقتها بأصبعها الشاهد ووضعتهما على صدرها بين نهديها ثم أدخلت رأسها من الطاقة وسدت باب الطاقة وانصرفت فانطلقت فى قلبى النار وزادبه الاستعار وأعقبتنى النظرة ألف حسرة وتحيرت فلم أسمع ما قالت ولم أفهم ما به أشارت فنظرت الى الطاقة ثانيا فوجدتها مطبوقة فصبرت الى مغيب الشمس فلم أسمع حسا ولم أر شخصا فلما يئست من رؤيتها قمت من مكانى وأخذت المنديل معى ثم فتحته ففاحت منه رائحة المسك فحصل لى من تلك الرائحة طرب عظيم حتى صرت كأننى فى الجنة ثم نشرته بين يدى فسقطت منه ورقة لطيفة ففتحت الورقة فرأيتها مضمخة بالروائح الذكيات ومكتوب فيها هذه الابيات

بعثت له أشكوه من ألم الجوى * بخط رقيق والخطوط فنون
فقال خليلى ما لخطك هكذا * رقيقا دقيقا لا يكاد يبين
فقلت لانى فى نحول ودقة * كذلك خطوط العاشقين تكون

ثم بعد أن قرأت الابيات أطلقت فى بهجة المنديل نظر العين فرأيت فى احدى حاشيتيه تسطير هذين البيتين

كتب العذار وياله من كاتب * سطرين فى خديه بالريحان
واحيرة القمرين منه اذا بدا * واذا انثنى واخجلة الاغصان

ومسطر فى الحاشية الاخرى هذان البيتان

كتب العذار بعنبر فى لؤلؤ * سطرين من سيح على تفاح
القتل فى الحدق المراض اذا رنت * والسكر فى الوجنات لا فى الراح

فلما رأيت ما على المنديل من الاشعار انطلق فى فؤادى لهيب النار وزادت بى الاشواق والافكار وأخذت المنديل والورقة وآتيت بهما الى البيت وأنا لا أدرى لى حيلة فى الوصال ولا أستطيع فى العشق تفصيل الاجمال فلما وصلت الى البيت الا بعد مدة من الليل فرأيت بنت عمى جالسة تبكى فلما رأتنى مسحت دموعها وأقبلت على وقلعتنى الثياب وسألتنى عن سبب غيابى وأخبرتنى أن جميع الناس من أمراء وكبراء وتجار وغيرهم قد اجتمعوا فى بيتنا وحضر القاضى والشهود وأكلوا الطعام واستمروا مدة جالسين ينتظرون حضورى من أجل كتب الكتاب فلما يئسوا من حضورى تفرقوا وذهبوا الى حال سبيلهم وقالت لى ان أبالك اغتاظ بسبب ذلك غيظا شديدا وحلف أنه لا يكتب كتابنا الا فى السنة القابلة لانه غرم فى هذا الفرح مالا كثيرا ثم قالت لى ما الذى جرى لك فى هذا اليوم حتى تأخرت الى هذا الوقت وحصل ما حصل بسبب غيابك فقلت لها جرى لى كذا وكذا وذكرت لها المنديل وأخبرتها بالخبر من أوله الى آخره فأخذت الورقة والمنديل وقرأت ما فيهما وجرت دموعها على خدودها وأنشدت هذه الابيات

من قال أول الهوى اختيار * فقل كذبت كله اضطرار
وليس بعد الاضطرار عار * دلت على صحته أخبار
ما زيفت على صحيح النقد
فان تشأ فقل عذاب يعذب * أو ضربان فى الحشى أو ضرب
أو نعمة أو نقمة أو أرب * تأتس النفس به أو تعطب
قد حرت بين عكسه والطرد
ومع ذا أيامه مواسم * وثغرها على الدوام باسم
ونفحات طيبها نواسم * وهو لكل ما يشين حاسم
ما حل قط قلب نذل وغد

ثم انها قالت لى فما قالت لك وما أشارت به اليك فقلت لها ما نطقت بشئ غير أنها وضعت أصبعها فى فمها ثم قرنتها بالاصبع الوسطى وجعلت الاصبعين على صدرها وأشارت الى الارض ثم أدخلت رأسها وأغلقت الطاقة ولم أرها بعد ذلك فأخذت قلبى معها فقعدت الى غياب الشمس أنتظر أنها تطل من الطاقة ثانيا فلم تفعل فلما يئست منها قمت من ذلك المكان وهذه قصتى وأشتهى منك أن تعينينى على ما بليت به فرفعت رأسها الى وقالت يا ابن عمى لو طلبت عينى لاخرجتها لك من جفونى ولا بد أن أساعدك على حاجتك وأساعدها على حاجتها فانها مغرمة بك كما أنك مغرم بها فقلت لها وما تفسير ما أشارت به قالت أما وضع أصبعها

فى فمها فانه اشارة الى أنك عندها بمنزلة روحها من جسدها وانما تعض على وصالك بالنواجذ وأما المنديل فانه اشارة الى سلام المحبين على المحبوبين وأما الورقة فانها اشارة الى أن روحها متعلقة بك وأما وضع أصبعيها على صدرها بين نهديها فتفسيره أنها تقول لك بعد يومين تعال هنا ليزول عنى بطلعتك العنا واعلم يا ابن عمى أنها لك عاشقة وبك واثقة وهذا ما عندى من التفسير لاشاراتها ولو كنت أدخل وأخرج لجمعت بينك وبينها فى أسرع وقت وأستر كما يدبلى قال الغلام فلما سمعت ذلك منها شكرتها على قولها وقلت فى نفسى أنا أصبر يومين ثم قعدت فى البيت يومين لا أدخل ولا أخرج ولا آكل ولا أشرب ووضعت رأسى فى حجر ابنة عمى وهى تسلينى وتقول قوى عزمك وهمتك وطيب قلبك وخاطرك * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة عشرة بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فلما انقضى اليومان قالت لى ابنة عمى طب نفسا وقر عينا وقوى عزمك والبس ثيابك وتوجه اليها على الميعاد ثم انها قامت وغيرت أثوابى وبخرتنى ثم شددت حيلى وقويت قلبى وخرجت وتمشيت الى أن دخلت الزقاق وجلست على المصطبة ساعة واذا بالطاقة قد انفتحت فنظرت بعينى اليها فلما رأيتها وقعت مغشيا على ثم أفقت فشددت عزمى وقويت قلبى ونظرت اليها ثانيا فغبت عن الوجود ثم استفقت فرأيت معها مرآة ومنديلا أحمر وحين رأتنى شمرت عن ساعديها وفتحت أصابعها الخمس ودقت بها على صدرها بالكف والخمس أصابع ثم رفعت يديها وأبرزت المرآة من الطاقة وأخذت المنديل الاحمر ودخلت به وعادت وأدلته من الطاقة الى صوب الزقاق ثلاث مرات وهى تدليه وترفعه ثم عصرته ولفته بيدها وطأطأت رأسها ثم جذبتها من الطاقة وأغلقت الطاقة وانصرفت ولم تكلمنى كلمة واحدة بل تركتنى حيران لا أعلم ما أشارت به واستمريت جالسا الى وقت العشاء ثم جئت الى البيت قرب نصف الليل فوجدت ابنة عمى واضعة يدها على خدها وأجفانها تسكب العبرات وهى تنشد هذه الابيات

مالى وللاحى عليك يعنف * كيف السلو وأنت غصن أهيف
ياطلعة سلبت فؤادى وانثنت * ماللهوى العذرى عنها مصرف
تركية الالحاظ تفعل بالحشى * ماليس يفعله الصقيل المرهف
حملتنى ثقل الغرام وليس لى * جلد على حمل القميص وأضعف
ولقد بكيت دما لقول عواذلى * من جفن من تهوى يروعك مرهف
ياليت قلبى مثل قلبك انما * جسمى نحصرك بالنحافة متلف
لك ياأميرى فى الملاحة ناظر * صعب على وحاجب لا ينصف
كذب الذى قال الملاحة كلها * فى يوسف كم فى جمالك يوسف
أتكلف الاعراض عنك مخافة * من أعين الرقباء كم أتكلف

فلما سمعت شعرها زاد ما بى من الهموم وتكاثرت على الغموم ووقعت فى زوايا البيت فنهضت الى وحملتنى وقلعتنى أثوابى ومسحت وجهى بكمها ثم سألتنى عما جرى لى فحكيت

لها

لها جميع ما حصل منها فقالت يا ابن عمى أما اشارتها بالكف والخمسة أصابع فان تفسيره
تعال بعد خمسة أيام وأما اشارتها بالمرآة وابراز رأسها من الطاقة فان تفسيره اقعد على دكان
الصباغ حتى يأتيك رسولى فلما سمعت كلامها اشتعلت النار فى قلبى وقلت بالله يا بنت عمى
انك تصدقينى فى هذا التفسير لانى رأيت فى الرقاق صبيا غايهوديا ثم بكيت فقالت ابنة عمى
قوى عزمك وثبت قلبك فان غيرك يشتغل بالعشق مدة سنين و يتجلد على حر الغرام وأنت لك
جمعة فكيف يحصل لك هذا الجزع ثم أخذت تسلينى بالكلام وأتت لى بالطعام فأخذت لقمة
وأردت أن آكلها فما قدرت فامتنعت من الشراب والطعام وهجرت لذيذ المنام واصفر لونى
وتغيرت محاسنى لانى ما عشقت قبل ذلك ولا ذقت حرارة العشق الا فى هذه المرة فضعفت
وضعفت بنت عمى من أجلى وصارت تذكرلى أحوال العشاق والمحبين على سبيل التسلى فى
كل ليلة الى أن أنام وكنت أستيقظ فاجدها سهرانة من أجلى ودمعها يجرى على خدها ولم أزل
كذلك الى أن مضت الخمسة أيام فقامت ابنة عمى وسخنت لى ماء وحممنى وألبستنى ثيابى
وقالت لى توجه اليها قضى الله حاجتك وبلغك مقصودك من محبوبتك فمضيت ولم أزل ماشيا
الى أن أتيت الى رأس الرقاق وكان ذلك فى يوم السبت فرأيت دكان الصباغ مقفلة فجلست عليها
حتى أذن العصر واصفرت الشمس وأذن المغرب ودخل الليل وأنا لا أرى لها أثرا ولا أسمع
حسا ولا خبرا فخشيت على نفسى وأنا جالس وحدى فقمت وتمشيت وأنا كالسكران الى أن
دخلت البيت فلما دخلت رأيت ابنة عمى عزيزة واحدى يديها قابضة على وتدمد قوق فى
الحائط ويدها الاخرى على صدرها وهى تصعد الزفرات وتنشد هذه الابيات

وما وجد أعرابية بان أهلها * فحنت الى بان الحجاز وريده
اذا آنست ركبا تكفل شوقها * بنار قراه والدموع بوارده
بأعظم من وجدى بحبى وانما * يرى أننى أذنبت ذنبا بوده

فلما فرغت من شعرها التفتت الى فرأتنى فمسحت دموعها ودموعى بكمها وتبسمت فى وجهى
وقالت لى يا ابن عمى هنالك الله بما أعطاك فلاى شئ لم تبت الليلة عند محبوبتك ولم تقض منها
اربك فلما سمعت كلامها رفعتها برجلى فى صدرها فانقلبت على الايوان فجاءت جبهتها على
طرف الايوان وكان هنالك وتد فجاء فى جبهتها فتأملتها فرأيت جبينها قد انفتح وسال دمها
وأدرك شهرزاد الصباح * فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة عشرة بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج
الملوك فلما رفعت ابنة عمى فى صدرها انقلبت على طرف الايوان فجاء الوتد فى جبينها فانفتح
جبينها وسال دمها فسكتت ولم تنطق بحرف واحد ثم انها قامت فى الحال وأحرقت حراقا
وحشت به ذلك الجرح وتعصبت بعصابة ومسحت الدم الذى سال على البساط وكان ذلك شئ
ما كان ثم انها أتتنى وتبسمت فى وجهى وقالت لى بلين الكلام والله يا ابن عمى ما قلت هذا
الكلام استهزاء بك ولا بها وقد كنت مشغولة بوجع رأسى ومسح الدم وفى هذه الساعة قد
خفت رأسى وخفت جبهتى فاخبرنى بما كان من أمرك فى هذا اليوم فحكيت لها جميع ما وقع
لى منها فى ذلك اليوم و بعد كلامى بكيت فقالت يا ابن عمى أبشر بنجاح قصدك و بلوغ أملك ان

هذه علامة القبول وذلك أنها غابت عنك لانها تريد أن تختبرك وتعرف هل أنت صابر أولا وهل أنت صادق فى محبتها أولا وفى غد توجه اليها فى مكانك الاول وانظر ماذا تشير به اليك فقد قربت أفراحك وزالت أتراحك وصارت تسليني على مابى وأنا لم أزل متزايد الهموم والغموم ثم قدمت لى الطعام فرفضته فانكبت كل زبدية فى ناحية وقلت كل من كان عاشقا فهو مجنون لايميل الى طعام ولا يلتذ بمنام فقالت لى ابنة عمى عزيزة والله يا ابن عمى ان هذه علامات المحبة وسالت دموعها ولمت شقافة الزبادى ومسحت الطعام وجلست تسايرنى وأنا أدعو الله أن يصبح الصباح فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح توجهت اليها ودخلت ذلك الرقاق بسرعة وجلست على تلك المسطبة واذا بالطاقة قد انفتحت وأبرزت رأسها منها وهى تضحك ثم غابت ورجعت ومعها مرآة وكيس وقصرية ممتلئة بزرع أخضر وفى يدها قنديل فأول مافعلت أخذت المرآة فى يدها وأدخلتها فى الكيس ثم ربطته ورمته فى البيت ثم أرخت شعرها على وجهها ثم وضعت القنديل على رأس الزرع لحظة ثم أخذت جميع ذلك وانصرفت به وأغلقت الطاقة فانفطر قلبى من هذا الحال ومن اشاراتها الخفية ورموزها المخفية وهى لم تكلمنى بكلمة قط فاشتد لذلك غرامى * وزاد وجدى وهيامى * ثم انى رجعت على عقبى وأنا باكى العين حزين القلب حتى دخلت البيت فرأيت بنت عمى قاعدة ووجهها الى الحائط وقد احترق قلبها من الهم والغم والغيرة ولكن محبتها منعتها أن تخبرنى بشئ مما عندها من الغرام لما رأت ما أنا فيه من كثرة الوجد والهيام ثم نظرت اليها فرأيت على رأسها عصابتين احداهما من الوقعة على جبهتها والأخرى على عينها بسبب وجع أصابها من شدة بكائها وهى فى أسوأ الحالات * تبكى وتنشد هذه الابيات

أينما كنت لم تزل بامان * أيها الراحل المقيم بقلبى
ولك الله حيث أمسيت جار * منقذ من صروف دهر وخطب
غبت فاستوحشت لبعدك عينى * واستهلت مدامعى أى سكب
ليت شعرى بأى أرض ومغنى * أنت مستوطن بدار وشعب
ان يكن شربك القراح زلالا * فدموعى من المحاجر شربى
كل شئ سوى فراقك عذب * كالتجافى بين الرقاد وجنبى

فلما فرغت من شعرها نظرت الى فرأتنى وهى تبكى فمسحت دموعها ونهضت الى ولم تقدر أن تتكلم مما هى فيه من الوجد ولم تزل ساكتة برهة من الزمان ثم بعد ذلك قالت يا ابن عمى أخبرنى بما حصل لك منها فى هذه المرة فأخبرتها بجميع ما حصل لى فقالت لى اصبر فقد آن أوان وصالك * وظفرت ببلوغ آمالك * أما اشارتها لك بالمرآة وكونها أدخلتها فى الكيس فانها تقول لك اصبر الى أن تغطس الشمس وأما ارخاؤها شعرها على وجهها فانها تقول لك اذا أقبل الليل وانسدل سواد الظلام على نور النهار فتعال وأما اشارتها لك بالقصرية التى فيها الزرع فانها تقول لك اذا جئت فادخل البستان الذى وراء الرقاق وأما اشارتها لك بالقنديل فانها تقول لك اذا دخلت البستان فامش فيه وأى موضع وجدت فيه القنديل مضيأ فتوجه اليه واجلس تحته وانتظرنى فان هو الذى قاتلى فلما سمعت كلام ابنة عمى صحت من فرط الغرام وقلت

كم تعذبني وأتوجه اليها ولا أحصل مقصودي ولا أجد لتفسيرك معنى صحيحا فعند ذلك ضحكت بنت عمي وقالت لي بقي عليك من الصبر أن تصبر بقية هذا اليوم الى أن يولي النهار ويقبل الليل بالاعتكار * فتحظى بالوصال * وبلوغ الآمال * وهذا الكلام صدق بغير مين * ثم أنشدت هذين البيتين

درج الايام تدرج * وبيوت الهم لا تلج
رب أمر عز مطلبه * فرتبته ساعة الفرج

ثم انها أقبلت علي وصارت تسليني بلين الكلام ولم تجسر أن تأتيني بشئ من الطعام مخافة من غضبي عليها ورجاء ميلي اليها ولم يكن لها قصد الا أنها أتت الي وقلعتني ثيابي ثم قالت يا ابن عمي اقعد معي حتى أحدثك بما يسليك الى آخر النهار وان شاء الله تعالى ما يأتي الليل الا وأنت عند محبوبتك فلم ألتفت اليها وصرت أنتظر مجيء الليل وأقول يا رب عجل بمجيء الليل فلما أتى الليل بكت ابنة عمي بكاء شديدا وأعطتني حبة مسك خالص وقالت لي يا ابن عمي اجعل هذه الحبة في فمك فاذا اجتمعت بمحبوبتك وقضيت منها حاجتك وسمعت لك بما تمنيت فانشدها هذا البيت

الا أيها العشاق بالله خبروا * اذا اشتد عشق بالفتى كيف يصنع

ثم انها قبلتني وحلفتني اني لا أنشدها ذلك البيت الشعر الا بعد خروجي من عندها فقلت لها سمعا وطاعة ثم خرجت وقت العشاء ومشيت ولم أزل ماشيا حتى وصلت الى البستان فوجدت بابه مفتوحا فدخلته فرأيت نورا على بعد فقصدته فلما وصلت اليه وجدت مقعدا عظيما معقودا عليه قبة من العاج والآبنوس والقنديل معلق في وسط تلك القبة وذلك المقعد مفروش بالبسط الحرير المزركشة بالذهب والفضة وهناك شمعة كبيرة موقودة في شمعدان من الذهب تحت القنديل وفي وسط المقعد فسقية فيها أنواع التصاوير وبجانب تلك الفسقية سفرة مغطاة مغوطة من الحرير والى جانبها باطية كبيرة من الصيني مملوءة خمرا وفيها قدح من بلور مزركش بالذهب والى جانب الجميع طبق كبير من فضة مغطى فكشفته فرأيت فيه من سائر الفواكه ما بين تين ورمان وعنب ونارنج وأترج وكباد وبينها أنواع الرياحين من ورد وياسمين وآس ونسرين ونرجس ومن سائر المشمومات فهمت بذلك المكان وفرحت غاية الفرح وزال عني الهم والترح لكني ما وجدت في هذه الدار أحدا من خلق الله تعالى * وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة عشرة بعد المائة قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فهمت بذلك المكان وفرحت غاية الفرح لكني ما وجدت فيه أحدا من خلق الله تعالى ولم أر عبدا ولا جارية ولا من يعاني هذه الامور فجلست في ذلك المقعد أنتظر مجيء محبوبة قلبي الى أن مضى أول ساعة من الليل وثاني ساعة وثالث ساعة فلم تأت واشتد بي ألم الجوع لان لي مدة من الزمان ما أكلت طعاما لشدة وجدي فلما رأيت ذلك المكان وظهر لي صدق بنت عمي في فهم اشارة معشوقتي استرحت ووجدت ألم الجوع وقد شوقتني روائح الطعام الذي في السفرة لما وصلت الى ذلك المكان واطمأنت نفسي بالوصال فاشتهت نفسي الاكل فتقدمت

الى السفرة وكشفت الغطاء فوجدت فى وسطها طبقا من الصينى وفيه أربع دجاجات محمرة ومتبلة بالبهارات وحول ذلك الطبق أربع زبادى واحدة حلوى والأخرى حب الرمان والثالثة بقلاوة والرابعة قطائف وتلك الزبادى ما بين حلو وحامض فأكلت من القطائف وقطعة لحم وعمدت الى البقلاوة وأكلت منها ما تيسر ثم قصدت الحلوى وأكلت معلقة أو اثنتين أو ثلاثا أو أربعا وأكلت بعض دجاجة وأكلت لقمة فعند ذلك امتلأت بطنى وارتخت مفاصلى وقد كسلت عن السهر فوضعت رأسى على وسادة بعد أن غسلت يدى فغلبنى النوم ولم أعلم بما جرى لى بعد ذلك فلما استيقظت حتى أحرقنى حر الشمس لان لى أياما ما ذقت منامها فلما استيقظت وجدت على بطنى ملحفا وفما فانتصبت قائما ونفضت ثيابى وقد تلفت يمينا وشمالا فلم أجد أحدا ووجدتنى كنت نائما على الرخام من غير فرش فتحيرت فى عقلى وحزنت حزنا عظيما وجرت دموعى على خدى وتأسفت على نفسى فقمت وقصدت البيت فلما وصلت اليه وجدت ابنة عمى تدق يدها على صدرها وتبكى بدمع يبارى السيحب الماطرات وتنشد هذه الابيات

هب ريح من الحمى ونسيم * فأثار الهوى بنشر هبوبه
يا نسيم الصبا هلم الينا * كل صب بخطه ونصيبه
لو قدرنا من الغرام اعتنقنا * كاعتناق المحب صدر حبيبه
حرم الله بعد وجه ابن عمى * كل عيش من الزمان وطيبه
ليت شعرى هل قلبه مثل قلبى * ذائب من حر الهوى ولهيبه

فلما رأتنى قامت مسرعة ومسحت دموعها وأقبلت على بلين كلامها وقالت لى يا ابن عمى أنت فى عشقك قد لطف الله بك حيث أحبك من تحب وأنا فى بكائى وحزنى على فراقك من يلومنى ولكن لا آخذك الله من جهتى ثم انها تبسمت فى وجهى تبسم الغيظ ولاطفتنى وقلعتنى أثوابى ونشرتها وشمتها وقالت والله ما هذه روائح من حظى بمحبوبه فأخبرنى بما جرى لك يا ابن عمى فأخبرتها بجميع ما جرى لى فتبسمت تبسم الغيظ ثانيا وقالت ان قلبى ملآن موجع فلا عاش من يوجع قلبك وهذه المرأة تتعزز عليك تعززا قويا والله يا ابن عمى انى خائفة عليك منها اعلم يا ابن عمى أن تفسير الملح هو أنك مستغرق النوم فكأنك دلع الطعم بحيث تعافك نفوس فينبغى لك أن تتملح حتى لا تحملك الطباع لانك تدعى أنك من العشاق الكرام والنوم على العشاق حرام فدعواك المحبة كاذبة وكذلك هى محبتها لك كاذبة لانها لما رأتك سالم تنتبه لك ولو كانت محبتها لك صادقة لنبهتك وأما الفحم فان تفسير اشارته سود الله وجهك حيث ادعيت المحبة كذبا وانما أنت صغير ولم يكن لك همة الا الاكل والشرب والنوم فهذا تفسير اشارتها فالله تعالى يخلصك منها فلما سمعت كلامها ضربت بيدى على صدرى وقلت له ان هذا هو الصحيح لانى نمت والعشاق لا ينامون فأنا الظالم لنفسى وما كان أضر على من الاكل والنوم فكيف يكون الامر ثم انى زدت فى البكاء وقلت لابنة عمى دلينى على شئ أفعله حتى يرحمنى يرحمك الله والامت وكانت بنت عمى تحبنى محبة عظيمة * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما

فلما كانت الليلة السابعة عشرة بعد المائة قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فقلت لابنة عمي دليني على شيء أفعله وارحميني يرحمك الله وكانت تحبني محبة عظيمة فقالت على رأسي وعيني ولكن يا ابن عمي قد قلت لك مرارا لو كنت أدخل وأخرج لكنت أجمع بينك وبينها في أقرب زمن وأعطيكما بذيلي ولا أفعل معك هذا الا لقصد رضاك وان شاء الله تعالى أبذل غاية الجهد في الجمع بينكما ولكن اسمع قولي وأطع أمري واذهب الى نفس ذلك المكان واقعد هناك فاذا كان وقت العشاء فاجلس في الموضع الذي كنت فيه واحذر أن تاكل شيأ لان الاكل يجلب النوم واياك أن تنام فانها لا تأتي لك حتى يمضي من الليل ربعه كفاك الله شرها فلما سمعت كلامها فرحت وصرت أدعو الله أن يأتي الليل فلما أردت الانصراف قالت لي ابنة عمي اذا اجتمعت بها فاذكرلها البيت المتقدم وقت انصرافك فقلت لها على الرأس والعين فلما خرجت وذهبت الى البستان وجدت المكان مهيأ على الحالة التي رأيتها أولا وفيه ما يحتاج اليه من الطعام والشراب والنقل والمشموم وغير ذلك فطلعت المقعد وشممت رائحة الطعام فاشتاقت نفسي اليه فمنعتها مرارا فلم أقدر على منعها فقمت وأتيت الى السفرة وكشفت غطاءها فوجدت صحن دجاج وحوله أربع زبادي من الطعام فيها أربعة ألوان فأكلت من كل لون لقمة وأكلت ما تيسر من الحلوى وأكلت قطعة لحم وشربت من الزردة وأعجبتني فأكثرت الشرب منها بالمعلقة حتى شبعت وامتلأت بطني وبعد ذلك انطبقت أجفاني فأخذت وسادة ووضعتها تحت رأسي وقلت لعلي أتكئ عليها ولا أنام فانغمضت عيني ونمت وما انتبهت حتى طلعت الشمس فوجدت على بطني كعب عظم وفردة طاب ونواة بلح وبزرة خروب وليس في المكان شيء من فرش ولا غيره وكأنه لم يكن فيه شيء بالامس فقمت ونفضت الجميع عني وخرجت وأنا مغتاظ الى أن وصلت الى البيت فوجدت ابنة عمي تصعد الزفرات وتنشد هذه الابيات

جسد ناحل وقلب جريح * ودموع على الخدود تسيح
وحبيب صعب التجني ولكن * كل ما يفعل المليح مليح
يا ابن عمي ملأت بالوجد قلبي * ان طرفي من الدموع قريح

فنهرت ابنة عمي وشتمتها فبكت ثم مسحت دموعها وأقبلت علي وقبلتني وأخذت تضمني الى صدرها وأنا أتباعد عنها وأعاتب نفسي فقالت لي يا ابن عمي كأنك نمت في هذه الليلة فقلت لها نعم ولكنني لما انتبهت وجدت كعب عظم على بطني وفردة طاب ونواة بلح وبزرة خروب وما أدري لأي شيء فعلت هكذا ثم بكيت وأقبلت عليها وقلت لها فسري لي اشارة فعلها هذا وقولي لي ماذا أفعل وساعديني على الذي أنا فيه فقالت لي على الرأس والعين أما فردة الطاب التي وضعتها على بطنك فانها تشير لك بها الى انك حضرت وقلبك غائب وكأنها تقول لك ليس العشق هكذا فلا تعد نفسك من العاشقين وأما نواة البلح فانها تشير لك بها الى أنك لو كنت عاشقا لكان قلبك محترقا بالغرام ولم تذق لذيذ المنام فان لذة الحب كتمرة ألهبت في الفؤاد جمرة وأما بزرة الخروب فانها تشير لك بها الى أن قلب المحب مسلوب وتقول لك اصبر على فراقها صبر أيوب فلما سمعت هذا التفسير انطلقت في فؤادي النيران وزادت بقلبي الاحزان فبحت وقلت

قدر الله على النوم لقلة بختى ثم قلت لها يا ابنة عمى بحياتى عندك أن تدبرى لى حيلة أتوصل بها اليها فبكت وقالت يا عزيز يا ابن عمى ان قلبى ملآن بالفكر ولا أقدر أن أتكلم ولكن رح الليلة الى ذلك المكان واحذر أن تنام فانك تبلغ المرام هذا هو الرأى والسلام فقلت لها ان شاء الله لا أنام وانما أفعل ما تأمرينى به فقامت بنت عمى وأتت بالطعام وقالت لى كل الآن ما يكفيك حتى لا يبقى فى خاطرك شئ فأكلت كفايتى ولما أتى الليل قامت بنت عمى وأتتنى ببدلة عظيمة وألبستنى اياها وحلفتنى أن أذكر لها البيت المذكور وحذرتنى من النوم ثم خرجت من عند بنت عمى وتوجهت الى البستان وطلعت ذلك المقعد ونظرت الى البستان وجعلت أفتح عينى بأصابعى وأهز رأسى حين جن الليل * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة عشرة بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فدخلت البستان وطلعت ذلك المقعد ونظرت الى البستان وجعلت أفتح عينى بأصابعى وأهز رأسى حين جن الليل فجعت من السهر وهبت على روائح الطعام فازداد جوعى وتوجهت الى السفرة وكشفت غطاءها وأكلت من كل لون لقمة وأكلت قطعة لحم وأتيت الى باطية الخمر وقلت فى نفسى اشرب قدحا فشربته ثم شربت الثانى والثالث الى غاية عشرة وقد ضربنى الهواء فوقعت على الارض كالقتيل ومازلت كذلك حتى طلع النهار فانتبهت فرأيت نفسى خارج البستان وعلى بطنى شفرة ماضية ودرهم حديد فارتجفت وأخذتهما وأتيت بهما الى البيت فوجدت ابنة عمى تقول انى فى هذا البيت مسكينة حزينة ليس لى معين الا البكاء فلما دخلت وقعت من طولى ورميت السكين والدرهم من يدى وغشى على فلما أفقت من غشيتى عرفتها بما حصل لى وقلت لها اننى لم أنل أربى فاشتد حزنها على لما رأت بكائى ووجدى وقالت لى انى عجزت وأنا أنصحك عن النوم فلم تسمع نصحى فكلامى لا يفيدك شيأ فقلت لها أسألك بالله أن تفسرى لى اشارة السكين والدرهم الحديد فقالت أما الدرهم الحديد فانها تشير به الى عينها اليمين وانها تقسم بها وتقول وحق رب العالمين وعينى اليمين ان رجعت ثانى مرة ونمت لأذبحنك بهذه السكين وأنا خائفة عليك يا ابن عمى من مكرها وقلبى ملآن بالحزن عليك فما أقدر أن أتكلم فان كنت تعرف من نفسك أنك ان رجعت اليها لا تنام فارجع اليها واحذر النوم فانك تفوز بحاجتك وان عرفت أنك ان رجعت اليها تنام على عادتك ثم رجعت اليها ونمت ذبحتك فقلت لها وكيف يكون العمل يا بنت عمى أسألك بالله أن تساعدينى فى هذه البلية فقالت على عينى ورأسى ولكن ان سمعت كلامى وأطعت أمرى قضيت حاجتك فقلت لها انى أسمع كلامك وأطيع أمرك فقالت اذا كان وقت الرواح أقول لك ثم ضمتنى الى حضنها ووضعتنى على الفراش ولازالت تكبسنى حتى غلبنى النعاس واستغرقت فى النوم فأخذت مروحة وجلست عند رأسى ترقح على وجهى الى آخر النهار ثم نهضتنى فلما انتبهت وجدتها عند رأسى وفى يدها المروحة وهى تبكى ودموعها قد بلت ثيابها فلما رأتنى استيقظت مسحت دموعها وجاءت بشئ من الاكل فامتنعت منه فقالت لى أما قلت لك اسمع منى وكل فأكلت ولم أخالفها وصارت تضع الاكل فى فمى وأنا أمضغ حتى امتلأت ثم

أسقتنى

أسقتنى نقيع عناب بالسكر ثم غسلت يدى ونشفتها بمخرمة ورشت على ماء الورد وجلست معها وأنا فى عافية فلما أظلم الليل ألبستنى ثيابى وقالت يا ابن عمى اسهر جميع الليل ولا تنم فانها ماتأتيك فى هذه الليلة الا فى آخر الليل وان شاء الله تجتمع بها فى هذه الليلة ولكن لا تنس وصيتى ثم بكت فأوجعنى قلبى عليها من كثرة بكائها وقلت لها ما الوصية التى وعدتينى بها فقالت لى اذا انصرفت من عندها فأنشدها البيت المتقدم ذكره ثم خرجت من عندها وأنا فرحان ومضيت الى البستان وطلعت المقعد وأنا شبعان فجلست وسهرت الى ربع الليل ثم طال الليل على حتى كأنه سنة فمكثت ساهرا حتى مضى ثلاثة أرباع الليل وصاحت الدبوك فاشتد عندى الجوع من السهر فقمت الى السفرة وأكلت حتى اكتفيت فثقلت رأسى وأردت أن أنام واذا بهجة على بعد فنهضت وغسلت يدى وفمى ونبهت نفسى فما كان الا قليل واذا بها أتت ومعها عشر جوار وهى بينهن كالبدر بين الكواكب وعليها حلة من الاطلس الاخضر مزركشة بالذهب الاحمر وهى كما قال الشاعر

تتيه على العشاق فى حلل خضر * مفككة الازرار محلولة الشعر
فقلت لها ما الاسم قالت أنا التى * كويت قلوب العاشقين على الجمر
شكوت اليها ما أقاسى من الهوى * فقالت الى صخر شكوت ولم تدر
فقلت لها ان كان قلبك صخرة * فقد أتبع الله الزلال من الصخر

فلما رأتنى ضحكت وقالت كيف انتبهت ولم يغلب عليك النوم وحيث سهرت الليل علمت أنك عاشق لان من شيم العشاق سهر الليل فى مكابدة الاشواق ثم أقبلت على الجوارى وغمزتهن فانصرفن عنها وأقبلت على وضمتنى الى صدرها وقبلتنى وقبلتها ومصت شفتى التحتانية ومصصت شفتها الفوقانية ثم مددت يدى الى خصرها وغمزته ومازلنا فى الارض الاسواء وحلت سراويلها فنزلت فى خلاخل رجليها وأخذنا فى الهراش والتعنيق والغنج والكلام الرقيق والعض وحمل السيقان والطواف بالبيت والاركان الى أن ارتخت مفاصلها وغشى عليها ودخلت فى الغيبوبة وكانت تلك الليلة مسرة القلب وقرة الناظر كما قال فيها الشاعر

أهنا ليالى الدهر عندى ليلة * لم أخل فيها الكاس من اعمال
فرقت فيها بين جفنى والكرى * وجمعت بين القرط والخلخال

فلما أصبح الصباح أردت الانصراف واذا بها أمسكتنى وقالت لى قف حتى أخبرك بشئ * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة عشرة بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فلما أصبح الصباح أردت الانصراف واذا بها أمسكتنى وقالت قف حتى أخبرك بشئ وأوصيك وصية فوقفت فحلت منديلا وأخرجت هذه الخرقة ونشرتها قدامى فوجدت فيها صورة غزال على هذا المثال فتعجبت منها غاية العجب فأخذته وتواعدت أنا واياها أن أسعى اليها كل ليلة فى ذلك البستان ثم انصرفت من عندها وأنا فرحان ومن فرحى نسيت الشعر الذى أوصتنى به بنت عمى وحين أعطتنى الخرقة التى فيها صورة الغزال قالت لى هذا عمل أختى فقلت لها وما اسم أختك قالت اسمها نور الهدى فاحتفظ بهذه الخرقة ثم ودعتها وانصرفت

وأنا فرحان ومشيت الى أن دخلت على ابنة عمى فوجدتها راقدة فلما رأتنى قامت ودموعها تتساقط ثم أقبلت على وقبلت صدرى وقالت هل فعلت ما أوصيتك به من انشاد بيت الشعر فقلت لها انى نسيته وماشغلنى عنه الا صورة هذا الغزال ورميت الخرقة قدامها فقامت وقعدت ولم تطق الصبر وأفاضت دمع العين وأنشدت هذين البيتين

يا طالبا للفراق مهلا * ولا يغرنك العناق

مهلا فطبع الزمان غدر * وآخر الصحبة الفراق

فلما فرغت من شعرها قالت يا ابن عمى هب لى هذه الخرقة فوهبتها لها فأخذتها ونشرتها ورأت ما فيها فلما جاء وقت ذهابى قالت ابنة عمى اذهب مصحوبا بالسلامة ولكن اذا انصرفت من عندها فأنشدها بيت الشعر الذى أخبرتك به أولا ونسيته فقلت لها أعيد به لى فأعادته ثم مضيت الى البستان ودخلت المقعد فوجدت الصبية فى انتظارى فلما رأتنى قامت وقبلتنى وأجلستنى فى حجرها ثم أكلنا وشربنا وقضينا أغراضنا كما تقدم ولا حاجة الى الاعادة فلما أصبح الصباح أنشدتها بيت الشعر وهو

ألا أيها العشاق بالله خبروا * اذا اشتد عشق بالفتى كيف يصنع

فلما سمعته هملت عيناها بالدموع وأنشدت تقول

يدارى هواه ثم يكتم سره * ويصبر فى كل الامور ويخضع

فحفظته وفرحت بقضاء حاجة ابنة عمى ثم خرجت وأتيت الى ابنة عمى فوجدتها راقدة وأمى عند رأسها تبكى على حالها فلما دخلت عليها قالت لى أمى تبا لك من ابن عم كيف تترك بنت عمك على غير استواء ولا تسأل عن مرضها فلما رأتنى ابنة عمى رفعت رأسها وقعدت وقالت لى ياعزيزها أنشدتها البيت الذى أخبرتك به قلت لها نعم فلما سمعته بكت وأنشدتنى بيتا آخر وحفظته فقالت بنت عمى أسمعنى اياه فلما أسمعتها اياه بكت بكاء شديدا وأنشدت هذا البيت

لقد حاول الصبر الجميل ولم يجد * له غير قلب فى الصبابة يجزع

ثم قالت لى ابنة عمى اذا ذهبت اليها على عادتك فأنشدها هذا البيت الذى سمعته فقلت لها سمعا وطاعة ثم ذهبت اليها فى البستان على العادة وكان بيننا ما كان مما يقصر عن وصفه اللسان فلما أردت الانصراف أنشدتها ذلك البيت وهو لقد الى آخره فلما سمعته سالت مدامعها من المحاجر وأنشدت قول الشاعر

فان لم يجد صبر الكتمان سره * فليس له عندى سوى الموت أنفع

فحفظته وتوجهت الى البيت فلما دخلت على ابنة عمى وجدتها ملقاة مغشيا عليها وأمى جالسة عند رأسها فلما سمعت كلامى فتحت عينيها وقالت ياعزيزها أنشدتها بيت الشعر قلت لها نعم ولما سمعته بكت وأنشدتنى هذا البيت فان لم يجد الى آخره فلما سمعته بنت عمى غشى عليها ثانيا فلما أفاقت أنشدت هذا البيت وهو

سمعنا أطعنا ثم متنا فبلغوا * سلامى على من كان للوصل يمنع

ثم لما أقبل الليل مضيت الى البستان على جرى عادتى فوجدت الصبية فى انتظارى فجلسنا وأكلنا وشربنا وعملنا حظنا ثم نمنا الى الصباح فلما أردت الانصراف أنشدتها ما قالته ابنة

عمى

عمى فلما سمعت ذلك صرخت صرخة عظيمة وتضجرت وقالت والله ان قائله هذا الشعر قد مات
ثم بكت وقالت ويلك ما تقرب لك قائله هذا الشعر قلت لها انها ابنة عمى قالت كذبت والله
لو كانت ابنة عمك لكان عندك لها من المحبة مثل ما عندها لك فأنت الذى قتلتها قتلك الله
كما قتلتها والله لو أخبرتنى أن لك ابنة عم ما قربتك منى فقلت لها انها ابنة عمى وكانت تفسر لى
الاشارات التى كنت تشير بها الىّ وهى التى علمتنى ما أفعل معك وما وصلت اليك الا بحسن
تدبيرها فقالت وهل عرفت بنا قلت نعم قالت حسرك الله على شبابك كما حسرتها على شبابها
ثم قالت لى دع انظرها فذهبت وخاطرى متشوش ومازلت ماشيا حتى وصلت الى زقاقنا
فسمعت عياطا فسألت عنه فقيل لى ان عزيزة وجدناها خلف الباب ميتة ثم دخلت الدار
فلما رأتنى أمى قالت ان خطيئتها فى عنقك فلا سامحك الله من دمها * وأدرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للعشرين بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج
الملوك ثم دخلت الدار فلما رأتنى أمى قالت ان خطيئتها فى عنقك فلا سامحك الله من دمها تبا
لك من ابن عم ثم ان أبى جاء وجهزناها وشيعنا جنازتها ودفناها وعملنا على قبرها الختمات
ومكثنا على القبر ثلاثة أيام ثم رجعت الى البيت وأنا حزين عليها فأقبلت على أمى وقالت لى
ان قصدى أن أعرف ما كنت تفعله معها حتى فقعت مرارتها وانى يا ولدى كنت أسألها
فى كل الاوقات عن سبب مرضها فلم تخبرنى به ولم تطلعنى عليه فبالله عليك أن تخبرنى بالذى
كنت تصنعه معها حتى ماتت فقلت ما عملت شيأ فقالت الله يقتص لها منك فانها ماذكرت لى
شيأ بل كتمت أمرها حتى ماتت وهى راضية عنك ولما ماتت كنت عندها ففتحت عينيها
وقالت لى يا امرأة عمى جعل الله ولدك فى حل من دمى ولا آخذه بما فعل معى وانما نقلنى
الله من الدنيا الفانية الى الآخرة الباقية فقلت يا بنتى سلامتك وسلامة شبابك وصرت أسألها
عن سبب مرضها فما تكلمت ثم تبسمت وقالت يا امرأة عمى اذا أراد ابنك أن يذهب الى
الموضع الذى عادته الذهاب اليه فقولى له يقول هاتين الكلمتين عند انصرافه منه الوفاء
مليح والغدر قبيح وهذه شفقة منى عليه لا كون شفيقة عليه فى حياتى وبعد مماتى ثم أعطتنى
لك حاجة وحلفتنى أنى لا أعطيها لك حتى أراك تبكى عليها وتنوح والحاجة عندى فاذا رأيتك
على الصفة التى ذكرتها أعطيتك اياها فقلت لها أرينى اياها فما رضيت ثم انى اشتغلت بلذاتى
ولم أتذكر فى موت ابنة عمى لانى كنت طائش العقل وكنت أود فى نفسى أن أكون طول ليلى
ونهارى عند محبوبتى وما صدقت أن الليل أقبل حتى مضيت الى البستان فوجدت الصبية
جالسة على مقاتى النار من كثرة الانتظار فلما صدقت أنها رأتنى فبادرت الىّ وتعلقت برقبتى
وسألتنى عن بقت عمى فقلت لها انها ماتت وعملنا لها الذكر والختمات ومضى لها أربع ليال
وهذه الخامسة فلما سمعت ذلك صاحت وبكت وقالت أما قلت لك انك قتلتها ولو أعلمتنى بها
قبل موتها لكنت كافأتها على ما فعلت معى من المعروف فانها خدمتنى وأوصلتك الىّ ولولاها
ما اجتمعت بك وأنا خائفة عليك أن تقع فى مصيبة بسبب رزيتها فقلت لها انها قد جعلتنى
فى حل قبل موتها ثم ذكرت لها ما أخبرتنى به أمى فقالت بالله عليك اذا ذهبت الى أملك فاعرف

الحاجة التى عندها فقلت لها ان أمى قالت لى ان امنة عمك قبل أن تموت أوصتنى وقالت لى اذا أراد ابنك أن يذهب الى الموضع الذى عادته الذهاب اليه فقولى له هاتين الكلمتين الوفاء مليح والغدر قبيح فلما سمعت الصبية ذلك قالت رحمة الله تعالى عليها فانها اخلصتك منى وقد كنت أضمرت على شرك فأنا لا أضرك ولا أشوش عليك فتعجبت من ذلك وقلت لها وما كنت تريدين قبل ذلك أن تفعليه معى وقد صار بينى وبينك مودة فقالت أنت مولعبى ولكنك صغير السن وقلبك خال عن الخداع فأنت لا تعرف مكرنا ولا خداعنا ولو كانت فى قيد الحياة لكانت معينة لك فانها سبب سلامتك حيث أنجتك من الهلكة والآن أوصيك أن لا تتكلم مع واحدة ولا تخاطب واحدة من أمثالنا لا صغيرة ولا كبيرة فابالك ثم ابالك ذلك لانك غير عارف بخداع النساء ولا مكرهن والتى تفسر لك الاشارات قد ماتت وانى أخاف عليك أن تقع فى رزية فلا تجد من يخلصك منها بعد موت بنت عمك * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والعشرون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك ثم ان الصبية قالت لى انى أخاف عليك أن تقع فى رزية فلا تجد من يخلصك منها بعد موت بنت عمك فواحسرتاه على بنت عمك وليتنى علمت بها قبل موتها حتى أكافئها على ما فعلت معى من المعروف رحمة الله تعالى عليها فانها كتمت سرها ولم تبح بما عندها ولولاها ما كنت تصل الى أبدا وانى أشتهى عليك أمرا فقلت ما هو قالت أن توصلنى الى قبرها حتى أزورها فى القبر الذى هى فيه وأكتب عليه أبياتا فقلت لها فى غد ان شاء الله تعالى ثم انى نمت معها تلك الليلة وهى بعد كل ساعة تقول لى ليتك أخبرتنى بابنة عمك قبل موتها فقلت لها ما معنى هذين الكلمتين اللتين قالتهما وهما الوفاء مليح والغدر قبيح فلم تجبنى فلما أصبح الصباح قامت وأخذت كيسا فيه دنانير وقالت لى قم وأرنى قبرها حتى أزوره وأكتب عليه أبياتا وأعمل عليه قبة وأترحم عليها وأصرف هذه الدنانير صدقة عن روحها فقلت لها سمعا وطاعة ثم مشيت قدامها ومشت خلفى وصارت تتصدق وهى ماشية فى الطريق وكلما تصدقت صدقة تقول هذه الصدقة عن روح عزيزة التى كتمت سرها حتى شربت كأس منايا ها ولم تبح بسرها هواها ولم تزل تتصدق من الكيس وتقول عن روح عزيزة حتى وصلنا الى القبر ونفد ما فى الكيس فلما عاينت القبر رمت روحها عليه وبكت بكاء شديدا ثم انها أخرجت بيكارا من الفولاذ ومطرقة لطيفة وخطت بالبيكار على الحجر الذى على رأس القبر خطا لطيفا ورسمت هذه الابيات

مررت بقبر دارس وسط روضة * عليه من النعمان سبع شقائق
فقلت لمن ذا القبر جاو بنى الثرى * تأدب فهذا القبر برزخ عاشق
فقلت رعاك الله يا ميت الهوى * وأسكنك الفردوس أعلى الشواهق
مساكين أهل العشق حتى قبورهم * عليها تراب الذل بين الخلائق
فان أستطع زرعا زرعتك روضة * وأسقيتها من دمعى المتدافق

ثم بكت بكاء شديدا وقامت وقمت معها وتوجهنا الى البستان فقالت لى سألتك بالله انك لا تقطع عنى أبدا فقلت سمعا وطاعة ثم انى صرت أتردد عليها وكلما بت عندها تحسن الى

وتكرمنى

وتسكرمني وتسألني عن الكلمتين اللتين قالتهما ابنة عمي عزيزة لامي فأعيدهما لها ومازلت
على ذلك الحال من أكل وشرب وضم وعناق وتغيير ثياب من الملابس الرقاق حتى غلظت
وسمنت ولم يكن بي هم ولا غم ولا حزن ونسيت ابنة عمي ومكثت مستغرقا في تلك اللذات سنة
كاملة وعند رأس السنة دخلت الحمام وأصلحت شأني ولبست بدلة فاخرة ولما خرجت من
الحمام شربت قدحا من الشراب وشممت روائح قماشي المضمخ بأنواع الطيب وأنا خالي القلب
من غدرات الزمان وطوارق الحدثان فلما جاء وقت العشاء اشتاقت نفسي الى الذهاب اليها
وأنا سكران لا أدري أين أتوجه فذهبت اليها الحال بي السكر الى زقاق يقال له زقاق النقيب
فبينما أنا ماش في ذلك الزقاق واذا بعجوز ماشية وفي احدى يديها شمعة مضيئة وفي يدها الاخرى
كتاب ملفوف وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والعشرون بعد المائة قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب الذي
اسمه عزيز قال لتاج الملوك فلما دخلت الزقاق الذي يقال له زقاق النقيب مشيت فيه فبينما أنا
ماش في ذلك الزقاق واذا بعجوز ماشية وفي احدى يديها شمعة مضيئة وفي يدها الاخرى كتاب
ملفوف فتقدمت اليها وهي باكية العين وتنشد هذين البيتين

لله در مبشري بقدومكم * فلقد أتى بلطائف المسموع
لو كان يقنع بالخليع وهبته * قلبا تمزق ساعة التوديع

فلما رأتني قالت لي يا ولدي هل تعرف أن تقرأ فقلت لها نعم يا خالتي العجوز فقالت لي خذ هذا
الكتاب واقرأه لي وناولتني الكتاب فأخذته منها وفتحته وقرأته عليها مضمونه أنه كتاب من
عند الغياب بالسلام على الاحباب فلما سمعته فرحت واستبشرت ودعت لي وقالت لي فرج
الله همك كما فرجت همي ثم أخذت الكتاب ومشت خطوتين وغلبني حصر البول فقعدت
في مكان لأربن الماء ثم اني قمت وتجمرت وأرخيت أثوابي وأردت أن أمشي واذا بالعجوز قد
أقبلت علي وقبلت يدي وقالت يا مولاي الله تعالى يهنيك بشبابك ولا يفجعك أترجاك أن تمشي
معي خطوات الى ذلك الباب فاني أخبرهم بما أسمعتني اياه في قراءة الكتاب فلم يصدقوني
فامش معي خطوتين واقرأ لهم الكتاب من خلف الباب واقبل دعائي لك فقلت لها
وما قصة هذا الكتاب فقالت لي يا ولدي هذا الكتاب جاء من عند ولدي وهو غائب عني مدة
عشر سنين فانه سافر بمتجر ومكث في الغربة تلك المدة فقطعنا الرجاء وظننا أنه مات ثم وصل
الينا منه هذا الكتاب وله أخت تبكي عليه في مدة غيابه آناء الليل وأطراف النهار فقلت لها
انه طيب بخير فلم تصدقني وقالت لي لا بد أن تأتيني بمن يقرأ هذا الكتاب فيخبرني حتى يطمئن
قلبي ويطيب خاطري وأنت تعلم يا ولدي أن المحب مولع بسوء الظن فأنعم علي بقراءة هذا
الكتاب وأنت واقف خلف الستارة وأخته تسمع من داخل الباب لاجل أن يحصل لك ثواب
من قضى لمسلم حاجة ونفس عنه كربة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفس عن
مكروب كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة وفي حديث آخر من نفس عن
أخيه كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه اثنتين وسبعين كربة من كرب يوم القيامة وأنا قصدتك فلا
تخيبني فقلت لها سمعا وطاعة تقدمي قدامي فمشت قدامي ومشيت خلفها قليلا حتى وصلت الى

باب دار عظيمة وذلك الباب مصفح بالنحاس الاحمر فوقفت خلف الباب وصاحت العجوز بالعجمية لما أشعر الاوصبية قد أقبلت بخفة ونشاط وهى مشمرة اللباس الى ركبتيها فرأيت لها ساقين يحيران الفكر والناظر وهى كما قال فى وصفها الشاعر

يا من يشمر عن ساق ليعرضه * على المحبين حتى يفهم الباقى
وطاف يسعى بكاس نحو عاشقه * ما أفتن الناس غير الكاس والساق

وزان ساقيها اللتين كأنهما عمودان من مرمر * خلا خل الذهب المرصعة بالجوهر * وكانت تلك الصبية مشمرة ثيابها الى تحت ابطيها ومشمرة عن ذراعيها فنظرت معاصمها البيض وفى يديها زوجان من الاساور وفى أذنيها قرطان من اللؤلؤ وفى عنقها عقد من ثمين الجوهر وعلى رأسها كوفية دق المطرقة مكللة بالفصوص المثمنة وقد رشقت أطراف قميصها من داخل دكة اللباس وهى كأنها كانت تعمل شغلا فلما رأتنى قالت بلسان فصيح عذب ما سمعت أحلى منه يا أمى أهذا الذى جاء يقرأ الكتاب فقالت لها نعم فمددت يدها الىّ بالكتاب وكان بينها وبين الباب نحو نصف قصبة فمددت يدى لاتناول منها الكتاب وأدخلت رأسى وأكتافى من الباب لاقرب منها لما أدرى الا والعجوز قد وضعت رأسها فى ظهرى ودفعتنى ويدى ماسكة الباب فالتفت فرأيت نفسى فى وسط الدار من داخل الدهليز ودخلت العجوز أسرع من البرق الخاطف ولم يكن لها شغل الا قفل الباب * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والعشرون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك فالتفت فرأيت نفسى فى وسط الدار من داخل الدهليز ودخلت العجوز أسرع من البرق الخاطف ولم يكن لها شغل الا قفل الباب ثم ان الصبية لما رأتنى من داخل الباب بالدهليز أقبلت علىّ ورضمتنى الى صدرها ورمتنى على الارض وركبت فوق صدرى وعصرت بطنى بيدها فغبت عن الوجود ثم أخذتنى بيدها ولم أقدر أن أتخلص منها من شدة ما حضنتنى ثم دخلت بى ودخلت العجوز قدامها والشمعة مضيئة معها حتى قطعت سبع دهاليز وبعد ذلك دخلت بى قاعة كبيرة بأربعة لواوين يلعب فيها الخيال بالاكر ثم أجلستنى وقالت لى افتح عينك ففتحت عينى وأنا دايخ من شدة ما ضمتنى وعصرتنى فرأيت جميع بناء القلعة من أبهج المرمر وجميع فرشها من الديباج وكذلك المخدات والمراتب وهنالك دكان من النحاس الاصفر وسرير من الذهب الاحمر * مرصع بالدر والجوهر * لا يصلح الا لملك مثلك ثم قالت لى يا عزيز أى الحالتين أحب اليك الموت أم الحياة فقلت لها الحياة فقالت اذا كانت الحياة أحب اليك فتزوج بى فقلت أنا أكره أن أتزوج بمثلك فقالت لى ان تزوجت بى تسلم من بنت الدليلة المحتالة فقلت لها ومن الدليلة المحتالة فضحكت وقالت كيف لا تعرفها وأنت لك فى صحبتها اليوم سنة وأربعة شهور أهلكها الله تعالى والله ما وجد أمكر منها وكم قتلت شخصا قبلك وكم عملت عملة وكيف سلمت منها ولم تقتلك أو تشوش عليك ولك فى صحبتها هذه المدة فلما سمعت كلامها تعجبت غاية العجب فقلت لها يا سيدتى ومن عرفك بها فقالت أنا أعرفها مثل ما يعرف الزمان مصائبه لكن قصدى أن تحكى لى جميع ما وقع لك منها حتى أعرف ما سبب سلامتك منها

فحكيت

فحكيت لها جميع ما جرى لى معها ومع ابنة عمى عزيزة فترحمت عليها ودمعت عيناها ودقت يداها على بدنها سمعت بموت ابنة عمى عزيزة وقالت عوضك الله فيها خيرا يا عزيز فانها هى سبب سلامتك من بنت الدليلة المحتالة ولولا هى لكنت هلكت وأنا خائفة عليك من مكرها وشرها ولكن ما أقدر أن أتكلم فقلت لها والله ان ذلك كله قد حصل فهزت رأسها وقالت لا يوجد اليوم مثل عزيزة نقلت وعند موتها أوصتنى أن أقول هاتين الكلمتين لا غير وهما الوفاء مليح والغدر قبيح فلما سمعت ذلك منى قالت لى يا عزيز والله ان هاتين الكلمتين هما اللتان خلصتاك منها وبسببهما ما قتلتك فقد خلصتك بنت عمك حية وميتة والله انى كنت أتمنى الاجتماع بك ولو يوما واحدا فلم أقدر على ذلك الا فى هذا الوقت حتى تحيلت عليك بهذه الحيلة وقد تمت وأنت الآن صغير لا تعرف مكر النساء ولا دواهى المحائز فقلت لا والله فقالت لى طب نفسا وقر عينا فان الميت مرحوم والحى ملطوف وأنت شاب مليح وأنا ما أريدك الا بسنة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومهما أردت من مال وقماش يحضر لك سريعا ولا أكلفك بشئ أبدا وأيضا عندى دائما الخبز مخبوز * والماء فى الكوز * وما أريد منك الا أن تعمل معى كما يعمل الديك فقلت لها وما الذى يعمله الديك فضحكت وصفقت بيدها ووقعت على قفاها من شدة الضحك ثم انها قعدت وقالت لى أما تعرف صنعة الديك فقلت لا والله ما أعرف صنعة الديك قالت صنعة الديك أن تأكل وتشرب وتنيك فجعلت أنا من كلامها ثم انى قلت أهذه صنعة الديك فقالت نعم وما أريدك الآن الا أن تشد وسطك * وتقوى عزمك * وتنيك جهدك * ثم انها صفقت بيدها وقالت يا أمى أحضرى من عندك واذا بالعجوز قد أقبلت بأربعة شهود عدول ثم انها أوقدت أربع شمعات فلما دخل الشهود سلموا على وجلسوا فقامت الصبية وأرخت عليها ازارا ووكلت بعضهم فى ولاية عقدها وقد كتبوا الكتاب وأشهدت على نفسها أنها قبضت جميع المهر مقدما ومؤخرا وأن فى ذمتها الى عشرة آلاف درهم * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والعشرون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشاب قال لتاج الملوك وأشهدت على نفسها أنها قبضت جميع المهر مقدما ومؤخرا وأن فى ذمتها الى عشرة آلاف درهم ثم انها أعطت الشهود أجرتهم وانصرفوا من حيث أتوا فعند ذلك قامت الصبية وقلعت أثوابها وأتت فى قميص رفيع مطرز بطراز من الذهب وقلعت لباسها وأخذت بيدى وطلعت بى فوق السرير وقالت لى ما فى الحلال من عيب ووقعت على السرير وانسطحت على ظهرها ورمتنى على صدرها ثم شهقت شهقة وأتبعت الشهقة بغنجة ثم كشفت الثوب حتى جعلته فوق نهودها فلما رأيتها على تلك الحالة لم أتمالك نفسى دون أن أولجته فيها بعد أن مصصت شفتها وهى تتأوه وتظهر الخشوع والخضوع * والبكاء بالدموع * وأذكرتنى فى هذا الحال قول من قال

ولما كشفت الثوب عن سطح كسها * وجدت به ضيقا كخلقى وأرزاقى
فأولجت فيها نصفه فتنهدت * فقلت لماذا فقالت على الباقى

ثم قالت يا حبيبى اعمل خلاصك فأنا جاريتك خذها تاته كله بحياتى عندك هاته حتى أدخله

يبدى وأريح به فؤادى ولم تزل تسمعنى الغنج والشهيق * فى خلال البوس والتعنيق * حتى صار
صياحنا فى الطريق وحظينا بالسعادة والتوفيق * ثم نمنا الى الصباح وأردت أن أخرج واذا
هى أقبلت على ضاحكة وقالت هل تحسب أن دخول الحمام مثل خروجه وما أظن الا أنك
تحسبنى مثل بنت الدليلة المحتالة اما لا وهذا الظن فما أنت الا زوجى بالكتاب والسنة وان
كنت سكران فأفق لعقلك ان هذه الدار التى أنت فيها ما تفتح الا فى كل سنة يوما قم الى الباب
الكبير وانظره فقمت الى الباب الكبير فوجدته مغلقا مسمرا فعدت وأعلمتها بأنه مغلق
مسمر فقالت لى يا عزيز ان عندنا من الدقيق والحبوب والفواكه والرمان والسكر واللحم
والغنم والدجاج وغير ذلك ما يكفينا أعواما عديدة ولا يفتح بابنا من هذه الليلة الا بعد سنة وأنا
أعلم أنك ما بقيت ترى روحك خارجا عن هذه الدار الا بعد سنة فقلت لا حول ولا قوة الا بالله
فقالت وأى شئ يضرك وأنت تعرف صنعة الديك التى أخبرتك بها ثم ضحكت فضحكت أنا
وطاوعتها فيما قالت ومكثت عندها وأنا أعمل صنعة الديك آكل وأشرب وأنيك حتى مر
علينا عام اثنا عشر شهرا فلما كملت السنة حملت منى ورزقت منها ولدا وعند رأس السنة سمعت
فتح الباب واذا بالرجال دخلوا بكعك ودقيق وسكر فأردت أن أخرج فقالت اصبر الى وقت
العشاء ومثل ما دخلت فاخرج فصبرت الى وقت العشاء وأردت أن أخرج وأنا خائف مرجوف
واذا هى قالت والله ما أدعك تخرج حتى أحلفك أنك تعود فى هذه الليلة قبل أن يغلق الباب
فأجبتها الى ذلك وحلفتنى الايمان الوثيقة على السيف والمصحف والطلاق أنى أعود اليها ثم
خرجت من عندها ومضيت الى البستان فوجدته مفتوحا كعادته فاغتظت وقلت فى نفسى
انى غائب عن هذا المكان سنة كاملة وجئت على غفلة فوجدته مفتوحا كعادته يا ترى هل
الصبية باقية على حالها أولا فلا بد أن أدخل وأنظر قبل أن أروح الى أمى وأنا فى وقت العشاء
ثم دخلت البستان * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والعشرون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن عزيزا قال
لتاج الملوك ثم دخلت البستان ومشيت حتى أتيت الى المقعد فوجدت بنت الدليلة المحتالة
جالسة ورأسها على ركبتها ويدها على خدها وقد تغيرلونها وغارت عيناها فلما رأتنى قالت الحمد
لله على السلامة وهممت أن تقوم فوقعت من فرحتها فاستحييت منها وطأطأت رأسى ثم تقدمت
اليها وقبلتها وقلت لها كيف عرفت أنى أجىء اليك فى هذه الساعة قالت لا علم لى بذلك والله
ان لى سنة لم أذق فيها نوما بل أسهر كل ليلة فى انتظارك وأنا على هذه الحالة من يوم خرجت من
عندى وأعطيتك البدلة القماش الجديدة ووعدتنى أنك تجىء الى وقد انتظرتك فما أتيت
لا أول ليلة ولا ثانى ليلة ولا ثالث ليلة فاستمريت منتظرة لمجيئك والعاشق هكذا يكون وأريد
أن تحكى لى ما سبب غيابك عنى هذه السنة فحكيت لها فلما علمت أنى تزوجت اصفرلونها
ثم قلت لها انى أتيتك هذه الليلة وأروح قبل الصباح فقالت أما كفاها أنها تزوجت بك
وعملت عليك الحيلة وحبستك عندها سنة كاملة حتى حلفتك بالطلاق أن تعود اليها قبل
الصباح ولم تسمح لك بأن تتفسح عند أمك ولا عندى ولم يهن عليها أن تبيت عندا حدا ليلة
واحدة فكيف حال من غبت عنها سنة كاملة وقد عرفتك قبلها ولكن رحم الله عزيزة فانها

جرى

جرى لها مالم يجر لاحد وصبرت على شئ لم يصبر عليه مثلها وماتت مقهورة منك وهى التى حمتك
منى وكنت أظنك تجىء فأطلقت سبيلك مع انى كنت أقدر على حبسك وعلى هلاكك ثم بكت
واغتاظت ونظرت الىّ بعين الغضب فلما رأيتها على تلك الحالة ارتعدت فرائصى وخفت منها
وصرت مثل الفولة على النار ثم قالت لى مابقى فيك فائدة بعد ما تزوجت وصار لك ولد فأنت
لا تصلح لعشرتى لانه لا ينفعنى الا الاعزب وأما الرجل المتزوج فانه لا ينفعنى وقد بعتنى بتلك
العاهرة والله لأحسرنها عليك وتصير لا لى ولا لها ثم صاحت فما أدرى الا وعشرة جوار أتين
ورمينى على الارض فلما وقعت تحت أيديهن قامت هى وأخذت سكينا وقالت لأذبحنك ذبح
التيوس ويكون هذا أقل جزائك على مافعلت مع ابنة عمك فلما نظرت الى روحى وأنا تحت
جواريها وتعفر خدى بالتراب ورأيت السكين فى يدها تحققت الموت * وأدرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والعشرون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير دندان
قال لضوء المكان ثم ان الشاب عزيز اقال لتاج الملوك فلما رأيت روحى تحت جواريها وتعفر
خدى بالتراب ورأيت السكين فى يدها تحققت الموت فاستغثت بها فلم تزدد الا قسوة وأمرتهن
أن يكتفنى فكتفنى ورمينى على ظهرى وجلسن على بطنى وأمسكن رأسى وقامت جاريتان
فأمسكتا أصابع رجلى وجاريتان جلستا على أقصاب رجلى وبعد ذلك قامت هى ومعها
جاريتان فأمرتهما أن يضربانى فضربتانى حتى أغمى علىّ وخفى صوتى فلما استفقت قلت
فى نفسى ان موتى مذبوحا أهون علىّ من هذا الضرب وتذكرت كلمة ابنة عمى حيث قالت كفاك
الله شرها فصرخت وبكيت حتى انقطع صوتى ثم سنت السكين وقالت للجوارى اكشفن عنه
فألهمنى الله أن أقول الكلمتين اللتين أوصتنى بهما ابنة عمى وهما الوفاء مليح والغدر قبيح فلما
سمعت ذلك صاحت وقالت يرحمك الله يا عزيزة سلامة شبابك نفعت ابن عمك فى حياتك وبعد
موتك ثم قالت لى والله انك خلصت من يدى بواسطة هاتين الكلمتين لكن لابد أن أعمل فيك
أثر الاجل نكاية تلك العاهرة التى حجبتك عنى ثم صاحت على الجوارى وقالت لهن اركبن
عليه وأمرتهن أن يربطن رجلى بالحبال ففعلن ذلك ثم قامت من عندى وركبت طاجنا من
نحاس على النار وصبت فيه شيرجا وقلت فيه جبنا وأنا غائب عن الدنيا ثم جاءت عندى وحلت
لباسى وربطت محاشمى بحبل وناولته لجاريتين وقالت لهما جرا الحبل فجرتاه فصرت من
شدة الألم فى دنيا غير هذه الدنيا ثم رفعت يدها وقطعت ذكرى بموسى وبقيت مثل المرأة ثم
كوت موضع القطع وكبسته بذرور وأنا مغمى علىّ فلما أفقت كان الدم قد انقطع فاسقتنى قدحا
من الشراب ثم قالت لى رح الآن لمن تزوجت بها وبخلت على بليلة واحدة رحم الله ابنة عمك
التى هى سبب نجاتك ولولا أنك أسمعتنى كلمتيها لكنت ذبحتك فاذهب فى هذه الساعة لمن
تشتهى وأنا ما كان لى عندك سوى ماقطعته والآن مابقى لى فيك رغبة ولا حاجة لى بك فقم
وملس على رأسك وترحم على ابنة عمك ثم رفصتنى برجلها فقمت وماقدرت أن أمشى فتمشيت
قليلا قليلا حتى وصلت الى الباب فوجدته مفتوحا فرميت نفسى فيه وأنا غائب عن الوجود واذا
بزوجتى خرجت وحملتنى وأدخلتنى القاعة فوجدتنى مثل المرأة فنمت واستغرقت فى النوم

فلما صحوت وجدت نفسى مرميا على باب البستان * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والعشرون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال للملك ضوء المكان ثم ان الشاب عزيزا قال لتاج الملوك فلما صحوت وجدت نفسى مرميا على باب البستان فقمت وأنا أتعجب وتمشيت حتى أتيت الى منزلى فدخلت فيه فوجدت أمى تبكى على وتقول ياهل ترى ياولدى أنت فى أى أرض فدنوت منها ورميت نفسى عليها فلما نظرت الى ورأتنى وجدتنى على غير استواء وصار على وجهى الاصفرار والسواد وتذكرت ابنة عمى وما فعلت معى من المعروف وتحققت أنها كانت تحبنى فبكيت عليها وبكت أمى ثم قالت لى ياولدى ان والدك قد مات فازددت غيظا وبكيت حتى أغمى على فلما أفقت نظرت الى موضع ابنة عمى التى كانت تقعد فيه فبكيت ثانيا حتى أغمى على من شدة البكاء ومازلت فى بكاء ونحيب الى نصف الليل فقالت لى أمى ان لوالدك عشرة أيام وهو ميت فقلت لها أنا لا أفكر فى أحد أبدا غير ابنة عمى لانى أستحق ما حصل لى حيث أهملتها وهى تحبنى فقالت وما حصل لك فحكيت لها ما حصل لى فبكت ساعة ثم قامت وأحضرت لى شيأ من المأكول فأكلت قليلا وشربت وأعدت لها قصتى وأخبرتها بجميع ما وقع لى فقالت الحمد لله حيث جرى لك هذا وماذا تحتاج ثم انها عالجتنى وداوتنى حتى برئت وتكاملت عافيتى فقالت لى ياولدى الآن أخرج لك الوديعة التى أودعتها ابنة عمك عندى فانها لك وقد حلفتنى أنى لا أخرجها لك حتى أراك تتذكرها وتحزن عليها وتقطع علائقك من غيرها والآن رجوت فيك هذه الخصال ثم قامت وفتحت سندوقا وأخرجت منه هذه الخرقة التى فيها صورة هذا الغزال وهى التى وهبتها لها أولا فلما أخذتها وجدت مكتوبا فيها هذه الابيات

أقمتم فؤادى فى الهوى وقعدتم * وأسهرتموجفنى القريح ونمتم
وقد حلتم بين المنام وناظرى * فلا القلب يسلاكم ولو ذاب منكم
وعاهدتمونى أنكم كاتموا الهوى * فأغراكم الواشى وقال وقلتم
فبالله اخوانى اذا مت فاكتبوا * على لوح قبرى ان هذا متيم

فلما قرأت هذه الابيات بكيت بكاء شديدا ولطمت وجهى وفتحت الرقعة فوقعت منها ورقة أخرى ففتحتها فاذا مكتوب فيها اعلم يا ابن عمى انى جعلتك فى حل من دمى وأرجو الله أن يوفق بينك وبين من تحب لكن اذا أصابك شئ من الدليلة المحتالة فلا ترجع اليها ولا لغيرها وبعد ذلك فاصبر على بليتك ولولا أجلك المحتم لهلكت من الزمان الماضى ولكن الحمد لله الذى جعل يومى قبل يومك وسلامى عليك واحتفظ على هذه الخرقة التى فيها صورة الغزال ولا تفرط فيها فان تلك الصورة كانت تؤانسنى اذا غبت عنى * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والعشرون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال للملك ضوء المكان ثم ان الشاب عزيزا قال لتاج الملوك ان ابنة عمى قالت لى واحتفظ على هذه الخرقة التى فيها صورة الغزال ولا تفرط فيها أبدا فان تلك الصورة كانت تؤانسنى اذا

غبت

نحبت عنى وبالله عليك ان قدرت على من صورت هذه الصورة ينبغى أنك تتباعد عنها ولا تخلها تقرب منك ولا تتزوج بها وان لم تقدر عليها ولا تجد لك اليها سبيلا فلا تقرب واحدة من النساء بعدها اعلم أن التى صورت هذه الصورة تصور فى كل سنة صورا مثلها وترسلها الى أقصى البلاد لاجل أن يشيع خبرها وحسن صنعتها التى يعجز عنها أهل الارض وأما محبوبتك الدليلة المحتالة فانها لما وصلت اليها هذه الخرقة التى فيها صورة الغزال صارت تريها للناس وتقول لهم ان لى أختا تصنع هذا مع أنها كاذبة فى قولها هتك الله سترها وما أوصيتك بهذه الوصية الا أننى أعلم أن الدنيا قد تضيق عليك بعد موتى وربما تتغرب بسبب ذلك وتطوف فى البلاد وتسمع بصاحبة هذه الصورة فتتشوق نفسك الى معرفتها (واعلم) أن الصبية التى صورت هذه الصورة بنت ملك جزائر الكافور فلما قرأت تلك الورقة وفهمت ما فيها بكيت وبكت أمى لبكائى ولا زالت أنظر اليها وأبكى الى أن أقبل الليل ولم أزل على تلك الحالة مدة سنة وبعد السنة تجهز تجار من مدينتى الى السفر وهم هؤلاء الذين أنا معهم فى القافلة فأشارت على أمى أن أتجهز وأسافر معهم وقالت لى لعل السفر يذهب ما بك من هذا الحزن وتغيب سنة أو سنتين أو ثلاثا حتى تعود القافلة فلعل صدرك ينشرح ولا زالت تلاطفنى بالكلام حتى جهزت متجرا وسافرت معهم وأنا لم تنشف لى دمعة مدة سفرى وفى كل منزلة تنزل بها أنشر هذه الخرقة قدامى وأنظر الى هذه الصورة فاتذكر ابنة عمى وأبكى عليها كما ترانى فانها كانت تحبنى محبة زائدة وقد ماتت مقهورة منى وما فعلت معها الا الضرر مع انها لم تفعل معى الا الخير ومتى رجعت التجار من سفرهم أرجع معهم وتكمل مدة غيابى سنة وأنا فى حزن زائد وما زاد همى وحزنى الا أننى جزت على جزائر الكافور * وقلعة البلور * وهى سبع جزائر والحاكم عليهم ملك يقال له شهرمان وله بنت يقال لها دنيا فقيل لى انها هى التى تصور صورة الغزلان وهذه الصورة التى معك من جملة تصويرها فلما علمت ذلك زادت بى الاشواق وغرقت فى بحر الفكر والاحتراق * فبكيت على روحى لانى بقيت مثل المرأة ولم تبق لى آلة مثل الرجال ولا حيلة لى ومن يوم فراقى لجزائر الكافور وأنا باكى العين حزين القلب ولى مدة على هذا الحال وما أدرى هل يمكننى أن أرجع الى بلدى وأموت عند والدتى أولا وقد شبعت من الدنيا ثم بكى * وأنّ واشتكى * ونظر الى صورة الغزال * وجرى دمعه على خده وسال وأنشد هذين البيتين

وقائل قال لى لا بد من فرج * فقلت للغيظ كم لا بد من فرج
فقال لى بعد حين قلت يا عجبى * من يضمن العمر لى يا بارد الحيج

وهذه حكايتى أيها الملك فلما سمع تاج الملوك قصة الشاب تعجب غاية العجب وانطلقت فى فؤاده النيران حين سمع بجمال السيدة دنيا * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح * فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون بعد المائة * قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان فلما سمع تاج الملوك قصة الشاب تعجب غاية العجب وانطلقت فى فؤاده النيران لما سمع بجمال السيدة دنيا وعرف أنها هى التى صورت صورة الغزال * وزاد به الوجد والبلبال * فقال الشاب والله لقد جرى لك شئ ما جرى لاحد غيرك مثله ولكن هذا تقدير

ربك وقصدى أن أسألك عن شئ فقال عزيز وماهو فقال تصف لى كيف رأيت تلك الصبية
التى صوّرت صورة الغزال فقال يامولاى انى توصلت اليها بحيلة وهو أنى لما دخلت مع القافلة
الى بلادها كنت أخرج وأدور فى البساتين وهى كثيرة الاشجار وحارس البساتين شيخ طاعن
فى السن فقلت له ياشيخ لمن هذا البستان فقال لى لابنة الملك السيدة دنيا ونحن تحت قصرها
فاذا أردت أن تتفرّج فافتح باب السر وتفرّج فى البستان فتشم رائحة الازهار فقلت له أنعم
على بان أقعد فى هذا البستان حتى تمر لعلى أن أحظى منها بنظرة فقال الشيخ لا بأس بذلك فلما
قال ذلك أعطيته بعض دراهم وقلت له اشتر لنا شيأ نأكله ففرح بأخذ الدراهم وفتح الباب
وأدخلنى معه وسرنا ومازلنا سائرين الى أن وصلنا الى مكان لطيف وأحضر لى شيأ من
الفواكه اللطيفة وقال لى اجلس هنا حتى أذهب وأعود اليك وتركنى ومضى فغاب ساعة ثم
رجع ومعه خروف مشوى فأكلنا حتى اكتفينا وقلبى مشتاق الى رؤية الصبية فبينما نحن
جالسون واذا بالباب قد انفتح فقال لى قم اختف فقمت واختفيت واذا بطواشى أسود أخرج
رأسه من الباب وقال ياشيخ هل عندك أحد فقال لا فقال له أغلق الباب فأغلق الشيخ باب
البستان واذا بالسيدة دنيا طلعت من الباب فلما رأيتها ظننت أن القمر نزل فى الارض فاندهش
عقلى وصرت مشتاقا اليها كاشتياق الظمآن الى الماء وبعد ساعة أغلقت الباب ومضت
فعند ذلك خرجت أنا من البستان وقصدت منزلى وعرفت أنى لا أصل اليها ولا أنا من
رجالها خصوصا وقد صرت مثل المرأة فقلت فى نفسى ان هذه ابنة ملك وأنا رجل تاجر فمن أين
لى أن أصل اليها فلما تجهز أصحابى للرحيل تجهزت أنا وسافرت معهم وهم قاصدون هذه المدينة
فلما وصلنا الى هذا الطريق اجتمعنا بك وهذه حكايتى وماجرى لى والسلام فلما سمع تاج الملوك
ذلك الكلام اشتغل قلبه بحب السيدة دنيا ثم ركب جواده وأخذ معه عزيزا وتوجه به الى
مدينة أبيه وأفرد له دارا ووضع له فيها كل ما يحتاج اليه ثم تركه ومضى الى قصره ودموعه
جارية على خدوده لان السماع يحل محل النظر والاجتماع ومازال تاج الملوك على تلك الحالة
حتى دخل عليه أبوه فوجده متغير اللون فعلم أنه مهموم ومغموم فقال له ياولدى أخبرنى عن
حالك وماجرى لك حتى غير لونك فأخبره بجميع ماجرى له من قصة دنيا من أولها الى آخرها
وكيف عشقها على السماع ولم ينظرها بالعين فقال ياولدى ان أباها ملك وبلاده بعيدة عنا
فدع عنك هذا وادخل قصر أملك * وأدرك شهرزاد الصباح * فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثلاثين بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير دندان
قال لضوء المكان ان والد تاج الملوك قال له ياولدى ان أباها ملك وبلاده بعيدة عنا فدع عنك
هذا وادخل قصر أملك فان فيه خمسمائة جارية كالاقمار فمن أعجبتك منهن فخذها وان لم يعجبك
جارية منهن فخاطب بنتا من بنات الملوك تكون أحسن من السيدة دنيا فقال له ياولدى لا أريد
غيرها وهى التى صوّرت صورة الغزال التى رأيتها فلا بد لى منها والا أهيج فى البرارى وأقتل
روحى بسببها فقال له أبوه ياولدى امهل على حتى أرسل الى أبيها وأخطبها منها وأبلغك المرام
مثل ما فات لنفسى مع أملك وان لم يرض زلزلت عليه مملكته وجردت عليه جيشا يكون آخره
عندى وأوله عنده ثم دعا بالشاب عزيز وقال له ياولدى هل أنت تعرف الطريق قال نعم قال له

أشتهى

أشتهى منك أن تسافر مع وزيرى فقال له عزيز سمعا وطاعة يا ملك الزمان ثم أحضر وزيره وقال له دبر لى أمر ولدى كما تعرف واذهب الى جزائر الكافور واخطب بنت ملكها فأجابه الوزير بالسمع والطاعة ثم عاد تاج الملوك الى منزله وقد زادت به الامراض والحسرات وحين جن عليه الليل أنشد هذه الابيات

جن الظلام ودمعى زائد المدد * والوجد من شدة النيران فى كبدى
سلوا الليالى عنى وهى تخبركم * ان كان يرثى لقلبى فى الهوى كمدى
أبيت أرعى نجوم الليل فى سهر * والدمع منهمل فى الخد كالبرد
وقد بقيت وحيدا ليس لى أحد * كمثل صب بلا أهل ولا ولد

فلما فرغ من شعره وقع مغشيا عليه ولم يفق الا وقت الصباح فلما أصبح الصباح جاء اليه أبوه فرآه قد تغير لونه * وزاد اصفراره * فصبره ووعده بجمع شمله ثم جهز عزيزا مع وزيره وأعطاهم الهدايا فسافروا أياما وليالى الى أن أشرفوا على جزائر الكافور فأقاموا على شاطئ نهر وأنفذ الوزير رسولا من عنده الى الملك ليخبره بقدومهم وبعد ذهاب الرسول بنصف يوم لم يشعروا الا وحجاب الملك وأمراؤه قد أقبلوا عليهم ولاقوهم من مسيرة فرسخ فتلقوهم وساروا فى خدمتهم الى أن دخلوا بهم على الملك فقدموا له الهدايا وأقاموا عنده أربعة أيام وفى اليوم الخامس قام الوزير ودخل على الملك ووقف بين يديه وحدثه بحديثه وأخبره بسبب مجيئه فصار الملك متحيرا فى رد الجواب لان ابنته لا تحب الزواج وأطرق رأسه الى الارض ساعة ثم رفع رأسه الى بعض الخدام وقال له اذهب الى سيدتك دنيا وأخبرها بما سمعت وبما جاء به هذا الوزير فقام الخادم وغاب ساعة ثم عاد الى الملك وقال له يا ملك الزمان انى لما دخلت على السيدة دنيا أخبرتها بما سمعت فغضبت غضبا شديدا ونهضت على بسوقة وأرادت كسر رأسى ففررت منها هاربا وقالت لى ان كان أبى يغصبنى على الزواج فالذى أتزوج به أقتله فقال أبوها للوزير وعزيز سلما على الملك وأخبراه بذلك وأن ابنتى لا تحب الزواج * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثلاثون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان قال للوزير وعزيز سلما على الملك وأخبراه بما سمعتماه من أن ابنتى لا تحب الزواج فرجع الوزير ومن معه من غير فائدة وسار الوا مسافرين الى أن دخلوا على الملك وأخبروه فعند ذلك أمر النقباء أن ينبهوا العسكر الى السفر من أجل الحرب والجهاد فقال له الوزير لا تفعل ذلك فان الملك لا ذنب له وانما الامتناع من ابنته فانها حين علمت بذلك أرسلت تقول ان غصبنى أبى على الزواج أقتل من أتزوج به وأقتل نفسى بعده فلما سمع الملك كلام الوزير خاف على ولده تاج الملوك وقال ان عاربت أباها وظفرت بابنته قتلت نفسها ثم ان الملك أعلم ابنه تاج الملوك بحقيقة الامر فلما علم بذلك قال لابيه يا والدى أنا لا أطيق الصبر عنها فأنا أروح اليها وأتسبب فى اتصالى بها ولو أموت ولا أفعل غير هذا فقال له أبوه وكيف تروح اليها فقال أروح فى صفة تاجر فقال الملك ان كان ولا بد فخذ معك الوزير وعزيزا ثم انه أخرج له شيأ من خزائنه وهيأله متجرا بمائة ألف دينار وانفقا معه على ذلك فلما جاء الليل ذهب تاج الملوك وعزيز الى منزل عزيز وباتا هناك

تلك الليلة وصار تاج الملوك مسلوب الفؤاد ولم يطب له أكل ولا رقاد بل هجمت عليه الافكار وغرق منها فى بحار وهزه الشوق الى محبوبته فأفاض دمع العين وأنشد هذين البيتين

ترى هل لنا بعد البعاد وصول * فاشكو اليكم صبوتى وأقول
تذكرتكم والليل ناء صباحه * وأسهر تمونى والانام غفول

فلما فرغ من شعره بكى بكاء شديدا وبكى معه عزيز وتذكر ابنة عمه ولازالا يبكيان الى أن أصبح الصباح ثم قام تاج الملوك ودخل على والدته وهو لابس أهبة السفر فسألته عن حاله فأخبرها بحقيقة الامر فأعطته خمسين ألف دينار ثم ودعته وخرج من عندها ودعت له بالسلامة والاجتماع بالاحباب ثم دخل على والده واستأذنه أن يرحل فأذن له وأعطاه خمسين ألف دينار وأمر أن تضرب له خيمة فى خارج المدينة فضربت له خيمة عظيمة وأقاموا فيها يومين ثم سافروا واستأنس تاج الملوك بعزيز وقال له يا أخى أنا ما بقيت أطيق أن أفارقك فقال عزيز وأنا الآخر كذلك وأحب أن أموت تحت رجليك ولكن يا أخى قلبى اشتغل بوالدتى فقال له تاج الملوك لما نبلغ المرام لا يكون الا خير وكان الوزير قد وصى تاج الملوك بالاصطبار وصار عزيز ينشد له الاشعار ويحدثه بالتواريخ والاخبار ولم يزالوا سائرين بالليل والنهار مدة شهرين فطالت الطريق على تاج الملوك واشتد عليه الغرام وزاد به الوجد والهيام فلما قربوا من المدينة فرح تاج الملوك غاية الفرح * وزال عنه الهم والترح * ثم دخلوها وهم فى هيئة التجار وابن الملك فى زى تاجر ثم أتوا الى مكان يعرف بمنزل التجار وهو خان عظيم فقال تاج الملوك لعزيز أهذا منزل التجار قال عزيز لكنه غير الخان الذى كنت نزلت فيه أنا والقافلة التى كنت معه الا أنه أحسن منه فأناخوا فيه مطيهم وحطوا رحالهم وخزنوا أمتعتهم فى المخازن وأقاموا للراحة أربعة أيام ثم ان الوزير أشار عليهم أن يكروا لهم دارا كبيرة فأجابوه واكتروا لهم دارا متسعة معدة للافراح فنزلوا فيها وأقام الوزير وعزيز يدبران فى حيلة من أجل تاج الملوك وصار تاج الملوك متحيرا لا يدرى ماذا يفعل ولم يجد له حيلة غير أنه يفتح له دكانا للتجارة فى سوق البز ثم ان الوزير أقبل على تاج الملوك وعزيز وقال لهما اعلما أنه ان كان مقامنا على هذه الحالة فاننا لا نبلغ مرادنا ولا نحصل مطلوبنا وقد خطر ببالى شئ ولعله فيه الصلاح ان شاء الله فقال له تاج الملوك وعزيز افعل ما بدا لك فان المشايخ فيهم البركة لا سيما وأنت قد مارست الامور فأشر علينا بما خطر ببالك فقال لتاج الملوك الرأى أننا نكترى لك دكانا فى سوق البز وتقعد فيها للبيع والشراء لان كل واحد من الخاص والعام يحتاج الى البز واذا قعدت فى تلك الدكان تنصلح أمرك ان شاء الله تعالى خصوصا وصورتك جميلة ولكن اجعل عزيزا أمينا عندك واجعله فى داخل الدكان لينا ولك الاقمشة فلما سمع تاج الملوك ذلك الكلام قال ان هذا رأى سديد فعند ذلك أخرج تاج الملوك بدلة تجارية ولبسها وقام يمشى وغلمانه خلفه وأعطى لاحدهم ألف دينار معه ليقضى بها مصالح الدكان ومازالوا سائرين الى أن وصلوا الى سوق البز فلما رأت التجار تاج الملوك وشاهدوا حسنه وجماله تحيرت عقولهم وصاروا يقولون هل رضوان فتح أبواب الجنان وسها عنها فخرج هذا الشاب البديع الحسن وبعضهم يقول لعل هذا من الملائكة فلما دخلوا عند التجار سألوا عن دكان شيخ السوق فدلوهم عليه فتوجهوا اليه فلما

قربوا

قربوا منه قام اليهم هو ومن عنده من التجار وعظموهم خصوصا الوزير لاجل فانهم رأوه رجلا كبيرا مهابا ومعه تاج الملوك وعزيز فقال التجار لبعضهم لاشك أن هذا الشيخ والدهذين الغلامين فقال لهم الوزير من شيخ السوق فيكم فقالوا ها هو فنظر اليه الوزير وتأمله فرآه رجلا كبيرا صاحب هيبة ووقار وخدم وغلمان ثم ان شيخ السوق حياهم تحية الاحباب وبالغ فى اكرامهم وأجلسهم جنبه وقال لهم هل لكم حاجة نفوز بقضائها فقال الوزير نعم انى رجل كبير طاعن فى السن ومعى هذان الغلامان وسافرت بهما سائر الاقاليم والبلاد وما دخلت بلدة الا أقمت بها سنة كاملة حتى يتفرج عليها و يعرف أهلها وانى قد أتيت بلدكم هذه واخترت المقام فيها وأشتهى منك دكانا تسكون من أحسن المواضع حتى أجلسهما فيها ليتاجرا و يتفرجا على هذه المدينة و يتخلقا بأخلاق أهلها و يتعلما البيع والشراء والاخذ والعطاء فقال شيخ السوق لا بأس بذلك ثم نظر الى الولدين وفرح بهما وأحبهما حبا زائدا وكان شيخ السوق مغرما بفاتك اللحظات * ويغلب حب البنين على البنات * ويميل الى الحموضة فقال فى نفسه سبحان خالقهما ومصورهما من ماء مهين ثم قام واقفا فى خدمتهما كالغلام بين أيديهما وبعد ذلك سعى وهيأ لهما الدكان وكانت فى وسط السوق ولم يكن أكبر منها ولا أوجه منها عندهم لانها كانت متسعة مزخرفة فيها رفوف من عاج وآبنوس ثم سلم المفاتيح للوزير وهو فى صفة تاجر وقال جعلها الله مباركة على ولدك فلما أخذ الوزير مفاتيح الدكان توجه اليها هو والغلمان ووضعوا فيها أمتعتهم وأمر واغلمانهم أن ينقلوا اليها جميع ما عندهم من البضائع والقماش * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثلاثون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير لما أخذ مفاتيح الدكان توجه اليها هو والغلمان ووضعوا فيها أمتعتهم وأمر واغلمانهم أن ينقلوا اليها جميع ما عندهم من البضائع والقماش والتحف وكان ذلك شيأ يساوى خزائن مال فنقلوا جميع ذلك الى الدكان وباتوا تلك الليلة فلما أصبح الصباح أخذهما الوزير ودخل بهما الحمام فلما دخلوا الحمام تنظفوا وأخذوا غاية حظهم وكان كل من الغلامين ذا جمال باهر * فصارا فى الحمام على حد قول الشاعر

بشرى لقيمه اذ لامست يده * جسما تولد بين الماء والنور
ما زال يظهر لطفا من صناعته * حتى جنى المسك من تمثال كافور

ثم خرجا من الحمام وكان شيخ السوق لما سمع بدخولهما الحمام قعد فى انتظارهما واذا بهما قد أقبلا وهما كالغزالين وقد احمرت خدودهما واسودت عيونهما ولمعت أبدانهما غصنان مثمران * أو قمران زاهيان * فقال لهما يا أولادى حماكما نعيم دائم فقال تاج الملوك يا عذب كلام ليتك كنت معنا ثم ان الاثنين قبلا يديه ومشيا قدامه حتى وصلا الى الدكان تعظيما له لانه كبير السوق وقد أحسن اليهما باعطائهما الدكان فلما رأى أردافهما فى ارتجاج زاد به الوجد وهاج * وشهق ونخر ولم يبق له مصطبر * فأحدق بهما العينين وأنشد هذين البيتين

يطالع القلب باب الاختصاص به * وليس يقرأ فيه مبحث الشركه
لا غرو فى كونه يرتج من ثقل * فكم لذا الفلك الدوار من حركه

فلما سمعا منه هذا الشعر أقسما عليه أن يدخل معهما الحمام ثانيا وكانا قد تركا الوزير داخل الحمام فلما دخل معهما شيخ السوق الحمام ثانى مرة سمع الوزير بدخوله فخرج اليه من الخلوة واجتمع به فى وسط الحمام وعزم عليه فامتنع فأمسك باحدى يديه تاج الملوك وبيده الاخرى عزيز ودخلا به خلوة أخرى فانقاد لهما ذلك الشيخ الخبيث فحلف تاج الملوك أن لا يحميه غيره وحلف عزيز أن لا يصب عليه الماء غيره فقال له الوزير انهما أولادك فقال شيخ السوق أبقاهما الله لك لقد حللت فى مدينتنا البركة والسعود بقدومكم وقدوم أتباعكم ثم أنشد هذين البيتين

أقبلت فاخضرت لدينا الربا * وقد زهت بالزهر للمجتلى
ونادت الارض ومن فوقها * أهلا وسهلا بك من مقبل

فشكروه على ذلك وما زال تاج الملوك يحميه وعزيز يصب عليه الماء وهو يظن أن روحه فى الجنة حتى أتما خدمته فدعا لهما وجلس جنب الوزير على أنه يتحدث معه ولكن معظم قصده النظر الى تاج الملوك وعزيز ثم بعد ذلك جاءت لهم الغلمان بالمناشف فتنشفوا ولبسوا خوانجهم ثم خرجوا من الحمام فاقبل الوزير على شيخ السوق وقال له يا سيدى ان الحمام نعيم الدنيا فقال شيخ السوق جعله الله لك ولاولادك عافية وكفاهما الله شر العين فهل تحفظون شيأ مما قالته البلغاء فى الحمام فقال تاج الملوك أنا أنشد لك بيتين وهما

ان عيش الحمام أطيب عيش * غير أن المقام فيه قليل
جنة تكره الاقامة فيها * وجحيم يطيب فيه الدخول

فلما فرغ تاج الملوك من شعره قال عزيز وأنا أحفظ فى الحمام شيأ فقال شيخ السوق أسمعنى اياه فأنشد هذين البيتين

وبيت له من جلد الصخر أزهار * أنيق اذا ما أضرمت حوله النار
تراه جحيما وهو فى الحق جنة * وأكثر ما فيها شموس وأقمار

فلما فرغ عزيز من شعره تعجب شيخ السوق من صباحتهما وفصاحتهما وقال لهما والله لقد حزتما الفصاحة والملاحة فاسمعا أنتما منى ثم أطرب بالنغمات * وأنشد هذه الابيات

ياحسن نار والنعيم عذابها * تحيا بها الارواح والابدان
فاعجب لبيت لا يزال نعيمه * غضا وتوقد تحته النيران
عيش السرور لمن ألم به وقد * سفحت عليه دموعها الغدران

ثم سرح فى رياض حسنهما نظر العين * وأنشد هذين البيتين

وافيت منزله فلم أر حاجبا * الا ويلقانى بوجه ضاحك
ودخلت جنته وزرت نعيمه * فشكرت رضوانا ورأفة مالك

فلما سمعوا ذلك تعجبوا من هذه الابيات ثم ان شيخ السوق عزم عليهم فامتنعوا ومضوا الى منزلهم ليستريحوا من تعب الحمام ثم أكلوا وشربوا وباتوا تلك الليلة فى منزلهم فى أتم ما يكون من الحظ والسرور فلما أصبح الصباح قاموا من نومهم وتوضؤا وصلوا فرضهم واضطجعوا ولما طلع النهار وفتحت الدكاكين والاسواق خرجوا من المنزل وتوجهوا الى السوق وفتحوا الدكان وكان الغلمان قد هيؤها أحسن هيئة وفرشوها بالبسط الحرير ووضعوا فيها مرتبتين كل

واحدة

واحدة منهما تساوى مائة دينار وجعلوا فوق كل مرتبة قطعا ملوكيا دائرة من الذهب فجلس تاج الملوك على مرتبة وجلس عزيز على الاخرى وجلس الوزير فى وسط الدكان ووقف الغلمان بين أيديهم وتسامعت بهم الناس فازدحموا عليهم وباعوا بعض أقمشتهم وشاع ذكر تاج الملوك فى المدينة واشتهر فيها خبر حسنه وجماله ثم أقاموا على ذلك أياما وفى كل يوم تهرع الناس اليهم فأقبل الوزير على تاج الملوك وأوصاه بكتمان أمره وأوصى عليه عزيزا ومضى الى الدار ليدبر أمرا يعود نفعه عليهم وصار تاج الملوك وعزيز يتحادثان وصار تاج الملوك يقول عسى أن يجىء أحد من عند السيدة دنيا ومازال تاج الملوك على ذلك أياما وليالى وهو لا ينام وقد تمكن منه الغرام * وزاد به الخبول والاسقام * حتى حرم لذيذ المنام * وامتنع من الشراب والطعام وكان كالبدر فى تمامه فبينما تاج الملوك جالس واذا بعجوز أقبلت عليه وأدرك شهرزاد الصباح * فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثلاثون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير دندان قال لضوء المكان فبينما تاج الملوك جالس واذا بعجوز أقبلت عليه * وتقدمت اليه * وخلفها جاريتان ومازالت ماشية حتى وقفت على دكان تاج الملوك فرأت قده واعتداله وحسنه وجماله فتعجبت من ملاحته ورشحت فى سراويلها ثم قالت سبحان من خلقك من ماء مهين * سبحان من جعلك فتنة للعالمين * ولم تزل تتأمل فيه وتقول ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم ثم دنت منه وسلمت عليه فرد عليها السلام وقام لها واقفا على الاقدام وتبسم فى وجهها هذا كله باشارة عزيز ثم أجلسها الى جانبه وصار يروح عليها الى أن استراحت ثم ان العجوز قالت لتاج الملوك يا ولدى يا كامل الاوصاف والمعانى هل أنت من هذه الديار فقال تاج الملوك بكلام فصيح عذب مليح والله يا سيدتى عمرى ما دخلت هذه الديار الا هذه المرة ولا أقمت فيها الا على سبيل الفرجة فقالت لك الاكرام من قادم على الرحب والسعة ما الذى جئت به معك من القماش فأرنى شيأ مليحا فان المليح لا يحمل الا المليح فلما سمع تاج الملوك كلامها خفق فؤاده ولم يفهم معنى كلامها فغمزه عزيز بالاشارة فقال لها تاج الملوك عندى كل ما تشتهين من الشئ الذى لا يصلح الا للملوك وبنات الملوك فلمن تريدين حتى أقلب عليك ما يصلح لاربابه وأراد بذلك الكلام أن يفهم معنى كلامها فقالت له أريد قماشا يصلح للسيدة دنيا بنت الملك شهرمان فلما سمع تاج الملوك ذكر محبوبته فرح فرحا شديدا وقال لعزيز ائتنى بأفخر ما عندك من البضاعة فأتاه عزيز بقجة وحلها بين يديه فقال لها تاج الملوك اختارى ما يصلح لها فان هذا شئ لا يوجد عند غيرى فاختارت العجوز شيأ يساوى ألف دينار وقالت بكم هذا وصارت تحدثه وتحدث بين أفخاذها بكاوة يدها فقال لها وهل أساوم مثلك فى هذا الشئ الحقير الحمد لله الذى عرفنى بك فقالت له العجوز أعوذ وجهك المليح برب الفلق ان وجهك مليح وفعلك مليح هنيأ لمن تنام فى حضنك وتضم قوامك الرجيح * وتحظى بوجهك الصبيح * وخصوصا اذا كانت صاحبة حسن مثلك فضحك تاج الملوك حتى استلقى على قفاه ثم قال ياقاضى الحاجات * على أيدى المحاويج الفاجرات * فقالت له يا ولدى ما الاسم قال اسمى تاج الملوك فقالت ان هذا الاسم من اسماء الملوك ولكنك فى زى التجار فقال لها عزيز من محبته عند أهله ومعزته عليهم سموه بهذا الاسم فقالت العجوز

صدقت كفاكم الله شر الحساد * ولوفتت عجاستكم الاكباد * ثم أخذت القماش ومضت وهى باهتة فى حسنه وجماله * وقده واعتداله * ولم تزل ماشية حتى دخلت على السيدة دنيا وقالت لها ياسيدتى جئت لك بقماش مليح فقالت لها أرينى اياه فقالت ياسيدتى ها هو فقلبته وانظر به فلما رأته السيدة دنيا قالت لها يادادتى ان هذا القماش مليح ما رأيته فى مدينتنا فقالت العجوز ياسيدتى ان بائعه أحسن منه كأن رضوان فتح أبواب الجنان وسها فخرج منها التاجر الذى يبيع هذا القماش وأنا أشتهى فى هذه الليلة أن يكون عندك وينام بين نهودك فانه فتنة لمن يراه وقد جاء مدينتنا بهذه الاقمشة لاجل الفرجة فضحكت السيدة دنيا من كلام العجوز وقالت أخزاك الله يا عجوز النحس انك خرفت ولم يبق لك عقل ثم قالت هاتى القماش حتى أبصره جيدا فناولتها اياه فنظرته ثانيا فرأته شيأ قليلا وثمنه كثير وتعجبت من حسن ذلك القماش لانها ما رأت فى عمرها مثله فقالت لها العجوز ياسيدتى فلو رأيت صاحبه لعرفت أنه أحسن من يكون على وجه الارض فقالت لها السيدة دنيا هل سألتيه ان كان له حاجة يعلمنا بها فنقضيها له فقالت العجوز وقد هزت رأسها حفظ الله فراستك والله ان له حاجة وهل أحد يخلو من حاجة فقالت لها السيدة دنيا اذهبى اليه وسلمى عليه وقولى له شرفت بقدومك مدينتنا ومهما كان لك من الحوائج قضيناه لك على الرأس والعين فرجعت العجوز الى تاج الملوك فى الوقت فلما رآها طار قلبه من الفرح ونهض لها قائما على قدميه وأخذ يدها وأجلسها الى جانبه فلما جلست واستراحت أخبرته بما قالته السيدة دنيا فلما سمع ذلك فرح غاية الفرح * واتسع صدره وانشرح * وقال فى نفسه قد قضيت حاجتى ثم قال للعجوز لعلك توصلين الينا كتابا من عندى وتأتينى بالجواب فقالت سمعا وطاعة فلما سمع ذلك منها قال لعزيز ائتنى بدواة وقرطاس وقلم من نحاس * فلما أتاه تلك الادوات * كتب هذه الابيات

كتبت اليك ياسؤلى كتابا * بما ألقاه من ألم الفراق
فأول ما أسطر نار قلبى * وثانيه غرامى واشتياقى
وثالثه مضى عمرى وصبرى * ورابعه جميع الوجد باقى
وخامسه متى عينى تراكم * وسادسه متى يوم التلاقى

ثم كتب فى امضائه ان هذا الكتاب من أسير الاشواق * المسجون فى سجن الاشتياق * الذى ليس له اطلاق الا بالوصال * ولو بطيف الخيال * لانه يقاسى ألم العذاب * من فرقة الاحباب * ثم أفاض دمع العين * وكتب هذين البيتين

كتبت اليك والعبرات تجرى * ودمع العين ليس له انقطاع
ولست بائس من فضل ربى * عسى يوم يكون به اجتماع

ثم طوى الكتاب وختمه وأعطاه للعجوز وقال أوصليه الى السيدة دنيا فقالت سمعا وطاعة ثم أعطاها ألف دينار وقال اقبلى هذه منى هدية فأخذتها وانصرفت داعية له ولم تزل ماشية حتى دخلت على السيدة دنيا فلما رأتها قالت لها يادادتى أى شئ طلب من الحوائج حتى نقضيه له فقالت لها ياسيدتى قد أرسل معى كتابا ولا أعلم بما فيه ثم ناولتها الكتاب فأخذته وقرأته وفهمت معناه ثم قالت من أين الى أين حتى يراسلنى هذا التاجر ويكاتبنى ثم لطمت وجهها وقالت لولا

خوفى

نحوك من الله تعالى لصلبته على دكانه فقالت العجوز وأى شئ فى هذا الكتاب حتى أزعج قلبك هل فيه شكاية مظلمة أو فيه طلب ثمن القماش فقالت لها ويلك مافيه ذلك ومافيه الا عشق ومحبة وهذا كله منك والا فمن أين يتوصل هذا الشيطان الى هذا الكلام فقالت لها العجوز ياسيدتى أنت قاعدة فى قصرك العالى ومايصل اليك أحد ولا الطير الطائر سلامتك من اللوم والعتاب * وماعليك من نباح الكلاب * فلا تؤاخذينى حيث أتيتك بهذا الكتاب ولا أعلم مافيه ولكن الرأى أن نرد الى الجواب وتهدديه فيه بالقتل وتنهيه عن هذا الهذيان فانه ينتهى ولا يعود فقالت السيدة دنيا أخاف أن أكاتبه فيطمع فقالت العجوز انه اذا سمع التهديد والوعيد رجع عما هو فيه فقالت على بدواة وقرطاس * وقلم من نحاس * فلما أحضروا لها تلك الادوات * كتبت هذه الابيات

يامدعى الحب والبلوى مع السهر * ومايلاقيه من وجد ومن فكر
أتطلب الوصل يامغرور من قمر * وهل ينال المنى شخص من القمر
انى نهضتك عما أنت طالبه * فاقصر فانك فى هذا على خطر
وان رجعت الى هذا الكلام فقد * أتاك منى عذاب زائد الضرر
وحق من خلق الانسان من علق * ومن أنار ضياء الشمس والقمر
لئن رجعت الى ماأنت ذاكره * لأصلبنك فى جذع من الشجر

ثم طوت الكتاب وأعطته للعجوز وقالت لها أعطيه له وقولى له كف عن هذا الكلام فقالت لها سمعا وطاعة ثم أخذت الكتاب وهى فرحانة ومضت الى منزلها وباتت فى بيتها فلما أصبح الصباح توجهت الى دكان تاج الملوك فوجدته فى انتظارها فلما رآها كاد أن يطير من الفرح فلما قربت منه نهض اليها قائما وأقعدها بجانبه فأخرجت له الورقة وناولته اياها وقالت له اقرأ مافيها ثم قالت له ان السيدة دنيا لما قرأت كتابك اغتاظت ولكننى لاطفتها ومازحتها حتى أضحكتها ورقت لك وردت لك الجواب فشكرها تاج الملوك على ذلك وأمر عزيزا أن يعطيها ألف دينار ثم انه قرأ الكتاب وفهمه وبكى بكاء شديدا فرق له قلب العجوز وعظم عليها بكاؤه وشكواه ثم قالت له ياولدى وأى شئ فى هذه الورقة حتى أبكاك فقال لها انها تهددنى بالقتل والصلب وتنهانى عن مراسلتها وان لم أراسلها يكون موتى خيرا من حياتى فخذى جواب كتابها ودعيها تفعل ماتريد فقالت له العجوز وحياة شبابك لابد أنى أخاطر معك بروحى وأبلغك مرادك وأوصلك الى مافى خاطرك فقال لها تاج الملوك كل ماتفعلينه أجازيك عليه ويكون فى ميزانك فانك خبيرة بالسياسة * وعارفة بأبواب الدناسة * وكل عسير عليك يسير والله على كل شئ قدير * ثم أخذ ورقة وكتب فيها هذه الابيات

أمست تهددنى بالقتل واحربى * والقتل لى راحة والموت مقدور
والموت أغنى لصب أن تطول به * حياته وهو ممنوع ومقهور
بالله زوروا محبا قل ناصره * فاننى عبدكم والعبد مأسور
ياسادتى فارحمونى فى محبتكم * فكل من يعشق الاحرار معذور

ثم انه تنفس الصعداء وبكى حتى بكت العجوز و بعد ذلك أخذت الورقة منه وقالت له طب نفسا

وقرّ عينا فلا بدّ أن أبلغك مقصودك * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح
* فلما كانت الليلة الرابعة والثلاثون بعد المائة * قالت بلغني أيها الملك السعيد أن تاج الملوك
لما بكى قالت له العجوز طب نفسا وقرّ عينا فلا بدّ أن أبلغك مقصودك ثم قامت وتركته على
النار وتوجهت الى السيدة دنيا فرأتها متغيرة اللون من غيظها بمكتوب تاج الملوك فناولتها
الكتاب فازدادت غيظا وقالت للعجوز أما قلت لك انه يطمع فينا فقالت لها وأى شئ هذا
الكتاب حتى يطمع فيك فقالت لها السيدة دنيا اذهبي اليه وقولي له ان راسلتها بعد ذلك
ضربت عنقك فقالت لها العجوز اكتبي له هذا الكلام في مكتوب وأنا آخذ المكتوب معي
لاجل أن يزداد خوفه فأخذت ورقة وكتبت فيها هذه الابيات

أيا غافلا عن حادثات الطوارق * وليس الى نيل الوصال بسابق
أتزعم يا مغرور أن تدرك السها * وما أنت للبدر المنير بلاحق
فكيف ترجينا وتأمل وصلنا * لتحظى بضم للقدود الرواشق
فدع عنك هذا القصد خيفة سطوتي * بيوم عبوس فيه شيب المفارق

ثم طوت الكتاب وناولته للعجوز فأخذته وانطلقت به الى تاج الملوك فلما رآها قام على قدميه
وقال لا أعدمني الله بركة قدومك فقالت له العجوز خذ جواب مكتوبك فأخذ الورقة وقرأها
وبكى بكاء شديدا وقال اني أشتهي من يقتلني الآن فان القتل أهون عليّ من هذا الامر الذي
أنا فيه ثم أخذ دواة وقلما وقرطاسا وكتب مكتوبا ورقم فيه هذين البيتين

فيا منيتي لا تتبعي الهجر والجفا * فاني محبّ في المحبة غارق
ولا تحسبيني في الحياة مع الجفا * فروحي من بعد الاحبة طالق

ثم طوى الكتاب وأعطاه للعجوز وقال لها قد أتعبتك بدون فائدة وأمر عزيز أن يدفع لها ألف
دينار وقال لها يا أمي ان هذه الورقة لا بدّ أن يعقبها كمال الاتصال * أو كمال الانفصال * فقالت
له يا ولدي والله ما أشتهي لك الا الخير ومرادي أن تكون عندك فانك أنت القمر صاحب
الانوار الساطعة * وهي الشمس الطالعة * وان لم أجمع بينكما فليس في حياتي فائدة وأنا قد
قطعت عمري في المكر والخداع حتى بلغت التسعين من الاعوام * فكيف أعجز عن الجمع بين
اثنين في الحرام * ثم ودّعته وطيبت قلبه وانصرفت ولم تزل تمشي حتى دخلت على السيدة دنيا
وقد أخفت الورقة في شعرها فلما جلست عندها حكت رأسها وقالت يا سيدتي عسى أن تفلي
شوشتي فان لي زمانا ما دخلت الحمام فكشفت السيدة دنيا عن مرفقيها وحلت شعر العجوز
وصارت تفلي شوشتها فسقطت الورقة من رأسها فرأتها السيدة دنيا فقالت ما هذه الورقة
فقالت كأني قعدت على دكان التاجر فتعلقت معي هذه الورقة ها تيها حتى أوديها له ففتحتها
السيدة دنيا وقرأتها وفهمت ما فيها وقالت للعجوز هذه حيلة منك ولولا أنك ربيتني لبطشت
بك في هذا الوقت وقد بلاني الله بهذا التاجر وكل ما جرى لي منه من تحت رأسك وما أدري من
أي أرض جاء ناهذا ولا يقدر أحد من الناس أن يتجاسر على غيره وأنا أخاف أن ينكشف
أمري وخصوصا في رجل ما هو من جنسي ولا من أقراني فأقبلت العجوز عليها وقالت لا يقدر
أحد أن يتكلم بهذا الكلام خوفا من سطوتك وهيبة أسك ولا بأس أن تردي له الجواب فقالت

يا دادتي

يا دادى ان هذا الشيطان كيف تجاسر على هذا الكلام ولم يخف من سطوة السلطان وقد تحيرت فى أمره فان أمرت بقتله فليس بصواب وان تركته ازداد فى تجاسره فقالت لها العجوز اكتبى له كتابا لعله ينزجر فطلبت ورقة ودواة وقلما وكتبت له هذه الابيات

طال العتاب وفرط الجهل أغراكا * فكم بخط يدى فى الشعر أنهاكا
وأنت تزداد عند النهى فى طمع * ولست الا بكتم السر أرضاكا
اكتم هواك ولا تجهر به أبدا * وان نطقت فانى لست أرعاكا
وان رجعت الى ما أنت تذكره * فقد أتاك غراب البين ينعاكا
وعن قليل يكون الموت مندفعا * عليك والدفن تحت الارض مثواكا
وتترك الاهل يا مغرور فى ندم * ومن سيوف الهوى قد شط منحاكا

ثم طوت الورقة ودفعتها للعجوز فأخذتها وتوجهت الى تاج الملوك فأعطتها له فلما قرأها علم أنها قاسية القلب وأنه لا يصل اليها فشكا أمره الى الوزير وطلب منه حسن التدبير * فقال الوزير اعلم أنه ما بقى شئ يفيد فيها غير أنك تكتب لها كتابا وتدعو عليها فيه فقال يا أخى يا عزيز اكتب لها عن لسانى مثل ما تعرف فأخذ عزيز ورقة وكتب هذه الابيات

يارب بالخمسة الاشياخ تقسدنى * ومن بليت به فاجعله فى شجنى
فأنت تعلم أنى فى جوى لهب * وقد جفانى حبيب ليس يرحمنى
فكم أرق لها فيما بليت به * وكم تجور على ضعفى وتظلمنى
أهيم فى غمرات لا انقضاء لها * ولا أرى مسعفا يارب يسعفنى
وكم أروم سلوا فى محبتها * وكيف أسلو وصبرى فى الغرام فنى
يا مانعى فى الهوى طيب الوصال فهل * أمنت من نائبات الدهر والمحن
ألست فى عيشة مسرورة وأنا * مغرب فيك عن أهلى وعن وطنى

ثم ان عزيزا طوى الكتاب وناوله لتاج الملوك فلما قرأه أعجبه فختمه ثم ناوله للعجوز فأخذته العجوز وتوجهت به الى أن دخلت على السيدة دنيا فناولتها اياه فلما قرأته وفهمت مضمونه اغتاظت غيظا شديدا وقالت كل الذى جرى لى من تحت رأس هذه العجوز النحس فصاحت على الجوارى والخدم وقالت أمسكوا هذه العجوز الماكرة واضربوها بنعالكم فنزلوا عليها ضربا بالنعال حتى غشى عليها فلما أفاقت قالت لها والله يا عجوز السوء لولا خوفى من الله تعالى لقتلتك ثم قالت لهم أعيدوا عليها الضرب فضربوها حتى غشى عليها ثم أمرتهم أن يجروها ويرموها خارج الباب فسحبوها على وجهها ورموها قدام الباب فلما أفاقت قامت تمشى وتقعد حتى وصلت الى منزلها وصبرت الى الصباح ثم قامت وتمشت حتى أتت الى تاج الملوك وأخبرته بجميع ما جرى لها فصعب عليه ذلك وقال لها يعز علينا يا أمى ما جرى لك ولكن كل شئ بقضاء وقدر فقالت له طب نفسا وقر عينا فانى لا أزال أسعى حتى أجمع بينك وبينها وأوصلك الى هذه العاهرة التى أحرقتنى بالضرب فقال لها تاج الملوك أخبرينى ما سبب بغضها للرجال فقالت لانها رأت منا ما أوجب ذلك فقال لها وما ذلك المنام فقالت انها كانت نائمة ذات ليلة فرأت صيادا نصب شركا فى الارض وبدر حوله فمعا ثم جلس قريبا منه فلم يبق شئ من الطيور الا وقد

أتى الى ذلك الشرك ورأت فى الطيور حمامتين ذكرا وأنثى فبينما هى تنظر الى الشرك واذا
بزجل الذكر تعلقت فى الشرك وصار يختبط ففرت عنه جميع الطيور وفرت فرجعت اليه
امرأته وحامت عليه ثم تقدمت الى الشرك والصياد غافل فصارت تنقر العين التى فيها رجل
الذكر وصارت تجذبه بمنقارها حتى خلصت رجله من الشرك وطارت هى واياه فجاء بعد ذلك
الصياد وأصلح الشرك وقعد بعيدا عنه فلم يمض غير ساعة حتى نزلت الطيور وعلق الشرك
فى الانثى ففرت عنها جميع الطيور ومن جملتها الطير الذكر ولم يعد لانثاه فجاء الصياد وأخذ
الطير الانثى وذبحها فانتبهت مرعوبة من منامها وقالت كل ذكر مثل هذا ما فيه خير والرجال
جميعهم ما عندهم خير للنساء فلما فرغت من حديثها لتاج الملوك قال لها يا أمى أريد أن أنظر
اليها نظرة واحدة ولو كان فى ذلك مماتى فتحيلى لى بحيلة حتى أنظر اليها فقالت اعلم أن لها
بستانا تحت قصرها وهو برسم فرجتها وانها تخرج اليه فى كل شهر مرة من باب السر وتقعد
فيه عشرة أيام وقد جاء أوان خروجها الى الفرجة فاذا أرادت الخروج أجىء اليك وأعلمك حتى
تخرج وتصادفها واحرص على أنك لا تفارق البستان فلعلها اذا رأت حسنك وجمالك يتعلق
قلبها بمحبتك فان المحبة أعظم أسباب الاجتماع فقال سمعا وطاعة ثم قام من الدكان هو وعزيز
وأخذا معهما العجوز ومضيا الى منزلهما وعرفاه لها ثم ان تاج الملوك قال لعزيز يا أخى ليس لى
حاجة بالدكان وقد قضيت حاجتى منها ووهبتها لك بجميع ما فيها لانك تغربت معى وفارقت
بلادك فقبل عزيز منه ذلك ثم جلسا يتحدثان وصار تاج الملوك يسأله عن غريب أحواله
وما جرى له وصار هو يخبره بما حصل له وبعد ذلك أقبلا على الوزير وأعلماه بما عزم عليه تاج
الملوك وقالا له كيف العمل فقال قوموا بنا الى البستان فليس كل واحد منهم أخر ما عنده
وخرجوا وخلفهم ثلاثة مماليك وتوجهوا الى البستان فرأوه كثير الاشجار * غزير الانهار *
ورأوا الخولى جالسا على الباب فسلموا عليه فرد عليهم السلام فناوله الوزير مائة دينار وقال
أشتهى أن تأخذ هذه النفقة وتشترى لنا شيأ نأكله فاننا غرباء ومعى هؤلاء الاولاد وأردت
أن أفرجهم فأخذ البستانى الدنانير وقال لهم ادخلوا وتفرجوا وجميعه ملككم واجلسوا حتى
أحضر لكم بما تأكلون ثم توجه الى السوق ودخل الوزير وتاج الملوك وعزيز داخل البستان
بعد أن ذهب البستانى الى السوق ثم بعد ساعة أتى ومعه خروف مشوى ووضعه بين أيديهم
فأكلوا وغسلوا أيديهم وجلسوا يتحدثون فقال الوزير أخبرنى عن هذا البستان هل هو لك أم
أنت مستأجره فقال الشيخ ما هو لى وانما هو لبنت الملك السيدة دنيا فقال الوزير كم لك فى كل
شهر من الأجرة فقال دينار واحد لا غير فتأمل الوزير فى البستان فرأى هناك قصرا عاليا الا
أنه عتيق فقال الوزير يا شيخ أريد أن أعمل هنا خيرا تذكرنى به فقال وما تريد أن تفعل من الخير
فقال خذ هذه الثلثمائة دينار فلما سمع الخولى بذكر الذهب قال يا سيدى مهما شئت فافعل ثم
أخذ الدنانير فقال له ان شاء الله تعالى نفعل فى هذا المحل خيرا ثم خرجوا من عنده وتوجهوا الى
منزلهم وباتوا تلك الليلة فلما كان من الغد أحضر الوزير مبيضا ونقاشا وصائغا جيدا وأحضر
لهم جميع ما يحتاجون اليه من الآلات ودخل بهم البستان وأمرهم ببياض ذلك القصر
وزخرفته بأنواع النقش ثم أمر باحضار الذهب واللازورد وقال للنقاش اعمل فى صدر هذا

الايوان

الايوان صورة آدمى صياد كأنه نصب شركه وقد وقعت فيه حمامة واشتبكت بمنقارها فى الشرك فلما نقش النقاش جانبا وفرغ من نقشه قال له الوزير افعل فى الجانب الآخر مثل الاول وصور صورة الحمامة فى الشرك وأن الصياد أخذها ووضع السكين على رقبتها واعمل فى الجانب الآخر صورة جارح كبير قد قنص ذكر الحمام وأنشب فيه مخالبه ففعل ذلك فلما فرغ من هذه الاشياء التى ذكرها الوزير ودّعوا البستانى ثم توجهوا الى منزلهم وجلسوا يتحدثون فقال تاج الملوك لعزيز يا أخى أنشدنى بعض الاشعار لعل صدرى ينشرح وتزول عنى هذه الافكار * أر بيرد ما بلقلبي من لهيب النار * فعند ذلك أطرب عزيز بالنغمات * وأنشد هذه الابيات

جميع ماقاست العشاق من كمد * حويته مفردا حتى وهي جلدى
وان تردموردا من أدمعى اتسعت * للواردين بحار الدمع فى مدد
وان ترد تنظر العشاق ماصنعت * أيدى الغرام بهم فانظر الى جسدي

ثم أفاض العبرات وأنشد هذه الابيات

من كان لا يعشق الاجياد والخدقا * ثم ادّعى لذة الدنيا فما صدقا
فان فى العشق معنى ليس يدركه * من البرية الا كل من عشقا
لاخفف الله عن قلبي صبابته * بمن هويت ولا عن جفنى الارقا

ثم أطرب بالنغمات * وأنشد هذه الابيات

زعم ابن سينا فى أصول كلامه * أن المحب دواؤه الاحسان
ووصال مثل حبيبه من جنسه * والنقل والمشروب والبستان
فحببت غيرك للتداوى مرة * وأعانني المقدور والامكان
فعلمت أن الحب داء قاتل * فيه ابن سينا طبه هذيان

فلما فرغ عزيز من شعره تعجب تاج الملوك من فصاحته * وحسن روايته * وقال له قد أزلت عنى بعض مابى ثم قال له ان كان يحضرك شئ من جنس هذا فاسمعنى ماحضرك من هذا الشعر الرقيق وطول الحديث فأطرب بالنغمات * وأنشد هذه الابيات

قد كنت أحسب أن وصلك يشترى * بكرائم الاموال والاشباح
وظننت جهلا أن حبك هين * تفنى عليه نفائس الارواح
حتى رأيتك تحتمى وتخص من * أحببته بلطائف الامناح
فعلمت أنك لا تنال بحيلة * ولويت رأسى تحت طيّ جناحى
وجعلت فى عش الغرام اقامتى * فيه غدوّى دائما ورواحى

هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر العجوز فانها انقطعت فى بيتها واشتاقت بنت الملك الى الفرجة فى البستان وهى لا تخرج الا بالعجوز فأرسلت اليها وصالحتها وطيبت خاطرها وقالت انى أريد أن أخرج الى البستان لأتفرج على أشجاره وأثماره وينشرح صدرى بأزهاره فقالت لها العجوز سمعا وطاعة ولكن أريد أن أذهب الى بيتى وألبس أثوابى وأحضر عندك فقالت لها اذهبى الى بيتك ولا تتأخرى عنى فخرجت العجوز من عندها

وتوجهت الى تاج الملوك وقالت له تجهز والبس أفخر أثوابك واذهب الى البستان وادخل على البستانى وسلم عليه ثم اختف فى البستان فقال سمعا وطاعة وجعلت بينها وبينه اشارة ثم توجهت الى السيدة دنيا وبعد ذهابها قام الوزير وعزيز وألبسا تاج الملوك بدلة من أفخر ملابس الملوك تساوى خمسة آلاف دينار وشدّ فى وسطه حياصة من الذهب مرصعة بالجواهر والمعادن ثم توجهوا الى البستان فلما وصلوا الى باب البستان وجدوا الخولى جالسا هناك فلما رآه البستانى نهض له على الاقدام * وقابله بالتعظيم والاكرام * وفتح له الباب ونال له ادخل وتفرّج فى البستان ولم يعلم البستانى أن بنت الملك تدخل البستان فى هذا اليوم فلما دخل تاج الملوك لم يلبث الا مقدار ساعة وسمع ضجة فلم يشعر الا والخدم والجوارى خرجوا من باب السر فلما رآهم الخولى ذهب الى تاج الملوك وأعلمه بمجيئها وقال له يا مولاى كيف يكون العمل وقد أتت ابنة الملك السيدة دنيا فقال لا بأس عليك فانى أختفى فى بعض مواضع البستان فأوصاه البستانى بغاية الاختفاء ثم تركه وراح فلما دخلت بنت الملك هى وجواريها والعجوز فى البستان قالت العجوز فى نفسها متى كان الخدم معنا فاننا لا ننال مقصودنا ثم قالت لابنة الملك ياسيدتى انى أقول لك على شئ فيه راحة لقلبك فقالت السيدة دنيا قولى ما عندك فقالت العجوز ياسيدتى ان هؤلاء الخدم لا حاجة لك بهم فى هذا الوقت ولا ينشرح صدرك مادامو امعنا فاصرفيهم عنا فقالت السيدة دنيا صدقت ثم صرفتهم وبعد قليل تمشت فصار تاج الملوك ينظر اليها والى حسنها وجمالها وهى لا تشعر بذلك وكلما نظر اليها يغشى عليه مما رأى من بارع حسنها وصارت العجوز تسارقها فى الحديث الى أن أوصلتها الى القصر الذى أمر الوزير بنقشه ثم دخلت ذلك القصر وتفرّجت على نقشه وأبصرت الطيور والصياد والحمام فقالت سبحان الله ان هذه صفة ما رأيته فى المنام وصارت تنظر الى صور الطيور والصياد والشرك وتتعجب ثم قالت يا دادتى انى كنت ألوم الرجال وأبغضهم ولكن انظرى الصياد كيف ذبح الطير الانثى وتخلص الذكر وأراد أن يجىء الى الانثى ويخلصها فقابله الجارح وافترسه وصارت العجوز تتجاهل عليها وتشاغلها بالحديث الى أن قربا من المكان المختفى فيه تاج الملوك فأشارت اليه العجوز أن يتمشى تحت شبابيك القصر فبينما السيدة دنيا كذلك اذ لاحت منها التفاتة فرأته وتأملت جماله وقده واعتداله ثم قالت يا دادتى من أين هذا الشاب المليح فقالت لا أعلم به غير أنى أظن أنه ولد ملك عظيم فانه بلغ من الحسن النهاية * ومن الجمال الغاية * فهامت به السيدة دنيا وانحلت عرى عزائمها وانبهر عقلها من حسنه وجماله وقده واعتداله وتحركت عليها الشهوة فقالت للعجوز يا دادتى ان هذا الشاب مليح فقالت لها العجوز صدقت ياسيدتى ثم ان العجوز أشارت الى ابن الملك أن يذهب الى بيته وقد التهبت به نار الغرام * وزاد به الوجد والهيام * فسار وودع الخولى وانصرف الى منزله ولم يخالف العجوز وأخبر الوزير وعزيزا بأن العجوز أشارت اليه بالانصراف فصارا يصبرانه ويقولان له لولا أن العجوز تعلم أن فى رجوعك مصلحة ما أشارت عليك به هذا ما كان من أمر تاج الملوك والوزير وعزيز وأما ما كان من أمر بنت الملك السيدة دنيا فانها غلب عليها الغرام * وزاد بها الوجد والهيام * وقالت للعجوز أنا ما أعرف اجتماعى بهذا الشاب الا منك فقالت لها العجوز أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

انت

أنت لا تريدين الرجال * وكيف خلت بك من عشقه الاوجال * ولكن والله ما يصلح لشبابك
الا هو فقالت السيدة دنيا يا دادتى أسعفيني باجتماعي عليه ولك عندى ألف دينار وخلعة
بألف دينار وان لم تسعفيني بوصاله فانى ميتة لا محالة فقالت العجوز امضى أنت الى قصرك وأنا
أتسبب فى اجتماعكما وأبذل روحى فى مرضاتكما ثم ان السيدة دنيا توجهت الى قصرها
وتوجهت العجوز الى تاج الملوك فلما رآها نهض لها على الاقدام * وقابلها باعزاز واكرام
وأجلسها الى جانبه فقالت له ان الحيلة قد تمت وحكت له ما جرى لها مع السيدة دنيا فقال لها
متى يكون الاجتماع قالت فى غد فأعطاها ألف دينار وحلة بألف دينار فأخذتهما وانصرفت
ولا زالت سائرة حتى دخلت على السيدة دنيا فقالت لها يا دادتى ما عندك من خبر الحبيب
فقالت لها قد عرفت مكانه وفى غد أكون به عندك ففرحت السيدة دنيا بذلك وأعطتها ألف
دينار وحلة بألف دينار فأخذتهما وانصرفت الى منزلها وباتت فيه الى الصباح ثم خرجت
وتوجهت الى تاج الملوك وألبسته لبس النساء وقالت له امش خلفى وتمايل فى خطواتك
ولا تستعجل فى مشيك ولا تلتفت الى من يكلمك وبعد أن أوصت تاج الملوك بهذه الوصية
خرجت وخرج خلفها وهو فى زى النسوان وصارت تعلمه فى الطريق حتى لا يفزع ولم تزل ماشية
وهو خلفها حتى وصلا الى باب القصر فدخلت وهو وراءها وصارت تخترق الابواب والدهاليز
الى أن جاوزت به سبعة أبواب ولما وصلت الى الباب السابع قالت لتاج الملوك قوّ قلبك واذا
زعقت عليك وقلت لك يا جارية اعبرى فلا تتوان فى مشيك وهرول فاذا دخلت الدهليز فانظر
الى شمالك ترى ايوانا فيه أبواب فعد خمسة أبواب وادخل الباب السادس فان مرادك فيه
فقال تاج الملوك وأين تروحين أنت فقالت له ما أروح موضعا غير أنى ربما أتأخر عنك وأتحدث
مع الخادم الكبير ثم مشت وهو خلفها حتى وصلت الى الباب الذى فيه الخادم الكبير فرأى
معها تاج الملوك فى صورة جارية فقال لها ما شأن هذه الجارية التى معك فقالت له هذه جارية قد
سمعت السيدة دنيا بأنها تعرف الاشغال وتريد أن تشتريها فقال لها الخادم أنا لا أعرف جارية
ولا غيرها ولا يدخل أحد حتى أفتشه كما أمرنى الملك * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت
عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثلاثون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الحاجب
قال للعجوز أنا لا أعرف جارية ولا غيرها ولا يدخل أحد حتى أفتشه كما أمرنى الملك فقالت له
العجوز وقد أظهرت الغضب أنا أعرف أنك عاقل ومؤدب فان كان حالك قد تغير فانى أعلمها
بذلك وأخبرها أنك تعرضت لجاريتها ثم زعقت على تاج الملوك وقالت له اعبرى يا جارية فعند
ذلك عبر الى داخل الدهليز كما أمرته وسكت الخادم ولم يتكلم ثم ان تاج الملوك عد خمسة أبواب
ودخل الباب السادس فوجد السيدة دنيا واقفة فى انتظاره فلما رأته عرفته فضمته الى صدرها
وضمها الى صدره ثم دخلت العجوز عليهما وتحيلت على صرف الجوارى ثم قالت السيدة دنيا
للعجوز كونى أنت بوابة ثم اختلت هى وتاج الملوك ولم يزالا فى ضم وعناق * والتفاف ساق على
ساق * الى وقت السحر ولما أصبح الصباح أغلقت عليهما الباب ودخلت مقصورة أخرى
وجلست على جرى عادتها وأتت اليها الجوارى فقضت حوائجهن وصارت تحدثهن ثم قالت

للجوارى أخرجن الآن من عندى فانى أريد أن أنشرح وحدى فخرج الجوارى من عندها ثم انها أتت اليهما ومعهما شئ من الاكل فأكلوا وأخذا فى الهراش الى وقت السحر فأغلقت عليهما الباب مثل اليوم الاول ولم يزالوا على ذلك مدة شهر كامل هذا ما كان من أمر تاج الملوك والسيدة دنيا وأما ما كان من أمر الوزير وعزيز فانهما لما توجه تاج الملوك الى قصر بنت الملك ومكث تلك المدة علما أنه لا يخرج منه أبدا وأنه هالك لا محالة فقال عزيز للوزير يا والدى ماذا نصنع فقال الوزير يا ولدى ان هذا الامر مشكل وان لم نرجع الى أبيه ونعلمه فانه يلومنا على ذلك ثم تجهزا فى الوقت والساعة وتوجها الى الارض الخضراء والعمودين وتخت الملك سليمان شاه وسارا يقطعان الاودية فى الليل والنهار الى أن دخلا على الملك سليمان شاه وأخبراه بما جرى لولده وأنه من حين دخل قصر بنت الملك لم يعلموا له خبرا فعند ذلك قامت عليه القيامة واشتدت الندامة وأمر أن ينادى فى مملكته بالجهاد ثم أبرز العساكر الى خارج مدينته ونصب لهم الخيام وجلس فى سرادقه حتى اجتمعت الجيوش من سائر الاقطار وكانت رعيته تحبه لكثرة عدله واحسانه ثم سار فى عسكر سد الافق متوجها فى طلب ولده تاج الملوك هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر تاج الملوك والسيدة دنيا فانهما أقاما على حالهما ذا نصف سنة وهما كل يوم يزداد ان محبة فى بعضهما وزاد على تاج الملوك العشق والهيام * والوجد والغرام حتى أفصح لها عن الضمير وقال لها اعلمى يا حبيبة القلب والفؤاد أنى كلما أقمت عندك ازددت هياما ووجدا وغراما * لانى ما بلغت المرام بالكلية فقالت له وما تريد يا نور عينى وثمرة فؤادى ان شئت غير الضم والعناق * والتفاف الساق على الساق * فافعل الذى يرضيك * وليس لله فينا شريك * فقال ليس مرادى هكذا وانما مرادى أن أخبرك بحقيقتى فاعلمى أنى لست بتاجر بل أنا ملك بن ملك واسم أبى الملك الاعظم سليمان شاه الذى أنفذ الوزير رسولا الى أبيك يخطبك لى فلما بلغك الخبر ما رضيت ثم انه قص عليها قصته من الاول الى الآخر وليس فى الاعادة افادة وأريد الآن أن أتوجه الى أبى ليرسل رسولا الى أبيك ويخطبك منه ونستريح فلما سمعت ذلك الكلام فرحت فرحا شديدا لانه وافق غرضها ثم باتا على هذا الاتفاق واتفق بالامر المقدور أن النوم غلب عليهما فى تلك الليلة من دون الليالى واستمرا الى أن طلعت الشمس وفى ذلك الوقت كان الملك شهرمان جالسا فى دست مملكته وبين يديه أمراء دولته اذ دخل عليه عريف الصياغ وبيده حق كبير فتقدم وفتحه بين يدى الملك وأخرج منه علبة لطيفة تساوى مائة ألف دينار لما فيها من الجواهر والياقيت والزمرذ مما لا يقدر عليه أحد من ملوك الاقطار فلما رآها الملك تعجب من حسنها والتفت الى الخادم الكبير الذى جرى له مع العجوز ما جرى وقال له يا كافور خذ هذه العلبة وامض بها الى السيدة دنيا فأخذها الخادم ومضى حتى وصل الى مقصورة بنت الملك فوجد بابها مغلقا والعجوز نائمة على عتبته فقال الخادم الى هذه الساعة وأنتم نائمون فلما سمعت العجوز كلام الخادم انتبهت من منامها وخافت منه وقالت اصبر حتى آتيك بالمفتاح ثم خرجت على وجهها هاربة هذا ما كان من أمرها وأما ما كان من أمر الخادم فانه عرف أنها مرتابة فخلع الباب ودخل المقصورة فوجد السيدة دنيا معانقة لتاج الملوك وهما نائمان فلما رأى ذلك تحير فى أمره وهم أن يعود الى الملك فانتبهت

السيدة

السيدة دنيا فوجدته فتغيرت واصفر لونها وقالت له يا كافور استر ما ستر الله فقال أنا لا أقدر
أن أخفي شيأ عن الملك ثم أقفل الباب عليهما ورجع الى الملك فقال له الملك هل أعطيت
العلبة لسيدتك فقال له الخادم خذ العلبة ها هي وأنا لا أقدر أن أخفي عنك شيأ اعلم أني
رأيت عند السيدة دنيا شابا جميلا نائما معها في فرش واحد وهما متعانقان فأمر الملك
باحضارهما فلما حضرا بين يديه قال لهما ما هذه الفعال واشتد به الغيظ فأخذ نمشة وهم أن
يضرب تاج الملوك فرمت السيدة دنيا وجهها عليه وقالت لا بيها اقتلني قبله فنهرها الملك
وأمرهم أن يضعوا بها الى حجرتها ثم التفت الى تاج الملوك وقال له ويلك من أين أنت ومن أبوك
وما جسرك على ابنتي فقال تاج الملوك اعلم أيها الملك أنك ان قتلتني هلكت وندمت أنت ومن
في مملكتك فقال له الملك ولم ذلك فقال اعلم أني ابن الملك سليمان شاه وما تدري الا وقد أقبل
عليك بجيشه ورجله فلما سمع الملك شهرمان ذلك الكلام أراد أن يؤخر قتله ويضعه في السجن
حتى ينظر صحة قوله فقال له وزيره يا ملك الزمان الرأي عندي أن تعجل قتل هذا العلق فانه
تجاسر على بنات الملوك فقال للسياف اضرب عنقه فانه خائن فأخذه السياف وشد وثاقه ورفع
يده وشاور الامراء أولا وثانيا وقصد بذلك أن يكون في الامر توان فزعق عليه الملك وقال له
الى متى تشاور ان شاورت مرة أخرى ضربت عنقك فرفع السياف يده حتى بان شعر ابطه
وأراد أن يضرب عنقه * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثلاثون بعد المائة قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السياف
رفع يده حتى بان شعر ابطه وأراد أن يضرب عنقه واذا بزعقات عالية والناس أغلقوا
الدكاكين فقال الملك للسياف لا تعجل ثم أرسل من يكشف له الخبر فمضى الرسول ثم عاد اليه
وقال له رأيت عسكرا كالبحر العجاج المتلاطم بالامواج وخيلهم في ركض وقد ارتجت لهم
الارض وما أدري خبرهم فاندهش الملك وخاف على ملكه أن ينتزع منه ثم التفت الى وزيره
وقال له أما خرج أحد من عسكرنا الى هذا العسكر فما تم كلامه الا وحجابه قد دخلوا عليه
ومعهم رسل الملك القادم ومن جملتهم الوزير فابتدأه بالسلام فنهض لهم قائما وقربهم وسألهم
عن شأن قدومهم فنهض الوزير من بينهم وتقدم اليه وقال له اعلم أن الذي نزل بارضك ملك ليس
كالملوك المتقدمين ولا مثل السلاطين السالفين فقال له الملك ومن هو قال الوزير هو صاحب
العدل والامان الذي سارت بعلو همته الركبان السلطان سليمان شاه صاحب الارض
الخضراء والعمودين وجبال اصفهان وهو يحب العدل والانصاف * ويكره الجور
والاعتساف * ويقول لك ان ابنه عندك وفي مدينتك وهو حشاشة قلبه وثمرة فؤاده فان
وجده سالما فهو المقصود * وأنت المشكور المحمود * وان كان فقد من بلادك أو أصابه شئ
فابشر بالدمار وخراب الديار لانه يصير بلدك قفرا ينعق فيها الغراب وها أنا قد بلغتك الرسالة
والسلام فلما سمع الملك شهرمان ذلك الكلام من الرسول انزعج فؤاده وخاف على مملكته
وزعق على أرباب دولته ووزرائه وحجابه ونوابه فلما حضروا قال لهم ويلكم انزلوا وفتشوا
على ذلك الغلام وكان تحت يد السياف وقد تغير من كثرة ما حصل له من الفزع ثم ان الرسول
لاحت منه التفاتة فرجد ابن ملكه على نطع الدم فعرفه وقام ورمى روحه عليه وكذلك بقية

الرسل ثم تقدّموا وحلوا وثاقه وقبلوا يديه ورجليه ففتح تاج الملوك عينيه فعرف وزير والده وعرف صاحبه عزيزا فوقع مغشيا عليه من شدّة فرحته بهما ثم ان الملك شهرمان صار متحيرا في أمره وخاف خوفا شديدا لما تحقق مجيء هذا العسكر بسبب هذا الغلام فقام وتمشى الى تاج الملوك وقبل رأسه ودمعت عيناه وقال له ياولدى لا تؤاخذنى ولا تؤاخذ المسيء بفعله فارحم شيبتى ولا تخرب مملكتى فدنا منه تاج الملوك وقبل يده وقال له لا بأس عليك وأنت عندى بمنزلة والدى ولكن الحذر أن يصيب محبوبتى السيدة دنيا شئ فقال ياسيدى لا تخف عليها فما يحصل لها الا السرور وصار الملك يعتذر اليه ويطيب خاطر وزير الملك سليمان شاه ووعده بالمال الجزيل على أن يخفى من الملك ما رآه ثم بعد ذلك أمر كبراء دولته أن يأخذوا تاج الملوك ويذهبوا به الى الحمام ويلبسوه بدلة من خيار ملابس الملوك ويأتوا به بسرعة ففعلوا ذلك وأدخلوه الحمام وألبسوه البدلة التى أفردها له الملك شهرمان ثم أتوا به الى المجلس فلما دخل على الملك شهرمان وقف له هو وجميع أرباب دولته وقام الجميع فى خدمته ثم ان تاج الملوك جلس يحدث وزير والده وعزيزا بما وقع له فقال له الوزير وعزيز ونحن فى تلك المدّة مضينا الى والدك فأخبرناه بأنك دخلت سراية بنت الملك ولم تخرج والتبس علينا أمرك فحين سمع بذلك جهز العساكر ثم قدمنا هذه الديار وكان فى قدومنا الفرح والسرور فقال لهما الازال الخير يجرى على أيديكما أولا وآخرا وكان الملك فى ذلك الوقت قد دخل على ابنته السيدة دنيا فوجدها تبكى على تاج الملوك وأخذت سيفا وركزت قبضته الى الارض وجعلت ذبابته على رأس قلبها بين نهديها وانحنت على السيف وصارت تقول لا بدّ أن أقتل نفسى ولا أعيش بعد حبيبى فلما دخل عليها أبوها ورآها فى هذه الحالة صاح عليها وقال لها ياسيدة بنات الملوك لا تفعلى وارحمى أباك وأهل بلدك ثم تقدّم اليها وقال لها أحاشيك أن يصيب والدك بسببك سوء ثم أعلمها بالقصة وأن محبوبها ابن الملك سليمان شاه يريد زواجها وقال لها ان أمر الخطبة والزواج مفوّض الى رأيك فتبسمت وقالت له أما قلت لك انه ابن سلطان فأنا أخليه يصلبك على خشبة تساوى درهمين فقال لها بالله عليك أن ترحمى أباك فقالت له رح اليه وائتنى به فقال لها على الرأس والعين ثم رجع من عندها سريعا ودخل على تاج الملوك وسارره بهذا الكلام ثم قام معه وتوجه اليها فلما رأت تاج الملوك عانقته قدّام أبيها وتعلقت به وقالت له أوحشتنى ثم التفتت الى أبيها وقالت هل أحد يفرط فى مثل هذا الشاب المليح وهو ملك ابن ملك فعند ذلك خرج الملك شهرمان وردّ الباب عليهما ومضى الى وزير أبى تاج الملوك ورسله وأمرهم أن يعلموا السلطان سليمان شاه بأن ولده بخير وعافية وهو فى ألذ عيش ثم ان السلطان شهرمان أمر باخراج النفقات والعلوفات الى عساكر السلطان سليمان شاه والد تاج الملوك فلما أخرجوا جميع ما أمر به أخرج مائة جواد من الخيل ومائة هجين ومائة مملوك ومائة سرية ومائة عبد ومائة جارية وأرسل الجميع اليه هدية ثم بعد ذلك توجه اليه هو وأرباب دولته وخواصه حتى صاروا فى ظاهر المدينة فلما علم بذلك السلطان سليمان شاه تمشى خطوات الى لقائه وكان الوزير وعزيز أعلماه بالخبر ففرح وقال الحمد لله الذى بلغ ولدى مناه ثم ان الملك سليمان شاه أخذ الملك شهرمان بالحضن وأجلسه بجانبه على السرير وصار يتحدث هو واياه ثم قدّموا لهم

الطعام

الطعام فأكلوا حتى اكتفوا ثم قدموا لهم الحلويات ولم يمض الا قليل حتى جاء تاج الملوك وقدم عليه بلباسه وزينته فلما رآه والده قام له وقبله وقام له جميع من حضر وجلس بينهم ساعة يتحدثون فقال الملك سليمان شاه انى أريد أن أكتب كتاب ولدى على ابنتك على رؤس الاشهاد فقال له سمعا وطاعة ثم أرسل الملك شهرمان الى القاضى والشهود فحضروا وكتبوا الكتاب وفرح العساكر بذلك وشرع الملك شهرمان فى تجهيز ابنته ثم قال تاج الملوك لوالده ان عزيزا رجل من الكرام وقد خدمنى خدمة عظيمة وتعب وسافر معى وأوصلنى الى بغيتى ولم يزل يصبرنى حتى قضيت حاجتى ومضى معنا سنتان وهو مشتت من بلاده فالمقصود أننا نهيئ له تجارة لان بلاده قريبة فقال له والده نعم ما رأيت ثم هيؤا له مائة حمل من أغلى القماش وأقبل عليه تاج الملوك وودعه وقال له يا أخى اقبل هذه على سبيل الهدية فقبلها منه وقبل الارض قدامه وقدام والده الملك سليمان شاه ثم ركب تاج الملوك وسار مع عزيز قدر ثلاثة أميال وبعدها أقسم عليه عزيز أن يرجع وقال لولا والدتى ما صبرت على فراقك فبالله عليك لا تقطع أخبارك عنى ثم ودعه ومضى الى مدينته فوجد والدته بنت له قبرا فى وسط الدار وصارت تزوره ولما دخل الدار وجدها قد حلت شعرها ونشرته على القبر وهى تفيض دمع العين * وتنشد هذين البيتين

بالله يا قبر هل زالت محاسنه * أم قد تغير ذاك المنظر النضر
يا قبر ما أنت بستان ولا فلك * فكيف يجمع فيك البدر والزهر

ثم صعدت الزفرات * وأنشدت هذه الابيات

مالى مررت على القبور مسلما * قبر الحبيب فلم يرد جوابى
قال الحبيب وكيف ردّ جوابكم * وأنا رهين جنادل وتراب
أكل التراب محاسنى فنسيتكم * وحجبت عن أهلى وعن أحبابى

لما أنهت شعرها الا وعزيز داخل عليها فلما رأته قامت اليه واحتضنته وسألته عن سبب غيابه فحدثها بما وقع له من أوله الى آخره وان تاج الملوك أعطاه من المال والاقمشة مائة حمل ففرحت بذلك وأقام عزيز عند والدته متحيرا فيما وقع له من الدليلة المحتالة التى خصته هذا ما كان من أمر عزيز وأما ما كان من أمر تاج الملوك فانه دخل بمحبوبته السيدة دنيا وأزال بكارتها ثم ان الملك شهرمان شرع فى تجهيز ابنته للسفر مع زوجها وأبيها فاحضر لهم الزاد والهدايا والتحف ثم حملوا وساروا وسار معهم الملك شهرمان ثلاثة أيام لاجل الوداع فاقسم عليه الملك سليمان شاه بالرجوع فرجع ومازال تاج الملوك وولده وزوجته سائرين فى الليل والنهار حتى أشرفوا على بلادهم وزينت لهم المدينة * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والثلاثون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك سليمان شاه سار هو وولده وزوجة ولده حتى أشرفوا على بلادهم وزينت لهم المدينة ثم دخلوا المدينة وجلس الملك سليمان شاه على سرير مملكته وولده تاج الملوك فى جانبه ثم أعطى ووهب وأطلق من كان فى الحبوس ثم عمل لولده عرسا ثانيا واستمرت به المغانى والملاهى شهرا كاملا وازدحمت المواشط على السيدة دنيا وهى لا تمل من الجلاء ولا يملان من النظر اليها ثم دخل تاج الملوك على زوجته بعد أن اجتمع على أبيه وأمه ومازالوا فى أذ عيش وأهناه فعند ذلك قال ضوء المكان

للوزير دندان مثلك من ينادم الملوك * ويسلك فى تدبيرهم أحسن السلوك * هذا كله وهم محاصرون للقسطنطينية حتى مضى عليهم أربع سنين ثم اشتاقوا الى أوطانهم وضجرت العساكر من الحصار * وادامة الحرب فى الليل والنهار * فأمر الملك ضوء المكان باحضار بهرام ورستم وتركاش فلما حضروا قال لهم اعلموا أننا أقمنا هذه السنين وما بلغنا مرادنا فازددنا غما وهما وقد أتينا لنخلص ثار الملك عمر النعمان فقتل أخى شركان فصارت الحسرة حسرتين * والمصيبة مصيبتين * وسبب هذا كله العجوز ذات الدواهى فانها قتلت السلطان فى مملكته وأخذت زوجته الملكة صفية وما كفاها ذلك حتى عملت الحيلة علينا وذبحت أخى وقد حلفت الايمان العظيمة أنه لابد من أخذ الثار لما تقولون أنتم فافهموا هذا الخطاب * وردوا على الجواب * فأطرقوا رؤسهم وأحالوا الامر على الوزير دندان فعند ذلك تقدم الوزير دندان الى الملك ضوء المكان وقال له اعلم يا ملك الزمان أنه ما بقى فى اقامتنا فائدة والرأى أننا نرحل الى الاوطان ونقيم هنالك برهة من الزمان ثم نعود ونغزو عبدة الاصنام فقال الملك نعم هذا الرأى لان الناس اشتاقوا الى رؤية عيالهم وأنا أيضا أقلقنى الشوق الى ولدى كان ما كان والى ابنة أخى قضى فكان لانها فى دمشق ولا أعلم ما كان من أمرها فلما سمعت العساكر ذلك فرحوا ودعوا للوزير دندان ثم ان الملك ضوء المكان أمر المنادى أن ينادى بالرحيل بعد ثلاثة أيام فابتدؤا فى تجهيز أحوالهم وفى اليوم الرابع دقت الكاسات ونشرت الرايات * وتقدم الوزير دندان فى مقدم العسكر وسار الملك فى وسط العساكر وبجانبه الحاجب الكبير وسارت الجيوش ومازالوا مجدين السير بالليل والنهار حتى وصلوا الى مدينة بغداد ففرحت بقدومهم الناس * وزال عنهم الهم والباس * ثم ذهب كل أمير الى داره وطلع الملك الى قصره ودخل على ولده كان ما كان وقد بلغ من العمر سبع سنين وصار ينزل ويركب ولما استراح الملك من السفر دخل الحمام هو وولده كان ما كان ثم رجع وجلس على كرسى مملكته ووقف الوزير دندان بين يديه وطلعت الامراء وخواص الدولة ووقفوا فى خدمته فعند ذلك أمر الملك ضوء المكان باحضار صاحبه الوقاد الذى أحسن اليه فى غربته فحضر بين يديه فلما رآه الملك ضوء المكان قام واقفا عليه نهض له قائما وأجلسه الى جانبه وكان الملك ضوء المكان قد أخبر الوزير بما فعل معه صاحبه الوقاد من المعروف فعظم فى عينه وفى أعين الامراء وكان الوقاد قد غلظ وسمن من الاكل والراحة وصار عنقه كعنق الفيل * وبطنه كبطن الدرفيل وصار طائش العقل لانه كان لا يخرج من المكان الذى هو فيه فلم يعرف الملك بسيماه فأقبل عليه الملك وبش فى وجهه وحياه أعظم التحيات وقال له ما أسرع ما نسيتنى فأمعن فيه النظر فلما تحققه وعرفه قام له على الاقدام وقال له يا حبيبى من عملك سلطانا فضحك عليه فأقبل عليه الوزير بالكلام وشرح له القصة وقال له انه كان أخالك وصاحبك والآن صار ملك الارض ولابد أن يصل اليك منه خير كثير وها أنا أوصيك اذا قال لك تمن على " فلا تتمن الا شيأ عظيما لانك عنده عزيز فقال الوقاد أخاف أن أتمنى عليه شيأ فلا يسمح لى به أو لا يقدر عليه فقال له الوزير كل ما تتمناه يعطيك اياه فقال له والله لابد أن أتمنى عليه الشئ الذى هو فى خاطرى وكل يوم أرجو منه أن يسمح لى به فقال له الوزير طيب قلبك والله لو طلبت ولاية دمشق موضع أخيه

لولاك

لولاك عليها فعند ذلك قام الوقاد على قدميه فأشار له ضوء المكان أن اجلس فأبى وقال معاذ الله قد انقضت أيام قعودى فى حضرتك فقال له السلطان لا بل هى باقية الى الآن فانك كنت سببا لحياتى والله لو طلبت منى مهما أردت لاعطيتك اياه فتمن على الله فقال له ياسيدى انى أخاف أن أتمنى شيأ فلا تسمح لى به أو لا تقدر عليه فضحك السلطان وقال له لو تمنيت نصف مملكتى لشاركتك فيها فتمن ما تريد قال الوقاد أخاف أن أتمنى شيأ لا تقدر عليه فغضب السلطان وقال له تمن ما أردت فقال له تمنيت عليك أن تكتب لى مرسوما بعرافة جميع الوقادين الذين فى مدينة القدس فضحك السلطان وجميع من حضر وقال له تمن غير هذا فقال الوقاد أنا ما قلت لك انى أخاف أن أتمنى شيأ لا تسمح لى به أو ما تقدر عليه فغمزه الوزير ثانيا وثالثا وفى كل مرة يقول أتمنى عليك أن تجعلنى رئيس الزبالين فى مدينة القدس أو فى مدينة دمشق فانقلب الحاضرون على ظهورهم من الضحك عليه وضربه الوزير فالتفت الوقاد الى الوزير وقال له ما تكون حتى تضربنى ومالى ذنب فانك أنت الذى قلت لى تمن شيأ عظيما ثم قال دعونى أسير الى بلادى فعرف السلطان أنه يلعب فصبر قليلا ثم أقبل عليه وقال له يا أخى تمن على أمرا عظيما لا نقاومه فقال له أتمنى سلطنة دمشق موضع أخيك فكتب له التواقيع بذلك وقال للوزير دندان ما يروح معه غيرك واذا أردت العود فاحضر معك بنت أخى قضى فكان فقال الوزير سمعا وطاعة ثم أخذ الوقاد ونزل به وتجهز للسفر وأمر السلطان ضوء المكان أن يخرجوا للوقاد تختا جديدا وطقم سلطنة وقال للأمراء من كان يحبنى فليقدم اليه هدية عظيمة ثم سماه السلطان الزبلكان ولقبه بالمجاهد وبعد شهر كملت حوائجه وطلع الزبلكان وفى خدمته الوزير دندان ثم دخل على ضوء المكان ليودعه فقام له وعانقه وأوصاه بالعدل بين الرعية وأمره أن يأخذ الاهبة للجهاد بعد سنتين ثم ودعه وانصرف وسار الملك المجاهد المسمى بالزبلكان بعد أن أوصاه الملك ضوء المكان بالرعية خيرا وقدمت له الامراء المماليك فبلغوا خمسة آلاف مملوك وركبوا خلفه وركب الحاجب الكبير وأمير الديلم بهرام وأمير الترك رستم وأمير العرب تركاش وساروا فى تودیعه وماز الوا سائرين معه ثلاثة أيام ثم عادوا الى بغداد وسار السلطان الزبلكان هو والوزير دندان وماز الوا سائرين حتى وصلوا الى دمشق وكانت الاخبار قد وصلت اليهم على أجنحة الطيور بأن الملك ضوء المكان سلطن على دمشق ملكا يقال له الزبلكان ولقبه بالمجاهد فلما وصل اليهم الخبر زينوا له المدينة وخرج الى ملاقاته كل من فى دمشق ثم دخل دمشق وطلع القلعة وجلس على سرير المملكة ووقف الوزير دندان فى خدمته يعرفه منازل الامراء ومراتبهم وهم يدخلون عليه ويقبلون يديه ويدعون له فاقبل عليهم الملك الزبلكان وخلع وأعطى ووهب ثم فتح خزائن الاموال وأنفقها على جميع العساكر كبيرا وصغيرا وحكم وعدل وشرع الزبلكان فى تجهيز بنت السلطان شركان السيدة قضى فكان وجعل لها محفة من الابريسم وجهز الوزير وقدم له شيأ من المال فأبى الوزير دندان وقال له أنت قريب عهد بالملك وربما تحتاج الى الاموال أو نرسل اليك نطلب منك مالا للجهاد او غير ذلك ولما تهيأ الوزير دندان للسفر ركب السلطان المجاهد الى وداعه وأحضر قضى فكان وأركبها فى المحفة وأرسل معها عشر جوار برسم الخدمة وبعد أن سافر الوزير دندان رجع الملك المجاهد الى

مملكته ليدبرها واهتم بآلة السلاح وصار ينتظر الوقت الذي يرسل اليه فيه الملك ضوء المكان
هذا ما كان من أمر السلطان الزبلكان وأما ما كان من أمر الوزير دندان فانه لم يزل يقطع
المراحل بقضي فكان حتى وصل الى الرحبة بعد شهر ثم سار حتى أشرف على بغداد وأرسل
يعلم ضوء المكان بقدومه فركب وخرج الى لقائه فأراد الوزير دندان أن يترجل فأقسم عليه
الملك ضوء المكان أن لا يفعل فسار راكبا حتى جاء الى جانبه وسأله عن المجاهد فأعلمه أنه بخير
وأعلمه بقدوم قضي فكان بنت أخيه شركان ففرح وقال له دونك والراحة من تعب السفر ثلاثة
أيام ثم بعد ذلك تعال عندي فقال حبا وكرامة ثم دخل بيته وطلع الملك الى قصره ودخل على
ابنة أخيه قضي فكان وهي ابنة ثمان سنين فلما رآها فرح بها وحزن على أبيها وأعطاها حليا
ومصاغا عظيما وأمر أن يجعلوها مع ابن عمها كان ما كان في مكان واحد وكانت أحسن أهل
زمانها وأشجعهم لانها كانت صاحبة تدبير وعقل ومعرفة بعواقب الامور وأما كان ما كان فانه
كان مولعا بمكارم الاخلاق ولكنه لا يفكر في عاقبة شئ ثم بلغ عمر كل واحد من الاثنين عشر
سنين وصارت قضي فكان تركب الخيل وتطلع مع ابن عمها في البر ويتعلمان الضرب بالسيف
والطعن بالرمح حتى بلغ عمر كل منهما اثنتي عشرة سنة ثم ان الملك انتهت أشغاله للجهاد وأكمل
الاهبة والاستعداد فأحضر الوزير دندان وقال له اعلم اني عزمت على شئ وأريد اطلاعك عليه
فاسرع في رد الجواب فقال الوزير دندان ما هو يا ملك الزمان قال عزمت على أن أسلطن ولدي
كان ما كان وأفرح به في حياتي وأقاتل قدامه الى أن يدركني الممات فما عندك من الرأي فقبل
الوزير دندان الارض بين يدي الملك ضوء المكان وقال له اعلم أيها الملك السعيد صاحب الرأي
السديد أن ما خطر ببالك مليح غير أنه لا يناسب في هذا الوقت لخصلتين الاولى أن ولدك
كان ما كان صغير السن والثانية ما جرت به العادة من أن من سلطن ولده في حياته لا يعيش الا
قليلا وهذا ما عندي من الجواب فقال اعلم أيها الوزير أننا نوصي عليه الحاجب الكبير فانه صار
منا والينا وقد تزوج أختي فهو في منزلة أخي فقال له الوزير افعل ما بدا لك فنحن ممتثلون أمرك
فأرسل الملك الى الحاجب الكبير فأحضره وكذلك أكابر مملكته وقال لهم ان هذا ولدي
كان ما كان قد علمتم أنه فارس الزمان * وليس له نظير في الحرب والطعان * وقد جعلته سلطانا
عليكم والحاجب الكبير وصي عليه فقال الحاجب يا ملك الزمان انما أنا غريس نعمتك فقال
ضوء المكان أيها الحاجب ان ولدي كان ما كان وابنة أخي قضي فكان ولد اعم وقد زوجتها به
وأشهد الحاضرين على ذلك ثم نقل لولده من المال ما يعجز عنه اللسان وبعد ذلك دخل على أخته
نزهة الزمان وأعلمها بذلك ففرحت وقالت ان الاثنين ولداي والله تعالى يقيك لهما مدى الزمان
فقال يا أختي اني قضيت من الدنيا غرضي وأمنت على ولدي ولكن ينبغي أن تلاحظيه بعينك
وتلاحظي أمه ثم سار يوصي الحاجب ونزهة الزمان على ولده وعلى زوجته ليالي وأياما وقد
أيقن بكأس الحمام ولزم الوساد * وصار الحاجب يتعاطى أحكام العباد * وبعد سنة أحضر
ولده كان ما كان * والوزير دندان * وقال يا ولدي ان هذا الوزير والدك من بعدي واعلم أني
راحل من الدار الفانية الى الدار الباقية وقد قضيت غرضي من الدنيا ولكن بقي في قلبي
حسيرة يزيلها الله على يديك فقال ولده وما تلك الحسيرة يا والدي فقال يا ولدي أن أموت ولم

تأخذ

تأخذ ثارجدك الملك عمر النعمان وعمك الملك شركان من عجوز يقال لها ذات الدواهى فان أعطاك الله النصر لا تغفل عن أخذ الثار * وكشف العار * واياك من مكر العجوز واقبل مايقوله لك الوزير دندان * لانه عماد ملكنا من قديم الزمان * فقال له ولده سمعا وطاعة ثم هملت عيناه بالدموع وبعد ذلك ازداد المرض بضوء المكان وصار أمر المملكة للحاجب فصار يحكم ويأمر وينهى واستمر على ذلك سنة كاملة وضوء المكان مشغول بمرضه ومازالت به الامراض مدة أربع سنين والحاجب الكبير قائم بأمر الملك وارتضى به أهل المملكة ودعت له جميع البلاد هذا ما كان من أمر ضوء المكان والحاجب وأما ما كان من أمر كان ما كان فانه لم يكن له شغل الا ركوب الخيل واللعب بالرمح والضرب بالقشاب وكذلك ابنة عمه قضى فكان وكانت تخرج هى واياه من أول النهار الى الليل فتدخل الى أمها ويدخل هو الى أمه فيجدها جالسة عند رأس أبيه تبكى فيخدمه بالليل واذا أصبح الصباح يخرج هو وبنت عمه على عادتهما وطالت بضوء المكان التوجعات * فبكى وأنشد هذه الابيات

تقاعست قوتى ومضى زمانى * وها أنا قد بقيت كما ترانى
فيوم العز كنت أعز قومى * وأسبقهم الى نيل الامانى
وقد فارقت ملكى بعد عزى * الى ذل تخلل بالهوان
ترى قبل الممات أرى غلامى * يكون على الورى ملكا مكانى
و يقتلك بالعداة لأخذ ثار * بضرب السيف أو طعن السنان
أنا المغبون فى هزل وجد * اذا مولاى لا يشفى جنانى

فلما فرغ من شعره وضع رأسه على الوسادة ونام فرأى فى منامه قائلا يقول له أبشر فان ولدك ملك البلاد * وتطيعه العباد * فانتبه من منامه مسرورا ثم بعد أيام قلائل طرقه الممات فأصاب أهل بغداد لذلك مصاب عظيم * وبكى عليه الوضيع والعظيم * ومضى عليه الزمان كأنه ما كان وتغير حال كان ما كان وعزله أهل بغداد وجعلوه هو وعياله فى بيت على حدتهم فلما رأت أم كان ما كان ذلك صارت فى أذل الاحوال ثم قالت لابد لى من قصد الحاجب الكبير * وأرجو الرأفة من اللطيف الخبير * فقامت من منزلها الى أن أتت الى بيت الحاجب الذى صار سلطانا فوجدته جالسا على فراشه فدخلت عند زوجته نزهة الزمان وقالت ان الميت ماله صاحب فلا أحوجكم الله مدى الدهور والاعوام * ولا زلتم تحكمون بالعدل بين الخاص والعام * قد سمعت أذنالك ورأت عيناك ما كان فيه من الملك والعز والجاه والمال * وحسن المعيشة والحال * والآن انقلب علينا الزمان * وقصدنا الدهر بالعدوان * وأتيت اليك قاصدة احسانك بعد اسدائى للاحسان * لان الرجل اذا مات * ذات بعده النساء والبنات * ثم أنشدت هذه الابيات

كفالك بان الموت بادى العجائب * وما غائب الاعمار عنا بغائب
وما هذه الأيام الا مراحل * مواردها ممزوجة بالمصائب
وماضر قلبى مثل فقد أكارم * أحاطت بهم مستعظمات النوائب

فلما سمعت نزهة الزمان هذا الكلام تذكرت أخاها ضوء المكان وانه كان ما كان فقربتها وأقبلت عليها وقالت أنا الآن غنية وأنت فقيرة فوالله ما تركنا افتقادك الا خوفا من انكسار

قلبك لئلا يخطر ببالك أن ما نهديه اليك صدقة مع أن جميع ما نحن فيه من الخير منك ومن زوجك فبيتنا بيتك ولك ما لنا وعليك ما علينا ثم خلعت عليها ثيابا فاخرة وأفردت لها مكانا في القصر ملاصقا لمقصورتها وأقامت عندهم في عيشة طيبة هي وولدها كان ما كان وخلعت عليه ثياب الملوك وأفردت لهما جواري برسم خدمتهما ثم ان نزهة الزمان بعد مدة قليلة ذكرت لزوجها حديث زوجة أخيها ضوء المكان فدمعت عيناه وقال ان شئت أن تنظري الدنيا بعدك فانظريها بعد غيرك فاكرمي مثواها * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والثلاثون بعد المائة قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زوج نزهة الزمان قال لها ان شئت أن تنظري الدنيا بعدك فانظريها بعد غيرك فاكرمي مثواها وأغني فقرها هذا ما كان من أمر نزهة الزمان وزوجها وأم ضوء المكان وأما ما كان من أمر كان ما كان وابنة عمه قضى فكان فانهما كبرا وترعرعا حتى صارا كأنهما غصنان مثمران أو قمران أزهران وبلغا من العمر خمسة عشر عاما وكانت قضى فكان من أحسن البنات المخدرات بوجه جميل وخصر نحيل * وردف ثقيل * وريق كالسلسبيل * وقد رشيق * وثغر ألذ من الرحيق * كما قال فيها * بعض واصفيها * هذين البيتين

كأن سلاف الخمر من ريقها بدت * وعنقودها من ثغرها الدر يقطف
وأعنا بها مالت اذا ما ثنيتها * فسبحان خلاق لها الا يكيف

وقد جمع الله كل المحاسن فيها فقدها يخجل الاغصان * والورد يطلب من خدها الامان * وأما الريق * فانه يهزأ بالرحيق * تسر القلب والناظر كما قال فيها الشاعر

ملحة الوصف قد تمت محاسنها * أجفانها تفضح التكحيل بالكحل
كأن ألحاظها في قلب عاشقها * سيف بكف أمير المؤمنين علي

وأما كان ما كان فانه كان بديع الجمال * فائق الكمال * عز في الحسن عن مثال * الشجاعة تلوح بين عينيه * تشهد له لا عليه * وتميل كل القلوب اليه * وحين اخضر منه العذار * كثرت فيه الاشعار * كقول بعضهم

ما بان عذري فيه حتى عذرا * ومشى الدجى في خده فتحيرا
رشا اذا رنت العيون لحسنه * سلت لواحظه عليها خنجرا

وقول الآخر

نسجت نفوس العاشقين بخده * نملا وتمّ بها النجيع الاحمر
فاعجب لهم شهدا ومسكنهم لظى * ولباسهم فيها الحرير الاخضر

واتفق في بعض الاعياد أن قضى فكان خرجت تعيد على بعض أقاربها من الدولة والجواري حواليها والحسن قد عمها * وورد الخد يحسد خالها * والاقحوان يتبسم عن بارق ثغرها فجعل كان ما كان يدور حولها * ويطلق النظر اليها * وهي كالقمر الزاهر فقوى جنانه * وأطلق بالشعر لسانه * وأنشد هذين البيتين

متى يشتفي قلب الدنو من البعد * ويخجل ثغر الوصل من زائد الصد
فيا ليت شعري هل أبيتن ليلة * بوصل حبيب عنده بعض ما عندي

فلما

فلما سمعت قضى فكان هذا الشعر أظهرت له الملامة والعتاب * وتوعدته بأليم العقاب * فاغتاظ كان ما كان * وعاد الى بغداد وهو غضبان * ثم طلعت قضى فكان الى قصرها وشكت ابن عمها الى أمها فقالت لها يا بنتي لعله ما أراد بسوء وهل هو الا يتيم ومع هذا لم يذكر شيأ يعيبك فيا ليت أن تعلمي بذلك أحدا فانه ربما بلغ الخبر الى السلطان فيقصر عمره * ويخمد ذكره * ويمحو أثره كأمس الدابر * والميت الغابر * وشاع في بغداد حب كان ما كان لقضى فكان * وتحدثت به النسوان * ثم ان كان ما كان ضاق صدره * وقل صبره * واشتغل باله * ولم يخف على الناس حاله * واشتهى أن يبوح بما في قلبه من لوعة البين * فخاف من غضبها وأنشد هذين البيتين

اذا خفت يوما عتاب التي * تغير أخلاقها الصافية
صبرت عليها كصبر الفتى * على الكي في طلب العافيه

* وأدرك شهر زاد الصباح فكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والثلاثون بعد المائة قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الحاجب الكبير لما صار سلطانا سموه الملك ساسان ثم انه بلغه حب كان ما كان * لقضى فكان * فندم على جعلهما معا في محل واحد ثم دخل على زوجته نزهة الزمان وقال ان الجمع بين الحلفة والنار * لمن أعظم الاخطار * وليست الرجال على النساء بمؤتمنين * ما دامت العيون في دعج والمعاطف في لين * وان ابن أخيك كان ما كان قد بلغ مبلغ الرجال * فيجب منعه عن الدخول على ربات الحجال * ومنع بقتك عن الرجال أوجب * لان مثلها ينبغي أن يحجب * فقالت صدقت أيها الملك العاقل * والهمام الكامل * فلما أصبح الصباح جاء كان ما كان ودخل على عمته نزهة الزمان على جري عادته وسلم عليها فردت عليه السلام وقالت له عندي لك كلام ما كنت أحب أن أقوله ولكن أخبرك به رغما عني فقال لها وما ذاك الكلام قالت ان الملك سمع بحبك لقضى فكان فأمر بحجبها عنك واذا كان لك حاجة فانا أرسلها اليك من خلف الباب ولا تنظر قضى فكان فلما سمع كلامها رجع ولم ينطق بحرف واحد وأعلم والدته بما قالته عمته فقالت له انما نشأ هذا من كثرة كلامك وقد علمت أن حديث حبك لقضى فكان * شاع وانتشر في كل مكان * وكيف تأكل زادهم * وبعد ذلك تعشق بنتهم * فقال اني أريد الزواج بها لانها بنت عمي وأنا أحق بها فقالت له أمه اسكت لئلا يصل الخبر الى الملك ساسان * فيكون ذلك سببا لغرقك في بحر الاحزان * ولم يبعثوا لنا في هذه الليلة عشاء ولو كنا في بلد غير هذه لمتنا من ألم الجوع أو ذل السؤال فلما سمع كان ما كان كلام أمه زادت بقلبه الحسرات * وأنشد هذه الابيات

أقلي من اللوم الذي لا يفارق * فقلبي الى من تمتني مفارق
ولا تطلبي عندي من الصبر ذرة * فصبري وبيت الله مني طالق
اذا سامني اللوام نهيا عصيتهم * وها أنا في دعوى المحبة صادق
وقد منعوني عنوة أن أزورها * واني والرحمن ما أنا فاسق
وان عظامي حتى تسمع ذكرها * تشابه طيرا خلفهن بواشق

الا قل لمن قد لام فى الحب انى * وحق الهوى بنت عمى لعاشق

ولما فرغ من شعره قال لامه ما بقى لى عند عمتى ولا عند هؤلاء القوم مقام بل أخرج من القصر وأسكن فى أطراف المدينة بجوار قوم صعاليك ثم خرج وفعل كما قال وصارت أمه تتردد الى بيت الملك ساسان وتأخذ منه ما تقتات به هى واياه ثم ان قضى فكان اختلت بأم كان ما كان وقالت لها يا امرأة عمى كيف حال ولدك فقالت انه باكى العين حزين القلب ليس له من أسر الغرام فكاك * ومقتنص من هواك فى أشراك * فبكت قضى فكان وقالت والله ما هجرته بغضاله ولكن خوفا عليه من الاعداء وعندى من الشوق أضعاف ما عنده ولولا عثرات لسانه * وخفقان جنانه * ما قطع أبى عنه احسانه * وأولاه منعه وحرمانه * ولكن أيام الورى دول والصبر فى كل الامور أجمل * ولعل من حكم بالفراق * أن يمن علينا بالتلاقى * ثم أفاضت دمع العين * وأنشدت هذين البيتين

فعندى يا ابن عمى من غرامى * كأمثال الذى قد حل عندك
ولكنى كتمت الناس وجدى * فهلا كنت أنت كتمت وجدك

فشكرتها أم كان ما كان وخرجت من عندها وأعلمت ولدها كان ما كان بذلك فزاد شوقه اليها وقال ما أبدلها من الحور بألفين * وأنشد هذين البيتين

فوالله لا أصغى الى قول لائم * ولا بحت بالسر الذى كنت كاتما
وقد غاب عنى من أرجى وصاله * وقد سهرت عينى وقد بات نائما

ثم مضت الايام والليالى * وهو يتقلب على جمر المقالى * حتى مضى له من العمر سبعة عشر عاما وقد كمل حسنه ففى بعض الليالى أخذه السهر وقال فى نفسه مالى أرى جسمى يذوب * والى متى لا أقدر على نيل المطلوب * ومالى عيب سوى عدم الجاه والمال * ولكن عند الله بلوغ الآمال فينبغى أن أشرد نفسى عن بلادها * حتى تموت أو تحظى بمرادها * ثم أضمر على هذه العزمات * وأنشد هذه الابيات

دع مهجتى تزداد فى خفقانها * ليس التذلل فى الورى من شانها
واعذر فان حشاشتى كصحيفة * لا شك أن الدمع من عنوانها
ها بنت عمى قد بدت حورية * نزلت الينا عن رضا رضوانها
من رام ألحاظ العيون معارضا * فتكاتها لم ينج من عدوانها
سأسير فى الارض الوسيعة منقذا * نفسى وأمنحها سوى حرمانها
وأعود مسرور الفؤاد بمطلبى * وأقاتل الابطال فى ميدانها
ولسوف أستاق الغنائم عائدا * وأصول مقتدرا على أقرانها

ثم ان كان ما كان خرج من القصر ماشيا حافيا فى قميص قصير الاكمام * وعلى رأسه لبدة لها سبعة أعوام * وصحبته رغيف له ثلاثة أيام * ثم سار فى حندس الظلام * حتى وصل الى باب بغداد فوقف هناك * ولما فتحوا باب المدينة كان هو أول خارج منه ثم صار يقطع الاودية والقفار * فى ذلك النهار * ولما أتى الليل طلبته أمه فلم تجده فضاقت عليها الدنيا باتساعها * ولم تلتذ بشئ من متاعها * ومكثت تنتظر أول يوم وثانى يوم وثالث يوم الى أن مضى عشرة أيام

فلم

فلم تزله خبر افتضاق صدرها وبكت ونادت قائله يا مؤنسي قد هيجت أحزاني * حيث فارقتني وتركت أوطاني * يا ولدي من أي الجهات أناديك * ويا هل ترى أي بلد يؤويك * ثم سعدت الزفرات * وأنشدت هذه الابيات

علمنا بأنا بعد غيبتكم نبلى * ومدت قسيّ للفراق لنا نبلا
وقد خلفوني بعد شدة حالهم * أعالج كرب الموت اذ قطعوا الرملا
تغرد هتفت بي جنح ليل حمامة * مطوقة ناحت فقلت لها مهلا
لعمرك لو كانت كمثلي حزينة * لما لبست طوقا ولا خضبت رجلا
وفارقني الفي فألفيت بعده * دواعي هم لا تفارقني أصلا

ثم انها امتنعت من الطعام والشراب * وزادت في البكاء والانتحاب * وصار بكاؤها على رؤس الاشهاد * واشتهر خبرها بين العباد والبلاد * وصار الناس يقولون أين عينك ياضوء المكان * وترى ما جرى على كان ما كان حتى بعد عن وطنه وخرج من المكان * وكان أبوه يشبع الجيعان * ويأمر بالعدل والاحسان * ووصل خبر كان ما كان الى الملك ساسان * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للاربعين بعد المائة قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك ساسان وصل اليه خبر كان ما كان من الامراء الكبار وقالوا له انه ولد ملكنا ومن ذرية الملك عمر النعمان وقد بلغنا أنه تغرب عن الاوطان * فلما سمع الملك ساسان هذا الكلام اغتاظ غيظا شديدا وتذكر احسان أبيه اليه * وأنه أوصاه عليه * فحزن على كان ما كان وقال لا بد من التفتيش عليه في سائر البلاد ثم بعث في طلبه الامير تركاش في مائة فارس فغاب عشرة أيام ثم رجع وقال ما اطلعت له على خبر * ولا وقفت له على أثر * فحزن عليه الملك ساسان حزنا شديدا وأما أمه فانها صارت لا يقر لها قرار * ولا يطاوعها اصطبار * وقد مضى له عشرون يوما هذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر كان ما كان فانه لما خرج من بغداد صار متحيرا في أمره ولم يدر الى أين يتوجه ثم انه سافر في البر ثلاثة أيام وحده ولم ير راجلا ولا فارسا فطار رقاده * وزاد سهاده * وتفكر أهله وبلاده * وصار يتقوت من نبات الارض ويشرب من أنهارها * ويقيل وقت الحر تحت أشجارها ثم خرج من تلك الطريق الى طريق أخرى وسار فيها ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع أشرف على أرض معشبة الفلوات * ملتحة النبات * وهذه الارض قد شربت من كؤس الغمام * على أصوات القمري والحمام * فاخضرت رباها * وطاب فلاها * فتذكر كان ما كان بلاد أبيه * فأنشد من فرط ما هو فيه

خرجت وفي أملي عودة * ولكنني لست أدري متى
وشرّدني أنني لم أجد * سبيلا الى دفع ما قد أتى

فلما فرغ أكل من ذلك النبات وتوضأ وصلى ما كان عليه من الفريضة وجلس يستريح ومكث طول ذلك اليوم في ذلك المكان فلما جاء الليل نام واستمر نائما الى نصف الليل ثم انتبه فسمع صوت انسان ينشد هذه الابيات

ما العيش الا أن يرى لك بارق * من ثغر من تهوى ووجه رائق

والموت أسهل من صدود حبيبة * لم يغشنى منها خيال طارق
يافرحة الندماء حيث تجمعوا * وأقام معشوق هنالك وعاشق
لاسيما وقت الربيع وزهره * طاب الزمان بما اليه تسابق
ياشارب الصهباء دونك ماترى * أرض من خرفة وماء دافق

فلما سمع كان ما كان هذه الابيات هاجت به الاشجان * وجرت دموعه على خده كالغدران وانطلقت فى قلبه النيران * فقام ينظر قائل هذا الكلام * فلم ير أحدا فى جنح الظلام * فأخذه القلق ونزل من مكانه الى أسفل الوادى ومشى على شاطئ النهر فسمع صاحب الصوت يصعد الزفرات * وينشد هذه الابيات

ان كنت تضمر ماتفى الحب اشفاقا * فأطلق الدمع يوم البين اطلاقا
بينى وبين أحبائى عهود هوى * لذا اليهم أظل الدهر مشتاقا
يرتاح قلبى الى تيم ويطربنى * نسيم تيم اذا ماهب أشواقا
ياسعد هل ربة الخلخال تذكرلى * بعد البعاد لنا عهدا وميثاقا
وهل تعود ليالى الوصل تجمعنا * يوما ويشرح كل بعض مالاقى
قالت فتنت بنا وجدا فقلت لها * كم قد فتنت رعاك الله عشاقا
لامتع الله طرفى فى محاسنها * ان كان من بعدها طيب الكرى ذاقا
ياسعد فى فؤادى مارأيت لها * سوى الوصال ورشف الثغر ترياقا

فلما سمع كان ما كان هذه الاشعار من صاحب ذلك الصوت ثانى مرة ولم ير شخصه عرف أن القائل مثله عاشق منع عن الوصول الى من يحبه فقال فى نفسه لعلى أجتمع بهذا فيشكو كل واحد لصاحبه وأجعله أنيسى فى غربتى ثم تنحنح ونادى قائلا أيها السائر * فى الليل العاكر تقرب منى وقص قصتك على لعلك تجدنى معينا لك على بليتك فلما سمع صاحب الصوت هذا الكلام أجابه قائلا أيها المنادى السامع لانشادى * من تكون من الفرسان * وهل أنت من الانس أو من الجان * فعجل على بكلامك * قبل دنو حمامك * فان لى عشرين يوما وأنا سائر فى هذه البرية فلم أر شخصا ولم أسمع صوتا غير صوتك فلما سمع كان ما كان هذا الكلام قال فى نفسه ان هذه القصة كقصتى فان لى أيضا عشرين يوما وأنا سائر ولم أسمع صوتا فقال له صاحب الصوت ان كنت من الجان فاذهب بأمان وان كنت انسيا * فالبث مليا * حتى يطلع النهار * ويذهب الليل بالاعتكار * فلما أصبح الصباح نظر اليه كان ما كان فوجده رجلا من عرب البادية فتقدم اليه * وسلم عليه * فرد البدوى عليه السلام * وقابله بالتحية والاكرام * الا أنه احتقره لما رأى صغر سنه وحالته حالة فقير وقال له يافتى من أى القوم أنت والى من تنسب من العربان وماقصتك وأنت سائر بالليل فان هذا فعل الابطال وقد كلمتنى كلاما لا يتكلم به الا كل فارس همام * وبطل مصدام * وقد صرت الآن فى قبضتى * الا أنى أرحمك لصغر سنك فأجعلك رفيقى وتكون عندى برسم خدمتى * فلما سمع كان ما كان فظاعة كلامه * بعد ما أبداه من حسن نظامه * عرف أنه احتقره وطمع فيه فقال له بلين الكلام ياوجه العرب دعنا من صغر سنى وكونى أخيدك وأخبرنى عن سبب سيرك بالليل فى القفار * وانشادك الاشعار * فما

تملك على هذا فقال له اسمع يا غلام أنني صباح بن رماح بن همام * وقومي من غرب الشام * ولي بنت عم اسمها نجمه * كل من رآها أتته النعمه * ومات والدي وتربيت عند عمي أبي نجمة فلما كبرت وكبرت معها عني لما رآني فقير الحال * قليل المال * فسقت عليه العرب الكبار وسادات القبائل فاستحى منهم وأجابني الى زواجها الا أنه اشترط علي خمسين رأسا من الخيل وخمسين ناقة وعشرة عبيد وعشر جوار وخمسين حملا قمحا ومثلها شعيرا وحملني مالا أطيق وأكثر على الصداق * وها أنا مسافر من الشام الى العراق * ولي عشرون يوما ما نظرت أحدا سوالك وقصدي أن أدخل أرض بغداد وأنظر من يخرج منها من التجار * فأخرج في أثرهم * وأسلب أموالهم * وأقتل رجالهم * وأسوق جمالهم وأحمالهم * فمن تكون أنت من الناس قال كان ما كان ان قصتي كقصتك غير أن مرضي أخطر من مرضك لان ابنة عمي ابنة ملك وأهلها لا يكفيهم ما ذكرت ولا يرضيهم شيء مثل هذا فقال صباح لعلك مهبول * أو من كثرة العشق مخبول * كيف تكون بنت عمك بنت ملك وأنت ما عليك سمة المملوك * وما أنت الا صعلوك فقال يا واحد العرب * لا تستغرب هذا الحال على تصرفات الزمان * وان شئت مني البيان فانا كان ما كان * ابن السلطان ضوء المكان * ابن الملك عمر النعمان * صاحب بغداد وأرض خراسان * وقد جار علي الزمان * وتسلطن الملك ساسان * وخرجت من بغداد خفية لما رأيت انسان * وسافرت في هذه الارض عشرين يوما ما رأيت أحدا غيرك فقصتك كقصتي وطلبتك نظير طلبتي * فلما سمع صباح ذلك الكلام صاح وافرحتي * قد بلغت منيتي * وليس لي اليوم كسب غيرك لانك من ذرية الملوك * وان كنت في زي صعلوك * فلا بد أن أهلك لا يتركونك واذا علموا مكانك * بأموالهم يفدونك * فأدركافك يا غلامي * وامش قدامي * فقال كان ما كان لا تفعل يا أخا العرب لان أهلي لا يشترونني بفضة ولا ذهب * وأنا رجل فقير * ومامعي قليل ولا كثير * فدع عنك هذه الاخلاق * واتخذني من الرفاق * واخرج بنا من أرض العراق لنجول في الآفاق * لعلنا نفوز بالمهر والصداق * ونخطي من بنت عمنا بالبوس والعناق فلما سمع صباح ذلك غضب وزاد به الالتهاب * وقال له ويلك أتراددني في الجواب * يا أخس الكلاب * أدركافك والا أنزلت عليك العذاب فتبسم كان ما كان وقال كيف أدير الكاف أما عندك انصاف * أما تخشى معايرة العربان * حيث تأسر غلاما بالذل والهوان * وما اختبرته في حومة الميدان * وما علمت أهو فارس أو جبان * فضحك صباح وقال بالله العجب انك في سن الغلام * ولكنك كبير الكلام * لان هذا القول لا يصدر الا عن البطل المصدام * فقال كان ما كان الانصاف أنك اذا شئت أخذي أسيرا خادما لك أن ترمي سلاحك وتخفف لباسك وتصارعني وكل من صرع صاحبه بلغ منه مرامه * وجعله غلامه * فضحك صباح وقال ما أطن كثرة كلامك * الا لدنو حمامك * ثم رمى سلاحه * وشمر أذياله * ودنا من كان ما كان وتجاذبا فوجده البدوي يرجح عليه كما يرجح القنطار * على الدينار * ونظر الى ثبات رجليه في الارض فوجدهما كالاذنتين المؤستين * أو الجبلين الراسخين * فعرف من نفسه قصر باعه * وندم على الدنو من صراعه * وقال في نفسه ليتني قاتلته بسلاحي ثم ان كان ما كان قبضه وتمكن منه وهزه فأحس أن أمعاءه تقطعت في بطنه فصاح أمسك بدك يا غلام فلم يلتفت الى ما أبداه من

الكلام بل حمله من الارض وقصد به النهر فناداه صباح قائلا يا أيها البطل ماتريد أن تفعل به
قال أريد أن أرميك فى هذا النهر فانه يوصلك الى دجلة والى دجلة توصلك الى نهر عيسى ونهر
عيسى يوصلك الى الفرات والفرات يلقيك الى بلادك فيراك قومك فيعرفونك ويعرفون
مروءتك وصدق محبتك فصاح صباح * ونادى يا فارس البطاح * لا تفعل فعل القباح
أطلقنى بحياة بنت عمك سيدة الملاح * فحطه كان ما كان فى الارض فلما رأى نفسه خالصا
ذهب الى ترسه وسيفه وأخذهما وصار يشاور نفسه على الهجوم عليه فعرف كان ما كان
ما يشاور نفسه عليه فقال له قد عرفت ما فى قلبك * حيث أخذت سيفك وترسك * فانه قد خطر
ببالى أنه ليس لك يد فى الصراع تطول * ولو كنت على فرس تجول * لكنت بسيفك على
تصول * وها أنا أبلغك ما تختار * حتى لا يبقى فى قلبك انكسار * فاعطنى الترس واهجم على
بسيفك فاما أن تقتلنى واما أن أقتلك فرمى له الترس وجرد سيفه وهجم عليه على كان ما كان
فتناول الترس بيمينه وصار يلاقى به عن نفسه وصار صباح يضربه ويقول له ما بقى الا هذه
الضربة الفاصلة فيتلقاها كان ما كان وتروح ضائعة ولم يكن مع كان ما كان شئ يضرب به ولم
يزل صباح يضربه بالسيف حتى كلت يده وعرف كان ما كان ضعف قوته * وانحلال عزيمته
فهجم عليه وهزه وألقاه فى الارض وكتفه بحمائل سيفه وجره من رجليه الى جهة النهر فقال
صباح وما تريد أن تصنع بى يا فارس الزمان * وبطل الميدان * قال ألم أقل لك انى أرسلك الى
قومك فى النهر حتى لا يشتغل خاطرهم عليك وتتعوق عن عرس بنت عمك فتضجر صباح
وبكى وصاح * وقال لا تفعل يا فارس الزمان * واجعلنى لك من بعض الغلمان * ثم أفاض دمع
العين * وأنشد هذين البيتين

تغربت عن أهلى فيا طول غربتى * ويا ليت شعرى هل أموت غريبا
أموت وأهلى ليس تعرف مقتلى * وأودى غريبا لا أزور حبيبا

فرحمه كان ما كان وأطلقه بعد ان أخذ عليه العهود والمواثيق * أنه يصحبه فى الطريق
ويكون له نعم الرفيق * ثم ان صباحا أراد أن يقبل يد كان ما كان فمنعه من تقبيلها ثم قام البدوى
الى جرابه وفتحه وأخذ منه ثلاث قرصات شعير وحطها قدام كان ما كان وجلس معه على شاطئ
النهر وأكلا مع بعضهما ثم توضآ وصليا وجلسا يتحدثان فيما لقياه من صروف الزمان * فقال
كان ما كان للبدوى أين تقصد فقال صباح أقصد بغداد بلدك وأقيم بها حتى يرزقنى الله
بالصداق فقال له دونك والطريق ثم ودعه البدوى وتوجه فى طريق بغداد وأقام كان ما كان
وقال فى نفسه يا نفسى أى وجه للرجوع مع الفقر والفاقة فوالله لا أرجع خائبا ولا بد لى من
الفرج ان شاء الله ثم تقدم الى النهر وتوضأ وصلى فلما سجد ووضع جبهته على التراب نادى ربه
قائلا اللهم منزل المطر * ورازق الدود فى الحجر * أسألك أن ترزقنى بقدرتك * ولطيف رحمتك
ثم سلم من صلاته وشاق به كل مسلك فبينما هو جالس يلتفت يمينا وشمالا واذا بفارس أقبل
على جواد وقد اقتحم ظهره * وأرخى عنانه * فاستوى كان ما كان جالسا وبعد ساعة وصل
اليه الفارس وهو فى آخر نفس لانه كان به جرح بالغ فلما وصل اليه جرى دمعه على خده مثل
أفواه القرب وقال لكان ما كان يا وجه العرب اتخذنى ما عشت لك صديقا فانك لا تجد مثلى

واسقنى

واسقنى قليلا من الماء وان كان شرب الماء لا يصلح للمجروح سيما وقت خروج الروح * وان عشت أعطيتك ما يدفع فقرك وان مت فأنت المسعود بحسن نيتك وكان تحت الفارس حصان * يتحير فى حسنه الانسان * ويكل عن وصفه اللسان * وله قوائم مثل أعمدة الرخام * معد ليوم الحرب والزحام * فلما نظر كان ما كان الى ذلك الحصان أخذه الهيام * وقال فى نفسه ان هذا الحصان لا يكون فى هذا الزمان * ثم انه أنزل الفارس ورفق به وجرعه يسيرا من الماء ثم صبر عليه حتى أخذ الراحة وأقبل عليه وقال له من الذى فعل بك هذه الفعال فقال الفارس أنا أخبرك بحقيقة الحال انى رجل سلال غيار * طول دهرى أسل الخيل وأختلسها فى الليل والنهار واسمى غسان * آفة كل فرس وحصان * وقد سمعت بهذا الحصان فى بلاد الروم عند الملك افريدون * وقد سماه بالقاتول ولقبه بالمجنون وقد سافرت الى القسطنطينية من أجله وصرت أراقبه فبينما أنا كذلك اذ خرجت عجوز معظمة عند الروم وأمرها عندهم فى الخداع متناهى تسمى شواهى * ذات الدواهى * ومعها هذا الجواد وصحبتها عشرة عبيد لا غير برسم خدمة ذلك الحصان * وهى تقصد بغداد وتريد الدخول على الملك ساسان * لتطلب منه الصلح والامان * فخرجت فى أثرهم طمعا فى الحصان ومازلت تابعهم ولا أتمكن من الوصول اليه لان العبيد شداد الحرص عليه * الى أن وصلوا الى تلك البلاد * وخفت أن يدخلوا مدينة بغداد * فبينما أنا أشاور نفسى فى سرقة الحصان اذ طلع عليهم غبار * حتى سد الاقطار * ثم انكشف ذلك الغبار * عن خمسين فارسا مجتمعين لقطع الطريق على التجار ورئيسهم يقال له كهرداش * ولكنه فى الحرب كأسد يجعل الابطال كالفراش * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والاربعون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الفارس المجروح قال لكان ما كان فخرج على العجوز ومن معها كهرداش ثم أحاط بهم وهاش وناش فلم تمض ساعة حتى ربط العشرة عبيد والعجوز وتسلم الحصان وسار بهم وهو فرحان فقلت فى نفسى قد ضاع تعبى وما بلغت أربى ثم صبرت حتى أنظر ما يئول اليه الامر فلما رأت العجوز روحها فى الاسر بكت وقالت لكهرداش أيها الفارس الهمام والبطل الضرغام * ماذا تصنع بالعجوز والعبيد * وقد بلغت من الحصان ما تريد * وخادعته بلين الكلام * وحلفت أنها تسوق له الخيل والانعام * فاطلقها هى والعبيد ثم سار هو وأصحابه وتبعتهم حتى وصلت الى هذه الديار * وأنا ألاحظه فلما وجدت اليه سبيلا سرقته وركبته وأخرجت من مخلاتى سوطا فضربته فلما أحسوا بى لحقونى وأحاطوا بى من كل مكان * ورمونى بالسهام والسنان * وأنا ثابت عليه * وهو يقاتل عنى بيديه ورجليه * الى أن خرج بى من بينهم مثل النجم الطارق والسهم الراشق * ولكن لما اشتد الكفاح * أصابنى بعض الجراح * وقد مضى لى على ظهره ثلاثة أيام * لم أستطع بطعام * وقد ضعفت منى القوى * وهانت على الدنيا وأنت أحسنت الى وشفقت على * وأرأف العارى الجسد * ظاهر الكمد * ويلوح عليك أثر النعمة فما يقال لك فقال أنا يقال لى كان ما كان بن الملك نوء المكان * بن الملك عمر النعمان * قد مات والدى وربيت يتيما وتولى بعده رجل لئيم * وصار ملكا على الحقير والعظيم * ثم حدثه

بحديثه من أوله الى آخره فقال الرجل السلال وتدرق له انك ذو حسب عظيم وشرف جسيم وليكن لك شان وتصبر أفرس هذا الزمان فان قدرت أن تحملني وتركب ورائي وتوديني الى بلادي يكن لك الشرف في الدنيا والأجر في يوم التنادي فانه لم يبق لي قوة أمسك بها نفسي وان مت في الطريق فزت بهذا الحصان وأنت أولى به من كل انسان فقال له كان ما كان والله لو قدرت أن أحملك على أكتافي لفعلت ولو كان عمري بيدي لأعطيتك نصفه من غير هذا الجواد لاني من أهل المعروف واغاثة الملهوف وفعل الخير لوجه الله تعالى بسبعين بابا من البلاء وعزم على أن يحمله على الحصان ويسير متوكلا على اللطيف الخبير فقال له اصبر علي قليلا ثم غمض عينيه وفتح يديه وقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وتهيأ للممات وأنشد هذه الابيات

ظلمت العباد وطفت البلاد * وأمضيت عمري بشرب الخمور
وخضت السيول لسل الخيول * وهدم الطلول بفعل النكور
وأمري عظيم وجرمي جسيم * وقاتول مني تمام الامور
وأملت أني أنال المنى * بذاك الحصان فاعيا مسيري
وطول الحياة أسل الخيول * فكانت وفاتي عند الغدير
وآخر أمري أني تعبت * لرزق الغريب اليتيم الفقير

فلما فرغ من شعره غمض عينيه وفتح فاه وشهق شهقة ففارق الدنيا فحفر له كان ما كان حفرة ووراه في التراب ثم مسح وجه الحصان ورآه لا يوجد في حوزة الملك ساسان ثم أتته الاخبار من التجار بجميع ما جرى في غيبته بين الملك ساسان والوزير دندان وأن الوزير دندان خرج عن طاعة الملك ساسان هو ونصف العسكر وحلفوا أنهم ما لهم سلطان الا كان ما كان واستوثق منهم بالايمان ودخل بهم الى جزائر الهند والبربر وبلاد السودان واجتمع معهم عساكر مثل البحر الزاخر لا يعرف لهم أول من آخر وعزم على أن يرجع بجميع الجيوش الى البلاد ويقتل من خالفه من العباد وأقسم على أنه لا يرد سيف الحرب الى غمده حتى يملك كان ما كان فلما بلغته هذه الاخبار غرق في بحر الافكار ثم ان الملك ساسان علم أن الدولة انحرفت عليه الكبار والصغار فغرق في بحر الهموم والاكدار وفتح الخزائن وفرق على أرباب الدولة الاموال والنعم وتمنى أن يقدم عليه كان ما كان ويجذب قلبه اليه بالملاطفة والاحسان ويجعله أميرا على العساكر الذين لم يزالوا تحت طاعته لتقوى به شرارة جمرته ثم ان كان ما كان لما بلغه ذلك الخبر من التجار رجع مسرعا الى بغداد على ظهر ذلك الجواد فبينما الملك ساسان في ربكته حيران اذ سمع بقدوم كان ما كان فاخرج جميع العساكر ووجهاء بغداد لملاقاته فخرج كل من في بغداد ولاقوه ومشوا قدامه الى القصر ودخلت الطواشية بالاخبار الى أمه فجاءت اليه وقبلته بين عينيه فقال يا أماه دعيني أمضي الى عمي السلطان ساسان الذي عمرني بالنعمة والاحسان ثم ان أرباب الدولة تحيروا في وصف ذلك الحصان وفي وصف صاحبه سيد الفرسان وقالوا للملك ساسان أيها الملك اننا ما رأينا مثل هذا الانسان ثم ذهب الملك ساسان وسلم عليه فلما رآه كان ما كان مقبلا عليه قام اليه وقبل

يديه

يديه ورجليه وقدم اليه الحصان هدية فرحب به وقال أهلا وسهلا بولدى كان ما كان والله لقد ضاقت بى الارض لاجل غيبتك والحمد لله على سلامتك ثم نظر السلطان الى هذا الحصان المسمى بالقاتول فعرف أنه الحصان الذى كان رآه سنة كذا وكذا فى حصار عبدة الصلبان مع أبيه ضوء المكان حين قتل عمه شركان وقال له لو قدر عليه أبوك لاشتراه بألف جواد ولكن الآن عاد العز الى أهله وقد قبلناه ومنالك وهبناه وأنت أحق به من كل انسان لانك سيد الفرسان ثم أمر أن يحضروا المكان ما كان خلعة سنية وجملة من الخيل وأفرده فى القصر أكبر الدور وأقبل عليه العز والسرور وأعطاه مالا جزيلا وأكرمه غاية الاكرام لانه كان يخشى عاقبة أمر الوزير دندان ففرح بذلك كان ما كان وذهب عنه الذل والهوان ودخل بيته وأقبل على أمه وقال يا أمى ما حال ابنة عمى فقالت والله يا ولدى انه كان عندى من غيبتك ما شغلنى عن محبوبتك فقال يا أمى اذهبى اليها وأقبلى عليها لعلها تجود على بنظرة فقالت له ان المطامع تذل أعناق الرجال فدع عنك هذا المقال لئلا يفضى بك الى الوبال فأنا لا أذهب اليها ولا أدخل بهذا الكلام عليها فلما سمع من أمه ذلك أخبرها بما قاله السلال من أن العجوز ذات الدواهى طرقت البلاد وعزمت على أن تدخل بغداد وقال هى التى قتلت عمى وجدى ولا بد أن أكشف العار وآخذ الثار ثم ترك أمه وأقبل على عجوز عاهرة محتالة ماكرة اسمها سعدانة وشكا اليها حاله وما يجده من حب قضى فكان وسألها أن تتوجه اليها وتستعطفها عليه فقالت له العجوز سمعا وطاعة ثم فارقته ومضت الى قصر قضى فكان واستعطفت قلبها عليه ثم رجعت اليه وأعلمته بأن قضى فكان تسلم عليه ووعدتها أنها فى نصف الليل تجىء اليه * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والاربعون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن العجوز رجعت الى كان ما كان وأعلمته بأن قضى فكان تسلم عليه ووعدتها أنها فى نصف الليل تجىء اليه فلما بلغه ذلك الخبر فرح لوعد ابنة عمه قضى فكان فلما جاء نصف الليل أتته بملاءة سوداء من الحرير ودخلت عليه ونبهته من نومه وقالت له كيف تدعى أنك تحبنى وأنت خلى البال نائم على حسن الحال فانتبه وقال والله يا منية القلب انى ما تمت الا طمعا فى أن يزورنى منك طيف الخيال فعند ذلك عاتبته بعتاب لطيف الكلمات وأنشدت هذه الابيات

لو كنت تصدق فى المحبة ما جنحت الى المنام
يا مدعى طرق المحبة فى المودة والغرام
والله يا ابن العم ما * رقدت عيون المستهام

فاستحى منها كان ما كان وتعانقا وتشاكيا ألم الفراق وعظيم الوجد والاشتياق ولم يزالا كذلك الى أن بدت غرة الصباح وطلع الفجر ولاح فبكى كان ما كان بكاء شديدا وصعد الزفرات وأنشد هذه الابيات

فيا زائرى من بعد فرط صدوده * وفى الثغر منه الدر فى نظم عقده
فقبلته ألفا وعانقت قده * وبت وخدى لاصقا تحت خده

الى أن بدا نور الصباح فراعنا * كحد حسام لاح من جوف غمده

فلما فرغ من شعره ودّعته قضى فكان ورجعت الى خدرها وأظهرت بعض الجوارى على سرّها فذهبت جارية منهن الى الملك ساسان وأعلمته بالخبر فتوجه الى قضى فكان وجرّد عليها الحسام وأراد أن يضرب عنقها فدخلت عليه أمها نزهة الزمان وقالت له بالله لا تفعل بها ضررا فانك ان فعلت بها ضررا يشيع الخبر بين الناس وتبقى معيرة عند ملوك الزمان ان كان ما كان صاحب عرض ومروأة ولا يفعل أمرا يعاب عليه فاصبر ولا تعجل فان أهل القصر وجميع أهل بغداد قد شاع عندهم أن الوزير دندان قاد العساكر من جميع البلدان * وجاء بهم ليملكوا كان ما كان * فقال لها لا بدّ أن أرميه فى بلية بحيث لا أرض تقله * ولا سماء تظله وانى ما طيبت خاطره ولا أنعمت عليه * الا لاجل أهل مملكتى لئلا يميلوا اليه * وسوف ترين ما يكون ثم تركها وخرج يدبر أمر مملكته هذا ما كان من أمر الملك ساسان وأما ما كان من أمر كان ما كان فانه أقبل على أمه فى ثانى يوم وقال لها يا أمى انى عزمت على شنّ الغارات * وقطع الطرقات * وسوق الخيل والنعم والعبيد والمماليك واذا كثر مالى * وحسن حالى * خطبت قضى فكان * من عمى ساسان * فقالت يا ولدى ان أموال الناس غير ثابتة لان دونها ضرب الصفاح * وطعن الرماح * ورجالا تقتنص الاسود * وتصيد الفهود * فقال لها كان ما كان هيهات أن أرجع عن عزيمتى * الا اذا بلغت منيتى * ثم أرسل العجوز الى قضى فكان ليعلمها أنه يريد السير حتى يحصل لها مهرا يصلح لها وقال للعجوز لا بدّ أن تأتينى منها بجواب فقالت له سمعا وطاعة ثم ذهبت اليها ورجعت له بالجواب وقالت له انها فى نصف الليل تكون عندك فأقام سهران الى نصف الليل من قلقه فلم يشعر الا وهى داخلة عليه وتقول له روحى فداك من السهر فنهض لها قائما وقال يا منية القلب روحى فداك من جميع الأسواء ثم أعلمها بما عزم عليه فبكت فقال لها لا تبكى يا بنت العم فأنا أسأل الذى حكم علينا بالفراق * أن يمنّ علينا بالتلاقى والوفاق * ثم ان كان ما كان أخذ فى السفر ودخل على أمه وودّعها ونزل من القصر وتقلد بسيفه وتعمم وتلثم وركب جواده القاتول ومشى فى شوارع المدينة وهو كالبدر حتى وصل الى باب بغداد واذا برفيقه صباح بن رباح خارج من المدينة فلما رآه جرى فى ركابه وحياه فردّ عليه السلام فقال صباح يا أخى كيف صار لك هذا الجواد وهذا المال وأنا الآن لا أملك غير سيفى فقال له كان ما كان ما يرجع الصياد الا بصيد على قدر نيته وبعد فراقك بساعة حصلت لى السعادة وهل لك أن تأتى معى وتخلص النية فى صحبتى وتسافر فى تلك البرية فقال ورب الكعبة ما بقيت أدعوك الا مولاى ثم جرى قدّام الجواد وسيفه على عاتقه وجرابه بين كتفيه ولم يزالا سائرين فى البرارى بعشة أيام وهما يأكلان من صيد الغزلان ويشربان من ماء العيون وفى اليوم الخامس أشرفا على تلّ عال تحته مراتع فيها ابل وغنم وبقر وخيل قد ملأت الروابى والبطاح * وأولادها الصغار تلعب حول المراح * فلما رأى ذلك كان ما كان زادت به الافراح * وامتلأ صدره بالانشراح * وعوّل على القتال * وأخذ النياق والجمال * فقال لصباح انزل بنا على هذا المال الذى عن أهله وحيد * ونقاتل دونه القريب والبعيد * حتى يكون لنا فى أخذه نصيب فقال صباح يا مولاى ان أصحابه خلق كثير * وجم غفير * وفيهم

ابطال

أبطال * من فرسان ورجال * وان رمينا أرواحنا فى هذا الخطب الجسيم * فاننا نكون من
هوله على خطر عظيم * فضحك كان ما كان * وعلم أنه جبان * فتركه واتخذ من الرابية عازما
على شن الغارات وترنم بانشاد هذه الابيات

وآل نعمان هم ذوو الهمم * والسادة الضاربون فى القمم
قوم اذا ما الهياج قام لهم * قاموا باسواقه على قدم
تسام عينا الفقير بينهم * ولا يرى قبح صورة العدم
وانني أرتجى معاونة * من مالك الملك بارئ النسم

ثم حمل على ذلك المال مثل الجمل الهائج وساق جميع الابل والبقر والغنم والخيل قدامه
فتبادرت اليه العبيد بالسيوف الصقال * والرماح الطوال * وفى أولهم فارس تركى الا أنه
شديد الحرب والكفاح * عارف باعمال سمر القنا وبيض الصفاح * فحمل على كان ما كان
وقال له ويلك لو علمت لمن هذا المال * ما فعلت هذه الفعال * اعلم أن هذه الاموال للعصابة
الرومية * والفرقة الجركسية * الذين ما فيهم الا كل بطل عابس * وهم مائة فارس *
قد خرجوا عن طاعة كل سلطان * وقد سرق منهم حصان * وحلفوا أن لا يرجعوا من هنا الا به
فلما سمع كان ما كان هذا الكلام صاح قائلا هذا هو الحصان الذى تعنون * وأنتم له
طالبون * وفى قتالى بسببه راغبون * فبارزونى كلكم أجمعون * وشأنكم وما تريدون *
ثم صرخ بين أذنى القاتول فخرج عليهم مثل الغول وعطف على الفارس وطعنه فأخرج
كلاه * ومال على ثان وثالث ورابع فأعدمهم الحياه * فعند ذلك هابته العبيد فقال
لهم يا بنى الزوانى * سوقوا المال والخيول والا خضبت من دمائكم سنانى * فساقوا المال
وأخذوا فى الانطلاق واتخذ اليه صباح * وأعلن بالصياح * وزادت به الافراح * واذا
بغبار علا وطار حتى سد الاقطار وبان من تحته مائة فارس مثل الليوث العوابس
فلما رآهم صباح فر الى الرابية وترك البطاح وصار يتفرج على الكفاح وقال ما أنا
فارس الا فى اللعب والمزاح ثم ان المائة فارس داروا حول كان ما كان وأحاطوا به من كل مكان
فتقدم اليه فارس منهم وقال له أين تذهب بهذا المال فقال له كان ما كان دونك والقتال
واعلم أن من دونه أسدا أروع وبطلا سميذع وسيفا أينما مال قطع فلما سمع الفارس ذلك
الكلام التفت اليه فرآه فارسا كالاسد الضرغام الا أن وجهه كبدر التمام وكان ذلك
الفارس رئيس المائة فارس واسمه كهرداش فلما رأى كان ما كان مع كمال فروسيته بديع
المحاسن يشبه حسنه حسن معشوقة له يقال لها فاتن وكانت من أحسن النساء وجها قد
أعطاها الله من الحسن والجمال وكرم الخصال ما يعجز عن وصفه اللسان ويشغل قلب
كل انسان وكانت فرسان القوم تخشى سطوتها وأبطال ذلك القطر تخاف هيبتها
وحلفت أنها لا تتزوج الا من يقهرها وكان كهرداش من جملة خطابها فقالت لأبيها ما يقربنى
الا من يقهرنى فى الميدان وموقف الحرب والطعان فلما بلغ كهرداش هذا القول اختشى
أن يقاتل جارية وخاف من العار فقال له بعض خواصه أنت كامل الخصال فى الحسن
والجمال فلو قاتلتها وكانت أقوى منك فانك تغلبها لانها اذا رأت حسنك وجمالك تنهزم قبالك

حتى تملكها لان النساء لهن غرض فى الرجال ولا يخفى عنك هذا الحال فأبى كهرداش وامتنع من قتالها واستمر على امتناعه من القتال الى أن جرت له مع كان ما كان هذه الافعال فظن أنه محبوبته فاتن وقد عشقته لما سمعت بحسنه وشجاعته فتقدم الى كان ما كان وقال ويلك يا فاتن قد أتيت لتريني شجاعتك * فانزلى عن جوادك حتى أتحدث معك * فانى قد سقت هذه الاموال * وقطعت الطريق على الفرسان والابطال * كل هذا الحسن وجمالك الذى ماله مثيل وتزوجينى حتى تخدم بنات الملوك وتصيرى ملكة هذه الاقطار فلما سمع كان ما كان هذا الكلام * صارت نار غيظه فى اضطرام * وقال ويلك يا كلب الاعجام * دع فاتنا وما بها ترتاب وتقدم الى الطعن والضراب * فعن قليل تبقى على التراب * ثم صال وجال * وطلب الحرب والنزال * فلما نظر كهرداش اليه علم أنه فارس همام * وبطل مصدام * وتبين له خطأ ظنه حيث لاح له عذار أخضر * فوق خده كآس نبت خلال ورد أحمر * وقال للذين معه ويلكم ليحمل واحد منكم عليه ويظهر له السيف البتار * والرمح الخطار * واعلموا أن قتال الجماعة للواحد عار ولو كان فى سنان رمحه شعلة نار * فعند ذلك حمل عليه فارس تحته جواد أدهم * بتحجيل وغرة كالدرهم * يحير العقل والناظر * كما قال فيه الشاعر

قد جاءك المهر الذى نزل الوغى * جذلان يخلط أرضه بسمائه

وكأنما لطم الصباح جبينه * واقتص منه فخاض فى أحشائه

ثم ان ذلك الفارس حمل على كان ما كان وتجاولا فى الحرب برهة من الزمان وتضاربا ضربا يحير الافكار * ويعشى الابصار فسبقه كان ما كان بضربة بطل شجاع قطعت منه العمامة والمغفر فمال عن الجواد كأنه البعير اذا انحدر وحمل عليه الثانى والثالث والرابع والخامس ففعلوا بهم كالاول ثم حمل عليه الباقون وقد اشتد بهم القلق * وزادت الحرق * فما كان الا ساعة حتى التقطهم بسنان رمحه فنظر كهرداش الى هذا الحال * فخاف من الارتحال وعرف من نفسه أن عنده ثبات الجنان واعتقد أنه أوحد الابطال والفرسان * فقال لكان ما كان قد وهبت لك دمك ودم أصحابى فخذ من المال ما شئت واذهب الى حال سبيلك فقد رحمتك لحسن شبابك والحياة أولى بك فقال له كان ما كان لا عدمت مروأة الكرام ولكن اترك عنك هذا الكلام وفز بنفسك ولا تخش الملام ولا تطمع نفسك فى رد الغنيمة واسلك لنجاة نفسك طريقة مستقيمة فعند ذلك اشتد بكهرداش الغضب وحصل عنده ما يوجب العطب فقال لكان ما كان ويلك لو عرفت من أنا ما نطقت بهذا الكلام فى حومة الزحام فاسأل عنى فأنا الاسد البطاش المعروف بكهرداش الذى نهب الملوك الكبار وقطع الطريق عن جميع السفار وأخذ أموال التجار وهذا الحصان الذى تحتك طلبتى وأريد أن تعرفنى كيف وصلت اليه حتى استوليت عليه فقال اعلم أن هذا الجواد كان سائرا الى عمى الملك ساسان تحت عجوز كبيرة ولنا عندها ثار من جهة جدتى الملك عمر النعمان وعمى الملك شركان فقال كهرداش ويلك ومن أبوك لا أم لك فقال اعلم أنى كان ما كان ابن الملك ضوء المكان بن عمر النعمان فلما سمع كهرداش هذا الخطاب قال لا يستنكر عليك الكمال والجمع بين الفروسية والجمال ثم قال له توجه بأمان فان أباك كان صاحب فضل واحسان فقال له

كان

كان ما كان أنا والله ما أوقرك يا مهان فاغتاظ البدوى ثم حمل كل منهما على صاحبه فسدّت لهما الخيل آذانها ورفعت أذنابها ولم يزالا يصطدمان حتى ظنّ كل منهما أن السماء قد انشقت ثم بعد ذلك تقاتلا كأكاش النطاح واختلفت بينهما طعنات الرماح فحاوله كهرداش بطعنة فزاغ عنها كان ما كان ثم كرّ عليه وطعنه فى صدره فأطلع السنان يلمع من ظهره وجمع الخيل والاسلاب وصاح فى العبيد دونكم والسوق الشديد فنزل عند ذلك صباح وجاء الى كان ما كان وقال له أحسنت يا فارس الزمان انى دعوت لك وقد استجاب ربى دعائى ثم ان صباحا قطع رأس كهرداش فضحك كان ما كان وقال له ويلك يا صباح انى كنت أظنّ أنك فارس الحرب والكفاح فقال له لا تنفس عبدك من هذه الغنيمة لعلى أصل بسببها الى زواج بنت عمى بنجمة فقال له لا بدّ لك فيها من نصيب ولكن كن محافظا على الغنيمة والعبيد ثم ان كان ما كان سار متوجها الى الديار ولم يزل سائرا بالليل والنهار حتى أشرف على مدينة بغداد وعلمت به جميع الاجناد ورأوا ما معه من الغنيمة والاموال ورأس كهرداش على رمح صباح وعرف التجار رأس كهرداش ففرحوا وقالوا لقد أراح الله الخلق منه لانه كان قاطع الطريق وتعجبوا من قتله ودعوا لقاتله وأتت أهل بغداد الى كان ما كان بما جرى من الاخبار فهابته جميع الرجال وخافته الفرسان والابطال وساق ما معه الى أن أوصله تحت القصر وركز الرمح الذى عليه رأس كهرداش الى باب القصر ووهب للناس وأعطاهم الخيل والجمال فأحبه أهل بغداد ومالت اليه القلوب ثم أقبل على صباح وأنزله فى بعض الاماكن الفساح ثم دخل على أمه وأخبرها بما جرى له فى سفره وقد وصل الى الملك خبره فقام من مجلسه واختلى بخواصه وقال لهم اعلموا أنى أريد ان أبوح لكم بسرى وأبدى لكم مكنون أمرى اعلموا أن كان ما كان هو الذى يكون سببا لانقلاعنا من هذه الاوطان لانه قتل كهرداش مع أن له قبائل من الاكراد والاتراك وأمر نا معه آيل الى الهلاك وأكثر خوفنا من أقاربه وقد علمتم بما فعل الوزير دندان فانه جد معروفى بعد الاحسان وخاننى فى الايمان وبلغنى أنه جمع عساكر البلدان وقصد أن يسلطن كان ما كان لان السلطنة كانت لابيه وجده ولا شك أنه قاتلى بلا محالة فلما سمع خواص مملكته منه هذا الكلام قالوا له أيها الملك انه أقل من ذلك ولولا أننا علمنا بأنه تربيتك لم يقبل عليه منا أحد واعلم أننا بين يديك ان شئت قتلناه وان شئت بعده أبعدناه فلما سمع كلامهم قال ان قتله هو الصواب ولكن لا بدّ من أخذ الميثاق فحلفوا على أنهم لا بدّ أن يقتلوا كان ما كان فاذا أتى الوزير دندان وسمع بقتله تضعف قوته عما هو عازم عليه فلما أعطوه العهد والميثاق على ذلك أكرمهم غاية الاكرام ثم دخل بيته وقد تفرّق عنه الرؤساء وامتنعت العساكر من الركوب والنزول حتى يبصروا ما يكون لانهم رأوا غالب العسكر مع الوزير دندان ثم ان ذلك الخبر وصل الى قضى فكان فصل عندها غم زائد وأرسلت الى العجوز التى عادتها أن تأتيها من عند ابن عمها بالاخبار فلما حضرت عندها أمرتها أن تذهب اليه وتخبره بالخبر فلما وصلت اليه العجوز سلمت عليه ففرح بها وأخبرته بالخبر فلما سمع ذلك قال بلغى بنت عمى سلامى وقولى لها ان الارض لله عز وجل يورثها من يشاء من عباده وما أحسن قول القائل

الملك لله من يظفر بنيل منى * يردده قهرا ويضمن عنده الدركا

لو كان لى أو لغيرى قدر أنملة * من التراب لكان الامر مشتركا

فرجعت العجوز الى بنت عمه وأخبرتها بما قاله وأعلمتها بأن كان ما كان أقام فى المدينة ثم ان الملك ساسان صار ينتظر خروجه من بغداد ليرسل وراءه من يقتله فاتفق أنه خرج الى الصيد والقنص وخرج صباح معه لانه كان لا يفارقه ليلا ولا نهارا فاصطاد عشر غزالات وفيهن غزالة كحلاء العيون صارت تتلفت يمينا وشمالا فأطلقها فقال له صباح لاى شئ أطلقت هذه الغزالة فضحك كان ما كان وأطلق الباقى وقال له ان من المروأة اطلاق الغزالات التى لها أولاد وما تتلفت تلك الغزالة الا لان لها أولادا فأطلقتها وأطلقت الباقى فى كرامتها فقال له صباح أطلقنى حتى أروح الى أهلى ففضحك وضربه بعقب الرمح على قلبه فوقع على الارض يلتوى كالثعبان فبينما هما كذلك واذا بغبرة ثائرة وخيل تركض وبان من تحتها فرسان وشجعان وسبب ذلك أن الملك ساسان أخبره جماعة ان كان ما كان خرج الى الصيد والقنص فأرسل أميرا من الديلم يقال له جامع ومعه عشرون فارسا ودفع لهم المال ثم أمرهم أن يقتلوا كان ما كان فلما قربوا منه حملوا عليه وحمل عليهم فقتلهم عن آخرهم واذا بالملك ساسان ركب وسار ولحق بالعسكر فوجدهم مقتولين فتعجب ورجع واذا بأهاليهم قبضوا عليه وشدوا وثاقه ثم ان كان ما كان توجه بعد ذلك من ذلك المكان وتوجه معه صباح البدوى فبينما هو سائر اذ رأى فى طريقه شابا على باب داره فألقى كان ما كان عليه السلام فرد الشاب عليه السلام ثم دخل الدار وخرج ومعه قصعتان احداهما فيها لبن والثانية فيها ثريد والسمن فى جوانبها يموج ووضع القصعتين قدام كان ما كان وقال له تفضل علينا بالأكل من زادنا فامتنع كان ما كان من الاكل فقال له الشاب مالك أيها الانسان لا تأكل فقال له كان ما كان انه على نذر فقال له الشاب وما سبب نذرك فقال له كان ما كان اعلم ان الملك ساسان غصب ملكى ظلما وعدوانا مع ان ذلك الملك كان لابى وجدى من قبلى فاستولى عليه قهرا بعد موت أبى ولم يعتبرنى لصغر سنى فنذرت أننى لا آكل لاحد زادا حتى أشفى فؤادى من غريمى فقال له الشاب أبشر فقد وفى الله نذرك واعلم أنه مسجون فى مكان وأظنه أن يموت قريبا فقال له كان ما كان فى أى بيت هو معتقل فقال له فى تلك القبة العالية فنظر كان ما كان الى قبة عالية ورأى الناس فى تلك القبة يدخلون وعلى ساسان يلطمون وهو يتجرع غصص المنون فقام كان ما كان ومشى حتى وصل الى تلك القبة وعاين ما فيها ثم عاد الى موضعه وقعد على الاكل وأكل ما تيسر ووضع ما بقى من اللحم فى مزوده ثم جلس مكانه ولم يزل جالسا الى أن أظلم الليل ونام الشاب الذى ضيفه ثم ذهب كان ما كان الى القبة التى فيها ساسان وكان حولها كلاب يحرسونها فوثب له كلب من الكلاب فرمى له قطعة لحم من الذى فى مزوده ومازال يرمى للكلاب لحما حتى وصل الى القبة وتوصل الى أن صار عند الملك ساسان ووضع يده على رأسه فقال له بصوت عال من أنت فقال أنا كان ما كان الذى سعيت فى قتله فأوقعك الله فى سوء تدبيرك أما يكفيك أخذ ملكى وملك أبى وجدى حتى تسعى فى قتلى فحلف ساسان الايمان الباطلة أنه لم يسع فى قتله وأن هذا الكلام غير صحيح فصفح عنه كان ما كان وقال له اتبعنى فقال لا أقدر أن أخطو خطوة واحدة لضعف قوتى فقال كان ما كان اذا كان الامر كذلك نأخذ لنا فرسين ونركب أنا وأنت ونطلب البر ثم نفعل

كما

كما قال وركب هو وساسان وسارا الى الصباح ثم صلوا الصبح وساروا ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا الى بستان فجلسوا فيه يتحدثون ثم قام كان ما كان الى ساسان وقال له هل بقي في قلبك مني أمر تكرهه قال ساسان لا والله ثم اتفقوا على أنهم يرجعون الى بغداد فقال صباح البدوي أنا أسبقكما لابشر الناس فسبق يبشر النساء والرجال فخرجت اليه الناس بالدفوف والمزامير وبرزت قضى فكان وهي مثل البدر بهي الانوار في دياجي الاعتكار فقابلها كان ما كان وحنت الارواح للارواح واشتاقت الاشباح للاشباح ولم يبق لاهل العصر حديث الا في كان ما كان وشهد له الفرسان أنه أشجع أهل الزمان وقالوا لا يصلح أن يكون سلطانا علينا الا كان ما كان ويعود الى ملك جده كما كان وأما ساسان فانه دخل على نزهة الزمان فقالت له اني أرى الناس ليس لهم حديث الا في كان ما كان ويصفونه بأوصاف يعجز عنها اللسان فقال لها ليس الخبر كالعيان فاني رأيته ولم أر فيه صفة من صفات الكمال وما كل ما يسمع يقال ولكن الناس تقلد بعضهم بعضا في مدحه ومحبته وأجرى الله على ألسنة الناس مدحه حتى مالت اليه قلوب أهل بغداد والوزير دندان الغادر الخوان وقد جمع له عساكر من سائر البلدان ومن الذي يكون صاحب الاقطار ويرضى أن يكون تحت يد حاكم يتيم ماله مقدار فقالت له نزهة الزمان وعلى ماذا عولت فقال لها عولت على قتله ويرجع الوزير دندان خائبا في قصده ويدخل تحت أمري وطاعتي ولا يبقى له الا خدمتي فقالت له نزهة الزمان ان الغدر قبيح بالاجانب فكيف بالاقارب والصواب أن تزوجه ابنتك قضى فكان وتسمع ما قيل فيما مضى من الزمان

اذا رفع الزمان عليك شخصا * وكنت أحق منه ولو تصاعد
أنله حق رتبته تجده * يقيلك ان دنوت وان تباعد
ولا تقبل الذي تدريه فيه * تكن ممن عن الحسنى تقاعد
فكم في الخدر أبهى من عروس * ولكن للعروس الدهر ساعد

فلما سمع ساسان منها هذا الكلام * وفهم الشعر والنظام * قام مغضبا من عندها وقال لولا أني أعرف انك تمزحين لعلوت بالسيف رأسك * وأخمدت أنفاسك * فقالت حيث غضبت مني فأنا أمزح معك ثم وثبت اليه * وقبلت رأسه ويديه * وقالت له الصواب ما تراه وسوف أتدبر أنا وأنت في حيلة نقتله بها فلما سمع منها هذا الكلام فرح وقال لها عجلي بالحيلة وفرجي كربتي فلقد ضاق علي باب الحيل فقالت له سوف أتحيل لك على اتلاف مهجته فقال لها بأي شيء فقالت له بجاريتنا التي اسمها باكون * فانها في المنكرات فنون * وكانت هذه الجارية من أنحس العجائز * وعدم الخبث في مذهبها غير جائز * وكانت قد ربت كان ما كان وقضى فكان غير أن كان ما كان يميل اليها كثيرا ومن فرط ميله اليها * كان ينام تحت رجليها * فلما سمع الملك ساسان من زوجته هذا الكلام قال ان هذا الرأي هو الصواب ثم أحضر الجارية باكون وحدثها بما جرى وأمرها أن تسعى في قتله ووعدها بكل جميل فقالت له أمرك مطاع ولكن أريد يا مولاي أن تعطيني خنجرا قد سقي بماء الهلاك لأعجل لك باتلافه فقال لها ساسان مرحبا بك ثم أحضر لها خنجرا يكاد أن يسبق القضاء وكانت هذه الجارية قد سمعت الحكايات

والاشعار * وتحفظ النوادر والاخبار * فأخذت الخنجر وخرجت من الدار * مفكرة فيما يكون به الدمار * وأتت الى كان ما كان وهو قاعد ينتظر وعد السيدة قضى فكان وكان فى تلك الليلة قد تذكرت عمه قضى فكان * فانتهبت من حبها فى قلبه النيران * فبينما هو كذلك واذا بالجارية باكون داخلة عليه وهى تقول آن أوان الوصال * ومضت أيام الانفصال * فلما سمع ذلك قال لها كيف حال قضى فكان فقالت له باكون اعلم أنها مشتغلة بحبك فعند ذلك قام كان ما كان اليها * وخلع أثوابه عليها * ووعدها بكل جميل فقالت له اعلم أننى أنام عندك الليلة وأحدثك بما سمعت من الكلام * وأسليك بحديث كل متيم أمرضه الغرام * فقال لها كان ما كان حدثينى بحديث يفرح به قلبى * ويزول به كربى * فقالت له باكون حبا وكرامة ثم جلست الى جانبه وذلك الخنجر من داخل أثوابها فقالت له اعلم ان أعذب ما سمعت أذنى أن رجلا كان يعشق الملاح وصرف عليهن ماله حتى افتقر وصار لا يملك شيأ فضاقت عليه الدنيا فصار يمشى فى الاسواق و يفتش على شئ يقتات به فبينما هو ماش واذا بقطعة مسمار شكته فى أصبعه فسال دمه فقعد ومسح الدم وعصب أصبعه ثم قام وهو يصرخ حتى جاز على الحمام ودخلها ثم قلع ثيابه فلما صار داخل الحمام وجدها نظيفة فجلس على الفسقية ومازال ينزح الماء على رأسه الى أن تعب * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والاربعون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أنه جلس على الفسقية ومازال ينزح الماء على رأسه الى أن تعب فخرج الى الحوض البارد فلم يجد أحدا فاختلى بنفسه وأطلع قطعة حشيش وبلعها فساحت فى مخه فانقلب على الرخام وخيل له الحشيش أن مهتارا كبيرا يكبسه وعبدين واقفان على رأسه واحد معه الطاسة والآخر معه آلة الحمام وما يحتاج اليه البلان فلما رأى ذلك قال فى نفسه كأن هؤلاء غلطوا فى أومن طائفتنا الحشاشين ثم انه مد رجليه فتخيل له أن البلان قال له ياسيدى قد أزف الوقت على طلوعك واليوم نوبتك فتحلك وقال فى نفسه ماشاء الله يا حشيش ثم قعد وهو ساكت فقام البلان وأخذ بيده وأداره على وسطه مئزرا من الحرير الاسود ومشى وراءه العبدان بالطاسات والحوايج ولم يزالوا به حتى أدخلوه الخلوة وأطلقوا فيها البخور فوجدها ملآنة من سائر الفواكه والمشموم وشقوا له بطيخة وأجلسوه على كرسى من الآبنوس ووقف البلان يغسله والعبدان يصبان الماء ثم دلكوه دلكا جيدا وقالوا له يا مولانا الصاحب نعيم دائم ثم خرجوا وردوا عليه الباب فلما تخيل ذلك قام ورفع المئزر من وسطه وصار يحك الى أن غشى عليه واستمر ساعة يحك ثم قال فى نفسه ما بالهم يخاطبوننى خطاب الوزير و يقولون يا مولانا الصاحب ولعل الامر التبس عليهم فى هذه الساعة وبعد ذلك يعرفوننى و يقولون هذا زايط و يشبعون صكا فى قفاى ثم انه استحمى وفتح الباب فتخيل أن مملوكا صغيرا وطواشيا قد دخلا عليه فالمملوك معه بقجة ففتحها وأخرج منها ثلاث فوط من الحرير فرمى الأولى على رأسه والأخرى على أكتافه وحزمه بالثالثة وقدم له الطواشى قبقابا فلبسه وأقبلت عليه مماليكه وطواشيه وصار وا يسندونه وكل ذلك حصل وهو يحك الى أن خرج وطلع الليوان فوجد فرشا عظيما لا يصلح الا للملوك وتبادرت اليه الغلمان وأجلسوه على المرتبة وصاروا

يكبسونه

يكلمونه حتى غلب عليه النوم فلما نام رأى فى حضنه صبية فباسها ووضعها بين فخذيه وجلس
منها مجلس الرجل من المرأة وقبض ذكره بيده وسحبها عنده وعصرها تحته واذا بواحد يقول له
انتبه يا زليط قد جاء الظهر وأنت نائم ففتح عينه فوجد نفسه على الحوض البارد وحوله جماعة
يضحكون عليه وايره قائم والقوطة انحلت من وسطه وتبين له أن كل هذا أضغاث أحلام أو
تخيلات حشيش فاغتم ونظر الى الذى نبهه وقال كنت اصبر حتى أحطه فقال له الناس أما تستحى
يا حشاش وأنت نائم وذكرك قائم وصكوه حتى احمر قفاه وهو جيعان وقد ذاق طعم السعادة
وهو فى المنام فلما سمع كان ما كان من الجارية هذا الكلام ضحك حتى استلقى على قفاه وقال
لها كون يا دادتى ان هذا حديث عجيب فانى ما سمعت مثل هذه الحكاية فهل عندك غيرها
فقالت له نعم ثم ان الجارية باكون لم تزل تحدث كان ما كان بمخارف حكايات ونوادر مضحكات
حتى غلب عليه النوم ولم تزل تلك الجارية جالسة عند رأسه حتى مضى غالب الليل فقالت فى
نفسها هذا وقت انتهاز الفرصة ثم نهضت وسلت الخنجر ووثبت على كان ما كان وأرادت ذبحه
واذا بأم كان ما كان دخلت عليهما فلما رأتها باكون قامت لها واستقبلتها ثم لحقها الخوف
فصارت تتنفض كأنها أخذتها الحمى فلما رأتها أم كان ما كان تعجبت ونبهت ولدها من النوم
فلما استيقظ وجد أمه جالسة فوق رأسه وكان السبب فى حياته مجيئها وسبب مجىء أمه اليه
ان قضى فكان سمعت الحديث والاتفاق على قتله فقالت لامه يا زوجة عمى الحق ولدك قبل
أن تقتله العاهرة باكون وأخبرتها بما جرى من أوله الى آخره فخرجت وهى لا تعقل شيأ حتى
دخلت فى الساعة التى نام فيها وهمت باكون عليه تريد ذبحه فلما استيقظ قال لامه لقد جئت
يا أمى فى وقت طيب ودادتى باكون حاضرة عندى فى تلك الليلة ثم انه التفت الى باكون وقال
لها بحياتى عليك هل تعرفين حكاية أحسن من الحكاية التى حدثتنى بها فقالت له الجارية
وأين ما حدثتك به سابقا مما أحدثك به الآن فانه أعنب وأغرب ولكن أحكيه لك فى غير هذا
الوقت ثم قامت باكون وهى لا تصدق بالنجاة فقال لها مع السلامة ولحقت بعكرها أن أمه
عندها خبر بما حصل فذهبت الى حالها فعند ذلك قالت له والدته يا ولدى هذه ليلة مباركة
حيث نجاك الله تعالى من هذه الملعونة فقال لها وكيف ذلك فأخبرته بالامر من أوله الى
آخره فقال لها يا والدتى ان الحى ماله قاتل وان قتل لا يموت ولكن الأحوط لنا أننا نرحل من
عند هؤلاء الاعداء والله يفعل ما يريد فلما أصبح الصباح خرج كان ما كان من المدينة واجتمع
بالوزير دندان وبعد خروجه حصلت أمور بين الملك ساسان ونزهة الزمان أوجبت خروج نزهة
الزمان أيضا من المدينة فاجتمعت بهم واجتمع عليهم جميع أرباب دولة الملك ساسان الذين يميلون
اليهم فجلسوا يدبرون الحيلة فأجمع رأيهم على غزو ملك الروم وأخذ الثار ثم توجهوا الى غزو
الروم ووقعوا فى أسر الملك رومزان ملك الروم بعد أمور يطول شرحها كما يظهر من السياق
فلما أصبح الصباح أمر الملك رومزان أن يحضر كان ما كان والوزير دندان وجماعتهما فحضروا
بين يديه وأجلسهم بجانبه وأمر باحضار الموائد فأحضرت فأكلوا وشربوا واطمأنوا بعد أن
أيقنوا بالموت لما أمر باحضارهم وقالوا لبعضهم انه ما أرسل الينا الا لانه يريد قتلنا وبعد أن
اطمأنوا قال لهم الملك انى رأيت منا ما وقصصته على الرهبان فقالوا ما يفسره لك الا الوزير

دندان فقال له الوزير خيرا رأيت يا ملك الزمان فقال له أيها الوزير رأيت أني في حفرة على صفة بئر أسود وكأن أقواما يعذبونني فأردت القيام فلما نهضت وقعت على أقدامي وما قدرت على الخروج من تلك الحفرة ثم التفت فرأيت فيها منطقة من ذهب فمددت يدي لآخذها فلما رفعتها من الارض رأيتها منطقتين فشددت وسطي بهما فاذا هما قد صارتا منطقة واحدة وهذا أيها الوزير منامي * والذي رأيته في لذيذ أحلامي * فقال له الوزير دندان اعلم يا مولانا السلطان أن رؤيالك تدل على أن لك أخا أو ابن أخ أو ابن عم أو أحدا يكون من أهلك من دمك ولحمك وعلى كل حال هو من العصب فلما سمع الملك هذا الكلام نظر الى كان ما كان ونزهة الزمان وقضى فكان والوزير دندان وومن معهم من الاسارى وقال في نفسه اذا رميت رقاب هؤلاء انقطعت قلوب عسكرهم بهلاك أصحابهم ورجعت الى بلادي عن قريب لئلا يخرج الملك من يدي ولما صمم على ذلك استدعى بالسياف وأمره أن يضرب رقبة كان ما كان من وقته وساعته واذا بداية الملك قد أقبلت في تلك الساعة فقالت له أيها الملك السعيد على ماذا عولت فقال لها عولت على قتل هؤلاء الاسارى الذين في قبضتي وبعد ذلك أرمي رؤوسهم الى أصحابهم ثم أحمل أنا وأصحابي عليهم حملة واحدة فنقتل الذي نقتله ونهزم الباقي وتكون هذه وقعة الانفصال وأرجع الى بلادي عن قريب قبل أن يحدث بعد الامور أمور في مملكتي فعند ما سمعت منه دايته هذا الكلام أقبلت عليه وقالت له بلسان الافرنج كيف يطيب عليك أن تقتل ابن أختك وأختك وابنة أختك فلما سمع الملك من دايته هذا الكلام اغتاظ غيظا شديدا وقال لها يا ملعونة ألم تعلمي أن أمي قد قتلت وان أبي قد مات مسموما وأعطيتني خرزة وقلت لي ان هذه الخرزة كانت لابيك فلم لا تصدقيني في الحديث فقالت له كل ما أخبرتك به صدق ولكن شاني وشأنك عجيب * وأمري وأمرك غريب * فانني أنا اسمي مرجانة واسم أمك ابريزة وكانت ذات حسن وجمال * وشجاعتها تضرب بها الامثال * واشتهرت بالشجاعة بين الابطال * وأما أبوك فانه الملك عمر النعمان * صاحب بغداد وخراسان * من غير شك ولا ريب * ولا رجم غيب * وكان قد أرسل ولده شركان الى بعض غزواته صحبة هذا الوزير دندان وكان منهم الذي قد كان وكان أخوك الملك شركان تقدم على الجيوش وانفرد وحده عن عسكره فوقع عند أمك الملكة ابريزة في قصرها ونزلنا واياها في خلوة للصراع فصادفنا ونحن على تلك الحالة فتصارع مع أمك وغلبته لباهر حسنها وشجاعتها ثم استضافته أمك مدة خمسة أيام في قصرها فبلغ أبالك ذلك الخبر من العجوز شواهي الملقبة بذات الدواهي وكانت أمك قد أسلمت على يد شركان أخيك فأخذها وتوجه بها الى مدينة بغداد سرا وكنت أنا وريحانة وعشرون جارية معها وكنا قد أسلمنا كلنا على يد الملك شركان فلما دخلنا على أبيك الملك عمر النعمان ورأى أمك الملكة ابريزة وقع في قلبه محبتها فدخل عليها ليلة واختلى بها فحملت بك وكان مع أمك ثلاث خرزات فأعطتها لابيك فأعطى خرزة لامتنه نزهة الزمان وأعطى الثانية لاخيك ضوء المكان وأعطى الثالثة لاخيك الملك شركان فأخذتها منه الملكة ابريزة وحفظتها لك فلما قربت ولادتها اشتاقت أمك الى أهلها وأطلعتني على سرها فاجتمعت بعبد أسود يقال له الغضبان وأخبرته بالخبر سرا ورغبته في أن يسافر معنا فأخذنا العبد وطلعنا من المدينة وهربنا وكانت أمك قد

قربت

قربت ولادتها فلما دخلنا على أوائل بلادنا فى مكان منقطع أخذ أمك الطلق بولادتك فحدثت العبد نفسه بالخنا فأتى أمك فلما قرب منها راودها على الفاحشة فصرخت عليه صرخة عظيمة وانزعجت منه فمن عظم انزعاجها وضعتك حالا وكان فى تلك الساعة قد طلع علينا فى البر من ناحية بلادنا غبار * قد علا وطار * حتى سد الاقطار * فخشى العبد على نفسه الهلاك فضرب الملكة ابريزة بسيفه فقتلها من شدة غيظه وركب جواده وتوجه الى حال سبيله وبعد ما راح العبد انكشف الغبار عن جدك الملك حردوب ملك الروم فرأى أمك ابنته وهى فى ذلك المكان قتيلة * وعلى الارض جديلة * فصعب ذلك عليه * وكبر لديه * وسألنى عن سبب قتلها وعن سبب خروجها خفية من بلاد أبيها فحكيت له جميع ذلك من الاول الى الآخر وهذا هو سبب العداوة بين أهل بلاد الروم وبين أهل بلاد بغداد فعند ذلك احتملنا أمك وهى قتيلة ودفناها فى قصرها وقد احتملتك أنا ور بيتك وعلقت لك الخرزة التى كانت مع أمك الملكة ابريزة ولما كبرت و بلغت مبلغ الرجال لم يمكنى أن أخبرك بحقيقة الامر لانى لو أخبرتك بذلك لثارت بينكم الحروب وقد أمرنى جدك بالكتمان ولا قدرة لى على مخالفة أمر جدك الملك حردوب ملك الروم فهذا سبب كتمان الخبر عنك وعدم اعلامك بأن أباك الملك عمر النعمان فلما استقليت بالمملكة أخبرتك وما أمكننى أن أعلمك الا فى هذا الوقت يا ملك الزمان * وقد كشفت لك السر والبرهان * وهذا ما عندى من الخبر * وأنت برأيك أخبر وكان الاسارى قد سمعوا من الجارية مرجانة داية الملك هذا الكلام جميعه فصاحت نزهة الزمان من وقتها وساعتها صيحة عظيمة وقالت هذا الملك رومزان أخى من أبى عمر النعمان وأمه الملكة ابريزة بنت الملك حردوب ملك الروم وأنا أعرف هذه الجارية مرجانة حق المعرفة فلما سمع الملك رومزان هذا الكلام أخذته الحدة وصار متحيرا فى أمره وأحضر من وقته وساعته نزهة الزمان بين يديه فلما رآها حن الدم للدم واستخبرها عن قصتها فحكت له القصة فوافق كلامها كلام دايته مرجانة فصح عند الملك أنه من أهل العراق * من غير شك ولا ارتياب * وان أباه الملك عمر النعمان فقام من تلك الساعة وحل كاف أخته نزهة الزمان فتقدمت اليه * وقبلت يديه * ودمعت عيناها فبكى الملك لبكائها وأخذه حنو الاخوة ومال قلبه الى ابن أخيه السلطان كان ما كان وقام ناهضا على قدميه وأخذ السيف من يد السياف فأيقن الاسارى بالهلاك لما رأوا منه ذلك فأمر باحضارهم بين يديه وفك وثاقهم وقال لدايته مرجانة اشرحى حديثك الذى شرحته لى لهؤلاء الجماعة فقالت دايته مرجانة اعلم أيها الملك أن هذا الشيخ هو الوزير دندان وهو لى أكبر شاهد لانه يعرف حقيقة الامر ثم انها أقبلت عليهم من وقتها وساعتها وعلى من حضرهم من ملوك الروم وملوك الافرنج وحدثتهم بذلك الحديث والملكة نزهة الزمان والوزير دندان ومن معهما من الاسارى يصدقونها على ذلك وفى آخر الحديث لاحت من الجارية مرجانة التفاتة فرأت الخرزة الثالثة بعينها رفيقة الخرزتين اللتين كانتا مع الملكة ابريزة فى رقبة السلطان كان ما كان فعرفتها فصاحت صيحة عظيمة دوى لها الفضاء وقالت للملك يا ولدى اعلم أنه قد زاد فى تلك الساعة صدق يقينى لان هذه الخرزة التى فى رقبة هذا الاسير نظير الخرزة التى وضعتها فى عنقك وهى رفيقتها وهذا الاسير هو ابن أخيك وهو كان ما كان ثم ان الجارية

مرجانة التفتت الى كان ما كان وقالت له أرنى هذه الخرزة يا ملك الزمان فنزعها من عنقه
وناولها لتلك الجارية دداية الملك روزمزان فأخذتها منه ثم سألت نزهة الزمان عن الخرزة
الثالثة فأعطتها لها فلما صارت الخرزتان فى يد الجارية ناولتهما للملك روزمزان * فظهر له الحق
والبرهان * وتحقق أنه عم السلطان كان ما كان * وان أباه الملك عمر النعمان * فقام من وقته
وساعته * الى الوزير دندان وعانقه * ثم عانق الملك كان ما كان وعلا الصياح * بكثرة
الافراح * وفى تلك الساعة انتشرت البشائر * ودقت الكاسات والطبول * وزمرت الزمور
وزادت الافراح * وسمع عساكر العراق والشام * ضجيج الروم بالافراح * فركبوا عن آخرهم
وركب الملك الزبلكان وقال فى نفسه يا ترى ما سبب هذا الصياح والسرور الذى فى عسكر
الافرنج والروم وأما عسكر العراق فانهم قد أقبلوا * وعلى القتال عولوا * وصاروا فى الميدان
ومقام الحرب والطعان * فالتفت الملك روزمزان فرأى العساكر مقبلين * وللحرب متهيئين
فسأل عن سبب ذلك فأخبروه بالخبر فأمر قضى فكان ابنة أخيه شركان أن تسير من وقتها
وساعتها الى عسكر الشام والعراق * وتعلمهم بحصول الاتفاق * وأن الملك روزمزان ظهر أنه
عم السلطان كان ما كان فسارت قضى فكان بنفسها ونفت عنها الشرور والاحزان * حتى
وصلت الى الملك الزبلكان * وسلمت عليه وأعلمته بما جرى من الاتفاق وان الملك روزمزان
ظهر أنه عمها وعم كان ما كان وحين أقبلت عليه وجدته باكى العين خائفا على الامراء
والاعيان فشرحت له القصة من أولها الى آخرها فزادت أفراحهم * وزالت أتراحهم وركب
الملك الزبلكان * هو وجميع الاكابر والاعيان * وسارت قدامهم الملكة قضى فكان * حتى
أوصلتهم الى سرادق الملك روزمزان * فلما دخلوا عليه وجدوه جالسا مع ابن أخيه السلطان
كان ما كان وقد استشاره هو والوزير دندان فى أمر الملك الزبلكان فاتفقوا على أنهم يسلمون
اليه مدينة دمشق الشام ويتركونه ملكا عليها كما كان مثل العادة وهم يدخلون الى العراق
فجعلوا الملك الزبلكان عاملا على دمشق الشام ثم أمروه بالتوجه اليها فتوجه بعساكره
اليها ومشوا معه ساعة لاجل الوداع وبعد ذلك رجعوا الى مكانهم ثم نادوا فى العسكر بالرحيل
الى بلاد العراق واجتمع العسكران مع بعضهم ثم ان الملوك قالوا لبعضهم ما بقيت قلوبنا تستريح
ولا يشفى غيظنا الا باخذ الثار * وكشف العار بالانتقام * من العجوز شواهى * الملقبة بذات
الدواهى * فعند ذلك سار الملك روزمزان مع خواصه وأرباب دولته وفرح السلطان كان ما كان
بعمه الملك روزمزان ودعا للجارية مرجانة حيث عرفتهم ببعضهم ثم ساروا ولم يزالوا سائرين
حتى وصلوا الى أرضهم فسمع بهم الحاجب الكبير ساسان * فطلع وقبل يد الملك روزمزان * فخلع
عليه ثم ان الملك روزمزان جلس وأجلس ابن أخيه السلطان كان ما كان الى جانبه فقال كان
ما كان لعمه الملك روزمزان يا عم ما يصلح هذا الملك الا لك فقال له معاذ الله أن أعارضك فى ملكك
فعند ذلك أشار اليهما الوزير دندان أن يكون الاثنان فى الملك سواء وكل واحد يحكم يوما
فارتضيا بذلك * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والاربعون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أنهما اتفقا
على أن كل واحد يحكم يوما ثم أولوا الولائم وذبحوا الذبائح وزادت بهم الافراح وأقاموا على

ذلك

ذلك مدة من الزمان كل ذلك والسلطان كان ما كان يقطع ليله مع بنت عمه قضى فكان و بعد
تلك المدة بينما هم قاعدون فرحون بهذا الامر وانصلاح الشان * اذ ظهر لهم غبار * قد علا
وطار * حتى سد الاقطار * وقد أتى اليهم من التجار * صارخ يستغيث وهو يصيح ويقول
يا ملوك الزمان * كيف أسلم فى بلاد الكفر وأنهب فى بلادكم وهى بلاد العدل والامان فاقبل
عليه الملك رومزان وسأله عن حاله فقال له أنا تاجر من التجار ولى غائبا عن الاوطان مدة مديدة
من الزمان واستغرقت فى البلاد نحو عشرين سنة من الاعوام وان معى كتابا من مدينة دمشق
كان قد كتبه لى المرحوم الملك شركان وسبب ذلك أننى كنت قد أهديت اليه جارية فلما قربت
من تلك البلاد وكان معى مائة حمل من تحف الهند وأتيت بها الى بغداد التى هى حرمكم ومحل
أمنكم وعدلكم فخرجت علينا عربان ومعهم أكراد مجتمعة من جميع البلاد فقتلوا رجالى *
ونهبوا أموالى * وهذا شرح حالى * ثم ان التاجر بكى * بين يدى الملك رومزان وحوقل واشتكى
فرحمه الملك ورق اليه وكذلك رحمه ابن أخيه الملك كان ما كان وحلفوا أنهم يخرجون اليهم
فخرجوا اليهم فى مائة فارس كل فارس منهم يعد بين الرجال بألوف وذلك التاجر سار أمامهم
يدلهم على الطريق ولم يزالوا سائرين ذلك النهار وطول الليل الى السحر حتى أشرفوا على واد
غزير الانهار كثير الاشجار فوجدوا القوم قد تفرقوا فى ذلك الوادى وقسموا بينهم أحمال ذلك
التاجر و بقى البعض فأطبق عليهم المائة فارس وأحاطوا بهم من كل مكان وصاح عليهم الملك
رومزان * هو وابن أخيه كان ما كان * فما كان غير ساعة حتى أسروا الجميع وكانوا نحو
ثلثمائة فارس مجتمعين من أوباش العربان فلما أسروهم أخذوا ما معهم من مال التاجر وشدوا
وثاقهم وطلعوا بهم الى مدينة بغداد فعند ذلك جلس الملك رومزان هو وابن أخيه الملك كان
ما كان على تخت واحد مع بعضهما ثم عرضوا الجميع بين أيديهما وسألاهم عن حالهم وعن
كبارهم فقالوا ما لنا كبار غير ثلاثة أشخاص وهم الذين جمعونا من سائر النواحى والاقطار
فقالا لهم ميزوهم لنا بأعيانهم فميزوهم لهما فأمرا بالقبض عليهم واطلاق بقية أصحابهم بعد
أخذ جميع ما معهم من الاموال وتسليمه للتاجر فتفقد التاجر قماشه وماله فوجده قد هلك ربعه
فوعدوه أنهم يعوضون له جميع ما ضاع منه فعند ذلك أخرج التاجر كتابين أحدهما بخط شركان
والآخر بخط نزهة الزمان وقد كان التاجر اشترى نزهة الزمان من البدوى وهى بكر وقدمها
لاخيها شركان وجرى بينها و بين أخيها ما جرى ثم ان الملك كان ما كان وقف على الكتابين
وعرف خط عمه شركان وسمع حكاية عمته نزهة الزمان فدخل عليها بذلك الكتاب الثانى الذى
كانت كتبته للتاجر الذى ضاع منه المال وأخبرها كان ما كان بقصة التاجر من أولها الى
آخرها فعرفته نزهة الزمان وعرفت خطها وأخرجت للتاجر الضيافات ووصت عليه أخاها
الملك رومزان وابن أخيها الملك كان ما كان فأمر له بأموال وعبيد وغلمان من أجل خدمته
وأرسلت اليه نزهة الزمان مائة ألف درهم من المال وخمسين حملا من البضائع وقد أتحفته
بهدايا وأرسلت اليه تطلبه فلما حضر طلعت وسلمت عليه وأعلمته أنها بنت الملك عمر النعمان
وأن أخاها الملك رومزان وابن أخيها الملك كان ما كان ففرح التاجر بذلك فرحا شديدا وهنأها
بسلامتها واجتماعها بأخيها وابن أخيها وقبل يديها وشكرها على فعلها وقال لها والله ما ضاع

الجميل معك ثم دخلت الى خدرها وأقام التاجر عندهم ثلاثة أيام ثم ودّعهم ورحل الى بلاد الشام وبعد ذلك أحضر الملوك الثلاثة أشخاص اللصوص الذين كانوا رؤساء قطاع الطريق وسألوهم عن حالهم فتقدم واحد منهم وقال اعلموا أنى رجل بدوى أقف فى الطريق لاخطف الصغار والبنات الابكار وأبيعهم للتجار ودمت على ذلك مدّة من الزمان الى هذه الايام وأغرانى الشيطان فاتفقت مع هذين الشقيين على جميع الاوباش من الاعراب والبلدان لاجل نهب الاموال وقطع الطريق على التجار فقالوا له احك لنا على أعجب ما رأيت فى خطفك الصغار والبنات فقال لهم أعجب ماجرى لى يا ملوك الزمان أننى من مدّة اثنتين وعشرين سنة خطفت بنتا من بنات بيت المقدس ذات يوم من الايام وكانت تلك البنت ذات حسن وجمال غير أنها كانت خدّامة وعليها أثواب خلقة وعلى رأسها قطعة عباءة فرأيتها قد خرجت من الخان فخطفتها بحيلة فى تلك الساعة وحملتها على جمل وسقت بها وكان فى أملى أننى أذهب بها الى أهلى فى البرية وأجعلها عندى ترعى الجمال وتجمع البعر من الوادى فبكت بكاء شديدا فدنوت منها وضربتها ضربا وجيعا وأخذتها الى مدينة دمشق فرآها معى تاجر فتحير عقله لما رآها وأعجبته فصاحتها وأراد اشتراءها منى ولم يزل يزيدنى فى ثمنها حتى بعتها له بمائة ألف درهم فعند ما أعطيتها له رأيت منها فصاحة عظيمة وبلغنى أن التاجر كساها كسوة ملوكية وقدّمها الى الملك صاحب دمشق فأعطاه قدر المبلغ الذى دفعه الىّ مرتين وهذا يا ملوك الزمان أعجب ماجرى لى ولعمرى ان ذلك الثمن قليل فى تلك البنت فلما سمع الملوك هذه الحكاية تعجبوا ولما سمعت نزهة الزمان من البدوى ما حكاه صار الضياء فى وجهها ظلاما وصاحت وقالت لاخيها رومزان ان هذا البدوى الذى كان خطفنى من بيت المقدس بعينه من غير شك ثم ان نزهة الزمان حكت لهم جميع ماجرى لها معه فى غربتها من الشدائد والضرب والجوع والذل والهوان ثم قالت لهم الآن حلّ لى قتله ثم جذبت السيف وقامت الى البدوى لقتله واذا هو صاح وقال يا ملوك الزمان لا تدعوها تقتلنى حتى أحكى لكم ماجرى لى من العجائب فقال لها ابن أخيها كان ما كان يا عمتى دعيه يحكى لنا حكايته وبعد ذلك فافعلى ما تريدين فرجعت عنه فقال له الملوك الآن احك لنا حكايتك فقال يا ملوك الزمان ان حكيت لكم حكاية عجيبة تعفوا عنى قالوا نعم فابتدأ البدوى يحدّثهم بأعجب ما وقع له وقال اعلموا أنى من مدّة يسيرة أرقت ليلة أرقا شديدا وما صدّقت أن الصباح يصبح فلما أصبح الصباح قمت من وقتى وساعتى وتقلدت بسيفى وركبت جوادى واعتقلت رمحى وخرجت أريد الصيد والقنص فواجهنى جماعة فى الطريق فسألونى عن قصدى فأخبرتهم به فقالوا ونحن رفقاؤك فنزلنا كلنا مع بعضنا فبينما نحن سائرون واذا بنعامة ظهرت لنا فقصدناها ففرّت من بين أيدينا وهى فاتحة أجنحتها ولم تزل شاردة ونحن خلفها الى الظهر حتى رمتنا فى برية لا نبات فيها ولا ماء ولم نسمع فيها غير صفير الحيات وزعيق البوم * وصريخ الغيلان * فلما وصلنا الى ذلك المكان غابت عنا فلم ندر أفى السماء طارت * أم فى الارض غارت * فرددنا رؤس الخيل وأردنا الرواح ثم رأينا أن الرجوع فى هذا الوقت الشديد الحرّ لا خير فيه ولا اصلاح * وقد اشتدّ علينا الحر وعطشنا عطشا شديدا ووقفت خيولنا فايقنا بالموت فبينما نحن كذلك اذ نظرنا من بعيد مرجا أفيح * فيه غزلان تمرح

وهنالك

وهنالك خيمة مضروبة وفى جانب الخيمة حصان مربوط وسنان يلمع على رمح مركوز فانتعشت نفوسنا من بعد اليأس ورددنا رؤس خيلنا نحو تلك الخيمة نطلب ذلك المرج والماء وتوجه اليه جميع أصحابى وأنا فى أوّلهم ولم نزل سائرين حتى وصلنا الى ذلك المرج فوقفنا على عين وشربنا وسقينا خيلنا فأخذتنى حمية الجاهلية وقصدت باب ذلك الخباء فرأيت فيه شابا بالانبات يعارضه وهو كأنه هلال وعن يمينه جارية هيفاء كأنها قضيب بان فلما نظرت اليها وقعت محبتها فى قلبى فسلمت على ذلك الشاب فردّ على السلام فقلت يا أخا العرب أخبرنى من أنت وما تكون لك تلك الجارية التى عندك فأطرق الشاب رأسه الى الارض ساعة ثم رفع رأسه وقال أخبرنى من أنت وما الخيل التى معك فقلت أنا حماد بن الفزارى الفارس الموصوف الذى أعدّ بين العرب بخمسمائة فارس ونحن خرجنا من محلنا نريد الصيد والقنص فأدركنا العطش فقصدت أنا باب تلك الخيمة لعلى أجد عندكم شربة ماء فلما سمع منى ذلك الكلام التفت الى جارية مليحة وقال ائتى الى هذا الرجل بالماء وما حصل من الطعام فقامت الجارية تسحب أذيالها والخال الذهب تشخشخ فى رجليها وهى تتعثر فى شعرها وغابت قليلا ثم أقبلت وفى يدها اليمنى اناء من فضة مملوء ماء باردا وفى يدها اليسرى قدح ملآن تمرا ولبنا وما حضر من لحم الوحوش فما استطعت أن آخذ من الجارية طعاما ولا شرابا من شدّة محبتى لها فمثلت بهذين البيتين وقلت

كأن الخضاب على كفها * غراب على ثلجة واقف
ترى الشمس والبدر من وجهها * قريبين خاف وذا خائف

ثم قلت للشاب بعد أن أكلت وشربت ياوجه العرب اعلم انى أوقفتك على حقيقة خبرى وأريد أن تخبرنى بحالك وتوقفنى على حقيقة خبرك فقال الشاب أما هذه الجارية فهى أختى فقلت أريد أن تزوّجنى بها طوعا والا أقتلك وآخذها غصبا فعند ذلك أطرق الشاب رأسه الى الارض ساعة ثم رفع بصره الىّ وقال لى لقد صدقت فى دعواك أنك فارس معروف * وبطل موصوف وانك أسد الببداء ولكن ان هممتم على غدرا * وقتلتمونى قهرا * وأخذتم أختى فان هذا يكون عارا عليكم وان كنتم على ماذكرتم من أنكم فرسان تعدّون من الابطال * ولا تبالون بالحرب والنزال * فأمهلونى قليلا حتى ألبس آلة حربى وأتقلد بسيفى وأعتقل رمحى وأركب فرسى وأصير أنا واياكم فى ميدان الحرب فان ظفرت بكم أقتلكم عن آخركم وان ظفرتم بى وقتلتمونى فهذه الجارية أختى لكم فلما سمعت منه هذا الكلام قلت له ان هذا هو الانصاف وما عندنا خلاف * ثم رددت رأس جوادى الى خلفى وقد زادنى الجنون فى محبة تلك الجارية ورجعت الى أصحابى ووصفت لهم حسنها وجمالها وحسن الشاب الذى عندها وشجاعته وقوّة جنانه وكيف يذكر أنه يصادم ألف فارس ثم أعلمت أصحابى بجميع ما فى الخباء من الاموال والتحف وقلت لهم اعلموا أن هذا الشاب ما هو منقطع فى تلك الارض الا لكونه ذا شجاعة عظيمة وأنا أوصيكم أن كل من قتل هذا الغلام يأخذ أخته فقالوا رضينا بذلك ثم ان أصحابى لبسوا آلة حربهم وركبوا خيولهم وقصدوا الغلام فوجدوه قد لبس آلة حربه وركب جواده ووثب اليه أخته وتعلقت بركابه وبلت برقعها بدموعها وهى تنادى بالويل والثبور من

خوفها على أخيها وتنشد هذه الابيات

الى الله أشكو محنة وكآبة * لعل الله العرش يرهقهم رعبا
يريدون قتلا يا أخى تعمدا * ولا شئ من قبل القتال ولا ذنبا
وقد عرف الابطال أنك فارس * وأشجع من حل المشارق والغربا
تحامى عن الاخت التى قل عزمها * فأنت أخوها وهى تدعو لك الربا
فلا تترك الاعداء تملك مهجتى * وتأخذنى قهرا وتأسرنى غصبا
ولست وحق الله أبقى ببلدة * اذا لم تكن فيها وان ملئت خصبا
وأقتل نفسى فى هوالك محجبة * وأسكن لحدا فيه أفترش التربا

فلما سمع أخوها شعرها بكى بكاء شديدا وردّ رأس جواده الى أخته وأجابها عن شعرها بقوله

قفى وانظرى منى وقوع عجائب * اذا ما التقينا حين أثخنهم ضربا
وان برز الليث المقدم فيهم * وأشجعهم قلبا وأثبتهم لبا
سأسقيه منى ضربة ثعلبية * وأترك فيه الرمح يستغرق الكعبا
وان لم أقاتل عنك أختى فليتنى * قتيل وليت الطير تنهبنى نهبا
أقاتل عنك ما استعطفت تكرما * وهذا حديث بعدنا يملأ الكتبا

فلما فرغ من شعره قال يا أختى اسمعى ما أقوله لك وما أوصيك به فقالت له سمعا وطاعة فقال لها ان هلكت فلا تمكنى أحدا من نفسك فعند ذلك لطمت على وجهها وقالت معاذ الله يا أخى أن أراك صريعا وأمكن الاعداء منى فعند ذلك مدّ الغلام يده اليها وكشف برقعها عن وجهها فلاحت لنا صورتها كالشمس من تحت الغمام فقبلها بين عينيها وودعها وبعد ذلك التفت الينا وقال لنا يا فرسان هل أنتم ضيفان أو تريدون الضرب والطعان فان كنتم ضيفانا فأبشروا بالقرى وان كنتم تريدون القمر الزاهر فليبرز لى منكم فارس بعد فارس فى هذا الميدان ومقام الحرب والطعان فعند ذلك برز اليه شجاع فقال له الشاب ما اسمك وما اسم أبيك فانى حالف انى ما أقتل من اسمه موافق لاسمى واسم أبيه موافق لاسم أبى فان كنت بهذا الوصف فقد سلمت اليك الجارية فقال له الفارس اسمى بلال فأجابه الشاب بقوله

كذبت فى قولك من بلال * وجئت بالزور وبالمحال
ان كنت شهما فاسمع مقالى * مجندل الابطال فى المجال
وصار مجى ماض كما الهلال * فاصبر لطعن مرجف الجبال

ثم حملا على بعضهما فطعنه الشاب فى صدره فخرج السنان يلمع من ظهره ثم برز اليه واحد فقال الشاب

يا أيها الكلب وخيم الرجس * فأين غال سعره من بخس
وانما الليث الكريم الجنس * من لم يبال فى الوغى بنفس

ثم لم يمهله الشاب دون أن تركه غريقا فى دمه ثم نادى الشاب هل من مبارز فبرز اليه واحد انطلق على الشاب وجعل يقول

اليك أقبلت وفى قلبى لهب * منه أنادى عند صحبى بالحرب

لما

لما قتلت اليوم سادات العرب * فاليوم لا تلقى فكا كامن طلب

فلما سمع الشاب كلامه أجابه بقوله

كذبت بئس أنت من شيطان * قد جئت بالزور وبالبهتان

اليوم تلقى فاتك السنان * فى موقف الحرب وفى الطعان

ثم طعنه فى صدره فطلع السنان من ظهره ثم قال هل من مبارز فخرج اليه الرابع وسأله الشاب عن اسمه فقال له الفارس اسمى هلال فأنشد يقول

أخطأت اذ أردت خوض بحرى * وجئت بالزور وكل الامر

أنا الذى تسمع منى شعرى * أختلس النفس ولست تدرى

ثم حملا على بعضهما واختلف بينهما ضربتان فكانت ضربة الشاب هى السابقة الى الفارس فقتله وصار كل من نزل اليه يقتله فلما نظرت أصحابى قد قتلوا قلت فى نفسى ان نزلت اليه فى الحرب لم أطقه وان هربت أبقى معرة بين العرب فلم يمهلنى الشاب دون ان انقض على وجذبنى بيده فأطاحنى من سرجى فوقعت مغشيا على ورفع سيفه وأراد أن يضرب عنقى فتعلقت باذياله فحملنى بكفه فصرت معه كالعصفور فلما رأت ذلك الجارية فرحت بفعل أخيها وأقبلت عليه وقبلته بين عينيه ثم انه سلمنى الى أخته وقال لها دونك واياه * وأحسنى مثواه * لانه دخل فى ذمامنا فقبضت الجارية على أطواق درعى وصارت تقودنى كما تقود الكلب وفكت عن أخيها الامة الحرب وألبسته بدلة ونصبت له كرسيا من العاج فجلس عليه وقالت له بيض الله عرضك وجعلك عدة للنائبات فأجابها بهذه الابيات

تقول وقد رأت فى الحرب أختى * لوامع غرتى مثل الشعاع

ألا لله درك من شجاع * تذل لحربه أسد البقاع

فقلت لها سلى الابطال عنى * اذا ما فر أرباب القراع

أنا المعروف فى سعدى وجدى * وعزمى قد علا أى ارتفاع

أيا حماد قد نازلت ليثا * يريك الموت يسعى كالافاعى

فلما سمعت شعره حرت فى أمرى ونظرت الى حالتى وما صرت اليه من الاسر وتصاغرت الى نفسى ثم نظرت الى الجارية أخت الشاب والى حسنها فقلت فى نفسى هذه سبب الفتنة وصرت أتعجب من جمالها وأجريت العبرات وأنشدت هذه الابيات

خليلى كف عن لومى وعذلى * فانى للملامة غير واع

كلفت بغادة لم تبد الا * دعتنى فى محبتها الدواعى

أخوها فى الهوى أمسى رقيبى * وصاحب همة وطويل باع

ثم ان الجارية أحضرت لاخيها الطعام فدعانى الى الاكل معه ففرحت وأمنت على نفسى من القتل ولما فرغ أخوها من الاكل أحضرت له آنية المدام ثم ان الشاب أقبل على المدام وشرب حتى شعشع الشراب فى رأسه واحمر وجهه فالتفت الى وقال لى ويلك ياحماد أنا عبادبن تميم بن ثعلبة ان الله وهب لك نفسك وأبقى عليك عرسك ثم حيانى بقدح شربته وحيانى بثان وثالث ورابع فشربت الجميع ونادمنى وحلفنى أنى لا أخونه فحلفت له ألفا وخمسمائة يمين انى لا أخونه

قط بل أكون له مغيثا فعند ذلك أمر أخته أن تأتيني بعشر خلع من الحرير وهذه بدلة منها على جسدي وأمرها أن تأتيني بناقة من أحسن النياق فأتتني بناقة محملة من التحف والزاد وأمرها أن تحضر لي الحصان الاشقر فاحضرته لي ثم وهب لي جميع ذلك وأقمت عندهم ثلاثة أيام في أكل وشرب والذي قد أعطاه لي موجود عندي الى الآن وبعد الثلاثة أيام قال لي يا أخي يا حماد أريد أن أنام قليلا لأريح نفسي وقد استأمنت على نفسي فان رأيت خيلا ثائرة فلا تفزع منها واعلم أنهم من بني ثعلبة يطلبون حربي ثم توسد سيفه تحت رأسه ونام فلما استغرق في النوم وسوس الى ابليس بقتله فقمت بسرعة وجذبت سيفه من تحت رأسه وضربته ضربة قاطعة رأسه عن جثته فعلمت بي أخته فوثبت من جانب الخباء ورمت نفسها على أخيها وشقت ما عليها من الثياب وأنشدت هذه الابيات

الى الاهل بلغ أن ذا أشأم الخبر * ومالامرئ مما الحكيم قضى مفر
وأنت صريع يا أخي متجندل * ووجهك يحكي حسنه دورة القمر
لقد كان يوم الشؤم يوم لقيتهم * ورمحك من بعد الطراد قد انكسر
وبعدك لا يرتاح للخيل راكب * ولا تلد الانثى نظيرك من ذكر
وأصبح عماد لك اليوم قاتلا * وقد خان أيمانا وبالعهد قد غدر
يريد بهذا أن ينال مراده * لقد كذب الشيطان في كل ما أمر

فلما فرغت من شعرها قالت لي يا ملعون الجدين لماذا قتلت أخي وخئته وكان مراده أن يرد لك الى بلادك بالزاد والهدايا وكان مراده أيضا أن يزوجني لك في أول الشهر ثم جذبت سيفا كان عندها وجعلت قائمه في الارض وطرفه في صدرها وانحنت عليه حتى طلع من ظهرها فخرت على الارض ميتة فحزنت عليها وندمت حيث لا ينفعني الندم وبكيت ثم قمت مسرعا الى الخباء وأخذت ما خف حمله وغلا ثمنه وسرت الى حال سبيلي ومن خوفي ومعجلتي لم ألتفت الى أحد من أصحابي ولا دفنت الصبية ولا الشاب وهذه الحكاية أعجب من حكايتي الاولى مع البنت الخدامة التي خطفتها من بيت المقدس فلما سمعت نزهة الزمان من البدوي هذا الكلام تبدل النور في عينيها بالظلام * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والاربعون بعد المائة قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نزهة الزمان لما سمعت من البدوي هذا الكلام تبدل الضياء في عينيها بالظلام وقامت وجردت السيف وضربت به البدوي حماد اعلى عاتقه * فأطلعته من علائقه * فقال لها الحاضرون لاي شئ استعجلت على قتله فقالت الحمد لله الذي فسح في أجلي * حتى أخذت ثاري بيدي ثم انها أمرت العبيد أن يجروه من رجليه ويرموه للكلاب وبعد ذلك أقبلوا على الاثنين الباقيين من الثلاثة وكان أحدهما عبدا أسود فقالوا له ما اسمك أنت فاصدقنا في حديثك قال أنا اسمي الغضبان وأخبرهم بما وقع له مع الملكة ابريزة بنت الملك حردوب ملك الروم وكيف قتلها وهرب فلم يتم العبد كلامه حتى رمى الملك رومزان رقبته بالحسام وقال الحمد لله الذي أحياني وأخذت ثار أمي بيدي وأخبرهم أن دايته مرجانة حكت له عن هذا العبد الذي اسمه الغضبان وبعد ذلك أقبلوا على الثالث وكان هو الجمال الذي اكتراه أهل بيت المقدس الى حمل ضوء المكان

وتوصيله

وتوصيله الى المارستان الذى فى دمشق الشام فذهب به وألقاه فى المستوقد وذهب الى خال
سبيله ثم قالوا له أخبرنا أنت بخبرك واصدق فى حديثك فحكى لهم جميع ماوقع له مع السلطان
ضوء المكان وكيف حمله من بيت المقدس وهو ضعيف على أن يوصله الى الشام ويرميه فى
المارستان وكيف جاء له أهل بيت المقدس بالدراهم فأخذها وهرب بعد أن رماه فى مستوقد
الحمام فلما أتم كلامه أخذ السلطان كان ما كان السيف وضربه فرمى عنقه وقال الحمد لله الذى
أحيانى حتى جازيت هذا الخائن بما فعل مع أبى فانى قد سمعت هذه الحكاية بعينها من
والدى السلطان ضوء المكان فقال الملوك لبعضهم مابقى علينا الا العجوز شواهى * الملقبة
بذات الدواهى فانها سبب هذه البلايا * حيث أوقعتنا فى الرزايا * ومن لنا بها حتى نأخذ منها
الثار * ونكشف العار * فقال له الملك رومزان * عم الملك كان ما كان * لابد من حضورها
ثم ان الملك رومزان كتب كتابا من وقته وساعته وأرسله الى جدته العجوز شواهى الملقبة بذات
الدواهى وذكر لها فيه انه غلب على مملكة دمشق والموصل والعراق وكسر عسكر المسلمين
وأسر ملوكهم وقال أريد أن تحضرى عندى من كل بد أنت والملكة صفية بنت الملك أفريدون
ملك القسطنطينية ومن شئتم من أكابر النصارى من غير عسكر فان البلاد أمان لانها صارت
تحت أيدينا فلما وصل الكتاب اليها وقرأته وعرفت خط الملك رومزان فرحت فرحا شديدا
وتجهزت من وقتها وساعتها للسفر هى والملكة صفية أم نزهة الزمان ومن صحبهم ولم يزالوا
مسافرين حتى وصلوا الى بغداد فتقدم الرسول وأخبرهم بحضورها فقال رومزان المصلحة
تقتضى أن نلبس اللبس الافرنجى ونقابل العجوز حتى نأمن من خداعها وحيلها فقالوا سمعا
وطاعة ثم انهم لبسوا لباس الافرنج فلما رأت ذلك قضى فكان قالت وحق الرب المعبود لولا أنى
أعرفكم لقلت انكم افرنج ثم ان الملك رومزان تقدم أمامهم وخرجوا يقابلون العجوز فى
ألف فارس فلما وقعت العين فى العين ترجل رومزان عن جواده وسعى اليها فلما رأته وعرفته
ترجلت اليه وعانقته فقرط بيده على أضلاعها حتى كاد أن يقصفها فقالت ماهذا فلم تتم
كلامها حتى نزل اليهما كان ما كان والوزيردندان وزعقت الفرسان على من معها من
الجوارى والغلمان وأخذوهم جميعهم ورجعوا الى بغداد وأمرهم رومزان أن يزينوا بغداد
فزينوها ثلاثة أيام ثم أخرجوا شواهى الملقبة بذات الدواهى وعلى رأسها طرطور أحمر مكلل
بروث الحمير وقدامها مناد ينادى هذا جزاء من يتجارى على الملوك وعلى أولاد الملوك ثم
صلبوها على باب بغداد ولما رأى أصحابها ماجرى لها أسلموا كلهم جميعا ثم ان كان ما كان وعمه
رومزان ونزهة الزمان والوزيردندان تعجبوا لهذه السيرة العجيبة وأمروا الكتاب أن
يؤرخوها فى الكتب حتى تقرأ من بعدهم وأقاموا بقية الزمان فى ألذ عيش وأهناه الى أن
أتاهم هاذم اللذات * ومفرق الجماعات وهذا آخرما انتهى الينا من تصاريف الزمان
بالملك عمر النعمان * وولده شركان * وولده ضوء المكان * وولده كان ما كان * ونزهة الزمان
وقضى فكان ثم ان الملك قال لشهرزاد أشتهى أن تحكى لى شيأ من حكاية الطيور فقالت
حبا وكرامة فقالت لها أختها لم أر الملك فى طول هذه المدة انشرح صدره غير هذه الليلة وأرجو
أن تكون عاقبتك معه محمودة * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿حكاية تتعلق بالطيور﴾

فلما كانت الليلة السادسة والاربعون بعد المائة قالت بلغني أيها الملك السعيد أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان طاوس يأوى الى جانب البحر مع زوجته وكان ذلك الموضع كثير السباع وفيه من سائر الوحوش غير أنه كثير الاشجار والانهار وذلك الطاوس هو وزوجته يأويان الى شجرة من تلك الاشجار ليلا من خوفهما من الوحوش ويغدوان في طلب الرزق نهارا ولم يزالا كذلك حتى كثر خوفهما فسارا يبغيان موضعا غير موضعهما يأويان اليه فبينما هما يفتشان على موضع اذ ظهرت لهما جزيرة كثيرة الاشجار والانهار فنزلا في تلك الجزيرة وأكلا من أثمارها وشربا من أنهارها فبينما هما كذلك واذا ببطة أقبلت عليهما وهي في شدة الفزع ولم تزل تسعى حتى أتت الى الشجرة التي عليها الطاوس هو وزوجته فلما أنت فلم يشك الطاوس في أن تلك البطة لها حكاية عجيبة فسألها عن حالها وعن سبب خوفها فقالت انني مريضة من الحزن وخوفي من ابن آدم فالحذر ثم الحذر من بني آدم فقال لها الطاوس لا تخافي حيث وصلت الينا فقالت البطة الحمد لله الذي فرج عني همي وغمي بقربكما وقد أتيت راغبة في مودتكما فلما فرغت من كلامها نزلت اليها زوجة الطاوس وقالت لها أهلا وسهلا ومرحبا لا بأس عليك ومن أين يصل الينا ابن آدم ونحن في تلك الجزيرة التي في وسط البحر لجي البر لا يقدر أن يصل الينا ومن البحر لا يمكن أن يطلع علينا فابشري وحدثينا بالذي نزل بك واعتراك من ابن آدم فقالت البطة اعلمي أيتها الطاوسة أني في هذه الجزيرة طول عمري آمنة لا أرى مكروها فبت ليلة من الليالي فرأيت في منامي صورة ابن آدم وهو يخاطبني وأخاطبه وسمعت قائلا يقول أيتها البطة احذري من ابن آدم ولا تغتري بكلامه ولا بما يدخله عليك فانه كثير الحيل والخداع فالحذر كل الحذر من مكره فانه مخادع ماكر كما قال فيه الشاعر

يعطيك من طرف اللسان حلاوة * ويروغ منك كما يروغ الثعلب

واعلمي أن ابن آدم يحتال على الحيتان فيخرجها من البحار ويرمي الطير ببندقة من طين ويوقع الفيل بمكره وابن آدم لا يسلم أحد من شره ولا ينجو منه طير ولا وحش وقد بلغتك ما سمعته عن ابن آدم فاستيقظت من منامي خائفة مرعوبة وأنا الى الآن لا ينشرح صدري خوفا على نفسي من ابن آدم لئلا يدهمني بحيلته ويصيدني بحبائله ولم يبق علي آخر النهار الا وقد ضعفت قوتي وبطلت همتي ثم اني اشتقت الى الاكل والشرب فخرجت أتمشى وخاطري مكدر وقلبي مقبوض فلما وصلت الى ذلك الجبل وجدت على باب مغارة شبلا أصفر اللون فلما رآني في ذلك الشبل فرح بي فرحا شديدا وأعجبه لوني وكوني لطيفة الذات فصاح علي وقال لي اقربي مني فلما قربت منه قال لي ما اسمك وما جنسك فقلت له اسمي بطة وأنا من جنس الطيور ثم قلت له لأي سبب قعودك الى هذا الوقت في هذا المكان فقال الشبل سبب ذلك أن والدي الاسد له أيام هو يحذرني من ابن آدم فاتفق أنني رأيت في هذه الليلة في منامي صورة ابن آدم ثم ان الشبل حكى لي نظير ما حكيته لك فلما سمعت كلامه قلت له يا أسدا اني قد لجأت اليك في أن تقتل ابن آدم تحزم رأيك في قتله فاني أخاف على نفسي منه خوفا شديدا وازددت خوفا على خوفي من قتله من ابن آدم مع أنك سلطان الوحوش ومازلت يا أختي أحذر الشبل من ابن آدم وأوصيه

بقتله

بقتله حتى قام من وقته وساعته من المكان الذى كان فيه وتمشى وتمشيت وراءه ففرقع
بذنبه على ظهره ولم يزل يتمشى وأنا أمشى وراءه الى مدق الطريق فوجدنا غبرة طارت وبعد
ذلك انكشفت الغبرة فبان من تحتها حمار شارد عريان وهو تارة يقمص وتارة يجرى وتارة يتمرغ
فلما رآه الاسد صاح عليه فاتى اليه خاضعا فقال له أيها الحيوان الخريف العقل ما جنسك وما
سبب قدومك الى هذا المكان فقال يا ابن السلطان أنا جنسى حمار وسبب قدومى الى هذا
المكان هروبى من ابن آدم فقال له الشبل وهل أنت خائف من ابن آدم أن يقتلك فقال له
الحمار لا يا ابن السلطان وانما خوفى أن يعمل حيلة على ويركبنى لان عنده شيأ يسميه البرذعة
فيجعلها على ظهرى وشيأ يسميه الحزام فيشده على بطنى وشيأ يسميه الطفر فيجعله تحت ذنبى
وشيأ يسميه اللجام فيجعله فى فمى ويعمل لى منخاسا ينخسنى به ويكلفنى مالا أطيق من الجرى واذا
عثرت لعننى واذا نهقت شتمنى وبعد ذلك اذا كبرت ولم أقدر على الجرى يجعل لى رحلا من الخشب
يسلمنى الى السقائين فيحملون الماء على ظهرى من البحر فى القرب ونحوها كالجرار ولا أزال
فى ذل وهوان وتعب حتى أموت فيرمونى فوق التلال للكلاب فاى شئ أكبر من هذا الهم
وأى مصيبة أكبر من هذه المصائب فلما سمعت أيها الطاوسة كلام الحمار اقشعر جسدى من
ابن آدم وقلت للشبل ياسيدى ان الحمار معذور وقد زادنى كلامه رعبا على رعبى فقال الشبل
للحمار الى أين أنت سائر فقال له الحمار انى نظرت ابن آدم قبل اشراق الشمس من بعيد
ففررت هربا منه وها أنا أريد أن أذطلق ولم أزل أجرى من شدة خوفى منه فعسى أجد لى موضعا
يأوينى من ابن آدم الغدار فبينما ذلك الحمار يتحدث مع الشبل فى ذلك الكلام وهو يريد أن
يودعنا ويروح اذ ظهرت لنا غبرة فنهق الحمار وصاح ونظر بعينه الى ناحية الغبرة وضرط
ضراطا عاليا وبعد ساعة انكشفت الغبرة عن فرس أدهم بغرة كالدرهم وذلك الفرس
ظريف مليح التحجيل حسن القوائم والصهيل ولم يزل يجرى حتى وقف بين يدى الشبل بن
الاسد فلما رآه الشبل استعظمه وقال له ما جنسك أيها الوحش الجليل وما سبب شرودك فى هذا
البر العريض الطويل فقال ياسيد الوحوش أنا فرس من جنس الخيل وسبب شرودى هروبى
من ابن آدم فتعجب الشبل من كلام الفرس وقال لا تقل هذا الكلام فانه عيب عليك وأنت
طويل غليظ وكيف تخاف من ابن آدم مع عظم جثتك وسرعة جريك وأنا مع صغر جسمى قد
عزمت على أن ألتقى مع ابن آدم فابطش به وآكل لحمه وأسكن روع هذه البطة المسكينة
وأقرها فى وطنها وها أنت لما أتيت فى هذا الساعة قطعت قلبى بكلامك وأرجعتنى عما أردت
أن أفعله فاذا كنت أنت مع عظمك قد قهرك ابن آدم ولم يخف من طولك وعرضك مع أنك لو
رفصته برجلك لقتلته ولم يقدر عليك بل تسقيه كأس الردى فضحك الفرس لما سمع كلام الشبل
وقال هيهات هيهات أن أغلبه يا ابن الملك فلا يغرك طولى ولا عرضى ولا ضخامتى مع ابن آدم لانه
من شدة حيله ومكره يصنع لى شيأ يقال له الشكال ويضع فى أربعة قوائمى شكالين من حبال
الليف الملفوفة بالليف ويصلبنى من رأسى فى وتد عال وأبقى واقفا وأنام مصلوبا لا أقدر أقعد
ولا أنام واذا أراد أن يركبنى يعمل لى شيأ فى رجليه من الحديد اسمه الركاب ويضع على ظهرى
شيأ يسميه السرج ويشده بحزامين من تحت ابطى ويضع فى فمى شيأ من الحديد يسميه اللجام

و يضع فيه شيأ من الجلد يسميه الصرع فاذا ركب فوق ظهرى على السرج يمسك الصرع بيده و يقودنى به و يهمزنى بالركاب فى خواصرى حتى يدميها ولا تسأل يا ابن السلطان عما أقاسيه من ابن آدم فاذا كبرت وانتحل ظهرى ولم أقدر على سرعة الجرى يبيعنى للطحان ليدورنى فى الطاحون فلا أزال دائرا فيها ليلا ونهارا الى أن أهرم فيبيعنى للجزار فيذبحنى و يسلخ جلدى و ينتف ذنبى و يبيعهما للغرابلى والمناخلى و يسلى شحمى فلما سمع الشبل كلام الفرس ازداد غيظا وغما وقال له متى فارقت ابن آدم قال فارقته نصف النهار وهو فى أثرى فبينما الشبل يتحدث مع الفرس فى هذا الكلام واذا بغبرة ثارت و بعد ذلك انكشفت الغبرة وبان من تحتها جمل هائج وهو يسبسب و يخبط برجليه فى الارض ولم يزل يفعل كذلك حتى وصل الينا فلما رآه الشبل كبيرا غليظا ظن أنه ابن آدم فأراد الوثوب عليه فقلت له يا ابن السلطان ان هذا ما هو ابن آدم وانما هذا جمل وكأنه هارب من ابن آدم فبينما أنا يا أختى مع الشبل فى هذا الكلام واذا بالجمل تقدم بين أيادى الشبل وسلم عليه فرد عليه السلام وقال له ما سبب مجيئك الى هذا المكان قال جئت هاربا من ابن آدم فقال له الشبل وأنت مع عظم خلقتك وطولك وعرضك كيف تخاف من ابن آدم ولو رفصته برجلك رفصة لقتلته فقال له الجمل يا ابن السلطان اعلم أن ابن آدم له دواه لا تطاق وما يغلبه الا الموت لانه يضع فى أذنى خيطا و يسميه خزاما و يجعل فى رأسى مقودا و يسلمنى الى أصغر أولاده فيجرنى الولد الصغير بالخيط مع كبرى وعظمى و يحملونى أثقل الاحمال و يسافرون بى الاسفار الطوال و يستعملونى فى الاشغال الشاقة آناء الليل وأطراف النهار واذا كبرت وشخت أو انكسرت فلم يحفظ صحبتى بل يبيعنى للجزار فيذبحنى و يبيع جلدى للدباغين ولحمى للطباخين ولا تسأل عما أقاسى من ابن آدم فقال له الشبل أى وقت فارقت ابن آدم فقال فارقته وقت الغروب وأظنه يأتى عند انصرافى فلا يجدنى فيسعى فى طلبى فدعنى يا ابن السلطان حتى أهيج فى البرارى والقفار فقال الشبل تمهل قليلا يا جمل حتى تنظر كيف أفترسه وأطعمك من لحمه وأهشم عظمه وأشرب من دمه فقال له الجمل يا ابن السلطان أنا خائف عليك فانه مخادع ماكر ثم أنشد قول الشاعر

اذا حل الثقيل بأرض قوم * فما للساكنين سوى الرحيل

فبينما الجمل يتحدث مع الشبل فى هذا الكلام واذا بغبرة طلعت و بعد ساعة انكشفت عن شيخ قصير رقيق البشرة على كتفه مقطف فيه عدة نجار وعلى رأسه شعبة وثمانية ألواح و بيده أطفال صغار وهو يهرول فى مشيه ومازال يمشى حتى قرب من الشبل فلما رأيته يا أختى وقعت من شدة الخوف وأما الشبل فانه قام وتمشى اليه ولاقاه فلما وصل اليه ضحك النجار فى وجهه وقال له بلسان فصيح أيها الملك الجليل صاحب الباع الطويل أسعد الله مساءك ومساءك وزاد فى شجاعتك وقواك أجرنى مما دهانى و بشره رمانى لانى ما وجدت لى نصيرا غيرك ثم ان النجار وقف بين يدى الاسد و بكى وأن واشتكى فلما سمع الشبل بكاءه وشكواه قال له أجرتك مما تخشاه فمن الذى قد ظلمك وما أنت تكون أيها الوحش الذى ما رأيت عمرى مثلك ولا أحسن صورة وأفصح لسانا منك لما شأنك فقال له النجار يا سيد

الوحوش

الوحوش أما أنا فنجار وأما الذى ظلمنى فانه ابن آدم وفى صباح هذه الليلة يكون عندك فى هذا المكان فلما سمع الشبل من النجار هذا الكلام تبدل الضياء فى وجهه بالظلام وشخر ونخر ورمت عيناه بالشرر وصاح وقال والله لأسهرن فى هذه الليلة الى الصباح ولا أرجع الى والدى حتى أبلغ مقصدى ثم ان الشبل التفت الى النجار وقال له انى أرى خطواتك قصيرة ولا أقدر أن أكسر بخاطرك لانى ذو مروءة وأظن أنك لا تقدر أن تماشى الوحوش فاخبرنى الى أين تذهب فقال له النجار اعلم اننى رائح الى وزير والدك الفهد لانه لما بلغه ان ابن آدم داس هذه الارض خاف على نفسه خوفا عظيما وأرسل الى رسولا من الوحوش لأصنع له بيتا يسكن فيه ويأوى اليه ويمنع عنه عدوه حتى لا يصل اليه أحد من بنى آدم فلما جاءنى الرسول أخذت هذه الالواح وتوجهت اليه فلما سمع الشبل كلام النجار أخذه الحسد للفهد فقال له بحياتى لا بد أن تصنع لى هذه الالواح بيتا قبل أن تصنع للفهد بيته واذا فرغت من شغلى فامض الى الفهد واصنع له ما يريد فلما سمع النجار من الشبل هذا الكلام قال له ياسيد الوحوش ما أقدر أن أصنع لك شيأ الا اذا صنعت للفهد ما يريد ثم أجىء الى خدمتك وأصنع لك بيتا يحصنك من عدوك فقال له الشبل والله ما أخليك تروح من هذا المكان حتى تصنع لى هذه الالواح بيتا ثم ان الشبل هم على النجار ووثب عليه وأراد أن يمزح معه فلطشه بيده فرمى المقطف من على كتفه ووقع النجار مغشيا عليه ففحك الشبل عليه وقال ويلك يا نجار انك ضعيف ومالك قوة فأنت معذور اذا خفت من ابن آدم فلما وقع النجار على ظهره اغتاظ غيظا شديدا ولكنه كتم ذلك عن الشبل من خوفه منه ثم قعد النجار وضحك فى وجه الشبل وقال له ها أنا أصنع لك البيت ثم ان النجار تناول الالواح التى كانت معه وسمر البيت وجعله مثل القالب على قياس الشبل وخلى بابه مفتوحا لانه جعله على صورة صندوق وفتح له طاقة كبيرة وجعل لها غطاء وثقب فيه ثقبا كثيرة وأخرج منها مسامير مطرقة وقال للشبل ادخل فى هذا البيت من هذه الطاقة لأقيسه عليك ففرح الشبل بذلك وأتى تلك الطاقة فرآها ضيقة فقال له النجار ادخل وابرك على يديك ورجليك ففعل الشبل ذلك ودخل الصندوق وبقى ذنبه خارجا ثم أراد الشبل أن يتأخر الى ورائه ويخرج فقال له النجار أمهل حتى أنظر هل يسع ذنبك معك أم لا فامتثل الشبل أمره ثم ان النجار لف ذنب الشبل وحشاه فى الصندوق ورد اللوح على الطاقة سريعا وسمره فصاح الشبل قائلا يا نجار ما هذا البيت الضيق الذى صنعته لى دعنى أخرج منه فقال له النجار هيهات هيهات لا ينفع الندم على ما فات انك لا تخرج من هذا المكان ثم ضحك النجار وقال للشبل انك وقعت فى القفص وكنت أخبث الوحوش فقال يا أخى ما هذا الخطاب الذى تخاطبنى به فقال له النجار اعلم يا كلب البر أنك وقعت فيما كنت تخاف منه وقدر مالك القدر ولم ينفعك الحذر فلما سمع الشبل كلامه يا أختى علم أنه ابن آدم الذى حذره منه أبوه فى اليقظة والهاتف فى المنام وتحققت أنه هو بلا شك ولا ريب خفت منه على نفسى خوفا عظيما وبعدت عنه قليلا وصرت أنتظر ماذا يفعل بالشبل فرأيت يا أختى ابن آدم حفر حفرة فى هذا المكان بالقرب من الصندوق الذى فيه الشبل ورماه فى تلك الحفرة وألقى عليه الحطب وأحرقه بالنار فكبر يا أختى خوفى ولى يومان هاربة من ابن آدم وخائفة منه فلما سمعت الطاوسة من البطة

هذا الكلام * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والاربعون بعد المائة قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الطاوسة لما سمعت من البطة هذا الكلام تعجبت منه غاية العجب وقالت يا أختي انك أمنت من ابن آدم لانك في جزيرة من جزائر البحر ليس لابن آدم فيها مسلك فاختاري المقام عندنا الى أن يسهل الله أمرك وأمرنا قالت أخاف أن يطرقني طارق والقضاء لا ينفك عنه آبق فقالت اقعدي عندنا وأنت مثلنا ولا ارالت بها حتى قعدت وقالت يا أختي أنت تعلمين قلة صبري ولولا أني رأيتك هنا ما كنت قعدت فقالت الطاوسة ان كان على جبيننا شئ نستوفيه وان كان أحلنا دنا لمن يخلصنا ولن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها فبينما هما في هذا الكلام اذ طلعت عليهما غبرة فعند ذلك صاحت البطة ونزلت البحر وقالت الحذر الحذر وان لم يكن مفر من القدر وكانت الغبرة عظيمة فلما انكشفت الغبرة ظهر من تحتها ظبي فاطمأنت البطة والطاوسة ثم قالت البطة يا أختي أن الذي تفزعين منه ظبي وها هو قد أقبل نحونا فليس علينا منه بأس لان الظبي انما يأكل الحشائش من نبات الارض وكما أنت من جنس الطير هو الآخر من جنس الوحوش فاطمئني ولا تهتمي فان الهم يخل البدن فلم تتم الطاوسة كلامها حتى وصل الظبي اليهما يستظل تحت الشجرة فلما رأى الطاوسة والبطة سلم عليهما وقال لهما اني دخلت هذه الجزيرة اليوم فلم أر أكثر منها خصبا ولا أحسن منها مسكنا ثم دعاهما لمرافقته ومصافاته فلما رأت البطة والطاوسة تودده اليهما أقبلتا عليه ورغبتا في عشرته وتحالفوا على ذلك وصار مبيتهم واحدا ومأكلهم سواء ولم يزالوا آمنين آكلين شاربين حتى مرت بهم سفينة كانت تائهة في البحر فأرست قريبا منهم فطلع الناس وتفرقوا في الجزيرة فرأوا الظبي والطاوسة والبطة مجتمعين فأقبلوا عليهم فشرد الظبي في البرية وطارت الطاوسة في الجو فبقيت البطة مخبلة ولم يزالوا بها حتى صادوها وصاحت قائلة لم ينفعني الحذر من القضاء والقدر وانصرفوا بها الى سفينتهم فلما رأت الطاوسة ما جرى للبطة ارتحلت من الجزيرة وقالت لا أرى الآفات الا مراصدة لكل أحد ولولا هذه السفينة ما حصل بيني وبين هذه البطة افتراق ولقد كانت من خيار الاصدقاء ثم طارت الطاوسة واجتمعت بالظبي فسلم عليها وهنأها بالسلامة وسألها عن البطة فقالت له قد أخذها العدو وكرهت المقام في تلك الجزيرة بعدها ثم بكت على فراق البطة وأنشدت تقول

ان يوم الفراق قطع قلبي * قطع الله قلب يوم الفراق

وأنشدت أيضا

تمنيت الوصال يعود يوما * لأخبره بما صنع الفراق

فاغتم الظبي غما شديدا ثم رد عزم الطاوسة عن الرحيل فأقام معها في تلك الجزيرة آمنين آكلين شاربين غير أنهما لم يزالا حزينين على فراق البطة فقال الظبي للطاوسة يا أختي قد علمت أن الذين طلعوا والنا من المركب كانوا سببا لفراقنا ولهلاك البطة فاحذريهم واحترسي منهم ومن مكر ابن آدم وخداعه قالت قد علمت يقينا أن ما قتلها غير تركها التسبيح ولقد قلت لها اني أخاف عليك من تركك التسبيح لان كل ما خلقه الله يسبحه فان غفل عن التسبيح عوقب

بهلاكه

بهلا كه فلما سمع الظبي كلام الطاوسة قال أحسن الله صورتك وأقبل على التسبيح لا يشتغل عنه
ساعة وقد قيل ان الظبي يقول في تسبيحه سبحان الديان ذي الجبروت والسلطان وورد أن
بعض العباد كان يتعبد في بعض الجبال وكان يأوي الى ذلك الجبل زوج من الحمام وكان ذلك
العابد قسم قوته نصفين * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والاربعون بعد المائة قالت بلغني أيها الملك السعيد أن العابد قد
قسم قوته نصفين وجعل نصفه لنفسه ونصفه لذلك الزوج الحمام ودعا العابد لهما بكثرة النسل
فكثر نسلهما ولم يكن الحمام يأوي الى غير الجبل الذي فيه العابد وكان السبب في اجتماع
الحمام بالعابد كثرة تسبيح الحمام وقيل ان الحمام يقول في تسبيحه سبحان خالق الخلق وقاسم
الرزق وباني السموات وباسط الارضين ولم يزل ذلك الزوج الحمام في أرغد عيش هو ونسله
حتى ملأ العابد فتشتت شمل الحمام وتفرق في المدن والقرى والجبال وقيل انه كان في بعض
الجبال رجل من الرعاة صاحب دين وعقل وعفة وكان له غنم يرعاها وينتفع بألبانها وأصوافها
وكان ذلك الجبل الذي يأوي اليه الراعي كثير الاشجار والمرعى والسباع ولم يكن لتلك الوحوش
قدرة على الراعي ولا على غنمه ولم يزل مقيما في الجبل مطمئنا لا يهمه شئ من امر الدنيا لسعادته
واقباله على عبادته فاتفق له أنه مرض مرضا شديدا فدخل كهفا في الجبل وصارت الغنم
تخرج بالنهار الى مرعاها وتأوي بالليل الى الكهف فأراد الله أن يمتحن ذلك الراعي ويختبره
في طاعته وصبره فبعث اليه ملكا فدخل عليه الملك في صورة امرأة حسناء وجلس بين يديه
فلما رأى الراعي تلك المرأة جالسة عنده اقشعر بدنه منها فقال لها أيتها المرأة ما الذي دعاك
الى المجيء هنا وليس لك حاجة معي ولا بيني وبينك ما يوجب دخولك عندي فقالت له أيها
الانسان أما ترى حسني وجمالي وطيب رائحتي أما تعلم حاجة الرجال الى النساء فما الذي يمنعك
مني وقد اخترت قربك وأحببت وصالك وقد جئتك طائعة وعليك غير ممتنعة وليس
عندنا أحد نخشاه وأريد أن أقيم معك طول مقامك في هذه الجبال وأكون أنيسة لك وقد
عرضت نفسي عليك لانك تحتاج لخدمة النساء وأنت ان باشرتني زال عنك مرضك
وعادت اليك صحتك وندمت على ما فاتك من قرب النساء في سالف عمرك وقد نصحتك فاقبل
نصحي وادن مني * فقال الراعي اخرجي عني أيتها المرأة الخداعة الغدارة فلا أركن اليك
ولا أدنو منك ولا حاجة لي بقربك ولا بوصالك لان من رغب فيك زهد في الآخرة ومن رغب
الآخرة زهد فيك لانك فتنت الاولين والآخرين والله تعالى لعباده بالمرصاد والويل لمن
ابتلي بصحبتك * فقالت له أيها التائه عن السداد والضال عن طريق الرشاد أقبل بوجهك
الي وانظر الى محاسني واغتنم قربي كما فعل من كان قبلك من الحكماء فقد كانوا أكثر منك تجربة
وأصوب منك رأيا ومع ذلك لم يرفضوا ما رفضت من التمتع بالنساء بل رغبوا فيما زهدت فيه
من مباشرة النساء وقربهن فما أساءهم ذلك في دينهم ولا دنياهم فارجع عن رأيك تحمد
عاقبة أمرك فقال الراعي ان الذي تقولينه كرهته وجميع ما تبدينه زهدته لانك خداعة
غدارة لا عهد لك ولا وفاء فكم من قبيح تحت حسنك أخفيته وكم من صالح فتنته وكانت
عاقبته الى الندامة والحزن فارجعي عني أيتها المصلحة نفسها الفساد غيرها ثم ألقى عباءته على

وجهه حتى لا يرى وجهها واشتغل بذكر ربه فلما رأى الملك حسن طاعته خرج وعرج الى السماء وكان بالقرب من الراعى قرية فيها رجل من الصالحين لم يعلم بمكانه فرأى فى منامه كأن قائلا يقول له بالقرب منك فى مكان كذا رجل صالح فاذهب اليه وكن تحت طاعة أمره فلما أصبح الصباح توجه نحوه سائرا فلما اشتد عليه الحر انتهى الى شجرة عندها عين جارية فجلس فى ظل تلك الشجرة ليستريح فبينما هو جالس واذا بوحوش وطيور أتوا الى تلك العين ليشربوا منها فلما رأوا العابد جالسا نفروا ورجعوا شاردين فقال العابد فى نفسه أنا ما استرحت هنا لا لتعب هذه الوحوش والطيور ثم قام وقال معاتبا لنفسه لقد أضر بهذه الحيوانات فى هذا اليوم جلوسى فى هذا المكان لها عذرى عند خالقى وخالق هذا الطيور والوحوش فانى كنت سببا لشرودهم عن مائهم ومرعاهم فواخجلتى من ربى يوم يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء ثم أفاض من جفنه العبرات * وأنشد هذه الابيات

أما والله لو علم الانام * لما خلقوا لما غفلوا وناموا
لموت ثم بعث ثم حشر * وتوبيخ وأهوال عظام
ونحن اذا نهينا أو أمرنا * كأهل الكهف أكثرنا نيام

ثم بكى على جلوسه تحت الشجرة عند العين ومنعه الطيور والوحوش من شربها وولى هائما على وجهه حتى أتى الى الراعى فدخل عنده وسلم عليه فرد عليه السلام وعانقه وبكى ثم قال الراعى ما الذى أقدمك الى هذا المكان الذى لم يدخله أحد من الناس على فقال العابد انى رأيت فى منامى من يصف لى مكانك ويأمرنى بالسير اليك والسلام عليك وقد أتيتك ممتثلا لما أمرت به فقبله الراعى وطابت نفسه بصحبته وجلس معه فى الجبل يعبدان الله فى ذلك الغار وحسنت عبادتهما ولم يزالا فى ذلك المكان يعبدان ربهما ويتقوتان من لحوم الغنم وألبانها متجردين عن المال والبنين * الى أن أتاهما اليقين * وهذا آخر حديثهما قال الملك لقد زهدتنى يا شهرزاد فى ملكى وندمتنى على ما فرط منى فى قتل النساء والبنات فهل عندك شئ من حديث الطيور قالت نعم زعموا أيها الملك أن طيرا طار وعلا الى الجو ثم انقض على صخرة فى وسط الماء وكان الماء جاريا فبينما الطائر واقف على الصخرة واذا برمة انسان جرها الماء حتى أسندها الى الصخرة ووقفت تلك الجيفة فى جانب الصخرة وارتفعت لا تتفاخها فدنا منها طير الماء وتأملها فرآها رمة ابن آدم وظهر له فيها ضرب السيف وطعن الرماح فقال فى نفسه ان هذا المقتول كان شريرا فاجتمع عليه جماعة وقتلوه واستراحوا منه ومن شره ولم يزل طير الماء يكثر التعجب من تلك الرمة حتى رأى نسورا وعقبانا أحاطوا بتلك الجيفة من جميع جوانبها فلما رأى ذلك طير الماء جزع جزعا شديدا وقال لا صبر لى على الاقامة فى هذا المكان ثم طار منه يفتش على موضع يؤويه الى حين نفاد تلك الجيفة وزوال سباع الطير عنها ولم يزل طائرا حتى وجد نهرا فى وطه شجرة فنزل عليها كئيبا حزينا على بعده عن وطنه وقال فى نفسه لم تزل الاحزان تتبعنى وكنت قد استرحت لما رأيت تلك الجيفة وفرحت بها فرحا شديدا وقلت هذا هذا رزق ساقه الله الى فصار فرحى غما وسرورى حزنا وهما وافترستها سباع الطير منى * وحالوا بينها وبينى * فكيف أرجو أن أكون سالما فى هذه الدنيا وأطمئن اليها * وقد قيل فى المثل

الدنيا

الدنيا دار من لا دار له * يغتر بها من لا عقل له * ويطمئن اليها بماله وولده وقومه وعشيرته ولم يزل المغتر بها راكنا اليها يختال فوق الارض حتى يصير تحتها ويحثو عليه التراب أعز الناس عليه * وأقربهم اليه * وما للفتى خير من الصبر على مكارهها وقد فارقت مكانى ووطنى وكنت كارها لفرقة اخوانى وأصحابى فبينما هو فى فكرته واذا بذكر من السلاحف أقبل منحدرا فى الماء ودنا من طير الماء وسلم عليه * وقال ياسيدى ما الذى أبعدك عن موضعك قال حلول الاعداء فيه ولا صبر للعاقل على مجاورة عدوه وما أحسن قول بعض الشعراء

اذا حل الثقيل بارض قوم * فما للساكنين سوى الرحيل

فقال له السلحف اذا كان الامر كما وصفته * والحال مثل ما ذكرته * فأنا لا أزال بين يديك * ولا أفارقك لأقضى حاجتك * وأوفى بخدمتك * فانه يقال لا وحشة أشد من وحشة الغريب المنقطع عن أهله ووطنه وقد قيل ان فرقة الصالحين لا يعدلها شئ من المصائب ومما يسلى به العاقل نفسه الاستئناس فى الغربة * والصبر على الرزية والكربة * وأرجو أن تحمد صحبتى لك وأكون لك خادما ومعينا فلما سمع طير الماء مقالة السلحف قال له لقد صدقت فى قولك ولعمرى انى وجدت للفراق ألما وغما مدة بعدى عن مكانى * وفراقى لاخوانى وخلانى * لان فى الفراق عبرة لمن اعتبر * وفكرة لمن تفكر * واذا لم يجد الفتى من يسليه من الاصحاب يقطع عنه الخير أبدا * ويثبت له الشر سرمدا * وليس للعاقل الا التسلى بالاخوان * عن الهموم فى جميع الاحوال * وملازمة الصبر والتجلد فانهما خصلتان محمودتان يعينان على نوائب الدهر ويدفعان الفزع والجزع فى كل أمر * فقال له السلحف اياك والجزع فانه يفسد عليك عيشك ويذهب مروءتك ومازالا يتحدثان مع بعضهما الى أن قال طير الماء للسلحف أنالم أزل أخشى نوائب الزمان * وطوارق الحدثان * فلما سمع السلحف مقالة طير الماء أقبل عليه * وقبله بين عينيه * وقال له لم تزل جماعة الطير * تعرف فى مشورتك الخير * فكيف تحمل الهم والضير ولم يزل يسكن روع طير الماء حتى اطمأن ثم ان طير الماء طار الى مكان الجيفة فلما وصل اليه لم يرمن سباع الطير شيأ ولا من تلك الجيفة الا عظاما فرجع يخبر السلحف بزوال العدو من مكانه فلما وصل الى السلحف أخبره بما رأى وقال له انى أحب الرجوع الى مكانى * وأتملى بخلانى فانه لا صبر للعاقل عن وطنه فذهب معه الى ذلك المكان فلم يجد اشيأ مما يخافان منه فصار طير الماء قرير العين * وأنشد هذين البيتين

ورب نازلة يضيق لها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج

ثم سكنا فى تلك الجزيرة فبينما طير الماء فى أمن وسرور * وفرح وحبور * اذ ساق القضاء اليه بازا جائعا فضربه بمخلبه ضربة فقتله * ولم يغن عنه الحذر عند فراغ الاجل وسبب قتله غفلته عن التسبيح قيل انه كان يقول فى تسبيحه سبحان ربنا فيما قدر ودبر * سبحان ربنا فيما أغنى وأفقر * هذا ما كان من حديث الطير * فقال الملك ياشهرزاد لقد زدتنى بحكايتك مواعظ واعتبارا فهل عندك شئ من حكايات الوحوش فقالت اعلم أيها الملك أن ثعلبا وذئبا ألفا وكرا فحكانا يأويان اليه مع بعضهما فلبثا على ذلك مدة من الزمان وكان الذئب للثعلب قاهرا فاتفق

أن الثعلب أشار على الذئب بالرفق وترك الفساد وقال له ان دمت على عتوك ربما سلط الله عليك ابن آدم فانه ذو حيل ومكر وخداع يصيد الطير من الجو والحوت من البحر ويقطع الجبال وينقلها وكل ذلك من حيله فعليك بالانصاف * وترك الشر والاعتساف * فانه أهنأ لطعامك فلم يقبل الذئب قوله واغلظ له الرد وقال له لا علاقة لك بالكلام فى عظيم الامور وجسيمها ثم لطم الثعلب لطمة خر منها مغشيا عليه فلما أفاق تبسم فى وجه الذئب واعتذر اليه من الكلام الشين وأنشد هذين البيتين

ان كنت قد أذنبت ذنبا سالفا * فى حبكم وأتيت شيأ منكرا
أنا تائب عما جنيت وعفوكم * يسع المسىء اذا أتى مستغفرا

فقبل الذئب اعتذاره * وكف عنه أشراره * وقال له لا تتكلم فيما لا يعنيك * تسمع ما لا يرضيك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والاربعون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الذئب قال للثعلب لا تتكلم فيما لا يعنيك تسمع ما لا يرضيك فقال له الثعلب سمعا وطاعة فأنا بمعزل عما لا يرضيك فقد قال الحكيم لا تخبر عما لا تسئل عنه ولا تجب الى ما لا تدعى اليه وذر الذى لا يعنيك الى ما يعنيك ولا تبذل النصيحة للاشرار فانهم يجزونك عليها شرا فلما سمع الذئب كلام الثعلب تبسم فى وجهه ولكنه أضمر له مكرا وقال لا بد أن أسعى فى هلاك هذا الثعلب وأما الثعلب فانه صبر على أذى الذئب وقال فى نفسه ان البطر والافتراء يجلبان الهلاك ويوقعان فى الارتباك فقد قيل من بطر خسر ومن جهل ندم ومن خاف سلم والانصاف * من شيم الاشراف والآداب أشرف الاكساب * ومن الرأى مداراة هذا الباغى ولا بد له من مصرع ثم ان الثعلب قال للذئب ان الرب يعفو ويتوب * على عبده ان اقترف الذنوب * وأنا عبد ضعيف وقد ارتكبت فى نصحك التعسيف ولو علمت بما حصل لى من ألم لطمتك لعلمت أن الفيل لا يقوم به ولا يقدر عليه ولكنى لا أشتكى من ألم هذه اللطمة بسبب ما حصل لى بها من السرور فانها وان كانت قد بلغت منى مبلغا عظيما عاقبتها سرور وقد قال الحكيم ضرب المؤدب أوله صعب شديد وآخره أحلى من العسل المصفى فقال الذئب غفرت ذنبك وأقلت عثرتك فكن من قوتى على حذر واعترف لى بالعبودية فقد علمت قهرى لمن عادانى * فسجد له الثعلب وقال له أطال الله عمرك ولا زلت قاهرا لمن عاداك ولم يزل الثعلب خائفا من الذئب مصانعا له ثم ان الثعلب ذهب الى كرم يوما فرأى فى حائطه ثلمة فأنكرها وقال فى نفسه ان هذه الثلمة لا بد لها من سبب وقد قيل من رأى خرقا فى الارض فلم يجتنبه ويتوق عن الاقدام عليه كان بنفسه مغررا وللهلاك متعرضا وقد اشتهر أن بعض الناس يعمل صورة الثعلب فى الكرم حتى يقدم اليه العنب فى الاطباق لاجل أن يرى ذلك ثعلب فيقدم اليه فيقع فى الهلاك وانى أرى هذه الثلمة مكيدة وقد قيل ان الحذر نصف الشطارة ومن الحذر أن أبحث عن هذه الثلمة وأنظر لعلى أجد عندها أمرا يؤدى الى التلف ولا يحملنى الطمع على أن ألقى نفسى فى الهلكة ثم دنا منها وطاف بها وهو محاذر فرآها فاذا هى حفيرة عظيمة قد حفرها صاحب الكرم ليصيد فيها الوحش الذى يفسد الكرم ورأى عليها غطاء رقيقا فتأخر عنها وقال الحمد لله حيث حذرتها

وأرجو أن يقع فيها غدوى الذئب الذى نغص عيشى فأستقل بالكرم وحدى وأعيش فيه آمنا ثم هز رأسه وضحك ضحكا عاليا وأطرب بالنغمات * وأنشدت هذه الابيات

ليتنى أبصرت هذا الوقت فى ذى البسـ ... ـتر ذئبا
طالما قد ساءقلبى * وسقانى المر غصبا
ليتنى من بعد ذا أبسـ ... ـقى ويقضى الذئب نحبا
ثم يخلو الكرم منه * وأرى لى فيه نهبا

فلما فرغ من شعره انطلق مسرعا حتى وصل الى الذئب وقال ان الله سهل لك الامور الى الكرم بلا تعب وهذا من سعادتك فهنيأ لك بما فتح الله عليك وسهل لك من تلك الغنيمة والرزق الواسع بلا مشقة فقال الذئب للثعلب وما الدليل على ماوصفت قال انى انتهيت الى الكرم فوجدت صاحبه قدمات ودخلت البستان فرأيت الاثمار * زاهية على الاشجار فلم يشك الذئب فى قول الثعلب وأدركه الشره فقام حتى انتهى الى الثلمة وقد غره الطمع ووقف الثعلب متهافتا كالميت وتمثل بهذا البيت

أتطمع من ليلى بوصل وانما * تضر باعناق الرجال المطامع

فلما انتهى الذئب الى الثلمة قال له الثعلب ادخل الى الكرم فقد كفيت مؤنة هدم حائط البستان * وعلى الله تمام الاحسان * فاقبل الذئب ماشيا يريد الدخول الى الكرم فلما توسط غطاء الثلمة وقع فيها فاضطرب الثعلب اضطرابا شديدا من السرور والفرح * وزال عنه الهم والترح * وأطرب بالنغمات * وأنشد هذه الابيات

رق الزمان لحالتى * ورثى لطول تحرقى
وأنالنى ماأشتهى * وأزال عما أتقى
فلأصفحن عما جنا * ه من الذنوب السبق
حتى جنايته بما * فعل المشيب بمفرقى
فالذئب ليس له خلا * ص من هلاك موبق
والكرم لى وحدى وما * لى من شريك أحمق

ثم انه تطلع فى الحفرة فرأى الذئب يبكى ندما وحزنا على نفسه فبكى الثعلب معه فرفع الذئب رأسه الى الثعلب وقال له أمن رحمتك لى بكيت يا أبا الحصين قال لا والذى قذفك فى هذه الحفرة انما بكيت لطول عمرك الماضى وأسفا على كونك لم تقع فى هذه الثلمة قبل اليوم ولو وقعت فيها قبل اجتماعى بك لكنت أرحت واسترحت ولكن أبقيت الى أجلك المحتوم * ووقتك المعلوم فقال له الذئب رح أيها المسىء فى فعله لوالدتى وأخبرها بما حصل لى لعلها تحتال على خلاصى فقال له الثعلب لقد أوقعك فى الهلاك شدة طمعك وكثرة حرصك حيث سقطت فى حفرة لست منها بسالم ألم تعلم أيها الذئب الجاهل ان صاحب المثل يقول من لم يفكر فى العواقب لم يأمن المعاطب فقال الذئب للثعلب يا أبا الحصين انما كنت تظهر محبتى وترغب فى موتتى وتخاف من شدة قوتى * فلا تحقد على بما فعلت معك فمن قدر وعفا كان أجره على الله وقد قال الشاعر

ازرع جميلا ولو فى غير موضعه * ما خاب قط جميل أينما زرعا
ان الجميل وان طال الزمان به * فليس يحصده الا الذى زرعا

فقال له الثعلب يا أجهل السباع * وأحمق الوحوش فى البقاع * هل ذسيت تجبرك وعتوك وتكبرك * وأنت لم ترع حق المعاشرة ولم تنتصح بقول الشاعر

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا * ان الظلوم على حد من النقم
تنام عينك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم

فقال له الذئب يا أبا الحصين لا تؤاخذنى بسابق الذنوب * فالعفو من الكرام مطلوب * وصنع المعروف من أحسن الذخائر * وما أحسن قول الشاعر

بادر بخير اذا ما كنت مقتدرا * فليس فى كل حين أنت مقتدر

وما زال الذئب يتذلل للثعلب و يقول له لعلك تقدر على شئ تخلصنى به من الهلاك فقال له الثعلب أيها الذئب الماكر * المخادع الغادر * لا تطمع فى الخلاص * فان هذا جزاء لقبيح فعلك وقصاص * ثم ضحك بالشدقين * وأنشد هذين البيتين

لا تكثرن خداعى * فلن تنال منالا
مارمت منى محالا * زرعت فاحصد وبالا

فقال الذئب للثعلب يا حليم السباع أنت عندى أوثق من أن تتركنى فى هذه الحفرة ثم أفاض دمع العين * وأنشد هذين البيتين

يا من أياديه عندى غير واحدة * ومن مواهبه تعموعن العدد
ما نابنى من زمانى قط نائبة * الا وجدتك فيها آخذا بيدى

فقال الثعلب أيها العدو الاحمق كيف صرت الى التضرع والخشوع والذلة والخضوع بعد الانفة والتكبر * والظلم والتجبر * لقد صحبتك خائفا من عدوانك * وتملقت لك لا رغبة فى احسانك * والآن نزلت بك الرجفة * وحلصت بك النقمة * وأنشد هذين البيتين

يا أيها الملتمس الخديعه * وقعت فى نيتك الشنيعه
فذق وبال المحنة الفظيعه * وكن مع الذئاب فى قطيعه

فقال له الذئب أيها الحكيم لا تكن بلسان العداوة ناطقا * وبعينها محدقا * وكن وافيا بعهد ائتلافى * قبل أن يفوت وقت التلافى * وقم وتسبب لى فى حبل تشد طرفه فى شجرة وتدلى طرفه الآخر الى حتى أتعلق به لعلى أنجو مما أنا فيه وأدفع لك جميع ما حوته يدى من الذخائر فقال له الثعلب لقد أكثرت من المحاورة فيما ليس فيه خلاصك فلا ترج منى نجاة نفسك واذكر ما سلف من سوء فعلك وما تضمره لى من الغدر والمكر وأين أنت من الرجم بالحجارة واعلم بأن ذاتك للدنيا مفارقة ومنها زائلة * وعنها راحلة * ثم تصير الى الدمار * وسوء الدار * فقال له الذئب يا أبا الحصين كن قريب الرجوع الى الوداد * ولا تصر على شغائن الاحقاد * واعلم أن من خلص نفسا من الهلاك فقد أحياها ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولا تتبع الفساد فان الحكماء تكرهه ولا فساد أظهر من كونى فى تلك الحفرة أتجرع غصص الموت وأنظر الى الهلاك وأنت قادر على خلاصى من الارتباك فقال له الثعلب أيها اللفظ الغليظ

انى

انى أشبهك فى حسن علانيتك * وقبح نيتك * بالباز مع الحجل قال الذئب وما حديث الباز والحجل
قال الثعلب دخلت يوما كرما لآكل من عنبه فبينما أنا فيه اذ رأيت بازا انقض على حجل فلما
اقتنصه انفلت منه الحجل ودخل وكره واختفى فيه فتبعه الباز وناداه أيها الجاهل انى رأيتك
فى البرية جائعا فرحمتك والتطفت لك حبا وأمسكتك لتأكل فهربت منى ولم أعرف لهروبك
وجها الا الحرمان فاظهر وخذ ما آتيتك من الحب فكله هنيأ مريأ فلما سمع الحجل قول الباز
صدقه وخرج اليه فأنشب مخالبه فيه ومكنها منه فقال له الحجل أهذا الذى ذكرت أنك أتيتنى به
من البرية وقلت لى كله هنيأ مريأ فكذبت على جعل الله ما تأكله من لحمى فى جوفك سما قاتلا
فلما أكله وقع ريشه وسقطت قوته ومات لوقته * ثم قال له الثعلب اعلم أيها الذئب أن من حفر
لاخيه قليبا * وقع فيه قريبا * وأنت غدرت بى أولا فقال الذئب للثعلب دعنى من هذا المقال
وضرب الامثال * ولا تذكر لى ما سلف منى من قبيح الفعال * يكفينى ما أنا فيه من سوء الحال *
حيث وقعت فى ورطة يرثى لى منها العدو فضلا عن الصديق وانظر لى حيلة أتخلص بها وكن
فيها اغياثى وان كان عليك فى ذلك مشقة فقد يحتمل الصديق لصديقه أشد النصب ويقاسى
فيما فيه نجاته العطب * وقد قيل ان الصديق الشفيق * خير من الاخ الشقيق * وان تسببت
فى نجاتى لاجمعن لك من الآلة ما يكون لك عدة ثم لأعلمنك من الحيل الغريبة ما تفتح به الكروم
الخصيبة وتجنى الاشجار المثمرة فطب نفسا وقر عينا فقال له الثعلب وهو يضحك ما أحسن
ما قالته العلماء فى كثير الجهل مثلك قال الذئب وما قالت العلماء قال الثعلب ذكر العلماء أن
غليظ الجثة غليظ الطبع يكون بعيد امن العقل * قريبا من الجهل * لان قولك أيها الماكر
الاحمق قد يتحمل الصديق المشقة فى تخليص صديقه صحيح كما ذكرت ولكن عرفتنى بجهلك وقلة
عقلك كيف أصادقك مع خيانتك أحسبتنى لك صديقا وأنا لك عدو شامت وهذا الكلام أشد
من رشق السهام ان كنت تعقل وأما قولك انك تعطينى من الآلات ما يكون عدة لى وتعلمنى
من الحيل ما أصل به الى الكروم المخصبة وأجتنى به الاشجار المثمرة فهيهات أيها المخادع الغادر
لا تعرف لك حيلة تتخلص بها من الهلاك فما أبعدك من المنفعة لنفسك * وما أبعدنى من
القبول لنصيحتك * فان كان عندك حيل فتحيل لنفسك فى الخلاص من هذا الامر الذى
أسأل الله أن يبعد خلاصك منه فانظر أيها الجاهل ان كان عندك حيلة تخلص نفسك بها من
القتل قبل أن تبذل التعليم لغيرك ولكنك مثل انسان حصل له مرض فأتاه رجل مريض
بمثل مرضه ليداويه فقال له هل لك أن أداويك من مرضك فقال له الرجل هلا بدأت بنفسك
فى المداواة فتركه واذهب وأنت أيها الذئب كذلك فالزم مكانك * واصبر على ما أصابك * فلما
سمع الذئب كلام الثعلب علم أنه لا خير له عنده فبكى على نفسه وقال قد كنت فى غفلة من أمرى
فان خلصنى الله من هذا الكرب لا توبن من تجبرى على من هو أضعف منى ولا لبسن الصوف
ولا صعدن الجبل ذاكرا لله تعالى خائفا من عقابه وأعتزل سائر الوحوش ولا طعمن المجاهدين
والفقراء ثم بكى وانتحب فرق له قلب الثعلب وكأنه لما سمع تضرعه والكلام الذى يدل على
توبته من العتو والتكبر أخذته الشفقة عليه فوثب من فرحته ووقف على شفير الحفيرة ثم
جلس على رجليه وأدلى ذنبه فى الحفيرة فعند ذلك قام الذئب ومد يده الى ذنب الثعلب وجذبه

اليه فصار فى الحفيرة معه ثم قال له الذئب أيها الثعلب القليل الرحمة كيف تشمت بى وقد كنت صاحبى وتحت قهرى وقد وقعت معى فى الحفرة وتجعلت لك العقوبة وقد قالت الحكماء لو عاير أحدكم أخاه برضاع كلبة لارتضعها وما أحسن قول الشاعر

اذا ما الدهر جر على أناس * كلاكله أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

ثم قال الذئب للثعلب فلا بد أن أعجل قتلك قبل أن ترى قتلى فقال الثعلب فى نفسه انى وقعت مع هذا الجبار وهذا الحال يحتاج الى المكر والخدائع وقد قيل ان المرأة تصوغ حليها اليوم الزينة وفى المثل ما ادخرتك يا دمعتى الا لشدتى وان لم أتحيل فى أمر هذا الوحش الظالم هلكت لا محالة وما أحسن قول الشاعر

عش بالخداع فأنت فى * زمن بنوه كأسد بيشة
وأدر قناة المكر حتى تستدير رحى المعيشة
واحسن الثمار فان تقتلك فرض نفسك بالحشيشة

ثم ان الثعلب قال للذئب لا تعجل علىّ بالقتل فتندم أيها الوحش الصنديد * صاحب القوة والبأس الشديد * وان تمهلت وأمعنت النظر فيما أحكيه لك عرفت قصدى الذى قصدته وان عجلت بقتلى فلا فائدة لك فيه وتموت جميعا هنا فقال له الذئب أيها الخادع الماكر وما الذى ترجوه من سلامتى وسلامتك حتى تسألنى التمهيل عليك فأخبرنى بقصدك الذى قصدته فقال له الثعلب أما قصدى الذى قصدته فما ينبغى أن تحسن عليه مجازاتى لانى سمعت ما وعدت من نفسك واعترافك بما سلف منك وتلهفك على ما فاتك من التوبة وفعل الخير وسمعت ما نذرته على نفسك من كف الاذى عن الاصحاب وغيرهم وتركك أكل العنب وسائر الفواكه ولزومك الخشوع وتقليم أظفارك وتكسير أنيابك وأن تلبس الصوف وتقرب القربان لله تعالى ان نجاك مما أنت فيه فأخذتنى الشفقة عليك مع أننى كنت على هلاكك حريصا فلما سمعت منك توبتك وما نذرت على نفسك ان نجاك الله لزمنى خلاصك مما أنت فيه فأدليت اليك ذنبى لكيما تتعلق به وتنجو فلم تترك الحالة التى أنت عليها من العنف والشدة ولم تلتمس النجاة والسلامة لنفسك بالرفق بل جذبتنى جذبة ظننت منها أن روحى قد خرجت فصرت أنا وأنت فى منزلة الهلاك والموت وما ينجينى أنا وأنت الا شئ ان قبلته منى خلصت أنا وأنت وبعد ذلك يجب عليك أن تفى بما نذرته وأكون رفيقك فقال له الذئب وما الذى أقبله منك قال له الثعلب تنهض قائما ثم أعلو أنا فوق رأسك حتى أكون قريبا من ظاهر الارض فانى حين أصير فوقها أخرج وآتيك بما تتعلق به وتخلص أنت بعد ذلك فقال له الذئب لست بقولك واثقا لان الحكماء قالوا من استعمل الثقة فى موضع الحقد كان مخطئا * وقيل من وثق بغير ثقة كان مغرورا ومن جرب المجرب حلت به الندامة ومن لم يفرق بين الحالات فيعطى كل حالة حظها بل حمل الاشياء كلها على حالة واحدة قل حظه وكثرت مصائبه وما أحسن قول الشاعر

لا يكن ظنك الاسيأ * ان سوء الظن من أقوى الفطن
مار مى الانسان فى مهلكة * مثل فعل الخير والظن الحسن

وقول

وقول الآخر

ألزم يقينك سوء الظن تنجبه * من عاش مستيقظا قلت مصائبه
والق العدو بوجه باسم طلق * وانصب له فى الحشى جيشا يحاربه

وقول الآخر

اعدى عدوك أدنى من وثقت به * فحاذر الناس واصحبهم على دخل
وحسن ظنك بالايام معجزة * فظن شرا وكن منها على وجل

فقال له الثعلب ان سوء الظن ليس محمودا فى كل حال * وحسن الظن من شيم الكمال وعاقبته النجاة من الاهوال * وينبغى لك أيها الذئب أن تتحيل على النجاة مما أنت فيه ونسلم جميعا خير من موتنا فارجع عن سوء الظن والحقد لانك ان أحسنت الظن بى لا أخلو من أحد أمرين اما أن آتيك بما تتعلق به وتنجو مما أنت فيه واما ان أغدر بك فاخلص وأدعك وهذا مما لا يمكن فانى لا آمن أن أبتلى بشئ مما ابتليت به فيكون ذلك عقوبة الغدر وقد قيل فى الامثال الوفاء مليح والغدر قبيح فينبغى أن تثق بى فانى لم أكن جاهلا بحوادث الدهر فلا تؤخر حيلة خلاصنا فالامر أضيق من أن نطيل فيه الكلام فقال الذئب انى معتمد على وفائك قد عرفت ما فى خاطرك من أنك أردت خلاصى لما عرفت توبتى فقلت فى نفسى ان كان محقا فيما زعم فانه يستدرك ما أفسد وان كان مبطلا فجزاؤه على ربه وها أنا أقبل منك ما أشرت به على فان غدرت بى كان الغدر سببا لهلاكك ثم ان الذئب انتصب قائما فى الحفرة وأخذ الثعلب على أكتافه حتى ساوى به ظاهر الارض فوثب الثعلب عن أكتاف الذئب حتى صار على وجه الارض ووقع مغشيا عليه فقال له الذئب ياخليلى لا تغفل عن أمرى ولا تؤخر خلاصى فضحك الثعلب وقهقه وقال أيها المغرور لم يوقعنى فى يدك الا المزح معك والسخرية بك وذلك أنى لما سمعت توبتك استخفنى الفرح فطربت ورقصت فتدلى ذنبى فى الحفرة فجذبتنى فوقعت عندك ثم أنقذنى الله تعالى من يدك فحاشا لى لا أكون عونا على هلاكك وأنت من حزب الشيطان واعلم اننى رأيت البارحة فى منامى أنى أرقص فى عرسك فقصصت الرؤيا على معبر فقال لى انك تقع فى ورطة وتنجو منها فعلمت أن وقوعى فى يدك ونجاتى هو تأويل رؤياى وأنت تعلم أيها المغرور الجاهل انك عدوك فكيف تطمع بقلة عقلك وجهلك فى انقاذى اياك مع ما سمعت من غلظ كلامى وكيف أسعى فى نجاتك وقد قالت العلماء ان فى موت الفاجر راحة للناس وتطهيرا للارض ولولا مخافة أن أحتمل من الالم فى الوفاء لك ما هو أعظم من ألم الغدر لتدبرت فى خلاصك فلما سمع الذئب كلام الثعلب عض على كفه ندما * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للخمسين بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الذئب لما سمع كلام الثعلب عض على كفه ندما ثم لين له الكلام ولم يجد بدا من ذلك وقال له بلسان خافت انكم معاشر الثعالب من أحلى القوم لسانا وألطفها مزاحا وهذا منك مزاح ولكن ما كل وقت يحسن اللعب والمزاح فقال الثعلب أيها الجاهل ان للمزاح حدا اذا تجاوزه صاحبه فلا تحسب أن الله يمكنك منى بعد أن أنقذنى من يديك فقال له الذئب انك لجدير أن ترغب

فى خلاصى لما بيننا من سابق المواخاة والصحبة وان خلصتنى لابدّ أن أحسن مكافأتك فقال الثعلب قد قالت الحكماء لا تواخ الجاهل الفاجر فانه يشينك ولا يزينك ولا تواخ الكذاب فانه ان بدا منك خير أخفاه * وان بدا منك شرّ أفشاه * وقالت الحكماء لكل شئ حيلة الا الموت وقد يصلح كل شئ الا فساد الجوهر * وقد يدفع كل شئ الا القدر * وأما من جهة المكافأة التى زعمت انى أستحقها منك فانى شهتك فى مكافأتك بالحية الهاربة من الحاوى اذ رآها رجل وهى مرعوبة فقال لها ما شأنك أيتها الحية قالت هربت من الحاوى فانه يطلبنى وانّ أنجيتنى منه وأخفيتنى عندك لأحسن مكافأتك وأصنع معك كل جميل فأخذها اغتناما للاجر وطمعا فى المكافأة وأدخلها فى جيبه فلما فات الحاوى ومضى الى حال سبيله وزال عنها ما كانت تخافه قال لها الرجل أين المكافأة فقد أنجيتك مما تخافين وتحذرين فقالت له الحية أخبرنى فى أى عضو أنهشك وقد علمت أننا لا ننجا وزهذه المكافأة ثم نهشته نهشة مات منها وأنت أيها الاحمق شهتك بتلك الحية مع ذلك الرجل أما سمعت قول الشاعر

لا تأمنن فتى أسكنت مهجته * غيظا وتحسب أن الغيظ قد زالا

ان الافاعى وان لانت ملامسها * تبدى انعطافا وتخفى السم قتالا

فقال له الذئب أيها الفصيح صاحب الوجه المليح لا تجهل حالى وخوفى منى وقد علمت انى أهجم على الحصون وأقلع الكروم فافعل ما أمرتك به وقم بى قيام العبد بسيده فقال له الثعلب أيها الاحمق الجاهل * المحاول بالباطل * انى تعجبت من حماقتك وصلابة وجهك فيما تأمرنى به من خدمتك والقيام بين يديك حتى كأننى عبدك ولكن سوف ترى ما يحلّ بك من شدخ رأسك بالحجارة * وكسر أنيابك الغدّارة * ثم وقف الثعلب على تلّ يشرف على الكروم ولم يزل يصيح لاهل الكرم حتى بصروا به وأقبلوا عليه مسرعين فثبت لهم الثعلب حتى قربوا منه ومن الحفرة التى فيها الذئب ثم ولى الثعلب هاربا فنظر أصحاب الكرم فى الحفرة فلما رأوا فيها الذئب وقعوا عليه بالحجارة الثقال ولم يزالوا يضربونه بالحجارة والخشب ويطعنونه بأسنة الرماح حتى قتلوه وانصرفوا فرجع الثعلب الى تلك الحفرة ووقف على مقتل الذئب فرآه ميتا فحزّ له رأسه من شدّة الفرحات * وأنشد هذه الابيات

أودى الزمان بنفس الذئب فاختطفت * بعدا وسحقا لها من مهجة تلفت

فكم سعيت أبا سرحان فى تلفى * فاليوم حلت بك الآفات والتهبت

وقعت فى حفرة ما حلها أحد * الا وفيها رياح الموت قد عصفت

ثم ان الثعلب أقام بالكرم وحده مطمئنا لا يخاف ضررا وهذا ما كان من حديث الذئب والثعلب * ومما يحكى أن فأرة وبنت عرس كانا ينزلان منزلا لبعض الناس وكان ذلك الرجل فقيرا وقد مرض بعض أصدقائه فوصف له الطبيب السمسم المقشور فأعطى قدرا من السمسم لذلك الرجل الفقير ليقشره له فأعطاه ذلك الرجل لزوجته وأمرها باصلاحه فقشرته تلك المرأة له وأصلحته فلما عاينت بنت عرس السمسم أتت اليه ولم تزل تنقل من ذلك السمسم الى جحرها طول يومها حتى نقلت أكثره وجاءت المرأة فرأت نقصان السمسم واضحا فجلست ترصد من يأتى اليه حتى تعلم سبب نقصانه فنزلت بنت عرس لتنقل منه على عادتها فرأت المرأة جالسة فعلمت

انها

أنها ترصدها فقالت في نفسها ان لهذا الفعل عواقب ذميمة وانى أخشى من تلك المرأة أن تكون لى بالمرصاد ومن لم ينظر فى العواقب * ما الدهر له بصاحب * ولا بد لى أن أعمل عملا حسنا أطهر به براءتى من جميع ما عملته من القبيح فجعلت تنقل من ذلك السمسم الذى فى جحرها فرأتها المرأة وهى تفعل ذلك فقالت فى نفسها ما هذه سبب نقصه لانها تأتى به من جحر الذى اختلسه وتضعه على بعضه وقد أحسنت الينا فى رد السمسم وما جزاء من أحسن الا أن يحسن اليه وليست هذه آفة فى السمسم ولكن لا أزال أرصده حتى يقع وأعلم من هو فعلمت بنت عرس ما خطر ببال تلك المرأة فانطلقت الى الفأرة فقالت لها يا أختى انه لا خير فيمن لا يراعى المجاورة ولا يثبت على المودة فقالت الفأرة نعم يا خليلتى وأنعم بك وبجوارك فما سبب هذا الكلام قالت بنت عرس ان رب البيت أتى بسمسم فأكل منه هو وعياله وشبعوا واستغنوا عنه وتركوه وقد أخذ منه كل ذى روح فلو أخذت أنت الاخرى كنت أحق به ممن يأخذ منه فأعجب الفأرة ذلك ورقصت ولعبت ذنبها وغرها الطمع فى السمسم فقامت من وقتها * وخرجت من بيتها * فرأت السمسم مقشورا يلمع من البياض والمرأة حارسة ترصده فلم تفكر الفأرة فى عاقبة الامر وكانت المرأة قد استعدت بهراوة فلم تتمالك الفأرة نفسها حتى دخلت فى السمسم وعاثت فيه وصارت تأكل منه فضربتها المرأة تلك الهراوة فشجت رأسها وكان الطمع سبب هلاكها وغفلتها عن عواقب الامور فقال الملك يا شهرزاد والله ان هذه حكاية مليحة فهل عندك حديث فى حسن الصداقة والمحافظة عليها عند الشدة والتخلص من الهلكة قالت نعم بلغنى أن غرابا وسنورا كانا متواخيين فبينما هما تحت شجرة على تلك الحالة اذ رأيا نمرا مقبلا على تلك الشجرة التى كانا تحتها ولم يعلما به حتى صار قريبا من الشجرة فطار الغراب الى أعلى الشجرة وبقى السنور متحيرا فقال للغراب يا خليلى هل عندك حيلة فى خلاصى كما هو الرجاء فيك فقال له الغراب انما تلتمس الاخوة عند الحاجة اليهم فى الحيلة عند نزول المكروه بهم وما أحسن قول الشاعر

ان صديق الحق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

وكان قريبا من الشجرة رعاة معهم كلاب فذهب الغراب حتى ضرب بجناحه وجه الارض ونعق وصاح ثم تقدم اليهم وضرب بجناحه وجه بعض الكلاب وارتفع قليلا فتبعته الكلاب وصارت فى أثره ورفع الراعى رأسه فرأى طائرا يطير قريبا من الارض ويقع فتبعه وصار الغراب لا يطير الا بقدر التخلص من الكلاب ويطمعها فى أن تفترسه ثم ارتفع قليلا وتبعته الكلاب حتى انتهى الى الشجرة التى تحتها النمر فلما رأت الكلاب النمر وثبت عليه فولى هاربا وكان يظن أنه يأكل السنور فنجا منه ذلك السنور بحيلة الغراب صاحبه وقد أخبرتك بهذا أيها الملك لتعلم أن مودة اخوان الصفاء تنجى من الهلكات * وحكى * ان ثعلبا سكن فى بيت فى الجبل وكان كلما ولد ولدا واشتد ولده أكله من الجوع وان لم يأكل ولده أضر به الجوع وكان يأوى الى ذروة ذلك الجبل غراب فقال الثعلب فى نفسه أريد أن أعقد بينى وبين هذا الغراب مودة واجعله لى مؤنسا على الوحدة معاونا على طلب الرزق لانه يقدر من ذلك على ما لا أقدر عليه

دنا الثعلب من الغراب حتى صار قريبا منه بحيث يسمع كلامه فسلم عليه ثم قال له يا جارى ان للجار المسلم على الجار المسلم حقين حق الجيرة وحق الاسلام واعلم بانك جارى ولك على حق يجب قضاؤه وخصوصا مع طول المجاورة على أن فى صدرى وديعة من محبتك دعتنى الى ملاطفتك وبعثتنى على التماس أخوتك فما عندك من الجواب فقال الغراب للثعلب اعلم أن خير القول أصدقه وربما تحدث بلسانك ما ليس فى قلبك وأخشى أن تكون اخوتك باللسان ظاهرا وعداوتك فى القلب لانك آكل وأنا مأكول فوجب لنا التباين فى المحبة ولا يمكن مواصلتنا فما الذى دعاك الى طلب ما لا تدركه وارادة ما لا يكون وأنت من جنس الوحوش وأنا من جنس الطير وهذه الاخوة لا تصح فقال له الثعلب ان من علم موضع الاخلاء فأحسن الاختيار فيما يختاره منهم ربما يصل الى منافع الاخوان وقد أحببت قربك واخترت الانس بك ليكون بعضنا عونا لبعض على أغراضنا وتعقب مودتنا نجاحا وعندى حكايات فى حسن الصداقة فان أردت أن أحكيها حكيتها لك فقال الغراب أذنت لك فى أن تبثها فحدثنى بها حتى أعرف المراد منها فقال له الثعلب اسمع يا خليلى يحكى عن برغوث وفأرة ما يستدل به على ما ذكرته لك فقال الغراب وكيف كان ذلك فقال الثعلب زعموا أن فأره [illegible] فى بيت رجل من التجار كثير المال فأوى البرغوث ليلة الى فراش ذلك التاجر فرأى بدنا ناعما وكان البرغوث عطشان فشرب من دمه ووجد التاجر من البرغوث ألما فاستيقظ من النوم واستوى قاعدا ونادى بعض أتباعه فأسرعوا اليه وشمروا عن أيديهم يطوفون على البرغوث فلما أحس البرغوث بالطلب ولى هاربا فصادف جحر الفأرة فدخله فلما رأته الفأرة قالت له ما الذى أدخلك على ولست من جوهرى ولا من جنسى ولست بآمن من الغلظة عليك ولا مضاررتك فقال لها البرغوث انى هربت فى منزلك وفزت بنفسى من القتل وأتيتك مستجيرا بك ولا طمع لى فى بيتك ولا يلحقك منى شر يدعوك الى الخروج من منزلك وانى أرجو أن أكافئك على احسانك الى بكل جميل وسوف تحمدين عاقبة ما أقول لك فلما سمعت الفأرة كلام البرغوث * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والخمسون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الفأرة لما سمعت كلام البرغوث قالت اذا كان الكلام على ما أخبرت فاطمئن هنا وما عليك بأس ولا تجد الا ما يسرك ولا يصيبك الا ما يصيبنى وقد بذلت لك مودتى ولا تندم على ما فاتك من دم التاجر ولا تأسف على قوتك منه وارض بما تيسر لك من العيش فان ذلك أسلم لك وقد سمعت أيها البرغوث بعض الوعاظ ينشد هذه الابيات

سلكت القناعة والانفراد * وقضيت دهرى بما اتفق
بكسرة خبز وشربة ماء * وملح جريش وثوب خلق
فان يسر الله لى عيشتى * والا قنعت بما قد رزق

فلما سمع البرغوث كلام الفأرة قال يا أختى قد سمعت وصيتك وانقدت الى طاعتك ولا قوة لى على مخالفتك الى أن تقضى العمر بتلك النية الحسنة فقالت له الفأرة كفى بصدق المودة فى صلاح النية ثم انعقد الود بينهما وكان البرغوث بعد ذلك يأوى الى فراش التاجر ولا يتجاوز

بلغته

بلغته و يأوى بالنهار مع الفأرة فى مسكنها فاتفق أن التاجر جاء ليلة الى منزله بدنانير كثيرة فجعل يقلبها فلما سمعت الفأرة صوت الدنانير أطلعت رأسها من جحرها وجعلت تنظر اليها حتى وضعها التاجر تحت وسادة ونام فقالت الفأرة للبرغوث أما ترى الفرصة والحظ العظيم فهل عندك حيلة توصلنا الى بلوغ الغرض من تلك الدنانير قال البرغوث انه لا يحسن لمن طلب الغرض الا أن يكون قادرا عليه فان كان ضعيفا عنه وقع فيما يحذره ولم يدرك مراده مع الضعف وان استحكمت قوة المحتال كالعصفور الذى يلتقط الحب فيقع فى الشبكة فيقتنصه صائده وليس لك قوة على أخذ الدنانير ولا على اخراجها من البيت وأنا لا طاقة لى على ذلك بل ولا على حمل دينار واحد منها فشأنك والدنانير فقالت له الفأرة انى أعددت فى جحرى هذا سبعين منفذا أخرج منها متى أردت الخروج وأعددت للذخائر موضعا يزاوان تحيلت أنت على اخراجه من البيت فلست أشك فى الظفر فان ساعدنى القدر فقال لها البرغوث قد التزمت لك باخراجه من البيت ثم انطلق البرغوث الى فراش التاجر ولدغه لدغة قوية لم يكن جرى للتاجر مثلها ثم تنحى البرغوث الى موضع يأمن فيه على نفسه من التاجر وانتبه التاجر يفتش على البرغوث فلم يجد شيأ فرقد على جنبه الآخر فلدغه البرغوث لدغة أشد من الاولى فقلق التاجر وفارق مضجعه وخرج الى مصطبة على باب داره فنام هنالك ولم ينتبه الى الصباح ثم ان الفأرة أقبلت على نقل الدنانير حتى لم تترك منها شيأ فلما أصبح الصباح صار التاجر يتهم الناس و يظن الظنون ثم قال الثعلب للغراب واعلم أنى لم أقل لك هذا الكلام أيها الغراب البصير العاقل الخبير * الا ليصل اليك جزاء احسانك الى كما وصل للفأرة جزاء احسانها الى البرغوث فانظر كيف جازاها أحسن الجزاء * وكافأها أحسن المكافاة * فقال الغراب ان شاء المحسن يحسن أولا يحسن وليس الاحسان واجبا لمن التمس صلة بقطيعة وان أحسنت اليك مع كونك عدوى أكون قد تسببت فى قطيعة نفسى وأنت أيها الثعلب ذو مكر وخداع ومن شيمته المكر والخديعة لا يؤمن على عهد ومن لا يؤمن على عهد لا أمان له وقد بلغنى من قريب أنك غدرت بصاحبك الذئب ومكرت به حتى أهلكته بغدرك وحيلتك وفعلت به هذه الامور مع أنه من جنسك وقد صحبته مدة مديدة فما أبقيت عليه فكيف أثق منك بنصيحة واذا كان هذا فعلك مع صاحبك الذى من جنسك فكيف يكون فعلك مع عدوك الذى من غير جنسك وما مثالك معى الا مثال الصقر مع ضوارى الطير فقال الثعلب وما حكاية الصقر مع ضوارى الطير فقال الغراب زعموا أن صقرا كان جبارا عنيدا * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والخمسون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الغراب قال زعموا أن صقرا كان جبارا عنيدا ايام شبيبته وكانت سباع البر وسباع الطير تفزع منه ولا يسلم من شره أحد وله حكايات كثيرة فى ظلمه وتجبره وكان دأب هذا الصقر الاذى لسائر الطيور فلما مرت عليه السنون ضعف وجاع واشتد جهده بعد فقد قوته فأجمع رأيه على أن يأتى مجمع الطير فيأكل ما يفضل منها فعند ذلك صار قوته بالحيلة بعد القوة والشدة وأنت كذلك أيها الثعلب ان عدمت قوتك ما عدمت خداعك ولست أشك فى أن ما تطلبه من

صحبتي حيلة على قوتك فلا كنت ممن يضع يده في يدك لان الله أعطاني قوة في جناحي وحذرا
في نفسي و بصرا في عيني واعلم أن من تشبه بأقوى منه تعب وربما هلك وأنا أخاف عليك ان
تشبهت بمن هو أقوى منك أن يجري لك ماجرى للعصفور قال الثعلب وماجرى للعصفور فبالله
عليك أن تخبرني به فقال الغراب بلغني أن عصفورا كان طائرا بمراح غنم فنظر الى المراح واذا
بعقاب كبير انقض على رميس من صغار أولاد الغنم فاختطفه بمخالبه وطار فلما رآه العصفور
نشر جناحه وقال أنا أفعل مثل مافعل هذا وأعجبته نفسه وتشبه بمن هو أكبر منه فطار لوقته
وانقض على كبش سمين له صوف كثير وقد تلبد صوفه من رقاده على بوله وروثه فصار صوفه
مثل البراق فلما انقض على ظهره صفق بجناحيه فاشتبكت رجلاه في الصوف فأراد أن يطير
فلم يستطع الطيران وقد حصل كل هذا والراعي ينظر ماجرى لهما فرجع اليه الصقر غضبان
فقبضه ونتف أجنحته وربط في رجليه خيطا وأتى به الى أولاده ورماه لهم فقال بعض الاولاد
ماهذا فقال هذا تشبه بمن هو أعلى منه فهلك وأنت كذلك أيها الثعلب أحذرك أن تتشبه
بمن هو أقوى منك فتهلك هذا ما عندي من الكلام * واذهب عني بسلام * فلما يئس الثعلب
من مصادقة الغراب رجع من حزنه يئن وقرع للندامة سنا على سن فلما سمع الغراب بكاءه وأنينه
ورأى كآبته وحزنه * قال أيها الثعلب مانابك * حتى قرعت نابك * قال له الثعلب انما قرعت
سني * لاني رأيتك أخدع مني * ثم انه ولى هاربا * ورجع الى جحره طالبا * وهذا ما كان من
حديثهما أيها الملك فقال الملك ياشهرزاد ما أحسن هذه الحكايات هل عندك شئ مثلها من
الخرافات (قالت) ويحكى أن قنفذا اتخذ مسكنا بجانب نخلة وكان الورشان هو وزوجته قد اتخذا
عشا في النخلة وعاشا فوقها عيشا رغدا فقال القنفذ في نفسه ان الورشان يأكل من ثمر النخلة
وأنا لا أجد الى ذلك سبيلا ولكن لابد من استعمال الحيلة ثم حفر في أسفل النخلة بيتا واتخذه
مسكنا له وزوجته واتخذ جانبه مسجدا وانفرد فيه وأظهر النسك والعبادة وترك الدنيا وكان
الورشان يراه متعبدا مصليا فرق له من شدة زهده وقال كم سنة وأنت هكذا قال مدة ثلاثين
سنة قال ماطعامك قال مايسقط من النخلة قال مالباسك قال شوك أنتفع بخشونته فقال وكيف
اخترت مكانك هذا على غيره قال اخترته على غير طريق لاجل أن أرشد الضال وأعلم الجاهل
فقال له الورشان كنت أظن أنك على غير هذه الحالة ولكنني الآن رغبت فيما عندك فقال
القنفذ اني أخشى أن يكون قولك ضد فعلك فتكون كالزراع الذي لما جاء وقت الزرع قصر
في بذره وقال اني أخشى أن يكون أوان الزرع قد فات فأكون قد أضعت المال بسرعة البذر فلما
جاء وقت الحصاد ورأى الناس وهم يحصدون ندم على مافاته من تقصيره من تخلفه ومات أسفا
وحزنا فقال الورشان للقنفذ وماذا أصنع حتى أتخلص من علائق الدنيا وأنقطع الى عبادة ربي
قال له القنفذ خذ في الاستعداد للمعاد * والقناعة بالكفاف من الزاد * فقال الورشان كيف لي
بذلك وأنا طائر لا أستطيع أن أتجاوز النخلة التي فيها قوتي ولو استطعت ذلك ماعرفت موضعا
أستقر فيه فقال القنفذ يمكنك أن تدخر من ثمر النخلة مايكفيك مؤنة عام أنت وزوجتك
وتسكن في وكر تحت النخلة لالتماس حسن ارشادك ثم مل الى مانثرته من الثمر فانقله جميعه
وادخره قوتا للعدم واذا فرغت الثمار * وطال عليك المطال * صر الى كفاف من العيش

فقال

فقال الورشان جزاك الله خيرا حيث ذكرتنى بالمعاد * وهديتنى الى الرشاد * ثم تعب الورشان هو وزوجته فى ملح الثمر حتى لم يبق فى النخلة شئ فوجد القنفذ ما يأكل وفرح به وملأ مسكنه من التمر واذخره لقوته وقال فى نفسه ان الورشان هو وزوجته اذا احتاجا الى مؤنتهما طلباها منى وطمعا فيما عندى وركنا الى تزهدى وورعى فاذا سمعا نصحى ووعظى دنيا منى فأقتنصهما وآكلهما ويخلى لى هذا المكان وكل ما تساقط من ثمر النخلة يكفينى * ثم ان الورشان نزل هو وزوجته من فوق النخلة بعد أن نثرا ما عليها من التمر فوجد القنفذ قد نقل جميع ذلك الى جحره فقال له الورشان أيها القنفذ الصالح * والواعظ الناصح * انا لم نجد للتمر أثرا * ولا نعرف لقوتنا غيره ثمرا * فقال لعله طارت به الرياح * والاعراض عن الرزق الى الرازق عين الفلاح فالذى شق الاشداق * لا يتركها بلا أرزاق * ومازال يعظهما بتلك المواعظ * ويظهر لهما الورع بزخرف الملافظ * حتى ركنا اليه * وأقبلا عليه * ودخلا باب وكره * وأمنا من مكره فوثب الى الباب * وقرع الانياب * فلما رأى الورشان منه الخديعة لائحة قال له أين الليلة من البارحة * أما تعلم أن للظلومين ناصرا فاياك والمكر والخديعة لئلا يصيبك ما أصاب الخداعين الذين مكروا بالتاجر فقال القنفذ وكيف ذلك قال بلغنى أن تاجرا من مدينة يقال لها سنده كان ذا مال واسع فشد أحمالا وجهز متاعا وخرج به الى بعض المدن ليبيعه فيها فتبعه رجلان من المكرة وحملا شيأ من مال ومتاع وأظهر للتاجر أنهما من التجار وسارا معه فلما نزلا أول منزل اتفقا على المكر به وأخذ ما معه ثم ان كل واحد منهما أضمر المكر لصاحبه وقال فى نفسه لو مكرت بصاحبى بعد مكرنا بالتاجر لصفا لى الوقت وأخذت جميع المال ثم أضمرا لبعضهما نية فاسدة وأخذ كل منهما طعاما وجعل فيه سما وقربه لصاحبه فقتلا بعضهما وكانا يجلسان مع التاجر ويحدثانه فلما أبطآ عليه فتش عليهما ليعرف خبرهما فوجدهما ميتين فعلم أنهما كانا محتالين وأراد المكر به فعاد عليهما مكرهما وسلم التاجر وأخذ ما كان معهما فقال الملك نبهتنى يا شهرزاد على شئ كنت غافلا عنه أفلا تزيدينى من هذه الامثال قالت بلغنى أيها الملك أن رجلا كان عنده قرد وكان ذلك الرجل سارقا لا يدخل سوقا من أسواق المدينة التى هو فيها الا ويرجع بكسب عظيم فاتفق أن رجلا حمل أثوابا مقطعة ليبيعها فذهب بها الى السوق وصار ينادى عليها فلا يسومها أحد وكان لا يعرضها على أحد الا امتنع من شرائها فاتفق أن السارق الذى معه القرد رأى الشخص الذى معه الثياب المقطعة وكان قد وضعها فى بقجة وجلس يستريح من التعب فلعب القرد قدامه حتى أشغله بالفرجة عليه واختلس منه تلك البقجة ثم أخذ القرد وذهب الى مكان خال وفتح البقجة فرأى تلك الثياب المقطعة فوضعها فى بقجة نفيسة وذهب بها الى سوق آخر وعرض البقجة للبيع بما فيها واشترط أن لا تفتح ورغب الناس فيها لقلة الثمن فرآها رجل وأعجبه نفاستها فاشتراها بهذا الشرط وذهب بها الى زوجته فلما رأت ذلك امرأته قالت ما هذا قال متاع نفيس اشتريته بدون القيمة لأسعه وآخذ فائدته فقالت أيها المغبون أيباع هذا المتاع بأقل من قيمته الا اذا كان مسروقا أما تعلم أن من اشترى شيأ ولم يعاينه كان مخطئا وكان مثله مثل الحائك فقال لها وكيف كان ذلك فقالت بلغنى أن حائكا كان فى بعض القرى وكان يعمل فلا ينال القوت الا بجهد فاتفق أن رجلا من

الاغنياء كان سبا كاقر يبا منه قد أولم وليمة ودعا الناس اليها فحضر الحائك فرأى الناس الذين عليهم الثياب الناعمة يقدم لهم الاطعمة الفاخرة وصاحب المنزل يعظمهم لما يرى من حسن زيهم فقال فى نفسه لو بدلت تلك الصنعة بصنعة أخف مؤنة منها وأكثر أجرة لجمعت مالا كثيرا واشتريت ثيابا فاخرة وارتفع شأنى وعظمت فى أعين الناس ثم نظر الى بعض أهل الملاعب الحاضرين فى الوليمة وقد صعد سوراشاهقا ثم رمى بنفسه الى الارض ونهض قائما فقال فى نفسه لا بد أن أعمل مثل عمل هذا ولا أعجز عنه ثم صعد الى السور ورمى نفسه فلما وصل الى الارض اندقت رقبته فمات وانما أخبرتك بذلك لئلا يتمكن منك الشره فترغب فيما ليس من شأنك فقال لها زوجها ما كل عالم يسلم بعلمه ولا كل جاهل يعطب بجهله وقد رأيت الحاوى الخبير بالأفاعى العالم بها ربما نهشته الحية فقتلته وقد يظفر بها الذى لا معرفة له بها ولا علم عنده باحوالها ثم خالف زوجته واشترى المتاع وأخذ فى تلك العادة فصار يشترى من السارقين بدون القيمة الى أن وقع فى تهمة فهلك فيها وكان فى زمنه عصفور يأتى كل يوم الى ملك من ملوك الطيور ولم يزل غاديا ورائحا عنده بحيث كان أول داخل عليه وآخر خارج من عنده فاتفق أن جماعة من الطير اجتمعوا فى جبل عال من الجبال فقال بعضهم لبعض انا قد كثرنا وكثر الاختلاف بيننا ولا بد لنا من ملك ينظر فى أمورنا فنجتمع كلمتنا ويزول الاختلاف عنا فمر بهم ذلك العصفور فأشار عليهم بتمليك الطاوس وهو الملك الذى يتردد اليه فاختاروا الطاوس وجعلوه عليهم ملكا فأحسن اليهم وجعل ذلك العصفور كاتبه ووزيره فكان تارة يترك الملازمة وينظر فى الامور ثم ان العصفور رغب يوما على الطاوس فقلق قلقا عظيما فبينما هو كذلك اذ دخل عليه العصفور فقال له ما الذى أخرك وأنت أقرب أتباعى الىّ فقال العصفور رأيت امرا واشتبه على فتخوفت منه فقال له الطاوس ما الذى رأيت قال العصفور رأيت رجلا معه شبكة قد نصبها عند وكرى وثبت أوتادها وبذر فى وسطها حبا وقعد بعيدا عنها فجلست أنظر ما يفعل فبينما أنا كذلك واذا بكركى هو وزوجته قد ساقهما القضاء والقدر حتى سقطا فى وسط الشبكة فصارا يصرخان فقام الصياد وأخذهما فأزعجنى ذلك وهذا سبب غيابى عنك يا ملك الزمان وما بقيت أسكن هذا الوكر حذرا من الشبكة فقال له الطاوس لا ترحل من مكانك لانه لا ينفع الحذر من القدر فامتثل أمره وقال سأصبر ولا أرحل طاعة للملك ولم يزل العصفور حذرا على نفسه وأخذ الطعام الى الطاوس فأكل حتى اكتفى وتناول على الطعام ثم ذهب العصفور فبينما هو فى بعض الايام شاخص واذا بعصفورين يقتتلان فى الارض فقال فى نفسه كيف أكون وزير الملك وأرى العصافير تقتتل فى جواري والله لأصلحن بينهما ثم ذهب اليهما ليصلح بينهما فقلب الصياد الشبكة على الجميع فوقع ذلك العصفور فى وسطها فقام اليه الصياد وأخذه ودفعه الى صاحبه وقال له استوثق به فانه سمين ولم أر أحسن منه فقال العصفور فى نفسه قد وقعت فيما كنت أخاف وما كان آمنا الا الطاوس ولم ينفعنى الحذر من القدر فلا مفر من القضاء للمحاذر وما أحسن قول الشاعر

ما لا يكون فلا يكون بحيلة * أبدا وما هو كائن سيكون
سيكون ما هو كائن فى وقته * وأخو الجهالة دائما مغبون

فقال

فقال الملك يا شهرزاد زيدينى من هذا الحديث فقالت الليلة القابلة ان أبقانى الملك أعزه الله وأدرك شهرزاد الصباح * فسكتت عن الكلام المباح

﴿ حكاية على بن بكار مع شمس النهار ﴾

فلما كانت الليلة الثالثة والخمسون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أنه كان فى قديم الزمان فى خلافة هرون الرشيد رجل تاجر وله ولد يسمى أبا الحسن على بن طاهر وكان كثير المال والنوال حسن الصورة محبوبا عند كل من يراه وكان يدخل دار الخلافة من غير اذن ويحجبه جميع سرارى الخليفة وجواريه وكان ينادم الملك وينشد عنده الاشعار * ويحدثه بنوادر الاخبار * الا أنه كان يبيع ويشترى فى سوق التجار * وكان يجلس على دكان شاب من أولاد ملوك العجم يقال له على بن بكار * وكان ذلك الشاب مليح القامة * ظريف الشكل كامل الصورة * مورد الخدين * مقرون الحاجبين * عذب الكلام ضاحك السن يحب البسط والانشراح فاتفق أنهما كانا جالسين يتحدثان ويضحكان واذا بعشر جوار كأنهن الاقمار وكل منهن ذات حسن وجمال * وقد واعتدال * وبينهن صبية راكبة على بغلة بسرج مذهب مركش له ركاب من الذهب وعليها ازار رفيع وفى وسطها زنار من الحرير مطرز بالذهب كما قال فيها الشاعر

لها بشر مثل الحرير ومنطق * رخيم الحواشى لا هراء ولا نزر
وعينان قال الله كونا فكانتا * فعولان بالالباب ما تفعل الخمر
فيا حبها زدنى جوى كل ليلة * ويا سلوة الاحباب موعدك الحشر

فلما وصلوا الى دكان أبى الحسن نزلت عن البغلة وجلست على دكانه فسلمت عليه وسلم عليها فلما رآها على بن بكار سلبت عقله وأراد القيام فقالت له اجلس مكانك كيف تذهب اذا حضرناها هذا ما وانصاف فقال والله ياسيدتى انى هارب مما رأيت وما أحسن قول الشاعر

هى الشمس مسكنها فى السماء * فعز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع اليها الصعود * وان تستطيع اليك النزولا

فلما سمعت ذلك الكلام تبسمت وقالت لابى الحسن ما اسم هذا الفتى ومن أين هو فقال لها هذا غريب اسمه على بن بكار بن ملك العجم والغريب يجب اكرامه فقالت له اذا جاءتك جارية فائت به عندى فقال أبو الحسن على الرأس ثم قامت وتوجهت الى حال سبيلها هذا ما كان من أمرها وأما ما كان من أمر على بن بكار فانه صار لا يعرف ما يقول وبعد ساعة جاءت الجارية الى أبى الحسن وقالت له ان سيدتى تطلبك أنت ورفيقك فنهض أبو الحسن وأخذ معه على بن بكار وتوجها الى دار هرون الرشيد فأدخلتهما فى مقصورة وأجلستهما واذا بالموائد وضعت قدامهما فأكلا وغسلا أيديهما ثم أحضرت لهما الشراب فشربا ثم أمرتهما بالقيام فقاما معها وأدخلتهما مقصورة أخرى مركبة على أربعة أعمدة وهى مفروشة بانواع الفرش مزينة باحسن الزينة كأنها من قصور الجنان فاندهشا مما عاينا من التحف فبينما هما يتفرجان على هذه الغرائب واذا بعشر جوار أقبلن يتمايلن عجبا كأنهن الاقمار * يدهشن الابصار ويحيرن الافكار * واصطففن كأنهن من حور الجنان * وجاء بعدهن عشر جوار أخر وبأيديهن العيدان وآلات اللهو والطرب فسلمن عليهما وجعلن يضربن العيدان وينشدن

الاشعار وكل واحدة منهن فتنة للعباد وأقبل بعدهن عشر جوار مثلهن كواعب أتراب بعيون سود وخدود حمر مقرونات الحواجب ناعسات الاطراف فتنة للعابدين ونزهة للناظرين وعليهن من أنواع الحرير الملون ما يحير العقول ثم وقفن بالباب وجاء من بعدهن عشر جوار أحسن منهن وعليهن الملبوس الفاخر فوقفن بالباب أيضا ثم خرج من الباب عشرون جارية وبينهن جارية اسمها شمس النهار كأنها القمر بين النجوم وهى متوشحة بفاضل شعرها وعليها لباس أزرق وازار من الحرير بطراز من الذهب وفى وسطها حياصة مرصعة بأنواع الجواهر ولم تزل تتبختر حتى جلست على السرير فلما رآها على بن بكار أنشد هذه الاشعار

ان هذى هى ابتداء سقامى * وتمادى وجدى وطول غرامى
عندها قد رأيت نفسى ذابت * من ولوعى بها وبرى عظامى

فلما فرغ من شعره قال لابى الحسن لو علمت معى خبرا كنت أخبرتنى بهذه الامور قبل الدخول هنا لاجل أن أوطن نفسى وأصبرها على ما أصابها ثم بكى وأن واشتكى فقال له أبو الحسن يا أخى انا ما أردت لك الا الخير ولكن خشيت أن أعلمك بذلك فيلحقك من الوجد ما يصدك عن لقائها ويحيل بينك وبين رضاها فطب نفسا وقر عينا فهى بسعدك مقبلة * وللقائك متوصلة فقال على بن بكار ما اسم هذه الصبية فقال له أبو الحسن تسمى شمس النهار وهى من محاظى أمير المؤمنين هرون الرشيد وهذا المكان قصر الخلافة ثم ان شمس النهار جلست وتأملت محاسن على بن بكار وتأمل هو حسنها واشتغلا بحب بعضهما وقد أمرت الجوارى أن تجلس كل واحدة منهن فى مكانها على سرير فجلست كل واحدة قبال طاقة وأمرتهن بالغناء فتسلمت واحدة منهن العود وأنشدت تقول

أعد الرسالة ثانية * وخذ الجواب علانيه
واليك يا ملك المنا * ح وقفت أشكو حاليه
مولاى يا قلبى العزيز ويا حياتى الغاليه
انعم على بقبلة * هبة والا عاريه
وأردها لك لا عدمت بعينها وكماهيه
واذا أردت زيادة * خذها ونفسك راضيه
يا ملبسى ثوب الضنى * يهنيك ثوب العافيه

فطرب على بن بكار وقال اها زيدينى من مثل هذا الشعر فحركت الاوتار وأنشدت هذه الاشعار

من كثرة البعد يا حبيبى * علمت طول البكا جفونى
يا حفظ عينى ويا مناها * ومنتهى غايتى ودينى
ارثى لمن طرفه غريق * فى عبرة الواله الحزين

فلما فرغت من شعرها قالت شمس النهار لجارية غيرها أنشدى فاطربت بالنغمات وأنشدت هذه الابيات

سكرت من لحظه لا من مدامته * ومال بالنوم عن عينى تمايله
لما السلاف سلبتنى بل سوالفه * وما الشمول سلبتنى بل شمائله

لوى بعزمى أصداغ لوين له * وغال عقلى بما تحوى غلائله

فلما سمعت شمس النهار انشاد الجارية تنهدت وأعجبها الشعر ثم أمرت جارية أخرى أن تغنى فأنشدت هذه الابيات

وجه لصباح السماء مباهى * يبدو الشباب عليه رشح مياه
رقم العذار غلالتيه بأحرف * معنى الهوى فى طيها متناهى
نادى عليه الحسن حين لقيته * هذا المنمنم فى طراز الله

فلما فرغت من شعرها قال على بن بكار لجارية قريبة منه أنشدى أنت أيتها الجارية فأخذت العود وأنشدت هذه الابيات

زمن الوصال يضيق عن * هذا التمادى والدلال
كم من صدود متلف * ماهكذا أهل الجمال
فاستغنموا وقت السعو * د بطيب ساعات الوصال

فلما فرغت من شعرها تنهد على بن بكار * وأرسل دموعه الغزار فلما رأته شمس النهار قد بكى * وأن واشتكى * أحرقها الوجد والغرام * وأتلفها الوله والهيام * فقامت من فوق السرير وجاءت الى باب القبة فقام على بن بكار وتلقاها وتعانقا ووقعا مغشيا عليهما فى باب القبة فقام الجوارى اليهما وحملنهما وأدخلنهما القبة ورششن عليهما ماء الورد فلما أفاقا لم يجدا أبا الحسن وكان قد اختفى فى جانب سرير فقالت الصبية أين أبو الحسن فظهر لها من جانب السرير فسلمت عليه وقالت أسأل الله أن يقدرنى على مكافأتك ياصاحب المعروف ثم أقبلت على على بن بكار وقالت له ياسيدى مابلغ بك الهوى الى غاية الا وعندى أمثالها وليس لنا الا الصبر على ما أصابنا فقال على بن بكار والله ياسيدتى ليس جمع شملى بك يطيب ولا ينطفئ اليك ماعندى من اللهيب ولا يذهب ماتمكن من حبك فى قلبى الا بذهاب روحى ثم بكى فنزلت دموعه على خده كأنها المطر فلما رأته شمس النهار يبكى بكت لبكائه فقال أبو الحسن والله انى عجبت من أمركما واحترت فى شأنكما فان حالكما عجيب * وأمركما غريب * هذا البكاء وأنتما مجتمعان فكيف يكون الحال بعد انفصالكما ثم قال هذا ليس وقت حزن وبكاء بل هذا وقت سرور وانشراح فأشارت شمس النهار الى جارية فقامت وعادت ومعها وصائف حاملات مائدة صحافها من الفضة وفيها أنواع الطعام ثم وضعت المائدة قدامهم وصارت شمس النهار تأكل وتلقم على بن بكار حتى اكتفوا ثم رفعت المائدة وغسلوا أيديهم وجاءتهم المباخر بأنواع العود وجاءت القماقم بماء الورد فتبخروا وتطيبوا وقدمت لهم أطباق من الذهب المنقوش فيها من أنواع الشراب والفواكه والنقل ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين ثم جاءت لهم بطشت من العقيق ملآن من المدام فاختارت شمس النهار عشر وصائف أوقفتهم عندها وعشر جوار من المغنيات وصرفت باقى الجوارى الى أماكنهن وأمرت بعض الحاضرين من الجوارى أن يضربن بالعود ففعلن ماأمرت به وأنشدت واحدة منهن

بنفسى من رد التحية ضاحكا * فجدد بعد اليأس فى الوصل مطمعى
لقد أبرزت أيدى الغرام سرائرى * وأظهرت للعذال مابين أضلعى

وحالت دموع العين بيني وبينه * كأن دموع العين تعشقه معي

فلما فرغت من شعرها قامت شمس النهار وملأت الكاس وشربته ثم ملأته وأعطته لعلي بن بكار * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والخمسون بعد المائة قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شمس النهار ملأت الكاس وأعطته لعلي بن بكار ثم أمرت جارية أن تغني فأنشدت هذين البيتين

تشابه دمعي اذ جرى ومدامتي * فمن مثل ما في الكاس عيني تسكب

فوالله لا أدري أبالخمر أسبلت * جفوني أم من أدمعي كنت أشرب

فلما فرغت من شعرها شرب علي بن بكار كأسه وردّه الى شمس النهار فملأته وناولته لابي الحسن فشربه ثم أخذت العود وقالت لا يغني على قدحي غيري ثم شدّت الاوتار * وأنشدت هذه الاشعار

غرائب الدمع في خديه تضطرب * وجدا ونار الهوى في صدره تقد

يبكي مع القرب خوفا من تباعدهم * فالدمع ان قربوا جار وان بعدوا

وقول الشاعر

تفقدك ساقيا قد كاد الحسن من فرقك المضيء لساقك

تشرق الشمس من يديك ومن فيك الثريا والبدر من أطواقك

ان أقدا حك التي تركتني * غير صاح تدار من أحداقك

أوليس الحبيب كونك بدرا * كاملا والمحاق في عشاقك

آله تميت أنت وتحيي * بتلاقيك من تشا وفراقك

خلق الله من خليقتك الحسن وطيب النسيم من أخلاقك

لست من هذه البرية بل أنت مليك أرسلت من خلاقك

فلما سمع علي بن بكار وأبو الحسن والحاضرون شعر شمس النهار كادوا أن يطيروا من الطرب ولعبوا وضحكوا فبينما هم على هذا الحال واذا بجارية أقبلت وهي ترتعد من الخوف وقالت ياسيدتي قد وصل أمير المؤمنين وها هو بالباب ومعه عفيف ومسرور وغيرهما فلما سمعوا كلام الجارية كادوا أن يهلكوا من الخوف فضحكت شمس النهار وقالت لا تخافوا ثم قالت للجارية ردّي عليهم الجواب بقدر ما تتحوّل من هذا المكان ثم انها أمرت بغلق باب القبة وارخاء الستور على أبوابها وهم فيها وأغلقت باب القاعة ثم خرجت الى البستان وجلست على سريرها وأمرت جارية أن تكبس رجليها وأمرت بقية الجواري أن يمضين الى أماكنهن وأمرت الجارية أن تدع الباب مفتوحا ليدخل الخليفة فدخل مسرور ومن معه وكانوا عشرين وبأيديهم السيوف فسلموا على شمس النهار فقالت لهم لاي شئ جئتم فقالوا ان أمير المؤمنين يسلم عليك وقد استوحش لرؤيتك ويخبرك أنه كان عنده اليوم سرور وحظ زائد وأحب أن يكون ختام السرور بوجودك في هذه الساعة فهل تأتين عنده أو يأتي عندك فقامت وقبلت الارض وقالت سمعا وطاعة لامر أمير المؤمنين ثم أمرت باحضار القهرمانات والجواري فحضرن وأظهرت لهن أنها مقبلة على ما أمر به الخليفة وكان المكان كاملا في جميع أموره ثم

قالت

قالت للخدام امضوا الى أمير المؤمنين وأخبروه أنى فى انتظاره بعد قليل الى أن أهيئ له مكانا بالفرش والامتعة فمضى الخدام مسرعين الى أمير المؤمنين ثم ان شمس النهار قلعت ودخلت الى معشوقها على بن بكار وضمته الى صدرها وودعته فبكى بكاء شديدا وقال ياسيدتى هذا الوداع فتعيني به لعله يكون عونا على تلف نفسى وهلاك روحى فى هواك ولكن أسأل الله أن يرزقنى الصبر على ما بلانى به من محبتى فقالت له شمس النهار والله ما يصبر فى التلف الا أنا فانك قد تخرج الى السوق وتجتمع بمن يسليك فتكون مصونا وغرامك مكنونا وأما أنا فسوف أقع فى البلاء خصوصا وقد وعدت الخليفة بميعاد فربما يلحقنى من ذلك عظيم الخطر بسبب شوقى اليك وحبى لك وتعشقى فيك وتأسفى على مفارقتك فبأى لسان أعتذر وبأى قلب أحضر عند الخليفة وبأى كلام أنادم أمير المؤمنين وبأى نظر أنظر الى مكان ما أنت فيه وكيف أكون فى حضرة لم تكن بها وبأى ذوق أشرب مدامة ما أنت حاضره فقال لها أبو الحسن لا تتحيرى واصبرى ولا تغفلى عن منادمة أمير المؤمنين هذه الليلة ولا تريحيها ونافبينما هم فى الكلام واذا بجارية قدمت وقالت ياسيدتى جاء غلمان أمير المؤمنين فنهضت قائمة وقالت للجارية خذى أبا الحسن ورفيقه واقصدى بهما أعلى الروشن المطل على البستان ودعيهما هناك الى الظلام ثم تحيلى فى خروجهما فأخذتهما الجارية وأطلعتهما فى الروشن وأغلقت الباب عليهما ومضت الى حال سبيلها وصارا ينظران الى البستان واذا بالخليفة قدم وقدامه نحو المائة خادم بأيديهم السيوف وحوالیه عشرون جارية كأنهن الاقمار وعليهن أفخر ما يكون من الملبوس وعلى رأس كل واحدة تاج مكلل بالجواهر والياقيت وفى يد كل واحدة شمعة موقودة والخليفة يمشى بينهن وهن محيطات به من كل ناحية ومسرور وعفيف ووصيف قدامه وهو يتمايل بينهم فقامت له شمس النهار وجميع من عندها من الجوارى ولاقينه من باب البستان وقبلن الارض بين يديه ولم يزلن سائرات أمامه الى أن جلس على السرير والذين فى البستان من الجوارى والخدم وقفوا حوله والشموع موقودة والآلات تضرب الى ان أمرهم بالانصراف والجلوس على الاسرة فجلست شمس النهار على سرير بجانب سرير الخليفة وصارت تحدثه كل ذلك وأبو الحسن وعلى بن بكار ينظران ويسمعان والخليفة لم يرهما ثم ان الخليفة صار يلعب مع شمس النهار وأمر بفتح القبة ففتحت وشرعوا طيقانها وأوقدوا الشموع حتى صار المكان وقت الظلام كالنهار ثم ان الخدم صاروا ينقلون آلات المشروب فقال أبو الحسن ان هذه الآلات والمشروب والتحف ما رأيت مثلها وهذا شئ من أصناف الجواهر ما سمعت بمثله وقد خيل لى أننى فى المنام وقد اندهش عقلى وخفق قلبى وأما على بن بكار فانه لما فارقته شمس النهار لم يزل مطروحا على الارض من شدة العشق فلما أفاق صار ينظر الى هذه الفعال التى لا توجد مثلها فقال لابى الحسن يا أخى أخشى أن ينظرنا الخليفة أو يعلم حالنا وأكثر خوفى عليك وأما أنا فانى أعلم أن نفسى من الهالكين وما سبب موتى الا العشق والغرام وفرط الوجد والهيام ونرجو من الله الخلاص مما به بلينا ولم يزل على بن بكار وأبو الحسن ينظران من الروشن الى الخليفة وما هو فيه حتى تكاملت الحضرة بين يدى الخليفة ثم ان الخليفة التفت الى جارية من الجوارى وقال لها ائتى ما عندك يا غرام من السماع المطرب فاطربت بالنغمات

وأنشدت هذه الابيات

وما وجد أعرابية بان أهلها * فحنت الى بان الحجاز ورنده
اذا آنست ركبا تكفل شوقها * بنار قراه والدموع بوردة
بأعظم من وجدى بحبى وانما * يرى أننى أذنبت ذنبا بودّه

فلما سمعت شمس النهار هذا الشعر وقعت مغشيا عليها من فوق الكرسى الذى كانت عليه وغابت عن الوجود فقام الجوارى واحتملنها فلما نظر اليها على بن بكار من الروشن وقع مغشيا عليه فقال أبو الحسن ان القضاء قسم الغرام بينكما بالسوية فبينما هما يتحدثان واذا بالجارية التى أطلعتهما الروشن جاءتهما وقالت يا أبا الحسن انهض أنت ورفيقك وانزلا فقد ضاقت علينا الدنيا وأنا خائفة أن يظهر أمرنا فقوما فى هذه الساعة والا متنا فقال أبو الحسن فكيف ينهض معى هذا الغلام ولا قدرة له على النهوض فصارت الجارية ترش ماء الورد على وجهه حتى أفاق فحمله أبو الحسن هو والجارية ونزلا به من الروشن ومشيا قليلا ثم فتحت الجارية بابا صغيرا من حديد وأخرجت أبا الحسن هو وعلى بن بكار على مصطبة ثم صفقت بيديها فجاء زورق فيه انسان يجدف فأطلعتهما الجارية فى الزورق وقالت للذى فى الزورق أطلعهما فى ذلك البر فلما نزلا فى الزورق وفارقا البستان نظر على بن بكار الى القبة والبستان وودّعهما بهذين البيتين

مددت الى التوديع كفا ضعيفة * وأخرى على الرمضاء تحت فؤادى
فلا كان هذا آخر العهد بيننا * ولا كان هذا الزاد آخر زادى

ثم ان الجارية قالت للملاح أسرع بهما فصار يجدف لاجل السرعة والجارية معهم * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والخمسون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملاح صار يجدف لاجل السرعة والجارية معهم الى أن قطعوا ذلك الجانب وعدّوا الى البر الثانى ثم انصرفت الجارية وودّعتهما وطلعا فى البر وقالت لهما كان قصدى أن لا أفارقكما لكننى لا أقدر أن أسير الى مكان غير هذا الموضع ثم ان الجارية عادت وصار على بن بكار مطروحا بين يدى أبى الحسن لا يستطيع النهوض فقال له أبو الحسن ان هذا المكان غير أمين ونخشى على أنفسنا من التلف فى هذا المكان بسبب اللصوص وأولاد الحرام فقام على بن بكار يمشى قليلا وهو لا يستطيع المشى وكان أبو الحسن له فى ذلك الجانب أصدقاء فقصد من يثق به ويركن اليه منهم فدق بابه فخرج اليه مسرعا فلما رآهما رحب بهما ودخل بهما الى منزله وأجلسهما وتحدث معهما وسألهما أين كانا فقال أبو الحسن قد خرجنا فى هذا الوقت وأحوجنا الى هذا الامر انسان عامله فى دراهم وبلغنى أنه يريد السفر بمالى فخرجت فى هذه الليلة وقصدته واستأنست برفيق هذا على بن بكار وجئنا لعلنا ننظره فتوارى منا ولم نره وعدنا بلا شئ وشق علينا العود فى هذا الليل ولم نر لنا محلا غير محلك فجئنا اليك على عوائدك الجميلة فرحب بهما واجتهد فى اكرامهما وأقاما عنده بقية ليلتهما فلما أصبح الصباح خرجا من عنده ولم يزالا يمشيان حتى وصلا الى المدينة ودخلاها وجازا على بيت أبى الحسن فخلف على صاحبه على بن بكار وأدخله بيته فاضطجعا على الفراش قليلا ثم أفاقا فأمر أبو الحسن غلمانه أن يفرشوا البيت

فرشا

فرشا فاخرا فعملوا ثم ان أبا الحسن قال فى نفسه لا بد أن أؤانس هذا الغلام وأسليه عما هو فيه فانى أدرى بأمره ثم ان على بن بكار لما أفاق استدعى بماء فحضر واله بالماء فقام وتوضأ وصلى ما فاته من الفروض فى يومه وليلته وصار يسلى نفسه بالكلام فلما رأى منه ذلك أبو الحسن تقدم اليه وقال ياسيدى على الالبق بما أنت فيه أن تقيم عندى هذه الليلة لينشرح صدرك وينفرج ما بك من كرب الشوق وتتلاهى معنا فقال على بن بكار افعل يا أخى ما بدا لك فانى على كل حال غير ناج مما أصابنى فاصنع ما أنت صانع فقام أبو الحسن واستدعى غلمانه وأحضر أصحابه وأرسل الى أرباب المغانى والآلات فحضروا وأقاموا على أكل وشرب وانشراح باقى اليوم الى المساء ثم أوقدوا الشموع ودارت بينهم كؤس المنادمة وطاب لهم الوقت فأخذت المغنية العود وجعلت تقول

رميت من الزمان بسهم لحظ * فأصمانى وفارقت الحبائب
وعاندنى الزمان وقل صبرى * وانى قبل هذا كنت حاسب

فلما سمع على بن بكار كلام المغنية خر مغشيا عليه ولم يزل فى غشيته الى أن طلع الفجر ويئس منه أبو الحسن ولما طلع النهار أفاق وطلب الذهاب الى بيته فلم يمنعه أبو الحسن خوفا من عاقبة أمره فأتاه غلمانه ببغلة وأركبوه وسار معه أبو الحسن الى أن أدخله منزله فلما اطمأن فى بيته حمد الله أبو الحسن على خلاصه من هذه الورطة وصار يسليه وهو لا يتمالك نفسه من شدة الغرام ثم ان أبا الحسن ودعه * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والخمسون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن أبا الحسن ودعه فقال له على بن بكار يا أخى لا تقطع عنى الاخبار فقال سمعا وطاعة ثم ان أبا الحسن قام من عنده وأتى دكانه وفتحها وصار يرتقب خبرا من الصبية فلم يأته أحد بخبر فبات تلك الليلة فى داره فلما أصبح الصباح قام الى أن أتى دار على بن بكار ودخل عليه فوجده ملقى على فراشه وأصحابه حوله والحكماء عنده وكل واحد يصف له شيأ ويحسون يده فلما دخل أبو الحسن ورآه تبسم ثم ان أبا الحسن سلم عليه وسأله عن حاله وجلس عنده حتى خرج الناس فقال له ما هذا الحال فقال على بن بكار قد شاع خبرى أنى مريض وتسامع بذلك أصحابى وليس لى قوة أستعين بها على القيام والمشى حتى اكذب من جعلنى ضعيفا ولم أزل ملقى مكانى كما ترانى وقد أتت أصحابى الى زيارتى لكن يا أخى هل رأيت الجارية أو سمعت بخبر من عندها فقال ما جاءتنى من يوم فارقتنا على شاطئ الدجلة ثم قال له أبو الحسن يا أخى احذر الفضيحة وتجنب هذا البكاء فقال على بن بكار يا أخى لا أملك نفسى ثم صعد الزفرات وأنشد هذه الابيات

نالت على يدها مالم تنله يدى * نقشا على معصم أوهت به جلدى
خافت على يدها من نبل مقلتها * فألبست يدها درعا من الزرد
جس الطبيب يدى جهلا فقلت له * ان التألم فى قلبى لا فى يدى
قالت لطيف خيال زارنى ومضى * بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال خلقته لومات من ظمأ * وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
فاستطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

فلما فرغ من شعره قال قد بليت بمصيبة كنت فى أمن منها وليس لى أعظم راحة من الموت فقال له أبو الحسن اصبر لعل الله يشفيك ثم نزل أبو الحسن من عنده وتوجه الى دكانه وفتحها فما جلس غير قليل حتى أقبلت عليه الجارية وسلمت فرد عليها السلام ونظر اليها فوجدها خافقة القلب يظهر عليها أثر الكآبة فقال لها أهلا وسهلا كيف حال شمس النهار فقالت سوف أخبرك بحالها كيف حال على بن بكار فأخبرها أبو الحسن بجميع ما كان من أمره فتأسفت وتأوهت وتعجبت من ذلك الامر ثم قالت ان حال سيدتى أعجب من ذلك فانكم لما توجهتم رجعت وقلبى يخفق عليكم وما صدقت بنجاتكم فلما رجعت وجدت سيدتى مطروحة فى القبة لا تتكلم ولا ترد على أحد وأمير المؤمنين جالس عند رأسها لا يجد من يخبره بخبرها ولم يعلم ما بها ولم تزل فى غشيتها الى نصف الليل ثم أفاقت فقال لها أمير المؤمنين ما الذى أصابك يا شمس النهار وما الذى اعتراك فى هذه الليلة فلما سمعت شمس النهار كلام الخليفة قبلت أقدامه وقالت له يا أمير المؤمنين جعلنى الله فداءك انه خامر فى خلط فاضرم النار فى جسدى فوقعت مغشيا على من شدة ما بى ولا اعلم كيف كان حالى فقال لها الخليفة ما الذى استعملته فى نهارك قالت أفطرت على شئ لم آكله قط ثم أظهرت القوة واستدعت بشئ من الشراب فشربته وسألت أمير المؤمنين أن يعود الى انشراحه فعاد الى الجلوس فى القبة فلما جئت اليها سألتنى عن أحوالكما فأخبرتها بما فعلت معكما وأخبرتها بما أنشده على بن بكار فسكتت ثم ان أمير المؤمنين جلس وأمر الجارية بالغناء فأنشدت هذين البيتين

ولم يصف لى شئ من العيش بعدكم * فيا ليت شعرى كيف حالكم بعدى
يحق لدمعى أن يكون من الدما * اذا كنتم تبكون دمعا على بعدى

فلما سمعت هذا الشعر وقعت مغشيا عليها * وأدركها شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والخمسون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية قالت لابى الحسن ان سيدتى لما سمعت هذا الشعر وقعت مغشيا عليها فأمسكت يدها ورشت ماء الورد على وجهها فأفاقت فقلت لها يا سيدتى لا تهتكى نفسك ومن يحويه قصرك بحياة محبوبك أن تصبرى فقالت هل فى الامر أكثر من الموت فأنا أطلبه لان فيه راحتى فبينما نحن فى هذا القول اذ غنت جارية بقول الشاعر

وقالوا لعل الصبر يعقب راحة * فقلت وأين الصبر بعد فراقه
وقد أكد الميثاق بينى وبينه * بقطع حبال الصبر عند عناقه

فلما فرغت من الشعر وقعت مغشيا عليها فنظرها الخليفة فأتى مسرعا اليها وأمر برفع الشراب وأن تعود كل جارية الى مقصورتها وأقام عندها باقى ليلته الى أن أصبح الصباح فاستدعى الاطباء وأمرهم بمعالجتها ولم يعلم بما هى فيه من العشق والغرام وأقمت عندها حتى ظننت أنه قد انصلح حالها وهذا الذى عاقنى عن المجئ اليكما وقد خلفت عندها جماعة من خواصها لما أمرتنى بالمسير اليكما لاخذ خبر على بن بكار وأعود اليها فلما سمع أبو الحسن كلامها تعجب وقال لها والله انى أخبرتك بجميع ما كان من أمره فعودى الى سيدتك وسلمى عليها

وحثيها

وحثيها على الصبر وقولى لها اكتمى السر وأخبريها أنى عرفت أمرها وهو أمر صعب يحتاج الى التدبير فشكرته الجارية ثم ودعته وانصرفت الى سيدتها هذا ما كان من أمرها وأما ما كان من أمر أبى الحسن فانه لم يزل فى دكانه الى آخر النهار فلما مضى النهار قام وأقفل دكانه وأتى الى دار على بن بكار فدق الباب فخرج له بعض غلمانه وأدخله فلما دخل عليه تبسم واستبشر بقدومه وقال له يا أبا الحسن أوحشتنى لتخلفك عنى فى هذا اليوم وروحى متعلقة بك يا قرة عينى فقال له أبو الحسن دع هذا الكلام فلو امكن فداؤك كنت أفديك بروحى وفى هذا اليوم جاءت جارية شمس النهار وأخبرتنى أنه ما عاقها عن المجىء الا جلوس الخليفة عند سيدتها وأخبرتنى بما كان من أمر سيدتها وحكى له جميع ما سمعه من الجارية فتأسف على على بن بكار غاية التأسف وبكى ثم التفت الى أبى الحسن وقال له بالله أن تساعدنى على ما بليت به واخبرنى ماذا تكون الحيلة وانى أسألك من فضلك المبيت عندى فى هذه الليلة لاستأنس بك فامتثل أبو الحسن أمره وأجابه الى المبيت عنده وباتا يتحدثان فى تلك الليلة ثم ان على بن بكار بكى وأرسل العبرات * وأنشد هذه الابيات

خفرت بسيف اللحظ ذمة مغفرى * وفرت برمح القد درع تصبرى
وجلت لنا من تحت مسكة خالها * كافور فرشق ليل العنبر
فزعت فضرست العقيق بلؤلؤ * سكنت فرائده غدير السكر
وتنهدت جزعا فأثر كفها * فى صدرها فنظرت مالم أنظر
أقلام مرجان كتبن بعنبر * بصحيفة البلور خمسة أسطر
ياحامل السيف الصحيح اذا رنت * اياك ضربة جفنها المتكسر
وتوق يارب القناة الطعن ان * حملت عليك من القوام بأسمر

فلما فرغ على بن بكار من شعره صرخ صرخة عظيمة ووقع مغشيا عليه فظن أبو الحسن أن روحه خرجت من جسده ولم يزل فى غشيته حتى طلع النهار فأفاق وتحدث مع أبى الحسن ولم يزل أبو الحسن جالسا عند على بن بكار الى ضحوة النهار ثم انصرف من عنده وجاء الى دكانه وفتحها واذا بالجارية جاءته ووقفت عنده فلما نظر اليها أومأت اليه بالسلام فرد عليها السلام وبلغته سلام سيدتها وقالت له كيف حال على بن بكار فقال لها يا جارية لا تسألى عن حاله وما هو فيه من شدة الغرام فانه لا ينام الليل ولا يستريح بالنهار وقد أنحله السهر * وغلب عليه الضجر * وصار فى حال لا يسر حبيبا فقالت له ان سيدتى تسلم عليك وعليه وقد كتبت له ورقة وهى فى حال أعظم من حاله وقد سلمتنى الورقة وقالت لا تأتينى الا بجوابها وافعل ما أمرتك به وهاهى الورقة معى فهل لك أن تسير معى الى على بن بكار ونأخذ منه الجواب فقال لها أبو الحسن سمعا وطاعة ثم أقفل الدكان وأخذ معه الجارية وذهب بها من مكان غير الذى جاء منه ولم يزالا سائرين حتى وصلا الى دار على بن بكار ثم أوقف الجارية على الباب ودخل * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والخمسون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن أبا الحسن ذهب بالجارية الى دار على بن بكار وأوقفها على الباب ودخل البيت فلما رآه على بن بكار فرح

به فقال له أبو الحسن سبب مجيئى أن فلانا أرسل اليك جاريته برقعة تتضمن سلامه عليك وذكر فيها أن سبب تأخره عنك عذر حصل له والجارية واقفة بالباب فهل تأذن لها بالدخول فقال على أدخلوها وأشار له أبو الحسن أنها جارية شمس النهار ففهم الاشارة فلما رآها تحرك وفرح وقال لها بالاشارة كيف حال السيد شفاه الله وعافاه فقالت بخير ثم أخرجت الورقة ودفعتها له فأخذها وقبلها وقرأها وناولها لابى الحسن فوجد مكتوبا فيها هذه الابيات

ينبيك هذا الرسول عن خبرى * فاستغن فى ذكره عن النظر
خلفت صبا بحبكم دنفا * وطرفه لايزال بالسهر
أكابد الصبر فى البلاء فما * يدفع خلق مواقع القدر
قرة عينا فلست تبعد عن * قلبى ولا يوم غبت عن بصرى
وانظر الى جسمك النحيل وما * قد حله واستدل بالاثر

وبعد فقد كتبت لك كتابا بغير بنان * ونطقت لك بغير لسان * وجملة شرح حالى أن لى عينا لا يفارقها السهر * وقلبا لا تبرح عنه الفكر * فكأننى قط ما عرفت صحة ولا فرحة ولا رأيت منظرا بهيا * ولا قطعت عيشا هنيا * وكأننى خلقت من الصبابة * ومن ألم الوجد والكآبة فعلى السقام مترادف * والغرام متضاعف * والشوق متكاثر * وصرت كما قال الشاعر

القلب منقبض والفكر منبسط * والعين ساهرة والجسم متعوب
والصبر منفصل والهجر متصل * والعقل مختبل والقلب مسلوب

واعلم أن الشكوى * لا تطفئ نار البلوى * لكنها تعلل من أعله الاشتياق * وأتلفه الفراق وانى أتسلى بذكر لفظ الوصال * وما أحسن قول من قال

اذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضا * فأين حلاوات الرسائل والكتب

قال أبو الحسن فلما قرأتها هيجت ألفاظها بلابلى * وأصابت معانيها مقاتلى * ثم دفعتها الى الجارية فلما أخذتها قال لها على بن بكار أبلغى سيدتك سلامى * وعرفيها ابو جدى وغرامى * وامتزاج المحبة بلحمى وعظامى * واخبريها أننى محتاج الى من ينقذنى من بحر الهلاك * وينجينى من هذا الارتباك * ثم بكى فبكت الجارية لبكائه وودعته وخرجت من عنده وخرج أبو الحسن معها ثم ودعها ومضى الى دكانه * وأدرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والخمسون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن أبا الحسن ودع الجارية ورجع الى دكانه فلما جلس فيه وجد قلبه انقبض وضاق صدره وتحير فى أمره ولم يزل فى فكر بقية يومه وليلته وفى اليوم الثانى ذهب الى على بن بكار وجلس عنده حتى ذهبت الناس وسأله عن حاله فأخذ فى شكوى الغرام * وما به من الوجد والهيام * وأنشد قول الشاعر

شكا ألم الغرام الناس قبلى * وروع بالنوى حتى وميت
وأما مثل ما ضمت ضلوعى * فانى لا سمعت ولا رأيت

وقول الشاعر

ولقيت من تحبيبك مالم يلقه * فى حب لبنى قيسها المجنون
لكننى لم أتبع وحش الفلا * كفعال قيس والجنون فنون

فقال له أبو الحسن أنا ما رأيت ولا سمعت بمثلك فى محبتك كيف يكون هذا الوحد وضعف الحركة وقد تعلقت بحبيب موافق فكيف اذا تعلقت بحبيب مخالف مخادع فكان أمرك ينكشف قال أبو الحسن فركن على بن بكار الى كلامى وشكرنى على ذلك وكان لى صاحب يطلع على أمرى وأمر على بن بكار ويعلم أننا متوافقان ولا يعلم أحد ما بيننا غيره وكان يأتينى فيسألنى عن حال على بن بكار وبعد قليل يسألنى عن الجارية فقلت له قد دعته اليها وكان بينه وبينها ما لا مزيد عليه وهذا آخر ما انتهى من أمرهما ولكنى دبرت لنفسى أمرا أريد عرضه عليك فقال له صاحبه ما هو قال أبو الحسن اعلم أنى رجل معروف بكثرة المعاملات بين الرجال والنساء وأخشى أن ينكشف أمرهما فيكون ذلك سببا لهلاكى وأخذ مالى وهتك عيالى وقد اقتضى رأيى أن أجمع مالى وأجهز حالى وأتوجه الى مدينة البصرة وأقيم بها حتى أنظر ما يكون من أحوالهما بحيث لا يشعر بى أحد فان المحبة قد تمكنت منهما ودارت المراسلة بينهما والحال ان الماشى بينهما جارية وهى كاتمة لاسرارهما وأخشى أن يغلب عليها الضجر فتبوح بسرهما لاحد فيشيع خبرهما ويؤدى ذلك الى هلاكى ويكون سببا لتلفى وليس لى عذر عند الناس فقال له صاحبه قد أخبرتنى بخبر خطير * يخاف من مثله العاقل الخبير * كفاك الله شر ما تخافه وتخشاه * ونجاك مما تخاف عقباه * وهذا الرأى هو الصواب فانصرف أبو الحسن الى منزله وصار يقضى مصالحه ويتجهز للسفر الى مدينة البصرة فلما مضى ثلاثة أيام حتى قضى مصالحه وسافر الى البصرة فجاء صاحبه بعد ثلاثة أيام ليزوره فلم يجده فسأل عنه جيرانه فقالوا له انه توجه من مدة ثلاثة أيام الى البصرة لان له معاملة عند تجارها فذهب ليطالب أرباب الديون وعن قريب يأتى فاحتار الرجل فى أمره وصار لا يدرى أين يذهب وقال يا ليتنى لم أفارق أبا الحسن ثم دبر حيلة يتوصل بها الى على بن بكار فقصد داره وقال لبعض غلمانه استأذن لى سيدك لادخل أسلم عليه فدخل الغلام وأخبر سيده به ثم عاد اليه وأذن له فى الدخول فدخل عليه فوجده ملقى على الوسادة فسلم عليه فرد عليه السلام ورحب به ثم ان الرجل اعتذر اليه فى تخلفه عنه تلك المدة ثم قال له ياسيدى ان بينى وبين أبى الحسن صداقة وانى كنت أودعه أسرارى ولا أنقطع عنه ساعة فغبت فى بعض المصالح مع جماعة من أصحابى مدة ثلاثة أيام ثم جئت اليه فوجدت داره مقفلة فسألت عنه الجيران فقالوا انه توجه الى البصرة ولم أعلم له صديقا أوفى منك فبالله أن تخبرنى بخبره فلما سمع على بن بكار كلامه تغير لونه واضطرب وقال لم أسمع قبل هذا اليوم خبر سفره وان كان الامر كما ذكرت فقد حصل لى التعب ثم أفاض دمع العين * وأنشد هذين البيتين

قد كنت أبكى على ما فات من فرح * وأهل ودى جميعا غير أشتات
واليوم فرق ما بينى وبينهم * دهرى فأبكى على أهل المودات

ثم ان على بن بكار أطرق رأسه الى الارض يتفكر وبعد ساعة رفع رأسه الى خادم له وقال له امض الى دار أبى الحسن واسأل عنه هل هو مقيم أو مسافر فان قالوا مسافر فاسأل الى أى ناحية

توجه مضى الغلام وغاب ساعة ثم أقبل الى سيده وقال انى لما سألت عن أبى الحسن أخبرنى أتباعه أنه سافر الى البصرة ولكن وجدت جارية واقفة على الباب فلما رأتنى عرفتنى ولم أعرفها وقالت لى هل أنت غلام على بن بكار فقلت لها نعم فقالت ان معى رسالة اليه * من عند أعز الناس عليه * فجاءت معى وهى واقفة على الباب فقال على بن بكار أدخلها فطلع الغلام اليها وأدخلها فنظر الرجل الذى عند ابن بكار الى الجارية فوجدها ظريفة ثم ان الجارية تقدمت الى ابن بكار وسلمت عليه * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للستين بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية لما دخلت على على بن بكار تقدمت اليه * وسلمت عليه * وتحدثت معه سرا وصار يقسم فى أثناء الكلام ويحلف أنه لم يتكلم بذلك ثم ودعته وانصرفت وكان الرجل صاحب أبى الحسن جوهريا فلما انصرفت الجارية وجد الكلام محلا فقال لعلى بن بكار لا شك ولا ريب أن لك ازاء الخلافة عليك مطالبة أو بينك وبينها معاملة فقال ومن أعلمك بذلك فقال معرفتى بهذه الجارية لانها جارية شمس النهار وكانت جاءتنى من مدة برقعة مكتوب فيها أنها تشتهى عقد جوهر فأرسلت اليها عقدا ثمينا فلما سمع على بن بكار كلامه اضطرب حتى خشى عليه التلف ثم راجع نفسه وقال يا أخى سألتك بالله من أين تعرفها فقال له الجوهرى دع الالحاح فى السؤال فقال له على بن بكار لا أرجع عنك الا اذا أخبرتنى بالصحيح فقال له الجوهرى أنا أخبرك بحيث لا يدخلك منى وهم ولا يعتريك من كلامى انقباض ولا أخفى عنك سرا وأبين لك حقيقة الامر ولكن بشرط أن تخبرنى بحقيقة حالك وسبب مرضك فأخبره بخبره ثم قال والله يا أخى ما حملنى على كتمان أمرى عن غيرك الا مخافة أن الناس تكشف أستار بعضها فقال الجوهرى لعلى ابن بكار وأنا ما أردت اجتماعى بك الا لشدة محبتى لك وغيرتى عليك وشفقتى على قلبك من ألم الفراق عسى أكون لك مؤنسا نابة عن صديقى أبى الحسن مدة غيبته فطب نفسا وقر عينا فشكره على بن بكار على ذلك وأنشد هذين البيتين

ولو قلت انى صابر بعد بعده * لكذبنى دمعى وفرط نحيبى
وكيف أدارى مدمعا جريانه * على محسن خدى من فراق حبيبى

ثم ان على بن بكار سكت ساعة من الزمان وبعد ذلك قال للجوهرى أتدرى ما أسرتنى به الجارية فقال لا والله يا سيدى فقال انها زعمت أنى أشرت على أبى الحسن بالمسير الى مدينة البصرة وأننى دبرت بذلك حيلة لاجل عدم المراسلة والمواصلة فحلفت لها أن ذلك لم يكن فلم تصدقنى ومضت الى سيدتها وهى على ما هى عليه من سوء الظن لانها كانت تصغى الى أبى الحسن فقال الجوهرى يا أخى انى فهمت من حال هذه الجارية هذا الامر ولكن ان شاء الله تعالى أكون عونا لك على مرادك فقال له على بن بكار وكيف تعمل معها وهى تنفر كوحش الفلاة فقال له لا بد أن أبذل جهدى فى مساعدتك واحتيالى فى التوصل اليها من غير كشف ستر ولا مضرة ثم استأذن فى الانصراف فقال له على بن بكار يا أخى عليك بكتمان السر ثم نظر اليه وبكى فودعه وانصرف * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والستون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجوهرى

ودعه

ودّعه وانصرف وهو لا يدرى كيف يعمل فى اسعاف على بن بكار ومازال ماشيا وهو متفكر فى أمره اذ رأى ورقة مطروحة فى الطريق فأخذها ونظر عنوانها وقرأه فاذا هو من المحب الاصغر الى الحبيب الاكبر ففتح الورقة فرأى مكتوبا فيها هذان البيتان

جاء الرسول بوصل منك يطمعنى * وكان أكثر ظنى أنه وهما
فما فرحت ولكن زادنى حزنا * علمى بان رسولى لم يكن فهما

وبعد فاعلم ياسيدى أننى لم أدر ماسبب قطع المراسلة بينى و بينك فان يكن صدر منك الجفاء فأنا أقابله بالوفاء وان يكن ذهب منك الوداد * فأنا أحفظ الودّ على البعاد فأنا معك كما قال الشاعر

ته أحتمل واستطل أصبر وعزأهن * وول أقبل وقل أسمع ومر أطع

فلما قرأها اذا بالجارية أقبلت تتلفت يمينا وشمالا فرأت الورقة فى يده فقالت له ياسيدى ان هذه الورقة وقعت منى فلم يردّ عليها جوابا ومشى ومشت الجارية خلفه الى أن أقبل على داره ودخل والجارية تخلفه فقالت له ياسيدى ردّ لى هذه الورقة فانها سقطت منى فالتفت اليها وقال ياجارية لا تخافى ولا تحزنى ولكن أخبرينى بالخبر على وجه الصدق فانى كتوم للاسرار وأحلفك يمينا أنك لا تخفى عنى شيأ من أمر سيدتك فعسى الله أن يعيننى على قضاء أغراضها ويسهل الامور الصعاب على يدى فلما سمعت الجارية كلامه قالت ياسيدى ماضاع سر أنت حافظه ولا خاب أمر أنت تسعى فى قضائه اعلم أن قلبى مال اليك فأنا أخبرك بحقيقة الامر لتعطينى الورقة ثم أخبرته بالخبر كله وقالت الله على ما أقول شهيد فقال لها صدقت فان عندى علما بأصل الخبر ثم حدثها بحديث على بن بكار وكيف أخذ ضميره وأخبرها بالخبر من أوله الى آخره فلما سمعت ذلك فرحت واتفقا على أنها تأخذ الورقة وتعطيها لعلى بن بكار وجميع ما يحصل ترجع اليه وتخبره به فأعطاها الورقة فأخذتها وختمتها كما كانت وقالت ان سيدتى شمس النهار أعطتها الى مختومة فاذا قرأها وردّ لى جوابها آتيك به ثم ان الجارية ودّعته وتوجهت الى على بن بكار فوجدته فى الانتظار فأعطته الورقة وقرأها ثم كتب لها ورقة ردّ الجواب وأعطاها لها فأخذتها ورجعت بها الى الجوهرى حكم الاتفاق ففض ختمها وقرأها فرأى مكتوبا فيها

ان الرسول الذى كانت رسائلنا * مكتومة عنده ضاعت وقد غضبا
فاستخلصوا لى رسولا منكم ثقة * يستحسن الصدق لا يستحسن الكذبا

وبعد فانى لم يصدر منى جفاء * ولا تركت وفاء * ولا نقضت عهدا * ولا قطعت ودّا * ولا فارقت أسفا * ولا لقيت بعدا الفراق الا تلفا * ولا علمت أصلا بما ذكرتم ولا أحب غيرما أحببتم وحق عالم السر والنجوى * ماقصدى غير الاجتماع بمن أهوى * وشأنى كتمان الغرام * وان أمرضنى السقام * وهذا شرح حالى والسلام * فلما قرأ الجوهرى هذه الورقة وعرف مافيها بكى بكاء شديدا ثم ان الجارية قالت له لا تخرج من هذا المكان حتى أعود اليك لانه قد اتهمنى بامر من الامور * وهو معذور * وأنا أريد أن أجمع بينك وبين سيدتى شمس النهار بأى حيلة فانى تركتها مطروحة وهى تنتظر منى ردّ الجواب ثم ان الجارية مضت الى سيدتها وبات الجوهرى مشوش الخاطر فلما أصبح الصباح صلى الصبح وقعد ينتظر قدومها واذا بها أقبلت

وهى فرحانة الى أن دخلت عليه فقال لها ما الخبر يا جارية فقالت مضيت من عندك الى سيدتى ودفعت لها الورقة التى كتبها على بن بكار فلما قرأتها وفهمت معناها تحير فكرها فقلت لها ياسيدتى لا تخشى من فساد الامر بينكما بسبب غياب أبى الحسن فانى وجدت من يقوم مقامه وهو أحسن منه وأعلى مقدارا وأهلا لكتمان الاسرار وقد حدثتها بما بينك وبين أبى الحسن وكيف توصلت اليه والى على بن بكار وكيف سقطت تلك الرقعة منى ووقعت أنت عليها وأخبرتها بما استقر عليه الامر بينى وبينك فتعجب الجوهرى غاية العجب ثم قالت له انها تشتهى أن تسمع كلامك لاجل أن تؤكد عليه فيما بينك وبينه من العهود فاعزم فى هذا الوقت على المسير معى اليها فلما سمع الجوهرى كلام الجارية رأى أن الدخول عليها أمر عظيم وخطر جسيم * لا يمكن الدخول فيه ولا التهجم عليه فقال الجوهرى للجارية يا أختى انى من أولاد العوام ولم أكن كابى الحسن كان رفيع المقدار * معروفا بالاشتهار * متردداعلى دار الخلافة لاحتياجهم الى بضاعته وأما أنا فان أبا الحسن كان يحدثنى وأنا أرتعد بين يديه واذا كانت سيدتك رغبت فى حديثى لها فينبغى أن يكون ذلك فى غير دار الخلافة بعيدا عن محل أمير المؤمنين لان جنانى لا يطاوعنى على ما تقولين ثم انه امتنع من المسير معها وصارت تضمن له السلامة وتقول له لا تخش ولا تخف فبينما هما فى هذا الكلام اذ لعبت رجلاه وارتعشت يداه فقالت له الجارية ان كان يصعب عليك الرواح الى دار الخلافة ولا يمكنك المسير معى فأنا أجعلها تسير اليك فلا تبرح من مكانك حتى أرجع اليك بها ثم ان الجارية مضت ولم تغب الا قليلا وعادت الى الجوهرى وقالت له احذر أن يكون عندك جارية أو غلام فقال ما عندى غير جارية سوداء كبيرة السن تخدمنى فقامت الجارية وأغلقت الابواب بين جارية الجوهرى وبينه وصرفت غلمانه الى خارج الدار ثم خرجت الجارية وعادت ومعها جارية خلفها ودخلت دار الجوهرى فاعبقت الدار من الطيب فلما رآها الجوهرى نهض قائما ووضع لها مخدة وجلس بين يديها فمكثت ساعة لا تتكلم حتى استراحت ثم كشفت وجهها فخيل للجوهرى أن الشمس أشرقت فى منزله ثم قالت لجاريتها أهذا الرجل الذى قلت لى عليه فقالت الجارية نعم فالتفتت الى الجوهرى وقالت له كيف حالك قال بخير ودعا لها فقالت انك حملتنا المسير اليك وأن نطلعك على ما يكون من سرنا ثم سألته عن أهله وعياله فأخبرها بجميع أحواله وقال لها ان لى دارا غير هذه الدار جعلتها للاجتماع بالاصحاب والاخوان ليس لى فيها الا ما ذكرته لجاريتك ثم سألته عن كيفية اطلاعه على أصل القصة فأخبرها بما سألته عنه من أول الامر الى آخره فتأوهت على فراق أبى الحسن وقالت يا فلان اعلم أن أرواح الناس متلائمة فى الشهوات والناس بالناس * لا يتم عمل الا بقول * ولا يتم غرض الا بمعين ولا تحصل راحة الا بعد تعب * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والستون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن شمس النهار قالت للجوهرى لا تحصل راحة الا بعد تعب ولا يظهر نجاح الا من ذوى مروأة وقد أطلعتك الآن على أمرنا وصار سرك سرنا ولا زيادة لما أنت عليه من المروأة فأنت قد علمت أن جاريتى هذه كاتمة لسرى وبسبب ذلك لها رتبة عظيمة عندى وقد اختصصتها بمهمات أمورى

فلا

فلا يكن عندك أعز منها وأطلعها على أمرك وطب نفسا فأنت آمن مما تخافه من جهتنا وما يدعليك موضع الا وتفتحه لك وهى تأتيك من عندى باخبار على بن بكار وتكون أنت الواسطة فى التبليغ بينى وبينه ثم ان شمس النهار قامت وهى لا تستطيع القيام ومشت فتمشى بين يديها الجوهرى حتى وصلت الى باب الدار ثم رجع وقعد فى موضعه بعد أن نظر من حسنها ما بهر وسمع من كلامها ما حير عقله * وشاهد من ظرفها وأدبها ما أدهشه * ثم استمر يتفكر فى شمائلها * حتى سكنت نفسه وطلب الطعام فأكل ما يمسك رمقه ثم غير ثيابه وخرج من داره وتوجه الى على بن بكار فلاقاه غلمانه ومشوا بين يديه الى أن أوصلوه الى سيدهم فوجده ملقى على فراشه فلما رأى الجوهرى قال له أبطأت على فزدتنى هما على همى ثم صرف غلمانه وأمر بغلق أبوابه وقال له والله ما غمضت عينى من يوم فارقتنى فان الجارية جاءتنى بالامس ومعها رقعة مختومة من عند سيدتها شمس النهار وحكى له ابن بكار على جميع ما وقع له معها ثم قال لقد تحيرت فى أمرى وقل صبرى وكان لى أبو الحسن أنيسا لانه يعرف الجارية فلما سمع الجوهرى كلام ابن بكار ضحك فقال له ابن بكار كيف تضحك من كلامى وقد استبشرت بك واتخذتك عدة للنائبات ثم بكى وأنشد هذه الابيات

وضاحك من بكائى حين أبصرنى * لو كان قاسى الذى قاسيت أبكاه
لم يرث للمبتلى مما يكابده * الا شجو مثله قد طال بلواه
وجدى حنينى أنينى فكرتى ولهى * الى حبيب زوايا القلب مأواه
حل الفؤاد مقيما لا يفارقه * وقتا ولكنه قد عز لقياه
مالى سواه خليل أرتضى بدلا * وما اصطفيت حبيبا قط الا هو

فلما سمع الجوهرى منه هذا الكلام وفهم الشعر والنظام بكى لبكائه وأخبره بما جرى له مع الجارية من حين فارقه فصار ابن بكار يصغى الى كلامه وكلما سمع منه كلمة يتغير لون وجهه من صفرة الى احمرار ويقوى جسمه مرة ويضعف أخرى فلما انتهى الى آخر الكلام بكى ابن بكار وقال له يا أخى أنا على كل حال هالك فليت أجلى قريب وأسألك من فضلك أن تكون ملاطفى فى جميع أمورى الى أن يقضى الله ما يريد وأنا لا أخالف لك قولا فقال الجوهرى لا يطفئ عنك هذه النار الا الاجتماع بمن شغفت بها ولكن فى غير هذا المكان الخطير وانما يكون ذلك عندى فى بيت جنب بيتى جاءتنى فيه الجارية هى وسيدتها وهو الموضع الذى اختارته لنفسها والمقصود اجتماعكما بعضكما وفيه تشكوان لبعضكما ما قاسيتما فقال على بن بكار افعل ما تريد والذى تراه هو الصواب قال الجوهرى فأقمت عنده تلك الليلة أسامره الى أن أصبح الصباح * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والستون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجوهرى قال فأقمت تلك الليلة عند على بن بكار أسامره الى أن أصبح الصباح ثم صليت الصبح وخرجت من عنده وذهبت الى منزلى فما استقريت الا قليلا حتى جاءت الجارية وسلمت على فرددت عليها السلام وحدثتها بما كان بينى وبين على بن بكار فقالت الجارية اعلم أن الخليفة توجه من عندنا وأن مجلسنا لا أحد فيه وهو أستر لنا وأحسن فقلت لها كلامك صحيح ولكنه ليس كمنزلى

هذا فانه أستر لنا وأليق بنا فقالت الجارية ان الرأى ماتراه أنت وأنا ذاهبة الى سيدتى لأخبرها بماذكرت وأعرض عليها ماقلت ثم ان الجارية توجهت الى سيدتها وعرضت عليها الكلام وعادت الى منزلى وقالت لى ان سيدتى رضيت بما قلته ثم ان الجارية أخرجت من جيبها كيسا فيه دنانير وقالت لى ان سيدتى تسلم عليك وتقول لك خذ هذا واقض لنا به ماتحتاج اليه فأعظمت أنى لا أصرف شيأ منه فأخذته الجارية وعادت الى سيدتها وقالت لها انه ماقبل الدراهم بل دفعها الى وبعد رواح الجارية ذهبت الى دارى الثانية وحولت اليها من الآلات والفرش مايحتاج اليه الحال ونقلت اليها أوانى الفضة والصينى وهيأت جميع مانحتاج اليه من المأكل والمشرب فلما حضرت الجارية ونظرت مافعلته أعجبها وأمرتنى باحضار على بن بكار فقلت مايحضر به الا أنت فذهبت اليه وأحضرته على أتم حال وقد راقت محاسنه فلما جاء قابلته ورحبت به ثم أجلسته على مرتبة تصلح له ووضعت بين يديه شيأ من المشموم فى بعض الأوانى الصينى والبلور وصرت أتحدث معه نحو ساعة من الزمان ثم ان الجارية مضت وغابت الى بعد صلاة المغرب ثم عادت ومعها شمس النهار ووصيفتان لا غير فلما رأت على بن بكار ورآها سقطا على الارض مغشيا عليهما واستمرا ساعة زمانية ولما أفاقا أقبلا على بعضهما ثم جلسا يتحدثان بكلام رقيق وبعد ذلك استعملا شيأ من الطيب ثم انهما صارا يشكران صنعى معهما فقلت لهما هل لكما فى شئ من الطعام فقالا نعم فأحضرت شيأ من الطعام فأكلا حتى اكتفيا ثم غسلا أيديهما ثم نقلتهما الى مجلس آخر وأحضرت لهما الشراب فشربا وسكرا وأمالا على بعضهما ثم ان شمس النهار قالت لى ياسيدى كمل جميلك وأحضر لنا عودا أو شيأ من آلات الملاهى حتى أننا نكمل حظنا فى هذه الساعة فقلت على رأسى وعينى ثم انى قمت وأحضرت عودا فأخذته وأصلحته ثم انها وضعته فى حجرها وضربت عليه ضربا بليغا ثم أنشدت هذين البيتين

أرقت حتى كأنى أعشق الارقا * وذبت حتى تراءى السقم لى خلقا
وفاض دمعى على خدى فأحرقه * ياليت شعرى هل بعد الفراق لقا

ثم انها أخذت فى غناء الاشعار * حتى حيرت الافكار * بأصوات مختلفات * واشارات رائقات * وكاد المجلس أن يطير من شدة الطرب * لما أتت فيه من مغانيها بالعجب * ثم قال الجوهرى ولما استقر بنا الجلوس * ودارت بيننا الكؤس * أطربت الجارية بالنغمات * وأنشدت هذه الابيات

وعد الحبيب بوصله ووفى لى * فى ليلة سأعدها بليال
ياليلة سمح الزمان لنا بها * فى غفلة الواشين والعذال
بات الحبيب يضمنى بيمينه * من فرحتى فضممته بشمالى
عانقته ورشفت خمرة ريقه * وحظيت بالمعسول والعسال

ثم ان الجوهرى تركهما فى تلك الدار وانصرف الى دار سكناه وبات فيها الى الصباح ولما أصبح الصبح صلى فرضه وشرب القهوة وجلس يفكر فى المسير اليهما فى داره الثانية فبينما هو جالس اذ دخل عليه جاره وهو مرعوب وقال ياأخى ماهان على الذى جرى لك الليلة فى دارك الثانية فقلت له ياأخى وأى شئ جرى فأخبرنى بما حصل فى دارى فقال له ان اللصوص الذين

جاؤا

جاؤا الى جيراننا بالامس وقتلوا فلانا وأخذوا ماله قد رأوك بالامس وأنت تنقل جوايجك الى دارك الثانية فجاؤا اليها ليلا وأخذوا ما عندك وقتلوا ضيوفك قال الجوهرى فقمت أنا وجارى وتوجهنا الى تلك الدار فوجدناها خالية ولم يبق فيها شئ فتحيرت فى أمرى وقلت أما الامتعة فلا أبالى بضياعها وان كنت استعرت بعض أمتعة من أصحابى وضاعت فلا بأس بذلك لانهم عرفوا عذرى بذهاب مالى ونهب دارى وأما على بن بكار وحظية أمير المؤمنين فأخشى أن يشتهر الامر بينهما فيكون ذلك سبب رواح روحى ثم ان الجوهرى التفت الى جاره وقال له أنت أخى وجارى وتستر عورتى فما الذى تشير به على من الامور فقال الرجل للجوهرى الذى أشير به عليك أن تتربص فان الذين دخلوا دارك وأخذوا امتاعك قد قتلوا أحسن جماعة من دار الخليفة وقتلوا جماعة من دار صاحب الشرطة وأعوان الدولة يدورون عليهم فى جميع الطرق فلعلهم يجدونهم فيحصل مرادك بغير سعى منك فلما سمع الجوهرى هذا الكلام رجع الى داره التى هو ساكن بها * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والستون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجوهرى لما سمع هذا الكلام رجع الى داره التى هو ساكن بها وقال فى نفسه ان الذى حصل لى هو الذى خاف منه أبو الحسن وذهب الى البصرة وقد وقعت فيه ثم ان نهب داره اشتهر عند الناس فأقبلوا اليه من كل جانب ومكان فمنهم من هو شامت ومنهم من هو حامل همه فصار يشكو لهم ولم يأكل طعاما ولم يشرب شرابا فبينما هو جالس متندم واذا بغلام من غلمانه دخل عليه وقال له ان شخصا بالباب يدعوك لم أعرفه فخرج اليه الجوهرى وسلم عليه ووجده انسانا لم يعرفه فقال له الرجل ان لى حديثا بينى وبينك فأدخله الدار وقال له ما عندك من الحديث فقال الرجل امض معى الى دارك الثانية فقال الجوهرى وهل تعرف دارى الثانية فقال ان جميع خبرك عندى وعندى أيضا ما يفرج الله به همك فقلت فى نفسى أنا أمضى معه حيث أراد ثم توجهت الى أن أتينا الدار فلما رأى الرجل الدار قال انها بغير بواب ولا يمكن العقود فيها فامض معى الى غيرها فلم يزل الرجل يدور بى من مكان الى مكان وأنا معه حتى دخل علينا الليل ولم أسأله عن أمر من الامور ثم انه لم يزل يمشى وأنا أمشى معه حتى خرجنا الى الفضاء وهو يقول اتبعنى وصار يهرول فى مشيه وأنا أهرول وراءه حتى وصلنا الى البحر فطلع بنا فى زورق وقذف بنا الملاح حتى عدانا الى البر الثانى فنزل من ذلك الزورق ونزلت خلفه ثم انه أخذنى بيدى ونزل بى فى درب لم أدخله طول عمرى ولم أعلم هو فى أى ناحية ثم ان الرجل وقف على باب دار وفتحها ودخل وأدخلنى معه وأغلق بابها بقفل من حديد ثم مشى بى فى دهليزها حتى دخلنا على عشرة رجال كأنهم رجل واحد وهم اخوة فلما دخلنا عليهم سلم عليهم ذلك الرجل فردوا عليه السلام ثم أمرونى بالجلوس فجلست وكنت ضعفت من شدة التعب فجاؤنى بماء وردوشوه على وجهى وسقونى شرابا وقدموا الى طعاما فقلت لو كان فى الطعام شئ مضر ما أكلوا معى فلما غسلنا أيدينا عاد كل منا الى مكانه وقالوا هل تعرفنا فقلت لا ولا عمرى عرفت موضعكم بل ولا أعرف من جاء بى اليكم فقالوا أطلعنا على خبرك ولا تكذب فى شئ فقلت لهم اعلموا أن حالى عجيب * وأمرى غريب * فهل عندكم شئ من خبرى قالوا نعم نحن الذين أخذنا أمتعتك فى الليلة

الماضية وأخذنا صديقك والتى كانت تغنى فقلت لهم أسبل الله عليكم ستره أين صديقى هو والتى كانت تغنى فأشاروا الى بأيديهم الى ناحية وقالوا هيهنا ولكن والله يا أخى ما ظهر على سرهما أحد منا ومن حين أتينا بهما لم نجتمع بهما ولم نسألهما عن حالهما لما رأينا عليهما من الهيبة والوقار وهذا هو الذى منعنا عن قتلهما فأخبرنا عن حقيقة أمرهما وأنت فى أمان على نفسك وعليهما قال الجوهرى فلما سمعت هذا الكلام كدت أن أهلك من الخوف والفزع وقلت لهم اعلموا أن المروأة اذا ضاعت لم توجد الا عندكم واذا كان عندى سر أخاف افشاءه فلا يخفيه الا صدوركم وصرت أبالغ فى هذا المعنى ثم انى وجدت المبادرة لهم بالحديث أنفع من كتمانه فحدثتهم بجميع ما وقع لى حتى انتهيت الى آخر الحديث فلما سمعوا حكايتى قالوا وهل هذا الفتى على بن بكار وهذه شمس النهار واعتذروا لهما ثم قالوا لى ان الذى أخذناه من دارك ذهب بعضه وهذا ما بقى منه ثم ردوا الى أكثر الامتعة والتزموا أنهم يعيدونها الى محلها فى دارى ويردون لى الباقى ولكنهم انقسموا نصفين فصار قسم منهم معى وقسم منهم على ثم خرجنا من تلك الدار هذا ما كان من أمرى وأما ما كان من أمر على بن بكار وشمس النهار فانهما قد أشرفا على الهلاك من الخوف ثم تقدمت الى على بن بكار وشمس النهار وسلمت عليهما وقلت لهما يا ترى ما جرى للجارية والوصيفتين وأين ذهبن فقالا لا علم لنا بهن ولم نزل سائرين الى أن انتهينا الى المكان الذى فيه الزورق فاطلعونا فيه واذا هو الزورق الذى عدينا فيه بالامس فقذف بنا الملاح حتى أوصلنا الى البر الثانى فأنزلونا فلما استقر بنا الجلوس على جانب البر حتى جاءت خيالة وأحاطوا بنا من كل جانب فوثب الذين معنا عاجلا كالعقاب فرجع لهم الزورق فنزلوا فيه وساروا بهم فى البحر وبقيت أنا وعلى بن بكار وشمس النهار على شاطئ البحر لا نستطيع حركة ولا سكونا فقال لنا الخيالة من أين أنتم فتحيرنا فى الجواب قال الجوهرى فقلت لهم ان الذين رأيتموهم معنا لا نعرفهم وانما رأيناهم هنا وأما نحن فمغنون فأرادوا أخذنا لنغنى لهم فما تخلصنا منهم الا بالحيلة ولين الكلام فافرجوا عنا فى هذه الساعة وقد كان منهم ما رأيتم من أمرهم فنظر الخيالة الى شمس النهار والى على بن بكار ثم قالوا لى لست صادقا فى كلامك فان كنت صادقا فاخبرنا من أنتم ومن أين أنتم وما موضعكم وفى أى الحارات أنتم ساكنون قال الجوهرى فلم أدر ما أقول فوثبت شمس النهار وتقدمت الى مقدم الخيالة وتحدثت معه سرا فنزل من فوق جواده وأركبها عليه وأخذ بزمامها وصار يقودها وكذلك فعل بعلى بن بكار وفعل بى أيضا ثم ان مقدم الخيالة لم يزل سائرا بنا الى موضع على جانب البحر وصاح بالرطانة فأقبل له جماعة من البرية فطلعنا المقدم فى زورق وطلع أصحابه فى زورق آخر وقذفوا بنا الى أن انتهينا الى دار الخلافة ونحن نكاد الموت من شدة الخوف ولم نزل سائرين الى أن انتهينا الى المحل الذى نتوصل منه الى موضعنا فنزلنا على البر ومشينا ومعنا جماعة من الخيالة يؤانسوننا الى أن دخلنا الدار وحين دخلناها ردعنا من كان معنا من الخيالة ومضوا الى حال سبيلهم وأما نحن فقد دخلنا مكاننا ونحن لا نقدر أن نتحرك من مكاننا ولا ندرى الصباح من المساء ولم نزل على هذه الحالة الى أن أصبح الصباح فلما جاء آخر النهار سقط على بن بكار مغشيا عليه وبكى عليه النساء والرجال وهو مطروح لم يتحرك فجاء فى بعض أهله وقالوا حدثنا بما جرى لولدنا وأخبرنا

بسببه

بسبب الحال الذى هو فيه فقلت لهم ياقوم اسمعوا كلامى * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والستون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجوهرى قال لهم ياقوم اسمعوا كلامى ولا تفعلوا بى مكروها واصبروا وهو يشفق ويخبركم بقصته بنفسه ثم شددت عليهم وخوفتهم من الفضيحة بينى وبينهم فبينما نحن كذلك واذا بعلى بن بكار تحرك فى فراشه ففرح أهله وانصرف الناس عنه ومنعنى أهله من الخروج من عنده ثم رشوا ماء الورد على وجهه فلما أفاق وشم الهواء صاروا يسألونه عن حاله فصار يخبرهم ولسانه لا يرد جوابا بسرعة ثم أشار اليهم أن يطلقونى لاذهب الى منزلى فاطلقونى فخرجت وأنا لا أصدق بالخلاص وأتيت الى دارى وأنا بين رجلين حتى وصلت الى أهلى فلما رأونى على تلك الحالة لطموا على وجوههم فأومأت اليهم بيدى أن اسكتوا فسكتوا وانصرف الرجلان الى حال سبيلهما وانقلبت على فراشى بقية ليلتى ولم أفق الى وقت الضحى فوجدت أهلى مجتمعين حولى يقولون ما الذى دهاك ويشيرون الى فقلت اسقونى بشئ من الشراب فجاؤا الى بشراب شربت منه حتى اكتفيت ثم قلت لهم قد كان ما كان فانصرفوا الى حال سبيلهم ثم اعتذرت الى أصحابى وسألتهم عن الذى ذهب من دارى هل عاد شئ منه فقالوا عاد البعض وسببه أنه جاء انسان ورماه فى باب الدار ولم ننظره فسليت نفسى وأقمت فى مكانى يومين وأنا لا أقدر على القيام من محلى ثم قويت نفسى ومشيت حتى دخلت الحمام وأنا قلبى مشغول من جهة ابن بكار وشمس النهار ولم أسمع لهما خبرا فى تلك المدة ولم أستطع الوصول الى دار على بن بكار ولم يستقر لى قرار فى مكانى خوفا على نفسى ثم تبت الى الله تعالى عما صدر منى وحمدته على سلامتى وبعد مدة حدثتنى نفسى أن أقصد تلك الناحية وأرجع فى ساعة فلما أردت المسير رأيت امرأة واقفة فتأملتها واذا هى جارية شمس النهار فلما عرفتها سرت وهرولت فى سيرى فتبعتنى فداخلنى منها الفزع وصرت كلما أنظرها يأخذنى الرعب منها وهى تقول لى قف حتى أحدثك بشئ وأنا لم ألتفت اليها ولم أزل سائرا الى مسجد فى موضع خال من الناس فقالت لى ادخل هذا المسجد لاقول لك كلمة ولا تخف من شئ وحلفتنى فدخلت المسجد ودخلت خلفى فصليت ركعتين ثم تقدمت اليها وأنا أتأوه وقلت لها ما بالك فسألتنى عن حالى فحدثتها بما وقع لى وأخبرتها بما جرى لعلى بن بكار وقلت لها ما خبرك فقالت اعلم انى لما رأيت الرجال كسروا باب دارك ودخلوا خفت منهم وخشيت أن يكونوا من عند الخليفة فيأخذونى أنا وسيدتى فنهلك من وقتنا فهربت من السطوح أنا والوصيفتان ورمينا أنفسنا من مكان عال ودخلنا على قوم فهربنا عندهم حتى وصلنا الى قصر الخلافة ونحن على أقبح صفة ثم أخفينا أمرنا وصرنا نتقلب على الحمر الى أن جن الليل ففتحت باب البحر واستدعيت بالملاح الذى أخرجنا تلك الليلة وقلت له ان سيدتى لم نعلم لها خبرا فاحملنى فى الزورق حتى أفتش عليها فى البحر لعلى أقع على خبرها فحملنى فى الزورق وسار بى ولم أزل سائرة فى البحر حتى انتصف الليل فرأيت زورقا أقبل الى جهة الباب وفيه رجل يقذف ومعه رجل آخر وامرأة مطروحة بينهما ولا زال يقذف حتى وصل الى البر فلما نزلت المرأة تأملتها فاذا هى شمس النهار فنزلت اليها وقد

اندهشت من الفرحة لما رأيتها بعد ما قطعت الرجاء منها * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والستون بعد المائة قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية قالت للجوهري فتزات اليها وقد اندهشت من الفرح بعد أن قطعت الرجاء منها فلما تقدمت بين يديها أمرتني أن أدفع الى الرجل الذي جاء بها ألف دينار ثم حملتها أنا والوصيفتان الى أن ألقيناها على فراشها فأقامت تلك الليلة على حالة مكدرة فلما أصبح الصباح منعت الجواري والخدم من الدخول عليها والوصول اليها ذلك اليوم وفي ثاني يوم أفاقت مما كان بها فوجدتها كأنها قد خرجت من مقبرة فرششت على وجهها ماء الورد وغيرت ثيابها وغسلت يديها ورجليها ولم أزل ألاطفها حتى أطعمتها شيأ من الطعام وأسقيتها شيأ من الاشربة وهي ليس لها قابلية في شئ من ذلك فلما شمت الهواء وتوجهت اليها العافية قلت لها ياسيدتي ارفقي بنفسك فقد حصل لك من المشقة ما فيه الكفاية فانك قد أشرفت على الهلاك فقالت والله ياجارية الحيران الموت عندي أهون مما جرى لي فاني كنت مقتولة لا محالة لان اللصوص لما خرجوا بنا من دار الجوهري سألوني وقالوا من أنت وما شأنك فقلت أنا جارية من المغنيات فصدقوني ثم سألوا علي بن بكار عن نفسه وقالوا له من أنت وما شأنك فقال أنا من عوام الناس فاخذونا وسرنا معهم الى أن انتهوا بنا الى موضعهم ونحن نسرع في السير معهم من شدة الخوف فلما استقر وابنا في أماكنهم تأملوني ونظروا ما علي من الملبوس والعقود والجواهر فانكروا أمري وقالوا ان هذه العقود لم تكن لواحدة من المغنيات ثم قالوا اصدقينا وقولي لنا الحق ما قضيتك فلم أرد عليهم جوابا بشئ وقلت في نفسي الآن يقتلونني لاجل ما علي من الحلي والحلل فلم أنطق بكلمة ثم التفتوا الى علي بن بكار وقالوا له من أين أنت فان رؤيتك غير رؤية العوام فسكت وصرنا نكتم أمرنا ونبكي فحزن الله علينا قلوب اللصوص فقالوا لنا من صاحب الدار التي كنتما فيها فقلنا لهم صاحبها فلان الجوهري فقال واحد منهم أنا أعرفه حق المعرفة وأعرف أنه ساكن في داره الثانية وعلي أن آتيكم به في هذه الساعة واتفقوا على أن يجعلوني في موضع وحدي وعلي بن بكار في موضع وحده وقالوا لنا استريحا ولا تخافا أن ينكشف خبركما وأنتما في أمان منا ثم ان صاحبهم مضى الى الجوهري وأتى به وكشف أمرنا لهم واجتمعنا عليه ثم ان رجلا منهم أحضر لنا زورقا وأطلعونا فيه وعدوا بنا الى الجانب الثاني ورمونا الى البر وذهبوا فاتت خيالة من أصحاب العسس وقالوا من تكونون فتكلمت مع مقدم العسس وقلت له أنا شمس النهار محظية الخليفة وقد سكرت وخرجت لبعض معارفي من نساء الوزراء فجاءني اللصوص فاخذوني وأوصلوني الى هذا المكان فلما رأوكم فروا هاربين وأنا قادرة على مكافأتك فلما سمع كلامي مقدم الخيالة عرفني ونزل عن مركوبه وأركبني وفعل كذلك مع علي بن بكار والجوهري وفي كبدي الآن من أجلهما لهيب النار لا سيما الجوهري رفيق بن بكار فامضى اليه وسلمي عليه واستخبريه عن علي بن بكار فلما علي ما وقع منها وحذرتها وقلت لها ياسيدتي خافي على نفسك فصاحت علي وغضبت من كلامي ثم قمت من عندها وجئت فلم أجدك وخشيت من الرواح الى ابن بكار فصبرت واقفة أرتقبك حتى أسألك عنه وأعلم ما هو فيه فاسألك

من

من فضلك أن تأخذ منى شيأ من المال فانك ربما استعرت أمتعة من أصحابك وضاعت عليك فتحتاج أن تعوض على الناس ماذهب لهم من الامتعة عندك قال الجوهرى فقلت سمعا وطاعة ثم مشيت معها الى أن أتينا الى قرب محلى فقالت لى قف هنا حتى أعود اليك * وأدرك شهرزاد الصباح * فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والستون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية قالت للجوهرى قف هنا حتى أعود اليك ومضت ثم عادت وهى حاملة المال فأعطته للجوهرى وقالت له ياسيدى نجتمع بك فى أى محل قال الجوهرى فقلت لها أتوجه الى دارى فى هذه الساعة وأتحمل الصعوبة لاجل خاطرك وأتدبر فيما يوصلك اليه فانه يتعذر الوصول اليه فى هذا الوقت ثم ودعتنى ومضت فحملت المال وأتيت به الى منزلى وعددت المال فوجدته خمسة آلاف دينار فأعطيت أهلى منه شيأ ومن كان له عندى شئ أعطيته عوضا عنه ثم انى أخذت غلمانى وذهبت الى الدار التى ضاعت منها الامتعة وجئت بالنجارين والبنايين فأعادوها الى ما كانت عليه وجعلت جاريتى فيها ونسيت ماجرى لى ثم تمشيت وأتيت الى دار على بن بكار فلما وصلت اليها أقبل غلمانه على وقال لى واحد منهم ان غلمان سيدى فى طلبك ليلا ونهارا وقد وعدهم أن كل من أتاه بك يعتقه فهم يفتشون عليك ولم يعرفوا لك موضعا وقد رجعت الى سيدى عافيته وهو تارة يفيق وتارة يستغرق فلما يفيق يذكرك ويقول لابد أن تحضروه لى لحظة ويعود الى حال سبيله قال الجوهرى فمضيت مع الغلام الى سيده فوجدته لا يستطيع الكلام فلما رأيته جلست عند رأسه ففتح عينيه فلما رآنى بكى وقال لى أهلا ومرحبا ثم أسندته وأجلسته وضممته الى صدرى فقال لى اعلم ياأخى أنى من حين رقدت ماجلست الا فى هذه الساعة فالحمد لله على مشاهدتك قال الجوهرى فلم أزل أسنده حتى أوقفته على رجليه وأمشيته خطوات وغيرت أثوابه وشرب شرابا فلما رأيت عليه علامة العافية حدثته عما كان من الجارية ولم يسمعنى أحد ثم قلت له شد حيلك فأنا أعرف مابك فتبسم فقلت له انك لا تجد الا مايسرك ويداويك ثم ان على بن بكار أمر باحضار الطعام فأحضروه وأشار الى غلمانه فتفرقوا ثم قال لى ياأخى هل رأيت ماأصابنا واعتذر لى وسألنى عن حالى فى هذه المدة فأخبرته بجميع ماجرى لى من الاول الى الآخر فتعجب ثم قال للخدم اتونى بكذا وكذا فاتوه بفرش نفيس وغير ذلك من تعاليق الذهب والفضة أكثر من الذى ضاع لى وأعطانى جميع ذلك فأرسلته الى منزلى وأقمت عنده ليلتى فلما أسفر الصبح قال لى اعلم أن لكل شئ نهاية ونهاية الهوى الموت أو الوصال وأنا الى الموت أقرب فيا ليتنى مت قبل الذى جرى ولولا أن الله لطف بنا الافتضحنا ولا أدرى ما الذى يوصلنى الى الخلاص مما أنا فيه ولولا خوفى من الله لعجلت على نفسى بالهلاك واعلم ياأخى أننى كالطير فى القفص وان نفسى هالكة من الغصص ولكن لها وقت معلوم وأجل محتوم ثم أفاض دمع العين وأنشدت هذين البيتين

شكا ألم الفراق الناس قبلى * وروع بالنوى حتى وميت

وأنا مثل ماضمت ضلوعى * فانى ماسمعت ولا رأيت

فلما فرغ من شعره قال له الجوهرى ياسيدى اعلم أنى عزمت على الذهاب الى دارى فلعل

الجارية ترجع الى بخبر فقال على بن بكار لا بأس بذلك ولكن أسرع بالعود عندنا لاجل أن
تخبرنى قال الجوهرى فودعته وانصرفت الى دارى فلم يستقر بى الجلوس حتى رأيت الجارية
أقبلت وهى فى بكاء ونحيب فقلت لها ما سبب ذلك فقالت ياسيدى اعلم أنه حل بنا ما حل من
أمر نخافه فانى لما مضيت من عندك بالامس وجدت سيدتى مغتاظة على وصيفة من الوصيفتين
اللتين كانتا معنا تلك الليلة وأمرت بضربها فخافت من سيدتها وهربت فلاقاها بعض الموكلين
بالباب وأرادردها الى سيدتها فلوحت له بالكلام فلاطفها واستنطقها عن حالها فأخبرته
بما كانا فيه فبلغ الخبر الى الخليفة فأمر بنقل سيدتى شمس النهار وجميع مالها الى دار الخلافة
ووكل بها عشرين خادما ولم أجتمع بها الى الآن ولم أعلمها بالسبب وتوهمت أنه بسبب ذلك فخشيت
على نفسى واحترت ياسيدى ولم أدر كيف أحتال فى أمرى وأمرها ولم يكن عندها أحفظ
لكتمان السر منى * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والستون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية
قالت للجوهرى ان سيدتى لم يكن عندها أحفظ لكتمان السر منى فتوجه ياسيدى الى على بن
بكار سريعا وأخبره بذلك لاجل أن يكون على أهبة فاذا انكشف الامر تدبر فى شئ نفعله
لنجاة أنفسنا قال الجوهرى فأخذنى من ذلك هم عظيم وصار الكون فى وجهى ظلاما من
كلام الجارية وهممت الجارية بالانصراف فقلت لها وما الرأى فقالت لى الرأى أن تبادر الى
على بن بكار ان كان صديقك وتريد له النجاة وأنت عليك تبليغ هذا الخبر له بسرعة وأنا على
أن أتقيد باستنشاق الاخبار ثم ودعتنى وخرجت فلما خرجت الجارية قمت وخرجت فى أثرها
وتوجهت الى على بن بكار فوجدته يحدث نفسه بالوصال ويعللها بالمحال فلما رآنى رجعت
اليه عاجلا قال لى انى أراك رجعت الى فى الحال فقلت له اقصر من التعلق البطال ودع
ما أنت فيه من الاشتغال فقد حدث حادث يفضى الى تلف نفسك ومالك فلما سمع هذا الكلام
تغير حاله وانزعج وقال للجوهرى يا أخى أخبرنى بما وقع فقال له الجوهرى ياسيدى اعلم أنه قد
جرى ما هو كذا وكذا وانك ان أقمت فى دارك هذه الى آخر النهار فأنت تالف ولا محالة فبهت
على بن بكار وكادت روحه أن تفارق جسده ثم استرجع بعد ذلك وقال له ماذا أفعل يا أخى وما
عندك من الرأى قال الجوهرى فقلت له الرأى أن تأخذ معك من مالك ما تقدر عليه ومن
غلمانك ما تثق به وأن تمضى بنا الى دبار غير هذه قبل أن ينقضى هذا النهار فقال لى سمعا وطاعة
ثم وثب وهو متحير فى أمره فتارة يمشى وتارة يقع وأخذ ما قدر عليه واعتذر الى أهله وأوصاهم
بمقصوده وأخذ معه ثلاثة جمال محملة وركب دابة وقد فعلت أنا كما فعل ثم خرجنا خفية وسرنا
ولم نزل سائرين باقى يومنا وليلتنا فلما كان آخر الليل حططنا حمولنا وعقلنا جمالنا وتمنا نحن
علينا التعب وغفلنا عن أنفسنا واذا بالصوص أحاطوا بنا وأخذوا جميع ما كان معنا وقتلوا
الغلمان لما أرادوا أن يمنعوا عنا ثم تركونا مكاننا ونحن فى أقبح حال بعد أن أخذوا المال
وساروا فلما قمنا مشينا الى أن أصبح الصباح فوصلنا الى بلد فدخلناها وقصدنا مسجدها
ونحن عرايا وجلسنا فى جنب المسجد باقى يومنا فلما جاء الليل بتنا فى المسجد تلك الليلة ونحن من
غير أكل ولا شرب فلما أصبح الصباح صلينا الصبح وجلسنا واذا برجل داخل فسلم علينا وصلى

ركعتين

ركعتين ثم التفت الينا وقال يا جماعة هل أنتم غرباء قلنا نعم وقطع اللصوص علينا الطريق وعرونا ودخلنا هذه البلدة ولم نعرف فيها أحدا نأوى عنده فقال لنا الرجل هل لكم أن تقوموا معي الى داري قال الجوهري فقلت لعلي بن بكار قم بنا معه فنحن وامرين الاول أننا نخشى أن يدخل علينا أحد يعرفنا في هذا المسجد فنفتضح والثاني أننا ناس غرباء وليس لنا مكان نأوي اليه فقال علي بن بكار افعل ما تريد ثم ان الرجل قال لنا ثاني مرة يا فقراء أطيعوني وسيروا معي الى مكاني قال الجوهري فقلت له سمعا وطاعة ثم ان الرجل خلع لنا شيأ من ثيابه وألبسنا وألطفنا فقمنا معه الى داره فطرق الباب فخرج الينا خادم صغير وفتح الباب فدخل الرجل صاحب المنزل ودخلنا خلفه ثم ان الرجل أمر باحضار بقجة فيها أثواب وشاشات فألبسنا حلتين وأعطانا شاشين فتعممنا وجلسنا واذا بجارية أقبلت الينا بمائدة ووضعتها بين أيدينا فاكلنا شيأ يسيرا ورفعت المائدة ثم أقمنا عنده الى أن دخل الليل فتأوه علي بن بكار وقال للجوهري يا أخي اعلم انني هالك لا محالة وأريد أن أوصيك وصية وهو أنك اذا رأيتني مت تذهب الى والدتي وتخبرها أن تأتي الى هذا المكان لاجل أن تأخذ عزائي وتحضر غسلي وأوصها أن تكون صابرة على فراقي ثم وقع مغشيا عليه فلما أفاق سمع جارية تغني من بعيد وتنشد الاشعار فصار يصغي اليها ويسمع صوتها وهو تارة يسكر وتارة يصحو وتارة يبكي شجنا وحزنا مما أصابه فسمع الجارية تطرب بالنغمات وتنشد هذه الابيات

يجعل البين بيننا بالفراق * بعد الف وجيرة واتفاق
فرقت بيننا صروف الليالي * ليت شعري متى يكون التلاقي
ما أمر الفراق بعد اجتماعي * ليته ما أضر بالعشاق
غصة الموت ساعة ثم تقضي * وفراق الحبيب في القلب باق
لو وجدنا الى الفراق سبيلا * لأذقنا الفراق طعم الفراق

فلما سمع ابن بكار انشاد الجارية شهق شهقة ففارقت روحه جسده قال الجوهري فلما رأيته مات أوصيت عليه صاحب الدار وقلت له اعلم أنني متوجه الى بغداد لاخبر والدته وأقاربه حتى يأتوا ليجهزوه ثم اني توجهت الى بغداد ودخلت داري وغيرت ثيابي وبعد ذلك ذهبت الى دار علي بن بكار فلما رآني في غلمانه أتوا الي وسألوني عنه وسألتهم أن يستأذنوا لي والدته في الدخول عليها فأذنت لي بالدخول فدخلت وسلمت عليها وقلت ان الله اذا قضى أمرا لا مفر من قضائه وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا فتوهمت أم علي بن بكار من هذا الكلام أن ابنها قد مات فبكت بكاء شديدا ثم قالت بالله عليك أن تخبرني هل توفي ولدي فلم أقدر أن أرد عليها جوابا من كثرة الجزع فلما رأتني على تلك الحالة انخنقت بالبكاء ثم وقعت على الارض مغشيا عليه فلما أفاقت من غشيتها قالت ما كان من أمر ولدي فقلت لها عظم الله أجرك فيه ثم اني حدثتها بما كان من أمره من المبتدا الى المنتهى قالت هل أوصاك بشيء فقلت لها نعم وأخبرتها بما أوصاني به وقلت لها أسرعي في تجهيزه فلما سمعت أم علي بن بكار كلامي سقطت مغشيا عليها فلما أفاقت عزمت على ما أوصيتها به ثم اني رجعت الى داري وصرت في الطريق أتفكر في حسن شبابه فبينما أنا كذلك واذا بامرأة قد قبضت على يدي * وأدرك شهرزاد

الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والستون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجوهرى قال واذا بامرأة قد قبضت على يدى فتأملتها فرأيتها الجارية التى كانت تأتى من عند شمس النهار وقد علاها الانكسار فلما تعارفنا بكينا جميعا حتى أتينا الى تلك الدار فقلت لها هل علمت بخبر على بن بكار فقالت لا والله فأخبرتها بخبره وما كان من أمره ثم انى قلت لها فكيف حال سيدتك فقالت لم يقبل فيها أمير المؤمنين قول أحد لشدة محبته لها وقد حمل جميع أمورها على المحامل الحسنة وقال لها ياشمس النهار أنت عندى عزيزة وأنا أتحملك على رغم أعدائك ثم أمر لها بفرش مقصورة مذهبة وحجرة مليحة وصارت عنده من ذلك فى قبول عظيم فاتفق أنه جلس يوما من الايام على جرى عادته للشراب وحضرت المحاظى بين يديه فأجلسهن فى مراتبهن وأجلسها بجانبه وقد عدمت صبرها وزاد أمرها فعند ذلك أمر جارية من الجوارى أن تغنى فأخذت العود وضربت به وجعلت تقول

وداع دعانى للهوى فأجبته * ودمعى يخط الوجد خطا على خدى
كأن دموع العين تخبر حالنا * فتبدى الذى أخفى وتخفى الذى أبدى
فكيف أروم السر أو أكتم الهوى * وفرط غرامى فيك يظهر ما عندى
وقد طاب موتى عند فقد أحبتى * فيا ليت شعرى ما يطيب لهم بعدى

فلما سمعت شمس النهار انشاد تلك الجارية لم تستطع الجلوس ثم سقطت مغشيا عليها فرمى الخليفة القدح وجذبها عنده وصاح وضجت الجوارى وقبلها أمير المؤمنين فوجدها ميتة فحزن أمير المؤمنين لموتها وأمر أن يكسر جميع ما كان فى الحضرة من الآلات والقوانين وحملها فى حجرة بعد موتها ومكث عندها باقى ليلته فلما طلع النهار جهزها وأمر بغسلها ودفنها وحزن عليها حزنا كثيرا ولم يسأل عن حالها ولا عن الامر الذى كانت فيه ثم قالت الجارية للجوهرى سألتك بالله أن تعلمنى بوقت خروج جنازة على بن بكار وأن تحضرنى دفنه فقال لها أما أنا فى أى محل شئت تجدينى وأما أنت فمن يستطيع الوصول اليك فى المحل الذى أنت فيه فقالت له ان أمير المؤمنين لما ماتت شمس النهار أعتق جواريها من يوم موتها وأنا من جملتهن ونحن مقيمات على تربتها فى المحل الفلانى فقمت معها وأتيت الى المقبرة وزرت شمس النهار ثم مضيت الى حالى ولم أزل أنتظر جنازة على بن بكار الى أن جاءت فخرجت له أهل بغداد وخرجت معهم فوجدت الجارية بين النساء وهى أشدهن حزنا ولم أر جنازة ببغداد أعظم من هذه الجنازة ومازلنا فى ازدحام عظيم الى أن انتهينا الى قبره ودفناه وصرت لا أنقطع عن زيارته ولا عن زيارة شمس النهار هذا ما كان من حديثهما وليس هذا بأعجب من حديث الملك شهرمان * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

﴿حكاية قمر الزمان ابن الملك شهرمان﴾

فلما كانت الليلة الوفية للسبعين بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أنه كان فى قديم الزمان ملك يسمى شهرمان صاحب عسكر وخدم وأعوان الا أنه كبر سنه ورق عظمه ولم يرزق بولد فتفكر فى نفسه وحزن وقلق وشكا ذلك لبعض وزرائه وقال انى أخاف اذا مت أن يضيع

الملك لانه ليس لى ولد يتولاه بعدى فقال له ذلك الوزير لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا فتوكل على
الله أيها الملك وتوضأ وصل ركعتين ثم جامع زوجتك لعلك تبلغ مطلوبك فجامع زوجته فحملت
فى تلك الساعة ولما كملت أشهرها وضعت ولدا ذكرا كانه البدر السافر فى الليل العاكر
فسماه قمر الزمان وفرح به غاية الفرح وزينوا المدينة سبعة أيام ودقت الطبول وأقبلت
البشائر وحملته المراضع والدايات وتربى فى العز والدلال حتى صار له من العمر خمس عشرة سنة
وكان فائقا فى الحسن والجمال * والقد والاعتدال * وكان أبوه يحبه ولا يقدر أن يفارقه ليلا
ولا نهارا فشكا الملك شهرمان لاحد وزرائه فرط محبته لولده وقال أيها الوزير انى خائف على ولدى
قمر الزمان من طوارق الدهر والحدثان وأريد أن أزوجه فى حياتى فقال له الوزير اعلم أيها الملك
ان الزواج من مكارم الاخلاق ولا بأس أن تزوج ولدك فى حياتك فعند ذلك قال الملك شهرمان
على بولدى قمر الزمان فخضر وأطرق رأسه الى الارض حياء من أبيه فقال له أبوه يا قمر الزمان
اعلم انى أريد أن أزوجك وافرح بك فى حياتى فقال له اعلم يا أبى أننى مالى فى الزواج أرب وليست
نفسى تميل الى النساء لانى وجدت فى مكرهن كتبا بالروايات * وبكيدهن وردت الآيات
وقال الشاعر

فان تسئلونى بالنساء فانني * خبير بأحوال النساء طبيب
الا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له من ودهن نصيب

وقول الآخر

اعص النساء فقلك الطاعة الحسنه * فلن يفوز فتى يعطى النسا رسنه
يعقنه عن كمال فى فضائله * ولو سعى طالبا للعلم ألف سنه

ولما فرغ من شعره قال يا أبى ان الزواج شئ لا أفعله أبدا * ولو سقيت كأس الردى * فلما سمع
السلطان شهرمان من ولده هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلاما واغتم غما شديدا على
عدم مطاوعة ولده قمر الزمان له * وأردك شهرزاد الصباح * فسكتت عن الكلام المباح
* فلما كانت الليلة الحادية والسبعون بعد المائة * قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك
شهرمان لما سمع من ولده هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلاما واغتم على عدم مطاوعة
ولده قمر الزمان له ومن محبته له لم يكدر عليه الكلام فى ذلك ولم يغضبه بل أقبل عليه وأكرمه
ولاطفه بكل ما يجلب المحبة الى القلب كل ذلك وقمر الزمان يزداد كل يوم حسنا وجمالا * وظرفا
ودلالا * فصبر الملك شهرمان على ولده سنة كاملة حتى صار كامل الفصاحة والملاحة وتهتك
فى حسنه الورى * ويروى لطفه كل نسيم سرى * وصار فتنة للعشاق * وروضة للمشتاق * عذب
الكلام * يخجل وجهه بدر التمام * صاحب قد واعتدال * وظرف ودلال * كانه غصن بان *
أو قضيب خيزران * ينوب خده عن شقائق النعمان * وقده عن غصن البان * ظريف
الشمائل * كما قال فيه القائل

بدا فقالوا تبارك الله * جل الذى صاغه وسواه
مليك كل الملاح قاطبة * فكلهم أصبحوا رعاياه
فى ريقه شهدة مذوبة * وانعقد الدر فى ثنايا ه

مكملا بالجمال منفردا * كل الورى فى جماله تاهوا
قد كتب الحسن فوق وجنته * أشهد أن لا مليح الا هو

فلما تكاملت سنة أخرى اقمر الزمان ابن الملك شهرمان دعاه والده اليه وقال له ياولدى أما تسمع منى فوقع قمر الزمان على الارض بين يدى أبيه هيبة واستحى منه وقال له ياأبى كيف لا أسمع منك وقد أمرنى الله بطاعتك وعدم مخالفتك فقال له الملك شهرمان اعلم ياولدى أنى أريد أن أزوجك وأفرح بك فى حياتى وأسلطنك فى مملكتى قبل مماتى فلما سمع قمر الزمان من أبيه هذا الكلام أطرق رأسه ساعة وبعد ذلك رفع رأسه وقال ياأبت هذا شئ لا أفعله أبدا ولو سقيت كاس الردى وأنا أعلم أن الله فرض على طاعتك فبحق الله عليك لا تكلفنى أمر الزواج ولا تظن أنى أتزوج طول عمرى لاننى قرأت فى كتب المتقدمين والمتأخرين وعرفت جميع ماجرى لهم من المصائب والآفات بسبب فتن النساء ومكرهن غير المتناهى وما يحدث عنهن من الدواهى وما أحسن قول الشاعر

من كاده العاهرات * فلا يرى من خلاص
ولو بنى ألف حصن * مشيدة بالرصاص
فليس يجدى بناها * ولا تفيد الصياصى
ان النسا خائنات * لكل دان وقاص
مخضبات بنان * مضفرات عقاص
مكحلات جفون * مجرعات غصاص

وما أحسن قول الآخر

ان النساء وان دعين لعفة * رمم تقلبها النسور الحوم
فى الليل عندك سرها وحديثها * وغد الغير لئاتها والمعصم
كالخان تسكنه وتصبح راحلا * فيحل بعدك فيه من لا تعلم

فلما سمع الملك شهرمان من ولده قمر الزمان هذا الكلام وفهم الشعر والنظام لم يرد عليه جوابا من فرط محبته له وزاده من انعامه واكرامه وانفض ذلك المجلس من تلك الساعة وبعد انفضاض ذلك المجلس طلب الملك شهرمان وزيره واختلى به وقال له أيها الوزير * وأدرك شهر زاد الصباح * فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والسبعون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان طلب وزيره واختلى به وقال له أيها الوزير قل لى ما الذى أفعله فى قضية ولدى قمر الزمان فانى استشرتك فى زواجه قبل أن أسلطنه فأشرت على بذلك وأشرت على أيضا أن أذكر له أمر الزواج فذكرته له فخالفنى فأشر على الآن بما تراه حسنا فقال له الوزير الذى أشير به عليك الآن أيها الملك أن تصبر عليه سنة أخرى فاذا أردت أن تكلمه بعدها فى أمر الزواج فلا تكلمه سرا ولكن حدثه فى يوم حكومة ويكون جميع الامراء والوزراء حاضرين وجميع العساكر واقفين فاذا اجتمع هؤلاء فارسل الى ولدك قمر الزمان فى تلك الساعة وأحضره فاذا حضر فخاطبه فى أمر الزواج بحضرة جميع الامراء والوزراء والحجاب والنواب وأرباب الدولة والعساكر وأصحاب

الصولة

الصولة فانه يستحى منهم وما يقدر أن يخالف لك بحضرتهم فلما سمع الملك شهرمان من وزيره هذا الكلام فرح فرحا شديدا واستصوب رأى الوزير فى ذلك وخلع عليه خلعة سنية وصبر الملك شهرمان على ولده قمر الزمان سنة وكلما مضى عليه يوم من الايام يزداد حسنا وجمالا وبهجة وكمالا حتى بلغ من العمر قريبا من عشرين عاما وألبسه الله حلل الجمال وتوجه بتاج الكمال وصار طرفه أسحر من هاروت وماروت * وغنج ألحاظه أضل من الطاغوت * وأشرقت خدوده بالاحمرار * وازدرت جفونه بالصارم البتار * وبياض غرته حكى القمر الزاهر * وسواد شعره كأنه الليل العاكر * وخصره أرق من خيط همميان * وردفه أثقل من الكثبان تهيج البلابل على أعطافه * ويشتكى خصره من ثقل أردافه * ومحاسنه حيرت الورى * كما قال فيه بعض الشعرا

قسما بوجنته وباسم ثغره * وبأسهم قد راشها من سحره
وبلين عطفيه ومرهف لحظه * وبياض غرته وأسود شعره
وبحاجب حجب الكرى عن صبه * وسطا عليه بنهيه وبأمره
وعقارب قد أرسلت من صدغه * وسعت لقتل العاشقين بمحره
وبورد خديه وآس عذاره * وعقيق مبسمه ولؤلؤ ثغره
وبطيب نكهته وسلسال جرى * فى فيه يزرى بالرحيق وعصره
وبردفه المرتج فى حركاته * وسكونه وبرقة فى خصره
وبجود راحته وصدق لسانه * وبطيب عنصره وعالى قدره
ما المسك الا من فضالة خاله * والطيب يروى ريحه عن نشره
وكذلك الشمس المنيرة دونه * وأرى الهلال قلامة من ظفره

ثم ان الملك شهرمان سمع كلام الوزير وصبر سنة أخرى حتى حصل يوم موسم * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والسبعون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان سمع كلام الوزير وصبر سنة أخرى حتى حصل يوم موسم تكامل فيه مجلس الملك بالامراء والوزراء والحجاب وأرباب الدولة والعساكر وأصحاب الصولة ثم ان الملك أرسل خلف ولده قمر الزمان فلما حضر قبل الارض بين يديه ثلاث مرات ووقف مكتفا يديه وراء ظهره قدام أبيه فقال له أبوه ياولدى انى ما أحضرتك هذه المرة قدام هذا المجلس وجميع العساكر حاضرون بين أيدينا الا لاجل أن آمرك بأمر فلا تخالفنى فيه وذلك أن تتزوج لانى أشتهى أن أرى ولدك بنت ملك من الملوك وأفرح بك قبل موتى فلما سمع قمر الزمان من أبيه هذا الكلام أطرق برأسه الى الارض ساعة ثم رفع رأسه الى أبيه ولطمه فى تلك الساعة جنون الصبا وجهل الشبيبة وقال له أما أنا فلا أتزوج أبدا ولو سقيت كؤس الردى وأما أنت فرجل كبير السن صغير العقل أليس أنك سألتنى قبل هذا اليوم مرتين غير هذه المرة فى شأن الزواج وأنا لا أجيبك الى ذلك ثم ان قمر الزمان فك كاف يديه وشمر عن ذراعيه قدام أبيه وهو فى غيظه فخجل أبوه واستحى حيث حصل ذلك قدام أرباب دولته والعساكر الحاضرين فى الموسم ثم ان الملك شهرمان لحقته شهامة الملك

فصرخ على ولده فأرعبه وصرخ على المماليك وأمرهم بامساكه فأمسكوه وأمرهم أن يكتفوه فكتفوه وقدموه بين يدى الملك وهو مطرق رأسه من الخوف والوجل وتكلل وجهه وجبينه بالعرق واشتد به الحياء والخجل فعند ذلك شتمه أبوه وسبه وقال له ويلك يا ولد الزنا وتربة الخنا كيف يكون هذا جوابك لى بين عساكرى وجيوشى ولكن أنت الى الآن ما أدبك أحد وأدرك شهرزاد الصباح * فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والسبعون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك شهرمان قال لولده قمر الزمان ولكن أنت الى الآن ما أدبك أحد أما تعلم أن هذا الامر الذى صدر منك لو صدر من عامى من العوام لكان ذلك قبيحا منه ثم ان الملك أمر المماليك أن يحلوا كتافه ويحبسوه فى برج من أبراج القلعة فعند ذلك دخل الفراشون القاعة التى فى البرج فكنسوها ومسحوا بلاطها ونصبوا فيها سرير القمر الزمان وفرشوا له على السرير طراحة ونطعا ووضعوا له مخدة ومنديلا كبيرا وشمعة لان ذلك المكان كان مظلما فى النهار ثم ان المماليك أدخلوا قمر الزمان فى تلك القاعة وجعلوا على باب القاعة خادما فعند ذلك طلع قمر الزمان فوق ذلك السرير وهو منكسر الخاطر حزين الفؤاد وقد عاتب نفسه وندم على ما جرى منه فى حق أبيه حيث لا ينفعه الندم وقال خيب الله الزواج والبنات والنساء الخائنات فيا ليتنى سمعت من والدى وتزوجت فلو فعلت ذلك كان أحسن لى من هذا السجن هذا ما كان من أمر قمر الزمان وأما ما كان من أمر أبيه فانه أقام على كرسى مملكته بقية اليوم الى وقت الغروب ثم خلا بالوزير وقال له اعلم أيها الوزير أنك كنت السبب فى هذا الذى جرى بينى وبين ولدى كله حيث أشرت على بما أشرت فما الذى تشير به على الآن فقال له الوزير أيها الملك دع ولدك فى السجن مدة خمسة عشر يوما ثم أحضره بين يديك وأمره بالزواج فانه لا يخالفك أبدا وأدرك شهرزاد الصباح * فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والسبعون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير قال للملك شهرمان دع ولدك فى السجن مدة خمسة عشر يوما ثم أحضره بين يديك وأمره بالزواج فانه لا يخالفك أبدا فقبل الملك رأى الوزير فى ذلك اليوم ونام تلك الليلة وهو مشتغل القلب على ولده لانه كان يحبه محبة عظيمة حيث لم يكن له ولد سواه وكان الملك شهرمان كل ليلة لم يجئه نوم حتى يجعل ذراعه تحت رقبة قمر الزمان وينام فبات الملك تلك الليلة وهو متشوش الخاطر من أجله وصار يتقلب من جنب الى جنب كأنه نائم على جمر الغضى ولحقه الوسواس ولم يأخذه نوم فى تلك الليلة بطولها وذرفت عيناه بالدموع وأنشد قول الشاعر

لقد طال ليلى والوشاة هجوع * وناهيك قلب بالفراق مروع
أقول وليلى زاد بالهم طوله * أما لك يا ضوء الصباح رجوع

وقول الآخر

لما رأيت النجم ساه طرفه * والقطب قد ألقى عليه سباتا
وبنات نعش فى الحداد سوافرا * أيقنت أن صباحهم قد ماتا

هذا ما كان من أمر الملك شهرمان وأما ما كان من أمر قمر الزمان فانه لما قدم عليه الليل قدم له

الخادم

الخادم الفانوس وأوقد له شمعة وجعلها فى شمعدان وقدم له شيأ من المأكل فأكل قليلا وصار يعاتب نفسه حيث أساء الادب فى حق أبيه الملك شهرمان وقال فى نفسه ألم تعلم أن ابن آدم رهين لسانه وأن لسان الآدمى هو الذى يوقعه فى المهالك ولم يزل يعاتب نفسه ويلومها حتى غلبت عليه الدموع واحترق قلبه المصدوع وندم على ما خرج من لسانه فى حق الملك غاية الندم وأنشد هذين البيتين

يموت الفتى من عثرة من لسانه * وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعثرته من فيه تقضى بحتفه * وعثرته بالرجل تبرا على مهل

ثم ان قمر الزمان لما فرغ من الاكل طلب أن يغسل يديه فغسل يديه من الطعام وتوضأ وصلى المغرب والعشاء وجلس * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والسبعون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن قمر الزمان ابن الملك شهرمان صلى المغرب والعشاء وجلس على السرير يقرأ القرآن فقرأ البقرة وآل عمران ويس والرحمن وتبارك الملك والمعوذتين وختم بالدعاء واستعاذ بالله ونام على السرير فوق طراحة من الاطلس المعدنى لها وجهان وهى محشوة بريش النعام وحين أراد النوم تجرد من ثيابه وخلع لباسه ونام فى قميص مشمع رفيع وكان على رأسه مقنع مروزى أزرق فصار قمر الزمان فى تلك الليلة كأنه البدر فى ليلة أربعة عشر ثم تغطى بملاءة من حرير ونام والفانوس موقد تحت رجليه والشمعة موقودة فوق رأسه ولم يزل نائما الى ثلث الليل الاول ولم يعلم ما خبئ له فى الغيب وما قدره عليه علام الغيوب واتفق أن القاعة والبرج كانا عتيقين مهجورين مدة سنين كثيرة وكان فى تلك القاعة بئر رومانى معمور بجنية ساكنة فيه وهى من ذرية ابليس اللعين واسم تلك الجنية ميمونة ابنة الدمرياط أحد ملوك الجان المشهورين * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السابعة والسبعون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن اسم تلك الجنية ميمونة ابنة الدمرياط أحد ملوك الجان المشهورين فلما استمر قمر الزمان نائما الى ثلث الليل الاول طلعت تلك العفريتة من البئر الرومانى وقصدت السماء لاستراق السمع فلما صارت فى أعلى البئر رأت نورا مضيأ فى البرج على خلاف العادة وكانت تلك العفريتة مقيمة فى ذلك المكان مدة مديدة من السنين فقالت فى نفسها أنا ما عهدت هنا شيأ من ذلك وتعجبت من هذا الامر غاية العجب وخطر ببالها أنه لا بد لذلك من سبب ثم قصدت ناحية ذلك النور فوجدته خارجا من القاعة فدخلتها ووجدت الخادم نائما على بابها ولما دخلت القاعة وجدت سريرا منصوبا وعليه هيئة انسان نائم وشمعة مضيئة عند رأسه وفانوس مضىء عند رجليه فتعجبت العفريتة ميمونة من ذلك النور وتقدمت اليه قليلا قليلا وأرخت أجنحتها ووقفت على السرير وكشفت الملاءة عن وجهه ونظرت اليه واستمرت باهتة فى حسنه وجماله ساعة زمانية وقد وجدت ضوء وجهه غالبا على نور الشمعة وصار وجهه يتلألأ نورا وقد غازلت عيناه واسودت مقلتاه واحمر خداه وفترجفناه وتقوس حاجباه وفاح مسكا لعاطر كما قال فيه الشاعر

قبلته فاسودت المقل التى * هى فتنتى واحمرت الوجنات

يا قلب ان زعم العواذل أنه * في الحسن يوجد مثله قل هاتوا

فلما رأته العفريتة ميمونة بنت الدمرياط سبحت الله وقالت تبارك الله أحسن الخالقين وكانت تلك العفريتة من الجن المؤمنين فاستمرت ساعة وهي تنظر الى وجه قمر الزمان وتوحد الله وتغبطه على حسنه وجماله وقالت في نفسها والله اني لا أضره ولا أترك أحدا يؤذيه ومن كل سوء أفديه فان هذا الوجه المليح لا يستحق الا النظر اليه والتسبيح ولكن كيف هان على أهله حتى نسوه في هذا المكان الخرب فلو طلع له أحد من مردتنا في هذه الساعة لأعطبه ثم ان تلك العفريتة مالت عليه وقبلته بين عينيه وبعد ذلك أرخت الملاءة على وجهه وغطته بها وفتحت أجنحتها وطارت ناحية السماء وطلعت من دور تلك القاعة وصعدت ولم تزل صاعدة في الجو الى أن قربت من سماء الدنيا واذا بها سمعت خفق أجنحة طائرة في الهواء فقصدت ناحية تلك الاجنحة فلما قربت من صاحبها وجدته عفريتا يقال له دهنش فانقضت عليه انقضاض الباشق فلما أحس بها دهنش وعرف أنها ميمونة بنت ملك الجن خاف منها وارتعدت فرائصه واستجار بها وقال لها أقسم عليك بالاسم الاعظم والطلسم الاكرم المنقوش على خاتم سليمان أن ترفقي بي ولا تؤذيني فلما سمعت ميمونة من دهنش هذا الكلام حن قلبها عليه وقالت له انك أقسمت علي بقسم عظيم ولكن لا أعتقك حتى تخبرني من أين مجيئك في هذه الساعة فقال لها أيها السيدة اعلمي أن مجيئي من آخر بلاد الصين ومن داخل الجزائر وأخبرك بأعجوبة رأيتها في هذه الليلة فان وجدت كلامي صحيحا فاتركيني أروح الى حال سبيلي واكتبي لي بخطك في هذه الساعة أني عتيقك حتى لا يعارضني أحد من أرهاط الجن الطيارة العلوية والسفلية والغواصة قالت له ميمونة لما الذي رأيته في هذه الليلة يا دهنش فاخبرني ولا تكذب علي وتريد بكذبك أن تفلت من يدي وأنا أقسم بحق النقش المكتوب على فص خاتم سلمان بن داود عليهما السلام ان لم يكن كلامك صحيحا تفت ريشك يدي ومزقت جلدك وكسرت عظمك فقال لها العفريت دهنش بن شمهورش الطيار ان لم يكن كلامي صحيحا فافعلي بي ما شئت يا سيدتي * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثامنة والسبعون بعد المائة قالت بلغني أيها الملك السعيد أن دهنش قال اني خرجت في هذه الليلة من الجزائر الداخلة في بلاد الصين وهي بلاد الملك الغيور صاحب الجزائر والبحور والسبعة قصور فرأيت لذلك الملك بنتا لم يخلق الله في زمانها أحسن منها ولا أعرف كيف أصفها لك ويعجز لساني عن وصفها كما ينبغي ولكن أذكر لك شيأ من صفاتها على سبيل التقريب أما شعرها فكليالي الهجر والانفصال وأما وجهها فكأيام الوصال وقد أحسن في وصفها من قال

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها * في ليلة فأرت ليالي أربعا

واستقبلت قمر السماء بوجهها * فأرتني القمرين في وقت معا

ولها أنف كحد السيف المصقول ولها وجنتان كرحيق الارجوان * ولها خد كشقائق النعمان * وشفتاها كالمرجان والعقيق * وريقها أشهى من الرحيق * يطفئ مذاقه عذاب الحريق * ولسانها يحرك عقل وافر * وجواب حاضر * ولها صدر فتنة لمن يراه * فسبحان

من

من خلقه وسواه * ومتصل بذلك الصدر عضدان مدملجان * كما قال فيهما الشاعر الولهان

وزندان لولا أنهما باسوران * لسالا من الاكمام سيل الجداول

ولها نهدان كأنهما من العاج حقان يستمد من اشراقهما القمران ولهن بطن باعكان مطوية كبطى القباطى المصرية وينتهى ذلك الى خصر مختصر من وهم الخيال فوق ردف كثيب من رمال يقعدها اذا قامت ويوقظها اذا نامت كما قال فيه بعض واصفيه

لها كفل تعلق فى ضعيف * وذاك الردف لى ولها ظلوم

فيوقفنى اذا فكرت فيه * ويقعدها اذا هممت تقوم

يحمل ذلك الكفل فخذان كأنهما من الدر عمودان وعلى حملهما أقدرهما الا بركة الشيخ الذى بينهما وأما غير ذلك من الاوصاف فلا يحصيه ناعت ولا وصاف ويحمل ذلك كله قدمان لطيفتان صنعة المهيمن الديان فعجبت منهما كيف يحملان ما فوقهما وأما وراء ذلك فانى تركته * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة التاسعة والسبعون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن العفريت دهنش بن شمهورش قال للعفريتة ميمونة وأما وراء ذلك فانى تركته لانه تقصر عنه العبارة ولا تفى به اشارة وأبو تلك الصبية ملك جبار * فارس كرار * يخوض بحار الاقطار * فى الليل والنهار * لا يهاب الموت * ولا يخاف الفوت * لانه جائر ظلوم * وقاهر غشوم * وهو صاحب جيوش وعساكر * وأقاليم وجزائر * ومدن ودور * واسمه الملك الغيور * صاحب الجزائر والبحور * والسبعة قصور * وكان يحب ابنته هذه التى وصفتها لك حبا شديدا ومن محبته لها جلب أموال سائر الملوك وبنى لها بذلك سبعة قصور كل قصر من جنس مخصوص القصر الاول من البلور والقصر الثانى من الرخام والقصر الثالث من الحديد الصينى والقصر الرابع من الجزع والفصوص والقصر الخامس من الفضة والقصر السادس من الذهب والقصر السابع من الجوهر وملأ السبعة قصور من أنواع الفرش الفاخر وأوانى الذهب والفضة وجميع الآلات من كل ما تحتاج اليه الملوك وأمر ابنته أن تسكن فى كل قصر مدة من السنة ثم تنتقل منه الى قصر غيره واسمها الملكة بدور فلما اشتهر حسنها وشاع فى البلاد ذكرها أرسل سائر الملوك الى أبيها يخطبونها منه فراودها فى أمر الزواج فكرهت ذلك وقالت لابيها ياوالدى ليس لى غرض فى الزواج أبدا فانى سيدة وملكة أحكم على الناس ولا أريد رجلا يحكم على وكلما امتنعت من الزواج زادت رغبة الخطاب فيها ثم ان جميع ملوك جزائر الصين الجوانية أرسلوا الى أبيها الهدايا والتحف وكاتبوه فى أمر زواجها فكر عليها أبوها المشاورة فى أمر الزواج مرارا عديدة فخالفته وغضبت منه وقالت له يا أبى ان ذكرت لى الزواج مرة أخرى أخذت السيف ووضعت قائمه فى الارض وذبابه فى بطنى واتكأت عليه حتى يطلع من ظهرى وقتلت نفسى فلما سمع أبوها منها هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلاما واحترق قلبه عليها غاية الاحتراق وخشى أن تقتل نفسها وتحير فى أمرها وفى أمر الملوك الذين خطبوها منه فقال لها ان كان لابد من عدم زواجك فامتنعى من الدخول والخروج ثم ان أباها أدخلها البيت وحجبها فيه واستحفظ عليها عشر عجائز قهرمانات ومنعها من أن تذهب

الى السبع قصور وأظهر أنه غضبان عليها وأرسل بكاتب الملوك جميعهم وأعلمهم أنها
أصيبت بجنون فى عقلها ولها الآن سنة وهى محجوبة ثم قال العفريت دهنش للعفريتة
وأنا ياسيدتى أتوجه اليها فى كل ليلة فانظرها وأتملى بوجهها وأقبلها وهى نائمة بين عينيها ومن
محبتى لها لا أضرها ولا أركبها الان جمالها بارع وكل من رآها يغار عليها من نفسه وأقسمت
عليك ياسيدتى أن ترجعى معى وتنظرى حسنها وجمالها وقدها واعتدالها وبعد هذا ان شئت
أن تعاقبينى أو تأسرينى فافعلى فان الامر أمرك والنهى نهيك ثم ان العفريت دهنشا
أطرق رأسه الى الارض وخفض أجنحته الى الارض فقالت له العفريتة ميمونة بعد أن
ضحكت من كلامه وبصقت فى وجهه أى شئ هذه البنت التى تقول عنها المها هى الا قوارة بول
فكيف لو رأيت معشوقتى والله انى حسبت أن معك أمرا عجيبا أو خبرا غريبا يا ملعون انى
رأيت انسانا فى هذه الليلة لو رأيته ولو فى المنام لانفلحت عليه وسالت ريالتك فقال لها دهنش
وما حكاية هذا الغلام فقالت له اعلم يا دهنش أن هذا الغلام قد جرى له مثل ما جرى لمعشوقتك
التى ذكرتها وأمره أبوه بالزواج مرارا عديدة فأبى فلما خالف أباه غضب عليه وسجنه فى
البرج الذى أنا ساكنة فيه فطلعت فى هذه الليلة فرأيته فقال لها دهنش ياسيدتى أرينى هذا
الغلام لانظر هو وأحسن من معشوقتى الملكة بدور أم لا لانى ما أظن أن يوجد فى هذا الزمان
مثل معشوقتى فقالت له العفريتة تكذب يا ملعون يا أنحس المردة وأحقر الشياطين فأنا
أتحقق أنه لا يوجد لمعشوقى مثيل فى هذه الديار * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن
الكلام المباح

فلما كانت الليلة الموفية للثمانين بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن العفريتة
ميمونة قالت للعفريت دهنش أنا أتحقق أنه لا يوجد لمعشوقى مثيل فى هذه الديار فهل أنت
مجنون حتى تقيس معشوقتك بمعشوقى فقال لها بالله عليك ياسيدتى أن تذهبى معى وتنظرى
معشوقتى وأرجع معك وأنظر معشوقك فقالت له ميمونة لا بد من ذلك يا ملعون لانك شيطان
مكار ولكن لا أجىء معك ولا تجىء معى الا برهن فان طلعت معشوقتك التى أنت تحبها
وتتغالى فيها أحسن من معشوقتى الذى أنا أحبه وأتغالى فيه فان ذلك الرهن يكون لك وان
طلع معشوقتى أحسن فان ذلك الرهن يكون لى عليك فقال لها العفريت دهنش ياسيدتى
قبلت منك هذا الشرط ورضيت به تعالى معى الى الجزائر فقالت له ميمونة ان موضع معشوقتى
أقرب من موضع معشوقتك وها هو تحتنا فانزل معى لننظر معشوقتى ونروح بعد ذلك الى
معشوقتك فقال لها دهنش سمعا وطاعة ثم انحدر الى أسفل ونزلا فى دور القاعة التى فى البرج
وأوقفت ميمونة دهنشا بجنب السرير ومدت يدها ورفعت الملاءة عن وجه قمر الزمان ابن الملك
شهرمان فسطع وجهه وأشرق ولمع وزهر فنظرته ميمونة والتفتت من وقتها الى دهنش وقالت له
أنظر يا ملعون ولا تعكن أقبح مجنون فنحن بنات وبه مقتونات فعند ذلك التفت اليه دهنش
واستمر يتأمل فيه ساعة ثم حرك رأسه وقال لميمونة والله ياسيدتى انك معذورة ولكن بقى
شئ آخر وهو أن حال الانثى غير حال الذكر وحق الله ان معشوقك هذا أشبه الناس بمعشوقتى
فى الحسن والجمال والبهجة والكمال وهما الاثنان كأنهما قد أفرغا فى قالب الحسن سواء

فلما

فلما سمعت ميمونة من دهنش هذا الكلام صار الضياء فى وجهها اظلاما ولطمته بجناحها على رأسه لطمة قوية كادت أن تقضى عليه من شدتها وقالت له قسما بنور وجهه وجلاله أن تروح يا مغفون فى هذه الساعة وتحمل معشوقتك التى تحبها وتجى بها سريعا الى هذا المكان حتى نجتمع بين الاثنين وننظرهما وهما ناعمان بالقرب من بعضهما فيظهر لنا أيهما أملح وان لم تفعل ما أمرتك به فى هذه الساعة يا ملعون أحرقتك بنارى ورميتك بشرر أشرارى ومزقتك قطعا فى البرارى وجعلتك عبرة للغنيم والسارى فقال لها دهنش يا سيدتى لك على ذلك وأنا أعرف أن محبوبتى أملح وأحلى ثم ان العفريت دهنش طار من وقته وساعته وطارت ميمونة معه من أجل المحافظة عليه فغابا ساعة زمانية ثم أقبل الاثنان بعد ذلك وهما حاملان تلك الصبية وعليها قميص بندقى رفيع بطرازين من الذهب وهو مزركش ببدائع التطريزات ومكتوب على رأس كميه هذه الابيات

ثلاثة منعتها عن زيارتنا * خوف الرقيب وخوف الحاسد الحنق
ضوء الجبين ووسواس الحلى وما * حوت معاطفها من عنبر عبق
هب الجبين بفضل الكم تستره * والحلى تنزعه ما حيلة العرق

ثم انهما نزلا بتلك الصبية ومدداها بجانب الغلام * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية والثمانون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن العفريت والعفريتة نزلا بتلك الصبية ومدداها بجانب الغلام وكشفا عن وجوه الاثنين فكانا أشبه الناس ببعضهم حتى كأنهما توأمان * أو أخوان منفردان * وهما فتنة للمتقين * كما قال فيهما الشاعر المبين

يا قلب لا تعشق مليحا واحدا * تختار فيه تدللا وتدللا
واهو الملاح جميعهم تلقاهم * ان صد هذا كان هذا مقبلا

وصار دهنش وميمونة ينظران اليهما فقال دهنش ان معشوقتى أحسن قالت له ميمونة بل معشوقتى أحسن ويلك يا دهنش هل أنت أعمى أما تنظر الى حسنه وجماله * وقده واعتداله فاسمع ما أقوله فى محبوبتى وان كنت محبا صادقا لمن تعشقها فقل فيها مثل ما أقول فى محبوبتى ثم ان ميمونة قبلت قمر الزمان قبلا عديدة وأنشدت هذه القصيدة

مالى، وللاحى عليك يعنف * كيف السلو وأنت غصن أهيف
لك مقلة كحلاء تنفث سحرها * ما للهوى العذرى عنها مصرف
تركيبة الالحاظ تفعل بالحشا * ما ليس يفعله الصقيل المرهف
حملتنى ثقل الغرام وانى * بالعجز عن حمل القميص لأضعف
وجدى عليك كما علمت ولوعتى * طبع وعشقى فى سوالف تكلف
لو أن قلبى مثل قلبك لم أبت * والجسم منى مثلى خصرك منحف
ويلاه من قمر بكل ملاحة * بين الانام وكل حسن يوصف
قال العواذل فى الهوى من ذا الذى * أنت الكئيب به فقلت لهم صفوا
يا قلبه القاسى تعلم عطفة * من قده فعسى ترق وتعطف

لك يا أميرى فى الملاحة ناظر * يسطو على وحاجب لا ينصف
كذب الذى ظن الملاحة كلها * فى يوسف كم فى جمالك يوسف
الحسن تخشانى اذا قابلتها * وأنا اذا ألقاك قلبى يرجف
أتكلف الاعراض عنك مهابة * واليك أصبو جهد ما أتكلف
والشعر أسود والجبين مشعشع * والطرف أحمر والقوام مهفهف

فلما سمع دهنش شعر ميمونة فى معشوقها طرب غاية الطرب وتعجب كل العجب * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثانية والثمانون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن دهنشا لما سمع شعر ميمونة فى معشوقها طرب غاية الطرب وقال انك أنشدتينى فيمن تعشقينه هذا الشعر الرقيق مع أن بالك مشغول به ولكن أنا أبذل الجهد فى انشاد الشعر على قدر فكرتى ثم ان دهنشا قام الى معشوقته بدور وقبلها بين عينيها ونظر الى العفريته ميمونة والى معشوقته بدور وجعل ينشد هذه القصيدة وهو بلا شعور

أقوت معاهدهم بشط الوادى * فبقيت مقتولا وشط الوادى
وسكرت من خمر الغرام ورقصت * عينى الدموع على غناء الحادى
أسعى لأسعد بالوصال وحق لى * ان السعادة فى بدور سعاد
لم أدر من أى الثلاثة أشتكى * ولقد عددت فأضع للاعداد
من لحظها السياف أم من قدها الرماح أم من صدغها الزراد
قالت وقد فتشت عنها كل من * لاقيته من حاضر أو بادى
أنا فى فؤادك فارم طرفك نحوه * ترنى فقلت لها وأين فؤادى

فلما فرغ من شعره قالت العفريتة أحسنت يا دهنش ولكن أى هذين الاثنين أحسن فقال لها محبوبتى بدور أحسن من محبوبك فقالت له كذبت يا ملعون بل معشوقى أحسن من معشوقتك ثم انهما لم يزالا يعارضان بعضهما فى الكلام حتى صرخت ميمونة على دهنش وأرادت أن تبطش به فذل لها ورقق كلامه وقال لها لا يصعب عليك الحق فأبطلى قولك وقولى فان كلامنا يشهد لمعشوقه أنه أحسن فنعرض عن كلام كل واحد منا ونطلب من يفصل الحكم بيننا بالانصاف ونعتمد على قوله فقالت له ميمونة وهو كذلك ثم ضربت الارض برجلها فطلع لها من الارض عفريت أعور أجرب وعيناه مشقوقتان فى وجهه بالطول وفى رأسه سبعة قرون وله أربع ذوائب من الشعر مسترسلة الى الارض ويداه مثل يدى القطرب وله أظفار كأظفار الاسد ورجلان كرجلى الفيل وحوافر كحوافر الحمار فلما طلع ذلك العفريت ورأى ميمونة قبل الارض بين يديها وتكتف وقال لها ما حاجتك يا سيدتى يا بنت الملك فقالت له يا قشقش انى أريد أن تحكم بينى وبين هذا الملعون دهنش ثم انها أخبرته بالقصة من أولها الى آخرها فعندها نظر العفريت قشقش الى وجه ذلك الصبى ووجه تلك الصبية فرآهما متعانقين وهما نائمان ومعصم كل منهما تحت عنق الآخر وهما فى الحسن والجمال متشابهان وفى الملاحة متساويان * فنظر وتعجب المارد قشقش من حسنهما وجمالهما والتفت الى

ميمونة

ميمونة ودهنش بعد أن أطال الى الصبي والصبية الالتفات * وأنشد هذه الابيات

زر من تحب ودع مقالة حاسد * ليس الحسود على الهوى بمساعد
لم يخلق الرحمن أحسن منظرا * من عاشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما حلل الرضا * متوسدين بمعصم وبساعد
واذا صفا لك من زمانك واحد * فهو المراد وعش بذاك الواحد
واذا تألفت القلوب على الهوى * فالناس تضرب فى حديد بارد
يا من يلوم على الهوى أهل الهوى * هل يستطاع صلاح قلب فاسد
يارب يارحمن تحسن ختمنا * قبل الممات ولو بيوم واحد

ثم ان العفريت قشقش التفت الى ميمونة والى دهنش وقال لهما والله ما فيهما أحد أحسن من الآخر ولا دون الآخر بل هما أشبه الناس بعضهما فى الحسن والجمال * والبهجة والكمال ولا يفرق بينهما الا بالتذكير والتأنيث وعندى حكم آخر وهو أن ننبه كل واحد منهما من غير علم الآخر وكل من التهب على رفيقه فهو دونه فى الحسن والجمال فقالت ميمونة نعم هذا الرأى الذى قلته فأنا رضيته وقال دهنش وأنا أيضا رضيته فعند ذلك انقلب دهنش فى صورة برغوث ولدغ قمر الزمان * وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الثالثة والثمانون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن دهنشا انقلب فى صورة برغوث ولدغ قمر الزمان فى رقبته فى موضع ناعم فمد قمر الزمان يده على رقبته وهرش موضع القرصة من شدة ما آحرقته فتحرك بجنبه فوجد شيأ نائما بجنبه ونفسه أزكى من المسك وجسمه ألين من الزبد فتعجب قمر الزمان من ذلك غاية العجب ثم قام من وقته قاعدا ونظر الى ذلك الشخص الراقد بجانبه فوجدها صبية كالدرة السنية * أو القبة المبنية بقامة ألفية * خماسية القد * بارزة النهد * موردة الخد * كما قال فيها * بعض واصفيها

بدت قمرا ومالت غصن بان * وفاحت عنبرا ورنت غزالا
كأن الحزن مشغوف بقلبى * فساعة هجرها يحد الوصالا

فلما رأى قمر الزمان السيدة بدور بنت الملك الغيور وشاهد حسنها وجمالها وهى نائمة فى طوله وجد فوق بدنها قميصا بند قيا وهى بلا سروال وعليها كوفية من ذهب مرصعة بالجواهر وفى عنقها قلادة من الفصوص المثمنة لا يقدر عليها أحد من الملوك فصار مدهوش العقل من ذلك ثم انه حين شاهد حسنها تحركت فيه الحرارة الغريزية وألقى الله عليه شهوة الجماع وقال فى نفسه ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ثم قلبها بيده ثانى مرة وفتح طوق قميصها فبان له بطنها ونظر اليه والى نهودها فازداد فيها محبة ورغبة فصار ينبهها وهى لا تتنبه لان دهنشا ثقل نومها فصار قمر الزمان يهزها ويحركها ويقول يا حبيبتى استيقظى وانظرى من أنا فأنا قمر الزمان فلم تستيقظ ولم تحرك رأسها فعند ذلك تفكر فى أمرها ساعة زمانية وقال فى نفسه ان صدق حزرى فهذه الصبية هى التى يريد والدى زواجى بها ومضى لى ثلاث سنين وأنا أمتنع من ذلك فان شاء الله اذا جاء الصبح أقول لابى زوجنى بها * وأدرك شهرزاد الصباح * فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الرابعة والثمانون بعد المائة قالت بلغني أيها الملك السعيد أن قمر الزمان قال في نفسه ان شاء الله اذا جاء الصبح أقول لابي زوجني بها ولا أترك نصف النهار يفوت حتى أفوز بوصلها وأتملى بحسنها وجمالها ثم ان قمر الزمان مال الى بدور ليقبلها فارتعدت ميمونة الجنية وخجلت وأما العفريت دهنش فانه طار من الفرح ثم ان قمر الزمان لما أراد أن يقبلها في فمها استحى من الله ولفت وجهه وقال في نفسه أنا أصبر لئلا يكون والدي لما غضب علي وحبسني في هذا الموضع جاء الى بهذه العروسة وأمرها بالنيام جنبي ليمتحنني بها وأوصاها أني اذا نبهتها لا تستيقظ وقال لها أي شيء فعل بك قمر الزمان فاعلميني به ور بما يكون والدي واقفا مستخفيا في مكان بحيث يطلع علي وأنا لا أنظره فينظر جميع ما أفعله بهذه الصبية واذا أصبح يوبخني ويقول لي كيف تقول مالي أرب في الزواج وأنت قبلت تلك الصبية وعانقتها فأنا أكف نفسي عنها لئلا ينكشف أمري مع والدي فأنا لا ألمس هذه الصبية من تلك الساعة ولا ألتفت لها غير أني آخذ لي منها شيأ يكون أمارة عندي وتذكرة لها حتى يبقى بيني وبينها اشارة ثم ان قمر الزمان رفع كف الصبية وأخذ خاتمها من خنصرها وهو يساوي جملة من المال لان فصه من نفيس الجواهر ومنقوش في دائرته هذه الابيات

لا تحسبوا أني نسيت عهودكم * مهما أطلتم في الزمان صدودكم
ياسادتي جودوا علي تعطفا * فعسى أقبل ثغركم وخدودكم
والله اني لست أبرح عنكم * ولو اعتديتم في الغرام حدودكم

ثم ان قمر الزمان نزع ذلك الخاتم من خنصر الملكة بدور ولبسه في خنصره وأدار ظهره اليها ونام ففرحت ميمونة الجنية لما رأت ذلك وقالت لدهنش وقشقش هل رأيتما محبوبي قمر الزمان ومما فعله من العفة عن هذه الصبية فهذا من كمال محاسنه فانظرا كيف رأى هذه الصبية وحسنها وجمالها ولم يعانقها ولم يمس بيده عليها بل أدار ظهره اليها ونام فقالا لها قد رأينا ما صنع من الكمال فعند ذلك انقلبت ميمونة وجعلت نفسها برغوثا ودخلت ثياب بدور محبوبة دهنش ومشت على ساقها وطلعت على فخذها ومشت تحت سرتها مقدار أربعة قراريط ولدغتها ففتحت عينيها واستوت قاعدة فرأت شابا نائما بجانبها وهو يغط في نومه وله خدود كشقائق النعمان * ولواحظ تخجل الحور الحسان * وفم كأنه خاتم سليمان * وريقه حلو المذاق * وأنفع من الترياق * كما قال فيه * بعض واصفيه

سلا خاطري عن زينب ونوار * بوردة خد فوق آس عذار
وأصبحت بالظبي المقرطق مغرما * ولا رأي لي في عشق ذات سوار
أنيسي في النادي وفي خلوتي معا * خلاف أنيسي في قرارة داري
فيا لائمي في هجر هندوز ينب * وقد لاح عذري كالصباح لساري
أترضى بان امسي أسير أسيرة * محصنة أو من وراء جدار

ثم ان الملكة بدور لما رأت قمر الزمان أخذها الهيام * والوجد والغرام * وأدرك شهرزاد الصباح * فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الخامسة والثمانون بعد المائة قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة بدور

لما

لما رأت قمر الزمان أخذها الهيام * والوجد والغرام * وقالت فى نفسها وافضيحتاه ان هذا شاب غريب لا أعرفه ما باله راقدا بجانبى فى فراش واحد ثم نظرت اليه بعيونها وحققت النظر فيه وفى ظرفه ودلاله وحسنه وجماله ثم قالت وحق الله انه شاب مليح مثل القمر الا أن كبدى تكاد أن تتمزق وجدا عليه وشغفا بحسنه وجماله فيا فضيحتى منه والله لو علمت أن هذا الشاب هو الذى خطبنى من أبى ما رددته بل كنت أتزوجه وأتملى بجماله * ثم ان الملكة بدور تطلعت من وقتها وساعتها فى وجه قمر الزمان وقالت له ياسيدى وحبيب قلبى ونور عينى انتبه من منامك وتمتع بحسنى وجمالى ثم حركته بيدها فأرخت عليه ميمونة الجنية النوم وثقلت على رأسه بجناحها فلم يستيقظ قمر الزمان فهزته الملكة بدور بيديها وقالت له بحياتى عليك أن تطيعنى فانتبه من منامك وانظر النرجس والخضرة * وتمتع ببطنى والسرة * وهارشنى وناغشنى من هذا الوقت الى بكرة * قم ياسيدى واتكئ على المخدة ولا تنم فلم يجبها قمر الزمان بجواب ولم يرد عليها خطابا بل غط فى النوم فقالت الملكة بدور مالك نائما بحسنك وجمالك * وظرفك ودلالك * فكما أنت مليح أنا الاخرى مليحة فما هذا الذى تفعله هل هم علوك الصد عنى أو أبى الشيخ النحس منعك من أن تكلمنى فى هذه الليلة ففتح قمر الزمان عينيه فازدادت فيه محبة وألقى الله محبته فى قلبها ونظرته نظرة * أعقبتها ألف حسرة * فخفق فؤادها وتقلقلت أحشاؤها واضطربت حواسها وقالت لقمر الزمان ياسيدى كلمنى يا حبيبى حدثنى يا معشوقى ردّ على الجواب وقل لى ما اسمك فانك سلبت عقلى كل ذلك وقمر الزمان مستغرق فى النوم ولم يرد عليها بكلمة فتأوهت الملكة بدور وقالت مالك معجبا بنفسك ثم هزته وقبلت يده فرأت خاتمها فى اصبعه الخنصر فشهقت شهقة وأتبعتها بغمضة وقالت أوه أوه والله أنت حبيبى وتحبنى ولكن كأنك تعرض عنى دلالا مع أنك جئتنى وأنا نائمة وما أعرف كيف عملت أنت معى ولكن ما أنا قالعة خاتمى من خنصرك ثم فتحت جيب قميصه ومالت عليه وقبلت رقبته وفتشت على شئ تأخذه منه فلم تجد معه شيأ ورأته بغير سروال فمدت يدها من تحت ذيل قميصه وجست سيقانه فزالت يدها من نعومة جسمه وسقطت على ايره فانصدع قلبها وارتجف فؤادها لان شهوة النساء أقوى من شهوة الرجال وخجلت ثم نزعت خاتمه من اصبعه ووضعته فى اصبعها عوضا عن خاتمها وقبلته فى ثغره وقبلت كفيه ولم تترك فيه موضعا الا قبلته وبعد ذلك أخذته فى حضنها وعانقته ووضعت احدى يديها تحت رقبته والاخرى من تحت ابطه ونامت بجانبه * وأدرك شهرزاد الصباح * فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة السادسة والثمانون بعد المائة قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملكة بدور نامت بجانب قمر الزمان وجرى منها ما جرى فلما رأت ذلك ميمونة فرحت غاية الفرح وقالت لدهنش هل رأيت يا ملعون كيف فعلت معشوقتك من الوله بمعشوقى وكيف فعل معشوقى من التيه والدلال فلا شك أن معشوقى أحسن من معشوقتك ولكن عفوت عنك ثم كتبت له ورقة بالعتق والتفتت الى قشقش وقالت له ادخل معه واحمل معشوقته وساعده على وصولها الى مكانها الان الليل مضى وفاتنى مطلوبى فتقدم دهنش وقشقش الى الملكة بدور ودخلا تحتها وحملاها وطارا بها وأوصلاها الى مكانها وأعاداها الى فراشها واختلت ميمونة بالنظر الى قمر

الزمان وهو نائم حتى لم يبق من الليل الا القليل ثم توجهت الى حال سبيلها فلما اذن الفجر انتبه
قمر الزمان من منامه والتفت يمينا وشمالا فلم يجد الصبية عنده فقال فى نفسه ما هذا الأمر كان
أبى يرغبنى فى الزواج بالصبية التى كانت عندى ثم أخذها سرا لاجل أن ترد رغبتى فى الزواج
ثم صرخ على الخادم الذى هو نائم على الباب وقال له ويلك يا ملعون قم فقام الخادم وهو طائش
العقل من النوم ثم قدم له الطشت والابريق فقام قمر الزمان ودخل المستراح وقضى حاجته
وخرج فتوضأ وصلى الصبح وجلس يسبح الله ثم نظر الى الخادم فوجده واقفا فى خدمته بين يديه
فقال له ويلك يا صواب من جاء هنا وأخذ الصبية من جنبى وأنا نائم فقال له الخادم يا سيدى أى
شئ الصبية فقال قمر الزمان الصبية التى كانت نائمة عندى فى هذه الليلة فازعج الخادم من كلام
قمر الزمان وقال له لم يكن عندك صبية ولا غيرها ومن أين دخلت الصبية وأنا نائم وراء الباب
وهو مقفول والله يا سيدى ما دخل عليك ذكر ولا أنثى فقال له قمر الزمان تكذب يا عبد النحس
وهل وصل من قدرك أنت الآخر أنك تخادعنى ولا تخبرنى أين راحت هذه الصبية التى كانت
نائمة عندى فى هذه الليلة ولم تخبرنى بالذى أخذها من عندى فقال الطواشى وقد ازعج منه والله
يا سيدى ما رأيت صبية ولا صبيا فغضب قمر الزمان من كلام الخادم وقال له انهم علموك الخداع
يا ملعون فتعال عندى فتقدم الخادم الى قمر الزمان فأخذ بأطواقه وضرب به الارض فضرطثم
برك عليه قمر الزمان ورفصه برجله وخنقه حتى غشى عليه ثم بعد ذلك ربطه فى سلبة البئر
وأدلاه فيه الى أن وصل الى الماء وأرخاه وكانت تلك الايام أيام برد وشتاء
قاطع فغطس الخادم فى الماء ثم نشله قمر الزمان وأرخاه ولا زال يغطس
ذلك الخادم فى الماء وينشله منه والخادم يستغيث ويصرخ
ويصيح وقمر الزمان يقول له والله يا ملعون ما أطلعك من
هذه البئر حتى تخبرنى بخبر هذه الصبية وقضيتها
ومن الذى أخذها وأنا نائم * وأدرك
شهرزاد الصباح فسكتت
عن الكلام
المباح

* تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى أوله الليلة السابعة والثمانون بعد المائة *

383

(١)

فهرست الجزء الاول من كتاب ألف ليلة وليلة

صحيفه

٢ حكاية الملك شهريار وأخيه الملك شاه زمان

٥ حكاية الحمار والثور مع صاحب الزرع

٧ حكاية التاجر مع العفريت

١١ حكاية الصياد مع العفريت

١٣ حكاية وزير الملك يونان والحكيم رويان

٢٧ حكاية الحمال مع البنات

٥٨ حكاية الوزير نور الدين مع شمس الدين أخيه

٧٩ حكاية الخياط والاحدب واليهودى والمباشر والنصرانى فيما وقع بينهم

٩٥ حكاية هرثمة بن بغداد

١١٥ حكاية الوزيرين التى فيها ذكر أنيس الجليس

١٣٦ حكاية التاجر أيوب وابنه غانم وبنته فتنة

١٥٠ حكاية الملك عمر النعمان وولديه شركان وضوء المكان

٣٢٤ حكاية تتعلق بالطيور

٣٤٥ حكاية على بن بكار مع شمس النهار

٣٦٨ حكاية قمر الزمان ابن الملك شهرمان

تمت الفهرست

FRONT

Restored through
a grant from
The Cartwright Foundation

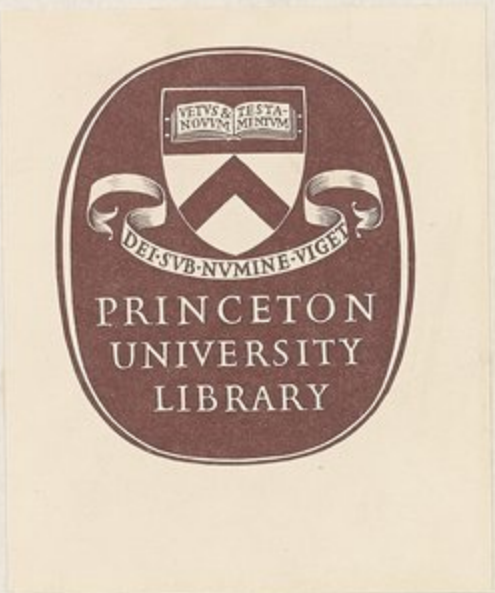

Princeton University Library
32101 048392458